مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيُونِ التُّراثِ الإسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حَاشِيَةُ الجَارْبَرْدِي عَلَى الكَشَّاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد السادس

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣٣
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشاف (حاشية الجازنزدي على الكشاف)
فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجازنزدي

المجلد السادس

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، مجد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشاف (حاشية الجازنزدي على الكشاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بمركز البحوث الإسلامية (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قدير يلقاز
المراجعة العلمية محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان خرّش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَمِيرآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)،
علي حيدر أولوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد سَارْسَانْتْبَايُوفْ (الإملاء)،
(التركي) عيسى قايا ألْتْ (الإملاء)، إسماعيل أُزْيِلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أولوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)،
حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام/İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
(مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9
(المجلد السادس) 978-625-428-639-1

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجازنزدي
تتمة الكشاف (حاشية الجازنزدي على الكشاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجازنزدي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، مجد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد السادس (٧٥٦ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٣. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد السادس) 978-625-428-639-1 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

سورة الرعد

مختلَفٌ فيها، وهي خمسٌ وأربعون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى آيات السورة، والمراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: السورةُ؛ أي: تلك الآياتُ آياتُ السورةِ الكاملةِ العجيبةِ في بابها، ثمّ قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن كلِّه هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا مزيدَ عليه لا هذه السورةُ وحدها.

سورة الرعد[1]

مختلَف فيها، أي: في أنّها مكيّة أو مدنيّة.

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

قوله: (الكاملة العجيبة) دلّ على هذا إطلاق الكتاب على السورة، فكأنّها[3] هو الكتاب لكمالها في المعاني المتعلِّقة بالسورة وآخر انتهاء[4] في ذلك.

قوله: (ثمّ قال)، يعني: بعد أن ذَكَر أنّ هذه السورة في هذه الرفعة، أشار إلى[5] جميع القرآن كذلك لا هي وحدَها.

قوله: (مِن القرآن) بيان.

---

١ ن ر + بسم الله الرحمن الرحيم.
٢ ن ر – بسم الله الرحمن الرحيم.
٣ ر: مكانها.
٤ ر: بها.
٥ ن + أن.

وفي أسلوب هذا الكلامِ قولُ الأنماريَّة: هم كالحلْقة المُفرَغةِ لا يُدرَى أين طرفاها. تُريد الكَمَلَةَ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ و﴿ٱلَّذِى﴾ خبرُه ....

قوله: (قول الأنماريّة) الأنماريّة بنت الخُرشُب، تصفُ أبناءها حين سُئلت عنهم أيُّهم أفضل؟ فقالت: فلان لا بل فلان لا بل فلان،[١] ثمّ قالت: ثكِلتهم إن كنت أعلم أيُّهم أفضل هم كالحلقة... إلخ،[٢] ثكِلتهم، أي: فقدتهم، و«الثُّكْل والثَّكَل[٣] بفتحتين: فقدان المرأة ولدها. وامرأة ثاكل وثكلى، وثكِلته أمُّه ثُكْلًا وأثكلَه الله أُمَّه».[٤]

قوله: (تريد) أي: هي. وقوله: (الكَمَلة) جمع كامل.

قوله: (﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ) وأظنّ أنّه يحسُن أن يقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل فعل محذوف، فإنّه لمّا قيل: ﴿أُنزِلَ﴾[٥] كان مظِنّة سؤال: مِن نزَّله؟[٦] فقيل: ﴿ٱللَّهُ﴾، نحو[٧] ﴿يُسبَّح لَهُ فِيهَا بِالغُدوِّ وَالآصَالِ﴾[٨] [النور ٣٦/٢٤]، وقوله:

لِيُبكَ يزيد ضارعٌ[٩]

---

[١] ن – لا بل فلان.

[٢] هذا القول لفاطمة بنت الخُرشُب الأنماريّة في الدِّيباج لأبي عبيدة، ص ٧٤، والبرصان والعرجان للجاحظ، ص ٦٤، والكشّاف للزمخشري، (الزُّخرف، ٤٨/٤٣). وعبارة "هم كالحلقة المفرغة" مذكورة في أمثال العرب. مجمع الأمثال للميداني، ٣٩٧/٢؛ المستقصى للزمخشري، ٣٩٣/٢.

[٣] ن – والثَّكَل.

[٤] الصحاح للجوهري، «ثكل».

[٥] ن ر: اترك.

[٦] ن ر: تركه.

[٧] ر: نحن.

[٨] قرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الباء مُجهُلًا. النشر لابن الجزري، ٣٣٢/٢.

[٩] والبيت بتمامه:

لِيُبكَ يزيد ضارعٌ لخصومةٍ
ومختبِطٌ ممّا تُطيح الطوائحُ

واختُلف في نسبته: فهو للبيد بن ربيعة في ملحق ديوانه، ص ٣٦٢؛ وللحارث بن نَهيك في كتاب سيبويه ٢٨٨/١؛ وشرح الرضيّ على الكافية ١٩٨/١؛ ولنَهشَل بن حَرّيّ في البسيط للواحديّ، ٥٧٨/١٢، وللحارث بن ضِرار النهشليّ في الحماسة ←

بدليلِ قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرعد ٣/١٣]، ويجوز أن يكون صفةً، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ خبرًا بعد خبرٍ، وينصره ما تقدَّمه من ذكر الآيات.

﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ كلامٌ مستأنَفٌ استشهادٌ برؤيتهم لها كذلك. وقيل: هي صفةٌ لـ﴿عَمَدٍ﴾، ....

قوله: (بدليل قوله) عن قريب فيما يليه.[1]

قوله: (وينصره) أي: ينصر كون ﴿ٱلَّذِى﴾ صفة و﴿يُدَبِّرُ﴾ خبرًا[2] ما[3] تقدَّم على قوله: ﴿يُدَبِّرُ﴾، ثمّ بيَّن ما تقدَّم بقوله: (مِن ذِكر الآيات)، ثمّ أشار بإيراد رفع السماوات بغير عمد إلى أنّ المراد بذِكر الآيات رفعُ السماوات.

قوله: "وينصره" ووجه ذلك أن نقول والله أعلم: لو كان ﴿ٱلَّذِى﴾ خبرًا لكان الإسناد حاصلًا هناك، وكان[4] المناسب أن يكون ﴿يُدَبِّرُ﴾ ﴿يُفَصِّلُ﴾ صلتَه كالآيات المتقدِّمة، فكان ينبغي أن يكون فيه حرف عطف، ولمّا لم يكن فيه حرف عطف[5] عُلم أنّ الاستناد إنّما هو عند قوله: ﴿يُدَبِّرُ﴾ وأنّ ﴿ٱلَّذِى﴾ صفته.

قوله: (﴿تَرَوْنَهَا﴾) ابتداء كلام مِن المصنِّف لتفسير ﴿تَرَوْنَهَا﴾، وليس هذا في لفظه مِن تتمّة ما تقدّمه.

قوله: (﴿تَرَوْنَهَا﴾[6] كلام مستأنف استشهاد)، وعلى هذا الضمير في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ للسماوات. وقوله: (برؤيتهم لها) أي: للسماوات.[7] وقوله:[8] (كذلك) أي: بغير عمد. وقوله: (وهي صفة لـ﴿عَمَدٍ﴾) / وعلى هذا الضمير للعمد، قال رحمه الله:[9] [٣٤ظ]

= البصرية للبصريّ، ٧٥٦/٢؛ ولِضِرار بن نَهشل في المطوَّل للتفتازانيّ، ص ١٤٤؛ ومعاهد التنصيص للعباسيّ، ٢٠٣/١. وأورد البغداديُّ في خزانة الأدب، ٣٠٣/١-٣١٣ نسبته إلى هؤلاء وإلى غيرهم، ورجَّح نسبته إلى نَهشل بن حَرِّيّ. ويزيد المذكور هو يزيد بن نهشل، وصرّح الشاعر باسمه تامًا في أبيات القصيدة التي منها هذا البيت، وهي مذكورة في خزانة الأدب.

[1] ن: بكته.

[2] ن: خبره؛ ر: خبران.

[3] ن: إما.

[4] ن ر: فكان.

[5] ن ر – ولمّا لم يكن فيه حرف عطف.

[6] ن ر – وليس هذا في لفظه مِن تتمّة ما تقدّمه قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾.

[7] ر: السماوات.

[8] ن – (برؤيتهم لها) أي: للسماوات. وقوله.

[9] ن ر: رضي الله عنه.

ويعضُده قراءة أبيّ: "تَرَوْنَهُ"، وقرئ: "عُمُدٍ" بضمّتين.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يدبِّر أمرَ ملكوته وربوبيّته ﴿يُفَصِّلُ﴾ آياته في كتُبه المنزلة ﴿لَعَلَّكُم... تُوقِنُونَ﴾ بالجزاء، وبأنَّ هذا المدبِّرَ والمفصِّل لا بدَّ لكم من الرُّجوع إليه.

وقرأ الحسن: "نُدبِّر" بالنون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾

﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: خلَق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حِين مدَّها، ثمّ تكاثرتْ ....

يجوز أن يتناول النفي الصفة وحدَها على أنّ ثمّة[1] عَمَدًا إلّا أنّه غير[2] مرئيّ،[3] وهو إمساك الله إيّاها بقدرته، وأن يتناول الصفة والموصوف جميعًا، كقوله:

ولا ترى الضبّ بها ينجحِرْ[4]

أوّله:

لا يُفزِع الأرنبَ أهوالُها

قوله: (قراءة أُبيّ: "تَرَوْنَهُ")؛[5] لأنّ لفظ "العَمَد" مذكّر. قال في الكواشي: «العَمَد بالفتح: جمع عمود أو عماد، كأديم وأَدَم، وإهاب وأَهَب،[6] وأفيق وأَفَق. قالوا: لا خامسَ لها».[7]

قوله: (ثمّ تكاثرت) إشارة إلى أنّه[8] وَصَف ﴿زَوْجَيْنِ﴾ بـ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ليدلّ على أنّ المراد بـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ هذا العدد المخصوص، أي: الاثنان[9] فقط،[10] وليس المراد بهما

---

١ ن ر: ثمّ.

٢ ر: عين.

٣ ر: بين.

٤ الشعر لابن أحمر. ومضى بتخريجه في تفسير سورة آل عمران، ١٥٢/٣.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠٥١.

٦ ن ر: وإهاب.

٧ تفسير الكواشي، ٢٥١و.

٨ ن ر: أن.

٩ ن: الإتيان.

١٠ ن ر: قط.

بعد ذلك وتنوَّعَتْ.

وقيل: أراد بالزوجين: الأسودَ والأبيض، والحلوَ والحامض، والصغيرَ والكبير، وما أشبهَ ذلك من الأصناف المختلفة.

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يُلْبِسُه مكانَه فيصيرُ أسودَ مظلمًا بعدما كان أبيضَ مُنيرًا، وقرئ: ﴿يغشِّي﴾ بالتشديد.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: بقاعٌ مختلفةٌ مع كونها متجاورةً متلاصقةً: طيّبةٌ إلى سَبِخَةٍ، وكريمةٌ إلى زهيدةٍ، وصلبَةٌ إلى رَخْوةٍ، وصالحةٌ للزرع لا للشجر

الصنفان[1] كالذَّكر والأنثى فإنّه لا ينافي الكثرة، فتأمّل.

قوله: (وتنوَّعت) عطف على "تكاثرت"، أي: صارت كثيرة وأنواعًا مختلفة، والمراد بالأنواع الأصناف.

قوله: (وقيل)، يعني: يكون المراد بالزوجين الصنفين، وعلى الأوّل كان شخصين، أي: اثنين بالعدد، فلذلك قال: "ثمّ تكاثرت".

قوله: (يُلبِسه) أي: الليل. وقوله: (مكانَه) أي: مكان النهار.

قوله:[2] (بقاعٌ مختلفة) البقعة: قطعة مِن الأرض يُخالف لونها لونَ ما يليها. وقوله: (طيّبة) بدل من قوله: "بقاع مختلفة" بطريق البيان، أي: بقعة طيبة منتهية إلى بقعة سَبِخة، أي: في جوارها سَبِخة، وكذا البواقي. وقوله: (سَبِخة) بكسر الباء. وقوله: (وكريمةٌ) الكريم مِن كلّ شيء أحسنه، ويكون لا مَحالةَ ممّا يُرغَب فيه، ولذلك ذَكَر (زَهيدة) في مقابلته. والزُّهد: خلاف الرغبة، تقول: زَهِد في الشيء وعن الشيء بمعنًى واحد، والمُزهِد القليل. ويقال: "رجل زهيد الأكل"

---

[1] ن ر: الصفتان.

[2] ن ر - (يُلبِسه) أي: الليل وقوله: (مكانَه) أي: مكان النهار. قوله.

إلى أخرى على عكسها، مع انتظامِها جميعًا في جنسِ الأرضيَّة، وذلك دليلٌ على قادرٍ مُريدٍ مُوقِعٍ لأفعاله على وجهٍ دون وجه، وكذلك الكُروم والزُّروع والنخيل النابتةُ في هذه القِطع مختلفةُ الأجناس والأنواع وهي تُسقى بماءٍ واحد، وتراها متغايِرَةَ الثَّمر في الأشكال والألوان والطُّعوم والروائح متفاضِلةً فيها.

وفي بعض المصاحف: "قِطعًا متجاورات" على: وجَعَل.

وقرئ: "وجنَّاتٍ" بالنصب للعطف على ﴿زَوْجَيْنِ﴾، أو بالجرّ على ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

وقرئ: ﴿وزرعٍ ونخيلٍ﴾ بالجرِّ عطفًا على ﴿أَعْنَٰبٍ﴾ أو "جنَّاتٍ".

والصِّنوان: جمعُ صِنْوٍ، وهي النخلةُ لها رأسان وأصلهُما واحدٌ، وقرئ بالضم، فالكسر لغةُ أهل الحجاز والضمُّ لغة بني تميمٍ وقيس.

﴿يُسْقَىٰ﴾ بالياء والتاء.

و"وادٍ زهيد": قليل الأخذ للماء.[١] وقوله: (إلى أخرى) أي: إلى أرض أخرى كائنة على عكس تلك بأن تكون صالحة للشجر لا للزرع.

قوله: (والصِّنوان: جمع صِنْو) قال في الكواشي: «صِنوان جمع صِنْو، وهي: النخلات يجمعها أصل واحد، وتتشعَّب فروعها. والمراد بـ﴿غَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ النخلة المنفردة بأصلها، والفرق[٢] بين تثنية "صِنوان" و"قِنوان" وجمعهما بكسر النون».[٣] هكذا في الكواشي. والمراد[٤] أنّه إذا كان[٥] تثنية تُكسَر نونه بغير تنوين،[٦] وإذا كان جمعًا يرِد على النون أنواع الإعراب.

قوله: (﴿يُسْقَىٰ﴾ بالتاء والياء)[٧] "يُسقى" بياء مذكّرًا،[٨] أي: يُسقى المذكور، وبتاء مؤنّثا، أي: تسقى الجنّة[٩] بما فيها.

---

١ انظر: الصحاح للجوهري، «زهد».
٢ ر – والفرق.
٣ تفسير الكواشي، ١٥٢ظ.
٤ ر + والمراد.
٥ ر: كانت.
٦ ن ر: نون.
٧ ن ر + جميعًا. | قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بالياء على التذكير، وقرأ باقي العشرة بالتاء على التأنيث. النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٧.
٨ ن ر: مذكورًا.
٩ ن – الجنّة.

﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعًا.

﴿فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾ بضم الكاف وسكونها.

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يا محمدُ من قولهم في إنكارِ البعث فقولُهم عجيبٌ حقيقٌ بأن يُتَعجَّبَ منه؛ لأنَّ مَن قَدَر على إنشاء ما عُدِّد عليك من الفِطَرِ العظيمةِ ولم يَعْيَ بخلقهنَّ كانت الإعادةُ أهونَ شيءٍ عليه وأيسرَه، فكان إنكارُهم أعجوبةً من الأعاجيب.

﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ إلى آخرِ قولهم: يجوز أن يكون في محلِّ الرفع بدلًا من ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾ وأن يكون منصوبًا بالقول، و"إذا" نصبٌ بما دلَّ عليه قولُه: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾: أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم.

قوله: (فقولهم عَجَب حقيق) الجزاء محذوف، أي: إن تعجب يكن عجبك في المقام غير مُستبدَع ولا مُستغرَب؛ لأنّ قولهم شيء يُتعجَّب منه، ثمّ إنّ العجب في[1] ﴿فَعَجَبٞ﴾ بمعنى: ما يُتعجَّب منه.

قوله: (أهونَ شيء عليه) أي: عندكم، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم ٢٧/٣٠]، أي: عندكم.

قوله: (بدلًا مِن ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾)،[2] أي: / في ﴿فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾. وقوله: (منصوبًا بالقول) أي: ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾. [٣٥و]

قوله: (و"إذا" نصبٌ بما دلّ عليه)... إلخ، كأنّهم قالوا: إإذا كنّا ترابًا نُبعث!، ثمّ استأنفوا الإنكار بقولهم: ﴿أَءِنَّا﴾.

---

[1] ن – في.

[2] ر + من قولهم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ وصَفَهم بالإصرار؛ كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ [يس ٣٦/٨] ونحوُه:

لـهـم عـن الـرُّشـد أغـلالٌ وأقـيـادُ

أو هو من جملة الوعيد.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: بالنِّقْمة قبل العافية، والإحسانِ إليهم بالإمهالِ، وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيَهم بالعذاب استهزاءً منهم بإنذاره.

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾؛ أي: عقوباتُ أمثالهم من المكذِّبين، فما لهم لم يعتبِروا بها، فلا يستهزئوا؟

قوله: (ونحوه:

لـهـم عـن الـرُّشـد أغـلال وأقـيـادُ)[١]

أوّله:

كـيـف الـرَّشـادُ وقـد[٢] خُـلِّـفـتَ[٣] فـي نفرٍ

أي: هم ممنوعون عن الرُّشد.

قوله: (أو هو مِن جملة الوعيد) أي: تُجعل الأغلال في أعناقهم حين يكونون في النار.

قوله: (فلا يستهزئوا) جواب النفي؛ لأنّ الاعتبار سبب[٤] عدم الاستهزاء، كما إذا قلت: "ما تأتينا فتحدِّثنا"، يكون الإتيان سبب الحديث. وفي بعض النُّسخ:

---

[١] البيت للأفوه الأودي في شعراء مذحج للأحمدي، ص ٣٧٢، وتمام تخريجه ثمّة، ورواية العجز فيه:
كيف الرَّشاد إذا ما كنتَ في نفرٍ
ولم أقِف على روايته التي أوردها الجاربردي ههنا فيما بين يديَّ من المظانّ.

[٢] ر + الرشاد وقد.

[٣] كأنّها في د: خُلِّفت.

[٤] ر + لأن الاعتبار سبب.

والمَثُلةُ: العُقوبةُ -بوزن السَّمُرَة- والمَثْلةُ؛ لِمَا بين العقاب والمعاقَبِ عليه من المماثلة: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى ٤٢/٤٠]، ويقال: أمثَلْتُ الرجلَ من صاحبه وأقصَصْتُه منه، والمثالُ: القِصاصُ.

وقرئ: "المُثُلات" بضمتين لإتْباع الفاء العينَ، و: "المَثْلات" بفتح الميم وسكون الثاء؛ كما يقال: السَّمْرةُ والسَّمْرات، و: "المُثْلات" بضم الميم وسكون الثاء تخفيفُ "المُثُلات" بضمتين، و: "المُثَلات" جمع مُثْلةٍ؛ كرُكْبة ورُكَباتٍ.

﴿لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾؛ أي: مع ظلمهم أنفسَهم بالذنوب، ومحلُّه الحالُ بمعنى: ظالمين لأنفسهم، وفيه أوجهٌ: أن يريد السيئاتِ المكفِّرةَ لمجتنِبِ الكبائرِ، أو الكبائرَ بشرط التوبة، أو يُريد بالمغفرة السترَ والإمهالَ.

وروي: أنها لمّا نزلتْ قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «لولا عَفوُ الله وتجاوزُه ما هَنَأ أحَدًا العَيشُ، ولولا وعيدُه وعقابُه لاتَّكَلَ كلُّ أحدٍ».

"لم يعتبروا ليستهزئوا"؛ وذلك لأنّ عدم الاعتبار سبب الاستهزاء، كأنّه قيل: لِمَ تركوا الاعتبار؟ ليكون تركُ الاعتبار سببَ الاستهزاء،[١] فكأنّهم تركوا الاعتبار ليستهزئوا.

قوله: (والمَثُلة) مثَّل به تمثيلًا: نكَّل به، والاسم المُثْلة والمَثُلة بفتح الميم وضمّ الثاء: العقوبة، والجمع المَثُلات.

قوله: (لِما بين العقاب والمعاقَب عليه) أي: العقاب والجناية بينهما وِفاق وتماثل، فلذلك سُمّي جزاءُ العقوبة مُثْلة ومَثُلة، ثمّ بيّنه بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى ٤٢/٤٠]. قال الواحدي في الوسيط: يقال للعقوبة مَثُلة ومُثْلة. وقوله: "والمعاقَب عليه" أي: الجناية.

قوله: (بشرط التوبة)[٢] لا يُوافق[٣] معنى الآية؛ لأنّ الحال قيدٌ للفعل، فتكون المغفرة[٤] في حال الظلم لا بعده.

---

[١] ر + وكأنّه قيل لم تركوا الاعتبار ليكون ترك الاعتبار سبب الاستهزاء.

[٢] ن - مَثُلة ومُثْلة وقوله: (والمعاقَب عليه) أي: الجناية قوله: (بشرط التوبة).

[٣] ن: يوا.

[٤] ن ر: للمغفرة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ لم يعتدُّوا بالآيات المنزَلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادًا فاقترحوا نحوَ آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلابِ العصا حيَّةً وإحْياءِ الموتَى، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنتَ رجلٌ أُرسِلتَ منذِرًا مُخوِّفًا لهم من سوء العاقبة، وناصحًا كغيرك من الرسل، وما عليك إلّا الإتيانُ بما يصحُّ به أنك رسولٌ منذِرٌ، وصحةُ ذلك حاصلةٌ بأيَّة آيةٍ كانت، والآياتُ كلُّها سواءٌ في حصول صحَّة الدعوى بها لا تفاوُتَ بينها، والذي عنده كلُّ شيء بمقدارٍ يُعطي كلَّ نبيٍّ آيةً على حسَب ما اقتضاه علمُه بالمصالح وتقديرُه لها.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من الأنبياء يهديهم إلى الدِّين ويَدعوهم إلى الله بوجهٍ من الهداية وبآيةٍ خُصَّ بها، ولم يُجعلِ الأنبياء شَرَعًا واحدًا في آياتٍ مخصوصة.

ووجهٌ آخر: وهو أن يكون المعنى: أنهم يجحدون كونَ ما أُنزل عليك آياتٍ ويُعاندون، فلا يهمَّنَّك ذلك إنما أنت منذرٌ، فما عليك إلَّا أن تُنذر لا أن تُثبِتَ الإيمانَ في صدورهم ولستَ بقادرٍ عليه، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قادرٌ على هدايتهم

قوله: (شَرَعًا) قولهم: "في الناس شَرَع سواء"، يُحرَّك ويُسكَّن، يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمؤنَّث.

قوله: (فما عليك إلّا أن تُنذر، لا أن تُثبِت)[١] مثل قولك: "ما جاء إلّا زيد لا عمرو"، وقد ذكروا أنّ مثل هذا التركيب غير صحيح؛ لأنّ[٢] شرط العطف بـ"لا" أنّ لا يكون المذكور بعدها منفيًا قبل ذلك، فتدبَّر.

قوله: (ولستَ بقادر) جملة معترضة، أو حاليّة لبيان قوله: "لا أن تُثبِت"، يعني أنّ الإثبات لمّا لم يكن مقدورًا له عليه السلام[٣] لا يكون مكلَّفًا به للزوم تكليف ما لا يُطاق.

---

١ ن ر – قوله: (فما عليك إلّا أن تُنذر لا أن تُثبِت). ٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٢ ن: لا.

بالإلجاء وهو اللهُ تعالى، ولقد دلَّ بما أردفه من ذكر آياتِ علمه وتقديره الأشياءَ على قضايا حكمته أنَّ إعطاءه كلَّ منذرٍ آياتٍ خلافَ آياتِ غيره أمرٌ مدبَّرٌ بالعلم النافذ مقدَّرٌ بالحكمة الرَّبانيَّة، ولو عَلِم في إجابتهم إلى مقترَحِهم خيرًا ومصلحةً لأجابَهم إليه.

وأما على الوجه الثاني فقد دلَّ به على أنَّ مَن هذه قدرتُه وهذا علمُه هو القادرُ وحده على هدايتهم، العالمُ بأيِّ طريقٍ يهديهم ولا سبيلَ إلى ذلك لغيره.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ يَحتمِل أن يكون كلامًا مستأنفًا، وأن يكون المعنى: "هو الله" تفسيرًا لـ﴿هَادٍ﴾ على الوجه الأخير، ثم ابتُدئ فقيل: ﴿يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾.

و﴿مَا﴾ في ﴿مَا تَحۡمِلُ﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، ﴿وَمَا تَزۡدَادُ﴾ إما موصولةٌ وإما مصدريَّة:

فإن كانت موصولةً فالمعنى: إنه يَعلم ما تحملُه من الولد على أيِّ حالٍ هو: من ذكورةٍ وأنوثةٍ، وتمامٍ وخِداجٍ، وحُسنٍ وقُبحٍ، وطُولٍ وقِصَر، وغيرِ ذلك

قوله: (ولقد دلّ بما أردفه) هو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿بِمِقۡدَارٍ﴾.

قوله:[1] (لأجابهم[2] إليه) هذا على الوجه الأوّل.

قوله: (تمامٍ وخِداج)، يعني: بحسب المدّة مِن التمام والنقصان. يقال: «خَدَجت الناقة تخدِج خِداجًا فهي خادج والولد خديج، إذا ألقته قبل تمام الأيّام، وإن كان تمام[3] الخَلْق. وفي الحديث: 'كلّ صلاة لا يُقرأ فيها بأمّ الكتاب فهي خِداج'، أي: نقصان. وأخدجَت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخَلْق، وإن كانت[4] أيّامه تامّة فهي مُخدِج والولد مُخدَج».[5]

---

[1] ن ر - ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿بِمِقۡدَارٍ﴾ قوله.

[2] ن: لا جاء بهم.

[3] كذا وقعت في د ن ر، والظاهر أنّ "كان" تامّة، بمعنى: وإن وقع تمام الخلق. وفي مطبوع الصحاح: تامّ.

[4] ن ر: كان.

[5] الصحاح للجوهري، «خدج».

من الأحوال الحاضرة والمترقَّبة، ويعلم ما تَغيضُه الأرحام؛ أي: تَنقصُه، يقال: غاض الماءُ وغِضْتُه أنا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود ٤٤/١١] وما تزداده؛ أي: تأخذه زائدًا، تقول: "أخذتُ منه حقِّي وازدَدْتُ منه كذا"، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف ٢٥/١٨]، ويقال: "زِدْتُه فزادَ بنفسه وازدادَ".

وما تَنقصُه الرَّحِمُ وتزداده: عددُ الولد، فإنها تشتمِلُ على واحدٍ، وقد تشتمِلُ على اثنين وثلاثةٍ وأربعةٍ، ويُروَى أن شَرِيكًا كان رابعَ أربعةٍ في بطن أمِّه، ومنه جَسدُ الولد فإنه يكون تامًّا ومُخدَجًا، ومنه مدَّةُ ولادته فإنها تكون أقلَّ من تسعةِ أشهرٍ وأزيدَ عليها، إلى سنتين عند أبي حنيفة رحمه الله، وإلى أربعٍ عند الشافعيّ رحمه الله، وإلى خمسٍ عند مالك رحمه الله، وقيل: إن الضحاك وُلد لسنتين، وهرِمَ بنَ حيَّان بقي في بطن أمِّه أربعَ سنين؛ ولذلك سمِّي هَرِمًا، ومنه الدَّمُ فإنَّه يقلُّ ويكثر.

وإن كانت مصدريةً فالمعنى: أنه يعلم حَمْلَ كلِّ أنثى، ويعلم غَيضَ الأرحام وازديادَها، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك ومن أوقاته وأحواله.

ويجوز أن يراد غُيوضُ ما في الأرحام وزيادتُه، فأُسند الفعل إلى الأرحام وهو لِمَا فيها على أن الفعلين غيرُ متعدِّيَين، ويعضده قولُ الحسن: الغَيْضوضةُ: أن تضعَ لثمانيةِ أشهرٍ أو أقلَّ من ذلك، والازديادُ: أن تزيد على تسعة أشهر.

قوله: (يقال: غاض الماء)، يعني أنّ غاض جاء لازمًا ومتعديًا، وهذا مِن المتعدِّي، وأنّ "يزداد" جاء متعديًا بمعنى "زاد" ولازمًا، و"زاد" أيضًا كذلك.

[٣٥ظ] قوله: (شَريكًا) هو شَريك [بن][1] عبد الله، وكان مِن الفقهاء، / وكان في زمِن أبي يوسف.

قوله: (ويعلم غَيضَ الأرحام وازديادها) فالفعلان يكونان متعدّيين.

قوله:[2] (غيرُ متعدّيين) وعلى الأوّل كانا متعدّيين.

---

[1] د ن ر – ابن.

[2] ن ر – (ويعلم غَيضَ الأرحام وازديادها) فالفعلان يكونان متعدّيين. قوله.

وعنه: الغَيضُ الذي يكون سِقطًا لغير تمامٍ، والازدياد ما وُلد لتمامٍ.

﴿بِمِقْدَارٍ﴾: بقَدْرٍ وحدٍّ لا يُجاوزُه ولا يَنقُصُ عنه؛ كقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر ٥٤/٤٩].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العظيمُ الشأنِ الذي كلُّ شيءٍ دونه.

﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: المستعلي على كلِّ شيء بقدرته، أو: الذي كبُر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾

﴿ساربٌ﴾: ذاهبٌ في سَرْبِه -بالفتح-؛ أي: في طريقه ووجهه، يقال: سرَبَ في الأرض سرُوبًا، والمعنى: سواءٌ عنده مَن استَخْفَى -أي: طلَبَ الخفاءَ- في مختبأٍ بالليل في ظلمته، ومَن يضطرِب في الطرقات ظاهرًا بالنهار يُبصره كلُّ أحدٍ.

فإن قلتَ: كان حقُّ العبارة أن يقال: ومَن هو مستَخْفٍ بالليل ومَن هو ساربٌ بالنهار، حتى يتناولَ معنى الاستواءِ المستخفيَ والساربَ، وإلّا فقد تناولَ واحدًا هو مستخفٍ وساربٌ.

قوله: (ومَن يضطرب في الطرقات) أي: يسير فيها، مَن ضرب في الأرض إذا ذهب فيها.

قوله: (وإلّا فقد تناول) هي "إن" الشرطية أُدغمت نونه في اللام وحذف فعل الشرط، تقديره: وإلّا يُذكر مرّتين فقد تناول مَن شخصًا واحدًا[1] لا اثنين؛ لأنّ الموصول مع صلته ككلمة واحدة، كما إذا قلتَ: "رأيتُ الذي قام وذهب"، فإنّه يكون المراد به شخصًا، وإذا كان "مَن" متناولًا لشخصٍ واحدٍ لا يصحّ ذِكر الاستواء معه؛ لأنّه يستدعي شيئين[2] فصاعدًا، والأظهر في تقرير السؤال أن يقال:

---

[1] ن ر: ولدًا.

[2] ر: سببين.

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله: ﴿وَسَارِبٌ﴾ عطفٌ على ﴿مَن هومُسْتَخْفٍ﴾ لا على ﴿مُسْتَخْفٍ﴾.

والثاني: أنه عطفٌ على ﴿مُسْتَخْفٍ﴾ إلّا أنَّ ﴿مَن﴾ في معنى الاثنين؛ كقوله:

نَكُنْ مثلَ مَن يا ذئبُ يَصطَحِبان

كأنّه قيل: سواءٌ منكم اثنان: مستَخْفٍ بالليل وساربٌ بالنهار.

إنّ قوله تعالى: ﴿مُسْتَخْفٍ﴾ و﴿سَارِبٌ﴾ مثل قولك: "جاء الذي هو عالم وعابد"، في عطف المفرد على المفرد، فتكون الصلة جملة واحدة، إذ لا يصلح ﴿سَارِبٌ﴾ لكونه صلة، فلا[1] يختلفان، وأمّا[2] التقرير الأوّل للسؤال فليس بسديد، فتأمّل. وقوله: (﴿وَسَارِبٌ﴾) لدخول ﴿سَارِبٌ﴾ في صلة ﴿مَنْ﴾. قوله: (**عطف على ﴿مَنْ هُوَمُسْتَخْفٍ﴾**)، يعني: هو عطف على الموصول، لا على جزء صلته، فالاستواء بين ﴿مَنْ هُوَمُسْتَخْفٍ﴾ وبين السارب.

قوله: (**إلّا أنّ ﴿مَنْ﴾ في معنى الاثنين**) اعلم أنّ مَن تُوقَع على الواحد والاثنين والجمع والمذكّر والمؤنّث. قال الفرزدق:

تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونني (نكن)،[3] البيت[4]

قيل: كان الفرزدق في بادية فحضر عنده ذئب فرمى إليه الخبز وقال هذا البيت، أي: كُل العَشاء فإن عَهِدْتَ معي يا ذئب ألّا تخونني بأكل[5] ناقتي وغير ذلك نكنْ مثل المُصاحِبَين. وفَصَل الفرزدق في هذا البيت بين الموصول وصلته بالنداء، وذلك لضرورة الشعر. وقوله: (**كأنّه قيل: سواء منكم اثنان: مُستخفٍ**) تحقيقه أن نقول: كأنّه قيل سواء منكم اثنان هما مستخفٍ بالليل وساربٌ؛ لكن لمّا وضع ﴿مَنْ﴾ موضع[6] "اثنان" وضع ﴿هُوَ﴾ موضع "هما" نظرًا إلى لفظ ﴿مَنْ﴾ فإنّه مفرد.

---

[1] ن ر: ولا.

[2] ن: أما.

[3] ن ر - (نكن).

[4] البيت في ديوان الفرزدق، ٨٧٠/٢؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٤١٦/٢؛ والمفصّل للزمخشري، ص ١٨٧؛ وأمالي ابن الشجري، ٤١/٢.

[5] ر: وتأكل.

[6] ن ر: وضع.

والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ مردودٌ على ﴿مَن﴾؛ كأنَّه قيل: لِمَن أسرَّ ومَن جَهَر، ومَن استخفَى ومَن سرَبَ.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾

﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: جماعاتٌ من الملائكة تعتقِبُ في حفظه وكِلاءَتِه.

والأصلُ: "مُعْتَقِباتٌ" فأُدغمت التاءُ في القاف؛ كقوله ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة ٩/٩٠] بمعنى: المعتذرون، ويجوز: "مُعِقِّبات" بكسر العين ولم يُقرأ به.

أو هو مُفَعِّلات من عقَّبه: إذا جاء على عَقِبه؛ ....

قوله: (كأنّه قيل: لمَن أسرّ)، يعني: باعتبار كلّ واحدٍ واحدٍ،[١] فعلى هذا يكون[٢] عائدًا إلى هذه المذكورات بالتأويل الذي ذكرنا. ويمكن أن يكون مراده أنّه عائد إلى "مَن" التي تدلّ عليها هذه المذكورات بالمعنى الأعمّ مِن هذه المذكورات،[٣] بحيث يشمل[٤] جميعها، فتكون عائدًا إلى المتقدِّم معنًى، فتأمّل.

قوله: (وكِلاءته) كلأه الله كِلاءة[٥] بالكسر، أي: حفظه وحرسه. واذهب في كِلاءة الله، أي: في حفظه. واكتلأت منه: احترست. قال الشاعر:

أنـخـتُ بـعـيـري واكـتـلأتُ بعينه[٦]

قوله: (أو هو مُفعِّلات) "هو" عائد إلى ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾، أي: معقِّبات مفعِّلات[٧] لا مفتعِلات، فهو عطف على (والأصل "مُعتقِبات").[٨] وفي بعض النُّسخ: "أو مفعِّلات" بدون "هو" عطفًا على "معقِّبات". وليس بشيء.[٩]

---

[١] ن - واحد.
[٢] ن ر + مراده أنه.
[٣] ن ر - بالمعنى الأعمّ مِن هذه المذكورات.
[٤] ن: يشتمل.
[٥] ر: كلاتا.
[٦] صدر بيت لكعب بن زهير، تمامه:
وآمـرتُ نفسي أيّ أمـريّ أفعلُ
وهو في ديوانه، ص ٩٢؛ وله في مقاييس اللغة لابن فارس، «كلأ».
[٧] ن ر - "هو" عائد إلى ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾، أي: معقِّبات مفعِّلات.
[٨] د ن ر: معقِّبات.
[٩] جاء وجه اللوح ٣٦ من د فارغًا، وكتب على ظهره لَحَق طويل سقط من اللوح الذي يليه، سيأتي في موضعه قريبًا.

كما يقال: قفَّاه؛ لأن بعضَهم يُعقِّبُ بعضًا؛ أو لأنهم يُعَقِّبون ما يُتكلَّم به فيكتبونه.

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ هما صفتان جميعًا، وليس ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ بصلةٍ للحفظ؛ كأنه قيل: له معقِّبات من أمر الله.

أو: يحفظونه من أجلِ أمر الله؛ أي: من أجل أن الله أمَرَهم بحفظه، والدليلُ عليه: قراءةُ عليٍّ رضي الله عنه وابنِ عباس وزيدِ بن عليٍّ وجعفرِ بن محمد وعكرمةَ رضي الله عنهم: "يَحفظونه بأمر الله".

أو: يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أَذنَبَ، بدعائهم له، ومَسْألتِهِم رَبَّهم أن يُمهِله رجاءَ أن يتوب ويُنيبَ؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء ٢١/٤٢].

وقيل: المعقِّبات: الحَرس والجَلاوِزَةُ حولَ السلطان ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ في توهُّمه وتقديره ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من قضاياه ونوازله، أو على التهكُّم به.

وقرئ: "له معاقيبُ": جمع معقِّبٍ أو مُعقِّبةٍ، والياء عوضٌ من حذف إحدى القافين في التكسير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من العافية والنِّعمة ....

[٣٧و] / قوله: (صفتان جميعًا)، يعني أنّ كلًّا منهما صفة على حِدة، لا[١] أنّ[٢] المجموع صفة واحدة.

قوله: (أو يحفظونه مِن أجل) فعلى هذا "الأمر" واحد الأوامر.

قوله: (أو يحفظونه مِن بأس الله) فتكون صلته قوله: "مِن بأس"، فعلى هذا "الأمر" واحد الأمور.

قوله: (الحَرَس) جمع "حارس"، كالخدم.

قوله: (والجَلاوزة) الجِلواز:[٣] الشُّرطيّ، والجمع الجَلاوزة: وهم[٤] الأعوان.[٥]

---

١ ن ر: لأنّ.
٢ ن ر – أنّ.
٣ ن ر: الجلوان.
٤ د: وهو.
٥ انظر: المغرب للمُطرِزي، «جلز».

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحال الجميلة بكثرة المعاصي.

﴿مِن وَالٍ﴾: ممَّن يلي أمرَهم ويدفع عنهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۝١٢﴾

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لا يصحُّ أن يكونا مفعولًا لهما -لأنهما ليسا بفعلِ فاعلِ الفعلِ المعلَّل- إلَّا على تقدير حذف المضاف؛ أي: إرادةَ خوفٍ وطمعٍ، أو على معنى: إخافةً وإطماعًا.

ويجوز أن يكونا منتصِبَينِ على الحال من ﴿ٱلْبَرْقَ﴾ كأنَّه في نفسه خوفٌ وطمعٌ، أو على: ذا خوفٍ وذا طمعٍ، أو من المخاطَبين؛ أي: خائفين وطامعين.

ومعنى الخوف والطمع: أن وقوع الصواعق يُخاف عند لَمْع البرق ويُطمِعُ في الغيث، قال أبو الطيِّب:

فَتًى كالسحاب الجَوْن يُخشَى ويُرتجَى يُرجَّى الحيا منها وتُخشَى الصواعقُ

قوله: (مفعولًا لهما) ليس في[1] "مفعولًا" ضمير؛ لأنّه عُدّي باللام، فلذا ثُنّي[2] الضمير المجرور.

قوله: (ويطمع في الغيث) اعلم أنّه لا يجوز عطف "يُطمع" على (يُخاف) ولا غيره ممّا تقدَّمه مِن حيث الظاهر؛ بل هو عطف على ما تقدَّم مِن حيث المعنى، كأنّه قيل: إنّه يُخاف الصواعق ويُطمع في الغيث عند لَمْع البرق، ثمّ إنّه ليس في "يُطمع" ضمير؛ بل هو مستند إلى الظرف.

قوله: (فتى كالسحاب) البيت،[3] الجُون بالضمّ جمع الجَون بالفتح: وهو الأسود.[4] ونظيره[5] في الصفات "لَدْن ولُدْن"، وفي الأسماء "سَقْف وسُقْف" و"رَهْن ورُهْن". والحيا: المطر.

---

[1] ن - في.

[2] ن ر: اثني.

[3] البيت لأبي الطيِّب المتنبي في ديوانه، ص ٦٩.

[4] وهي رواية ابن جنّي للبيت، ورواه الواحدي بفتح الجيم. انظر: الفسر لابن جنّي، ٥٤٨/٢؛ وشرح الواحدي لديوان المتنبي، ٤١٥/١؛ وذكر الطيبيُّ الروايتين عنهما في فتوح الغيب، ٤٧٨/٨.

[5] ن: نظيره.

وقيل: يَخاف المطرَ مَن له فيه ضررٌ كالمسافر، ومَن في جَرِينه التَّمرُ والزبيبُ، ومَن له بيتٌ يكُفُّ، ومن البلاد ما لا يَنتفِعُ أهلُه بالمطر كأهل مصرَ، ويَطمعُ فيه مَن له فيه نفعٌ ويَحيا به.

﴿ٱلسَّحَابَ﴾: اسم جنس، والواحدة: سحابةٌ.

و﴿ٱلثِّقَالَ﴾: جمع ثقيلةٍ؛ لأنك تقول: "سحابةٌ ثقيلةٌ وسحابٌ ثقالٌ"؛ كما تقول: "امرأةٌ كريمةٌ ونساءٌ كِرام"، وهي الثِّقَالُ بالماء.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾: ويسبّح سامعُ الرعد من العبَاد الرَّاجين للمطر حامدِين له؛ أي: يَضِجُّون بـ"سبحان الله والحمد لله"، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «سبحان مَن يسبح الرَّعدُ بحمده».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: "سبحان مَن سبَّحتَ له".

وإذا اشتدَّ الرعدُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللّٰهمَّ لا تقتُلْنا بغضبك، ولا تُهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك».

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن اليهودَ سألت النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو؟ فقال: «ملكٌ من الملائكة موكَّلٌ بالسحاب ....

قوله: (في جَرِينه) الجَرين: الموضع الذي يُجفَّف فيه التمر.

قوله:[١] (يكِفُ) أي: يقطر. «وَكَف وَكْفًا ووكيفًا وتوكيفًا، أي: قطر. و"أَوْكَف البيت" لغةٌ فيه».[٢]

قوله: (سبحان مَن سبَّحتَ)[٣] يخاطب الرعد.

---

[١] ن ر - (في جَرِينه) الجَرين: الموضع الذي يُجفَّف فيه التمر. قوله.

[٢] الصحاح للجوهري، «وكف». وفي مطبوعه «توكافًا» مكان «توكيفًا».

[٣] جامع البيان للطبري، ٤٧٧/١٣ (الرعد، ١٣/١٣).

معه مخاريقُ من نارٍ يسوقُ بها السحابَ».

وعن الحسن: خَلْقٌ من خَلْقِ الله ليس بملَكٍ.

ومن بِدَع المتصوِّفة: الرعدُ صَعَقاتُ الملائكة، والبرقُ زفراتُ أفئدتهم، والمطرُ بكاؤهم.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: ويسبّح الملائكةُ من هَيبته وإجْلاله.

ذَكَرَ علمَه النافِذَ في كلِّ شيء، واستواءَ الظاهر والخفيِّ عنده، وما دلَّ على قُدرته الباهرة ووحدانيَّته، ثم قال: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الذين كفروا وكذَّبوا رسولَ الله وأنكروا آياته ﴿يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ حيث يُنكرون على رسوله ما يصفُه به من القدرة على البعث وإعادةِ الخلائق بقولهم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس ٧٨/٣٦]، ويردُّون الوحدانيَّة باتِّخاذ الشركاءِ والأندادِ، ويجعلونه بعضَ الأجسام المتوالِدة بقولهم: "الملائكةُ بناتُ الله"، فهذا جدالُهم بالباطل كقوله: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر ٥/٤٠].

قوله: (مخاريق مِن نار)[١] قال في الصحاح: «المِخراق: المنديل يُلفُّ ليُضرَب به. وهو عربيّ صحيح. قال عمرو بن كلثوم:

كأنّ سيوفنا منّا ومنهم ... مخاريقٌ بأيدي لاعبينا[٢]

وفي حديث عليّ رضي الله عنه:[٣] 'البرق مخاريق الملائكة'».[٤]

قوله: (وعن الحسن)[٥] أشار الحسن رحمة الله عليه بهذا الكلام إلى أنّ حقيقته لا يعلمها[٦] إلّا الله تعالى.

قوله: (ذَكَر عِلمه)، يعني: مِن قوله تعالى:[٧] ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ﴾ إلى هنا.

---

١ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢٨٤/٤ (٢٤٨٣)؛ وسنن الترمذي، ١٤٥/٥ (٣١١٧).

٢ البيت من معلَّقة عمرو بن كلثوم في شرح المعلَّقات السبع لابن الأنباري، ص ٣٩٧.

٣ ن ر + وكرم وجهه.

٤ الصحاح للجوهري، «خرق». والحديث في السنن الكبرى للبيهقي، ١٢٥/٧ (٦٥٥٣).

٥ قول الحسن بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٣٥٩/١ (البقرة، ٢٠/٢).

٦ د: يعلم؛ ر: يعلمه.

٧ ن ر – تعالى.

وقيل: الواو للحال؛ أي: فيصيبُ بها مَن يشاء في حالِ جدالهم، وذلك: أن أربَدَ أخا لَبِيد بن ربيعةَ العامريَّ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم -حين وفدَ عليه مع عامر بن الطُّفَيل قاصدَيْن لِقتله، فَرَمَى اللهُ عامرًا بغُدَّةٍ كغُدةِ البعير وموتٍ في بيت سَلُولِيَّةَ، وأَرْسل على أربَدَ صاعقةً فقتلَتْه-: "أَخْبِرْني عن ربّنا أَمِن نحاسٍ هو أم من حديدٍ".

﴿ٱلْمِحَالِ﴾: المُماحَلةُ، وهي شدَّةُ المماكرة والمكايَدة، ومنه: تمحَّلَ لكذا: إذا تكلَّفَ له استعمالَ الحيلة واجتَهَدَ فيه، ومحَلَ بفلانٍ: إذا كادَه وسعَى به إلى السلطان، ومنه الحديثُ: «ولا تجعله علينا ماحلًا مُصدَّقًا». وقال الأعشى:

قوله: (وقيل: الواو للحال) أي: في ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ﴾ وعلى[1] الوجه الأوّل كان للعطف، فقول المصنِّف: "وقيل" عطف مِن حيث المعنى على جملة قوله: "ذَكَر عِلمه"... إلخ، والحال عن المفعول وهو قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

قوله: (كغدّة البعير) غدّة البعير: شِبه طاعون في عنقها.[2]

قوله: (سلوليّة)[3] هي منافقة مِن المنافقات.

قوله: (ومنه الحديث: ولا تجعله) «اجعله لنا شافعًا مشفَّعًا، ولا تجعله علينا»،[4] الضمير للقرآن.

قوله: (وقال الأعشى: فرعُ نبعٍ) البيت،[5] «فرعُ كلّ شيء أعلاه، يقال: "هو فرع قومه" للشريف منهم. والفرع أيضًا القوس الذي عُملت مِن طرف القضيب. يقال: قوس فرعٌ، أي: غير مشقوق».[6] وههنا بمعنى الثاني إلّا أنّه مجاز عن الكريم. و"النَّبع": شجر يتخّذ منه القِسيّ. و"الهشاشة": الارتياح والخفّة للمعروف. والهشُّ مِن كلّ شيء: ما فيه رخاوة. وهشّ إليه هشًّا، أي: ضحك إليه.

---

[1] ن: على.

[2] ن: وهما.

[3] ن ر: سليولية؛ د - هي منافقة من المنافقات... هما خبران.

[4] الحديث بمعناه في المصنَّف لابن أبي شيبة، ١٣٠/٦ (٣٠٠٥٢)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ١٣٢/٩ (٨٦٥٥).

[5] في ديوان الأعشى، ص ٧.

[6] الصحاح للجوهري، «فرع».

فَـرْعُ نَبْعٍ يَـهَـشُّ فِي غُـصْـنِ الـمَجْـ ـدِ غـزيـرُ الـنَّـدى شـديـدُ الـمِـحـالِ

والمعنى: أنه شديدُ المكر والكيد لأعدائه، يأتيهم بالهلَكَةِ من حيث لا يحتسِبون.

وقرأ الأعرجُ بفتح الميم على أنه مَفعلٌ من حالَ يَحُول مَحالًا: إذا احتال، ومنه: أَحْولُ من ذئب؛ أي: أشدُّ حيلةً.

ويجوز أن يكون المعنى: شديدَ الفَقارِ، ويكونُ مثلًا في القوَّة والقُدرة؛ كما جاء: «فساعِدُ الله أشدُّ ومُوساهُ أحَدُّ»؛ لأن الحيوان إذا اشتدَّ مِحَالهُ كان منعوتًا بشدَّة القوَّة والاضْطلاعِ بما يعجز عنه غيرُه، ألا ترى إلى قولهم: "فَقَرَتْه الفَواقِرُ"، وذلك أن الفَقار عمودُ الظهر وقِوامُه.

و(غزير الندى): كثير العطاء. و(شديد المِحال): شديد الكيد. وقيل: شديد العقوبة. والمعنى: هذا الممدوح في الصلابة مثل فرع النبع، له نضارةٌ في غصن المجد، كثيرُ الندى، شديدُ العقوبة على الأعداء.

قوله: (والمعنى) أي: معنى الآية.

قوله: (ومنه «أحولُ مِن ذئب»)[1] مثل.

قوله: (ويكون مثلًا في القوّة) يريد أنّه استعارة. وقوله: "مثلًا" بيان وجه الاستعارة؛ وذلك لأنَّه شبَّه قوّته تعالى شأنه عن صفات المخلوقين بفَقار الحيوان، ثمّ ذكر المَحال، أي: الفَقار، وأريدَ القوّة، فهو مِن الاستعارة المصرَّح بها التحقيقيّة، وقرينتها إضافة الشديد المسند إلى ضميره تعالى إلى الفَقار.

قوله: (ومُوساه) الموسى: ما يُحلَق به، مِن «أوسى رأسه: حَلَقه».[2]

قوله: (والاضطلاع) يقال: فلان مضطلع بهذا الأمر، أي: قويّ عليه، مِن الضلاعة وهي القوّة.

قوله: (الفَواقر) جمع فاقرة: وهي الداهية، ومعنى فقرته الفواقر: كسرت فقار ظهره، كما يقال: رَأَسه وبَطَنه، أي: ضرب رأسه وبطنه.

---

[1] مجمع الأمثال للميداني، ١/٢٢٨.
[2] الصحاح للجوهري، «وسى».

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن تُضاف الدعوةُ إلى الحقِّ الذي هو نقيضُ الباطل؛ كما تُضافُ الكلمةُ إليه في قولك: "كلمةُ الحق" للدلالة على أن الدعوة مُلابِسةٌ للحقِّ مختصَّةٌ به، وأنها بمعزلٍ من الباطل، والمعنى: أنّ الله سبحانه يُدْعَى فيَستجيب الدعوةَ ويُعطِي الدَّاعيَ سُؤْلَه إن كان مصلحةً له، فكانت دعوةً ملابِسةً للحق لكونه حقيقًا بأن يُوَجَّه إليه الدعاءُ؛ لِمَا في دعوته من الجَدْوَى والنفعِ بخلافِ ما لا ينفع ولا يُجدِي دعاؤُهُ.

والثاني: أن تُضاف إلى الحقِّ الذي هو اللهُ عزَّ وجلَّ، على معنى: دعوةُ المدعوِّ الحق الذي يسمع فيجيب.

وعن الحسن وجمع: الحقُّ هو الله، وكلُّ دعاءٍ إليه دعوةُ الحق.

قوله: (والمعنى أنّ الله سبحانه)... إلخ، وحاصل المعنى أنّ الدعاء الحقّ هو الذي يتوجّه إليه، فإنّ الدعاء المتوجِّه إلى غيره يكون باطلًا ضائعًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾. وقوله: (فكانت) أي: فكانت دعوة الله.

قوله: (لكونه حقيقًا) أي: لكون الله تعالى حقيقًا.

قوله: (بخلاف ما لا ينفع) وهي الأصنام، فإنّ دعاءه يكون ملابسة للباطل لا للحق.

قوله: (والثاني: أن تضاف) المعنى الثاني هو أنّ الله تعالى هو الحقّ الذي يسمع ويجيب، فإذا دعوته دعوت المدعوّ الذي يسمع ويجيب، ودعاءُ غيره تعالى دعاء من لا يسمع ولا يجيب، فدعاء الشيء المجيب لله تعالى، أي: مختصّ به.

فإن قلتَ: ما وجه اتِّصال هذين الوصفين بما قبله؟

قلتُ: أمَّا على قصَّة أَرْبَدَ فظاهرٌ؛ لأن إصابتَه بالصاعقة مِحالٌ من الله ومكرٌ به من حيث لم يَشْعُرْ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله: «اللّٰهمَّ اكفنيهما بما شئتَ» فأجيبَ فيهما، وكانت الدعوةُ دعوةَ حقٍّ، وأما على الأول فوعيدٌ للكفرة على مجادَلتهم رسولَ الله بحُلول مِحَاله بهم وإجابةُ دعوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن دعا عليهم فيهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: والآلهةُ الذين يدعوهم الكفارُ ﴿مِن﴾ دون الله ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ من طَلَبَاتهم ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾: إلّا استجابةً كاستجابةِ باسطِ كفَّيه؛ أي: كاستجابةِ الماء مَن بَسَط كفَّيْه إليه يَطلب منه أن يبلغَ فاه، والماء جمادٌ لا يَشعُر ببسْط كفَّيْه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيبَ دعاءه ويبلغَ فاهُ،

قوله: (فإن قلتَ: ما وجه اتّصال هذين الوصفين؟) أراد بالوصفين قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾، وقوله: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾، وهما خبران[1] في الحقيقة، وسمّاهما وصفين؛ لأنّهما مِن حيث المعنى وصفان لله تعالى.

قوله: (وإجابة) أي: إجابة دعوة رسول الله عليه السلام[2] فيهم، إن دعا عليهم. فقوله: (إن دعا عليهم) جملة معترضة.

قوله: (﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ﴾) أي: الآلهة. الإجابة والاستجابة بمعنى، يقال: استجاب الله دعاءه. قال الشاعر:

وداعٍ دعا يا مِن يجيب إلى النَّدى فلم يستجبه عند ذاك مُجيبِ[3]

قوله: (إلّا[4] استجابةً[5] كاستجابةِ) أي: لا يستجيبون استجابةً إلّا استجابة، فهو استثناء مفرَّغ منصوب المحلّ على أنّه مفعول مطلق. وقوله: (مَن بَسَط) مفعول "استجابة".

---

[1] ن ر - هي منافقة من المنافقات... خبران.
[2] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[3] البيت لكعب بن سعد الغَنَوي. ومضى تخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/١٨٦.
[4] ن - إلا.
[5] ن: الاستجابة.

وكذلك ما يَدْعونه جمادٌ لا يُحسُّ بدعائهم ولا يستطيعُ إجابتَهم ولا يقدرُ على نفعهم.

وقيل: شُبِّهوا في قلَّة جَدْوَى دعائهم لآلهتهم بمَن أراد أن يَغْرِف الماء بيديه ليشربَه فبسَطَهما ناشرًا أصابعه فلم تَلْقَ كفَّاه منه شيئًا ولم يبلغْ طَلِبتَه من شُربه.

وقرئ: "تدعون" بالتاء، "كباسطٍ كفَّيْه" بالتنوين.

[٣٧ظ] قوله: (وقيل: شُبِّهوا) عطف على قوله: (والآلهة الذين)، / فنقول شبّه في الوجه الأوّل الآلهة المدعوّة بالماء، وكان المراد ببسط الكفّ المدّ للسوال، كالفقير الذي يمُدُّ يده إلى الغنى بالمسألة وينجع بالاستكانة له والمسكنة، والتقدير: والآلهة الذين كما ذكر.

وأمّا في الوجه الثاني فالمراد تشبيه الكفّار الداعين[١] للأصنام بمَن أراد أن يغرف الماء فمدُّ يده إلى الماء ليغرف الماء بيده وقد نشر أصابعه فهو لا يقدِر على غرف الماء، وتقدير الآية على هذا الوجه: الكفّار الذين يدعون الأصنام مِن دون الله لا يستجيبون، أي: لا يستجيب الأصنام لهؤلاء الكفّار الداعين، فالضمير مِن ﴿يَسْتَجِيبُونَ﴾ للمفعول المحذوف وهو الأصنام، ومِن ﴿لَهُم﴾ لـ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾. وقوله: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ﴾ مستثنى مِن معنى ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾، فإنّ قولك: "لايستجيب الأصنام الكفّارَ"[٢] في معنى "لا ينتفع الكفّار بهذا الدعاء"، فكأنّه قيل والله أعلم: لا ينتفع هؤلاء[٣] الكفّار بهذا الدعاء إلّا كانتفاع باسط كفّيه إلى الماء ناشرًا أصابعه ليغرفه،[٤] وقيل: "شُبِّهوا"، والتقدير كما مرّ، إلّا أنّ المراد بباسط الكفَّين هنالك "مَن مدّهما طالبًا مِن الماء أن يبلغ فاه"، وههنا المراد به: "مَن بسطهما ناشرًا أصابعه أراد أن يغرف الماء بيديه". في هذه الحاشية نظر.

قوله: (فلم تلقَ) مِن لاق، أي: أمسك. وقوله: (طَلِبتَه) الطِّلبة بمعنى المطلوب و"مِن" بيان "طَلِبة".

---

[١] ر: الداعيين.
[٢] ن: للكفار.
[٣] ن ر – هؤلاء.
[٤] ن ر: لغرفه.

﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: إلّا في ضَياعٍ لا منفعةَ فيه؛ لأنهم إن دَعَوا اللهَ لم يُجِبهم، وإن دَعَوا الآلهةَ لم تستطِعْ إجابتَهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾؛ أي: ينقادون لإحداثِ ما أراده فيهم من أفعاله شاؤُوا أو أبَوْا، لا يقدرون أن يمتنِعوا عليه ﴿و﴾ تنقادُ له ﴿ظلالُهم﴾ أيضًا حيث تتصرَّف على مشيئته في الامتداد والتقلُّص والفيء والزوال.

وقرئ: "بالغدوِّ والإيصال" من آصلوا: إذا دخَلوا في الأصيل.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ حكايةٌ لاعترافهم وتأكيدٌ له عليهم؛ لأنه إذا قال لهم: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لم يكن لهم بدٌّ من أن يقولوا: "اللهُ"، كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون ٢٣/٨٦-٨٧] وهذا كما يقول المناظِرُ لصاحبه: "أهذا قولُك؟" فإذا قال: "هذا قولي"، قال: "هذا قولُك"

قوله: (والتقلُّص والفيء والزوال) الفيء: ما بعد الزوال مِن الظلّ. والفيء في الأصل: الرجوع. وإنّما سمّي الظلّ فيئًا لرجوعه مِن جانب إلى جانب.[1] والتقلُّص: ارتفاع الظلّ، وهو نسخه. واعلم أنّ الظلّ يمتد في أوّل النهار مِن جانب المغرِب، وهو المراد بقوله: (في الامتداد)، ثمّ ينقص شيئًا فشيئًا حتّى لا يبقى منه شيء، أو إلّا شيء قليل وقتَ الاستواء، وهو المراد بـ"التقلُّص"، ثمّ يظهر منه شيء في جانب المشرق ويزداد شيئًا فشيئًا، وهو الفيء والزوال.

---

[1] انظر: الصحاح للجوهري، «فيأ».

فيحكي إقرارَه تقريرًا له عليه واستيثاقًا منه ثم يقول له: "فيَلزمُك على هذا القولِ كيتَ وكيتَ".

ويجوز أن يكون هذا القولُ تلقينًا؛ أي: إن كَعُّوا عن الجواب فلقِّنْهم فإنهم يتلقَّونَه ولا يقدرون أن يُنكِروه.

﴿أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾: أبَعدَ أن عَلِمْتُموه ربَّ السماوات والأرض اتَّخذتم من دونه أولياء فجعلتُم ما كان يجبُ أن يكون سببَ التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك.

﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾: لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرًّا فكيف يستطيعونه لغيرهم، وقد آثرتُموهم على الخالق الرازق المثيبِ المعاقِبِ فما أبينَ ضلالتَكم!

﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ﴾: ....

قوله: (واستيثاقًا)[١] استوثقت منه.

قوله: (كَعُّوا) «كعّ عن الحرب جبُن عنها. ورجل كُعكُع بالضمّ: جبان ضعيف. وقد كعّ يكِعّ كُعوعًا. وحكى يونس: "يكُعّ" بالضمّ. وقال سيبويه: "يكِع" بالكسر أجودُ،[٢] فهو كِعٌّ وكاعٌّ. قال:

إذا كـان كَـعُّ[٣] الـقـومِ لـلـرحـل لازمَـا[٤]

وقال أبو زيد: "كَعَعتُ وكَعِعتُ" لغتان،[٥] مثل "زَلَلت وزَلِلت"».[٦]

قوله: (مِن علمكم) بيان (ما).

قوله: (سببَ الإشراك)[٧] مفعول ثانٍ لـ"جعلتم".

---

١ ر: واستئنافًا.

٢ انظر: كتاب سيبويه، ٣٠٥/٢.

٣ ن ر – وكاعٌّ قال: إذا كان كَعُّ.

٤ عجز بيت أولُه:

وإنّـي لـكـرّار بسيفي لـدى الوغى

وما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في العين للفراهيدي، ٦٦/١ «كعّ»؛ وتهذيب اللغة للأزهري، ٦٦/١ «كع»؛ وكتاب الأفعال للسرقسطي، ١٦٨/٢.

٥ انظر: النوادر لأبي زيد، ص ٥٦٤.

٦ الصحاح للجوهري، «كعع».

٧ ن ر: الاشتراك.

بل أَجَعلوا، ومعنى الهمزة الإنكارُ، و﴿خَلَقُواْ﴾ صفةٌ لـ﴿شُرَكَآءَ﴾، يعني: أنهم لم يتَّخذوا لله شركاء خالقين قد خلَقوا مثلَ خلق اللهِ ﴿فَتَشَٰبَهَ﴾ عليهم خلقُ الله وخلقُهم حتّى يقولوا: "قدرَ هؤلاء على الخلق كما قدرَ الله عليه فاستحقُّوا العبادة فنتَّخذُهم له شركاءَ ونعبدُهم كما يُعبَدُ إذ لا فرق بين خالقٍ وخالقٍ"؛ ولكنَّهم اتَّخذوا له شركاءَ عاجزين لا يقدرون على ما يَقدِرُ عليه الخلقُ فضلًا أن يَقْدروا على ما يَقدرُ عليه الخالقُ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لا خالقَ غيرُ الله، ولا يستقيمُ أن يكون له شريكٌ في الخلق، فلا يكون له شريك في العبادة.

قوله: (بل أجعلوا) "بل" هنا لترك الأوّل والأخذِ فيما هو أهمّ. والهمزة لإنكار ما ذُكر بعده، وهذا الإنكار بمعنى "لم يكن"، فإنّ الإنكار على وجهين: الأوّل بمعنى "لم يكن"، والثاني بمعنى "لِمَ كان"؛[١] وهذا مِن الأوّل.

قوله: (حتّى يقولوا) يجوز أن يكون غاية لقوله: "خلَقوا فتشابه"، ويجوز أن يكون غاية (يتّخذوا)... إلخ، ويئول حاصل / المعنى إلى نفي[٢] اتّخاذ شركاء موصوفين يلزم مِن اتّخاذهم هذا القول. [٣٨و]

قوله: (فضلًا أن يقدروا) ينبغي أن يكون حرف النفي فيه محذوفًا، والتقدير "على ألا تقدروا"؛ لأنّ المعنى "أنّهم لا يقدِرون على ما قدَر عليه الخالق"، وفضَل[٣] وزاد على هذا[٤] المعنى شيء آخر وهو أنّهم لا يقدرون على ما يقدر عليه الخَلْق. ويجوز ألّا يُقدَّر حرف النفي فيه، فكأنّه قيل: فضلًا عن هذا البحث، وعن هذا الكلام، وهو قدرتهم على ما قدَر عليه الخالق، فإنّه بحث مفروغ عنه معلوم انتفاؤه. واعلم أنّ الصواب هو ما ذكرنا أوّلًا. وقوله تعالى: (﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾) ذكر أوّلًا أنّهم ما خلقوا مثل خَلْقه تعالى، ثمّ ذكر أنّهم لا يقدرون على خَلْق شيء ما مِن الأشياء أصلًا.

---

١ وهما الإنكار الإبطالي والإنكار التوبيخي. انظر تفصيل ذلك في دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٧.

٢ ر: ففي.

٣ ن ر: وفضل.

٤ ر: هذه.

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾: المتوحِّد بالربوبية ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لا يُغالَبُ، وما عداه مربوبٌ ومقهورٌ.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

هذا مثلٌ ضربَهُ الله للحقِّ وأهله والباطلِ وحِزْبِهِ كما ضَربَ الأعمى والبصيرَ والظلماتِ والنورَ مثلًا لهما، فمثَّلَ الحقَّ وأهلَه بالماء الذي يُنزله من السماء فتسيلُ به أوديةُ الناس فيَحْيَوْن به وينفعُهم أنواعَ المنافع، وبالفِلزِّ الذي ينتفِعون به في صَوْغ الحُليِّ منه واتِّخاذِ الأواني والآلاتِ المختلفةِ، ولو لم يكن إلّا الحديدُ الذي فيه البأسُ الشديدُ لكفى به، وأنَّ ذلك ماكثٌ في الأرض باقٍ بقاءً ظاهرًا، يَثْبُتُ الماءُ في مَناقعه، وتبقَى آثارُه في العيون والبِئار والحبوب والثمار التي تَنبُتُ به مما يُدَّخر ويُكنَز، وكذلك الجواهرُ تبقى أزمنةً متطاولةً، وشبَّهَ الباطلَ في سرعة اضْمِحْلاله ووَشْكِ زواله وانسلاخِهِ عن المنفعة بزَبدِ السَّيل الذي يَرمي به وبزَبَد الفلزِّ الذي يَطفُو فوقَه إذا أُذِيبَ.

قوله: (وبالفِلزّ)[١] «الفلزّ[٢] بالكسر وتشديد الزاي:[٣] ما ينفيه الكِير[٤] ممّا يذاب مِن جواهر الأرض». هكذا ذكر[٥] في الصحاح[٦] وفي المجمل.[٧] ومراد[٨] المصنِّف به المعدنيات التي يُتّخذ منها الحُليّ والأواني والآلات.

قوله: (وأنّ ذلك) أي: الماء والفِلزّ.[٩]

قوله: (يثبُت) بيان بقائه.

قوله: (في مناقعه) المَنقَع بالفتح: الموضع الذي يُستنقع فيها الماء.

---

١ ن: وباللس؛ ر: وبالفكر.
٢ ن: العكس؛ ر: الفكر.
٣ ن: زاي.
٤ ن ر: الكبر.
٥ ر: ذكره.
٦ الصحاح للجوهري، «فلز».
٧ انظر: مجمل اللغة لابن فارس، «فلز».
٨ ن: ومراده.
٩ ر: والفكز.

فإن قلتَ: لم نُكِّرت الأوديةُ؟

قلتُ: لأن المطر لا يأتي إلَّا على طريق المناوَبَةِ بين البقاع، فتَسيلُ بعضُ أوديةِ الأرض دون بعضٍ.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾؟

قلتُ: بمقدارها الذي عَلِم اللهُ أنه نافعٌ للممطور عليهم غيرُ ضارٍّ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾؛ لأنّه ضَربَ المطرَ مثلًا للحقِّ فوَجَب أن يكون مطرًا خالصًا للنفع خاليًا من المضرَّة، ولا يكونَ كبعض الأمطارِ والسُّيولِ الجواحِفِ.

فإن قلتَ: فما فائدةُ قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾؟

قلتُ: الفائدةُ فيه كالفائدة في قوله: ....

قوله: (**قلتُ: بمقدارها الذي**) أي: معناه بمقدارها. وقوله: (**ألا يُرى**) إشارة إلى بيان أنّ المراد النافع للممطور،[1] وهذا بيان إنيّة إرادة[2] هذا المعنى. وقوله: (**لأنّه**) متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: "معناه"، فكأنّه قال: عُني أو أريد بمقدارها الذي لأنّه. وقوله: "ألا يُرى" جملة معترضة مؤكِّدة مبيّنة لهذا المعنى أيضًا. والصواب أنّ الأوّل بيان الإنيّة، والثاني بيان اللِّميّة.[3]

قوله: (**لأنّه ضَرَب**)... إلخ، إشارة إلى لِميّة[4] إرادة النافع للممطور.

قوله: (**الجواحِف**) سيل جُحاف بالضمّ إذا جَرَف[5] كلّ شيء وذهب به، وهي التي تجحف الأرض، أي: تقشرها. ومنه سُمّي مِيقات الشام: الجُحفة؛ لأنّ سيلًا جَحَفه.[6]

قوله: (**قلتُ: الفائدة فيه كالفائدة**)، يعني: كما ذَكَر فائدة الماء بقوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ ذَكَر أيضًا فائدة الفِلزّ[7] بقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ ثمّ بيَّن هذا المعنى بقوله:

---

[1] ر: الممطور.
[2] ر: أراد.
[3] ن ر: الكمية.
[4] ن ر: كمية.
[5] ر: حرب.
[6] انظر: المغرب للمطرّزي، «جحف».
[7] ن: الفكر.

﴿بِقَدَرِهَا﴾؛ لأنّه جَمَع الماء والفلزَّ في النفع في قوله: ﴿وَأَمَّامَايَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾؛ لأنّ المعنى: وأمّا ما ينفعُهم من الماء والفلزِّ، فذَكر وجهَ الانتفاع بما يوقَدُ عليه منه ويُذابُ وهو الحِلْيةُ والمتاع.

وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾ عبارةٌ جامعةٌ لأنواع الفلزِّ، مع إظهارِ الكبرياء في ذِكره على وجه التهاوُن به كما هو هِجِّيرَى الملوك، نحو ما جاء في ذكر الآجُرّ: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص ٣٨/٢٨]، و"مِن" لابتداء الغاية؛ أي: ومنه ينشأُ زَبَدٌ مثلُ زَبَد الماء، أو للتبعيض بمعنى: وبعضُه زبدٌ.

﴿رَّابِيًا﴾ منتفِخًا مرتفعًا على وجه السَّيل.

﴿جُفَآءً﴾: يَجْفَؤُه السَّيْلُ؛ أي: يَرمِي به، وجَفَأَتِ القِدرُ بزَبَدِها، وأَجْفأَ السَّيْلُ وأَجْفَلَ، وفي قراءة رُؤبةَ بن العَجَّاج: "جُفالًا"، ....

(لأنّه) أي: لمّا جَمَع فائدتهما في قوله: ﴿وَأَمَّامَايَنفَعُ﴾ آخِرًا[١] عُلم[٢] وتقرَّر أنّه فرَّق ذِكر فائدتهما أوّلًا في قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ و﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾. وقوله: (لأنّه جَمَع) متعلِّق بقوله: "كالفائدة". وقوله: (لأنّ المعنى) متعلِّق بقوله: "جَمَع"، وقوله: (فذَكَر وجه الانتفاع) كالنتيجة لمّا مرّ مِن الكلام، فكأنّه قال: لمّا تقرَّر ما ذكرنا تبيَّن أنّه ذكر وجه الانتفاع بالفِلزّ[٣] الذي يُوقَد عليه. وقوله: (منه) بيان "ما"، أي: ذَكَر وجه الانتفاع بالفلزّ الذي يُوقَد عليه. وقوله:[٤] (وهو الحِلية) الظاهر أنّ قوله: "هو" عائد إلى قوله: "وجه الانتفاع".

قوله: (على وجه التهاون به) وجه التهاون مستفاد مِن قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ [الرعد ١٧/١٣]، كقوله تعالى: ﴿أَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص ٣٨/٢٨] حكايةٌ عن فرعون.

قوله: (﴿رَّابِيًا﴾) هذه[٥] حكاية لفظ القرآن.

---

[١] ن: إلى آخره.
[٢] ن: اعلم.
[٣] ن ر: بالفكز.
[٤] ن ر - (منه) بيان "ما"، أي: ذَكَر وجه الانتفاع بالفلزّ الذي يُوقَد عليه. وقوله.
[٥] ن ر: هذا.

وعن أبي حاتم: لا يُقرأ بقراءة رؤبة؛ لأنه كان يأكل الفأرَ.

وقرئ: ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياء؛ أي: يوقِدُ الناسُ.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ اللامُ متعلِّقةٌ بـ﴿يَضْرِبُ﴾؛ أي: كذلك يَضربُ اللهُ الأمثالَ للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا؛ أي: هما مَثَلا الفريقَيْن.

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ صفةٌ لمصدرِ ﴿ٱسْتَجَابُواْ﴾؛ أي: استجابوا الاستجابةَ الحُسنى.

وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾ كلامٌ مبتدأٌ في ذكرِ ما أُعدَّ لغير المستجِيبين.

وقيل: قد تمَّ الكلام عند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ وما بعده كلامٌ مستأنفٌ، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾، والمعنى: لهم المثوبةُ الحسنى وهي الجنَّة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَوْ﴾ مع ما في حيِّزه.

و﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: المناقشةُ فيه، وعن النَّخعيِّ: أن يُحاسَبَ الرجلُ بذنبه كلِّه لا يُغفرُ منه شيءٌ.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: (يأكل الفأرَ) هذه / إشارة إلى أنّه كان ملازِمًا للبوادي باقيًا على جِبلّة أهلها، لم يُخالط العلماء ولم يأخذ منهم، فلا يُعتدّ بروايته. [٣٨ظ]

قوله: (أي: هما مَثَلا الفريقين) أي: الماء والزبد، وكذا الحديد وزَبَده،

دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ لإنكار أن تقع شُبهةٌ بعدما ضُرب من المثل في أن حالَ مَن عَلِم ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فاستجاب بمعزلٍ من حالِ الجاهل الذي لم يَستبصِرْ فيستجيبَ، كَبُعدِ ما بين الزَّبَد والماء والخَبَث والإبريز.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: الذين عملوا على قضيَّات عقولهم فنظروا واستبصَروا.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأٌ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ خبرُه؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ... أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الرعد ٢٥/١٣].

ويجوز أن يكون صفةً لـ"أولي الألباب"، والأولُ أوجَهُ.

و"عهدُ الله": ما عَقَدوه على أنفسهم من الشهادةِ بربوبيَّته: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: ولا يَنقضون كلَّ ما وثَّقوه على أنفسهم وقَبِلوه من الإيمان بالله وغيرِه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد؛ تعميمٌ بعد تخصيصٍ.

أو تقول: هما عائد إلى هذين الكلامين، أحدُهما ما ذكر فيه الماء والزَّبَد، والثاني ما ذكر فيه الحديد وزَبَده.

قوله: (والخَبَث) خَبَث الحديد وغيره:[١] ما نفاه مِن الكير.

قوله: (والأوّل أوجه) لاتّفاق الموصولات في الإعراب وعدم فكّها، ولعطف المفرد على المفرد، كان الأوّل أوجه.

قوله: (﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧]) الآية استشهاد.

قوله: (تعميم بعد تخصيص) ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ تخصيص، وقوله: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ تعميم.[٢]

---

[١] ر: وغير.

[٢] ن ر – تعميم.

﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقَرابات، ويدخل فيه وصلُ قرابة رسول الله وقرابةِ المؤمنين الثابتةِ بسبب الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات ١٠/٤٩] بالإحسان إليهم على حَسَب الطاقة، ونُصرتِهم والذبِّ عنهم، والشفقةِ عليهم والنصيحةِ لهم، وطرحِ التَّفرِقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاءِ السلام عليهم، وعيادةِ مرضاهم، وشهودِ جنائزهم.

ومنه: مُراعاةُ حقِّ الأصحاب والخَدم والجيران والرُّفقاء في السفر، وكلُّ ما تعلَّق منهم بسببٍ حتى الهرَّة والدجاجة.

وعن الفُضَيل بن عِيَاضٍ: أن جماعةً دخلوا عليه بمكَّةَ فقال: "مِن أين أنتم؟" قالوا: "من أهل خراسان"، قالوا: "اتَّقوا الله وكونوا من حيث شئتُم، واعلموا أن العبدَ لو أحسنَ الإحسانَ كلَّه وكانت له دجاجةٌ فأساء إليها لم يكن من المحسنين".

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: يَخْشَون وعيدَه كلَّه ﴿وَيَخَافُونَ﴾ خصوصًا ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ فيحاسِبون أنفسَهم قبل أن يُحاسَبُوا.

﴿صَبَرُوا۟﴾ مطلقٌ فيما يُصبَرُ عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاقِّ التكليف.

﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ﴾ الله، لا ليُقال: ما أَصبرَه وأَحْمَلَه للنوازل وأوقَره عند الزلازل! ولا لئلا يُعابَ بالجَزع، ....

قوله:[١] (﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات ١٠/٤٩]) هذا استشهاد لقرابة[٢] المؤمنين والنبيِّ عليه السلام[٣] بسبب الإيمان.

قوله: (قال:[٤] اتّقوا الله وكونوا) كأنّه رأى منهم افتخارًا بالخَرْسَنة، أو أراد وصيّتهم، فسأل عن مكانهم، ثمّ بنى عليه المقصود. وقوله: (واعلموا) مِن كلام فُضيل.

---

١ ن + على.
٢ ن ر: القرابة.
٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٤ في مطبوع الكشّاف: قالوا. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

ولئلا يَشمَتَ به الأعداء؛ كقوله:

وتـــجـــلُّـــدِي لـــلـــشـــامِـــتِـــيـــن

ولا لأنه لا طائِلَ تحتَ الهَلَعِ ولا مَردَّ فيه للفائت؛ كقوله:

مـا إنْ جَـزِعْـتُ ولا هَـلِـعْـ ـتُ ولا يَـرُدُّ بُـكـايَ زَنْـدا

وكلُّ عملٍ له وجوهٌ يُعمل عليها، فعلى المؤمنِ أن ينويَ منها ما به كان حسَنًا عند الله، وإلّا لم يستحقَّ به ثوابًا، وكان فعلًا كَلَا فعلٍ.

﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: من الحلال؛ لأن الحرام لا يكون رزقًا ولا يُسنَدُ إلى الله.

قوله: (ولئلّا يشمت) الشماتة: الفرح ببليّة عَرَت العدوَّ وأصابته.

قوله:

(وتـــجـــلُّـــدي لـــلـــشـــامـــتـــيـــن)

تمامه:

أُريهمُ أنّـي لرَيـب[1] الدهـر لا أتضعضـعُ[2]

قيل: دخل الحسن بن عليّ رضي الله عنهما على معاوية في مرضه يعوده، فأنشد معاوية هذا البيت، فأنشد حسن رضي الله عنه قول الشاعر:[3]

وإذا الـمـنـيـة أنـشـبـت أظـفـارهـا ألـفـيـت كـل تـمـيـمـة لا تـنـفـعُ[4]

قوله: (تحت الهلع) الهلع: أفحش الجزع.

قوله: (ما إن جزعتُ) البيت،[5] (زَنْدًا) أي: شيئًا ما. قال رضي الله عنه: الزَّنْد مَثَل في القلّة والحقارة، ولهذا يقال للّئيم: مزنَّد، أي: محقَّر.[6]

قوله: (لا يكون رزقًا) هذا عند المعتزلة، وأمّا عند أهل السنّة والجماعة:

---

[1] ن: لويت.

[2] البيت لأبي ذؤيب الهذلي من عينيته الشهيرة في شرح أشعار الهذليّين للسكّري، ١٠/١، والمفضّليات للضبّي، ص ٤٢٢.

[3] الخبر عن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما في الفاضل للمبّرد، ص ٥١. ولا يخفى ما فيه.

[4] البيت لأبي ذؤيب الهذلي من عينيته الشهيرة في شرح أشعار الهذليين للسكّري، ٨/١، والمفضّليات للضبّي، ص ٤٢٢.

[5] البيت لعمرو بن معدي كرِب الزُّبيدي في ديوانه، ص ٨٢؛ وهو له في أساس البلاغة للزمخشري، «ردد».

[6] ر: يحقر.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يتناوَلُ النوافلَ؛ لأنها في السرِّ أفضلُ، والفرائضَ لوجوب المجاهَرة بها نفيًا للتُّهمة.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: ويَدفعونها.

عن ابن عباس: يدفعون بالحسَن من الكلام ما يَرِدُ عليهم من سيِّئِ غيرهم.

وعن الحسن: إذا حُرموا أَعطَوْا، وإذا ظُلموا عفَوْا، وإذا قُطعوا وصَلوا.

وعن ابن كيسان: إذا أَذنبوا تابوا.

وقيل: إذا رأَوْا منكرًا أَمَرُوا بتغييره.

﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: عاقبةُ الدنيا وهي الجنة؛ لأنها التي أرادَ اللهُ أن تكون عاقبةَ الدنيا ومرجعَ أهلِها، و﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وقرئ: "فنَعْمَ" بفتح النون، والأصل: "نَعِمَ" فمَن كسَر النونَ فلِنَقْلِ كسرةِ العين إليها، ومَن فتَح فقد سكَّن العين ولم يَنقُل.

وقرئ: "يُدْخَلونها" على البناء للمفعول.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: "صَلُح" بضمِّ اللام، والفتحُ أفصح.

أَعْلَمَ أنّ الأنسابَ لا تنفعُ إذا تجرَّدتْ من الأعمال الصالحة، وآباؤهم:

الحرام يسمّى رزقًا، ويُسند إلى الله تعالى.[1] وسيجيء تحقيقه في تفسير قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف ٣٢/٤٣].

قوله: (نفيًا للتُّهمة) هذا إذا كان الرجل مشهورًا بالغنى والثروة، أمّا إذا كان خاملًا فالسرُّ أفضل.

قوله: (أعلم[2] أنّ الأنساب)،[3] يعني أشار بقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ إلى أنّ مجرَّد[4] الأنساب لا تنفع.[5]

---

[1] انظر تفصيل المذهبين في الإرشاد للجويني، ص ٣٦٤-٣٦٥.

[2] ر - اعلم.

[3] ر: الإنسان.

[4] ن - (أعلم أنّ الأنساب) يعني أشار بقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ إلى أنّ مجرّد.

[5] ر - يعني أشار بقوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ إلى أنّ مجرّد الأنساب لا تنفع.

جمعُ أبوَيْ كلِّ واحد منهم؛ فكأنَّه قيل: "من آبائهم وأمَّهاتهم".

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ في موضع الحال؛ لأن المعنى: قائلين سلامٌ عليكم، أو: مُسَلِّمين.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّق قولُه: ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾؟

قلتُ: بمحذوفٍ تقديره: هذا بما صبرتُم، يعنون: هذا الثوابُ بسببِ صبركم، أو: بدَلَ ما احتملتُم من مشاقِّ الصبر ومتاعبِه هذه الملاذُّ والنِّعَمُ، والمعنى: لئن تعِبْتم في الدنيا لقد استرحتُم الساعةَ؛ كقوله:

بمـــا قَـــدْ أرَى فيهـــا أوانِـــسَ بُدَّنـــا

جمع بادن، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنه كان يأتي قُبورَ الشُّهداء على رأس كلِّ حَولٍ فيقول: «السلامُ عليكم بما صَبرتُم فنِعْمَ عُقْبَى الدار».

ويجوز أن يتعلَّق بـ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: نُسلِّم عليكم ونكرمُكم بصَبْركم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله: (أو: بدَلَ) "أو" ههنا لعطف[١] الجملة على الجملة،[٢] وحاصل المعنيين أنَّ الباء إمّا للسببيّة أو للمقابلة.

قوله: (بما قد أرى) البيت،[٣] "أرى" حكاية حال ماضية، أي: أرى بدلَ الأوانس السِّمان فيها الوحوشَ، وهو استشهاد لقوله: ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾، أي: بدلَ صبركم، والأوانس جمع آنِسة. يقال: آنسات وأوانس للنساء الآنسات.[٤] والبُدن:[٥] جمع بادنة، مِن بدُن الرجل فهو بادن إذا سمِن. يقول: أرى[٦] الوحش ترعى هنالك بدلَ ما كنتُ أرى فيه مِن النساء الآنسات السمينات.

---

[١] ن ر: للعطف.

[٢] ن ر: الجمل.

[٣] ما عرفت قائله، ولا وقفتُ عليه فيما بين يديّ من الظانّ. وقال عنه الطِّيبي في فتوح الغيب، ٥٠٧/٨: «لم يوجد تمامه».

[٤] ن: الأيسات.

[٥] ن ر: والبزل.

[٦] ن ر: أي.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: من بعدِ ما أوثقوهُ به من الاعتراف والقبول.

﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ يحتمِلُ أن يراد: سوءَ عاقبةِ الدنيا؛ لأنّه في مقابلةِ ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، ويجوز أن يراد بالدار جهنَّمُ وبسوئها عذابُها.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾؛ أي: اللهُ وحدَه هو يبسطُ الرزقَ ويَقْدِره دون غيره، وهو الذي بَسَط رزقَ أهلِ مكَّة ووسَّعه عليهم.

﴿وَفَرِحُواْ﴾ بما بَسط لهم من الدنيا فَرَحَ بَطَرٍ وأشَرٍ لا فَرَحَ سرورٍ بفضلِ الله وإنعامهِ عليهم، ولم يُقابلوه بالشكر حتى يَستوجِبوا نَعيمَ الآخرةِ، وخَفِيَ عليهم أن نعيمَ الدنيا في جنبِ نعيم الآخرة ليس إلَّا شيئًا نَزْرًا يَتمتَّعُ به كعُجالةِ الراكب، وهو ما يتعجَّله من تُمَيْراتٍ أو شَربةِ سَويقٍ أو نحو ذلك.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

فإن قلتَ: كيف طابَقَ قولُهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قولَه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾؟

قلتُ: هو كلامٌ يجري مجرى التعجُّب من قولهم، وذلك أن الآيات الباهرةَ

قوله: (ما أوثقوه[١] به) الضمير مِن قوله: "أوثقوه" عائد إلى العهد.

قوله: (لأنّه في مقابلة)، يعني: كما أُريد الدنيا بالدار في قوله تعالى: ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ / فكذا[٢] ههنا. [٣٩و]

قوله: (الباهرة) أي: المضيئة الغالبة بضوءها. يقال: «بهَر القمر: أضاء حتّى غلب ضوءه ضوءَ الكواكب. يقال: قمر باهر. وبَهَر الرجل: برع».[٣] قال:

---

١ ن ر: اتقوه.
٢ ر – فكذا.
٣ الصحاح للجوهري، «بهر».

المتكاثرةَ التي أُوتيَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يُؤتَها نبيٌّ قبله، وكفى بالقرآن وحده آيةً وراء كلِّ آيةٍ، فإذا جَحدوها ولم يعتدُّوا بها وجعلوه كأنَّ آيةً لم تُنزل عليه قَطّ كان موضعًا للتعجُّب والاستنكار؛ فكأنه قيل لهم: "ما أَعْظَم عنادَكم! وما أشدَّ تصميمَكم على كفركم! إن الله يُضلُّ مَن يشاء ممن كان على صفتِكم من التصميم وشدَّة الشكيمة في الكفر، فلا سبيلَ إلى اهتدائكم وإن أُنزلَتْ كلُّ آية".

﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ﴾ كان على خلاف صفتكم ﴿أَنَابَ﴾: أقبلَ إلى الحقِّ، وحقيقتُه: دخَل في نَوبة الخير.

و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾.

﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته؛ كقوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر ٣٩/٢٣].

أو: تطمئنُّ بذكر دلائلِه الدالَّةِ على وحدانيته.

أو: تطمئنُّ بالقرآن؛ لأنه معجزةٌ بيِّنةٌ تُسكِّن القلوبَ وتُثبِّت اليقين فيها.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾

وقد بهرتَ فلا تخفى على أحدٍ إلّا على أحدٍ[١] لا يعرف القمرا[٢]

قوله: (كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ﴾ [الزمر ٣٩/٢٣]) ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر ٣٩/٢٣].

قوله: (أو: تطمئنّ) فإنّ الصدق طمأنينة والكذب ريبة. وقوله: (تُسكِّن القلوب) هذا قريب مِن المعنى الثاني.

قوله: (واللام في ﴿لَهُمۡ﴾ للبيان) لمّا[٣] ذكر أنّ معنى طوبى: أصبتَ طيبًا، والعدول إلى الرفع للدلالة على الثبات والدوام، بيّن أنّ اللام في ﴿لَهُمۡ﴾ للبيان.

---

[١] ن ر: واحد.

[٢] البيت لذي الرمة في ديوانه، ٢/١١٦٣؛ وهو له في متخير الألفاظ لابن فارس، ص ٧٣؛ والصحاح للجوهري، «بهر»؛ وهو بلا عزو في شرح التسهيل لابن مالك، ٢/٤٠٤.

[٣] ر: كما.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مبتدأٌ و﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ خَبَرُه، ويجوز أن يكون بدلًا من "القلوب" على تقدير حذف المضاف؛ أي: تطمئنُّ القلوبُ قلوبُ الذين آمنوا.

و﴿طُوبَىٰ﴾ مصدرٌ من "طاب"؛ كبُشرى وزُلفى، ومعنى طوبَى لك: أصبتَ خيرًا وطِيبًا، ومحلُّها النصبُ أو الرفعُ؛ كقولك: "طِيبًا لك، وطِيبٌ لك"، و"سلامًا لك، وسلامٌ لك"، والقراءة في قوله: ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ بالرفع والنصب تدلُّك على محلَّيها.

واللامُ في "لك" للبيان مِثْلُها في "سَقْيًا لك".

والواو في ﴿طُوبَىٰ﴾ منقلبةٌ عن ياءٍ لضمَّةِ ما قَبْلَها كمُوقِنٍ ومُوسِرٍ، وقرأ مَكْوزَةُ الأعرابيُّ: "طِيبَى لهم" فكسَر الطاءَ لتسلَمَ الياءُ؛ كما قيل: بِيضٌ ومَعِيشةٌ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: مِثْلَ ذلك الإرسالِ أرسلناك، يعني: أرسلناك إرسالًا له شأنٌ وفضلٌ على سائر الإرسالات، ثـمَّ فسَّر كيف أرسَله فقال:

﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾؛ أي: أرسلناك في أمَّة قد تقدَّمَتْها أممٌ كثيرةٌ فهي آخِرُ الأمم وأنتَ خاتـمُ الأنبياء.

وقوله: (وقرأ مَكْوَزة) قال رحمه الله:[١] كما سمَّت العرب بكوز[٢] سمَّت بمكوَزة،[٣] كأنَّه جمعُه كـ"مَشْيَخة"[٤] في "شيخ".

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: مثلَ ذلك الإرسال)... إلخ، يعني أنَّ ذلك إشارة إلى مبهَم فسَّره ما بعده، فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٦]. وقوله: (ثـمَّ فسَّر)... إلخ، يشير إلى أن قوله: ﴿فِىٓ أُمَّةٍ﴾ متعلِّق بمحذوف لا بـ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ المذكور، فلزم فيه الإجمال والتفصيل، وإن كان بيانًا أو جواب سؤال.

---

١ ن ر: رضي الله عنه.
٢ ر: بكورة.
٣ ر – سمَّت بمكوَزة.
٤ ن: كشيخة.

﴿لِتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: لتقرأ عليهم الكتابَ العظيمَ الذي أوحينا إليك.

﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾: وحالُ هؤلاء أنهم يكفرون ﴿بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: بالبليغِ الرحمةِ الذي وسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ وما بهم من نعمةٍ فمنه، فكفَروا بنعمته في إرسال مثلِكَ إليهم وإنزالِ هذا القرآنِ المعجزِ المصدِّقِ لسائر الكتب عليهم.

﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي﴾ الواحدُ المتعالي عن الشركاء ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في نُصرتي عليكم ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ فيُثيبُني على مصابرتكم ومجاهَدَتِكم.

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا﴾ جوابُه محذوفٌ؛ كما تقول لغلامك: "لو أنِّي قُمتُ إليك.."، وتتركُ الجوابَ، والمعنى: ولو أنَّ قرآنًا ﴿سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ عن مقارِّها، وزُعزِعَتْ عن مضاجعها ﴿أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ حتى تتصدَّعَ وتتزايَلَ قِطعًا ﴿أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فتسمعَ وتُجيبَ- لكان هذا القرآنَ؛ لكونه غايةً في التذكير ونهايةً في الإنذار والتخويف؛ كما قال: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾

قوله: (الكتاب العظيم) دلّ على هذا المعنى الإبهام في ﴿ٱلَّذِيٓ﴾.

قوله: (﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي﴾ الواحد المتعالي)،[1] يعني أنّ تقديم "﴿هُوَ﴾" أفاد حصر الربوبيّة فيه.

قوله: (﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾) أي: إليه أتوب مِن خطيئتي السالفة. وقوله: (فيُثيبني)... إلخ، يدلّ على أنّه جعل قوله: ﴿مَتَابِ﴾ مِن تاب إليه، أي: رجع، يعني: إليه المرجع يوم العقاب والثواب فيُثيبني، ولا يريد به التوبة التي هو الرجوع مِن[2] الذنب، فإنّه معنى آخر.

قوله: (وزُعزعت) الزعزعة: تحريك الشيء.

---

[1] ر: المتعال.

[2] ن: عن.

[الحشر ٥٩/٢١] وهذا يَعضدُ ما فسَّرتُ به قولَه: ﴿لِتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الرعد ١٣/٣٠] من إرادة تعظيمِ ما أُوحيَ إلى رسول الله من القرآن.

وقيل: معناه: ولو أن قرآنًا وقع به تسييرُ الجبال وتقطيعُ الأرض وتكليمُ الموتى وتنبيهُهم= لَمَا آمَنوا ولَمَا تَنبَّهوا عليه؛ كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام ٦/١١١].

وقيل: إن أبا جهلِ بن هشامٍ قال لرسول الله: "سَيِّرْ بقرآنك الجبالَ عن مكةَ حتى تتَّسِعَ لنا فنتَّخِذَ فيها البساتينَ والقطائعَ كما سُخِّرت لداود عليه السلام إن كنتَ نَبِيًّا كما تزعُم فلستَ بأهونَ على الله من داودَ، أو سَخِّرْ لنا به الرِّيحَ لِنركبها ونتَّجر إلى الشام ثم نرجعَ في يومنا فقد شقَّ علينا قطعُ المُسافِرِ البعيد كما سخِّرتْ لسليمان عليه السلام، أو ابعَثْ لنا به رجلين أو ثلاثةً ممن مات من آبائنا: منهم قصيُّ بن كلاب". فنزلت.

ومعنى تقطيعِ الأرض على هذا: قطعُها بالسَّير ومجاوزتُها.

وعن الفرَّاء: هو متعلِّقٌ بما قبله، والمعنى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ... وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ وما بينهما اعتراضٌ. وليس ببعيدٍ من السَّداد.

وقيل: ﴿قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: شُقِّقتْ فجُعِلَتْ أنهارًا وعيونًا.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ على معنيين:

أحدهما: بل للهِ القدرةُ على كلِّ شيءٍ، وهو القادر على الآيات التي اقترحوها إلَّا أنَّ علمَه بأن إظهارها مَفسدةٌ يَصْرِفه.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ) وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام ٦/١١١].

قوله: (والقطائع) جمع قطيعة: وهي الأرض التي تزرع فيها.

قوله: (أحدهما) هذا إذا قلنا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ نزلت لردِّ قول أبي جهل.

والثاني: بل للهِ أن يُلجِئهم إلى الإيمان وهو قادرٌ على الإلجاء لولا أنّه بَنَى أمر التكليف على الاختيار، ويعضُدُه قوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ يعني: مشيئةَ الإلجاء والقسر ﴿لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

ومعنى ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾: أفلم يَعلم، قيل: هي لغةُ قومٍ من النَّخَع، وقيل: إنما استُعمل اليأسُ بمعنى العلم لتضمُّنه معناه؛ لأن اليائس عن الشيء عالمٌ بأنه لا يكون؛ كما استُعمل الرجاءُ في معنى الخوف، والنسيانُ في معنى الترك؛ لتضمُّن ذلك، قال سُحَيمُ بن وُثَيلٍ الرِّياحيُّ:

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذ يَيْسِرُونني ألم تيأسوا أني ابنُ فارسِ زَهْدَمِ

قوله: (والثاني) على أن يكون تقدير الآية: لَما آمنوا.

قوله: (لولا أنّه) جوابه محذوف، أي: لولا ذلك لَجاءهم.[1]

قوله: (يعني مشيئة[2] الإلجاء) يشير إلى مذهبه، وهو أنّه تعالى أراد أن يُؤمنوا باختيارهم، وهم لا يؤمنون باختيارهم،[3] ولو أراد أن يؤمنوا بالإلجاء لألجأهم حتّى يؤمنوا.

قوله: (هي لغة قوم مِن النخَع) النخَع: قبيلة مِن اليمن، رهط إبراهيم النخَعيّ.

قوله: (كما استعمل الرجاء في معنى الخوف)...[4] إلخ؛[5] لأنّ مَن يرجو الشيء يخاف ألّا يقع؛ ولأنّ النسيان مستلزمٌ الترك.

قوله: (أقول لهم) البيت،[6] يسر القوم الجزور، أي: اجتزروها. كان قد وقع في سبأ فضُرب عليه بالسهام، أي: يفعلون بي ما[7] / يفعل الياسرون بالميسور. [٣٩ظ]
هكذا ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة ٢/٢١٩].
و(زهدم)[8] اسم فرس.

---

[1] ن: لا أنجاهم؛ ر: لا لجاهم.
[2] ن ر: مشبه.
[3] ن ر - باختيارهم.
[4] ر: الحرف.
[5] ن ر - إلخ.
[6] البيت لسحيم بن وثيل الرياحي. ومضى تخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/٢١٩.
[7] ن ر: وما.
[8] ن ر: وذهدم.

ويدلُّ عليه أن عليًا وابنَ عباس رضي الله عنهم وجماعةً من الصحابة والتابعين قرؤوا: "أفلم يتبيَّنْ" وهو تفسيرُ ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾.

وقيل: إنما كتبه الكاتب وهو ناعسٌ مستويَ السِّينات. وهذا ونحوُه ممَّا لا يُصدَّق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خَلْفه؛ وكيف يَخْفَى مثلُ هذا حتى يَبْقى ثابتًا بين دفَّتي الإمام؟ وكان متقلِّبًا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطِينَ في دِين الله المُهيمِنين عليه، لا يَغفُلون عن جلائله ودقائقه، خصوصًا عن القانون الذي إليه المرجعُ والقاعدةِ التي عليها البناءُ، وهذه واللهِ فِرْيَةٌ ما فيها مِرْيَةٌ.

ويجوز أن يتعلَّق ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ﴾ بـ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ على: أوَلم يَقنَطْ عن إيمان هؤلاء الكفرةِ الذين آمنوا بأنْ لو يشاء الله لهدى الناسَ جميعًا ولهداهم.

﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من كُفرهم وسوءِ أعمالهم ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهيَةٌ تَقْرعُهم بما يُحِلُّ الله بهم في كلِّ وقت من صنوفِ البلايا والمصائب في نفوسِهم وأولادِهم

قوله: (السِّينات) الياء فيه[1] بدل مِن أحد[2] حرفي[3] التضعيف، وأصله السِّنَّات.

قوله: (عن القانون) وهو القرآن.

قوله: (ويجوز أن يتعلَّق) عطف على قوله: (﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾: أفلم يعلم)، يعني[4] يجوز أن يكون اليأس[5] بمعناه المشهور، وهو القنوط. وقوله: (بـ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾)[6] بأن يكون ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ﴾ مفعول ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ لا مفعول ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾، ويكون مفعول ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾ محذوفًا.

قوله: (بما يحلّ الله) حلّ يحُلّ بالضمّ، أي: نزل. وأحللته: أنزلته. وفي بعض النُّسخ: يحلّ[7] بفتح الياء وكسر الحاء، وفي حاشيته أنّه مِن حلّ العذاب

---

١ ن ر: في.
٢ ر: أخذ.
٣ ر: من في.
٤ ن ر – يعني.
٥ ن ر: اليائس.
٦ ن: آمنوا؛ ر: يأمنوا.
٧ ر – يحل.

وأموالهم ﴿أَوۡ تَحُلُّ﴾ القارعةُ ﴿قَرِيبًا﴾ منهم فيفزعون ويضطرِبون ويتطايرُ إليهم شرارُها وتتعدَّى إليهم شرورُها ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِ﴾ وهو موتُهم أو القيامة.

وقيل: ﴿وَلَا يَزَالُ﴾ كفّار مكّة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب ﴿قَارِعَةٌ﴾؛ لأن رسول الله كان لا يزالُ يبعث السَّرايا فتُغِير حولَ مكّة وتختطِفُ منهم وتصيبُ من مَواشِيهم ﴿أَوۡ تَحُلُّ﴾ أنت يا محمدُ ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ﴾ بجيشك كما حلَّ بالحديبية ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِ﴾ وهو فتحُ مكّة، وكان الله قد وعَدَه ذلك.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾

الإملاءُ: الإمهال، وأن يُترك ملاوةً من الزمان في خفضٍ وأَمْنٍ كالبهيمة يُملَى لها في المَرْعَى، وهذا وعيدٌ لهم وجوابٌ عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم -استهزاءً به- وتسليةٌ له.

﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾

يحِلّ بالكسر: وجب. وهو سهو، والصواب بضمّ الياء وكسر الحاء، مِن حلّ يحلّ بالضمّ، أي: نزل. وأحللته: أنزلته.

قوله: (شرارُها) «الشَّرار: ما يتطاير مِن النار. والواحد شَرارة. وكذلك الشرَر والواحدة شَرَرة».[١]

قوله: (وأن يُترك) مِن العطف الذي يكون مِن البيان. وقوله: (وملاوة)،[٢] أي: برهة. وقوله: (في خفض) الخَفْض: الدَّعَة.

---

[١] الصحاح للجوهري، «شرر».

[٢] الميم من "ملاوة" تُحرّك بالحركات الثلاث. الصحاح للجوهري، «ملا».

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ﴾ احتجاجٌ عليهم في إشراكهم بالله، يعني: أمَّا الله الذي ﴿هُوَ قَآيِمٌ﴾ رقيبٌ ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ صالحةٍ أو طالحةٍ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعلمُ خيرَه وشرَّه، ويُعِدُّ لكلٍّ جزاءَه كمَن ليس كذلك.

ويجوز أن يقدَّر ما يقع خبرًا للمبتدأ ويُعطَف عليه ﴿وَجَعَلُواْ﴾، وتمثيله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ﴾ بهذه الصفة لمْ يُوحِّدوه ﴿وَجَعَلُواْ﴾ له وهو الله الذي يستحِقُّ العبادة وحده ﴿شُرَكَآءَ﴾.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾؛ أي: جعلتُم له شركاءَ فسمُّوهم له مَن هم؟ ونبِّئوه بأسمائهم، ثم قال: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ على "أم" المنقطِعة؛ كقولك للرَّجل: "قل لي مَن زيدٌ؟ أم هو أقلُّ من أن يُعرَّف"، ومعناه: بل أتنبِّئونه بشركاءَ لا يعلَمُهم في الأرض وهو العالمُ بما في السماوات والأرض؟ فإذا لم يَعلمْهم عُلم أنهم ليسوا بشيء يتعلَّق به العلمُ، والمراد: نفيُ أن يكون له شركاء، ونحوُه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس ١٠/١٨].

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: بل أتسمُّونَهم شركاءَ بظاهرٍ من القول من غيرِ أن يكون لذلك حقيقةٌ؟ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة ٩/٣٠]، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف ١٢/٤٠]، ....

قوله: (يعلم خيرَه) خبر بعد خبر لقوله: ﴿هُوَ﴾.

قوله:[1] (ويجوز أن يقدَّر) فيكون ﴿وَجَعَلُواْ﴾ متَّصلًا بالكلام الأوَّل عطفًا على الخبر، وعلى الأوَّل كان كلامًا مستقلًّا.

قوله: (وهو) إلى قوله: (وحدَه) بيان فائدة وضع الظاهر موضع[2] الضمير. وقوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعول ﴿جَعَلُواْ﴾.

قوله: (كقولك للرجل: قل لي) وإنَّما شبَّهه[3] المصنِّف بقوله: "قل لي"... إلخ؛ لأنَّ قوله: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ في معنى العدم، أي: هم ليسوا بشيء.

---

١ ر: كقوله.
٢ ن – موضع.
٣ ن ر: شبه.

وهذا الاحتجاجُ وأساليبُه العجيبةُ التي ورد عليها منادٍ على نفسه بلسانٍ طَلْقٍ ذَلِقٍ: ليس من كلام البشر لمَن عرَف وأنصَفَ من نفسه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. [المؤمنون ١٤/٢٣] وقرئ: "أَتُنْبِئونه" بالتخفيف.

﴿مَكْرُهُمْ﴾: كيدُهم للإسلام بشِرْكهم.

﴿وَصُدُّوا﴾ قرئ بالحركات الثلاث، وقرأ ابن أبي إسحاق: "وصَدٌّ" بالتنوين.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: ومَن يَخْذلْه لعِلْمه أنه لا يهتدي ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: فما له من أحدٍ يقدر على هدايته.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو ما يَنالُهم من القتل والأسر وسائرِ المِحَن، ولا يَلحقُهم إلّا عقوبةً لهم على الكفر؛ ولذلك سمّاه عذابًا.

قوله: (وهذا الاحتجاج) مبتدأ. وقوله: (منادٍ)[1] خبره. وقوله: "وهذا[2] الاحتجاج"... إلخ، يريد أنّ القرآن مخلوق خلقه الله تعالى فأحسن خَلْقه، ولا نزاع معه لأهل السنّة في لفظ القرآن؛ لكنّهم يُثْبِتون وراء هذه الكلمات كلامًا قائمًا بذاته تعالى أزليًا أبديًا، والمعتزلة يُنكرون ذلك.

قوله: ("وَصَدٌّ" بالتنوين)[3] إذا قرئ بالتنوين[4] يكون عطفًا على ﴿مَكْرُهُمْ﴾. وقوله: (لعِلمه) إشارة إلى سبب الخذلان.

قوله: (إلّا عقوبةً) استثناء مفرَّغ مِن أعمّ عامّ الأحوال. وفاعل (لا يلحقهم) ضمير (ما ينالهم)، تقريره: ولا يلحقهم ماينالهم[5] في حال مِن الأحوال إلّا في حال العقوبة، بخلاف المؤمنين، فإنّه يلحقهم ما يلحقهم مكفِّرًا لذنوبهم رافعًا لدرجاتهم مُوصِلًا إلى ثواب عظيم.

---

١ ن - (منادٍ).

٢ ن: هذا.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن اللؤلئي عن أبي عمرو، وابن أبي إسحاق. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ١٠٦٤.

٤ ن ر - إذا قرئ بالتنوين.

٥ ن ر - تقريره: ولا يلحقهم ماينالهم.

﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: وما لهم من حافظٍ من عذابه، أو: ما لهم من جهته واقٍ من رحمته.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: صفتُها التي هي في غرابة المَثَلِ، وارتفاعُه بالابتداء والخبرُ محذوفٌ على مذهب سيبويه؛ أي: فيما قَصَصْناه عليكم مَثَلُ الجنَّة.

وقال غيره: الخبر: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ كما تقول: صفةُ زيدٍ أسمَرُ.

وقال الزجَّاج: معناه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ جنَّةٌ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾، على حذف الموصوف تمثيلًا لِمَا غاب عنا بما نُشاهِدُ.

قوله: (﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾)... إلخ، ﴿مِن﴾ الثانية زائدة على الوجهين، كما في قولك: "ما في الدار مِن أحد"، و﴿مِن﴾ الأولى على الوجه الأوّل متعلّقة بقوله: ﴿وَاقٍ﴾، وعلى الوجه الثاني بمحذوف، أي: ما ثبت وحصل لهم مِن جهة الله واقٍ هو رحمة الله. وقوله: (مِن رحمته) بيان (واقٍ).

قوله: (وقال الزجّاج: معناه)[1] اعلم أنّ المَثل على قول الزجّاج بمعناه اللغويّ، فإنّ المِثل والمَثل والمثيل بمعنى الشِّبه والشَّبه والشبيه، فكأنّه قيل: الجنّة التي / وُعد المتقون شبيه جنّة تجري مِن تحتها الأنهار. ثمّ أشار المصنِّف [٤٠و]
إلى أنّه تعالى إنّما شبَّهها[2] بها تشبيهًا لِما غاب عنَّا بما نشاهده. وأمّا على القولين المتقدِّمين فالمَثل كان بمعنى الصفة العجيبة الشأن، كما مرّ أنّ المَثل في الأصل بمعنى الشِّبه، ثمّ نُقل إلى معنى آخر، وهو الكلام السائر المُمثَّل مَضرِبه بمورِده، للتشبيه الذي فيه، ثمّ نُقل إلى الصفة الغريبة العجيبة الشأن؛ لأنّ الكلام لا يصير مَثلًا إلّا لغرابته، فيكون المَثل على هذا مجازًا في المرتبة الثانية، وعلى قول الزجّاج كان حقيقة، فتأمّل.

---

١ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٣/١٤٩.
٢ ر: تشبيهًا.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "أمثالُ الجنَّة" على الجمع؛ أي: صفاتُها.

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ كقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة ٥٦/٣٣].

﴿وَظِلُّهَا﴾ دائمٌ لا يُنسخُ كما يُنسخ في الدنيا بالشمس.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يريد مَن أسلم من اليهود كعبد الله بن سَلَامٍ وكعبٍ وأصحابهما، ومَن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلًا: أربعون بنجرانَ، واثنان وثلاثون بأرض الحبشة، وثمانيةٌ بالشام، هؤلاء ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني: ومن أحزابهم وهم كَفَرتُهم الذين تَحَزَّبُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحوَ كعب بن الأشرف وأصحابه والسيّدِ والعاقبِ أُسقُفَّيْ نجرانَ وأشياعِهما ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيصَ وبعضَ الأحكام والمعاني مما هو ثابتٌ في كتبهم غيرُ محرَّفٍ، وكانوا ينكرون ما هو نعتُ الإسلام ونعتُ رسول الله وغيرُ ذلك مما حرَّفوا وبَدَّلوا من الشرائع.

فإن قلتَ: كيف اتَّصل قولُه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ بما قبلَه؟

قلتُ: هو جوابٌ للمنكِرين، معناه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ فيما أُنزل إليَّ بـ﴿أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾، فإنكارُكم له إنكارٌ لعبادة الله وتوحيده، فانظروا ماذا تنكرون

قوله: (لا يُنسَخ) النسخ: الإزالة. يقال: نَسَخ الشمس الظلّ، أي: أزالته.

قوله: (واثنان وثلاثون بأرض الحَبَشة) وثمانية مِن أهل اليمن.

قوله: (أُسقُفَّي نجران) «السَّقَف بالتحريك: طول في[1] انحناء. يقال: رجل أسقفُ بيّن السَّقَف. قال ابن السكّيت: ومنه اشتُقّ أسقُفّ النصارى؛ لأنّه يتخاشع، وهو رئيس مِن رؤسائهم».[2]

---

[1] ر – في.

[2] الصحاح للجوهري، «سقف».

مع ادِّعائكم وجوبَ عبادةِ الله وأن لا يُشْرَكَ به: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران ٣/٦٤].

وقرأ نافعٌ في رواية أبي خُلَيدٍ: "ولا أُشركُ به" بالرفع على الاستئناف؛ كأنه قال: "وأنا لا أُشرك به"، ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى: أمرتُ أن أعبدَ اللهَ غيرَ مشركٍ به.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ خُصوصًا لا أدعو إلى غيره و﴿إِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره مرجعي، وأنتم تقولون مثلَ ذلك فلا معنى لإنكاركم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: ومثلَ ذلك الإنزال أنزلناه مأمورًا فيه بعبادةِ الله وتوحيدِه والدعوةِ إليه وإلى دينه والإنذارِ بدار الجزاء.

﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ حكمةً عربيةً مترجَمةً بلسان العرب، وانتصابُه على الحال.

كانوا يَدْعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمورٍ يُوافقُهم عليها؛ منها: أن يصلِّيَ إلى قِبْلتهم بعد ما حوَّله الله عنها، فقيل له: لئن تابَعْتَهم على دِينٍ ما هو إلَّا أهواءٌ وشُبَهٌ بعد ثبوتِ العلم عندك بالبراهين والحُجج القاطعةِ خَذَلك الله فلا ينصرُك ناصرٌ، وأهلكَكَ فلا يَقِيكَ منه واقٍ، وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعثِ للسامعين على الثبات في الدِّين والتصلُّبِ فيه، وأنْ لا يَزِلَّ زالٌّ عند الشُّبهة بعد استمساكه بالحُجَّة ....

قوله: (مأمورًا فيه) بيان ذلك في قوله: (ومثلَ[1] ذلك).

قوله: (وهذا مِن باب الإلهاب) التهب النار وتلهَّبت، أي: توقَّدت. وألهبتها: أوقدتها.

---

[1] ن ر: مثل.

وإلّا فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من شدَّة الشكيمةِ بمكان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

كانوا يعيبونَه بالزواج والوِلاد، كما كانوا يقولون: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان ٧/٢٥]، وكانوا يقترحون عليه الآياتِ وينكرون النَّسخَ، فقيل: كان الرسلُ قبله بشرًا مثلَه ذوي أزواجٍ وذُرِّيةٍ، وما كان لهم أن يأتوا بآياتٍ برأيهم، ولا يأتون بما يُقْتَرَحُ عليهم، والشرائعُ مصالحُ تختلِفُ باختلاف الأحوال والأوقات، فلكلِّ وقتٍ حُكْمٌ يُكتبُ على العباد؛ أي: يُفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحُهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: يَنسخُ ما يستصوِبُ نَسخَه ﴿وَيُثْبِتُ﴾ بَدَله ما يَرى المصلحةَ في إثباته، أو يتركُه غيرَ منسوخ.

وقيل: ﴿يَمْحُوا﴾ من ديوان الحفظة ما ليس بحسنةٍ ولا بسيِّئةٍ؛ لأنهم مأمورون بكِتبةِ كلِّ قول وفعل ﴿وَيُثْبِتُ﴾ غيرَه.

وقيل: ﴿يَمْحُوا﴾ كفرَ التائبين ومعاصيَهم بالتوبة ﴿وَيُثْبِتُ﴾ إيمانَهم وطاعاتهم.

وقيل: ﴿يَمْحُوا﴾ بعضَ الخلائق ﴿وَيُثْبِتُ﴾ بعضًا من الأناسيِّ وسائرِ الحيوان والنباتِ والأشجار وصفاتها وأحوالها، والكلامُ في نحو هذا واسعُ المجال.

﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصلُ كلِّ كتابٍ وهو اللوحُ المحفوظ؛ لأن كلَّ كائنٍ مكتوبٌ فيه.

وقرئ: "ويُثَبِّت".

قوله: (وإلّا فكان) أي: وإن لم يكن هذا مِن باب الإلهاب فكيف يستقيم، فقد كان.

قوله: (بمكان) أي: ثابتًا عظيمًا.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾: وكيفما دَارت الحالُ أريناك مصارِعهم وما وعَدْناهم من إنزال العذاب عليهم، أو توفَّيناك قبل ذلك، فما يجبُ عليك إلَّا تبليغُ الرسالة فحسْبُ وعلينا لا عليك حسابُهم وجزاؤُهم على أعمالهم، فلا يُهِمَّنَّك إعراضُهم ولا تستعجلْ بعذابهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤١﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾: أرضَ الكفر ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نَفْتَحُ على المسلمين من بلادهم فنَنْقُصُ دارَ الحرب ونَزيدُ في دَار الإسلام، وذلك من آيات النُّصرة والغلبة، ونحوُه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الأنبياء ٢١/٤٤]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت ٤١/٥٣].

والمعنى: عليك بالبلاغ الذي حُمِّلْتَه ولا تَهتَمَّ بما وراء ذلك فنحن نكفِيكه ونُتِمُّ ما وعَدْناك من الظَّفَر، ولا يُضجِرْك تأخُّرُه فإنَّ ذلك لِمَا نَعلم من المصالح التي لا تعلمُها، ثمّ طيَّبَ نفسَه ونفَّس عنها ....

قوله: (﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾) أي: إن[1] نرينَّك أو نتوفينَّك فما يجب عليك إلّا البلاغ. وقوله: (أريناك)، (توفّيناك) بيان الأحوال الدائرة. وقوله: (إلّا تبليغ الرسالة) إنّما يفيد الحصر في المذكور آخرًا، فيكون المعنى: عليك تبليغ الرسالة لا غيرُ التبليغ. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ فهو عطف على قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾، لا على قوله: ﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾، فلذلك أفاد الحصر في ﴿عَلَيْنَا﴾، أي: علينا لا عليك، فتأمّل.

قوله: (والمعنى: عليك) أي: مِن قوله: ﴿وَإِن مَّا﴾.

قوله: (ثمّ طيَّب) بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾.

---

[1] ر – إن.

بما ذكَر من طلوعِ تباشير الظَّفَر.

وقرئ: "نُنقِّصُها" بالتشديد.

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا رادَّ لحُكمه، والمعقِّبُ: الذي يَكرُّ على الشيء فيُبْطِلُه، وحقيقتهُ: الذي يُعَقِّبه؛ أي: يُقَفِّيه بالردِّ والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق: معقِّبٌ؛ لأنه يُقفِّي غريمَهُ بالاقتضاء والطلب، قال لبيدٌ:

طلبُ المعقِّبِ حقَّه المظلومُ

والمعنى: أنه حَكَم للإسلام بالغلَبة والإقبالِ، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فعمَّا قليلٍ يحاسِبُهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

فإن قلتَ: ما محلُّ قوله ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾؟

قوله: (تباشير) تباشير[١] الصبح أوّله، وكذلك تباشير كلّ شيء، ولا يكون منه فعل.

قوله: (بالاقتضاء) الاقتضاء: طلب قضاء الدَّين.

قوله:[٢]

(طلبَ المعقِّب حقَّه المظلومُ)[٣]

أوّله:

حتّى تهجّر في الرَّواح وهاجها

يصف حمارًا وأتانًا. "تهجّر": خرج في الهاجرة. و"هاجها"،[٤] أي: هاج الأتان، أي: تردّد الحمار خلف الأتان يطلبها طلب المعقِّب،[٥] أي: كما يطلب المعقِّب المظلوم حقَّه. والتهجُّر والتهجير: السير في الهاجرة. والمعقِّب،

---

[١] ر + تباشير.

[٢] ن ر – (بالاقتضاء) الاقتضاء: طلب قضاء الدين. قوله.

[٣] البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ١٢٨؛ وهو له في المسائل البصريّات للفارسي، ٧٤٧/٢؛ والصحاح للجوهري، «عقب»؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٢٨٢.

[٤] ن – يصف حمارًا وأتانا تهجّر خرج في الهاجرة وهاجها.

[٥] ر – (حقُّه المظلوم). أوّله: حتّى تهجّر في الرواح وهاجها. يصف حمارًا وأتانًا. تهجّر: خرج في الهاجرة. وهاجها، أي: هاج الأتان، أي: تردّد الحمار خلف الأتان يطلبها طلب المعقِّب.

قلتُ: هو جملةٌ محلُّها النصبُ على الحال؛ كأنَّه قيل: والله يحكمُ نافذًا حكمُه، كما تقول: "جاءني زيدٌ لا عِمامةَ على رأسه ولا قلنسوةَ" تريد: حاسرًا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وصفَهم بالمكر ثم جعَل مكرهم كَلَا مكرٍ بالإضافة إلى مكره فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وسَيَعْلَمُ الكافرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾؛ لأن مَن عَلِمَ ما تكسِبُ كلُّ نفسٍ وأعدَّ لها جزاءَها فهو المكرُ كلُّه؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلةٍ مما يُراد بهم.

وقرئ: ﴿ٱلْكُفَّٰرُ﴾ و: "الكافرون"، و: "الذين كفروا"، و: "الكفرُ"؛ أي: أهلُه، والمراد بالكافر الجنسُ.

وقرأ جَنَاحُ بن حُبيش: "وسيُعْلَمُ الكافرُ" مِن أَعْلَمَه؛ أي: سيُخْبَرُ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ لِمَا أظهر من الأدلَّة على رسالتي.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: ....

عن المصنِّف: الغريم الدائن؛ لأنّه على عَقِب غريمه، يستقضي الدَّين. حُمل المظلوم على محلّ المعقِّب؛ لأنّه فاعل أضيف إليه المصدر. وقوله: "طلب" نصب على المصدر مِن "تهجَّر" أو "هاج".

قوله: (قلتُ: هو جملة)... إلخ، وأظنّ أنّ جَعْله جملة معترضة وجهٌ حسن.

قوله: (فهو المكر) أي: فهو ذو المكر.

قوله: (لِما أظهر) تعليل لقوله: ﴿كَفَىٰ﴾... إلخ، مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: شهد الله على نبوّتي لِما أظهر، أي: لإظهاره و"ما" مصدريّة.

والذي عنده علمُ القرآن وما أُلِّفَ عليه من النَّظْم المعجِزِ الفائتِ لقُوى البشر.

وقيل: ومَن هو مِن علماء أهل الكتاب الذين أسلموا؛ لأنهم يَشهدون بنَعْته في كتبهم.

وقيل: هو الله عزَّ وعلا، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللوحُ المحفوظ.

وعن الحسن: لا والله ما يعني إلّا الله، والمعنى: كفى بالذي يَستحِقُّ العبادة وبالذي لا يعلَمُ عِلْمَ ما في اللوح إلّا هو شهيدًا بيني وبينكم، وتعضدُه قراءةُ مَن قرأ: "ومِن عندِه عِلْمُ الكتاب" على "مِن" الجارَّةِ؛ أي: ومن لدُنْهُ عِلْمُ الكتاب؛ لأن عِلْمَ مَن عَلِمه من فضله ولُطفه.

وقرئ: "ومِن عِنْدِه عُلِمَ الكتاب" على "مِن" الجارَّةِ و"عُلِم" على البناء للمفعول.

وقرئ: "وبمن عندَه عِلْمُ الكتاب".

فإن قلتَ: بمَ ارتَفَع ﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟

قلتُ: في القراءة التي وقع فيها ﴿عِندَهُۥ﴾ صلةً يرتفعُ العلم بالمقدَّر في الظرف فيكون فاعلًا؛ لأن الظرف إذا وقع صلةً أَوْغَل في شَبَه الفعل لاعتماده على الموصول فعَمِل عَمَل الفعل؛ كقولك "مَرَرْتُ بالذي في الدار أخوه" فـ"أخوه" فاعلٌ؛ كما تقول: "بالذي استقرَّ في الدار أخوه".

وفي القراءة التي لم يقع "عنده" فيها صلةً يرتفعُ العلم بالابتداء.

قوله: (والذي عنده عِلم القرآن) أي: العالم الذي يعلم تمام المراد مِن القرآن، وهو الله سبحانه وتعالى، فإنّه لا يعلم ذلك إلّا مَن يعلم خواصّ التراكيب ولطائفَ جميع التأليفات،[1] ولا نهايةَ لها، فلا يعلمه إلّا مَن يحيط عِلمه بما لا يتناهى.

قوله: (والمعنى) إلى آخره، أشار إلى فائدة ذِكره تعالى ذاتَه ههنا بكلمتين، أعني قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾. تمّت السورة بحمد الله.[2]

---

[1] ر: التألفات.

[2] ن ر- تمّت السورة بحمد الله.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ الرعد أُعطيَ من الأجر عشرَ حسناتٍ بوزنِ كلِّ سحابٍ مضَى وبوزنِ كلِّ سحابٍ يكون إلى يوم القيامة، وبُعث يومَ القيامة من الموفِينَ بعهد الله».

سورة إبراهيم

مكيةٌ، وهي إحدى وخمسون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾

﴿كِتَٰبٌ﴾: هو كتابٌ، يعني: السورةَ.

وقرئ: "ليَخرُجَ الناسُ".

و"الظلماتُ والنورُ": استعارتان للضلال والهدى.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾: بتسهيله وتيسيره، مستعارٌ من الإذن الذي هو تسهيلٌ للحِجاب، وذلك ما يمنحُهم من اللطف والتوفيق.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ بتكريرِ العامل كقوله:

سورة إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قوله: (بتسهيله) يعني: شُبِّه التسهيل والتيسير بالإذن،[2] ثمّ ذُكر الإذن وأريدَ التسهيل والتيسير،[3] وذلك التسهيل والتيسير هو التوفيق واللطف.

---

[1] وفي هامش د: قوله: (استعارتان) استُعير النور للهُدى بجامع كون كلّ منهما أمرًا يُوصل إلى المطلوب، واستُعيرت الظلمات للضلال، والجامع كون كلٍّ منهما مانعًا مِن الوصول إلى المطلوب.

[2] وفي هامش د: بجامع ترتّب الفعل على كلّ منهما.

[3] ن: والتسير.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأعراف ٧/٧٥]، ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف؛ كأنه قيل: إلى أيّ نور؟ فقيل: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢﴾

وقوله: ﴿ٱللَّهِ﴾ عطفُ بيان لـ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾؛ لأنه جَرى مجرى الأسماء الأعلام؛ لغَلَبته واختصاصِه بالمعبود الذي تَحِقُّ له العبادة كما غَلَب النجمُ في الثريا.

وقرئ بالرفع على: "هو اللهُ".

الوَيْلُ: نقيض الوَأْلِ وهو النجاة، اسمُ معنًى كالهلاك إلّا أنه لا يُشتقُّ منه فعلٌ، إنما يقال: "وَيْلًا له" فيُنصَبُ نصبَ المصادر، ثم يُرفع رفعَها لإفادة معنى الثبات فيقال: "وَيلٌ له"؛ كقولك: "سلامٌ عليك".

ولمّا ذكر الخارجينَ من ظلمات الكفرِ إلى نورِ الإيمان تَوَعَّد الكافرين بالويل.

فإن قلتَ: ما وجهُ اتِّصال قوله: ﴿مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ بالويل؟

قلتُ: لأن المعنى: أنهم يُوَلْوِلُون من عذابٍ شديدٍ ويضِجُّون منه، ويقولون: "يا وَيْلاه" كقوله: ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ [الفرقان ٢٥/١٣].

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ﴾ مبتدأٌ خبرُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾.

قوله: (قلتُ: لأنّ المعنى) أي: اتّصل؛ لأنّ المعنى... وقوله: (يُوَلْوِلُونَ)[١] أي: يُكَرِّرُونَ الوَيلَ، كوَعوَعَتِ[٢] الذئبُ.[٣]

---

[١] ر: يولون. | وفي هامش د: وَلوَلَتِ المرأةُ؛ إذا رفعت صوتَها بالبكاء.

[٢] ن: لوعوعت.

[٣] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: لأنّ المعنى) حاصله: أنّه متعلّق بالويل مِن حيث إنّه في معنى الفعل.

ويجوز أن يكون مجرورًا صفةً لـ﴿الكافرين﴾، ومنصوبًا على الذمّ أو مرفوعًا، على: أعني الذين يستحبُّون، أو: هم الذين يستحبُّون.

والاستحبابُ: الإيثار والاختيار، وهو استفعالٌ من المحبَّة؛ لأن المؤْثِرَ للشيء على غيره كأنه يطلبُ من نفسه أن يكون أحبَّ إليها وأفضلَ عندها من الآخَر.

وقرأ الحسن: "ويُصِدُّون" بضمّ الياء وكسرِ الصاد، يقال: صدَّه عن كذا وأصدَّه؛ قال:

أنـاسٌ أصَـدُّوا الـنـاسَ بـالسيفِ عنهم

والهمزةُ فيه داخلةٌ على صدَّ صدودًا لتنقُلَه من غير التعدِّي إلى التعدِّي، وأما صدَّه فموضوعٌ على التعدية كمنَعه، ....

قوله: (والاستحباب:[١] الإيثار والاختيار)[٢] يعني: أنّه كناية؛ لأنّ الاستحباب مِن لوازم الاختيار،[٣] فأَطلق اللازم وأراد الملزوم، فيكون كناية.

قوله:

(أُنـاسٌ أَصَـدُّوا[٤] الـناسَ بالسيف عنهمُ)

تمامه:

صُـدودَ[٥] السوافي[٦] عن أُنُـوفِ الخرائمِ[٧]

"السوافِي": الرياح.[٨] والخَرْمُ: أنفُ الجبل. يقول: هم أناسٌ صدُّوا الأعداء عن أنفسهم كما يَصُدُّ الريحُ عن أنوف الجبال.[٩]

---

١ ن: والاسبحباب.

٢ ر: والاحتبار.

٣ ر: الاحتيار. | وفي هامش د: فيه نظر؛ لأنّ الاختيار مِن توابع الاستحباب، فيكون مِن قَبيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم. أو نقول: ضمَّن ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ معنى "يختارون" بدليل ﴿عَلَى ٱلْآخِرَةِ﴾.

٤ ن: صدوا.

٥ ر ن: صدوا.

٦ ر: السواقي؛ ن: السبوافي. | في ديوان ذي الرمّة: "السواقي". وهو جمع "ساقية"، وهي نُهَير صغير. انظر: لسان العرب لابن منظور، «سقي».

٧ لذي الرمّة في ديوانه، ٢/٧٧١، بلفظ:
أُناسٌ أَصَدُّوا الناسَ بالضربِ عنهمُ
صُدود السواقي عن رُءوس المخارِمِ

٨ السوافي مِن الرياح: اللواتي يسفين التراب. لسان العرب لابن منظور، «سفا».

٩ الصحاح للجوهري، «نكب».

وليست بفصيحةٍ كـ"أوقفَه"؛ لأن الفصحاء استغنَوْا بـ"صدَّه" و"وقَفه" عن تكلُّف التعدية بالهمزة.

﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾: ويطلبون لسبيلِ الله زيفًا واعوجاجًا، وأَن يَدُلُّوا الناسَ على أنها سبيلٌ ناكبةٌ عن الحقِّ غيرُ مستويةٍ، والأصل: ويبغون لها، فحُذِف الجارُّ وأُوصل الفعل.

﴿فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾؛ أي: ضلُّوا عن طريق الحقِّ ووقفوا دونه بمراحِلَ.

فإن قلتَ: فما معنى وصفِ الضلال بالبُعد؟

قلتُ: هو من الإسناد المجازيِّ، والبُعد في الحقيقة للضالِّ؛ لأنه هو الذي يتباعَدُ من الطريق فوُصف به فِعْله؛ كما تقول: "جَدَّ جِدُّه".

ويجوز أن يراد: في ضلالٍ ذي بُعدٍ، أو: فيه بُعدٌ؛ لأن الضالَّ قد يَضِلُّ عن الطريق مكانًا قريبًا وبعيدًا.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾

﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾؛ ....

قوله: (وليست بفصيحة) أي: ليستْ "أصَدَّه".[1]

قوله: (مكانًا) حال مِن الضمير في (يَضِلُّ)،[2] أي: كائنًا[3] في مكان قريب مِن الطريق أو بعيدٍ منه.[4]

---

[1] وفي هامش د: قوله: (ناكبة) نكَب عن الطريق: عدَل. قوله: (قلتُ: هو مِن الإسناد المجازي)... إلخ على الوجه الأوّل مِن قَبيل الإسناد إلى المصدر، وعلى الثاني بمعنى فاعل النسبة، وعلى الثالث مِن قَبيل الإسناد إلى الظرف، فإنّ الضلال على هذا الوجه ظرف للبعد، وأسند إليه، وفي الحقيقة ليس في الضلال بُعد؛ بل مكان الضلال بُعد؛ لكن إذا كان في مكانه بُعد ففيه أيضًا بُعد، فيكون بين الضلال والبُعد مُلابسة.

[2] ر: بضل.

[3] ر ن: كانتا.

[4] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ في موضع نصب على الحال، أي: إلّا متكلّمًا بلغتهم.

أي: لِيَفْقَهوا عنه ما يَدْعُوهم إليه، فلا يكونَ لهم حجةٌ على الله، ولا يقولوا: "لم نفهم ما خُوطِبْنا به"؛ كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت ٤١/٤٤].

فإن قلتَ: لم يُبعَثْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم، وإنما بُعث إلى الناس جميعًا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف ٧/١٥٨]، بل إلى الثَّقَلين، وهم على ألسنةٍ مختلفةٍ، فإن لم تكن للعرب حجةٌ فلغيرِهم الحجةُ، وإن لم تكن لغيرهم حجةٌ فلو نزل بالعجميَّة لم تكن للعرب حجةٌ أيضًا.

قوله: (أي:[١] لِيَفْقَهوا) إشارة إلى أنّه كناية؛ لأنّ الفِقه -أي:[٢] الفَهْم- مِن لوازم التَّبيين، ثمّ أشار إلى أنّ مفعوله محذوف، وهو "ما يدعوهم إليه".[٣]

قوله: (فإن لم تكن للعرب حجّة) يعني: وإن أفاد كون القرآن عربيًّا أن لا تكون للعرب حُجّة[٤] على الله؛ لكن لزم منه أن يكون[٥] لغيرهم حجّة على الله؛ لأنّهم لا يفهمونه، ولئن منَع أن يكون[٦] حجّةٌ لغير العرب على الله على تقدير كون القرآن عربيًّا، فنحن نقول أيضًا: لو نزل[٧] بالعَجميّة لم يكن للعرب حجّةٌ أيضًا.

وحاصل الجواب: منع أن يكون لغير العرب حجّةٌ على تقدير كون القرآن عربيًّا، فإنّ نزول القرآن بجميع اللغات غيرُ محتاج إليه، فتعيّن أن يكون ببعض اللغات، ولغةُ العرب أولى مِن غيرها؛ لكون النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٨] عربيًّا؛

---

[١] ر – أي.

[٢] ر: أنّهي؛ ن: أنهى.

[٣] وفي هامش د: قوله: (لِيَفقهوا عنه) يحتمل أن يكون التفسير لبيان تعلّق الفعل بالمفعول، أي: التبيين بالنسبة إليهم بهذا الطريق يكون، يعني حتّى فَهِموا، ويحتمل أن يكون بطريق الكناية كما قال في الحاشية.

[٤] ر ن – يعني: وإن أفاد كون القرآن عربيًّا أن لا تكون للعرب حجّة.

[٥] ر: تكون.

[٦] ر ن – لغيرهم حجّة على الله؛ لأنّهم لا يفهمونه، ولئن منَع أن يكون.

[٧] ر: أنزل؛ ن: تزل.

[٨] د: عليه السلام.

قلتُ: لا يخلو: إما أن ينزل بجميع الألسنة، أو بواحدٍ منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة؛ لأن التَّرْجَمَة تنوبُ عن ذلك وتكفي التطويلَ، فبقي أن ينزلَ بلسانٍ واحد، فكان أولى الألسنةِ لسانَ قوم الرسول؛ لأنهم أقربُ إليه، فإذا فهِمُوا عنه وتبيَّنوه وتُنُوقلَ عنهم وانتشر قامت التراجمُ ببيانه وتفهيمه؛ كما ترى الحالَ وتُشاهِدُها من نيابةِ التراجِم في كلِّ أمَّةٍ من أمم العجَم، مع ما في ذلك من اتِّفاقِ أهل البلاد المتباعِدة والأقطارِ المتنازِحةِ والأممِ المختلفة والأَجيالِ المتفاوتة على كتابٍ واحد، واجتهادِهم في تعلُّم لفظه وتعلُّم معانيه وما يتشعَّبُ من ذلك من جلائل الفوائد، وما يتكاثر في إتعابِ النفوس وكدِّ القرائح فيه من القُرَب والطاعات المُفضِيَةِ إلى جزيل الثواب.

ولأنه أبعدُ من التحريف والتبديل، وأسلمُ من التنازُع والاختلاف.

ولأنّ الفصاحة التي في لغة العرب لا تُتصوّر في لُغة مِن اللغات، وإذا نزَل بلغة العرب على وجه الإعجاز ثَبَتَتِ النبوّة، ثـمّ تبيّن[١] لغيرهم بالترجمة،[٢] فتَنتفي الحُجّةُ، وهذا بخلاف النزول ابتداء، فإنّهم إذا لم يفهموا كان لهم أن يقولوا: لا نَفْهَمهُ،[٣] فلا تثبُتُ الحُجّةُ علينا، فلا تثبت النبوّة.

وقوله: (عن ذلك) أي: نزوله بجميع الألسنة.

قوله: (التراجم)[٤] جمع ترجمان،[٥] يقال: ترجَمَ[٦] كلامه؛ إذا فسّره بلسانٍ آخر، ومنه: التَّرجَمان بفتح التاء والجيم، والجمع التراجم، مِثل: زَعفران وزعافِر،[٧] وصَحْصَحان وصَحاصِح. ويقال: تَرجُمان[٨] بفتح التاء وضمّ الجيم، ولك أن تضُمّ[٩] التاءَ فتقول: تُرجُمان.[١٠] والصَّحصَحُ والصَّحْصَحان: الموضع المستوي.[١١]

---

[١] وفي هامش د: القرآن.
[٢] ر ن: بالرحمة.
[٣] ر: لا يفهمه.
[٤] ن: التراحم.
[٥] ن: ترحمان.
[٦] ن: ترحم.
[٧] ن: ورعافر.
[٨] ن: ترحمان.
[٩] ر: نضمّ.
[١٠] الصحاح للجوهري، «رجم».
[١١] الصحاح للجوهري، «صحح».

ولأنه لو نزل بألسنة الثَّقَلين كلِّها مع اختلافها وكثرتها، وكان مستقلًّا بصفةِ الإعجاز في كلِّ واحدٍ منها، وكلَّم الرسولُ العربيُّ كلَّ أمةٍ بلسانها كما كلَّم أمَّته التي هو منها يَتلوه عليهم معجزًا= لكان ذلك أمرًا قريبًا من الإلجاء.

ومعنى: ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾: بلُغةِ قومه، وقرئ: "بِلِسْنِ قومه"، واللِّسْنُ واللِّسانُ -كالرِّيش والرِّياش- بمعنى اللغة.

وقرئ: "بلُسُن قومه" بضمِّ اللام، والسينُ مضمومةٌ أو ساكنةٌ، وهو جمعُ لسان كعِمادٍ وعُمُدٍ وعُمْدٍ على التخفيف.

وقيل: الضميرُ في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ لمحمد صلى الله عليه وسلم، ورَوَوْه عن الضحاك، وأن الكتب كلَّها نزلت بالعربيَّة ثم أدَّاها كلُّ نبيٍّ بلغةِ قومه، وليس بصحيح؛ لأن قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ضميرُ القوم وهم العرب، فيؤدِّي إلى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبيِّن للعرب، وهذا معنى فاسدٌ.

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ كقوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن ٢/٦٤]؛ ....

وقوله:[١] / (ما في ذلك) أي: في نزوله بلسان واحد. وقوله: (أمَّته التي هو منها يَتلوه)[٢] "هو" أي: الرسول عليه السلام، و"يتلوه" حال مِن ضمير فاعل في (كلَّمَ).[٣] [٤٢و]

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن ٢/٦٤]) يريد أنَّ المعنى: فمنهم مَن يؤمِن، ومنهم مَن لا يؤمِن، فمَن علمَ الله منه أنَّه يؤمِن يوفِّقه ويَلطف به، ومَن علمَ أنَّه لا يؤمِن يَخذُله. وهذا الكلام لترويج مذهبه.

وأمَّا عند أهل السُّنَّة فالمعنى: أن النبيَّ عليه السلام[٤] يبيِّن[٥] ويبلِّغ، وأمَّا الهداية فبيَدِ الله تعالى؛ يهدي مَن يشاء، ويُضِلُّ مَن يشاء.

---

١ د + وقوله.

٢ ن: تبلوه.

٣ وفي هامش د: قوله: (بلُغة قَومه) اللِّسْن -بكسر اللام-: اللغة. صحاح.[(١)] فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ حقيقة، ولا يحتاج إلى أن يقال: مِن قَبيل إطلاق المحلّ على الحال. |

(١) الصحاح للجوهري، «لسن».

٤ ر – عليه السلام؛ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٥ ن: يبين.

لأن الله لا يُضِلُّ إلَّا مَن يَعلمُ أنه لن يؤمِنَ، ولا يَهْدِي إلا مَن يَعلمُ أنه يؤمنُ، والمراد بالإضلال: التخليةُ ومنع الألطاف، وبالهداية: التوفيقُ واللطف، فكان ذلك كنايةً عن الكفر والإيمان.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يُغلب على مشيئته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فلا يَخذلُ إلا أهل الخذلان ولا يَلْطُف إلا بأهل اللُّطف.

وقوله: (لأنّ الله) اللام في "لأنّ" متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: "كقوله"، وحاصله: تقرير أنّ معنى هذه الآية[١] مثل تلك الآية؛ لأنّ الإضلال -أي: الخِذلان- مِن لوازم أنّه لَن يؤمن، والهداية -أي: اللطف- مِن لوازم أن[٢] يؤمِن، فأُطلق اللازم وأُريدَ الملزوم، فصار المعنى: فيَكفُر بعضٌ ويُؤمِن بَعضٌ.[٣] وقوله: (كنايةً)[٤] وجه تقرير الكناية أنْ نقول: اللطف مِن لوازم أن يؤمِن؛ لأنّه إنْ كان ممَّن يؤمِن يَلطُف به، فذكر الهداية التي بمعنى اللطف، وأراد به إيمانه، فكأنّه قيل: يؤمِن بعضُهم، ولا يؤمِن آخرون.[٥]

---

١ ر + الآية.

٢ ر ن - أن.

٣ ر: بيعض.

٤ وفي هامش د: قوله: (كنايةً) قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [النحل ٩٣/١٦] يحتمل أن يكون المَجاز في الإسناد مِن قَبيل الإسناد إلى السبب؛ لكن عند المصنّف المَجاز فيه في المفرد، فإنّه جعله بمعنى التخلية والخِذلان، فيكون مِن باب ذكر المسبَّب وإرادة السبب، فإنّ التخلية والخِذلان مِن الله سبب لإضلال الشيطان، فعلى الأوّل يكون المجاز في الإسناد لا في الطرف، وعلى الثاني المجاز في الطرف لا في الإسناد. فعلى الأوّل يكون معناه: يُضِلّ الشيطان بسبب خِذلان الله تعالى. وعلى الثاني يَخذُله الله تعالى. قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل ٩٣/١٦] استعيرت الهداية للتوفيق، والجامع كون كلّ منهما أمرًا يَسهُلُ به الوصول إلى المطلوب، فيكون ﴿يَهْدِى﴾ استعارة تبعيّة؛ لأنّ العلاقة بينهما مشتركة، بخلافها بين الخِذلان والإضلال. ثمّ إذا عرفت أنّ المراد مِن قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ﴾ يَخذُل بطريق المجاز المُرسَل، ومِن قوله تعالى: ﴿يَهْدِى﴾ يُوفِّق بطريق الاستعارة؛ عُلِمَ أنّ المراد مِن الخِذلان والتوفيق اللذَين أردناهما بطريق المجاز: الكُفر والإيمان بطريق الكناية؛ لأنّهما مِن توابع مَن يكون مِن شأنه الإيمان والكفر.

٥ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ﴾ ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ حال مِن الفاعل، أي: ملتبِسًا بآياتنا، و﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ على تقدير المصدر وتقديرِ حرف الجرّ أيضًا حال، والباء للملابَسة، أي: ملتبِسًا بهذا القول.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بمعنى: أيْ أخرِجْ؛ لأن الإرسال فيه معنى القول؛ كأنه قيل: أرسلناه وقلنا له: ﴿أَخْرِجْ﴾.

ويجوز أن تكون ﴿أَنْ﴾ الناصبةَ للفعل، وإنما صَلُح أن تُوصَلَ بفعل الأمر؛ لأن الغرضَ وَصْلُها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل، والأمرُ وغيرُه سواءٌ في الفعليَّة، والدليلُ على جواز أن تكون الناصبةَ للفعل: قولُهم: "أَوعَزَ إليه بأَن افعَلْ" فأَدْخَلوا عليها حرفَ الجرّ، وكذلك التقديرُ: بأنْ أَخْرِجْ قومَك.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: وأنذِرْهم بوقائعه التي وقعتْ على الأمم قبلَهم: قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ، ومنه: "أيّامُ العرب" لحروبها وملَاحِمِها؛ ....

قوله: (أن تُوصَلَ بفعل الأمر) "أن تُوصَلَ" فاعل (صَلَح)، تقديره: صَلَح وَصْلُها.

قوله: (أَوْعَزَ إليه) أوْعَزْتُ إلى فلان، أي: أمَرتُه.

قوله: (حرفَ الجرِّ) فدخول حرف الجرّ يدلّ على أنّ "أنْ" مصدريّة، فإذا كانت مع ما بعدها في تأويل المصدر كان دخول حرف[1] الجرّ عليه كدخولها على الاسم، ولو كانت مفسِّرة لَما دخل عليها حرف الجرّ؛ لأنّ حرف الجرّ لا يدخل على الحرف، ولا على الفعل؛[2] ولأنّه لا معنى للجارّ بين التفسير والمفسَّر، فيكون تقدير الآية: ملتبِسًا بأنْ أَخرِجْ.

قوله: (وأَنْذِرْهم) فإنّ التذكير بمعنى الإنذار والموعظة، فكأنّه قيل: خوِّفهم بذكر الوقائع التي وقعت على مَن[3] تقدَّمَهم.[4]

قوله: (ومَلاحِمها) المَلْحَمة: الوَقْعة العظيمة، يريد مواضع الحرب،[5] والتحم القتال بينهم، أي: اختلَطَ واشتبَك،[6] والمُلْحَم مِن الثياب:[7] ما سَداه إبريسَم،

---

١ ن: خرف.
٢ ر – ولا على الفعل.
٣ ر ن – مَن.
٤ ر: تفدمهم.
٥ ن: الحرف.
٦ ر: واستنك.
٧ ر: التياب.

كَيوم ذي قارٍ، ويوم الفجار، ويوم قِضَةَ، وغيرِها، وهو الظاهر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نَعْماؤُه وبَلاؤهُ، فأمّا نَعْماؤه: فإنه ظلّل عليهم الغمامَ وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وفلقَ لهم البحرَ، وأمّا بلاؤُه: فإهْلاك القرون.

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يصبرُ على بلاء الله ويشكر نَعْماءَهُ، فإذا سمِعَ بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو أفاض عليهم من النِّعم تنبَّه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبرَ.

وقيل: أراد: لكلِّ مؤمنٍ؛ لأن الشكر والصبر من سجاياهم تنبيهًا عليهم.

ولُحْمتُه غير إبريسَم، ومنه «الولاء لُحْمةٌ كلُحْمة النَّسب»،[١] أي: تشابُكٌ ووُصْلة[٢] كَوُصْلتِه.[٣] وقوله: (ذِي وَقار) مكان. وقوله: (ويومِ الفِجارِ)[٤] مكان.[٥] وقوله: (ويومِ[٦] قِضَة)[٧] مكان.[٨]

قوله: (لأنّ الشكر) بيان أنّ الشكرَ[٩] والصبر مِن لوازم الإيمان، فصحّ إطلاق "الصبّار الشَّكور" على المؤمِن بطريق الكناية، ثمّ أشار إلى فائدة هذه الكناية بقوله: (تنبيهًا عليهم)،[١٠] يعني: إنّما عبّر عن المؤمنين بـ"الصبّار الشَّكور" ليكون تنبيهًا لهم[١١] على أنّهم ينبغي أن يَصْبِروا ويشكروا، وإنّما قال المصنِّف: "تنبيهًا عليهم" فعدّى[١٢] بـ"على" لتضمين معنى الوجوب، فكأنّه قال: إيجابًا عليهم الصبر والشكر بطريق التنبيه.

---

[١] المستدرك للحاكم، ٣٧٩/٤ (٧٩٩٠)؛ السنن الكبرى للبيهقي، ٣٦٩/٢١ (٢١٤٦١).

[٢] ر ن: ووصلته.

[٣] ر ن - كوصلته. | المُغرب للمطرّزي، «لحم».

[٤] ر: العجار.

[٥] ر: مكانه.

[٦] ر ن - ويوم.

[٧] ر ن: قصة. | وفي هامش د: خف [أي: بتخفيف الضاد]. | وشدّد الضادَ فيها ابن دُريد. انظر: تاج العروس للزبيدي، «قضض».

[٨] ر ن + وقوله: (تنبيهًا عليهم) بأنّهم يجب أن يصبروا ويشكروا. قوله: (مِن الصبر) بيان (ما يجب).

[٩] ر ن - أنّ الشكر.

[١٠] ر ن: لهم.

[١١] ر ن - يعني: إنّما عبّر عن المؤمنين بـ"الصبّار الشَّكور" ليكون تنبيهًا لهم.

[١٢] ر ن: فعدّاه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾

﴿إِذْ أَنجَىٰكُم﴾ ظرفٌ للنِّعمة بمعنى الإنعام؛ أي: إنعامَه عليكم ذلك الوقتَ.

فإن قلتَ: هل يجوزُ أن ينتصِبَ بـ﴿عَلَيْكُمْ﴾؟

قلتُ: لا يخلو من أن يكون صلةً للنعمة بمعنى الإنعام، أو غيرَ صلة إذا أردتَ بالنِّعمة العطيَّةَ، فإذا كان صلةً لم يَعمل فيه، وإذا كان غيرَ صلة بمعنى: "اذكروا نعمةَ الله مستقرَّةً عليكم" عَمِل فيه، ويتبيَّن الفرقُ بين الوجهين: أنك إذا قلت: "نعمةُ الله عليكم" فإن جعلتَه صلةً لم يكن كلامًا حتى تقول: "فائضةٌ" أو نحوَها، وإلَّا كان كلامًا.

قوله: (مِن الصبر) بيان (ما يجب). وقوله: "تنبيهًا عليهم" بأنَّهم يجب أن يصبروا ويشكروا.[١]

قوله: (لم[٢] يعمل)؛ لأنَّه إذا كان صلة "كان" معمولًا للنعمة، فيكون العمل[٣] للعامل،[٤] وهو "النعمة"، لا[٥] للمعمول، وهو "عليكم"، كما إذا قلتَ: / ضربتُ ضَربًا زيدًا، فالعمل للفعل الذي هو العامل، لا للمصدر، فكذا[٦] ههنا. [٤٢ظ]

قوله: (عَمِلَ فيه) أي: إذا كان غير صلة كان في محلّ الحال متعلّقًا بمحذوف، أي: مستقِرَّةً عليكم، فيعمل[٧] لقيامه مَقام "مستقِرّة"، نحو: زيد في الدار أبوه، قال الشاعر:

نـعـمـةُ الله عـلـيـك لا أسـأل الـلّـ ـهَ إليها نُعْمَى سِوَى أن تدوما[٨]
فلو أنِّي فعلتُ كمَن تَسْـ ـأله[٩] وهو قائمٌ أن يقوما[١٠]

---

[١] ر ن – قوله: (مِن الصبر) بيان (ما يجب). وقوله: (تنبيهًا عليهم) بأنّهم يجب أن يصبِروا ويشكروا.
[٢] ن – لم.
[٣] ر ن – العمل.
[٤] ر ن: العامل.
[٥] ن + العمل.
[٦] ر: فكذى؛ ن: فكدى.
[٧] ر: فيعمل.
[٨] ر: يدوما.
[٩] ن: نسأله.
[١٠] لأبي تمّام في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤٦٧/٩؛ وفتوح الغيب للطيبي، ٢٩١/٢. وهو في ديوان أبي تمّام بشرح التبريزي، ٢٣٠/٣.

ويجوز أن يكون ﴿إِذْ﴾ بدلًا من ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: اذكروا وقتَ إنجائكم، وهو من بدل الاشتمال.

فإن قلتَ: في سورة البقرة: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة ٢/٤٩] وفي الأعراف ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف ٧/١٤١] وهاهنا ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ مع الواو فما الفرق؟

قلتُ: الفرقُ: أن التذبيحَ حيث طُرِحَ الواوُ جُعل تفسيرًا للعذاب وبيانًا له، وحيث أُثبتَ جُعل التذبيحُ -لأنه أوفَى على جنس العذاب وزاد عليه زيادةً ظاهرةً- كأنَّه جنسٌ آخرُ.

فإن قلتَ: كيف كان فعلُ آل فرعون بلاءً من ربِّهم؟

قوله: (ويجوز) عطفٌ على "عَمِلَ"، يعني: إذا كان غيرَ صِلة جاز أن يكون عَمِلَ،[١] وجاز أن يكون "إذْ" بدلًا منه.

قوله: (وفي الأعراف: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف ٧/١٤١]) أي: بغير الواو فيهما.[٢]

قوله: (قلتُ: الفرق) يعني: بين الواو وتركها. وقوله: (أُثبِتَ) أي: الواو. وقوله: (لأنه أوفَى) يقال: أوْفَى على الشيء، أي: أشرَفَ. وقوله: (على جنس العذاب) فهو[٣] كقوله[٤] تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾... ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة ٢/٩٨].

قوله: (فإن قلتَ: كيف كان فِعلُ آل فرعون؟) وجه السؤال: أنّ التذبيح فِعلُ آل فرعون، فكيف[٥] يكون ذلك ابتلاء مِن الله تعالى؟ فأجاب: بأنّ الله تعالى لمّا مكَّن آل فرعون مِن تذبيح أولادهم[٦] كان ذلك التمكين ابتلاء مِن الله تعالى. هذا تقرير[٧] كلام[٨] المصنِّف. والتحقيق أن نقول: ليس ذلك التذبيح عين الابتلاء؛ بل في ذلك التذبيح ابتلاء؛ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾. هذا على تقدير[٩] أن يكون ﴿ذَٰلِكُم﴾ إشارة إلى التذبيح. وأمّا إذا كان إشارة

---

[١] ر ن – يعني: إذا كان غير صلة جاز أن يكون عَمِل.
[٢] ر ن: وفيهما.
[٣] ر: فهو.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر: فيكن؛ ن: فيكون.
[٦] ن: أولادهم.
[٧] ن: تقدير.
[٨] ر: وكلام.
[٩] ر: تقرير.

قلتُ: تمكينُهم وإمهالُهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاءٌ من الله.

ووجهٌ آخر: وهو أن ذلك إشارةٌ إلى الإنجاء وهو بلاءٌ عظيمٌ، والبلاء يكون ابتلاءً بالنعمة والمِحنة جميعًا؛ قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء ٣٥/٢١]، وقال زهيرٌ:

فأبلاهما خيرَ البلاء الذي يبلُو

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ﴾ من جملةِ ما قال موسى لقومه، وانتصابُه للعطف على قوله: ﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ كأنَّه قيل: وإذ قال موسى لقومه: "اذكروا نعمةَ الله عليكم واذكروا حين تأذَّنَ ربُّكم".

ومعنى ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ﴾: آذَنَ ربُّكم، ونظيرُ تأذَّن وآذَنَ: توعَّدَ وأَوْعدَ، وتفضَّل وأَفْضَلَ، ولا بدَّ في "تفعَّل" من زيادةِ معنًى ليس في "أفعل"؛ كأنَّه قيل: وإذ آذَنَ ربُّكم إيذانًا بليغًا تنتفي عنده الشكوكُ وتَنزاحُ الشُّبَه.

إلى الإنجاء[١] فكونه ابتلاءً مِن الله تعالى ظاهر؛ لأنَّ الإنجاء فِعْله تعالى بلا شبهة. وقوله: (تمكينُهم) مبتدأ، و(ابتلاءٌ) خبره.[٢]

قوله: (فأبلاهما)...[٣] البيتَ، أوّله:

جزى[٤] اللهُ بالإحسان ما فعلا بكم[٥]

قوله: (وتَنْزاح الشُّبَه) أصله: تَنْزَح، أي: تَبْعُد، فأشبَع الفتحةَ فتولَّد منه الألِف، كقول الشاعر:

وأنت مِن الغوائل[٦] حين تُرمَى ومِن ذمّ[٧] الرجال بمُنْتَزاحِ[٨]

---

١ ر ن: الانجلاء.

٢ وفي هامش د: قوله: (قلتُ: تمكينهم) حاصل الجواب: أنّ قوله ذلك ليس إشارة إلى فعل آل فرعون مِن الذَّبح والفِعل حتّى يرد السؤال؛ بل إشارة إلى التمكين المفهوم مِن الفعل الذي هو الذبح والقتل، وتمكين الله آل فرعون بلاء مِن الله تعالى.

٣ ر: قابلاهما.

٤ ر: جزا.

٥ في شرح شعر زهير لثعلب، ص ٩١، بلفظ: "رأى اللهُ".

٦ ن: العوائل.

٧ ن: دم.

٨ لإبراهيم بن هرمة في ديوانه، ص ٨٧. وانظر: الصحاح للجوهري، «نزح».

والمعنى: وإذ تأذَّن ربكم فقال: ﴿لَبِن شَكَرْتُمْ﴾، أو أُجريَ ﴿تَأَذَّنَ﴾ مُجرى "قال"؛ لأنه ضربٌ من القول، وفي قراءةِ ابن مسعود: "وإذ قال ربُّكم".

﴿لَبِن شَكَرْتُمْ﴾؛ أي: لئن شكرتُم يا بني إسرائيل ما خوَّلْتُكم من نعمةِ الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمةً إلى نعمةٍ، ولأُضَاعِفنَّ لكم ما آتيتُكم.

﴿وَلَبِن كَفَرْتُمْ﴾ وغَمِطْتُم ما أنعمتُ به عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لمن كَفَر نعمتي.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ﴾ يا بني إسرائيل والناسُ كلُّهم فإنما ضرَرْتُم أنفسَكم وحرَمْتُموها الخيرَ الذي لا بدَّ لكم منه وأنتم إليه محاويجُ واللهُ غنيٌّ عن شكركم.

﴿حَمِيدٌ﴾: مستوجِبٌ للحمد بكثرة أَنعُمِه وأياديه وإن لم يَحْمَدْه الحامدون.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جملةٌ من مبتدأ وخبرٍ وقعت اعتراضًا، أو عُطِفَ ﴿الذين مِن بَعْدِهم﴾ على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اعتراضٌ.

والمعنى: أنهم من الكثرة بحيث لا يَعلم عددَهم إلّا الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: "بَيْن عَدْنان وإسماعيل ثلاثون أبًا لا يُعرفون".

قوله: (وأياديه) الأيادي: غَلَبَتْ في النِّعَم.

قوله: (عدنان) هو الأب الأكبر ينتهي إليه نسب[1] النبيّ عليه السلام.

---

[1] ر: لسبب.

وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: "كذَبَ النَّسَّابون"، يعني: أنهم يدَّعون علمَ الأنساب وقد نفَى اللهُ علمَها عن العباد.

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: فعضُّوها غيظًا وضجرًا مما جاءت به الرسل؛ كقوله: ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [آل عمران ١١٩/٣]، أو ضِحكًا واستهزاءً كمَن غَلبَه الضحك فوضعَ يَدَه على فيه.

أو: أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقَتْ به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾؛ أي: هذا جوابُنا لكم ليس عندنا غيرُه؛ إقناطًا لهم من التصديق، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ وهذا قولٌ قويٌّ.

أو: وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: "أَطبِقوا أفواهَكم واسكُتوا".

أو: رَدُّوها في أفواهِ الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت.

أو: وضعوها على أفواههم يُسكتونهم ولا يَذَرونهم يتكلَّمون.

قوله: (أو ضحِكًا) فيه حذف، أي: أو وضعوها على أفواههم ضحِكًا، ويدلّ على هذا المحذوف قوله فيما بعد: (فوضَع[1] يده).

قوله: (وما نطقَتْ)[2] أي: وإلى ما نطقَتْ.[3]

قوله: (أو رَدُّوها في أفواه الأنبياء) إلى هنا كان الضمير في ﴿أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ للكُفَّار،[4] ومِن هنا[5] للأنبياء.[6]

---

[1] ر: فوصع.

[2] ن: وما نطعت.

[3] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ ذكر المصنّف فيه ستّة أوجه، الظاهر أنّه على الخمسة الأولى حقيقة، ويحتمل على الوجهين الأوّلين أن يكون كناية؛ لأنّ ردّ الأيدِ في الأفواه مِن توابع العَضّ والإشارة، ويبّن أنّ العضّ إمّا لأجل الغيظ، أو للاستهزاء. وعلى الوجه السادس استعارة تمثيليّة؛ شبّه حال النصائح مِن الأنبياء بحال أنفَس النفائس مُخرَجًا مِن وعاء له، وقد ردّه المعروض عليه، وذلك لعدم قبوله واستحقاره إلى ما خرج منه. ووجه الشبَه عدمُ قبول النفيس واستخفافه مع أنّ الواجب تلقّيه بالقبول وتعظيمُه.

[4] ر: المكفار؛ ن: الكفّار.

[5] ر ن – هنا.

[6] ر: الأنبيا.

وقيل: الأيدي جمع يَدٍ وهي النعمةُ بمعنى الأيادي؛ أي: رَدُّوا نِعَم الأنبياء التي هي أَجَلُّ النِّعم من مواعظهم ونصائحهم وما أُوحيَ إليهم من الشرائع والآيات ﴿فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾؛ لأنهم إذا كذَّبوها ولم يقبلوها فكأنهم رَدُّوها في أفواههم ورَجَعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثَل.

﴿مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ﴾ من الإيمان بالله، وقرئ: "تَدْعونَّا" بإدغام النون.

﴿مُرِيبٖ﴾ مُوقِعٍ في الرِّيبة، أو: ذي رِيبةٍ، من أَرَابَهُ وأَرابَ الرجلُ، وهي قَلَقُ النَّفْس وأن لا تطئمنَّ إلى الأمرِ.

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾

قوله: (في الرِّيبة)...[١] إلخ والرَّيبُ: ما رَابَكَ مِن أمرٍ،[٢] والاسم الرِّيبة بالكسر؛ وهي التُّهمة[٣] والشَّكُّ، ورابَني فلان؛ إذا رأيتَ منه ما يَريبكَ وتكرَهُه. وهُذيل[٤] تقول:[٥] أرابَني فلان، قال الهُذلي:[٦]

كــأنَّنــي أربْتُــه بــرَيْــبِ[٧]

و"أرابَ الرجلُ": صار ذا رِيبةٍ، فهو مُريب.[٨] وفي كلام المصنِّف لفٌّ ونشر، فقوله: (أرابَه) متعلّق بقوله: (مُوقِعٍ في الرِّيبة). وقوله: (أرابَ الرجلُ) متعلّق بقوله: (ذي رِيبة).[٩] وقوله: (وهي قَلَقٌ) أي: الرِّيبة.[١٠]

---

[١] ر: الرتبة.

[٢] ر ن – من أمر.

[٣] ن: الثهمة.

[٤] ن: وهديل.

[٥] ر: يقول.

[٦] ن: الهدلي.

[٧] ر: يريبُ. | تمامه في الصحاح:
يــا قــوم مــالــي وأبــا ذُؤيــبِ
كــنــتُ إذا أتــوتــه مِــن غَــيــبِ
يَــشَــمّ عِــطــفــي ويــبُــزّ ثــوبــي
كــأنَّــنــي أربْــتُــه بــرَيــبِ

[٨] الصحاح للجوهري، «ريب».

[٩] وفي هامش د: قوله: (أو ذي رِيبة) فعلى هذا مِن قَبيل الإسناد إلى المصدر، كأنّه قال: شكّ شاكّ، مثل: جَدّ جِدُّهُ.

[١٠] قوله: (أي: يدعوكم إلى الإيمان)... إلخ على الوجه الأوّل جعل المفعول له سادًّا مسدَّ المفعول به، فيكون "اللام" بمعنى "إلى"، وعلى الوجه الثاني جعله للتعليل، لِما هو المتبادَر إلى الذهن.

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أُدخلت همزةُ الإنكار على الظرف؛ لأن الكلام ليس في الشكِّ إنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمِلُ الشكَّ لظهور الأدلَّة وشهادتها عليه.

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: يدعوكم إلى الإيمان ليغفرَ لكم، أو: يدعوكم لأجل المغفرة؛ كقولك: "دَعَوْتُه لينصُرَني"، و"دعوتُه ليأكلَ معي"، وقال:

دَعَـــوْتُ لِـمَـا نـابَـنـي مِـسْـورًا فـلـبَّـى فـلـبَّـي يــدَي مِـسْـورِ

قوله: (لأجل المغفرة) والفرق بين الوجهين أنّه[1] قدّر في الأوّل مفعولًا به بواسطة الجارّ، بخلاف الوجه الثاني فإنّه لا يقدّر فيه ذلك؛ بل يجعل / دعوتَه مختصًّا بالمغفرة. [٤٣و]

قوله:

(دعــوتُ لِـمـا[2] نـابَـنـي[3] مِـسْـوَرًا[4] فَـلـبَّـيْ[5] فَـلـبَّـيْ يَــدَي مِــسْــوَرِ)[6]

أضاف "لَبَّيْ"[7] إلى المُظهَر كما يضاف إلى المضمَر في "لبَّيْك"، وأصله: "فلبَّيْ[8] مِسْوَرٍ"؛[9] لأنّ المعنى: دعَوتُه[10] فأجاب، فكان مُجابًا؛ دُعاءً له بأن يكون مُجابًا كما كان مُجِيبًا. وذكرُ اليدين على سبيل الإقْحام. وحاصل المعنى: أنّ في الكلام حذفًا، والتقدير: دعوت[11] مِسورًا[12] لِما نابَني فأجابني، ثمّ قال الشاعر بطريق الدعاء: "فلبَّيْ"...[13] إلخ، أي: جعل الله مِسوَرًا مُجابًا بحيث يقول له المجيبون: لبَّيك لبَّيك[14] يا مِسوَر؛[15] جزاءً له مِن الله على ما أجابني. أو المعنى: دعوتُ مِسورًا فأجابني بقوله: لبَّيك لبَّيك، فسمعتُ تلبيةَ[16] مِسوَر.

---

[1] ر: أن.
[2] وفي هامش د: أي: إلى ما.
[3] ر: يابني.
[4] ر: مستورًا.
[5] ن: قلبى.
[6] ر: مشور. | قائله هو أعرابي مِن بني أسد، قاله أبو تمام. المقاصد النحويّة للعيني، ١٣٠٦/٣.
[7] ر: أي.
[8] ر: قلبي.
[9] ر: مشور.
[10] ن: دعوت.
[11] ن: دعوته.
[12] ر: مشورًا.
[13] ر: قلبي.
[14] ن - لبَّيك.
[15] ر: مشور.
[16] ر: تلبيته.

فإن قلتَ: فما معنى التبعيضِ في قوله: ﴿مِن ذُنُوبِكُمْ﴾؟

قلتُ: ما علِمْتُه جاء هكذا إلَّا في خطاب الكافرين؛ كقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح ٧١/٣-٤]، ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف ٤٦/٣١]، وقال في خطاب المؤمنين: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف ٦١/١٠] إلى أن قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف ٦١/١٢]، وغيرِ ذلك مما يَقِفُك عليه الاستقراء، وكأنَّ ذلك للتَّفرقة بين الخطابَيْن، ولأنْ لا يسوَّى بين الفريقين في الميعاد.

وقيل: أُريد أن يغفر لهم ما بينهم وبينَ الله بخلافِ ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوِها.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقتٍ قد سمَّاه الله وبيَّن مقدارَه يُبلِّغكمُوه إنْ آمَنْتُم، وإلَّا عاجَلَكم بالهلاك قبل ذلك الوقت.

﴿إِنْ أَنتُمْ﴾: ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فَضْل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا، فلمَ تُخَصُّونَ بالنبوَّة دوننا، ....

وأقحَمَ قولـه: "يـدَي"؛ لأنَّ المعاوَنـة تكـون باليـد غالبًـا،[١] والمعنـى:[٢] سـمعت لَبَّـيْ[٣] مِسـورٍ[٤] مِـرارًا.

قوله: (وغيرَ ذلك) عطفٌ على قوله: (﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ [الصف ٦١/١٠])... إلخ، كأنَّه قال: وقال غيرَ ذلك، أي: قولًا غير ذلك القول.

قوله: (إلى وقتٍ قد سمَّاه)... إلخ فسَّر قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ثمّ فسَّر قوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾... إلخ بقوله: (يُبَلِّغكُموه)، أي: يبلِّغكم الأجل[٥] المسمّى[٦] إن آمنتم،[٧] وإن[٨] لا تؤمنوا عاجَلَكم.

---

١ ن: غالب.
٢ ن: أو المعنى.
٣ ر: أبي.
٤ د: مسورا.
٥ ر ن: لأجل.
٦ ن: مسمّى.
٧ ن: أنتم.
٨ ن: أو.

ولو أرسل اللهُ إلى البشر رسلًا لجعلهم من جنسٍ أفضلَ منهم وهم الملائكة.

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجةٍ بيِّنةٍ، وقد جاءتهم رسلُهم بالبينات والحججِ وإنما أرادوا بالسلطان المبين آيةً قد اقترحوها تعنُّتًا ولَجاجًا.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ تسليمٌ لقولهم وأنهم بشرٌ مثلُهم، يعنون: أنهم مثلُهم في البشريَّة وحدها، فأمَّا ما وراء ذلك فما كانوا مثلَهم؛ ولكنَّهم لم يذكروا فضلَهم تواضعًا منهم واقتصروا على قولهم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوَّة؛ لأنه قد عُلم أنه لا يختصُّهم بتلك الكرامة إلَّا وهم أهلٌ لاختصاصهم بها؛ لخصائصَ فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترَحْتُموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا، وما هو إلَّا أمرٌ يتعلَّق بمشيئة الله تعالى.

قوله: (مِن جنسٍ أفضلَ) الوجه في "جنسٍ" تركُ التنوين، كأنّه قال: مِن جنسِ[١] مخلوقٍ[٢] أفضلَ مِن البشر، ولو كان[٣] في "جِنسٍ" تنوين لكان أفضلَ مِن جنسهم.[٤]

قوله: (وقد جاءتْهم رسلهم) هذا ابتداء كلام مِن المصنّف لبيان عِناد الكفّار في هذا السؤال.

قوله: (يَعنُون) الأنبياء.

---

[١] ر ن - (أفضل) الوجه في "جِنسٍ" ترك التنوين، كأنّه قال: مِن جنسِ.

[٢] ر: محلوف.

[٣] ر + ولو كان.

[٤] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ يحتمل أن تكون "ما" مصدريّة، أي: على إيذائكم إيّانا، ويحتمل أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي: على الفعل الذي آذيتمونا به. هذا دليل جواز حذف الجارّ والمجرور.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرٌ منهم للمؤمنين كافةً بالتوكُّل، وقَصدوا به أنفسهم قصدًا أوَّليًا وأمروها به؛ كأنهم قالوا: ومِن حقِّنا أن نتوكَّل على الله في الصبر على معانَدَتِكم ومُعاداتِكم وما يجري علينا منكم، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ومعناه: وأيُّ عذرٍ لنا في أنْ لا نتوكَّلَ عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾ وقد فَعَل بنا ما يوجِبُ توكُّلَنا عليه؟ وهو التوفيقُ لهداية كلٍّ واحد منا سبيلَه الذي يجب عليه سلوكُه في الدِّين.

فإن قلتَ: كيف كُرِّر الأمرُ بالتوكُّل؟

قوله: (وقصدوا به أنفسَهم)... إلخ "الواو" في "وقصدوا" للحال،[١] كأنّه قال: أمروا قاصدين.[٢]

قوله: (كأنّهم قالوا: مِن حقِّنا أن نتوكّلَ على الله) أرادوا: على الله فلنتوكّل،[٣] قد وضع ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ موضِعَه.

قوله: (ألا ترى)[٤] يريد أنّ قولَه: ﴿وَمَا لَنَا﴾... إلخ دلّ على أنّهم قصدوا به[٥] أنفسَهم.

قوله: (وهو التوفيق) فسّرَ الهدايةَ بالتوفيق كما هو مذهبه؛ لأنّه قال في تفسير ﴿هَدَىٰنَا﴾: (فعَل بنا ما يُوجِب)، وفسّر "ما يوجب" بالتوفيق، فكأنّه قال: فعَل بنا التوفيقَ،[٦] أي: وفّقنا. واللام في (لهدايةِ) متعلّق بـ"التوفيق"،[٧] وهو مشكِل، ولو قال: لاهْتداء لَكان أظهَر؛ لأنّه تعالى وفّقهم لاهتداء السبيل، لا لهداية[٨] السبيل، فتأمّل في معنى الآية سواء كان على مذهبه أو على مذهبنا، فإنّ[٩] الله تعالى يوفّق للاهتداء الذي هو فِعلُنا، لا للهداية[١٠] التي هي فعلُه، والحمد لله على التوفيق.

---

١ ر: الحال.

٢ ر: فاصدين.

٣ ر ن: فليتوكّل.

٤ ن: نرى.

٥ ر: يه.

٦ ر: النوفيق.

٧ ر: بالنوفيق؛ ن + فكأنّه قال: فعل بنا التوفيق، أي: وفّقنا. و"اللام" في (لهداية) متعلّق بـ"التوفيق".

٨ ر ن: لهدايته.

٩ ر ن: قال.

١٠ ر ن: لهداية.

قلتُ: الأولُ لاستحداثِ التوكُّل، وقولُه: ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ معناه: فلْيَثْبُتِ المتوكِّلون على ما استَحْدَثوا من توكُّلهم، وقصدُهم إلى أنفسهم على ما تقدَّم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾

﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم...أَوۡ لَتَعُودُنَّ﴾: ليكونَنَّ أحدُ الأمرين لا مَحالةَ: إمَّا إخراجُكم وإمَّا عودُكم حَالفين على ذلك.

فإن قلتَ: كأنهم كانوا على مِلَّتهم حتى يعودُوا فيها؟

قلتُ: معاذَ الله؛ ولكنَّ العودَ بمعنى الصيرورةِ، وهو كثيرٌ في كلام العرب كثرةً فاشيةً؛ لا تكاد تسمعُهم يستعملون "صار" ولكنْ "عاد": "ما عُدتُ أراهُ"، "عادَ لا يكلِّمني"، "ما عادَ لفلان مالٌ".

قوله: (قلتُ: الأوّل لاستحداث)...[١] إلخ ويجوز أن يقال: الأوّل لاقتراحهم الآيات تعنّتًا ولِعنادهم. والثاني لإيذائهم،[٢] يدلّ عليه ما ذكر عليه قبل التوكُّلَين،[٣] والله أعلم. وأمّا الذي ذكره المصنّف فمعنًى لطيف؛ لأنّه إذا قيل للمتوكّل: توكّل، يكون معناه: اثْبُتْ[٤] على توكُّلِك، فكأنّهم قالوا أوّلًا: حقّنا التوكّل، ثمّ قالوا ثانيًا: حقّنا[٥] أن نَثْبُتَ[٦] على هذا التوكّل؛ لأنّ مَن توكّل على الله[٧] فحقُّه أن يَثْبُت[٨] على توكُّله.

قوله: (حالِفين)[٩] أي: قالوه[١٠] حالِفين؛[١١] لأنّ "اللام"[١٢] في ﴿لَنُخۡرِجَنَّكُم﴾ لام القسَم.

---

[١] ر: لاستحدات.
[٢] ر ن: لإيذانهم.
[٣] ر: المتوكلين.
[٤] ر: أنيت.
[٥] ر – حقّنا.
[٦] ر: يتبت.
[٧] ر – الله.
[٨] ر: ينبت.
[٩] ر ن: خالقين.
[١٠] ر: قالوا.
[١١] ر ن: خالقين.
[١٢] ن: الكلام.

أو خاطبوا به كلَّ رسولٍ ومَن آمن به، فغلَّبوا في الخطاب الجماعةَ على الواحد.

﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حكايةٌ تقتضي إضمارَ القول، أو إجْرَاء الإيحَاء مُجرى القول؛ لأنه ضربٌ منه.

وقرأ أبو حيوةَ: "ليُهلِكَنَّ... وليُسكِنَنَّكم" بالياء اعتبارًا لـ"أوحَى"، وأَنَّ لفظَه لفظُ الغيبة، ونحوُه قولُك: "أَقْسَم زيدٌ ليَخرجَنَّ" و: "لأَخْرُجَنَّ".

والمراد بالأرض: أرضُ الظالمين وديارُهم، ونحوُه قولُه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف ١٣٧/٧]، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ﴾ [الأحزاب ٢٧/٣٣].

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن آذى جارَه ورَّثَه الله دارَه».

ولقد عاينتُ هذا في مدَّةٍ قريبةٍ: كان لي خالٌ يَظلِمه عظيمُ القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه، فمات ذلك العظيمُ وملَّكني اللهُ ضَيْعتَه، فنظرتُ يومًا إلى أبناء خالي يتردَّدون فيها ويدخلون في دُورها ويَخرجون ويأمرون ويَنهَون، فذكرتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَدَّثْتُهم به وسجَدْنا شكرًا لله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما قضَى به الله من إهلاكِ الظالمين وإسكانِ المؤمنين ديارَهم؛ أي: ذلك الأمرُ حقٌّ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾: مَوْقفي، وهو موقفُ الحساب؛ لأنه موقفُ الله الذي يقفُ فيه عبادَه يوم القيامة، أو على إقحام المقام.

قوله: (أي: ذلك الأمر حقّ) أي: ثابت[1] حاصل، مِن حَقَّ يَحِقّ؛[2] إذا ثَبتَ.[3]

[٤٣ظ] فمتعلَّق "اللام" هنا أمر عامّ؛ فلذلك حذف، كما في قولك: زيد / في الدار.

قوله: (لأنه موقف) "لأنّه" متعلّق بمحذوف، أي: أضيفَ المقام إلى ضميره تعالى لأنّه...

قوله: (أو على إقحام) عطفٌ على (موقِفي)،[4] والتقدير: معناه: موقِفِي،[5]

---

[1] ر: تابت.
[2] ر: بحق.
[3] ر: تبت.
[4] ن: موفقي.
[5] ن: موفقي.

وقيل: خاف قيامِي عليه وحفظي لأعماله، والمعنى: إنَّ ذلك حقٌّ للمتقين كقوله: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ۝١٧﴾

﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ﴾: واستنصَروا الله على أعدائهم: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ﴾ [الأنفال ١٩/٨].

أو: استَحْكَموا اللهَ وسألوا القضاء بينهم، من الفُتاحةِ وهي الحكومةُ؛ كقوله: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف ٨٩/٧].

وهو معطوفٌ على "أوحَى إليهم".

أو هو على إقْحام، فيكون المعنى: لِمَن خافَني.[١]

قوله: (وقيل: خاف قيامي)[٢] مِن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [الرعد ٣٣/١٣].

قوله: (والمعنى: أنّ ذلك حقّ للمتّقين) وهم الذين يخافون مقامَه.[٣]

قوله: (واستَنْصَروا) أي: الأنبياء.

قوله: (﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ﴾ [الأنفال ١٩/٨]) استشهاد.

قوله: (أو استحكَموا) أي: سألوا اللهَ الحُكم.

---

[١] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي﴾ ذكر ثلاثة أوجه؛ على الأوّل: مِن قَبيل ذكر العامّ وإرادة الخاصّ؛ لأنّ المَقام موضع القيام أعمّ مِن أن يوقف فيه أو لا، بخلاف المَوقف، وعلى الثاني: مَجاز بالنقصان، وعلى الثالث: أيضًا مَجاز مِن قَبيل ذِكر الملزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ القيام لأجل الشيء مستلزم لحفظه، ويحتمل أن يكون بالعكس؛ لأنّ الحفظ مستلزم للقيام إليه، وفيه نظر؛ لأنّ إرادة الحفظ مستلزمة للقيام، لا نفس الحفظ؛ بل القيام لأجل الشيء مستلزِم لحفظه.

[٢] ر: قيافي.

[٣] هذه الحاشية وقعت في الأصول الخطّيّة متأخّرة، وقدّمتها لتوافق مَوردها في الكشّاف.

وقرئ: "واستفتِحوا" بلفظ الأمر، وعطفُه على ﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾؛ أي: أوحى إليهم ربُّهم وقال لهم: ﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾ وقال لهم: "استَفْتِحوا".

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معناه: فنُصِروا وظَفِروا وأَفلَحوا وخابَ كلُّ جبَّار عنيدٍ وهم قومُهم.

وقيل: واستفتَحَ الكفارُ على الرسل ظنًّا منهم بأنهم على الحقِّ والرسلُ على الباطل، وخابَ كلُّ جبَّارٍ عنيدٍ منهم ولم يُفْلِحْ باستفتاحه.

﴿مِن وَرَآبِهِۦ﴾: من بين يديه، قال:

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه ... يكون وراءَه فَرَجٌ قريبٌ

قوله: (وعطفُهُ) ويجوز[1] "وعطفِهِ" بالكسر عَطفًا على لفظ الأمر. وأمّا بالرفع فجملة مستأنفة.

قوله: (وقيل: واستفتَح الكُفّار) أي: الضمير في ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾[2] يكون عائدًا إلى الكفّار، فلا يحتاج إلى تقدير معطوف عليه محذوف لقوله: ﴿خَابَ﴾؛ بل يكون معطوفًا على ﴿ٱسْتَفْتَحُواْ﴾، وعلى الأوّل[3] كان الضمير في ﴿ٱسْتَفْتَحُواْ﴾ للرسل، فاحتيج إلى الإضمار المذكور.

قوله:

(عَسَى[4] الهَمُّ[5] الذي أمسيتَ فيه)[6]

صحّ "أمسَيْتَ" على لفظ الخطاب؛ لأنّ الشاعر يُبَشِّرُ رجلًا مَحزونًا بالفرَج، وزوالِ الحُزن، وقُربِ انكشافِه.[7]

---

[1] ر: ويجوز.

[2] ر ن - في ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾.

[3] ن: الا.

[4] ر: على.

[5] وفي هامش د: الكَرْبُ.

[6] لهُدبة بن خَشرم في ديوانه، ص ٥٩، بلفظ: "عسى الكَرْبُ"...

[7] وفي هامش د: قوله: (وهذا وصف حاله)... إلخ فعلى هذا قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآبِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ مَجاز؛ جعل غير الواقع كالواقع، فيكون مِن قَبيل استعارة الموجود للمعدوم بجامع التحقّق. وعلى الوجه الثاني: حقيقة. قوله: (كأنّ أسباب الموت)... إلخ فعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ استعارة تمثيليّة؛ شبّه حالهم في اجتماع الآلام لهم بحال مَن اجتمعت عليه أسباب الموت، وأحاطَت به مِن جميع الجهات، واستعمل فيه ما يستعمل فيه، وكذا على الوجه الثاني والثالث.

وهذا وصفُ حاله وهو في الدنيا؛ لأنه مُرْصَدٌ لجهنَّم؛ فكأنها بين يديه وهو على شفيرها، أو وصفُ حاله في الآخرة حين يُبعَثُ ويوقَف.

فإن قلتَ: علامَ عُطف ﴿وَيُسْقَىٰ﴾؟

قلتُ: على محذوفٍ تقديره: من ورائه جهنَّم يَلْقَى فيها ما يَلْقَى ويُسقَى من ماءٍ صديدٍ؛ كأنَّه أشدُّ عذابها فخُصِّص بالذكر مع قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.

فإن قلتَ: ما وجهُ قوله: ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾؟

قلتُ: ﴿صَدِيدٍ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿مَآءٍ﴾؛ لأنه قال: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ﴾ فأبهمه إبهامًا ثم بيَّنه بقوله: ﴿صَدِيدٍ﴾، وهو ما يسيلُ من جلود أهل النار.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلَّفُ جَرْعَه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ دخل "كاد" للمبالغة، يعني: ولا يقارِبُ أن يُسيغَه، فكيف تكون الإساغةُ؟ كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور ٢٤/٤٠]؛ أي: لم يَقرُبْ من رُؤيتها فكيف يَراها؟

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ كأنَّ أسبابَ الموت وأصنافَه كلَّها قد تألَّبَتْ عليه وأحاطَتْ به من جميع الجهات تفظيعًا لِمَا يصيبه من الآلام.

وقيل: ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جَسَده حتى من إبهام رجله، وقيل: من أصلِ كلِّ شعرة.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: ومن بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾؛ أي: في كلِّ وقتٍ يستقبلُه يتلقَّى عذابًا أشدَّ مما قبله وأغلظَ.

قوله:[١] (قد تألَّبت) أي: تجمَّعَتْ. وقوله: (تفظيعًا)[٢] مفعول له، عامله[٣] محذوف، أي: قال تعالى ذلك القول تفظيعًا.[٤]

قوله: (أي: في كلِّ وقت) يشير إلى أنَّ المراد بقوله: (بين يدَيه) الأزمنة التي يتوجَّهها.[٥] وقوله: (يستَقْبِلُه)[٦] صفة "وقت".

---

١ ن – قوله.
٢ ر ن: تقطيعًا.
٣ ر ن – عامله.
٤ ر ن: تقطيعًا.
٥ ر: يتوجهما؛ ن: يتوحهما.
٦ ر: تستقبله.

وعن الفُضَيْل: هو قطعُ الأنفاس وحَبْسُها في الأجساد.

ويحتمِل أن يكون أهلُ مكّة قد استفتحوا؛ أي: استَمْطَروا، والفتحُ: المطر في سِني القَحْطِ التي أُرسلتْ عليهم بدعوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يُسقَوْا، فذكر الله سبحانَه ذلك وأنه خيَّبَ رجاءَ كلِّ جبَّار عنيدٍ، وأنه يُسقَى في جهنم بدلَ سُقْياه من ماءٍ آخَرَ وهو صديدُ أهل النار، و﴿استفتَحوا﴾ على هذا التفسيرِ كلامٌ مستأنَفٌ منقطِعٌ عن حديث الرسل وأممهم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

هو مبتدأ محذوفُ الخبر عند سيبويه تقديره: وفيما يُقَصُّ عليكم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾، والمثلُ مستعارٌ للصفة التي فيها غرابةٌ، وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ على تقديرِ سؤالِ سائلٍ يقول: كيف مَثَلُهم؟ فقيل: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾.

ويجوز أن يكون المعنى: مَثَلُ أعمال الذين كفروا بربِّهم، أو هذه الجملة خبرٌ للمبتدأ؛ أي: صفةُ الذين كفروا أعمالهم كرمادٍ؛ كقولك: "صفةُ زيد عِرضُه مَصُونٌ ومالُه مبذولٌ"، أو يكون ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ....

قوله: (ويحتمل) عطفٌ على قوله: (واستَنْصَروا اللهَ).

قوله: (هو مبتدأ) أي: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾.[١]

قوله: (ويجوز أن يكون المعنى) أي: على[٢] تقدير حذف الخبر، أي: فيما يُقَصُّ عليكم مِثل أعمال الذين كفروا، وهذا أيضًا على مذهب سيبويه.

قوله: (أو هذه الجملة) أي: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾. وقوله: (عِرضُه مَصُون) شعر:

أصـون عِـرضـي بـمـالي لا أُدَنِّـسُـه   لا بـاركَ الله بعد العِرض في المالِ[٣]

---

[١] ر ن - قوله: (هو مبتدأ) أي: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾. | وفي هامش د: قوله: (والمثل مستعار) أراد بالاستعارة اللغويّة؛ وهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لا الاصطلاحي.

[٢] ر ن: كان.

[٣] مِن قصيدة لحَيّة بن خلَف الطائي يخاطب امرأةً مِن بني شمجي بن جرم، وكانت تقول: ما لحَيّة مال. انظر: لسان العرب لابن منظور، «طبخ».

بدلًا من ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على تقدير: مثلُ أعمالهم، و﴿كَرَمَادٍ﴾ الخبرُ.

وقرئ: ﴿الرياح﴾.

﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ جُعل العصفُ لليوم وهو لِمَا فيه وهو الرِّيحُ أو الرِّياح؛ كقولك: "يومٌ ماطرٌ وليلةٌ ساكِرَةٌ"، وإنما السُّكُورُ لريحها.

وقرئ: "في يومِ عاصفٍ" بالإضافة.

وأعمالُ الكفرة المكارمَ التي كانت لهم: من صلة الأرحام، وعَتْقِ الرِّقاب، وفداء الأُسارَى، وعَقْرِ الإبل للأضياف، وإغاثةِ الملهوفين والإجارةِ، وغيرِ ذلك من صنائعهم شبَّهها في حبوطها وذهابها هباءً منثورًا ....

قوله: (على تقدير)[١] يعني: أنّ قوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بدل مِن ﴿مَثَلُ﴾، والمضاف محذوف مِن البدل، والتقدير: مَثَلُ الذين كفروا مَثَلُ أعمالهم، فإن قُدّر "أعمال" في الأوّل فهو بدل الكلّ، وإلّا فبدل الاشتمال.[٢]

قوله: (أو الرياحُ)[٣] يعني على حسَب القراءتين.[٤]

قوله: (وليلةٌ ساكرة)[٥] سَكَرَتِ[٦] الريحُ تَسكُرُ[٧] سُكُورًا؛[٨] سَكَنَتْ بعد الهُبُوب، وليلة ساكرة؛[٩] أي: ساكنة.[١٠]

قوله: (والإجارة)[١١] وهو الإدخال[١٢] في الجِوار.

قوله: (مِن صنائعهم) نحو سقي[١٣] الحاجّ.[١٤]

---

[١] ر ن + أنّ.

[٢] وفي هامش د: قوله: (وهو لما فيه) فيكون مِن قَبيل الإسناد إلى الظرف؛ لأنّ العصف للريح في اليوم، فأسند العصف الذي للريح إلى اليوم.

[٣] ن: والرياح.

[٤] قرأ نافع وأبو جعفر: ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ بالجمع، وقرأ باقي العشرة: ﴿ٱلرِّيحُ﴾ بالإفراد. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٣.

[٥] ر: شاكرة.

[٦] ر: شكرت.

[٧] ر: يشكر.

[٨] ر: شكورًا.

[٩] ر: شاكرة.

[١٠] الصحاح للجوهري، «سكر».

[١١] ن: والإجلرة.

[١٢] ر: الإدخار؛ ن: الإدحار.

[١٣] ن: سفى.

[١٤] وفي هامش د: قوله: (لا يَرون له أثرًا)... إلخ يعني: وجه الشبَه بين أعمالهم والرماد هو أنّه كما لا يُرى أثر الرماد المُطيّر كذلك لا يُرى أثر أعمالهم يوم القيامة.

-لبنائها على غير أَسَاسٍ من معرفة الله والإيمان به وكونِها لوجهه- برماد طيَّرتْهُ الرِّيح العاصفُ.

﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يومَ القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: لا يَرون له أثرًا من ثوابٍ كما لا يُقدَر من الرماد المُطيَّر في الريح على شيء.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ إشارةٌ إلى بُعدِ ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة، والغرضِ الصحيح، والأمرِ العظيم، ولم يخلُقْها عَبثًا ولا شهوةً.

وقرئ: ﴿خالقُ السماواتِ والأرضِ﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ أي: هو قادرٌ على أن يُعدِمَ الناسَ ويَخلقَ مكانهم خلقًا آخرَ على شكلهم أو على خلافِ شكلهم؛ إعلامًا منه باقتداره على إعدامِ الموجود وإيجاد المعدوم، يقدر على الشيء وجنس ضدِّه.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذِّرٍ؛ بل هو هيِّنٌ عليه يَسيرٌ؛ لأنه قادرُ الذات لا اختصاصَ له بمقدورٍ دون مقدورٍ، فإذا خَلَص له الداعي إلى شيءٍ وانتفى الصارفُ تكوَّنَ من غير توقُّفٍ؛ ....

قوله: (إعلامًا) أي: قاله إعلامًا.

قوله: (قادرُ الذات) إشارة إلى مذهبه، وهو أنّ كونه قادرًا ليس مُعَلّلًا بقدرةٍ زائدة على الذات؛ بل قدرةُ الله عندهم عين ذاته تعالى، يَعنون ليس هناك صفة قدرةٍ زائدة على الذات.[1]

---

[1] وفي هامش د: قوله: (وانتفى الصارف) الصارف بالنسبة إليه تعالى حكمته، فإنّ حكمته تقتضي أن يُوجَد الشيء أو لا يوجد.

كتحريكك إصبَعَك إذا دعاك إليه داعٍ ولم يَعترِض دونه صارفٌ.

وهذه الآيةُ بيانٌ لإبعَادهم في الضلال وعظيمِ خطئهم في الكفر بالله؛ لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة، وأنه الحقيقُ بأن يُعبدَ ويُخافَ عقابُه ويُرجَى ثوابُه في دار الجزاء.

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ﴾: ويَبْرُزون يوم القيامة، وإنما جيءَ به بلفظ الماضي؛ لأن ما أَخبر به عزَّ وعلا لصدقهِ كأنَّه قد كان ووُجد، ونحوُه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٤٤/٧]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف ٥٠/٧] ونظائرُ له.

ومعنى بروزِهم لله -والله تعالى لا يتوارى عنه شيءٌ حتى يَبْرُزَ له-: أنهم كانوا يستَتِرون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنُّون أن ذلك خافٍ على الله، فإذا كان يومُ القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلِموا أن الله لا تخفَى عليه خافيةٌ، أو خَرَجوا من قبورهم فبَرزوا لحساب الله وحُكمِهِ.

فإن قلتَ: لمَ كُتب ﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟﴾ بواو قبل الهمزة؟

قوله: (كتحريكِكَ[١] أصبعَك) هذا التشبيه بعيد عن الصواب، وكأنّه أشار به إلى مذهبه؛ وهو أنّ العبد قادر، وأنّ[٢] أفعال العباد مخلوقة لهم.[٣]

قوله: (ونظائر له) يجوز أن يقال: "ونظائر" عطفٌ على قوله: (﴿وَنَادَىٰٓ﴾ [الأعراف ٤٤/٧])، ويجوز أن يقال: "نظائر" مبتدأ خبره "له".

---

١ ن: لتحريكك.

٢ ر: فأنّ.

٣ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ﴾ الجارّ والمجرور متعلّق بقوله: ﴿بَرَزُوا۟﴾ تعلّقَ المفعول به، و﴿بَرَزُوا۟﴾ ونحوه مِن قَبيل خلاف مقتضى الظاهر، عبّر عن المستقبل بالماضي لتحقّق هذا المستقبل لصدق مُخبره، فاستُعير الموجود للمعدوم بجامع التحقّق. قوله: (ومعنى بُروزهم)... إلخ على الوجهين حقيقة؛ لكن على الأوّل بالنظر إلى اعتقادهم، وعلى الثاني بالنظر إلى الواقع.

قلتُ: كتب على لفظ مَن يُفَخِّمُ الألفَ قبل الهمزة فيُمِيلُها إلى الواو، ونَظيرُه: ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٩٧].

والضعفاء: الأتباع والعوامُّ، والذين استكبروا: سادتُهم وكُبَراؤهم الذين استتبعوهم واستغوَوْهم وصدُّوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتِّباعهم.

﴿تَبَعًا﴾: تابعين، جُمعَ تابعٌ على تَبَعٍ؛ كقولهم: خادمٌ وخَدَمٌ، وغائبٌ وغَيَبٌ، أو: ذوي تبعٍ.

والتَّبَع: الاتِّباع، يقال: تَبِعَه تَبَعًا.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين ﴿مِنۡ﴾ في ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ وبينه في ﴿مِن شَيۡءٖ﴾؟

قلتُ: الأولى للتبيين والثانيةُ للتبعيض؛ كأنه قيل: "هل أنتم مُغْنون عنَّا بعضَ الشيء الذي هو عذاب الله؟" ويجوز أن تكونا للتبعيض معًا بمعنى: هل أنتم مُغنون عنَّا بعضَ شيء هو بعضُ عذاب الله؟ أي: بعضَ بعضِ عذابِ الله.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡ﴾؟

قلتُ: الذي قال لهم الضُّعفاءُ كان توبيخًا لهم وعتابًا على استتباعهم واستغوائهم،

قوله: (قلتُ: الأُولى)... إلخ فيما ذكره المصنّف نظَر؛ لأنّه يلزم على الوجهين تقديم الحال على ذي الحال المجرور؛ لأنّ قوله: ﴿مِنۡ عَذَابِ﴾ حال مِن ﴿شَيۡءٖ﴾. والأَولى أن نقول:[١] / ﴿مِن﴾ الثانية زائدة، والأُولى للتبيين أو للتبعيض، [٤٤و]
وإذا كان الجارّ زائدًا لا يمتنع[٢] تقديم[٣] الحال على المجرور؛ إذ الزائد لا اعتدادَ[٤] به، كما لا يمنع مِن عمل ما بعده فيما قَبله.

قوله: (فإن قلتَ: فما[٥] معنى قوله: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا﴾؟) يعني: كيف صحّ جوابًا لقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾؟

قوله: (قلتُ: الذي قال لهم الضعفاء) يعني: قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾.[٦]

---

[١] ر: تقول.
[٢] ر: يمتنع.
[٣] ر: تقديم.
[٤] ن: لاعتداد.
[٥] ر ن: فيما.
[٦] ن – قوله: (قلتُ: الذي قال لهم الضعفاء) يعني قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾.

وقولُهم: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ من بابِ التبكيت؛ لأنَّهم قد علموا أنَّهم لا يقدرون على الإغناء عنهم، فأجابوهم معتذِرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدَوْهم ولم يضلُّوهم: إمَّا مُوَرِّكين الذنبَ في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم: وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام ١٤٨/٦]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل ٣٥/١٦]، يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا، ويدلُّ عليه قولُه حكايةً عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المجادلة ١٨/٥٨].

ويجوز أن يكون المعنى: لو كنَّا من أهل اللُّطف فلَطَف بنا ربُّنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان.

وقيل: معناه: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ طريقَ النجاة من العذاب ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾؛ أي: لأغنَيْنا عنكم وسلَكْنا بكم طريقَ النجاة كما سلَكْنا بكم سبيل الهلكة.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾: مستويان علينا الجزعُ والصبر، والهمزةُ و﴿أَمْ﴾ للتسوية، ونحوُه: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور ١٦/٥٢].

وروي أنهم يقولون: "تعالوا نجزَعْ"، فيجزعون خمسَ مئة عامٍ فلا ينفعهم، فيقولون: "تعالوا نَصبرْ"، فيصبرون كذلك ثم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَا﴾.

فإن قلتَ: كيف اتَّصل قولُه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَا﴾ بما قبله؟

قلتُ: اتِّصالُه من حيث إن عتابَهم لهم ....

قوله: (فأجابوهم) أي: أجابَ المتبوعونَ[1] التابعين. وقوله: (منهم إليهم) أي: مِن المتبوعين إلى التابعين.[2] وقوله: (مُورِّكين) ورَّكه إذا نَسَبَه إليه.

قوله: (ويدلّ عليه) أي: على أنّهم يقولون في الآخرة كما في الدنيا.

قوله: (قلتُ: اتّصاله به مِن حيث إنّ عِتابَهم) أي: عِتابَ التَّبَع. وقوله:[3] (له)

---

[1] ن: المتبوعين.

[2] ر ن – وقوله: (منهم إليهم) أي: مِن المتبوعين إلى التابعين.

[3] ن: قوله.

كان جزعًا مما هم فيه، فقالوا لهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ يريدون أنفسهم وإياهم؛ لاجتماعهم في عقابِ الضلالة التي كانوا مجتمِعين فيها، يقولون: ما هذا الجزعُ والتوبيخُ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمرُ من ذلك أَطَمُّ؟

أو لمّا قالوا: لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيْناكم، أَتْبَعوه الإقناطَ من النجاة فقالوا: ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: مَنجًى ومَهْرَبٍ جَزِعْنا أم صَبَرْنا.

ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعًا؛ كأنه قيل: قالوا جميعًا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ﴾؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ﴾ [يوسف ١٢/٥٢].

والمحيصُ يكون مصدرًا كالمَغيب والمَشيب، ومكانًا كالمبيت والمصِيف، ويقال: حاص عنه وجاضَ بمعنًى واحد.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾

أي: للاستِتْباع.[١] وقوله: (ممّا هم) أي: التَّبَع. وقوله: (فقالوا) أي: متبوعون.[٢]

قوله: (كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ﴾ [يوسف ١٢/٥٢]) في أنّه يجوز أن يكون مِن كلام يوسف ومِن كلام امرأة العزيز.[٣]

---

[١] ر ن: الاستباع.

[٢] ر: متبوعين.

[٣] ن: العزير. | وفي هامش د: قوله: (ولكنّه كقولك: ما تحيّتهم إلّا الضربُ) يعني قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ استثناء مِن غير الجنس كما في هذه الصورة، وليس مقصوده أنّه مِن قَبيل الاستعارة التهكميّة. ونحو قوله:

تحيّةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ

يحتمل أن يكون استعارة مكنيّة، ويحتمل أن يكون مُصرّحة. | قوله: (فإن قلتَ: قول الشيطان)... إلخ يعني: قول الشيطان -وهو ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾- لا يصحّ التعلّق به وجعلُه دليلًا على أنّ الأفعال بقدرة العبد وباختياره. وحاصل جوابه: أنّ قول الشيطان وإن كان باطلًا؛ لكن هذا القول منه بالخصوص حقّ ليس بباطل؛ لأنّه لو كان باطلًا لبيّن الله تعالى بطلانَه، وأُنكر عليه في القرآن الكريم. وأيضًا لا فائدةَ في ذلك اليوم في النطق بالباطل، وكلّ كلامه في ذلك اليوم حقّ وصدق.

﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: لمّا قُطع الأمرُ وفُرغ منه وهو الحساب وتصادُرُ الفَريقين ودخولُ أحدهما الجنة والآخرِ النارَ، روي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبًا في الأشقياء من الجنّ والإنس فيقول ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو البعثُ والجزاء على الأعمال فوفَى لكم بما وعَدَكم ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ خلافَ ذلك. ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾: من تسلُّطٍ وقهرٍ فأَقسِرَكم على الكفر والمعاصي وأُلجئَكم إليها ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾: إلّا دُعائي إيّاكم إلى الضَّلالة بوَسْوستي وتزييني.

وليس الدعاءُ من جنس السلطان؛ ولكنه كقولك: "ما تحيَّتُهم إلّا الضربُ".

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ حيث اغترَرْتُم بي وأطعْتُموني إذ دعوتُكم ولم تُطيعوا ربَّكم إذ دعاكم، وهذا دليلٌ على أن الإنسان هو الذي يختارُ الشقاوة أو السعادةَ ويُحصِّلُها لنفسه، وليس من الله إلّا التمكينُ، ولا من الشيطان إلّا التزيين، ولو كان الأمرُ كما تزعم المُجْبِرة لقال: فلا تلوموني ولا أنفسَكم فإن الله قد قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه.

فإن قلتَ: قولُ الشيطان باطلٌ لا يصح التعلُّق به.

قلتُ: لو كان هذا القولُ منه باطلًا لبيَّنَ الله بطلانه وأظهرَ إنكارَه، على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ كيف أتى فيه بالحق والصدق، وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ وهو مثلُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الحجر ٤٢/١٥].

قوله: (قلتُ: لو كان قوله) على أنّه بمعنى "مع". وقوله: (لا طائلَ)[١] يريد: إنّما يقول الباطلَ في الدنيا ليُغويَ الناس بباطله، وأمّا في الآخرة فليس له غرض[٢] في القول الباطل.

---

[١] ر ن: طائر.

[٢] ن: عرض.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾: لا يُنجِي بعضُنا بعضًا من عذاب الله ولا يُغيثُهُ، والإصراخ: الإغاثةُ، وقرئ: ﴿بمُصرخيِّ﴾ بكسر الياء، وهي ضعيفةٌ، واستُشْهِد لها ببيتٍ مجهول:

قـال لـها هـل لـكِ يـا تـا فِـيِّ   قـالـت لـه مـا أنـتَ بـالـمُـرضـيِّ

وكأنّه قدَّر ياء الإضافة ساكنةً وقبلها ياءٌ ساكنةٌ فحرَّكها بالكسر لِمَا عليه أصلُ التقاء الساكنين؛ ولكنه غيرُ صحيح؛ لأن ياء الإضافة لا تكون إلّا مفتوحةً حيث قبلها ألفٌ في نحو "عصايَ" فما بالُها وقبلها ياء؟

فإن قلتَ: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام؛ فكأنَّها ياء وقعت ساكنةً بعد حرفٍ صحيح ساكنٍ فحرِّكت بالكسر على الأصل.

قوله:

(قـال لهـا: هـل لـك يـا تـا فـيِّ   قالـت لـه: مـا أنـت بالمَرضِـيِّ)[١]

"تا"[٢] إشارة، أي: هل لكِ رغبةٌ فيَّ يا هذه.[٣]

---

١ مِن أرجوزة للأغلَب العجلي. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ٤/٤٣١.

٢ ر: يا.

٣ وفي هامش د: (فكأنّه قدّر "ياء" الإضافة)... إلخ حاصله: أنّه وجّه قولَ مَن كسر ياء الإضافة في نحو: ﴿مُصْرِخِيِّ﴾ بأنّه قدّر ياء الإضافة ساكنة، وقبلها ياء ساكنة، فحرّكها بالكسر على أصل التقاء الساكنَين. وضُعّف وزُيّف هذا التوجيه بأنّ ياء الإضافة مع الألف تكون مفتوحة، فمع الياء بطريق الأولى؛ لأنّه أثقل مِن الألف. ثمّ أورد مِن جهة ذاك القائل أنّ الياء الأولى بمنزلة الحرف الصحيح لأجل الإدغام، فيكون المانع -وهو وقوع ياء الإضافة بعد حرف العلّة- منتفيًا، فحينئذٍ كأنّ ياء الإضافة تكون واقعة بعد حرف صحيح، وهي ساكن وقبلها ساكن فحرّك بالكسر على أصل التقاء الساكنين. ثمّ أجاب عن هذا بأنّ هذا قياس حسَنٌ؛ لكنّ القياس بالنسبة إلى ما هو بمنزلة الخبر المتواتر ضعيف ليس بمعتدّ به فلا يعمل بالقياس، أي: إذا تعارض وما هو بمنزلة الخبر المتواتر يُرجّح ما هو بمنزلة المتواتر على القياس. وإنّما لم يُحرّك الأوّل في مثل: ﴿مُصْرِخِيِّ﴾ لئلّا يلزم فكّ الإدغام، يعني: هنا مانع مِن تحريك الأوّل؛ لأنّه مع المدغَم فيه بمنزلة الحرف الواحد، والمدغَم فيه متحرّك، فكأنّ المدغَم أيضًا متحرّك؛ لأنّهما صارا بمنزلة حرف واحد، فيكون بمنزلة الحرف الصحيح في احتمال الحركات، وهذا قريب من قولهم: "دلو وظبي" جارٍ مَجرى الصحيح إذا كان حرف العلّة متحرّكًا أو ما قبله ساكنًا يُلحقُونه بالصحيح.

قلتُ: هذا قياسٌ حسنٌ؛ ولكنَّ الاستعمال المستفيضَ الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر ....

قوله: (بمنزلة الخبر المتواتر) هذا الذي ذكره المصنّف طعن في القراءة المتواترة، وهو غيرُ سائغ؛[١] لأنّ القراءة إذا ثَبَتَتْ ويكون له وجه في قياس[٢] العربيّة يكون[٣] الطَّعْنُ فيه خطأً فاحشًا، وجريمةً[٤] قبيحةً. قال أبو عليّ الفارسي رحمه الله[٥] في **الحُجّة**:[٦]

حَرَكَ[٧] حَمزةُ[٨] الياءَ الثانية مِن ﴿مُصْرِخِيَّ﴾ بالكسرة، والباقون بالفتح.[٩]

ثمّ قال: قال[١٠] الحسن: قال الفرّاء في كتابه **التصريف**: «هو[١١] قراءة الأعمش ويحيى بن[١٢] وثّاب».[١٣] قال: «وزَعَم القاسم[١٤] بن مَعْن أنّه صواب». قال: «وكان ثِقةً بصيرًا، وزَعَم قُطرب أنّه لغة في بني يَربُوعَ يزيدون[١٥] على ياء الإضافة ياءً»، وأنشد:

ماضٍ إذا ما هَمَّ بالمُضِيِّ قال لها: هل لكِ يا تا[١٦] فِيِّ

وأنشد الفرّاء[١٧] ذلك أيضًا. ووجه ذلك مِن القياس أنّ الياء ليستْ تخلو مِن أن تكون[١٨] في موضع نصب[١٩] أو جرّ، فالياء في النصب والجرّ كالهاء فيهما، وكالكاف في "أكرَمتُك"،[٢٠] و"هذا لك"، فكما أنّ الهاء قد لحقَتْها الزيادة في "هذا[٢١] لَهُو"،[٢٢] ولحِق أيضًا الكافَ الزيادةُ في قول مَن قال: "أعطَيتُكاه، وأعْطَيتُكِيه"[٢٣] فيما حكاه سيبويه، وهما[٢٤]

---

[١] ر: شائع.
[٢] ن: فياس.
[٣] ن: يقول.
[٤] ر: وحريمة.
[٥] د – رحمه الله.
[٦] ر + من.
[٧] ن: جرّل.
[٨] ر: همرة.
[٩] انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٨.
[١٠] ن – قال.
[١١] ر: من.
[١٢] ن: ابن.
[١٣] ر: وتاب.
[١٤] ن: الغاسم.
[١٥] ر: يريدون.
[١٦] ر: قا.
[١٧] ر ن: القرا.
[١٨] ر: يكون.
[١٩] ر: نصيب.
[٢٠] في مطبوع الحجّة: "أكبر منك".
[٢١] وفي هامش د: مبتدأ.
[٢٢] وفي هامش د: خبره.
[٢٣] ن: وأعطينكيه.
[٢٤] ر – وهما.

....

أُختا[1] الياء، كذلك[2] ألحقوا الياء الزائدة[3] في المدِّ فقالوا: "فِيّ"، ثمّ حُذفت الياء الزائدة كما حُذفت الزيادة مِن الهاء في قول مَن قال:

لَـــــــــهُ أرَقـــــــــانّ[4]

والأرَقان: لغة في يَرقان.[5]

وزعم أبو الحسن[6] أنّها لغة، وكما حُذفت الزيادة مِن الكاف في قول مَن قال: أعطَيتُكَهُ وأعطيتُكِهِ، كذلك[7] حُذِفت الياء اللاحقة[8] للياء، وأُقِرَّتْ الكسرةُ التي كانت تَلِي[9] الياء المحذوفة، فبَقِيَت الياءُ[10] على ما كانت عليه مِن الكسرة،[11] وكما لحقتْ الكافَ والهاءَ والياءَ الزيادةُ[12] / كذلك لَحِقَ التاءَ[13] الزيادةُ بإلحاق الياءِ الزائدة، نحو ما أنشدَه[14] مِن قول الشاعر: [٤٤ظ]

رَمَـيـتِـيـهِ فـأصـمَـيْـتِ[15] وما أخـطـأتِ الـرمـيَـة[16]

وإذا كانت الكسرة في الياء[17] على هذه اللغة -وإن كان غيرها أفشى[18] منها-

---

[1] ن: احتاء.

[2] ن: لذلك.

[3] ر: الذائدة.

[4] كذا في د: "لَهُ أرَقانٌ" بضَمّ الهاء وفتح الراء ورفع النون، وشرَحه المؤلّف بقوله: "والأرَقان: لغة في يَرَقان". وهو في مطبوع الحجّة وغيرها مِن المصادر: "لَهْ أرِقانِ" بإسكان الهاء وكسر الراء والنون، قال البغدادي: «وهو مثنّى أرِقٍ بكسر الراء، وهو وصفٌ مِن الأرَق بفتحها بمعنى السهَر». وهو قطعة مِن بيت ليَعلى الأحوَل الأزدي، أوّله:

فظَلْتُ لدَى البيتِ العتيقِ أُخِيلُهُو
ومِـطْـوايَ مُـشـتـاقـان لَـهْ أرِقـانِ

قال ابن جنّي: «جمع بين اللغتين، يعني إثبات الواو في 'أُخِيلُهُو' وإسكان الهاء في 'لَهْ'، وليس إسكان الهاء في 'لَهْ' عن حذفِ لحقَ الكلمةَ بالصنعة، وهذا في لغة أزد السّراة كثير». انظر: الخصائص لابن جنّي، ٣٧١/١؛ ولسان العرب لابن منظور، «ها»؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٢٧٥/٥.

[5] ر: برقان. | قوله: "والأرَقان: لغة في يَرقان" ليس مِن الحجّة. وفي الصحاح للجوهري، «يرق»: «اليَرَقان مِثل الأرَقان، وهو آفَة تصيب الزرعَ، وداءٌ يصيب الناس».

[6] د: الحسين.

[7] ن: لذلك.

[8] ن: للاحقة.

[9] ر: على.

[10] ر: التاء.

[11] ر ن: الكسر.

[12] ن: الزائدة.

[13] ن: الناء.

[14] ر: الشدة.

[15] ر: فأضميت. | أَصْمَيْتُ الصيدَ؛ إذا رمَيته فقتلته وأنت تراه. الصحاح للجوهري، «صما».

[16] انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ٢٦٨/٥.

[17] ر: البا.

[18] ن: أفسى.

تتضاءلُ إليه القياسات.

"ما" في ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ مصدريةٌ و﴿مِن قَبۡلُ﴾ متعلِّق بـ﴿أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾، يعني: كفرتُ اليومَ بإشراككم إيايَ من قبلِ هذا اليومِ؛ أي: في الدنيا؛ كقوله: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾ [فاطر ١٤/٣٥].

ومعنى كفره بإِشْراكهم إيَّاه: تَبرُّؤه منه واستنكارُه له؛ كقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠].

وقيل: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ يتعلَّق بـ﴿كَفَرۡتُ﴾، و"ما" موصولةٌ؛ أي: كفرتُ من قبل حين أبيتُ السجودَ لآدم بالذي أشركتُمونيهِ وهو الله عزَّ وجل، تقول: "شرِكتُ زيدًا" فإذا نقلْتَ بالهمزة قلتَ: "أشرَكنيهِ فلانٌ"؛ أي: جعلني له شريكًا، ونحوُ "ما" هذه "ما" في قولهم: "سبحان ما سخَّركنَّ لنا".

ومعنى إشراكِهم الشيطانَ بالله: طاعتُهم له فيما كان يُزيِّنه لهم من عبادة الأوثان وغيرِها، وهذا آخِرُ قول إبليس، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قولُ الله عزَّ وجلَّ، ويحتمِلُ أن يكون من جملةِ قولِ إبليس.

وعَضَدَه القياسُ على ما ذكرنا لم يَجُز[1] لقائل أن يقول: إنّ القراءة[2] بذلك لَحنٌ؛ لاستفاضةِ[3] ذلك في السماع والقياس، وما كان كذلك لا يكون لَحنًا.[4]

جميع ذلك ذكره في الحجّة أبو عليّ رحمة[5] الله تعالى عليه.[6]

وقوله: (تَتضاءلُ)[7] الضَّئيل:[8] الضعيف.

قوله: (ونحو "ما" هذه) أي: "ما" هذه تُستعمل في أُولي العلم، كما في قولهم: "سبحانَ ما[9] سخَّركُنَّ لنا"؛ لأنّها مُبهَمة.

---

١ ر: بجز.
٢ ر: القران.
٣ ر: لاستة اضة.
٤ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٣٠/٥.
٥ ر: رحمه.
٦ د – رحمة الله تعالى عليه؛ ر – عليه.
٧ ر: تتصال.
٨ ر: الضليل؛ ن: الضبيل.
٩ ر ن: من.

وإنما حكَى الله عزَّ وجل ما سيقوله في ذلك الوقتِ ليكون لطفًا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعدادِ لِمَا لا بدَّ لهم من الوصول إليه، وأن يتصوَّروا في أنفسهم ذلك المقامَ الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يُخلِّصهم منه ويُنجِّيهم.

وقرئ: "فلا يلوموني" بالياء على طريقة الالتفات؛ كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس ١٠/٢٢].

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: "وأُدخِلُ الذين آمنوا" على فعلِ المتكلِّم بمعنى: وأُدْخِلُ أنا، وهذا دليلٌ على أنه مِن قول الله لا مِن قول إبليس.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلِّق بـ﴿وَأُدْخِلَ﴾؛ أي: أدخلَتْهم الملائكةُ الجنَّة بإذن الله وأمره.

فإن قلتَ: فبِمَ يتعلَّق في القراءة الأخرى، وقولُك: "وأُدخِلُهم أنا بإذن ربِّهم" كلامٌ غيرُ مُلتئم؟

قلتُ: الوجهُ في هذه القراءة أن يتعلَّق قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بما بعده؛ أي: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ بإذن ربهم، يعني: أن الملائكة يحيُّونهم بإذن ربِّهم.

قوله: (فإن قلتَ: فبِمَ[1] يتعلَّق؟) يعني: لو قال الله تعالى: "وأُدخِلُهم أنا بإذن ربّهم" لا يستقيم معناه؛ إذ يصير المعنى: أدخِلُهم بإذني، ولا وجهَ له. ويَحتمل أن يقال: له وجه صحيح، وهو أنّه تعالى لمّا أرسل الرسل وأنزل الكتب ووفّق للقبول والعمل جعل ذلك إذنًا[2] منه تعالى، فقال: أُدخِلُهم بسبب الإذن الذي أذِنتُهم، ففيه التِفات.[3]

---

[1] ر ن: فيم.

[2] ر ن: أدنى.

[3] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: ألم تعلم جوابَ هذا الاستفهام؟ فجملة ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ في محلّ النصب بأنّها مفعول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ويكون الفعل معلّقًا لوجود أداة الاستفهام، وقوله: ﴿مَثَلًا﴾ المراد بالمَثل هنا اللغوي، أي: قال الله تعالى: ﴿مَثَلًا﴾ يعني: شبّه بشيء، وهو قوله تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾

قرئ: "لم تَرْ" ساكنة الراء كما قرئ: "مَن يتقْ"، وفيه ضعفٌ.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: اعتمدَ مثلًا ووضعَه.

و﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ نصبٌ بمضمَرٍ؛ أي: جَعَل كلمةً طيِّبةً ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو تفسيرٌ لقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾؛ كقولك: "شرَّف الأميرُ زيدًا كساه حُلةً وحَمَله على فرس".

ويجوز أن ينتصِب ﴿مَثَلًا﴾ و﴿كَلِمَةً﴾ بـ﴿ضَرَبَ﴾؛ أي: ضَربَ كلمةً طيبةً مَثَلًا، بمعنى: جعلها مثلًا، ثم قال: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ على أنها خبرُ مبتدأ محذوف بمعنى: هي كشجرةٍ طيبة.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يعني: في الأرض ضاربٌ بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا﴾: وأعلاها ورأسُها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، ويجوز أن يريد: وفروعُها، على الاكتفاء بلفظ الجنس.

وقرأ أنس بن مالك: "كشجرةٍ طيبةٍ ثابتٍ أصلُها".

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين القراءتين؟

قلتُ: قراءةُ الجماعة أقوى معنًى؛ لأن في قراءة أنس ....

قوله: (اعتَمدَ مَثَلًا) أي: قَصَدَه، يعني: فَعلَه وجَعله.

قوله: (على أنّها خبر مبتدأ محذوف) هذا[1] على الوجه الثاني.

قوله: (ويجوز أن يريد: وفروعها) يعني: يجوز أن يكون المراد بالفَرع الأعلى، فيكون إفرادها ظاهرًا،[2] ويجوز أن يكون المراد به الفروعَ، أي: الأغصان، وكان قياسُه الجَمْعَ؛ لكن اكتفى[3] باسم الجنس عن الجمع.

قوله: (قلتُ: قراءة الجماعة)... إلخ يعني أنّ قوله: ﴿ثَابِتٌ﴾ متعلّق

---

[1] ر – هذا.

[2] ن: طاهرًا.

[3] ن: التفى.

أُجريت الصفةُ على الشجرة، وإذا قلتَ: "مررتُ برجلٍ أبوه قائمٌ" فهو أقوى معنًى من قولك: "مررتُ برجلٍ قائمٍ أبوه"؛ لأن المخبَر عنه إنما هو الأبُ لا رجل.

والكلمة الطيِّبة: كلمة التوحيد.

وقيل: كلُّ كلمةٍ حسنةٍ كالتسبيحةِ والتحميدةِ والاستغفار والتوبة والدعوة.

وعن ابن عبَّاس: شهادةُ أنْ لا إله إلّا الله.

وأما الشجرةُ فكلُّ شجرةٍ مثمرةٍ طيِّبةِ الثمار كالنخلةِ وشجرةِ التِّين والعِنَب والرُّمَّان وغيرِ ذلك.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاتَ يوم: «إن الله ضرب مثلَ المؤمن شجرةً فأخبِروني ما هي؟» فوقع الناسُ في شجر البوادي، وكنت صبيًّا فوقع في قلبي أنها النخلة، فهِبْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ أقولها وأنا أصغرُ القوم -وروي: فمنعني مكانُ عمرَ- ....

مِن حيث المعنى بقوله: ﴿أَصْلُهَا﴾، لا بقوله: ﴿شَجَرَةٍ﴾؛ لأنَّ المحكوم[1] عليه بالثبوت[2] إنّما هو ﴿أَصْلُهَا﴾، لا ﴿شَجَرَةٍ﴾، وإذا كان متعلِّقًا به مِن حيث المعنى فتعليقه به مِن حيث اللفظ بأن يُجعل مرفوعًا ليكون خبرَه أولى مِن تعليقه بـ﴿شَجَرَةٍ﴾ وجعلِه مجرورًا تابِعًا لها. وهذا دقيقة متعلّقة بالبلاغة.[3]

قوله: (وأنا أصغر)[4] كالبيان لقوله: (فَهِبْتُ)، أو هو وجه آخر لبيان الامتناع عن الجواب.

قوله: (مكانُ عُمر) أي: تمكّنُه وهَيبَتُه. وهو مِن قولهم: مَكُنَ فهو مَكِينٌ. والمكانة: المنزلة، وفلان مَكينٌ عند فلان بيّن المكانة والمكان.[5] ويجوز أن يكون

---

[1] ر: المحلوم.

[2] ر: بالنبوت.

[3] وفي هامش د: قوله: (لأنّ المخبَر عنه إنّما هو الأب)... إلخ فإجراؤه عليه في اللفظ أولى مِن إجرائه على غيره، موافقًا بين اللفظ والمعنى، وكذلك في الآية لفظ الأصل محكوم عليه، لا الشجرة، فحقُّ الخبر -وهو ﴿ثَابِتٌ﴾- أن يجريَ عليه، لا على غيره.

[4] الحديث بغير هذه الألفاظ في صحيح البخاري، ٢٢/١ (٦١)؛ وصحيح مسلم، ٢١٦٤/٤ (٢٨١١).

[5] الصحاح للجوهري، «كون».

فاستحيَيتُ، فقال لي عمرُ: "يا بُنيَّ، لو كُنتَ قلتَها لكانت أحبَّ إليَّ من حمْر النَّعَم"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألَا إنها النخلةُ».

وعن ابن عباس: شجرة في الجنَّة.

وقوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ معناه: "في جهةِ العلوِّ والصعود" ولم يُردِ المظِلَّة؛ كقولك في الجبل: طويلٌ في السماء، تريد ارتفاعَه وشُموخَه.

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾

المكان بمعنى الموضِع، فيكونَ زائدًا،[1] كما زِيدَ المَقام[2] في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن ٤٦/٥٥]، و﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي﴾ [إبراهيم ١٤/١٤]، أي: خاف ربَّه وخافَنِي، وفي قول الشاعر:

ذَعَرْتُ[3] به القَطَا ونَفَيْتُ عنه مَقامَ الذئب كالرجل اللعينِ[4]

وعلى هذا أيضًا يكون المعنى: مَنَعَنِي هَيبةُ[5] عمرَ، فزِيد[6] لفظٌ، ونُقِص[7] آخر، وكأنَّ أصله "مكانُ هَيبةِ[8] عمرَ"، تأمَّل، فإنّه لطيفٌ.

وقوله: (واستَحْيَيتُ)[9] تحقيقٌ وتقريرٌ[10] لقوله:[11] (فَمنَعَنِي مكانُ عمرَ)، وفي هذا الكلام حذف، أي: استَحْيَيتُ[12] مِن عمر، ثمّ ذكرتُ ذلك لعمر فقال. وقوله: (النَّعَم) المراد بـ"النَّعَم" الإبل. وقوله: (ثمّ قال) عطفٌ على قوله: / (فوقع الناس). وأمّا قوله: (وكنتُ صَبِيًّا) إلى قوله: (النَّعَم) فجملة[13] معترِضة بينهما. [٤٥و]

قوله: (في الجبل) أي: في شأن الجبل.

---

[1] ر ن: زائد.
[2] ر + بمعنى الموضع، فيكون زائدًا كما زِيد المقام.
[3] ر: ذعوت.
[4] للشمّاخ بن ضرار في ديوانه، ص ٣٢١.
[5] ر ن: هيته.
[6] ن: فريد.
[7] ر ن: نقص.
[8] ر ن: هيته.
[9] ر: واستجييت.
[10] ر: وتعريز.
[11] ن: كقوله.
[12] ن: استحييت.
[13] ر ن: جملة.

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾: تُعْطي ثمرها كلَّ وقتٍ وقَّتَه الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بتيسير خالقها وتكوينه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن في ضرب الأمثال زيادةَ إفهامٍ وتذكيرٍ وتصويرٍ للمعاني.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: كمَثَلِ شجرةٍ خبيثةٍ؛ أي: صفتُها كصفتِها.

وقرئ: "ومثلَ كلمةٍ" بالنصب عطفًا على ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾.

والكلمةُ الخبيثة: كلمةُ الشرك.

وقيل: كلُّ كلمةٍ قبيحةٍ، وأمَّا الشجرةُ الخبيثةُ فكلُّ شجرةٍ لا يَطيبُ ثمرُها كشجرةِ الحنظل والكَشُوث ونحوِ ذلك.

وقوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ في مقابلةِ قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ومعنى ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: استؤصلَتْ، وحقيقةُ الاجتثاث: أخذُ الجُثَّة كلِّها.

﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾؛ أي: استقرار، يقال: قرَّ الشيءُ قرارًا؛ كقولك: "ثبتَ ثباتًا"، شبَّه بها القولَ الذي لم يُعضَدْ بحجةٍ، فهو داحضٌ غيرُ ثابتٍ، والذي لا يبقى إنما يَضمحلُّ عن قريب لبطلانه، من قولهم: الحقُّ أَبلَجُ والباطلُ لَجلَج.

وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء: "ما تقولُ في كلمةٍ خبيثة؟" ....

قوله: (والكَشُوثِ)[١] "الكَشُوث":[٢] نبت يَلتوي على الشجر يُجعل[٣] في النبيذ فيَشتدّ،[٤] قال الشاعر:

هـو الكَشُـوثُ[٥] فـلا أصـلٌ ولا وَرَقٌ ... ولا نسـيمٌ ولا ظِـلٌّ ولا ثَمَـرُ[٦]

قوله: (لَجلَجٌ) أي: مضطرب لا يَثبت.[٧] اللَّجلَجةُ والتَّلَجلُج: التَّردُّد مِن غير

---

[١] ر ن: والكشوت.
[٢] ر: الكشوت؛ ن – الكَشُوث.
[٣] ر: تعجل؛ ن: يعجل.
[٤] ر: نشتد؛ ن: نشند.
[٥] ر ن: الكشوت.
[٦] بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «كشث»؛ ولسان العرب لابن منظور، «كشث».
[٧] ر: ينبت.

فقال: "ما أعلمُ لها في الأرض مُستقرًا ولا في السَّماء مَصْعدًا إلّا أن تلزمَ عنُقَ صاحبها حتى يوافيَ بها يوم القيامة".

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

"القول الثابت": الذي ثبتَ بالحُجَّة والبرهان في قلب صاحبه وتمكّن فيه، فاعتقَده واطمأنَّتْ إليه نفسُه.

وتثبيتُهم به في الدنيا: أنهم إذا فُتِنُوا في دينهم لم يَزلُّوا؛ كما ثبتَ الذين من قبلهم أصحابُ الأخدود والذين نُشِروا بالمناشير ومُشِطَتْ لحومُهم بأمشاط الحديد، وكما ثبت جِرجيسُ وشَمسُونُ وغيرُهما.

أن يُنفِذ،[١] ويُلَجْلِجُ[٢] اللُّقمةَ في فمِها:[٣] يُرِدِّدُها فيه للمَضغ.[٤]

قوله: (﴿ٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[٥] الذي) المراد بـ﴿ٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ على ما ذكره المصنّف هو ما اعتقده وتبيَّنه بسبب البرهان القاطع والدليل اليقينيّ الساطع،[٦] فإنّ المؤمن لمّا كان إيمانُه عن تحقيق وإتقانٍ[٧] وحجّة وبرهان يَثبُتُ[٨] على الإيمان في الدارين، ولا ينحرفُ[٩] عنه بسبب شُبهة الزائغين، وإغواءِ الطاغين،[١٠] وإكراهِ الملاعِين، سواء ذلك في الدنيا والآخرة، أي: في حياتهم وفي القَبر ويومَ الحَشر، فهو معنى "يُثَبِّتُ الله تعالى المؤمنين"، فإنّ ثباتهم بسبب تثبيت الله تعالى إيّاهم. وأمّا مَن لم يكن إيمانُه عن برهانٍ ودليل فلا يُتوقَّع منه الثبات؛ بل يُخاف منه[١١] التزلزل والاضطراب، والتَّردّد والانقلاب، ثَبَّتَنا[١٢] اللهُ تعالى على الإيمان في الدارين، ورَزَقَنا اليقين.

---

١ ر ن: ينفد.
٢ ن: وتلجلج.
٣ كذا في الأصول الخطّيّة، وفي مطبوع الصحاح: "في فمه".
٤ الصحاح للجوهري، «لجج».
٥ ر: النابت.
٦ ر: الساطع.
٧ في د بالتاء والياء.
٨ ر: نبت.
٩ ر ن – ولا ينحرف.
١٠ ر: الطاعين.
١١ ر ن – منه.
١٢ ر: نبتنا.

وتثبيتُهم في الآخرة: أنهم إذا سئلوا عند تواقُفِ الأشهاد عن معتقَدِهم ودِينهم لم يتلَعْثَموا ولم يُبهَتوا ولم تُحيِّرْهم أهوالُ الحَشْرِ.

وقيل: معناه: الثباتُ عند سؤال القبر، وعن البَراء بن عازبٍ رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قَبْضَ روح المؤمن فقال: «ثم يُعادُ روحُه في جَسده فيأتيه ملكان فيُجلسانه في قبره ويقولان له: مَن ربُّك؟ وما دينُك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: ربِّي الله وديني الإسلام ونبيِّي محمدٌ، فيُنادي منادٍ من السماء: أَنْ صَدَقَ عبدي، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾».

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين لم يتمسَّكوا بحجَّةٍ في دِينهم، وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلَّد المشركون آباءهم فقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف ٤٣/٢٢]، وإضْلالُهم في الدنيا: أنهم لا يَثْبتون في مواقف الفتن وتَزِلُّ أقدامُهم أوَّلَ شيء وهم في الآخرة أضلُّ وأذلُّ.

قال الإمام أبو إسحاق الثعالبي في تفسيره:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يُحقِّقُ إيمانَهم في أعمالهم[١] ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ وهي شهادة "أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله" ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: في أعمارهم في حياتهم الدنيا ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ يعني: القَبْر يُلقِّنهم كلمةَ الحقِّ عند سؤال الملَكَين، وقيل: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في القبر عند المُساءَلة[٢] ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ إذا بُعِثَ.[٣]

قوله: (لم يَتلَعثَموا)[٤] أي: لم[٥] يتوقَّفوا،[٦] تَلَعْثَمَ[٧] الرجل[٨] في الأمر إذا تمكَّثَ فيه وتأنّى.[٩]

قوله: (الذين[١٠] لم يتمسَّكوا)[١١] هو في مقابلة ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾.

---

١ في مطبوع الكشف والبيان: "إيمانهم وأعمالهم".
٢ ر: المسالة.
٣ انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٥/٣٨٣ (إبراهيم، ١٤/٢٧).
٤ ر: يتلعتموا.
٥ ر: إذ؛ ن: إذا.
٦ ن: يتوفقوا.
٧ ر: تلعتم.
٨ ر: الرحل.
٩ ن: وثانى. | الصحاح للجوهري، «لعثم».
١٠ ر: الدين.
١١ ر ن: تمسّكوا.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: ما تُوجبُه الحكمةُ؛ لأن مشيئة الله تابعةٌ للحكمة: من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم، ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخليَةِ بينهم وبين شأنهم عند زلَلِهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾

﴿بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: شُكْرَ نعمةِ الله ﴿كُفْرًا﴾؛ لأنَّ شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانَه كفرًا فكأنَّهم غيَّروا الشكر إلى الكفر وبدَّلوا تبديلًا، ونحوُه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة ٥٦/٨٢]؛ أي: شُكرَ رِزْقِكم حيث وضعتُم التكذيبَ موضعَه.

ووجهٌ آخرُ: وهو أنَّهم بدَّلوا نفسَ النعمة كفرًا على أنهم لمَّا كفَروها سُلبوها فبَقُوا مَسْلوبي النعمةِ موصوفين بالكفر حاصلًا لهم الكفرُ بدلَ النعمة، وهم أهلُ مكَّة: أسكنهم الله حرَمَه، وجعلهم قُوَّامَ بيته، وأكرمَهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فكفروا نعمة الله بدَلَ ما لزمهم من الشُّكر العظيم.

أو أصابهم الله بالنعمة في الرَّخاء والسَّعة لإيلافهم الرِّحْلتين، فكفروا نعمتَه فضَربَهم بالقحط سبعَ سنين، فحصل لهم الكفر بدل النعمة، وكذلك حين أُسروا

قوله: (مِن تَثْبيت) بيان لِـ﴿مَا يَشَآءُ﴾، ولِما يوجبه[١] الحكمة.[٢]

قوله: (فكفروا نعمة[٣] الله) هذا على[٤] الوجه الأوَّل.

قوله: (أو أصابهم الله) هذا على الوجه الثاني.[٥]

---

١ ر: نوحيه.

٢ وفي هامش د: قوله: (أي: شكرَ نعمة الله كُفرًا) أي: وضعوا مكان الشكر الكفر، والكفر ما كان حاصلًا لهم؛ لكن جعل التمكين مِن الشكر ووجوبه بمنزلة الواقع، وإليه أشار بقوله: (لأنَّ شكرها الذي وجب عليهم)... إلخ.

٣ ن: بنعمة بنعمة.

٤ ر ن: على هذا.

٥ وفي هامش د: قوله: (فحصل لهم الكفر بدل النعمة) أي: سُلِب منهم النِّعمة، وبقي عليهم الكفر. قوله: (وعن عُمر: هم الأفجران) أي: المُبدِّلين نعمة الله كفرًا، هاتان القبيلتان اللتان هما أشدّ فُجورًا مِن غيرهم. قوله: (والتقريب) التقريب والتشبيه بمعنًى واحد؛ لأنّ تشبيه شيء بشيء تقريبه منه.

وقُتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمةُ وبقي الكفر طوقًا في أعناقهم.

وعن عمر رضي الله عنه: هم الأَفْجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أميَّةَ، فأما بنو المغيرة فكُفِيتُموهم يوم بدر، وأما بنو أميَّةَ فمُتِّعوا حتى حينٍ.

وقيل: هم متنَصِّرةُ العرب: جَبَلةُ بن الأَيْهم وأصحابُه.

﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ﴾ ممن تابَعَهم على الكفر ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دارَ الهلاك، وعطفُ ﴿جَهَنَّمَ﴾ على ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ عطفُ بيان.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾

قرئ ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بفتح الياء وضمِّها.

فإن قلتَ: الضلالُ أو الإضلالُ لم يكن غرضَهم في اتِّخاذ الأنداد فما معنى اللام؟

قلتُ: لمَّا كان الضلالُ والإضلالُ نتيجةَ اتِّخاذ الأنداد كما كان الإكرامُ في قولك: "جئتك لتُكرِمَني" نتيجةَ المجيء، دخلَتْه اللام -وإن لم يكن غرضًا- على طريق التشبيه والتقريب.

﴿تَمَتَّعُواْ﴾ إيذانٌ منه بأنهم لانغماسِهم في التمتُّع بالحاضر ....

قوله: (الأَفْجران) أي: الأشدَّان شرًّا في الفُجُور.[١]

قوله: (قُرِئ:[٢] ﴿لِيُضِلُّواْ﴾)[٣] صحَّ بغير "واو".[٤]

قوله: (﴿تَمَتَّعُواْ﴾ إيذان) شُبِّه انغماسُهم على الوجه المذكور لِهَواهم وشهوتهم بكونهم مأمورين بأمْرِ آمِرٍ مُطاع، فوقع الاستعارة في كونهم مأمورين بالتمتّع،

---

[١] ر + قوله: (قرأ: ليضلُّوا)؛ ن + قوله: (قرئ: ليضلُّوا).

[٢] ر: قرأ.

[٣] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورُوَيس عن يعقوب: ﴿لِيَضِلُّواْ﴾، وقرأ باقي العشرة: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٩.

[٤] وفي هامش د: قوله: (﴿تَمَتَّعُواْ﴾ إيذان)... إلخ يعني: قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ استعارة تمثيليّة؛ شُبّه حالهم في المُداومة بالتمتّع مطيعين للشهوة بحال مَن هو مطيع لأمر آمرٍ مُطاع بحيث لا يمكن مخالفته، والجامع المداومة في المطاوعة وعدمُ المخالفة، واستعمل فيه ما يُستعمل في ذلك.

وأنهم لا يعرفون غيرَه ولا يريدونه مأمورون به قد أمَرَهم آمرٌ مطاعٌ لا يَسَعُهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرًا دونه وهو آمرُ الشهوة، والمعنى: إنْ دُمْتُم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

ويجوز أن يراد الخذلانُ والتخليةُ، ونحوُه: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر ٨/٣٩].

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

المقول محذوفٌ؛ لأن جوابَ ﴿قُل﴾ يدلُّ عليه، وتقديره ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أقيموا الصلاة وأنفقوا ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ﴾.

وجوَّزوا أن يكونَ ﴿يُقِيمُواْ... وَيُنفِقُواْ﴾ بمعنى: لِيُقيموا ولِيُنفقوا، ويكون هذا هو المقولَ، قالوا: وإنما جاز حذفُ اللام؛ لأن الأمر الذي هو ﴿قُل﴾ عوضٌ منه،

ثمّ قيل: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾، فهو مِن الاستعارة التبعيّة،[١] ثمّ في الكلام[٢] حذف، تقديره: أنتم متمتِّعون، فإن دُمتم على تمتّعكم فإنّ مصيركم...

قوله: (ويجوز أن يُراد) شُبّه خِذلانهم وتَخْليتهم[٣] بكونهم مأمورين بتلك الأفعال القبيحة، ثمّ وقع الاستعارة على الوجه المذكور.[٤] وقوله:[٥] (ونحوُه: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ﴾ [الزمر ٨/٣٩]) أي: في احتمال الوجهين.

قوله: (ويكونَ هذا هو المَقولَ) أي: قل لهم: قَولي لك: لِيُقيموا ولِيُنفِقُوا، واللام المحذوفة لام الأمر.

قوله: (عوض) والمراد بكونه عِوضًا أنّه / لمّا كان صيغة الأمر لطلب الفِعل، واللام أيضًا للطلب، وهم يكرهون التكرّر فكان فيه نوع كراهة لوجه [٤٥ظ]

---

[١] ر: النبغية.

[٢] ر ن: كلام.

[٣] ر ن: وتحليتهم.

[٤] وفي هامش د: قوله: (ويجوز أن يراد)... إلخ فعلى هذا كناية؛ لأنّ أمر الشخص بما يريده مِن توابع خذلانه ولوازمه، فذكر اللازم وأريد الملزوم، فيكون كناية.

[٥] ن: قوله.

ولو قيل: "يُقيموا الصلاةَ ويُنفقوا" ابتداءً بحذفِ اللام لم يَجُزْ.

فإن قلتَ: علامَ انْتَصَبَ ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾؟

قلتُ: على الحال؛ أي: ذوي سرٍّ وعلانيةٍ، بمعنى: مُسرِّين ومُعلنين، أو على الظرف؛ أي: وقتَيْ سرٍّ وعلانيةٍ، أو على المصدر؛ أي: إنفاقَ سرٍّ وإنفاقَ علانيةٍ.

والمعنى: إخفاءُ المتطوَّع به من الصدقات والإعلانُ بالواجب.

والخِلَال: المُخالَّةُ.

فإن قلتَ: كيف طابَقَ الأمرُ بالإنفاق وصفَ اليوم بأنه ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾؟

قلتُ: من قِبَل أن الناس يُخرجون أموالهم في عقود المعاوَضاتِ فيُعطَوْن بدلًا ليأخذوا مثلَه، وفي المكارَمات ومُهاداةِ الأصدقاء ليستجرُّوا بهداياهم أمثالَها أو خيرًا منها، وأما الإنفاقُ لوجه الله تعالى خالصًا كقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل ١٩/٩٢]، فلا يفعلُه إلا المؤمنون الخُلَّصُ، فبُعثوا عليه ليأخذوا بَدَله في يومٍ ﴿لا بيعَ فيه ولا خلالَ﴾؛ أي: لا انتفاعَ فيه بمبايعةٍ ولا مُخالَّةٍ، ولا بما يُنفقون فيه أموالَهم من المعاوضات والمكارمات، وإنما يُنْتَفع فيه بالإنفاق لوجه الله.

مِن التكرّر،[١] فاكتُفي بأحدِهما. وقوله: (ابتداءً) يريد بـ"الابتداء" ما لم يتقدَّم عليه أمرٌ.

قوله: (**فإن قلتَ: كيف طابَقَ؟**) في السؤال إشارة إلى أنّ قوله: ﴿مِن قَبْلِ﴾ متعلّق بقوله: ﴿يُنفِقُوا۟﴾.

قوله: (**قلتُ: مِن قِبَلِ**) أي: طابَقَه[٢] مِن قِبَلِ، يعني: مِن جهة.

قوله: (**ولا بما ينفقون فيه**)...[٣] إلخ كالبيان لقوله:[٤] (**بمبايَعة[٥] ولا مُخالّة**)،[٦] فتأمّل[٧] فيه وفي مطابقته[٨] لِما تقدَّمه.

---

[١] ن: التكرار.
[٢] ر ن: طائفة.
[٣] ر ن + أي.
[٤] ر ن: كقوله.
[٥] ر: بمالغة؛ ن: بمبالغة.
[٦] ر ن: ولا محالة.
[٧] ر: فتأمل.
[٨] ر: مطابقة.

وقرئ: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَلٌ﴾ بالرفع.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ و﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ خبرُه، و﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بيانٌ للرزق؛ أي: أخرج به رزقًا هو ثمراتٌ.

ويجوز أن يكون ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مفعولَ "أَخْرَج" و﴿رِزْقًا﴾ حالًا من المفعول أو نصبًا على المصدر من "أخرج"؛ لأنه في معنى: رَزَقَ.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بقوله: كُنْ.

﴿دَآئِبَيْنِ﴾: يَدْأبان في سيرهما وإنارتهما ودَرْئهما الظلماتِ وإصلاحهما ما يُصْلِحان من الأرض والأبدان والنبات.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يتعاقَبان خِلفةً ....

قوله: (أي: أخرجَ به رِزقًا)[١] فيكون ﴿رِزْقًا﴾ اسمًا غير مصدر. وقوله: (ويجوز أن يكون) فيكون[٢] أيضًا اسمًا غير مصدر.

قوله: (يَدْأبانِ)[٣] دَأَبَ في عمله: جدَّ وتعب، دَأْبًا ودُءُوبًا، فهو دَئِبٌ.[٤]

قوله: (خِلْفةً)[٥] يقال: هُنّ يَمشينَ خِلْفةً،[٦] أي: تذهب[٧] هذه، وتجيء هذه، ويقال أيضًا: القومُ خِلْفةٌ،[٨] أي: مختلفون، حكاه أبو زيد. والخِلْفة[٩] أيضًا: اختلاف الليل والنهار.[١٠]

---

١ ن: زرقًا.
٢ ر ن – فيكون.
٣ ن: يدأنان.
٤ الصحاح للجوهري، «دأب».
٥ ر: خلقه؛ ن: حلقه.
٦ ر ن: خلقه.
٧ ر: نذهب.
٨ ر ن: حلقة.
٩ ر: والخلقة؛ ن: والحلقة.
١٠ الصحاح للجوهري، «خلف».

لمعاشِكم وسُباتِكم.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ ﴿مِن﴾ للتبعيض؛ أي: آتاكم بعضَ جميعِ ما سألتُموه نظرًا في مصالحكم.

وقرئ: "من كلٍّ" بالتنوين و﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ نفيٌ، ومحلُّه النصبُ على الحال؛ أي: آتاكم من جميع ذلك غيرَ سائليه، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولةً على: وآتاكم من كلِّ ذلك ما احتجتُم إليه ولم تَصْلُح أحوالُكم ومعايشُكم إلّا به، فكأنكم سألتُموه أو طلبتُموه بلسان الحال.

﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تَحْصُروها ولا تُطيقوا عدَّها وبلوغَ آخرها، هذا إذا أرادوا أن يَعُدُّوها على الإجمال، وأما التفصيلُ فلا يَقدرُ عليه ولا يعلمُه إلا الله.

قوله: (لِمَعاشكم وسُباتكم) فيه لفّ ونشر. والسُّباتُ:[١] النوم، وأصله الراحة، ومنه قوله تعالى:[٢] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ ٩/٧٨]. وقوله: (بالتنوين) للعِوض.

قوله: (على الحال) إمّا مِن "كُمْ"، أو مِن ﴿كُلِّ﴾.

قوله: (ويجوز أنْ تكون) وإذا كانت موصولة كانت مفعولًا، و﴿مِن كُلِّ﴾ حالًا.

قوله: (أو طلبتُموه) عطفٌ على (احتجتم)، يعني: يجوز أن يكون السؤال عبارة عن الاحتياج، فإنّهم[٣] إذا هم[٤] احتاجوا[٥] فكأنّهم سألوا، أو يكون المراد السؤال بلسان الحال.

قوله: (على الإجمال) يريد بـ"الإجمال" أن يَعُدُّوها واحدًا فواحدًا مِن غير أن يعلموا ويتصوّروا[٦] حقيقتها، ويريد بالتفصيل[٧] تحقّق حقيقتها، بأن[٨] يعلموا[٩] مثلًا أنّ الإبصار كيف هو؟ أبِالانطباع،[١٠] أو بخروج الشُّعاع؟ فإن كان بالانطِباع

---

[١] ر: التسات.
[٢] ر ن: يقال.
[٣] ر ن: قالهم. | وفي هامش د: قَالهُم. نخ [نسخة].
[٤] ر ن – هم.
[٥] ن: احتاجو.
[٦] ن: أو يتصوروا.
[٧] ر ن: بالتفضيل.
[٨] ر: با.
[٩] ر ن: تعلموا.
[١٠] ر ن: بالانطباع.

﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: يظلمُ النعمةَ بإغفال شكرها ﴿كَفَّارٌ﴾: شديدُ الكفران لها.

وقيل: ظلومٌ في الشدَّة يَشْكو ويجزعُ، كفَّار في النعمة يجمع ويمنَع.

و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ للجنس فيتناولُ الإخْبارُ بالظلمِ والكُفرانِ مَن يوجَدَانِ منه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ يعني: البلدَ الحرامَ زاده اللهُ أمنًا وكفاه كلَّ باغٍ وظالمٍ، وأجابَ فيه دعوة خليله إبراهيم عليه السلام.

﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمنٍ.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين قوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة ١٢٦/٢] وبين قوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾؟

فكيف ينطبع الكبير[١] في الصغير؟ وانطباع مثاله لا على مقداره كيف يكفي في رؤية الصغير صغيرًا والكبير كبيرًا؟[٢] وإن كان بخروج الشُّعاع فكيف ذلك؟ وأيّ شيء يقتضيه؟[٣] وهكذا[٤] السمع[٥] والشمّ وغيرها مِن النِّعَم الظاهرة والباطنة والمتّصلة والمنفصلة.

قوله: (﴿لَظَلُومٌ﴾ يظلمُ النِّعمة) أي: ينقُص حقَّها بترك[٦] شكرها، والظلم: النقصان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء ٤٠/٤]، أي: لا ينقُص. والإغفال:[٧] الترك. وقوله: (ظَلُوم في الشِّدّة) الظلم هنا: وضع الشيء في غير موضعه. وقوله: (يشكو)[٨] بيان له، فإنّ مَن يشكو[٩] ويجزَع فقد وضع الشكاية والجَزع مَوضع الصبر، وهو غير موضعهما.

قوله. (وكفاه) أي: كفاه الله دفعَ كلِّ باغٍ.[١٠]

---

١ ن: الكثير. | رسمت في د بالباء والثاء.
٢ ن: والكثير كثيرًا.
٣ ر ن: تقتضيه.
٤ ر ن: وهذا.
٥ ر: الشمع.
٦ ن: يترك.
٧ ر: ولاعفال.
٨ ر ن: يشكوا.
٩ ر ن: يشكوا.
١٠ ر: باع.

قلتُ: قد سأل في الأول أن يجعله من جملةِ البلاد التي يأمَنُ أهلُها ولا يخافون، وفي الثاني أن يُخرجَه من صفةٍ كان عليها من الخوف إلى ضدِّها من الأمن؛ كأنّه قال: "هو بلدٌ مَخُوفٌ فاجْعله آمنًا".

﴿وَٱجْنُبْنِي﴾ وقرئ: "وأَجْنِبْنِي"، وفيه ثلاثُ لغات: جَنَبَه الشرَّ وجَنَّبه وأَجنبَه، فأهلُ الحجاز يقولون: "جنِّبْني شرَّه" بالتشديد، وأهلُ نجدٍ: "جنَبَني شرَّه وأَجْنَبَني" والمعنى: ثبِّتْنا وأدِمْنا على اجتناب عبادتها.

﴿وَبَنِيَّ﴾ أراد بنيهِ من صُلبه، وسُئل ابنُ عُيينَةَ: كيف عَبَدتِ العربُ الأصنامَ؟ فقال: "ما عَبَد أحدٌ من وَلد إسماعيل صَنَمًا"، واحتجَّ بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ إنما كانت أنصابٌ حجارةٌ لكلِّ قومٍ، قالوا: البيتُ حجرٌ فحيثما نصَبْنا حجرًا فهو بمنزلة البيت، فكانوا يدورون بذلك الحجرِ ويُسمُّونه: الدُّوارَ، فاسْتُحِبَّ أن يقال: "طافَ بالبيت"، ولا يقال: "دارَ بالبيت".

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

قوله: (قلتُ: قد سأل)... إلخ حاصل المعنى الأوّل: أنّه لا يلزم أن[١] يكون وقتَ الدعاء بلدًا،[٢] فطلب[٣] أن يجعله بلدًا آمنًا، أي: اجعلْ هذا المكان بلدًا موصوفًا بالأمْنِ. وحاصل[٤] المعنى الثاني: أنّه كان وقتَ هذا الدعاء بلدًا، لقوله:[٥] ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾، ويجب أن لا يكون آمنًا لطلب الأمْن، فصار المعنى كما ذكر. وقوله: (مِن الخوف) بيان (صفةٍ). وقوله: (مِن الأمْن) بيان (ضِدِّها).

[٤٦و] / قوله: (إنّما كانت) بيان لقوله: (ما عبَد)،[٦] أي: "إنّما كانت" بمعنى حصَلَتْ ووُجِدَتْ.

قوله: (الدُّوارَ) الواو مِن "الدُّوار" يُخفَّف ويشدَّد.[٧]

---

[١] ر - قوله: (قلتُ: قد سأل)... إلخ حاصل المعنى الأوّل: أنّه لا يلزم أن.
[٢] ن: بكذا.
[٣] ن: وطلب.
[٤] ن: وصاحل.
[٥] ن: كقوله.
[٦] ن: عند.
[٧] ر: وتشدّد.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأعوذُ بك أن تعصِمَني وبنيَّ من ذلك، وإنما جُعلْنَ مُضلَّاتٍ؛ لأن الناسَ ضَلُّوا بسببهنَّ فكأنهنَّ أَضْلَلْنَهم؛ كما تقول: "فَتَنَتْهم الدنيا وغرَّتْهم"؛ أي: افْتُتِنُوا بها واغترُّوا بسببها.

﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على ملَّتي وكان حنيفًا مسلمًا مِثْلي ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾؛ أي: هو بعضي لفَرْط اختصاصه بي وملابَستِه لي، وكذلك قولُه: «مَن غَشَّنا فليس منَّا»؛ أي: ليس بعضَ المؤمنين، على أن الغشَّ ليس من أفعالهم وأوصافهم.

﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تغفرُ له ما سَلَف منه من عصياني إذا بدا له فيه واستحدثَ الطاعةَ لي، وقيل: معناه: ومَن عَصَاني فيما دون الشرك.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧﴾

قوله: (فأعوذ بك أن تَعْصِمَني) أي: لأن تَعصِمَني.

قوله: (لفَرط اختصاصه بي)[١] يعني شبّه[٢] اختصاصه به بكونه بعضَه، فاستُعير البعض مكان الاختصاص، ثمّ استُعير بالتبعيّة مِن مَقام البعض.

قوله: (على أنّ الغِشّ)[٣] غَشّه[٤] يَغشّه[٥] غِشًّا[٦] بالكسر.

قوله: (مِن عِصيانِي) بيان "ما". وقوله: (إذا بدا له) أي: إذا نَدِم، وهو ظرف[٧] لقوله: (تغفر)،[٨] فيشير به إلى مذهبه، وهو أنّه لا يجوز الغفران قبل التوبة، فيجب أن يكون دعاء إبراهيم مقيّدًا به، ويجوز أن يقال: لمّا كان المراد الشِّركَ كان على مذهبنا أيضًا كذلك.

---

[١] وفي هامش د: يعني استعارة تبعيّة؛ شبّه المؤمنون به ببعضه في الاتّصال، كما أنّ بعضه متّصل به، فكذلك المؤمنون متّصل به مِن حيث الدين، مِن قَبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، لأنّ الاتّصال الدينيّ معقول، واتّصال بعضه به اتّصال محسوس.

[٢] ر: شبيه.

[٣] ر ن: العش.

[٤] ر ن: عشه.

[٥] ر ن: يعشه.

[٦] ر ن: عشًا.

[٧] ر: طرف.

[٨] ر: يغفر.

﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾: بعضَ أولادي وهـم إسماعيلُ ومَن وُلد منه ﴿بِوَادٍ﴾ وهو وادي مكّة ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ لا يكونُ فيه شيءٌ من زرعٍ قط؛ كقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر ٢٨/٣٩] بمعنى: لا يُوجَد فيه اعوجاجٌ، ما فيه إلّا الاستقامةُ لا غيرُ.

وقيل للبيت: المحرَّمُ؛ لأن اللهَ حرَّم التعرُّضَ له والتهاوُنَ به، وجَعل ما حولَه حَرَمًا لمكانه؛ أو لأنه لم يَزَل مُمَنَّعًا عزيزًا يهابُه كلُّ جبَّار؛ كالشيء المحرَّم الذي حقُّه أن يُجتنب؛ أو لأنه محترَمٌ عظيمُ الحرمة لا يحلُّ انتهاكُها؛ أو لأنه حرِّم على الطُّوفان؛ أي: مُنع منه؛ كما سمِّي عتيقًا؛ لأنه أُعتقَ منه فلم يستولِ عليه.

﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اللامُ متعلِّقةٌ بـ﴿أَسْكَنتُ﴾؛ أي: ما أسكنتُهم بهذا الوادي الخلاءِ البَلقَع من كلِّ مُرتفَقٍ ومُرتَزَقٍ إلّا ليقيموا الصلاةَ عند بيتك المحرَّم، ويَعمُروه بذكرك وعبادتك وما تُعمَّر به مساجدُك ومتعبَّداتُك، متبرِّكين بالبقعة التي شرَّفتَها على البقاع، مستَسْعِدِين بجوارك الكريم، متقرِّبين إليك بالعكوفِ عند بيتك والطوافِ به والركوع والسُّجودِ حولَه، مستنزِلينَ الرحمةَ التي آثرْتَ بها سكانَ حرمك.

﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: أفئدةً من أفئدةِ الناس، و﴿مِنَ﴾ للتبعيض ويدلُّ عليه ما رُوي عن مجاهد: لو قال: "أفئدةَ الناس" لزحمَتْكم عليه فارسُ والرُّوم.

وقيل: لو لم يقل: ﴿مِنَ﴾ لازدَحموا عليه حتى الرُّومُ والتُّركُ والهندُ.

قوله: (لا غيرُ) في العطف نظر.[١]

قوله: (لمكانه) أي: "له" بمعنى "لأجله"، فلفظة "مكان" زائدة.

قوله: (انتهاكُها) الانتهاك: التناول بما لا يحِلّ.[٢]

---

[١] وفي هامش د: في نظره نظر كما تقدّم.

[٢] وفي هامش د: قوله: (إلّا ليقيموا الصلاة) الحصر مستفاد مِن إضافة المعلول إلى العلّة، فإنّ المعلول لا يكون لغيرها، وإلّا يلزم توارد العلّتين على معلولٍ واحد، لأنّه لو كان الإسكان مثلًا لغير إقامة الصلاة فلا يكون إقامة الصلاة علّة، فلا يكون الإسكان إلّا للصلاة، فيلزم الحصر.

ويجوز أن يكون ﴿مِنَ﴾ للابتداء؛ كقولك: "القلبُ منّي سقيمٌ" تريد: قلبي، فكأنه قيل: أفئدةَ ناسٍ، وإنما نكَّرتُ المضافَ إليه في هذا التمثيلِ لتنكير "أفئدة"؛ لأنها في الآية نكرةٌ ليتناولَ بعضَ الأفئدة.

وقرئ: "آفِدةً" بوزن عافِدة، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون من القلب كقولهم: "آدُرٌ" في "أَدْؤُرٍ".

والثاني: أن يكون اسمَ فاعلةٍ من أَفِدَتِ الرِّحْلةُ: إذا عجِلَتْ؛ أي: جماعةً أو جماعاتٍ يرتحلون إليهم ويَعجَلون نحوَهم.

وقرئ: "أَفِدَةً"، وفيه وجهان: أن تُطرح الهمزةُ للتخفيف -وإن كان الوجهُ أن تُخفَّفَ بإخراجها بينَ بينَ-، وأن يكون من "أَفِد".

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تُسرِعُ إليهم وتَطيرُ نحوَهم شوقًا ونزاعًا، من قوله:

قوله:[١] (لتنكير "أفئدة") يعني في قوله: (أفئدة ناس)، أي: ليكون "أفئدة" في التمثيل نكِرة[٢] كما هي في الآية نكِرة، ثمّ أشار إلى أنّها لِمَ كانت في الآية نكِرة.

قوله: (بوزن "عافِدة")[٣] "عافِدة"[٤] لا معنى له، ولم يُسمع مِن هذا التركيب إلّا اعتِفاد[٥] الأعراب،[٦] يقول: اعتَقَد[٧] الأعرابيّ إذا أغلَق[٨] على نفسه حتّى مات جوعًا انتِخاءً[٩] مِن السؤال.[١٠]

قوله: (وإن كان الوجه أن يُجعل بينَ بينَ) فيه نظر؛ لأنّ الهمزة المتحرّكة الساكن ما قبلها تخفيفها[١١] بالحذف كما في "مَسَلة" و"الخَبِ"، ولا يمكن فيها

---

[١] ر + قوله.

[٢] ن: بكرة.

[٣] ر: عاقدة.

[٤] ر – عافدة.

[٥] ر: اعتقاد.

[٦] وفي هامش د: قلتُ: ليس غرض المصنّف بـ"عافِدة" إلّا أن يوزن بها، والعين أقرب حرف مِن الهمزة، مثله في "هاءك"، يقال: وزنه "هاعك"، ولا يُنظر إلى أنّه لا معنى له، ومثلهما "كَإٍ" بوزن "كَعٍ".

[٧] ر: اعتقد.

[٨] ر ن: علق.

[٩] ر: انتحا. | وفي هامش د: تكبّرًا. | النَّخْوةُ: الكِبْر والعظمة. يقال: انْتَخى فلانٌ علينا، أي: افتخر وتعظّم. الصحاح للجوهري، «نخا».

[١٠] انظر: أساس البلاغة للزمخشري، «عفد».

[١١] ر ن: تحقيقًا.

يَـهْـوي مـخـارِمَـهـا هُـــوِيَّ الأَجـــدَل

وقرئ: "تُهْوَى إليهم" على البناء للمفعول، من هَوَى إليه وأهواه غيرُه.

و: "تَهْوَى إليهم" من هَوِيَ يَهْوَى: إذا أحَبَّ، ضُمِّنَ معنى "تَنزِعُ" فعُدِّيَ تعديتَه.

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع سُكْناهم واديًا ما فيه شيءٌ منها، بأن تُجلَبَ إليهم من البلاد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ النعمةَ في أن يُرزقوا أنواعَ الثمرات حاضرةً في وادٍ يَبابٍ ليس فيه نجمٌ ولا شجرٌ ولا ماءٌ.

لا جَرَمَ أن الله عزَّ وجل أجابَ دعوتَه فجعله حرمًا آمنًا تُجْبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيء رزقًا من لدُنْهُ، ثم فضَّله في وجود أصناف الثمار فيه ....

بينَ بينَ، لا[1] المشهور ولا غيره؛ لأنَّ بينَ بينَ إمّا ساكن أو قريب مِن الساكن على اختلاف المذهبَين، فلو جعلت هذه الهمزة بينَ بينَ لزِم التقاء الساكنين[2] أو ما هو في[3] حكمه.

قوله:[4] (يَهوِي)...[5] البيتَ، أوّله:

وإذا[6] رمَـيـتَ بـه الـفِـجـاج[7] رأيـتَـه[8]

"الفِجاج": الطُّرُق[9] بين الجبال، جمع فَجّ.[10] و"المَخارِم":[11] أفواه الفِجاج، جمع مَخرِم بكسر الراء؛ وهو مُنقَطَعُ أنفِ الجبَل.[12]

قوله: (يَبابٍ)[13] أي: خَراب.

---

[1] ر: لأن.

[2] ر ن: السالنين.

[3] ر + قو.

[4] ر ن + قوله.

[5] ر ن: يهدي.

[6] ر ن: إذا.

[7] ن: العجاج.

[8] لأبي كبير الهذلي في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٦٦١/٢؛ ولسان العرب لابن منظور، «خرم»؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ١٩٤/٨.

[9] ر ن: الطرف.

[10] انظر: الصحاح للجوهري، «فجج».

[11] ن: والمحارم.

[12] الصحاح للجوهري، «خرم».

[13] وفي هامش د: أرض يَباب، أي: خراب. | الصحاح للجوهري، «يبب».

على كلِّ رِيفٍ وعلى أخصَبِ البلاد وأكثرها ثمارًا، وفي أيِّ بلدٍ من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبةَ التي يُريكَها اللهُ بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ، وهي اجتماعُ البَواكير والفواكه المختلفة الأزمانِ من الربيعيَّة والصيفيَّة والخريفيَّة في يومٍ واحد، وليس ذلك من آياته بعجيب، متَّعَنا اللهُ بسُكنى حرمِهِ، وَوَفَّقنا لشكر نِعَمه، وأدامَ لنا التشرُّف بالدخول تحت دعوة إبراهيم عليه السلام، ورَزَقَنا طَرَفًا من سلامةِ ذلك القلب السليم.

النداءُ المكرَّر دليلُ التضرُّع واللَّجأ إلى الله.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾

﴿إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾ تعلمُ السرَّ كما تعلمُ العَلَنَ عِلمًا لا تفاوُتَ فيه؛ لأن غيبًا من الغيوب لا يحتجِبُ عنك، والمعنى: أنك أَعلمُ بأحوالنا وما يُصلحُنا ويُفسدنا منَّا، وأنت أرحمُ بنا وأنصَحُ لنا منَّا بأنفسنا ولها، فلا حاجة إلى الدعاء والطلب، وإنما ندعوك إظهارًا للعبوديَّة لك، وتخشُّعًا لعظمتك، وتذلُّلًا لعزَّتك، وافتقارًا إلى ما عندك، واستعجالًا لنيلِ أياديك، وَوَلَهًا إلى رحمتك، وكما يتملَّق العبدُ بين يدي سيِّده رغبةً في إصابةِ معروفه مع توفُّر السيِّد على حُسن الملكة.

قوله: (على كلِّ رِيفٍ) الريف: أرض فيها زرع وخِصب. وقوله: (وفي أيِّ بلد) استئناف كلام،[١] والجارّ متعلِّق بقوله: (تَرى)،[٢] وهو استفهام بمعنى الإنكار، كأنَّه قال: لا تَرى في بلد.[٣]

قوله: (وأنتَ أرحمُ)...[٤] إلخ فيه لفٌّ ونَشْر، تقديره: أرحمُ بنا مِنّا بأنفسنا، وأنصَح لنا منّا لأنفسنا.[٥]

---

١ ن: كلا.

٢ ر: ترتري.

٣ وفي هامش د: قوله: (البواكير) الباكور مِن كلِّ شيء هو المُبكِّر السريع الإدراك، والأنثى باكورة، والجمع البَواكير. | انظر: لسان العرب لابن منظور، «بكر».

٤ ن: رحم.

٥ ن: لا أنفسنا.

وعن بعضهم: أنه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النُّجْحَ، فأراد أن يُذكِّره فقال: مثلُك لا يُذكَّرُ استِقْصارًا ولا توهُّمًا للغفلة عن حوائج السائلين؛ ولكنَّ ذا الحاجة لا تَدعُه حاجتُه أن لا يتكلَّمَ فيها.

وقيل: ﴿مَا نُخۡفِي﴾ من الوَجدِ لِمَا وقع بيننا من الفُرقة ﴿وَمَا نُعۡلِنُ﴾ من البكاء والدعاء.

وقيل: ﴿مَا نُخۡفِي﴾ مِن كآبة الافتراق ﴿وَمَا نُعۡلِنُ﴾ يريدُ: ما جرى بينه وبين هاجَرَ حين قالت له عند الوَداع: "إلى مَن تكِلُنا؟" قال: "إلى الله أكِلُكم"، قالَتْ: "آللهُ أمرَكَ بهذا؟" قال: "نعم"، قالت: "إذَنْ لا نخشى، تركْتَنا إلى كافٍ".

﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من كلام الله عزَّ وجل تصديقًا لإبراهيم؛ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل ٣٤/٢٧]، أو من كلام إبراهيم، يعني: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو عالمُ الغيب ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ في كلِّ مكان، و﴿مِن﴾ للاستغراق؛ كأنه قيل: "وما يخفَى على الله شيءٌ مّا".

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾

﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾ بمعنى "مع"؛ كقوله:

إنِّـي علـى مـا تـرَيْـنَ مـن كِبَـري أعْـلـمُ مـن حيث تُـؤكَـلُ الكَـتِـفُ

وهو في موضع الحال معناه: وهَبَ لي وأنا كبيرٌ وفي حال الكبر.

قوله: (كقوله تعالى:[1] ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل ٣٤/٢٧]) يريد قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾ [النمل ٣٤/٢٧]، هذا حكاية كلام بلقيس، ثمّ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل ٣٤/٢٧].[2]

قوله:

(إنِّـي علـى مـا تَـرَيْـنَ)... البيتَ[3]

---

[1] ر ن – تعالى.
[2] ن: يفعون.
[3] يُنسب إلى قَيس بن الخطيم، وهو في قسم الزيادات مِن ديوانه، ص ٢٣٩.

روي: أن إسماعيل وُلد له وهو ابن تسعٍ وتسعين سنةً، ووُلد له إسحاقُ وهو ابن مئةٍ وثنتي عشرة سنةً.

وقد روي: أنه وُلد له إسماعيل لأربعٍ وستين، وإسحاقُ لتسعين.

وعن سعيد بن جبير: لم يولَدْ لإبراهيم إلَّا بعد مئةٍ وسبعَ عَشْرةَ سنةً.

وإنما ذَكرَ حالَ الكبر؛ لأن المنَّة بهبةِ الولد فيها أعظمُ من حيث إنها حالُ وقوع اليأس من الولادة، والظَّفَرُ بالحاجة على عقب اليأس من أجلِّ النِّعَم وأحلاها في نفس الظافر؛ ولأن الولادة في تلك السنِّ العالية كانت آيةً لإبراهيم.

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ كان قد دعا ربَّه وسأله الولدَ فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات ٣٧/١٠٠] فشكر لله ما أكرمه به من إجابته.

فإن قلتَ: اللهُ تعالى يسمع كلَّ دعاءٍ أجابه أو لم يُجِبْه؟

قلتُ: هو من قولك: "سَمِع الملكُ كلامَ فلان" إذا اعتدَّ به وقَبِله، ومنه: «سمعَ اللهُ لمن حَمِده» وفي الحديث «ما أَذِنَ الله لشيء كأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن»؛ أي: يُحسِنُ.

فإن قلتَ: ما هذه الإضافةُ: إضافةُ السميع إلى الدعاء؟

قلتُ: إضافة الصِّفة إلى مفعولها، أصله: لسميعٌ الدعاءَ، وقد ذكر سيبويه

أي: أعلمُ إتيانَ الأمور مِن حيث تُؤتى،[1] أي: أنا مُجرِّب؛[2] لأنَّ المُجرِّب يأخذ[3] الكَتِفَ[4] مِن أعلاه ليجْذِب اللحم عنه. ويُروَى: تَرَون. وقوله: "تُوكَلُ" مِن الأكل.[5]

قوله: («كَأَذَنِه»)[6] الأَذَن: الاستماع، أي: لا يَعتدّ بشيء كاعتداده لنبيٍّ...

---

[1] د: يؤتى.

[2] ر: محرب.

[3] ن: باخد.

[4] ر: الكيف.

[5] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: هو مِن قولك)... إلخ فعلى هذا يكون مجازًا مِن قَبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم؛ لأنَّ القبول مستلزم للسماع.

[6] صحيح البخاري، ٦/١٩١ (٥٠٢٣)؛ صحيح مسلم، ١/٥٤٦ (٧٩٣).

فَعيلًا في جملة أبنية المبالَغة العاملةِ عَمَل الفعل، كقولك: "هذا ضَرُوبٌ زيدًا، وضرَّابٌ أخاه، ومِنْحارٌ إبلَه، وحَذِرٌ أمورًا، ورحيمٌ أباه".

ويجوز أن يكون من إضافة فَعيلٍ إلى فاعله، ويُجعلَ دعاءُ الله سميعًا على الإسناد المجازيِّ، والمراد سماعُ الله.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: وبعضَ ذريَّتي، عطفًا على المنصوب في ﴿ٱجْعَلْنِي﴾ وإنما بعَّض؛ لأنه عَلِم بإعلام الله أنه يكون في ذريَّته كفَّارٌ، وذلك قولُه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة ١٢٤/٢].

﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾؛ أي: عبادتي: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم ٤٨/١٩].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١﴾

وفي قراءة أبيّ: "ولأبويَّ".

وقرأ سعيد بن جبير: "ولوالِدِي" على الإفراد يعني: أباه.

وقرأ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: "ولوَلَدَيَّ" يعني: إسماعيل وإسحاق.

وقرئ: "ولِوُلْدِي" بضم الواو، والوُلْدُ بمعنى الولدِ كالعُدْم والعَدَم، وقيل: جمع ولدٍ كأُسْدٍ في أَسَدٍ.

وفي بعض المصاحف: "ولِذرِّيَّتي".

قوله: (﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ [مريم ٤٨/١٩]) استشهاد. ومعنى ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبُدون.[1]

---

[1] ر ن - قوله: (﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ [مريم ٤٨/١٩]) استشهاد. ومعنى ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبُدون. | وفي هامش د: قوله: (على الإسناد المجازي) مِن قَبيل إسناد ما للفاعل إلى المفعول، لانبِناء الفعل له، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩]، فإنّ فاعل السماع هو الله تعالى، ومفعوله الدعاء، فإنّ الله تعالى يسمع دعاءَهم، فأسند ما للفاعل -وهو الله تعالى- إلى المفعول، وهو الدعاء، والفعل ليس مبنيًا للمفعول، كما في قوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩].

فإن قلتَ: كيف جاز له أن يستغفرَ لأبويه وكانا كافرين؟

قلتُ: هو من مجوَّزات العقل لا يُعلَم امتناعُ جوازه إلّا بالتوقيف.

وقيل: أراد بوالدَيْه آدمَ وحَوَّاء.

وقيل: بشرط الإسلام، ويأباه قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠]؛ لأنه لو شَرَط الإسلامَ لكان استغفارًا صحيحًا لا مقالَ فيه، فكيف يُستثنَى الاستغفارُ الصحيحُ من جملةِ ما يُؤتَسَى فيه بإبراهيم؟

﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾؛ أي: يَثْبتُ؛ وهو مستعارٌ من قيام القائم على الرِّجْل، والدليلُ عليه قولهم: قامت الحربُ على ساقها، ونحوه قولُهم: ترجَّلتِ الشمس: إذا أشرقت وثبتَ ضوؤُها كأنها قامت على رِجْلٍ، ويجوز أن يُسنَدَ إلى الحساب قيامُ أهله إسنادًا مجازيًا، أو يكون مثلَ ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢/١٢].

وعن مجاهد: قد استجاب الله له فيما سأل ....

قوله: / (إلّا بالتوقيف) يعني: أنّ ذلك كان قبل أن يَعلَمه بالوحي. [٤٦ظ]

قوله: (ويأباه قولُه تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾[١] [الممتحنة ٤/٦٠]) قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية [الممتحنة ٤/٦٠].[٢]

قوله: (أو[٣] يكونَ مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢/١٢]) وعلى هذا الوجه لا يكون مجازًا في الإسناد، ولا مِن باب المجاز أصلًا؛ بل ملحقًا بالمجاز، كما أشار إليه صاحب المفتاح في باب المجاز الحكمي الراجع إلى حكم الكلمة.[٤]

---

[١] وفي هامش د: إذ قال لأبيه: لَأستغفرنّ لك. | لفظ الآية: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾.

[٢] وفي هامش د: قوله: (أو يَثبت وهو مستعار)... إلخ على الوجه الأوّل: استعارة تبعيّة؛ شبّه ثبوت الحساب على وجه العدل بثبوت القائم على وجه الاستقامة تشبية معقول بمحسوس. وإنّما قلنا: على وجه العدل والاستقامة، وإلّا يكون وجه الشبه ظاهرًا، فلا يكون فيه فائدة، فيكون عاميًّا مبتذَلًا. وعلى الوجه الثاني: إسناد مجازي، مِن قَبيل إسناد ما للفاعل إلى العِلّة، أي: يقوم أهل الحساب لأجل الحساب. وعلى الوجه الثالث: مجاز بالنقصان، وعند السكّاكي ملحق بالمجاز.

[٣] ر: إذ.

[٤] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ٣٩٣/١.

فلم يَعْبُدْ أحدٌ من ولده صنمًا بعد دعوته، وجعل البلد آمنًا، ورزقَ أهلَه، وجعله إمامًا، وجعل في ذريّته مَن يقيم الصلاة، وأراه مناسِكَه وتابَ عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كانت الطائفُ من أرضِ فِلَسطِينَ، فلمّا قال إبراهيم ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ﴾ الآية، رفَعَها الله فوضعها حيثُ وضعها رزقًا للحرم.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾

فإن قلتَ: يتعالى الله عن السهو والغَفْلة فكيف يحسبُه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلمُ الناس به غافلًا حتى قيل: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾؟

قلتُ: إن كان خطابًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان:

أحدهما: التثبيتُ على ما كان عليه من أنه لا يَحسَبُ اللهَ غافلًا؛ كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام ١٤/٦]، ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص ٨٨/٢٨]، كما جاء في الأمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء ١٣٦/٤].

والثاني: أن المراد بالنهي عن حِسْبَانه غافلًا: الإيذانُ بأنه عالمٌ ....

قوله: (فلم يَعبُد[1] أحد مِن ولده صنمًا بعد دعوته)؛ بل كانت أنصاب يدورون حوله.[2]

قوله: (الإيذان[3] بأنّه عالم) أي: الإيذان[4] بأنّه عالم وبأنّه يُعاقبهم، والمراد مِن هذا الإيذانِ[5] الوعيد.

---

[1] ر: بعيد.

[2] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: إن كان خطابًا)... إلخ على الوجه الأوّل: مِن قَبيل إطلاق الشيء وإرادة استدامته، ومثل هذا يرجع إلى إطلاق اسم الجزء على الكلّ؛ لأنّ ذلك الزمان الحاضر جزء مِن جميع الزمان. وعلى الوجه الثاني: مِن قَبيل التعريض. وعلى الوجه الثالث: مِن قَبيل نفي السبب وإرادة نفي المسبَّب؛ لأنّ الغفلة سبب لمعاملة الغافل، يعني: غفلة الشخص سبب لِأن يعامل معاملة الغافل. وعلى الوجه الرابع -وهو قوله: "وإن كان خطابًا"... إلخ-: فحقيقة. وعلى الوجه الخامس -وهو قول ابن عُيينة أيضًا-: تعريض كالوجه الثاني.

[3] ر ن: الإيدان.

[4] ر ن: الإيدان.

[5] ر: الإيدان.

بما يفعل الظالمون لا يخفَى عليه منه شيء، وأنه معاقبُهم على قليله وكثيرِه، على سبيل الوعيد والتهديد؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢/٢٨٣] يريد الوعيد.

ويجوز أن يراد: ولا تحسبنَّه يعاملُهم معاملةَ الغافل عما يعملون؛ ولكنْ معاملةَ الرَّقيب عليهم المحاسِبِ على النقير والقطمير.

وإن كان خطابًا لغيره ممن يجوز أن يحسبَه غافلًا لجهله بصفاته فلا سُؤال فيه.

وعن ابن عُيينة: "تسليةٌ للمظلوم وتهديدٌ للظالم"، فقيل له: "مَن قال هذا؟" فغَضِبَ وقال: "إنما قاله مَن عَلِمه".

وقرئ ﴿يُؤَخِّرُهُمۡ﴾ بالنون والياء.

﴿تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾؛ أي: أبصارُهم لا تقرُّ في أماكنها من هَوْلِ ما ترى.

﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣﴾

﴿مُهۡطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الداعي، وقيل: الإهطاعُ: أن تُقْبِلَ ببصرك على المرئيِّ تُدِيمُ النظرَ إليه لا تَطْرِفُ.

﴿مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾: رافعِيها.

قوله: (معاملةَ الغافل) فإنّ مَن يَغفُل عن حال الغير يعامله معاملة الغافلين، فيكون مجازًا لإطلاق الغافل[١] على العامل معاملة الغافل.[٢]

قوله: (تَشخَصُ)[٣] شَخَصَ -بالفتح- شُخوصًا؛ ارتفع، يقال: شخص بصرُه؛ إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِف.[٤] قوله تعالى: ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡ﴾ الطَّرْف: تحريك[٥] الأجفان[٦] الذي خُلق عليه وجُبِلَ،[٧] وهو المراد هنا. وسُمّيت العين بالطَّرْف تسميةً لها بفعلها.

---

[١] ر ن: والغافل.

[٢] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ حال مِن المضاف إليه، فإنّ اللام في ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ عوض مِن المضاف إليه، والمضاف إليه إذا كان المضاف جُزءً منه أو هيئة له يصحّ مجيء الحال عنه.

[٣] ر: لشخص.

[٤] ن: لا يطرق. | الصحاح للجوهري، «شخص».

[٥] ر: تحرتك.

[٦] ن: الأخفان.

[٧] ر: وحبل.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: لا يرجعُ إليهم أن يَطرِفوا بعيونهم؛ أي: لا يَطْرِفون؛ ولكنَّ عيونَهم مفتوحةٌ ممدودةٌ من غيرِ تحريكٍ للأجفان، أو: لا يرجعُ إليهم نظرُهُم فيَنظروا إلى أنفسهم.

الهواءُ: الخلاءُ الذي لم تشغلْه الأجرامُ، فوُصف به فقيل: "قلبُ فلانٍ هواءٌ" إذا كان جبانًا لا قوّة في قلبه ولا جُرأةَ، ويقال للأحمق أيضًا: "قلبُه هواءٌ"، قال زهير:

مِـن الـظِّـلْـمـان جُـؤْجُـؤُهُ هـواء

لأن النَّعام مثلٌ في الجُبْن والحُمْق، وقال حسَّانٌ:

فـأنـت مـجـوَّفٌ نَـخِـبٌ هـواءُ

قوله: (الذي لم تشغَلْه) صفة كاشفة للخَلاء. قال في الصحاح: «الخَلاء: المكان لا شيء فيه».[١] ويجوز أن يكون صفة مميّزة لِما ذكر في الصحاح أيضًا أنّ الخلاء: المُتَوَضَّأ.[٢]

قوله:

(مِـن الـظِّـلْـمـانِ)...[٣] البيتَ

أوّله:

كـأنَّ الـرَّحْـلَ[٤] منه فـوق صَـعْـلٍ[٥]

جُؤجُؤ الطائر والسفينة: صدرهما.[٦] والصَّعْل:[٧] الصغير الرأس.[٨]

قوله:

(فـأنـت مُـجَـوَّفٌ نَـخِـبٌ[٩] هـواء)[١٠]

---

[١] الصحاح للجوهري، «خلا».

[٢] الصحاح للجوهري، «خلا». | وفي هامش د: قوله: (فوُصف به) أي: "الهواء" مصدر في موضِع الصفة، أي: خالٍ، أي: أفئدتهم خالية.

[٣] ن: الظلمات.

[٤] ر ن: الرجل.

[٥] لزهير بن أبي سلمى. انظر: شرح شعر زهير لثعلب، ص ٥٨.

[٦] ر: صدورهما. | الصحاح للجوهري، «جأجأ».

[٧] ن: الصعل.

[٨] الصحاح للجوهري، «صعل».

[٩] ر: نحب.

[١٠] ر: هواه.

وعن ابن جُريجٍ: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾: صفرٌ من الخَير خاويةٌ منه.

وقال أبو عبيدة: جُوفٌ لا عُقولَ لهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ"أَنْذِرْ"، وهو يومُ القيامة، ومعنى ﴿أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: رُدَّنا إلى الدنيا وأمهِلْنا إلى أمدٍ وحدٍّ من الزمَان قريبٍ نتداركُ ما فرَّطْنا فيه من إجابة دعوتك واتِّباع رسلك.

أو أريدَ باليوم: يومُ هلاكهم بالعذاب العاجل، أو يومُ موتهم معذَّبين بشدَّة السكرات ولقاء الملائكة بلا بُشرَى، وأنهم يَسألون يومئذٍ أن يؤخِّرَهم ربُّهم إلى أجلٍ قريب؛ كقوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون ٦٣/١٠].

أوّله:

ألَا أبلِــــغ أبـــــا ســــــفيان عنِّــــــي[١]

رجل[٢] نَخِبٌ[٣] بكسر الخاء، أي: جبان. وقوله: "هَواء" لا فؤادَ له.

قوله: (وعن ابن[٤] جُرَيج)[٥] إلى هنا كان بيان اللغة، وهذا شروع في تفسير الآية.[٦]

قوله: (رُدَّنا)...[٧] إلخ يعني به أنّ في الكلام حذفًا، تقديره: رُدَّنا[٨] إلى الدنيا. وقوله:[٩] (أمْهِلْنا) تفسير ﴿أَخِّرْنَا﴾.

قوله: (وأنّهم يسألون) عطفٌ على قوله: (باليوم يومُ هلاكهم)، أي: وأُريد أنّهم يسألون.[١٠]

---

[١] ديوان حسّان بن ثابت، ١٨/١.

[٢] ر: رحل.

[٣] ر: نحب.

[٤] ر: بن.

[٥] ر: جريح.

[٦] وفي هامش د: (جُوف) جمع أجوف.

[٧] ر: زدنا.

[٨] ر: زدنا.

[٩] ن: قوله.

[١٠] وفي هامش د: قوله: (على إرادة القول) هنا القول والمعطوف عليه محذوف، تقديره: أتقولون: أخِّرنا إلى أجل قريب نُجِبْ دعوتكَ >

﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم﴾ على إرادة القول، وفيه وجهان:

أن يقولوا ذلك بَطَرًا وأَشَرًا ولِمَا استولى عليهم من عادةِ الجهل والسَّفَه.

وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنَوْا شديدًا وأمَّلوا بعيدًا.

و﴿مَا لَكُم﴾ جوابُ القسم، وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله: ﴿أَقۡسَمۡتُم﴾ ولو حُكي لفظ المُقسِمين لقيل: ما لنا ﴿مِن زَوَالٖ﴾.

والمعنى: أقسمتُم أنكم باقون في الدنيا لا تُزالون بالموت والفناء.

وقيل: لا تَنتقِلون إلى دارٍ أخرى، يعني: كفرَهم بالبعث؛ كقوله: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل ١٦/٣٨].

﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥﴾

يقال: "سَكن الدارَ" و"سَكَن فيها"، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ لأن السُّكنى من السكون الذي هو اللُّبثُ، والأصلُ تَعَدِّيه بـ"في"؛

قوله: (أن يقولوا) أي: الكفّار، أي: يقول الذين ظلموا. وقوله: (ذلك) أي: "ما لنا مِن زوال".

قوله: (بلفظ الخطاب) أي: ﴿مَا لَكُم﴾.

قوله: (وقيل: لا تنتقلون)...[1] إلخ فعلى هذا الوجه يكون معنى قوله: ﴿أَقۡسَمۡتُم﴾ ظاهرًا؛ لأنّهم كانوا مُنكرين للبعث، مقسِمين على أنّه لا يكون.

قوله: (لأنّ السُّكنى مِن السُّكون) تعليل لقوله: (يقال)، فكأنّه[2] قال: تعدّى بنفسه وبِـ"في"؛[3] لأنّ السُّكنى مِن السكون، فأصل تعديته بـ"في"[4] كـ"قرّ"[5] و"غنِي"،[6]

~ ونتّبع الرسل، ولم تكونوا أقسمتم مِن قبلُ ما لكم مِن زوال؟ فيكون الإنكار متوجّهًا إلى انضمام هذا القول مع ذلك الفعل، أي: قولكم: ﴿أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ مُنافٍ لإقسامكم على أنّه ما لنا مِن زوال.

١ ر ن: ينتقلون.

٢ ن: فكناه.

٣ ر ن: وبقي.

٤ ر: نفي.

٥ ر: كفر.

٦ ر: وعني.

كقولك: "قَرَّ في الدار" و"غَنِيَ فيها" و"أقام فيها"؛ ولكنه لمَّا نُقل إلى سكونٍ خاصٍّ تُصرِّف فيه فقيل: "سكَن الدار" كما قيل: "تبوَّأها وأَوْطَنها".

ويجوز أن يكون: "سكنوا" من السكون؛ أي: قرُّوا فيها واطمأنُّوا طيِّبي النفوس سائرِينَ سيرةَ مَن قَبْلَهم في الظلم والفساد، لا يُحدِّثونها بما لقيَ الأوَّلون من أيَّام الله وكيف كان عاقبةُ ظُلمهم، فيَعتبِروا ويَرتدِعوا.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بالإخبار والمشاهدة ﴿كَيْفَ﴾ أهلكناهم وانتقمنا منهم.

وقرئ: "ونُبيِّن لكم" بالنون.

فعُدِّي هذا تعديتَه، ثمّ لمّا نقل هذا إلى معنًى آخَر عُدِّي[1] بنفسه لتضمُّنه معنى التبوّء والإبطان. وقوله: "مِن السُّكون"؛ لأنّ السُّكنى نوع مِن اللُّبث والاستقرار.[2]

قوله: (ويجوز أن يكون) عطفٌ على محذوف دلّ عليه الكلام، فكأنّه قال[3] أوّلًا: سكنوا مِن السكنى، ثمّ قال: ويجوز... والمعنى على / الوجه الأوّل: أنكم [٤٧و] تبوّأتُموها دارًا، واتّخذتموها وطنًا. وعلى الوجه الثاني: قرَرتم فيها واطمأننتم، كالساكن الذي لا يتحرّك. ثمّ إنّ قول المصنّف: (سكنوا) مُشكل،[4] إذ ليس في القرآن ههنا: "سكَنوا"؛ بل ﴿سَكَنتُمْ﴾؛[5] لكنّ المصنّف نظر إلى المعنى، فكأنّه[6] قال: ﴿سَكَنتُمْ﴾ مِن السكون ضدّ الحركة، لِيئُول[7] معنى الآية[8] إلى أنّ هؤلاء الكفّار سكَنوا، أي: قرُّوا فيها.

قوله: (وكيف) عطفٌ على (بما لَقِيَ) مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: ولا ينظرون ليعلموا كيف كان عاقبة.

---

[1] ن: تعدّى.

[2] وفي هامش د: قوله: (إلى سكون ماض)[(1)] وهو اتّخاذ الدار سَكَنًا، مثل: تبوّءَها، أي: اتّخذها مباءة، أي: منزلًا؛ لأنّه بهذا التصرّف قرب مِن المفعول به، فيكون المناسب حينئذٍ حذف "في" منه. | [(1)] في مطبوع الكشّاف: خاص. | قوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ فاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ مضمَر دلّ عليه الكلام، أي: تبيّن لكم حالهم.

[3] ر ن – قال.

[4] ر ن: مِن كلّ.

[5] ر ن: سكنهم.

[6] ن: فكناه.

[7] ر: ليوك.

[8] ر: الحركة.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ أي: صفاتِ ما فعلوا وما فُعل بهم، وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكلِّ ظالم.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾؛ أي: مكرَهم العظيمَ الذي استفرَغوا فيه جُهدَهم.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ لا يخلو: إما أن يكون مضافًا إلى الفاعل كالأوَّل على أن المعنى: ومكتوبٌ عند الله مكرُهم فهو مجازيهِم عليه بمكرٍ هو أعظمُ منه، أو يكونَ مضافًا إلى المفعول على معنى: وعند الله مكرُهم الذي يَمْكرُهم به، وهو عذابُهم الذي يستحِقُّونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسِبون.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾: وإنْ عظُمَ مكرُهم وتَبالَغَ في الشدَّة، فضَربَ زوالَ الجبالِ منه مثلًا لتفاقُمه وشدَّته؛ أي: وإن كان مكرُهم مسوًّى لإزالةِ الجبال مُعدًّا لذلك.

وقد جُعلت "إنْ" نافيةً واللامُ مؤكِّدةً لها؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة ١٤٣/٢] والمعنى: ومحالٌ أن تزولَ الجبالُ بمكرهم، على أن الجبالَ مَثَلٌ

قوله: (﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾) والمراد بـ﴿عِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أنّه لا يعلم ذلك إلّا الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ فيكون ﴿إِن﴾ شرطيّة، وقوله: ﴿لِتَزُولَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، واللام متعلّق بمحذوف، وجواب الشرط يقدّر مِن جنس ما تقدّمه، أي: فإنّ الله تعالى يجازيهم على ذلك. وقوله: (مُسَوًّى)[١] مُهَيّأً.[٢]

قوله: (ومُحال) دلّ على هذا المعنى لام الجحود؛ لأنّها للتأكيد بعد النفي.[٣]

---

[١] ر ن: مسويًا.

[٢] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ ﴿إِن﴾ للتأكيد، وسمّي وصلًا، والمراد بالتأكيد التأكيدُ المعنوي؛ لأنّه يدلّ على أنّه لا بُدّ مِن وجود ذلك الشيء؛ لأنّه إذا كان على هذا التقدير يكون على جميع التقادير، وهو عطفٌ على مقدَّر، أي: إن لم يكن مَكرهم لِتزول منه الجبال وإن كان مكرهم لِتزول منه الجبال، وجوابه محذوف لدلالة ما قبله، وهو ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ عليه.

[٣] وفي هامش د: قوله: (على أنّ الجبال مَثل)... إلخ فعلى هذا آيات الله مشبّهة بالجبال في الثبات وعدم الزوال وعدم الانمحاء، وعلى الأوّل تفاقم الأمر مشبّه بالجبال في العِظَم.

لآيات الله وشرائعه؛ لأنها بمنزلةِ الجبالِ الراسيَةِ ثباتًا وتمكُّنًا، وتنصرُه قراءةُ ابن مسعود رضي الله عنه: "وما كان مكرهم".

وقرئ: ﴿لَتَزُولُ﴾ بلام الابتداء على: وإن كان مكرُهم من الشدَّة بحيث تزولُ منه الجبالُ وتنقلعُ عن أماكنها.

وقرأ عليٌّ وعمر رضي الله عنهما: "وإنْ كادَ مكرُهم".

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥ﴾ يعني قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر ٥١/٤٠]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة ٢١/٥٨].

فإن قلتَ: هلا قيل: "مُخلِفَ رسلِه وَعْدَه" ولـمَ قدِّم المفعولُ الثاني على الأول؟

قلتُ: قدَّم الوعدَ ليُعْلم أنه لا يُخلِفُ الوعدَ أصلًا؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران ٩/٣]، ثم قال: ﴿رُسُلَهُۥ﴾ ليؤذِنَ أنَّه إذا لم يُخْلِف وعدَه أحدًا، وليس من شأنه إخلافُ المواعيد، كيف يخلفُه رسلَه الذين هم خِيَرتهُ وصفوتُه؟

قوله: (بلام[١] الابتداء) على ﴿وَإِن كَانَ﴾ مخفَّفة مِن الثقيلة.[٢]

قوله: (يعني) أي: بالوعد.

قوله: (قلتُ: قدَّم الوعد) فكأنَّه لو قدَّم "رُسُله" لأوهَم أنَّه يجوز أن يُخلِف غير رُسله وعدَه، ولمّا قدَّم "وعده" اندفع هذا الوهم لدلالته على أنَّ الاعتناء[٣] بشأن الوعد أتمّ، فإنّ الإخلاف إنّما لم يَجُزْ في الوعد لكونه وعدًا، لا لكونه مع الرسل. ويحتمل كلام المصنِّف وجهًا آخر، وهو أنَّ الكلام قد تمّ عند قوله: ﴿وَعْدِهِۦ﴾، ثمّ استأنف قوله: ﴿رُسُلَهُۥ﴾، بتقدير: لا يُخلِف رسُلَه وعدَه، فحذف لدلالة الكلام عليه. والأوّل أظهر، ففي تقديم "الوعد" وتأخير "الرسل"

---

١ ر: يلام؛ ن - بلام.

٢ ر: النقله؛ ن: العلة.

٣ ر: الاعتبا.

وقرئ: "مخلِفَ وعدَه رسلِه" بجرِّ الرسل ونصبِ الوعد، وهذه في الضَّعْف كمَن قرأ ﴿قتلُ أولادَهم شركائِهم﴾ [الأنعام ١٣٧/٦].

﴿عَزِيزٌ﴾ غالبٌ لا يماكَرُ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ انتصابُه على البدل من ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ﴾، أو على الظرف للانتقام. والمعنى: يوم تبدَّل هذه الأرض التي تعرفونها ....

إظهار الاعتبار ببيان عدم إخلاف[١] الوعد، ثمّ فيه إشارة إلى تأكيد عدم الإخلاف إذ كان مع الرسل.[٢]

قوله: (وهذه في الضَّعف كمَن قرأ)؛[٣] لأنّه فصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف،[٤] وهذا غير مستحسَن في الشِّعر، فكيف في النثر؟ فكيف[٥] في القرآن؟ وهذا[٦] تقرير كلام المصنّف. وأمّا نحن فلا نقول بذلك، وإنّما نقول: إذا ثبت ذلك في القرآن متواترًا[٧] في موضع وشاذًّا في آخر عُلمَ أنّه فصيح غير ضعيف، وإنّما الضعيف رأي مَن ضعَّفه، ثمّ فيه دقيقة وحُسن مِن حيث علمُ البلاغة، وهو أنّه قدّم "وعدَه" ليُعلم أنّ الاعتناء[٨] بشأنه أشدّ، وانتصب الأوّل وكسر[٩] الثاني ليدلّ على أنّ الأصل كان فيه التقديم والتأخير، وإنّما عدل عن ذلك للدلالة[١٠] على المعنى المذكور، تأمّل فيه فإنّه لطيف، وفّقنا الله تعالى للازدياد في معرفة هذه اللطائف بمَنّه وكرمه،[١١] آمين.

قوله: (هذه الأرض) بالتعريف؛ لأنّ اللام في قوله: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أفاد هذا التعريف،

---

١ ن: اختلاف.

٢ ن – مع الرسل.

٣ ن + قوله. | قراءة ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَٰدَهُمْ شُرَكَآئِهِمْ﴾ بضمّ الزاي وكسر الياء مِن ﴿زُيِّنَ﴾، ورفعِ لام ﴿قَتْلُ﴾، ونصبِ دال ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾، وخفضِ همزة ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ بإضافة ﴿قَتْلُ﴾ إليه؛ قراءة ابن عامر الشامي. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٦٣/٢.

٤ ر: الطرف.

٥ ن: فيكف.

٦ ن + وهذا.

٧ ر ن: متواتر.

٨ ر: الاعتبا.

٩ ر: ولسر.

١٠ ر: لدلالته؛ ن: لدلالة.

١١ ن: وكره.

أرضًا أخرى غيرَ هذه المعروفة، وكذلك السماوات.

والتبديل: التغيير، وقد يكون في الذَّوَات؛ كقولك: "بدَّلْتُ الدراهم دنانير"، ومنه: ﴿بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النساء ٥٦/٤]، ﴿وَبَدَّلۡنَـٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ﴾ [سبأ ١٦/٣٤]، وفي الأوصاف كقولك: "بدَّلتُ الحَلْقةَ خاتَمًا" إذا أَذَبْتَها وسَوَّيتَها خاتمًا فنقلتَها من شكلٍ إلى شكلٍ، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٍ﴾ [الفرقان ٧٠/٢٥].

واختُلف في تبديل الأرض والسماوات:

فقيل: تُبدَّل أوصافُها فتُسيَّر عن الأرض جبالُها، وتفجَّرُ بحارُها، وتُسوَّى فلا يُرى فيها عوجٌ ولا أمْتٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي تلك الأرض وإنما تُغيَّر، وأنشد:

وما الناسُ بالناسِ الذينَ عهِدْتَهم ولا الـدَّارُ بـالـدَّار التي كنتَ تَعْلَمُ

وأمّا[1] قوله: (أرضًا)؛ لأنّ قوله: ﴿غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ نكرة؛ إذ لا يتعرّف "غير" وإن أضيف إلى المعرفة.

قوله: (وكذلك[2] السماوات) إشارة إلى التعريف والتنكير فيها كما مرّ.

قوله: (ولا أمْتٌ) الأمْتُ: المكان المرتفع.[3] وقال أبو عمرو: «الأمْتُ: النِّبَاك، وهي التِّلال الصغار»، وقوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمۡتًا﴾ [طه ١٠٧/٢٠]، أي: لا ارتفاعَ فيها ولا انخفاضَ.[4]

[٤٧ظ] / قوله: (وما[5] الناس)... البيتَ،[6] أي: تغيّرتْ أحوالهم إلّا أنّهم هم.[7]

---

١ ر ن: أمّا.

٢ ن: ولذلك.

٣ ن: المرفع.

٤ الصحاح للجوهري، «أمت».

٥ ن: وأما.

٦ للعبّاس بن عبد المطّلب في ربيع الأبرار للزمخشري، ٤٥٢/١.

٧ وفي هامش د: قوله: (فإن قلتَ: كيف قال: ﴿ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾؟) حاصل السؤال: أنّه لأيّ وجه قال: ﴿ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾، وما قال: "الواحدِ الغفّار" مثلًا؟ وما فائدته في هذا المقام؟ وحاصل الجواب: أنّه إنّما قاله لتصوير غاية صعوبة الأمر المُنذَر به وشدّته، وتصوير أنّه لا مستجارَ له غيره حتّى لا يَتّكِلوا إلى غيره، ويتوجّهوا إلى الواحد المُستجار المُستغاث.

وتَبدُّلُ السماء: بانتثار كواكبها، وكُسوفِ شمسِها، وخسوفِ قمرِها، وانشقاقِها، وكونِها أبوابًا.

وقيل: تُخلَقُ بَدَلَها أرضٌ وسماواتٌ أُخَرُ.

وعن ابن مسعود وأنس رضي الله عنهما: يُحشر الناسُ على أرضٍ بيضاءَ لم يُخطئ عليها أحدٌ خطيئةً.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: تُبدَّل أرضًا من فضَّة وسماواتٍ من ذهب.

وعن الضحاك: أرضًا من فضَّة بيضاءَ كالصحائف.

وقرئ: "يوم نُبدِّل الأرضَ" بالنون.

فإن قلتَ: كيف قال ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾؟

قلتُ: هو كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر ١٦/٤٠]؛ لأن المُلْك إذا كان لواحدٍ غلَّابٍ لا يُغالَب ولا يُعازُّ -فلا مستغاثَ لأحدٍ إلى غيره ولا مُسْتجارَ- كان الأمر في غاية الصعوبة والشدَّة.

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ قُرِن بعضُهم مع بعض، أو مع الشياطين، أو قُرِنَتْ أيديهم إلى أرجُلهم مُغَلَّلين، وقوله: ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ إما أن يتعلَّق بـ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾؛ أي: يُقَرَّنون في الأصفاد، وإمَّا أن لا يتعلَّق به فيكون المعنى: مقرَّنين مصفَّدين.

قوله: (قُرِنَ بعضُهم مع بعض) كقوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف ٣٦/٤٣]، وقولِه:[١] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم ٦٨/١٩].

قوله: (أو قُرِنت) مثل قولهم: قُرِنَتِ[٢] الأُسارى في الحِبال،[٣] شُدِّدَ[٤] للتكثير،[٥] قال الله تعالى: ﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾.[٦]

---

[١] ر ن: قوله.
[٢] ن: قريب.
[٣] ر: الجبال.
[٤] ر: سدّد.
[٥] ر: للتكبير.
[٦] الصحاح للجوهري، «قرن».

والأصفاد: القيود، وقيل: الأغلالُ، وأُنشد لسَلَامةَ بنِ جَنْدلٍ:

وزَيْــدُ الخيْلِ قد لاقَى صِفَادًا يَعَضُّ بساعدٍ وبعَظْمِ ساقِ

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾

"القَطِران" فيه ثلاثةُ لغات: "قَطِرَانٌ"، و"قَطْرانٌ، وقِطْرانٌ" بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء، وهو ما يَتحَلَّبُ من شجرٍ يُسمَّى الأُبْهُلَ، فيُطبخُ فتُهْنَأُ به الإبلُ الجَرْبَى، فيُحرِقُ الجرَبَ بحرِّه وحدَّته والجلدَ، وقد تبلغُ حرارتُه الجوفَ، ومن شأنه أن يُسرع في اشتعالِ النار، وقد يُستَسْرجُ به، وهو أسودُ اللون مُنتِنُ الريح، فتُطْلَى به جلودُ أهل النار حتى يعودَ طِلاؤه لهم كالسَّرابيل -وهي القُمُص- لتجتمعَ عليهم الأربعُ: لَذْعُ القَطِران وحُرْقتُه، وإسْراعُ النار في جلودهم، واللونُ الوَحِشُ، ونَتْنُ الريح، على أن التفاوتَ بين القَطِرانينِ كالتفاوُت بين النارين، وكلُّ ما وعَدَه الله أو أَوْعَدَ به في الآخرة فبَيْنه وبين ما نُشاهِدُ من جنسه ما لا يقادَرُ قدرُه، فكأنَّه ما عندنا إلا الأسامي والمسمَّياتُ ثمَّة، فبِكَرَمه الواسع نعوذُ من سَخَطه ونسألُه التوفيقَ فيما يُنجينا من عذابه.

وقرئ: "من قِطْرٍ آنٍ"، والقِطْر: النُّحاسُ أو الصُّفْرُ المُذابُ، والآني: المتناهي حرُّه.

﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ كقوله: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الزمر ٢٤/٣٩]، ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [القمر ٤٨/٥٤]؛ لأن الوجهَ أعزُّ موضعٍ في ظاهر البدن وأشرفُه؛ كالقلب في باطنه؛ ولذلك قال: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ [الهمزة ٧/١٠٤].

وقرئ: "وتَغَشَّى وجوهَهم" بمعنى: وتتغشَّى؛ أي: يَفْعَلُ بالمجرمين ما يَفْعَل.

قوله: (ومِن شأنه)[١] أي: القَطِران.

---

[١] ن: شا.

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ مُجرِمةٍ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾، أو: كلَّ نفسٍ من مجرمةٍ ومطيعةٍ؛ لأنه إذا عاقبَ المجرمين لإجرامهم عُلم أنَّه يُثِيب المطيعين لطاعتهم.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾: كفايةٌ في التذكير والموعظةِ، يعني بـ﴿هَٰذَا﴾ ما وصَفَه من قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَلِيُنذَرُوا۟﴾ معطوفٌ على محذوفٍ؛ أي: لِيُنصحوا ولِيُنذروا ﴿بِهِۦ﴾ بهذا البلاغ.

وقرئ: "ولِيَنْذَروا" بفتح الياء من نَذِر به: إذا عَلِمه واستعدَّ له.

﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ لأنهم إذا خافوا ما أُنذروا به دَعَتْهم المخافَةُ إلى النظر حتى يتوصَّلوا إلى التوحيد؛ لأن الخشيةَ أمُّ الخير كلِّه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورةَ إبراهيم أُعطي من الأَجْر عشرَ حسناتٍ بعدَدِ كلِّ مَن عَبَد الأصنامَ وعدَدِ مَن لم يَعْبُدْ».

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.[١]

---

[١] ر ن - تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.

سورة الحجر

مكيَّةٌ، وهي تسعٌ وتسعون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾

﴿تِلۡكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تضمَّنَتْه السورةُ من الآيات، والكتابُ والقرآنُ المبين: السورةُ، وتنكيرُ القرآن للتفخيم، والمعنى: تلك آياتُ الكتاب الكاملِ في كونه كتابًا وأيِّ قرآنٍ مبين؛ كأنَّه قيل: الكتابُ الجامعُ للكمال والغرابةِ في البيان.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾

قرئ: ﴿رُبَّما﴾ و: "ربَّتما" بالتشديد، و: ﴿رُبَمَا﴾ و: "رَبَما" بالضم والفتح مع التخفيف.

سورة الحِجر

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قوله: (وأيِّ قرآنٍ مبينٍ) بانَ الشيءُ بيانًا؛ اتَّضَحَ، فهو بيِّن، والجمع: أبيِناء، وكذا[2] أبانَ[3] الشيءُ، فهو مُبين، قال:

---

[1] وفي هامش د: قوله: (و"القرآن المبين" السورة) فحينئذٍ يكون إطلاق الكتاب على السورة مِن باب إطلاق اسم الكلّ على الجزء، كقوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة ١٩/٢]، وإنّما ارتكب هذا المجاز ولم يُحمل على الحقيقة للمبالغة مِن حيث إنّه جعل السورة بمنزلة الكتاب كلّه، فلو حمل على الحقيقة يصير معناه: إنّ آيات السورة بعض الكتاب، وهذا معلوم لكلِّ أحدٍ، فلا يكون للإخبار فائدة.

[2] ر: وكدي.

[3] ر: بان.

فإن قلتَ: لمَ دخلت على المضارع وقد أبَوْا دخولها إلّا على الماضي؟

لـو دَبَّ ذَرٌّ[١] فـوق ضاحـي[٢] جِلْدِهـا   لَأبـــانَ مِـــن آثـارهـــنَّ حُـــدُورُ[٣]

وأبَنْتُه أنا، أي: أوضَحتُه.[٤] يقال: حَدَرَ، أي: وَرِمَ.[٥]

قوله: (فإن قلتَ: لِم دخلَت؟) "ربَما" للتقليل؛[٦] ولكن فيما يُتيقَّن، وذلك في الماضي. قال أبو[٧] عليّ في الحجّة: «إنّما وَقع في الآية على لفظ المضارع لأنّه حكاية لحالٍ آتيةٍ،[٨] كما أنّ قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [النحل ١٦/١٢٤] حكاية لحالٍ آتيةٍ، ومِن حكاية الحال قول القائل:

جـاريــةٌ فـي رمـضـان الـمـاضِـي[٩]   تُـقَـطِّـعُ الـحديث بـالإيـمـاضِ»[١٠]

يقال: أوْمَضتِ المرأة إيماضًا؛ إذا سارقَتِ النظر.[١١] وأنا أقول: فيما ذكره أبو عليّ فائدة جليلة؛ وهي إراءة[١٢] تلك الحال العظيمة، وهي حال وَدادتِهم؛ ليتأمّلوا[١٣] في ذلك ويخافوا ويُسْلِموا. وإنّما جعل قوله: ﴿لَيَحْكُمُ﴾ حكاية لحالٍ[١٤] آتيةٍ[١٥] لأجل اللام فيه، فإنّه يَجعلُ الفعل المضارع بمعنى الحال.[١٦]

---

[١] ن: درّ.

[٢] ن: صاحي.

[٣] لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، ص ١١٧. | وفي هامش د:

لَـو مشى فـوق إتْـبِها الـذَّرُّ أبقى
باطنُ الثوب ظاهرَ الجسمِ وَشما

[٤] ر: أوصلحته. | الصحاح للجوهري، «بين».

[٥] انظر: الصحاح للجوهري، «حدر».

[٦] ر ن: للتعليل.

[٧] ن: أبوا.

[٨] ر: ابنه.

[٩] د: الماضي.

[١٠] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٥/٣٩. والبيت منسوب لرُؤبة بن العجّاج، وهو في ملحق ديوانه، ص ١٧٦، بلفظ:

لقد أتـى فـي رمـضـان الـماضِـي
جـاريـةٌ فـي دِرعـهـا الـفَـضـفـاضِ
تُـقَـطِّـعُ الـحـديـث بـالإيـمـاضِ
أبـيـض مِـن أخـت بـنـي إبـاضِ

[١١] الصحاح للجوهري، «ومض».

[١٢] ن: إرادة.

[١٣] ن: ليأملوا.

[١٤] ر ن – لحال.

[١٥] ن: آنية.

[١٦] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: لأنّ المترتّب)[(١)] يمكن أن يقال: استعارة تبعيّة في الحرف، وهو ربّما شبّه المضارع بالماضي في التحقّق، واستعمل فيه "رُبَّ" التي حقّها أن تستعمل في الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٢٨/٨]، شبّه كونهم عدوًّا وحزنًا بالغرَض في الترتّب، واستعمل فيه اللام التي تستعمل في الغرض. | (١) في مطبوع الكشّاف: المترقّب.

قلتُ: لأن المترقَّبَ في إخبار الله عزَّ وجلَّ بمنزلةِ الماضي المقطوعِ به في تحقُّقه؛ فكأنَّه قيل: "رُبما ودَّ".

فإن قلتَ: متى تكونُ وِدَادتُهم؟

قلتُ: عند الموت، أو يومَ القيامة إذا عايَنوا حالهم وحالَ المسلمين.

وقيل: إذا رأَوا المسلمين يُخرَجون من النار، وهذا أيضًا بابٌ من الوِدَادةِ.

فإن قلتَ: فما معنى التقليل؟

قوله: (وهذا أيضًا باب) أي: قولهم: "يُخرَجُون مِن النار" باب مِن الوَدادةِ. وفيه إشارة إلى أنّ أصحاب الكبائر يُخلَّدون في النار كما هو مذهب المعتزلة؛ لكن هذا الذي ردَّه المصنّف ثبتَ صحّتُه بالحديث وتفسيرِ النبيّ،[١] لا يمكن ردُّه.

قوله: (وهذا أيضًا باب مِن الوَدادة) أي: مِن وَدادةِ المفسّر به، أي: مَن فَسَّرها بأنّ الوَدادة تكون عندما يَرَون المسلمين يُخْرَجون مِن النار، فقد فسَّره على[٢] ما أحبَّه ووَدَّه.[٣]

---

[١] وهو ما رُوي عن أبي موسى الأشعري، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: «إذا اجتمعَ أهل النار في النار، ومعهم مَن شاء الله مِن أهل القِبلة؛ قال الكفّار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صِرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخِذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر الله مَن كان في النار مِن أهل القِبلة فأخرجوا، فلمّا رأى ذلك الكفّار قالوا: يا ليتنا كنّا مسلمين فنخرجُ مِن النار كما أخرِجوا»، قال: ثمّ قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾. التفسير الوسيط للواحدي، ٣٩/٣ (الحجر، ١٥/٢)؛ المستدرك للحاكم، ٢٦٥/٢ (٢٩٥٤).

[٢] ر ن – على.

[٣] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: هو وارد)... إلخ أجاب بجوابَين: الأوّل: أنّه وارد على طريق كلام العرب، فإنّهم يستعملون أداة الشكّ والتقليل -وهي "لعلّ" و"رُبّما"- في مقام التحقيق والتكثير في موضع يريدون منع الشخص مِن فعل يريد أن يفعله حتّى ينتهونَه، على أنّه إذا [كان] هذا الفعل المشكوك والقليل مانعًا مِن ذلك الفعل فبالطريق الأولى أن يكون الفعل المحقّق المتيقّن الفعل الكثير مانعًا منه، وهذا هو النكتة التي تقتضي العُدول إلى خلاف مقتضَى الظاهر. اعلم أنّ المراد التقليل على الوجهين، فيكون حقيقة؛ لكن على الوجه الثاني في الواقع التقليل كما هو مفهومه، وعلى الوجه الأوّل في الواقع الكثير، فعلى الوجه الأوّل على خلاف مقتضى الظاهر.

قلتُ: هو واردٌ على مذهبِ العرب في قولهم: "لعلَّك ستَندَم على فِعْلك وربَّما ندم الإنسانُ على ما فَعَلَ"، ولا يشكُّون في تندُّمه، ولا يقصدون تقليلَه؛ ولكنهم أرادوا: ولو كان الندمُ مشكوكًا فيه أو كان قليلًا لحُقَّ عليك أَن لا تَفْعَلَ هذا الفعلَ؛ لأن العقلاء يتحرَّزون من التعرُّض للغمِّ المظنون كما يتحرَّزون من المتيقَّن، ومن القليلِ منه كما من الكثير، وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يودُّون الإسلام مرَّةً واحدةً فبالحَرَى أن يُسارِعوا إليه، ....

قوله: (لعلَّك ستَنْدَم)... إلخ في هذا الكلام لفٌّ ونشر في مَواضِعَ، فتأمّل مِن قوله: (لعلّك) إلى[1] قوله: (مِن الكثير). وقوله: (ولا تَشكُّون)[2] حال مِن الضمير في "قولِهم". وقوله: (على ما فعلتَ)[3] أي: هذا الذي فعلتَ ممّا يَندَم عليه الإنسان.[4] وقوله: "على ما فعلتَ" أي: على مِثل ما فعلتَه؛ لأنّه لا يندَم أحدٌ على فِعل غيره، وإنّما يَندَم على فعل نفسه. وقوله: (ولا[5] يَقْصِدون[6] تقليلَه)[7] وممّا[8] يدلّ فيه "رُبَّ" على معنى الكثرة قولُ الشاعر:

فإن تُمْسِ مَهْجورَ[9] الفِناء فرُبَّما أقام به بعد الوُفود وُفُودُ[10]

قوله: (فَبالحَرَى)[11] إن جعلتَه صفة مشبّهة يكون مبتدأً خبرُه (أن يُسارِعوا)، ويكون الباء زائدة نحو: "بِحَسْبِكَ[12] دِرْهمٌ"، والتقدير: فالحَرَى -أي: فالخَلِيقُ-[13] المسارعة إليه، وإن جعلتَه / مصدرًا -على ما قيل، إن صحّ- يكون الباء [٤٨و]

---

[1] ن: إلى.

[2] في مطبوع الكشّاف: ولا يَشكُّون.

[3] في مطبوع الكشّاف: على ما فعلَ.

[4] ر - وقوله: (على ما فعلتَ) أي: هذا الذي فعلتَ ممّا يَندَم عليه الإنسان.

[5] ن - ولا.

[6] ن: يقصدود.

[7] ر: بقليله؛ ن: تعليله.

[8] ن: ممّا.

[9] ر: مهجون.

[10] لأبي عطاء السندي يمدح ابنَ هبيرة. انظر: الزاهر لأبي بكر الأنباري، ١٦٣/١؛ ولسان العرب لابن منظور، «عهد».

[11] الحَرَى: الخَلِيق، كقولك: بالحَرَى أن يكون ذلك، وإنّه لحَرَى بكذا وحَرٍ وحَرِيّ، فمَن قال: "حَرَى" لم يغيّره عن لفظِه فيما زاد على الواحد، وسوى بين المذكّر والمؤنّث، لأنّه مصدر؛ ومَن قال: "حَرٍ" و"حَرِيّ" ثنّى وجمَع وأنّث. لسان العرب لابن منظور، «حرى».

[12] ر: بحسنك.

[13] ر ن: فالحليق.

فكيف وهم يَوَدُّونه في كلِّ ساعة؟

﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ حكايةُ وِدادَتِهم، وإنما جيءَ بها على لفظ الغَيبة؛ لأنهم مخبَرٌ عنهم؛ كقولك: "حلَف بالله ليَفعَلَنَّ"، ولو قيل: "حلف بالله لأَفعلنَّ" و"لو كنَّا مسلمين" لكان حسنًا سديدًا.

وقيل: تُدهِشُهم أهوالُ ذلك اليومِ فيَبْقَوْن مَبهوتين، فإنْ حانت منهم إفاقةٌ في بعض الأوقات من سكرتهم تمنَّوْا؛ فلذلك قُلِّل.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

﴿ذَرْهُمْ﴾ يعني: اقطعْ طمعَك من ارْعِوَائهم، ودَعْهم عن النهي عمَّا هم عليه والصدِّ عنه بالتذكرة والنصيحة، وخلِّهم ﴿يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بدُنياهم وتنفيذِ شهواتهم ويشغَلْهم أملُهم وتَوقُّعُهم لطول الأعمار واستقامةِ الأحوال ....

غيرَ زائدة، و"أن يُسارِعوا" مبتدأ، و"بالحَرَى" خبره، أي: المُسارعة ثابتة بالحَرَى، أي: بالاستحقاق.

قوله: (فكيف وهم يَوَدُّونَه؟)[1] الفاء في جواب شرط محذوف، تقديره: إذا كان وَدادتهم مرّةً واحدةً سببَ استحقاق المسارَعة، فكيف لا يُسارِعون إلى الإسلام، والحال أنّهم يودُّونَه[2] في كلّ ساعة؟

قوله: (و﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾) أي: هذا الكلام.[3]

قوله: (مِن ارعوائهم) أي: امتناعِهم وكفِّهِمْ.

قوله: (وتوقُّعُهُم) هذا العطف للبيان، كما قال المُطرّزي في المُغرب: «التماثيل:[4] التصاوير، وقولهم: 'ويُكره التماثيل والتصاوير'، فالعطف للبيان».[5]

---

[1] ر: يوذونه.

[2] ر: يوذونه.

[3] وفي هامش د: قوله: (يعني: اقطع طمعك) فيكون قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ﴾ كناية؛ لأنّ الترك مِن لوازم وتوابع قطع الطمَع.

[4] ر ن: والتماثيل.

[5] المُغرب للمطرّزي، «مثل».

وأنْ لا يَلقَوْا في العاقبة إلّا خيرًا، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوءَ صَنِيعهم، والغرضُ: الإيذانُ بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيءُ منهم إلّا ما هم فيه، وأنه لا زاجرَ لهم ولا واعظَ إلا معايَنةُ ما يُنذَرون به حين لا ينفعُهم الوعظُ، ولا سبيل إلى اتِّعاظهم قبلَ ذلك، فأمرَ رسولَه بأن يُخلِّيَهم وشأنَهم ولا يشتغلَ بما لا طائلَ تحته، وأن يبالغَ في تخليَتِهم حتى يأمرَهم بما لا يزيدُهم إلّا ندمًا في العاقبة.

وفيه إلزامٌ للحجة ومبالغةٌ في الإنذار وإعذارٌ فيه.

وفيه تنبيهٌ على أن إيثارَ التلذُّذ والتنعُّم وما يؤدِّي إليه طولُ الأمل، وهذه هِجِّيرَى أكثرِ الناس ليس من أخلاق المؤمنين.

وعن بعضهم: التَّمرُّغُ في الدنيا من أخلاق الهالكين.

قوله: (فسوف) في لفظ الكشّاف مرتبط[١] بقوله: (ذَرْهُم)... إلخ.

قوله: (حين لا يَنفَعهم) ظرف (مُعايَنة).

قوله: (حتّى يأمُرَهم) كما قال في موضع آخر: ﴿كُلُواْوَتَمَتَّعُواْ﴾ [المرسلات ٤٦/٧٧].[٢]

قوله: (وإعْذارٌ) يقال: أعذَرَ في[٣] الأمر، أي: بالغَ فيه.[٤] يقال: أعذَرَ، أي:[٥] بالغ في العُذر.[٦] والمصنِّف[٧] استعمله لمجرّد المبالغة، فهو مِن الخاصّ الذي يَعُمُّ، مثل: "الإحلاب"[٨] و"تَعالَ".[٩] والعطفُ في قوله: "وإعذارٌ" للبيان.

قوله: (وهذه هِجِّيرَى)[١٠] "الواو" للحال.

قوله: (التمرُّغُ في الدنيا) شُبّه التلذُّذ بالملاذِّ الدنيويّة بتمرُّغِ[١١] الحِمار في التراب، ثمّ ذُكِرَ التمرُّغ وأريدَ التلذّذُ، فهو استعارة مُصرَّح بها. وقوله: "في الدنيا"

---

[١] ر: مرتبطة.

[٢] وفي هامش د: قوله: (وفيه إلزام للحُجّة) أي: في قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْوَيَتَمَتَّعُواْ﴾ إلزام للحُجّة؛ لأنّ هذا الكلام يكون بعد اليأس مِن فائدة الوعظ وتأثيره.

[٣] ر: أعذرني.

[٤] الصحاح للجوهري، «عذر».

[٥] ن – أي.

[٦] المُغرب للمطرّزي، «عذر».

[٧] ن: والصنف.

[٨] أحلَبَ القوم واستحلَبوا: أي: اجتمَعوا للنصرة والإعانة. وأصل الإحلاب: الإعانة على الحَلْب. النهاية لابن الأثير، «حلب».

[٩] ر: ويقال. | "تَعالَ": لمّا كثُر استعماله صار بمنزلة "هلمّ"، وإن كان أصله مِن الارتفاع. الصحاح للجوهري، «علا».

[١٠] ر: هجيري.

[١١] ن: يتمرّغ.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾

﴿لها كتابٌ﴾ جملةٌ واقعةٌ صفةً لـ﴿قَرۡيَةٍ﴾ والقياسُ: أن لا تتوسَّط الواوُ بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء ٢٠٨/٢٦]، وإنما توسَّطَتْ لتأكيد لُصُوق الصفة بالموصوف؛ كما يقالُ في الحال: "جاءني زيدٌ عليه ثوبٌ" و: "جاءني وعليه ثوبٌ".

﴿كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾: مكتوبٌ معلومٌ، وهو أجَلُها الذي كُتب في اللَّوح وبيِّن، ألَا ترى إلى قوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ في موضع "كتابَها".

وأنَّث الأمَّةَ أوَّلًا ثم ذكَّرها آخِرًا حملًا على اللفظِ والمعنى، وقال: ﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ بحذفِ "عنه"؛ لأنه معلوم.

قرينة الاستعارة. قال بعض المشايخ: «التزيُّن بالدنيا مِن أخلاق المنافقين، والتمتُّع بها مِن أخلاق الكافرين، والتمرُّغ بالدنيا مِن أخلاق الهالكين».[١] والصواب أن يقال: الكافر يتمتّع في الدنيا، والمنافق يتزيَّنُ، والمؤمِن يتزوَّد. مرَّغْته[٢] في التراب فتمرَّغ، أي: معَّكْتُه فتمعَّك.[٣]

قوله: (لتأكيد لُصُوق الصفة) واو[٤] العطف للجمع، والجمع قريبٌ مِن الإلصاق، فجاز أن يكون مؤكِّدًا. اعلم أنّه حَيث أُتي بالواو فما بعدها حال، وإذا لم يُؤتَ فهو صفة، وهذا هو التحقيق، وإليه الإشارة في المفتاح.[٥]

قوله: (وأنّث[٦] "الأُمّة" أوّلًا) حيث قال: ﴿مَّا تَسۡبِقُ﴾. وقوله: (ثمّ ذكَّرها آخِرًا) حيث قال: ﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾. وقوله: (حملًا على اللفظ والمعنى) في قوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾[٧] لأنّ في "الأُمّة" الذكورَ، فغُلِّبَ[٨] الذكورُ على الإناث.

---

١ تفسير السلمي، ٣٥٠/١؛ فتوح الغيب للطيبي، ١٣/٩.

٢ ر: مرعته.

٣ الصحاح للجوهري، «مرغ».

٤ ن: و.

٥ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ٢٧٦/١.

٦ ر: دانت.

٧ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿مَا﴾ نفي ﴿تَسۡبِقُ مِنۡ﴾ صلة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾.

٨ ر: فعلب.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾

قرأ الأعمش: "يا أيُّها الذي أُلقي عليه الذِّكْرُ".

وكان هذا النداءُ منهم على وجه الاستهزاء؛ كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٧]، وكيف يُقِرُّون بنزولِ الذِّكر عليه ويَنْسُبونَه إلى الجنون؟

والتعكيسُ في كلامهم للاستهزاء والتهكُّم مَذهبٌ واسعٌ، وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٣/٢١]؛ ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود ١١/٨٧] وقد يُوجد كثيرًا في كلام العجم، والمعنى: إنك لتقول قولَ المجانين حين تدَّعي أن الله نزَّل عليك الذِّكر.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ يجوز أن يكون مِن قول الله تعالى، ولا يكونَ مِن قول الكفّار؛ بل كانوا[١] ذكروه مُوافِقًا لاعتقادهم، فذكَره[٢] الله تعالى بهذه[٣] الصفة الشريفة، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف ٤٣/٩].

قوله: (وكيف يُقِرُّون)[٤] "الواو" للعطف على محذوف، أي: كانوا يستهزءون،[٥] ولا يُقِرُّون ويَنسبُون، أي: ما[٦] كانوا يجمعون بين الإقرار بنزول الذكر عليه والنسبةِ له إلى الجنون لامتناع ذلك؛ ولكن للاستهزاء.[٧] وهو معنى قوله: (والتَّعْكِيسُ)... إلخ، / أي: التعكيسُ في كلام العرب[٨] كثير، وفي القرآن أيضًا. [٤٨ظ]

قوله تعالى: (﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود ١١/٨٧]) أرادوا السفيهَ الغاويَ، وهذا قول قوم شُعَيب.

---

١ ن: كانو.
٢ ر: فذكروا.
٣ ر: وبهذه.
٤ ر ن: يقروون.
٥ ر: يستهرون.
٦ وفي هامش د: نفي.
٧ ر ن: الاستهزاء.
٨ ر: الغرب.

﴿لَّوْمَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾

﴿لَّوْ﴾ رُكِّبَتْ مع "لا" و"ما" لمعنيين: معنى امتناعِ الشيء لوجودِ غيره، ومعنى التحضيض، وأمّا "هَلْ" فلم تُركَّب إلّا مع "لا" وحدها للتحضيض؛ قال ابن مُقْبِلٍ:

لوما الحياءُ ولوما الدِّينُ عِبتُكما ببعضِ ما فيكُما إذ عِبتُما عَوَرِي

والمعنى: هلّا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقِك ويَعْضُدونك على إنذارك؛ كقوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان ٧/٢٥].

أو: هلّا تأتينا بالملائكةِ للعقاب على تكذيبِنا لك إنْ كنتَ صادقًا؛ كما كانت تأتي الأممَ المكذِّبةَ برسلها.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾

قرئ: ﴿تَنَزَّلُ﴾ بمعنى: تَتَنزَّلُ، و﴿تُنَزَّلُ﴾ على البناء للمفعول من نَزَّلَ، و: ﴿نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بالنون ونصب ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلّا تنزُّلًا مُلْتبِسًا بالحكمة والمَصلحة، ولا حكمةَ في أن تأتيَكم عِيانًا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛

قوله:

(لوما[1] الحياء)... البيتَ[2]

اعلم أنّ تركيب "لو" مع "لا" لمعنى امتناع الشيء لوجود غيره كثير،[3] وأمّا تركيب "لو" مع "ما" لهذا المعنى قليل، فلِذا استشهد له ببيت[4] ابن[5] مُقْبِل.

قوله: (والمعنى) أي: معنى الآية.

قوله: (كما كانت تأتي) أي: تأتي الملائكة للعقاب.

---

[1] وفي هامش د: بمعنى امتناع الشيء لوجود غيره.

[2] في ديوان ابن مقبل، ص ٧١، بلفظ:
لولا الحياءُ ولولا الدينُ عِبتُكما... البيتَ

[3] ر ن: كثيرًا.

[4] ر: بيت.

[5] ر: بن.

لأنكم حينئذٍ مصدِّقون عن اضطرارٍ، ومثلُه قولُه عزَّ وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر ١٥/٨٥].

وقيل: الحقُّ: الوَحْيُ أو العذاب.

و﴿إِذًا﴾ جوابٌ وجزاء؛ لأنه جوابٌ لهم وجزاءٌ لشرطٍ مقدَّرٍ، تقديره: ولو نزَّلنا الملائكةَ ما كانوا مُنظَرين وما أُخِّرَ عذابُهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردٌّ لإنكارهم واستهزائِهم في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ فأكَّدَ عليهم أنه هو المنزِّل على القَطْع والبَتَات، وأنه هو الذي بعَثَ به جبريلَ إلى محمد صلى الله عليه وسلم ومِن بينِ يديه ومِن خلفِهِ رَصَدٌ حتى نزل وبُلِّغ محفُوظًا من الشياطِين، وهو حافظُه في كلِّ وقتٍ من كلِّ زيادةٍ ونقصانٍ وتحريفٍ وتبديل، بخلافِ الكتب المتقدِّمة

قوله: (على القطع) حال مِن الضمير في (أكّد)، أي: أكّد راكبًا مستعليًا على القَطْع[١] والبَتات،[٢] أي: أكّد قاطعًا باتًّا، أو مفعول مطلق مِن المُنْزِل، أي: إنزالًا على القَطْع. وقوله: (وأنّه) أي: الله. وقوله: (بعَث به) الباء للمصاحَبة. وقوله: (جبرئيل) ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء ٢٦/١٩٣]. وقوله: (وبين[٣] يديه) "الواو"[٤] للحال،[٥] وأصل "بين يَدَين": بين الجهتين المُحاذِيتين[٦] لليدين.[٧] وقوله: (حتى) سببيّة،[٨] وقوله: (نَزَلَ[٩] وبُلِّغ)[١٠] ضمير "نزَلَ" يعود إلى جبرئيل، وضمير "بُلِّغ" إلى ما عاد إليه ضمير "به". وقوله: (وهو) يعود إلى ما عاد إليه الضمير في "أنّه"، أي: الله تعالى.

---

[١] ر ن - حال مِن الضمير في (أكّد)، أي: أكّد راكبًا مستَعليًا على القطع.
[٢] ر ن: والنبات.
[٣] ر: بين.
[٤] ن + واو.
[٥] ن: الحال.
[٦] ر: للمحاديتين؛ ن: للمحاذيتين.
[٧] ر - لليدين.
[٨] ر: سننته.
[٩] وفي هامش د: الذِّكر.
[١٠] وفي هامش د: الذِّكر.

فإنه لـم يتولَّ حِفْظَها، وإنما استَحْفَظَها الربانيّين والأحبارَ فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فكان التحريفُ، ولـم يَكِلِ القرآنَ إلى غيرِ حِفْظِه.

فإن قلتَ: فحين كان قولُه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردًّا لإنكارهم واستهزائهم، فكيف اتَّصل به قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾؟

قلتُ: قد جَعَل ذلك دليلًا على أنه مُنزَّلٌ من عنده آيةً؛ لأنه لو كان من قولِ البشر أو غيرَ آيةٍ لتَطرَّقَ عليه الزيادةُ والنقصان كما يتطرَّق على كلِّ كلامٍ سواه.

وقيل: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ [المائدة ٥/٦٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٠﴾

﴿فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: في فِرَقهم وطوائفهم، والشِّيعَةُ: الفِرقةُ إذا اتَّفقوا على مذهبٍ وطريقة، ومعنى أرسلناه فيهم: نبَّأناه فيهم وجعلناه رسولًا فيما بينهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ١١﴾

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ؛ لأن "ما" لا تدخل على مضارعٍ إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماضٍ إلّا وهو قريبٌ من الحال.

قوله: (فكان التحريف) "كان" تامّة. وقوله: (ولـم يَكِلْ) عطفٌ على (لـم يَتولَّ)، أي: لـم يَتولَّ حفظَها، وتولّى حفظ القرآن.[1]

قولـه: (مِـن عِنـدِه آيـةً) أي: دلالـةً وعلامـةً على نبـوّة محمّـد صلّـى الله عليه وسلّم.

قوله: (لأنّ "ما" لا يدخل) أي: لفظَ "ما". وقوله: (إلّا وهو في معنى الحال) صفة. وقوله: (وهو قريب مِن الحال) صفة.[2]

---

[1] ن: القرا.

[2] ر ن – قوله: (لأنّ "ما" لا يدخل) أي: لفظ "ما". وقوله: (إلّا وهو في معنى الحال) صفة. وقوله: (إلّا وهو قريب مِن الحال) صفة.

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٢﴾

يقال: سلكتُ الخيطَ في الإبرة وأسلَكتُه: إذا أدخلتَه فيها ونظَمْتَه، وقرئ: "نُسلِكُه".

والضمير للذِّكْر؛ أي: مِثْلَ ذلك السَّلْكِ ونحوه نَسلُكُ الذكر في ﴿قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ على معنى: أنه يُلقيهِ في قلوبهم مكذَّبًا مستهزَأً به غيرَ مقبولٍ؛ كما لو أنزلتَ بلئيمٍ حاجةً فلم يُجِبْك إليها، فقلتَ: "كذلك أُنزِلُها باللِّئَام" تعني: مثلَ هذا الإنزالِ أُنزلُها بهم مردودةً غيرَ مقضيَّة.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

ومحلُّ قوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ النصبُ على الحال؛ أي: غيرَ مؤمَنٍ به، أو هو بيانٌ لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾.

﴿سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: طريقتُهم التي سنَّها الله في إهلاكهم حين كذَّبوا برسلهم وبالذِّكر المنزَل عليهم، وهو وعيدٌ لأهل مكَّة على تكذيبهم.

﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤﴾

قرئ ﴿يَعۡرُجُونَ﴾ بالضم والكسر.

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥﴾

و﴿سُكِّرَتۡ﴾: حُيِّرَتْ، ....

قوله: (مُكذَّبًا) يجوز[١] أن يكون حالًا مقدَّرة؛ لأنّ الذِّكر ما كان مُكذَّبًا حال الإلقاء؛[٢] بل بعدَه بزمانٍ، ويجوز أن يكون مثلَ قولهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا[٣] عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة ٨٩/٢]، أي: في ذلك الزمان مِن غير توقُّف وتفكُّر.

قوله: (و﴿سُكِّرَتۡ﴾ حُيِّرَتْ)[٤] إن جُعلت مِن السُّكر فالتثقيل[٥] للتعدية، وإن جُعل

---

[١] ر ن: نحو.

[٢] ر ن: لالقا.

[٣] وفي هامش د: الذي.

[٤] ر ن: خيرت. | وفي هامش د: فيكون مجازًا مِن باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ السُّكر مستلزم للتحيّر.

[٥] ر: فالتفصيل؛ ن: فالتعقيل.

أو: حُبِستْ من الإبصار، من السُّكر أو السِّكر.

وقرئ: ﴿سُكِرَتْ﴾ بالتخفيف؛ أي: حُبِسَتْ كما يُحبَسُ النَّهْرُ من الجَرْي.

وقرئ: "سَكِرَتْ" من السُّكْر؛ أي: حارَتْ كما يَحارُ السكرانُ.

والمعنى: أن هؤلاء المشركين بلغَ من غُلوِّهم في العناد: أَنْ لو فُتِح لهم بابٌ من أبواب السماء ويُسِّرَ لهم معراجٌ يَصعدون فيه إليها ورأَوْا من العِيَان ما رأَوْا لقالوا: "هو شيءٌ نتخايَلُه لا حَقيقةَ له"، ولقالوا: "قد سَحَرنا محمدٌ بذلك".

مِن السِّكر -بالكسر- فالتثقيل[١] للإسناد إلى الجماعة، كقوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص ٥٠/٣٨].

قوله: (مِن السُّكر أو[٢] السِّكر) سَكرَ النهرَ: سدَّه، سَكْرًا، والسِّكْر -بالكسر- الاسم، وقد جاء فيه الفتح على تسميته بالمصدر. والسَّكَرُ -بفتحتين- عصير الرُّطَب إذا اشتدّ، وهو في الأصل مصدر سَكِرَ مِن الشراب سُكْرًا وسَكَرًا.[٣] مُغرب.[٤] وفي الصحاح: «السَّكْران: خِلاف الصاحِي، وقد سَكِرَ يَسْكَرُ سَكَرًا، مثل: بَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرًا، والاسم: السُّكْر[٥] بالضمّ. السِّكْر بالكسر: العَرِمُ، وبالفتح: مصدر سَكَرْتُ النهرَ أسْكُرُه».[٦]

قوله: (وقُرئ: ﴿سُكِرَتْ﴾ بالتخفيف)[٧] فيكون مِن السِّكْر، لا مِن السُّكْر. وقُرئ: "سَكِرَتْ"[٨] مِن السُّكْر، لا مِن السِّكْر.[٩]

قوله: (ويُسِّرَ لهم) أي: هُيِّئَ،[١٠] قال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى ٨/٨٧]. وقوله:[١١] (مِعراج) آلة العُروج، مثل: السُّلَّم ونحوه.

قوله: (مِن[١٢] العِيان) عايَنْتُ الشيء عِيانًا؛[١٣] إذا رأيتَه بعينك.[١٤]

---

١ ر: والتنقيل؛ ن: والتثقيل.

٢ ر ن: أي.

٣ ر: وسلرًا.

٤ ر ن: معرب. | المُغرب للمطرّزي، «سكر».

٥ ر: الشكر.

٦ ر: أشكره. | الصحاح للجوهري، «سكر».

٧ قرأ بها ابن كثير المكّي. النشر لابن الجزري، ٣٠١/٢.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن الزهري وابن أبي عَبلة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٦٤.

٩ ر + لا مِن السكر.

١٠ ن: هي.

١١ ن: قوله.

١٢ وفي هامش د: ابتداء.

١٣ ر: عنيانًا.

١٤ ر: يعينك. | الصحاح للجوهري، «عين».

وقيل: الضميرُ للملائكة؛ أي: لو أريْناهم الملائكةَ يصعدون في السماء عِيَانًا لقالوا ذلك، وذَكَر الظُّلُولَ ليجعَل عروجَهم بالنهار ليكونوا مستوضِحِينَ لِمَا يرَوْن، وقال: ﴿إِنَّمَا﴾ ليَدُلَّ على أنهم يَبُتُّون القولَ بأن ذلك ليس إلَّا تسكيرًا للأبصار.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَنِ ٱسْتَرَقَ﴾ في محلِّ النصب على الاستثناء.

قوله: (وقيل: الضمير) أي: في ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.[١]

[٤٩و] قوله: (عِيانًا) / مفعول مطلق مِن قوله: (أريناهم)، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح ٧١/١٧].

قوله: (وقال: ﴿إِنَّمَا﴾) أي: لفظة ﴿إِنَّمَا﴾. "إنّما" يفيد الحصر في المذكور آخرًا، فيكون الحصر في "الأبصار"، لا في "التسكير"، فكأنّهم[٢] قالوا: سُكِّرَتْ أبصارُنا،[٣] لا عقولُنا، فنحن وإن نتخايل[٤] بأبصارنا هذه الأشياء؛ لكنّا نعلم بعقولنا أنّ الحال بخلافه، ثمّ قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ﴾، كأنّهم أضربوا عن الحصر[٥] في الأبصار، وقالوا: بل جاوز ذلك إلى عقولنا بِسِحرٍ سحَره[٦] لنا.

وقوله:[٧] ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ﴾ الاستثناء منقطع،[٨] أي: ولكن مَن استرَق السَّمع، أو في مَحلّ الجرّ[٩] بدلًا مِن ﴿كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾، هكذا ذكر في الكواشي.[١٠] ولي في حمله على البدل نظر؛ لأنّه[١١] في كلام موجَب، فالأولى أن يقال: هو استثناء متّصل

---

[١] د: يَعْرِجُونَ. [بضمّ الراء وكسرها]. | كسر الراء قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٦٤.

[٢] ن – فكأنّهم.

[٣] ن: أبصارهم نا.

[٤] ن: نتحايل.

[٥] ر: الحضر.

[٦] ر ن: سحرة.

[٧] ر ن + قوله.

[٨] وفي هامش د: استثناء منقطع؛ لأنّه لو كان متّصلًا يلزم أن لا تكون السماء محفوظة مِمَّن استرق السمع، وليس كذلك.

[٩] ر: الجز.

[١٠] تفسير الكواشي، ٢٦٣ظ.

[١١] ر ن: إليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم كانوا لا يُحجَبون عن السماوات، فلمَّا وُلد عيسى عليه السلام مُنِعوا من ثلاثِ سماواتٍ، فلمَّا وُلد محمد عليه السلام مُنعوا من السماوات كلِّها.

﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ للمبصِرين.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩﴾

﴿مَّوۡزُونٖ﴾: وُزن بميزان الحكمة وقُدِّر بمقدارٍ تقتضيه لا يَصلحُ فيه زيادةٌ ولا نقصانٌ، أو: له وزنٌ وقَدْرٌ في أبواب النِّعمة والمنفَعَة.

وقيل: ما يُوزَن من نحو الذَّهب والفضة والنُّحاس والحديد وغيرها.

﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠﴾

﴿مَعَٰيِشَ﴾ بياءٍ صريحةٍ بخلافِ الشمائل والخبائث ونحوِهما، فإن تصريحَ الياء فيها خطأٌ، والصوابُ الهمزة أو إخراجُ الياء بَيْنَ بَيْنَ، وقد قرئ: "معائشَ" بالهمز على التشبيه.

﴿وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ عطفٌ على ﴿مَعَٰيِشَ﴾ أو على محلِّ ﴿لَكُمۡ﴾؛

مِن ﴿كُلِّ شَيۡطَٰنٖ﴾، شُبِّه الاستماع إلى الشي خُفْيةً[١] للاطّلاع على المسموع بأخذ الشيء سرِقةً، ثمّ قيل: ﴿ٱسۡتَرَقَ﴾، وأُريد: استمَعَ خُفْيةً،[٢] فيكون استعارة تبعيّة.

قوله:[٣] (لا يَصلُح فيه) صفةٌ[٤] أخرى لـ(مقدار).

قوله: (بياء صريحة)[٥] فرقًا بين الواو والياء الزائدتين والواوِ والياءِ الأصليّتين.[٦]

قوله: (أو على محلّ ﴿لَكُمۡ﴾) ومحلّ ﴿لَكُمۡ﴾ نصب؛ لأنّه مفعول به، هذا يدلّ على أنّ مُراد المصنّف بقوله: "محلّ[٧] ﴿لَكُمۡ﴾" هو محلّ المجرور،

---

[١] ر: حفية.
[٢] ر: حفية.
[٣] ر + قوله.
[٤] ر: صفره.
[٥] ر ن: بيا صرته.
[٦] ر: الأصليين.
[٧] ر: فحل.

كأنه قيل: "وجَعَلْنا لكم فيها معايِشَ وجعَلْنا لكم مَن لستُم له برازقين"، أو: "وجعَلْنا لكم معايِشَ ولِمَن لستُم له برازقين"، وأراد بهم العيالَ والمماليك والخَدَمَ الذين يَحسبون أنهم يَرْزقونهم ويخطئون، فإن الله هو الرَّزَّاق يَرزقهم وإيَّاهم، ويَدخُل فيه الأنعامُ والدَّوابُّ وكلُّ ما بتلك المثابةِ ممَّا اللهُ رازقُه، وقد سبق إلى ظَنِّهم أنهم هم الرزَّاقون.

لا الجارّ والمجرور؛ لكن تصريحه بعد ذلك بأنّه ليس عطفًا على المجرور ينافيه، فالوجه أن يقال: مراد المصنّف أنّ تقدير الكلام: ولِمَن لستم، ثمّ حذف حرف الجرّ[١] وأوصل الفِعل،[٢] فيكون ﴿مَن لَّسْتُمْ﴾ عطفًا على ﴿لَكُمْ﴾ بهذا المعنى.

قوله: (الذين يَحسبون أنّهم يَرزُقونهم) الضمير العائد مِن الصلة -أعني: قوله: "يَحسبون"... إلخ- هو الضمير المنصوب في "يرزُقونهم"،[٣] وأمّا الضمير في "يَحسبُون" و"أنّهم" فعائد[٤] إلى "الأناسيّ" المراد بالخطاب في ﴿لَكُمْ﴾ و﴿لَسْتُمْ﴾.

قوله: (ويُخطِئُون)[٥] جملة معترضة، أو حال بحذف المبتدأ، تقديره: وهم يُخطئُون،[٦] ولا يجوز أن يكون عطفًا على الصلة لعدم العائد.

قوله: (ويَدخُل فيه) أي: في قوله: ﴿مَن لَّسْتُمْ﴾.

قوله: (وكلُّ ما بتلك المَثابة) "ما" موصوفة، و"بتلك المثابة" صفتُه. و"المثابة" مَفْعَلة مِن ثَابَ يَثوبُ إذا رجَع، فهو بمعنى المنزلة والمقام.

قوله: (وقد سبق) جملة[٧] حاليّة أو معترِضة، كقوله: "ويُخطِئون"،[٨] وإدخال[٩] "قد" يؤيّد كونه[١٠] حالًا.[١١]

---

[١] ر: الجز.
[٢] ر: العفل.
[٣] د: ترزقونهم.
[٤] ن: فنائد.
[٥] ر: ويحيطون.
[٦] ر: يحيطون.
[٧] ر: محما.
[٨] ر: ويحيطون.
[٩] ر: وإذا حال.
[١٠] ر: يذكره.
[١١] ر: حالكم.

ولا يجوز أن يكون مجرورًا عطفًا على الضمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾؛ لأنه لا يُعْطَفُ على الضمير المجرور.

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

ذكرُ الخزائن تمثيلٌ، والمعنى: ومَا من شيءٍ ينتفِعُ به العبادُ إلَّا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلَّا بمقدارٍ معلومٍ نَعلم أنه مَصلحَةٌ له، فضربَ الخزائنَ مثلًا لاقتداره على كلِّ مقدورٍ.

قوله: (تمثيلٌ)[١] يعني: استعارة مُصرَّحة؛ شُبّه قدرته على إيجاد الأشياء بالخزائن[٢] التي يكون الأموال[٣] فيها، ثمّ يُخرَج منها متى أريدَ، ثمّ ذُكر الخزائن وأريدَ القدرة. وقوله: (على إيجاده) يعني به القدرة القديمة على إيجاد الأشياء. وقوله: (وتكوينِه) التكوين: هو التعلّق للقدرة[٤] بالمقدورات، وذلك يترتّب عليه الوجود، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠/١٦].

قوله تعالى: ﴿عِندَنَا﴾[٥] عبارة عن قيام القدرة به، والمصنّف ذكر الاقتدار؛ لأنّه قائل بالاقتدار، لا بالقدرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ قال ابن[٦] عبّاس والمفسّرون: «يعني: للشّجر وللسحاب».[٧] وقال ابن[٨] مسعود: «يَبعث اللهُ الرياحَ لِتُلْقِحَ[٩] السحابَ، فتحملَ الماءَ وتَمُجَّهُ في السحاب، ثمّ تَمْرِيه،[١٠] فتَدُرُّ[١١] كما تَدُرُّ[١٢] اللِّقْحة».[١٣]

---

١ وفي هامش د: يعني استعارة تمثيليّة، شبّه حال الاقتدار بالخزائن، كما أنّ الخزائن يُستخرج منها الأشياء المخزونة بسهولة، فكذلك الاقتدار يُستخرج منه المقدورات بسهولة، فاستعمل في الاقتدار الوصف الذي يُستعمل في الخزائن، وهو ﴿عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾.

٢ ر: بالخزان.

٣ ن: الأوال.

٤ ن: للفدرة.

٥ في الأصول الخطّيّة: عنده.

٦ ر: بن.

٧ ر ن: والسحاب؛ ر + يتمجل. | انظر: جامع البيان للطبري، ٤٥/١٤ (الحجر، ٢٢/١٥)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٢/٣ (الحجر، ٢٢/١٥).

٨ ر: بن.

٩ ر ن: لتقلّح.

١٠ ر: تمر به.

١١ ر: فتذر.

١٢ ر: تذر.

١٣ انظر: جامع البيان للطبري، ٤٣/١٤ (الحجر، ٢٢/١٥)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٢/٣ (الحجر، ٢٢/١٥).

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَوَٰقِحَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الريح لاقحٌ إذا جاءَتْ بخيرٍ من إنشاء سحابٍ ماطرٍ؛ كما قيل للّتي لا تأتي بخير: ريحٌ عقيمٌ.

والثاني: أن اللّواقح بمعنى المَلاقح؛ كما قال:

و﴿لَوَٰقِحَ﴾ هنا بمعنى مَلاقِحَ جمع مُلْقِحة،[١] فحُذفت الميم، ورُدّت إلى الأصل الثلاثي.[٢] يقال: أبْقَل النَّبتُ،[٣] فهو باقِل، يجعلونه[٤] بدلًا مِن مُبْقِل.[٥] وقال ابن[٦] / الأنباري: «الريح اللاقِحُ: التي تَحمِل[٧] الماء والسحاب».[٨] وهذا قول الفرّاء [٤٩ظ] وابنِ[٩] قُتَيبة واختيارُ[١٠] الأزهري، قالوا: جعل الله الريح هي التي تُلْقِح بمرورها على التراب والماء، فيكون فيها اللِّقاح.[١١]

يقال: الرياح لَواقِح، ولا يقال: مَلاقح، وهو مِن النوادر. وقيل: الأصل فيه مُلقِحة؛ ولكنّها لا تُلقِحُ إلّا وهي في نفسِها لاقح، كأنّ الرياح لَقِحَت بخير.[١٢]

قيل: الوجه الصحيح في "لَواقح" و"طَوائحَ" أن توصف الرياح والحوادث بصفة[١٣] ما هي أسباب له وملتبسة به مِن حيث السببيّة، كقوله:

إذا ردَّ عافي القِدْر مَن يَستعيرها[١٤]

وقوله: (مِن إنشاء) بيان أو ابتداء. وقوله: (كما قال) أي: "اللواقح" بمعنى

---

[١] ر: لملقحة.

[٢] ر ن: والثلاثي.

[٣] ر: النبت.

[٤] ر: تجعلونه.

[٥] ر: مقبل.

[٦] ر: بن.

[٧] ر: يحمل.

[٨] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٤٢ (الحجر، ١٥/٢٢).

[٩] ر: وبن.

[١٠] ر: واختار.

[١١] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٤٢ (الحجر، ١٥/٢٢).

[١٢] الصحاح للجوهري، «لقح».

[١٣] ر: يصفه.

[١٤] ن: يستغيرها. | أوّله:

فلا تَسْأليني واسألي مَا خَليقَتي

وهو لمُضَرِّس الأسَدي في لسان العرب لابن منظور، «عفا». وفيه: «العافي: ما يُرَدُّ في القِدر مِن المرَقة إذا استُعيرَت. قال ابن سيده: 'وعافي القِدر: ما يُبقي فيها المستعيرُ لمُعيرِها'».

ومُـخـتـبِـطٌ مـمـا تُـطـيـحُ الـطَّـوَائـحُ

يريد المطاوِحَ: جمع مطيحة.

وقرئ: ﴿وأرسلنا الرّيح﴾ على تأويل الجنس.

﴿فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ﴾: فجعلناه لكم سُقيا.

المَلاقح، مثل كون الطوائح بمعنى المُطاوح وقت قول الشاعر، أي:[١] في قول الشاعر: "ومُختبطٌ"[٢] يريد المُطاوح. وكأنّ هذا التركيب اقتبسه[٣] مِن قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ[٤] كَمَا قَالَ عِيسَى﴾ [الصف ١٤/٦١].

وقوله: (ومُختَبِطٌ)...[٥] البيتَ.

سقى جَـدَثًـا[٦] أمسى بِـدُومَـةَ ثـاويًـا مِـن الـدَّلْـوِ والـجـوزاء[٧] غـادٍ ورائـحُ[٨]

"دُومة الجَندل": اسم حصن، وأصحاب اللغة يقولونه بضمّ، وأصحاب الحديث يفتحونها.[٩] وقوله: (يريد) حال مِن ضمير (قال).

قوله: (وقُرئ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيحَ﴾)[١٠] هذه القراءة تخالِفُ ما جاء في تفسير قوله عليه السلام: «اللّٰهمّ اجعلها رياحًا، ولا تجعلها ريحًا»،[١١] مِن أنّ "الرياح" للخير و"الريحَ" للشرّ، إلّا أن يُحمل الحديث على الغالب، فقد جاء "الريح" في القرآن بمعنى الخير والنفع: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس ٢٢/١٠]، أو يقال في الحديث: ليس المعنى ما ذكروه؛ بل المراد الدعاء بطول العُمر ليَرى رياحًا كثيرة، ولا يكون مقصورًا على هذه الريح.

---

١ ر – أي.

٢ ر: ومحتبط.

٣ ر ن: اقتبسه.

٤ ر: أنصارًا لله؛ ن: لله. | قرأ: ﴿أَنصَارًا لِّلَّهِ﴾ بالتنوين ولام الجرّ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٨٧/٢.

٥ ر: ومحتبط.

٦ ر ن: حدثًا. | وفي هامش د: أي: المطر.

٧ ر: والحوزاء.

٨ لنَهْشل بن حَرِي مِن قصيدة يرثي بها يزيدَ بن نَهْشل. انظر: شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي، ٢٩٦/٧.

٩ انظر: المُغرِب للمطرّزي، «دوم».

١٠ قرأ بها حمزة وخلف. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٢٣/٢.

١١ مسند أبي يعلى الموصلي، ٣٤١/٤ (٢٤٥٦)؛ المعجم الكبير للطبراني، ٢١٣/١١ (١١٥٣٣).

﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ نفَى عنهم ما أثبتَه لنفسه في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ كأنّه قال: "نحن الخازنون للماء"، على معنى: نحن القادرون على خَلْقه في السماء وإنزالِهِ منها وما أنتم عليه بقادرين؛ دلالةً على عظيمِ قُدرته وإظهارًا لعجزهم.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣﴾

﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾؛ أي: الباقون بعد هلاك الخلق كلِّه، وقيل للباقي: "وارثٌ"، استعارةً من وارث الميّت؛ لأنه يبقى بعد فنائه، ومنه قولُه عليه السلام في دعائه: «واجْعلهُ الوارثَ منا».

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ٢٤﴾

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا﴾ مَن استقدمَ وِلادةً وموتًا ومَن تأخَّر من الأوَّلين والآخِرين، أو: مَن خَرج من أصلاب الرِّجال ومَن لم يَخرج بعدُ، أو: مَن تقدَّم في الإسلام وسبَق إلى الطاعة ومَن تأخَّر.

قوله: («واجعله الوارثَ مِنّا») أوّل الدعاء: «اللّٰهمّ مَتِّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وأذهاننا وقوّتنا ما أحيَيْتنا واجعله»...[1]

قوله تعالى: ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾ سَقَيتُه حتّى رَوِيَ، وأسقيتُه نَهرًا؛[2] جعلتُه[3] شِرْبًا[4] له، ومعنى ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾: جعلناه سُقْيًا لكم.[5]

---

[1] كذا بلفظ الجمع في الدعاء للطبراني، ص ٥٣٥ (١٩١١)؛ وعمل اليوم والليلة لابن السنّي، ص ٣٩٤ (٤٤٦)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، دون قوله: "وأذهاننا". وفي سنن الترمذي، ٤٨٠/٥ (٣٦٠٤)، عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو فيقول: «اللّٰهمّ متِّعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارثَ منّي»... الحديث. | وفي هامش د: قوله: (استعارةً مِن وارث الميّت) أي: استُعير الوارث للباقي بجامع البَقاء.

[2] ر ن - أو يقال في الحديث: ليس المعنى ما ذكروه؛ بل المراد الدعاء بطول العُمر ليَرى رياحًا كثيرة، ولا يكون مقصورًا على هذه الريح. قوله: (واجعله الوارث مِنّا) أوّل الدعاء: «اللّٰهمّ مَتِّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وأذهاننا وقوّتنا ما أحيَيْتنا واجعله»... قوله تعالى: ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾ سَقَيتُه حتّى رَوِيَ، وأسقيتُه نَهرًا.

[3] ر: اجعلته؛ ن: احملته.

[4] ن: سربًا.

[5] التفسير الوسيط للواحدي، ٤٢/٣ (الحجر، ٢٢/١٥).

وقيل: المستقدِمين في صفوف الجماعة والمستأخرين.

وروي: أن امرأةً حسناء كانت في المُصَلِّيات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان بعض القوم يستقدِمُ لئلا يَنظُر إليها وبعضٌ يستأخِرُ ليُبْصِرَها، فنزلت.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ۝٢٥﴾

﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾؛ أي: هو وحده القادرُ على حشرهم والعالِمُ بِحَضْرهم مع إفراطِ كثرتهم وتباعُدِ أطراف عددهم.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾: باهرُ الحكمة واسعُ العلم، يفعلُ كلَّ ما يفعلُ على مقتضَى الحكمة والصواب، وقد أحاط علمًا بكلِّ شيء.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٖ مِّنْ حَمَإٖ مَّسْنُونٖ ۝٢٦﴾

"الصلصال": الطينُ اليابس الذي يُصَلْصِلُ وهو غيرُ مطبوخ، وإذا طُبخ فهو فخّارٌ، قالوا: إذا توهَّمتَ في صوته مدًّا فهو صَلِيلٌ، وإن توهَّمتَ فيه ترجيعًا فهو صَلْصَلةٌ.

قوله: (أي: هو وحدَه القادر) يجوز[١] أن يكون المراد -والله أعلم- التأكيد لا الحصر؛ إذ ليس الكلام في أنّه يحشُرهم لا غيره؛ بل الكلام في أنّه يحشُرهم[٢] البتّة، ولا يَترُك حَشرَهم.[٣]

قوله: (وقيل: هو تضعيف "صَلَّ")[٤] لا بمعنى أنّ أصله "صَلَّ"[٥] فزِيدَ صاد؛[٦] بل هو رباعيّ، نحو:[٧] زَلزَلَ،[٨] والاشتراك في أصل المعنى مع أكثر الحُروف لا يقتضي أن يكون منه؛ إذ الدليل دلّ على أنّ الفاء لا يُضاعَفُ وحدَها،

---

١ ر: نحو.

٢ ر – لا غيرُه؛ بل الكلام في أنّه يحشُرهم.

٣ وفي هامش د: قوله: (إذا توهَّمتَ في صوته) أي: صوتِ الصلصال.

٤ ر: وضل؛ ن: وصل.

٥ ر: ضلّ.

٦ ر: ضاد.

٧ ن: يجوز.

٨ ن: لرل.

وقيل: هو تضعيفُ "صَلَّ": إذا أَنْتَن.

و"الحَمأُ": الطين الأسود المتغيِّرُ.

و"المسنون": المصوَّر من سُنَّة الوجه.

وقيل: المَصبوبُ المُفْرَغُ؛ أي: أُفرِغَ صورةَ إنسانٍ كما تُفرَغُ الصُّوَرُ من الجواهر المُذَوَّبةِ في أمثلتها.

فهو مثل: دَمِثٍ[١] ودِمَثْرٍ؛[٢] لكن زيادة الحروف دليل زيادة المعنى، كما في شُقنذُف[٣] وشِقِنداف.[٤]

قوله: (مِن سُنَّة الوجه) أي: "المَسْنون" مأخوذ مشتقّ[٥] مِن سُنَّة الوجه، أي:[٦] صورةِ الوجه، قال ذو الرمّة:

تُريكَ سُنَّةَ وَجهٍ غيرَ مُقرِفةٍ   مَلساءَ ليس بها خالٌ[٧] ولا نَدَبُ[٨]

قَرَفْتُ[٩] القَرحةَ أقْرِفها قَرْفًا؛ قشَرتُها،[١٠] وذلك إذا[١١] يَبِسَتْ.[١٢] والنَّدَب: أثر الجُرْح إذا لم يرتفع عن[١٣] الجِلد.[١٤] وسَنَنْتُه أَسُنُّه[١٥] سَنًّا؛ إذا صوَّرتَه.[١٦]

قوله: (وقيل: المَصْبُوبُ)[١٧] على هذا الوجه يكون كناية؛ لأنّ الإفراغ مستلزِم للتصوير، فأطلق اللازم، وهو "المَسْنون"، أي: المُصوَّر، وأراد الملزوم، وهو المُفرَغ.

---

١ ن: دمت. | الدَّمِثُ: المكان اللَّين ذو رَمْلٍ، والجمع: الدِّماثُ. وقد دَمِثَ -بالكسر- يَدْمَثُ دَمَثًا. والدُّماثة: سهولة الخُلُق. الصحاح للجوهري، «دمث».

٢ الدُّماثِر: السَّهلُ مِن الأرض. وأرض دِمَثْرٌ: سهلة. وأرض دُماثِر؛ إذا كانت دَمْثاءَ؛ ودَمْثَر: دَمِث. والدَّمْثَرة: الدُّماثة. لسان العرب لابن منظور، «دمثر».

٣ ر ن: شفندف.

٤ ر ن: وسقنداف. | قال الزجّاج: «ممّا طنَّ على أذني مِن مِلَح العرب أنّهم يسمّون مَركبًا مِن مراكبهم بالشُّقدُف، وهو مَركب خَفيف ليس في ثِقَل محامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم: 'ما اسم هذا المَحمَل؟' أردتُ المَحمَل العراقي، فقال: 'أليس ذاك اسمه الشُّقدُف؟' قلتُ: 'بلى'، فقال: 'هذا اسمه الشِّقِنداف'، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمّى». الكشّاف للزمخشري، (الفاتحة، ١/١).

٥ ر: ومشتقّ؛ ن: ومستف.

٦ ر - أي.

٧ ن: حال.

٨ ديوان ذي الرمّة، ١/٢٩.

٩ ر: قفرق؛ ن: ققرفت.

١٠ ر: فشرتها.

١١ ر ن: إن.

١٢ الصحاح للجوهري، «قرف».

١٣ ن: على.

١٤ الصحاح للجوهري، «ندب».

١٥ ن: أسنّة.

١٦ الصحاح للجوهري، «سنن».

١٧ ر: المنصوب.

وقيل: المُنْتِنُ، من سَنَنْتُ الحجرَ على الحجر: إذا حَكَكْتَه به، فالذي يَسيل بينهما سَنِينٌ، ولا يكون إلا مُنْتِنًا.

﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ صفةٌ لـ﴿صَلْصَٰلٍ﴾؛ أي: خَلَقه من صلصالٍ كائنٍ من حمأٍ.

وحقُّ ﴿مَسْنُونٍ﴾ -بمعنى: مصوَّرٍ- أن يكون صفةً لـ﴿صَلْصَٰلٍ﴾؛ كأنَّه أَفرغَ الحمأَ فصوَّر منها تمثالَ إنسانٍ أجوفَ، فيَبِسَ حتى إذا نُقِرَ صَلْصَلَ، ثم غيَّره بعد ذلك إلى جوهرٍ آخر.

قوله:[1] (مِن سَنَنْتُ).

يـا سـيِّـدَ الـحُـكـمـاء هـذا بِـدْعـةٌ / في الطِّبِّ بين الناس أنت سَنَنْتَها [٥٠و]
أفكُلَّما كَلَّتْ سُيوفُ جُفُونِ مَن سَفَكَتْ لَوَاحِظُهُ الدماءَ سَنَنْتَها[2]

قوله: (وحقُّ ﴿مَسْنُونٍ﴾) يعني: إن[3] كان "المَسنُون" بمعنى المُفْرَغ،[4] فهو صفة ﴿حَمَإٍ﴾؛[5] لأنَّ الحَمَأَ:[6] المُفْرَغُ[7] صورةَ إنسان كما يُفرغُ[8] الصور مِن الجواهر المُذابة. وإنْ كان "المَسنُون" بمعنى المُصَوَّر فهو صفة ﴿صَلْصَٰلٍ﴾؛ لأنَّ "الصَّلصال" هو المُصوَّر، لا الحَمَأ؛[9] بل الحَمَأ أُفرِغَ[10] فصار صَلصالًا مصوَّرًا.

قوله: (تِمْثال[11] إنسان) التِّمثال: ما تَصنَعه[12] وتُصوِّره مشبَّهًا بخلق الله مِن ذَوات الروح، والصورةُ عامٌ، ويَشهَدُ له ما ذُكِرَ في الأصل: أنّه لو صلَّى وعليه ثَوبٌ فيه تماثيل كُرِهَ له، وإذا قُطِع رءوسُها فليستْ بتماثيل.[13]

قوله: (إلى جوهر[14] آخَر) وهو جوهر الحيوان مِن الدم واللحم والعَظم والعَصَب.[15]

---

[1] ن – قوله.
[2] لنَجم الدين ابن إسرائيل في ذيل مرآة الزمان لليونيني، ٤١٣/٣؛ والوافي بالوفيات للصفدي، ١٢١/٣.
[3] ر ن: إذا.
[4] ر ن: المفرع.
[5] ر: جما.
[6] ر: الجما.
[7] ر ن: المفرع.
[8] ر: بفرع؛ ن: يفرع.
[9] ر: الجما.
[10] ر ن: أفرع.
[11] ن: بمثال.
[12] ن: يصنعه.
[13] المُغرب للمطرّزي، «مثل». وانظر: الأصل للشيباني، ٢١٤/١.
[14] ر ن: جواهر.
[15] ن: والعطب.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾

والجانُّ للجنِّ كآدم للناس، وقيل: هو إبليس.

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رضي الله عنه: "والجأنَّ" بالهمزة.

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: من نار الحرّ الشديد النافذِ في المسامّ، قيل: هذه السَّمُومُ جزءٌ من سبعين جزءًا من سَموم النار التي خَلَق الله منها الجانَّ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكر وقتَ قوله.

﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: عدَّلتُ خِلقتَه وأكملتُها وهيَّأتُها لنفخ الروح فيها.

ومعنى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾: وأحييتُه، وليس ثَمَّ نفخٌ ....

قوله: (والجانُّ للجِنّ[١] كآدم) يعني: هو أبو الجِنّ.

قوله: (وقيل: هو إبليس) وهو أبو[٢] الشياطين.

قوله: (﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾)[٣] قال ابن[٤] مسعود: «مِن نار الريح الحارّة». و"السَّموم"[٥] في اللغة: الريح الحارّة وفيها نار، ذكره في الوسيط.[٦] وقوله: (مِن نار الحرّ الشديد) العبارة المذكورة في الوسيط أولى مِن هذه العبارة.

قوله: (عدَّلتُ) عدَّلَ الشيء تعديلًا؛[٧] سوَّاه.

قوله: (وليس ثَمّ نَفخٌ) قال في الوسيط: «النفخ: إجراء[٨] الريح في الشيء.

---

[١] ر ن: للجزء.
[٢] ن: أبوا.
[٣] وفي هامش د: مِن إضافة العلّة إلى المعلول. وقوله بعد: (مِن سَموم النار) وعكس هذا؛ لأنّ النار علّة للحرّ الشديد.
[٤] ر: بن.
[٥] ر ن: السموم.
[٦] التفسير الوسيط للواحدي، ٤٥/٣ (الحجر، ٢٩/١٥).
[٧] ر: بعذرلا.
[٨] ر ن: إجزاء.

ولا منفوخٌ وإنما هو تمثيلٌ لتحصيل ما يَحْيَى به فيه.

واستُثني إبليس من الملائكة؛ لأنه كان بينهم مأمورًا معهم بالسجود، فغلِّب اسمُ الملائكة ثم استُثنيَ بعد التغليب؛ كقولك: "رأيتُهم إلّا هندًا".

و'الرُّوح': جسم رقيق يحيى به البدن. ولمّا أجرى الله[1] الروحَ في بدن آدم[2] على صفة إجراء[3] الريح، كان قد نفخ الروح فيه».[4] وقوله: (ولا[5] مَنْفُوخٌ)[6] بناء على أنّ الروح لم يكن مخلوقًا قبل ذلك، أو كان الروح مخلوقًا؛ لكن لمّا لم يكن نفخٌ لم يكن مَنفوخٌ بالضرورة، وهذا هو المعنى.

وقوله: (وإنّما هو تمثيل)[7] لم يذكر المُمثَّل به، أي: بإجراء[8] الريح في الشيء، وهو النفخ. واعلم أنّ التشبيه متى كان وجهه وصفًا غيرَ حقيقي، وكان مُنتزَعًا مِن عدّة أمور؛ خُصّ باسم التمثيل. وقوله: (ما[9] يَحيَى به فيه) الضمير مِن "به" عائد إلى "ما"، والجارّ متعلّق بِـ"يَحيَى"،[10] والضمير مِن قوله: "يَحيى" و"فيه"[11] عائد إلى "البشر"، والجارّ متعلّق بقوله: (تحصيل).

قوله: (فَغُلِّب[12] اسم الملائكة)[13] أي: على اسم الجنّ، فاسم الملائكة مُغلَّب،[14]

---

[1] ر + سبحانه وتعالى.

[2] ر + عليه السلام.

[3] ر ن: إجزاء.

[4] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٤٥ (الحجر، ١٥/٢٩).

[5] ن – ولا.

[6] ر: مفنوح؛ ن: مفتوح.

[7] وفي هامش د: قوله: (إنّما هو تمثيل) شبّه تحصيل ما يحيى به البشر بحال نفخ النافخ في المَنفوخ الذي هو الحطَب أو الجمر، كما أنّ النفخ يكون سببًا لظهور النار واشتعال الحطب به وتعلّق النار بالحطب، كذلك تحصيل ما يَحيى به سبب لظهور الروح وتعلّقه بالبدن وتنوّرِ البدن به وانتعاشِه.

[8] ر ن: بإجزاء.

[9] ر ن: وما.

[10] د: يحيى.

[11] ر – وفيه؛ ن: فيه.

[12] ن: فعلب.

[13] وفي هامش د: قوله: (فغُلّب) فيكون المجاز في إطلاق الملَك على الجنّ، يقول هذا مِن قَبيل تعميم الخاصّ؛ لأنّ كلّ واحد مِن الملَك والجِنّ نوع، وجنسهما أنّ كلًّا منهما أجسام لطيفة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة، وما به الامتياز أنّ الجِنّ مستعدّ للشرّ، والملَك خيّر بالذات، ليس بمستعدّ للشرّ، والشيطان شِرّير بالذات، مثل إطلاق الإنسان على الفرَس، فيكون مَورد القِسمة الأجسام اللطيفة القادرة على التشكّل بأشكال مختلفة، وأنواعه الملَك والجِنّ والشيطان؛ لأنّه إمّا خيّر بالذات، وإمّا شِرّير بالذات، وإمّا قابل لهما.

[14] ن: معلب.

و﴿أَبَىٰ﴾ استئنافٌ على تقديرِ قولِ قائلٍ يقول: "هلَّا سجَد"، فقيل: "أبَى ذلك واستكبر عنه".

وقيل: معناه: ولكنَّ إبليسَ أبى.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢﴾

حرف الجرِّ مع ﴿أَن﴾ محذوف، تقديره: ﴿مَا لَكَ﴾ في ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ بمعنى: أيُّ غرضٍ لك في إبائك السجودَ، وأيُّ داعٍ لك إليه.

واسم الجِنّ مُغلَّب[١] عليه. وقوله: (ثمّ استثنى بعد التغليب)[٢] فيكون متّصلًا. وقوله: (و﴿أَبَىٰ﴾ استئناف) لأنّه جملة، والجُمَل نكِرات، و﴿إِبۡلِيسَ﴾ عَلَم، والعَلَم لا يُوصَف بها.

قوله: (وقيل: معناه) فيكون مُنقطِعًا،[٣] قال ابن[٤] الحاجب في شرح المفصّل: «فأمّا المنقطِع فالعامل فيه 'إلّا'؛ لأنّها تعمل عمل 'لكنّ'، ولها خبر مقدّر على حسب المعنى المراد، ومنهم مَن يقول: إنّه يظهر».[٥] وقوله: ﴿أَبَىٰ﴾ جارٍ مَجرى خبر "لكنّ".

قوله: (تقديره)... إلخ يجوز أن يقال: بَتَّ المصنّف القولَ بأنّ الجارّ المحذوف هو "في"، ثمّ بيَّن حاصلَ المعنى بقوله: (بمعنى)... إلخ، فنقول: ﴿مَا﴾ مبتدأ، و﴿لَكَ﴾ خبره، و﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ ظرف للخبر، أي: أيُّ[٦] شيء ثبَت لك في ترك السجود؟

ويجوز أن يقال: أشار إلى أنّه يجوز أن يكون الجارّ المحذوف "في" أو "إلى"، وذلك لأنّ ﴿مَا﴾ / بمعنى "أيُّ شيء؟"، فإن جعلتَ "الشيء" عبارة عن [٥٠ظ]
الغَرَض[٧] يكون التقدير: أيُّ غرَض[٨] لك في إبائك؟[٩] كما ذكر، وإن جعلتَ "الشيء"

---

[١] ن: معلب.
[٢] ن: متصا.
[٣] ن: منقطقًا.
[٤] ر: بن.
[٥] ر ن: يطهر. | الإيضاح لابن الحاجب، ٣٣٧/١.
[٦] ن – أيّ.
[٧] ن: الغرص.
[٨] ر: عرض.
[٩] ر: آياتك.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣﴾

اللامُ في ﴿لِّأَسْجُدَ﴾ لتأكيد النفي، ومعناه: لا يصحُّ مِنّي، ويُنافي حالي، ويستحيلُ أن أسجُدَ لبشر.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾

﴿رَجِيمٌ﴾: شيطانٌ من الذين يُرجمون بالشُّهُب، أو: مطرودٌ من رحمة الله؛ لأن مَن يُطرَدُ يُرجَمُ بالحجارة، ومعناه: ملعونٌ؛ لأن اللَّعْنَ هو الطرْدُ من الرَّحمةِ والإبعادُ منها.

والضميرُ في ﴿مِنْهَا﴾ راجع إلى الجنَّة، أو إلى السماء، أو إلى جملة الملائكة.

وضُرب يومُ الدِّين حدًّا لِلَّعْنة: إمَّا لأنه أبعدُ غايةٍ يضربُها الناس في كلامهم؛ كقوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود ١١/١٠٧] في التأبيد، وإمَّا أن يراد:

عبارة عن الداعِي فالتقدير: أيُّ داعٍ لك دعاكَ؟ لدلالة: أيُّ داعٍ دَعاكَ إلى إبائك؟[١] حُذف "دَعاك" لدلالة[٢] "أيُّ داعٍ؟" عليه، فقوله: ﴿أَلَّا﴾[٣] في محلِّ النصب على الحال مِن الضمير في ﴿لَكَ﴾، فتأمَّل.

قوله: (﴿رَجِيمٌ﴾ شيطان) فيكون كناية عن الموصوف.

قوله: (يُرجَمُ بالحجارة) فيكون مجازًا[٤] عن اللعنة؛ لأنّ الرجم مستلزم للطَّرْد، فأُطلق الملزوم وأريد اللازم، وهو الطَّرْد، واللَّعن: طَرْد، ثمّ إنّ "الرجم" على الأوّل: الرجم بالشُّهُبِ، وعلى الثاني: بالحجارة.[٥]

---

١ ر: آياتك.

٢ ن: كدلالة.

٣ د ن: أن لا؛ ر: لا.

٤ وفي هامش د: الظاهر أنّه كناية؛ لأنّ الرجم بالحجارة مِن توابع الطرد.

٥ وفي هامش د: قوله: (﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ الباء للقسم)... إلخ مِن قَبيل الإسناد إلى السبب، سواء كان الباء للقسم أو للسببيّة؛ لأنّ الله تعالى لا يجعله غَيًّا؛ بل سبب لِغَيّه بأن أمره فخالفه، فصار أمره سببًا لغيّه وضلاله، والأولى أن يكون المجاز في المفرد مِن قَبيل إطلاق المسبَّب على السبب، فإنّ الأمر بالسجود سبب للإغواء، أي: لإغواء الشيطان نفسه.

أنك مذمُومٌ مدعوٌّ عليك باللعن في السماوات والأرض إلى يومِ الدِّين من غيرِ أن تعذَّبَ، فإذا جاء ذلك اليومُ عُذِّبْتَ بما يُنْسَى اللعْنُ معه.

و﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و﴿يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ في معنًى واحدٍ؛ ولكنْ خُولِفَ بين العبارات سلوكًا بالكلام طريقةَ البلاغة.

وقيل: إنما سأل الإنظارَ إلى اليوم الذي فيه يُبعثُونَ لئلا يموتَ؛ لأنه لا يموت يومَ البعث أحدٌ، فلم يُجَبْ إلى ذلك وأُنظِرَ إلى آخِرِ أيَّام التكليف.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩﴾

﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للقسم، و"ما" مصدريَّةٌ، وجوابُ القسم: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾، والمعنى: أُقسمُ بإغوائك إيَّاي لأزيِّننَّ لهم، ومعنى إغوائه إيَّاه: تسبيبُه لغيِّه بأنْ أَمَره بالسجود لآدم عليه السلام فأَفْضَى ذلك إلى غيِّه، وما الأمرُ بالسجود إلَّا حسَنٌ وتعريضٌ للثواب بالتواضُع والخضوعِ لأمر الله؛ ولكنَّ إبليس اختار الإباءَ والاستكبارَ فهلك، واللهُ تعالى بريءٌ من غيِّه ومن إرادته والرِّضا به.

قوله: (تَسْبِيبُه) يقال: الله تعالى مُسَبِّب الأسباب. وقوله: (فأفضى ذلك) أي: أمْرُه.[1]

قوله: (وتعريض للثواب) قالت المعتزلة: الغرَض مِن التكليف التعريضُ[2] لاستحقاق التعظيم، فإنَّ التفضُّلَ[3] به قَبيح.[4] قلناه: مَبْناه على القول بالحُسن والقُبح في أفعاله، ومع ذلك فالتفضُّل إنَّما يَقبُح ممَّن يَتصوَّر له النفع والضَّرّ. والتعريض للشيء النَّصبُ له.

قوله: (بريٌ مِن غَيِّهِ وإرادته) هذا مذهب المعتزلة، وأمَّا عند أهل السُّنَّة والجماعة فالله تعالى أغواه وأراد غَيَّه. وأمَّا قوله: (والرضا) فموافق لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة، فالله تعالى لا يرضى لعباده الكفر؛ لكن[5] يريده.

---

[1] ر ن – قوله: (تَسْبِيبُه) يقال: الله تعالى مُسبِّب الأسباب. وقوله: (فأفضى ذلك) أي: أمْرُه.

[2] ر ن: التعويض.

[3] ر: التفضيل.

[4] ن: فتح.

[5] ر: الن؛ ن: لأن.

ونحوُ قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ قولُه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص ٣٨/٨٢] في أنه إقْسامٌ، إلَّا أن أحدهما إقسامٌ بصفته والثاني إقسامٌ بفِعْله، وقد فرَّق الفقهاءُ بينهما.

ويجوز أن لا يكون قَسَمًا ويقدَّرَ قسمٌ محذوفٌ، ويكون المعنى: بسببِ تسبيبكَ لإغوائي أُقسم لأفعلنَّ بهم نحوَ ما فعلتَ بي من التسبيب لإغوائهم بأنْ أُزيِّنَ لهم المعاصيَ وأُوسوسَ إليهم ما يكون سببَ هلاكِهم.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في الدنيا التي هي دارُ الغرور؛ كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف ٧/١٧٦].

قوله: (الفقهاء) عند أبي حنيفة رحمه الله[١] قول القائل: "وعِلْمِ اللهِ" ليس بيمين، وقوله: "وقدرةِ الله" يمينٌ، وعند أبي حنيفة قوله: "وكلامِ الله" ليس بيمين.[٢] مِن الشرح الكبير والصغير للوجيز.[٣]

قوله: (مِن التَّسْبيب) هذا بيان (نحو)، لا بيان[٤] (ما)، فتأمّل.

قوله: (بأن أُزَيِّنَ لهم المعاصي) يعني: يكون مفعول "أُزَيِّنَ" محذوفًا، ويكون قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ظرفًا على الحقيقة، وعلى هذا ذكر وجهين: الأوّل: أنّ المراد بالأرض الدنيا. والثاني: أنّ المراد بها هذه الغَبراء.[٥]

---

١ د - رحمه الله.

٢ ر ن - وقوله: "وقدرةِ الله" يمينٌ، وعند أبي حنيفة قوله: "وكلامِ الله" ليس بيمين.

٣ انظر: الشرح الكبير للرافعي، ١٢/٢٤٣؛ وبدائع الصنائع للكاساني، ٣/٦.

٤ ر ن - (نحو)، لا بيان.

٥ وفي هامش د: قوله: (﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا)... إلخ على الوجه الثالث والأوّل: المراد بـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ الدنيا؛ لكن على الوجه الأوّل مفعول ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾ محذوف، و﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ظرف. وعلى الوجه الثالث مفعول ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾ في الحقيقة هو ﴿ٱلْأَرْضِ﴾؛ ولكن بعد أن يُنزّل منزلة اللازم يجعل ظرفًا له، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف ٤٦/١٥]، وعلى الوجه الثاني حقيقة. وإطلاق الأرض على الدنيا مِن باب الاستعارة، شُبّه الدنيا بالأرض بجامع احتقار كلّ منهما بالنسبة إلى مُقابلِهِ؛ احتقار الأرض بالنسبة إلى العالم العلويّ، واحتقار الدنيا بالنسبة إلى الآخرة. ويحتمل أن يكون مِن قَبِيل ذكر الجزء وإرادة الكلّ، فإنّ الدنيا عبارة عن السماء والأرض وما بينهما، قال الشيخ الإمام الربّاني مُحيي الدين البدوي قدّس الله رُوحه في كتابه المُسمّى بالتجريد: «الدنيا بضمّ الدالّ على المشهور»، وحكى ابن قتيبة في أدب الكاتب كسرَها، وجَمعُها دُنًى، ككُبْرى وكُبَر، وهي مِن دَنوت؛ لِدُنوّها وسبقِها الدارَ الآخرة، وينسب إليها دنيويّ ودينيّ، قال الجوهري: «وفي حقيقة الدنيا قولان للمتكلّمين: أحدهما: الهواء والجوّ، والثاني: كلّ المخلوقات مِن الجواهر والأعراض قبل الدار الآخرة، وهو الأظهر».

أو أراد: أني أَقدرُ على الاحتيال لآدم والتَّزيينِ له الأكلَ من الشجرة وهو في السماء، فأنا على التَّزيين لأولاده في الأرض أقدَرُ.

أو أرادَ: لأجعلنَّ مكانَ التزيينِ عندهم الأرضَ ولأُوقِعنَّ تَزْييني فيها؛ أي: لأزَيِّنَنَّها في أعينهم، ولأُحَدِّثنَّهم بأنَّ الزينة في الدنيا وحدها حتى يَستحبُّوها على الآخرة ويطمَئنُّوا إليها دونها، ونحوُه:

يَجْرَحْ في عَراقِيبها نَصْلِي

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝﴾

استثنى ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾؛ لأنه عَلِم أن كيدَه لا يَعمل فيهم ولا يَقبلون منه.

قوله: (أو أراد: أنّي أقدر) فيكون ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بمعناه، وهو الغَبراء.[١]

قوله: (أو أراد: لأجْعَلنَّ) أي: أُزَيِّن الأرضَ. وعلى هذا الوجه لا يكون المفعول[٢] محذوفًا؛ بل مفعوله بالحقيقة هو ﴿ٱلْأَرْضِ﴾؛ لكن جعل ﴿أُزَيِّنَنَّ﴾[٣] جاريًا مَجرى اللازم، ويكون المراد بـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ الدنيا.

قوله: (يَجْرَحْ)...[٤] البيتَ، أوّله:

وإنْ تعتذِرْ[٥] بالمَحْلِ مِن ذي ضُروعها[٦] إلى الضيف يَجْرَحْ[٧] في عراقيبها نَصْلي[٨]

هذا مبنيّ على أصل، وهو أنّ المفعول به كثيرًا يُحذف في الكلام:

إمّا للقصد[٩] إلى مجرّد الاختصار لنيابة قرائن الأحوال عن ذكره، نحو قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد ٢٦/١٣]؛ إذ لا شُبهةَ أنّ المراد: لِمَن يشاء رِزقَه ويقدِر الرزقَ؛ لأنّ "مَن" موصول[١٠] صِلتُه ﴿يَشَآءُ﴾، ولا بدَّ للصلة مِن ذِكر يعود منها إليه.

---

١ ر ن – قوله: (أو أراد أنّي أقدر) فيكون ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بمعناه، وهو الغبراء.
٢ ر: المقعول.
٣ ر ن: أزين.
٤ ر: يخرج.
٥ ر: يعتذر.
٦ ر: ظروعها؛ ن: طروعها.
٧ ر ن: يخرج.
٨ لذي الرمّة في ديوانه، ١٥٦/١.
٩ ر: للصد.
١٠ ن: موصوله.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ۝٤٤﴾

أي: ﴿هَٰذَا﴾ طريقٌ حقٌّ ﴿عَلَيَّ﴾ أن أُراعِيَه، وهو أن لا يكون لك سلطانٌ على عبادي إلَّا مَن اختار اتّباعك منهم لغوايته.

وإمّا للقصد إلى التعميم مع الاختصار، نحو: "فلان يُعطي ويَمنعُ"، فلو ذهبتَ[١] إلى أنّهم يَعنُون:[٢] يُعطِي شيئًا دون شيء مِن المفعولَين المحذوفَين لـ"يُعطي" كَذَّبْتَه، وأذهبتَ حلاوة الكلام وطُلاوتَه.[٣]

وإمّا للقَصد إلى نفس الفعل بتنزيل[٤] المتعدِّي منزلةَ اللازم ذهابًا في نحو: "فلان يُعطي" إلى أنّه يوجد منه هذا الفعل / -وهو الإعطاء- للمبالغة.[٥] [٥١و]

والدليل على تنزيل المتعدّي منزلة اللازم قوله تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ [الأحقاف ١٥/٤٦]، ألا تراه عُدِّي بـ"في"[٦] كما يُعدَّى اللازم بالجارّ في "ذهب بزيد"،[٧] ومعناه: واجعلِ الصلاح في ذُرّيّتي، وكذا[٨] في البيت: "فيَجْرَحْ"[٩] متعدٍّ، وقد عُدِّي بـ"في"، وكان حقّها أن يقول: يَجْرَحْ عراقيبها. والضمير في[١٠] "تَعْتَذِرْ"[١١] للناقة، والباء في "بالمَحْلِ" باء الأداة،[١٢] لا للظرف، والمراد بـ"ذوي[١٣] ضُروعها" اللَّبَن.[١٤] يريد: يجعل الجَرْحَ[١٥] في عراقيبها سَيفي، أي: أذبحها بسيفي[١٦] لأجل الضيف.

قوله: (أي: هذا طريقٌ حقٌّ[١٧] عليَّ) هذا بناء على وجوب الأصلح كما هو

---

١ ر: ذهب.

٢ ن - يُعطي ويمنع، فلو ذهبتَ إلى أنّهم يَعنون.

٣ وفي هامش د: رَونق. | الطُّلاوة والطَّلاوة: الحُسْن والبَهْجة والقَبول، والضمُّ اللغةُ الجيّدة، وهو الأفصح. لسان العرب لابن منظور، «طلو».

٤ ر: تنزيل؛ ن: بتزيل.

٥ ن: للبالغة.

٦ ن: نفي.

٧ ر ن: يريد.

٨ ن: وكذ.

٩ ر ن: فيخرج.

١٠ ر ن - متعدٍّ، وقد عُدِّي بـ"في"، وكان حقّها أن يقول: يَجْرَحْ عراقيبها. والضمير في.

١١ ر: متعذرًا؛ ن: متعدر.

١٢ ر: للأداة.

١٣ ر: بدوي.

١٤ ر ن: اللين.

١٥ ر: الجُرح.

١٦ ن: لسيفي.

١٧ ر ن - حقٌّ.

وقرئ: ﴿عَلِيٌّ﴾ وهو من علوّ الشرف والفضل.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضميرُ لـ﴿ٱلْغَاوِينَ﴾.

وقيل: أبوابُ النار: أَطباقُها وأدراكُها، فَأعْلاها للموحِّدين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن جهنَّم لِمَن ادَّعى الرُّبوبيةَ، ولَظَى لعَبَدة النار، والحُطمةُ لعَبَدة الأصنام، وسقرُ لليهود، والسعيرُ للنصارى، والجحيمُ للصابئين، والهاويةُ للموحِّدين.

وقرئ ﴿جُزْءٌ﴾ بالتخفيف والتثقيل، وقرأ الزُّهْريُّ: ﴿جُزٌّ﴾ بالتشديد، كأنّه حَذَفَ الهمزةَ وألْقَى حركتَها على الزاي؛ كقولك: "خَبٌ" في "خَبْءٍ"، ثم وقَف عليه بالتشديد كقولهم: "الرَّجلّ"، ثم أجْرى الوقفَ مُجرى الوصل.

مذهب المعتزلة. وأمّا الموافق لمذهب أهل السنّة والجماعة فأن نقول:[١] قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ يعني: الإخلاص والإيمان[٢] طريقٌ علَيّ وإليّ، أي: إنّه يؤدّي إلى جزائي وكرامتي، فهو طريق عليّ. وهذا معنى قول مجاهد: «قال: الحقّ يرجع إلى الله، وعليه طريقه،[٣] لا يُعرِّج على شيء».[٤]

قوله: (وقُرئ: ﴿عَلِيٌّ﴾)[٥] مكانَ[٦] ﴿عَلَيَّ﴾.

قوله: (وأدراكُها) دَرَكات النار: منازل أهلها، والنار دَرَكات، والجنّة درجات. والقَعْرُ الآخِر[٧] دَرْك ودَرَك.[٨]

قوله: (ولَظَى) اللَّظَى: النار، ولَظَى أيضًا: اسم مِن أسماء النار، معرفة لا تنصرف.[٩]

قوله: (والحُطَمةُ) مِن أسماء النار.

---

[١] ر: تقول.

[٢] ر + والإيمان.

[٣] ن: طريقة.

[٤] تفسير مجاهد، ص ٤١٦؛ جامع البيان للطبري، ١٤/٧٠ (الحجر، ١٥/٤١).

[٥] قرأ بها يعقوب. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠١.

[٦] ن: ما كان.

[٧] ر: للآخر.

[٨] الصحاح للجوهري، «درك».

[٩] ر ن: يتصرف. | الصحاح للجوهري، «لظى».

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾

"المُتَّقي" على الإطلاق: مَن يتَّقي ما يجب اتِّقاؤه مما نُهي عنه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اتَّقَوا الكفرَ والفواحشَ، ولهم ذنوبٌ تكفِّرُها الصلواتُ وغيرُها.

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ على إرادة القول، وقرأ الحسن: "أُدْخِلوها".

﴿بِسَلَٰمٍ﴾: سالمينَ، أو: مُسَلَّمًا عليكم: تُسلِّمُ عليكم الملائكة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

"الغِلُّ": الحقدُ الكامن في القلب، من انغَلَّ في جوفه وتغَلْغل؛ أي: إنْ كان لأحدهم في الدنيا غِلٌّ على آخَرَ نَزَع اللهُ ذلك من قلوبهم وطيَّبَ نفوسَهم.

قوله: (ولهم[١] ذُنوب) أي: الصَّغائر.[٢]

قوله: (مِن انغَلَّ) غَلَّه فانغَلَّ،[٣] أي: أدخلَه فدَخَل، وتغلغَلَ الماء في الشجر؛ تخلَّلَها،[٤] قال:

تغلغَلَ حبُّ عَثمةَ في[٥] فؤادي ... فباديه مع الخافي يسيرُ
تغلغَلَ حيث لم يبلُغْ[٦] شرابٌ ... ولا حُزنٌ ولم يبلغ سُرورُ[٧]

قال يصف الهلال:

أصابَ خَصاصةً فبَدَا كَلِيلًا ... كَلَا[٨] وانغَلَّ سائِرُهُ[٩] انغلالَا[١٠]

---

[١] ر ن: وله.

[٢] وفي هامش د: قوله: (على إرادة القول) تقديره: ادخُلُوها مقولًا فيهم، أي: في حقِّهم، فيكون ذاك المقدَّر حالًا مِن الضمير المستتر في الخبر، وهو قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾. قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ و﴿ءَامِنِينَ﴾ حالان مِن الواو في ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾، والباء للملابسة، أي: ملتبسين بالسلام، و"السلام" يحتمل أن يكون المراد به السلامة، ويحتمل أن يكون المراد به السلام المشهور، وهو قولهم: "سلام عليك".

[٣] ر ن: مِن انغل.

[٤] ر: بجللها. | الصحاح للجوهري، «غلل».

[٥] ن – في.

[٦] ر: بيلغ.

[٧] لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. انظر: سمط اللآلي للبكري، ٧٨١/١؛ ولسان العرب لابن منظور، «غلل».

[٨] وفي هامش د: أي: كَلا بُدُوّ.

[٩] ر ن: سائرة.

[١٠] ر: انغلالًا. | لذي الرمّة في ديوانه، ١٥١٨/٣.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أَرجو أن أكون أنا وعثمانُ وطلحةُ والزبيرُ منهم.

وعن الحارث الأعور: كنتُ جالسًا عنده إذ جاء ابنُ طلحة، فقال له عليٌّ رضي الله عنه: مرحبًا بك يا ابنَ أخي، أَمَا واللهِ إنّي لأرجو أنْ أكونَ أنا وأبوك ممَّن قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ فقال له قائل: كلَّا، اللهُ أعدلُ من أن يجمَعَك وطلحةَ في مكانٍ واحدٍ! فقال: فلِمَن هذه الآيةُ لا أمَّ لك؟!

وقيل: معناه: طهَّرَ اللهُ قلوبَهم مِن أن يتحاسَدوا على الدرجات في الجنَّة، ونزع منها كلَّ غِلٍّ، وألْقَى فيها التوادَّ والتحابَّ.

و﴿إِخۡوَٰنًا﴾ نصبٌ على الحال، و﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ كذلك.

وعن مجاهد: تدورُ بهم الأسِرَّةُ حيثُما دارُوا، فيكونون في جميع أحوالهم متقابِلينَ.

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾﴾

أي: أصاب القمرُ فُرْجَةً مِن الغَيم، فظهر[١] ظهورًا كَليلًا، كَلَا ظهورٍ، ودخل سائرُه[٢] في الغَيم.

قوله: (مَرْحبًا بك) الرُّحْبُ -بالضمّ-: السَّعة، تقول: هو رُحْبُ الصَّدرِ،[٣] ورَحيبُ الصَّدر، والرَّحْب -بالفتح-: الواسع، تقول: بلدٌ[٤] رَحْبٌ،[٥] وأرضٌ رَحْبةٌ، وقد رَحُبَت تَرحُبُ رُحْبًا ورَحابةً، وقولهم: مَرْحبًا وأهلًا، أي: أتَيتَ سَعةً وأهلًا، فاستأنِس، ولا[٦] تستوحِشْ.[٧]

قوله: (الأسِرَّة) جمع سَرِير، كسُرُر.

---

١ ر: فطهر.

٢ ر: سائرة.

٣ ر ن: الصدور.

٤ ر + واسع.

٥ ر: رجب.

٦ ر ن: فلا.

٧ الصحاح للجوهري، «رحب». | وفي هامش د: قوله: (و﴿إِخۡوَٰنًا﴾ نصب على الحال) يعني: ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ و﴿عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ و﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أحوال مِن "هم" في ﴿صُدُورِهِم﴾، فإنّه في المعنى مفعول تقديره: في صدورٍ حاصلٍ لهم.

لمَّا أتمَّ ذكر الوَعْد والوعيد أتْبعه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ تقريرًا لِمَا ذُكر، وتمكينًا له في النفوس.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: غفورٌ لمن تاب وعذابُه لمن لم يَتُبْ.

وعَطَفَ ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ على ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ ليتَّخذوا ما أحلَّ من العذاب بقومِ لوطٍ عبرةً يَعتبِرون بها سَخَطَ الله وانتقامَه من المجرمين، ويتحقَّقوا عنده أنَّ عذابَه هو العذابُ الأليم.

﴿سَلَامًا﴾؛ أي: نُسلِّمُ عليك سلامًا، أو: سَلِمْتَ سلامًا.

﴿وَجِلُونَ﴾: خائفون، وكان خوفُه لامتناعهم من الأكل.

وقيل: لأنهم دخلوا بغيرِ إذنٍ وبغيرِ وقتٍ.

وقرأ الحسن: "لا تُوجَلْ" بضمِّ التاء من أَوْجَلَه يُوجِلُه: إذا أخافَه.

وقرئ: "لا تَأْجَلْ"، و: "لا تُواجَلْ" من واجَلَه بمعنى: أَوْجَلَه.

وقرئ: ﴿نَبْشُرك﴾ بفتح النون والتخفيف.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئنافٌ في معنى التعليل للنهي عن الوَجَل، أرادوا أنك بمثابةِ الآمِنِ المبشَّر فلا توجَلْ.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾

يعني: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ مع مسِّ الكبر بأن يولد لي؛ أي: أن الولادة أمرٌ عجيبٌ مستنكَرٌ في العادة مع الكبر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ هي "ما" الاستفهاميَّة دخلها معنى التعجُّب؛ كأنَّه قال: فبأيِّ أعجوبةٍ تبشِّرونني؟!

قوله:[1] (عِبْرةً) العِبْرة: اسم مِن الاعتبار. وقوله: (يَعتبِرون) صفة "عِبرة".[2]

قوله: (عنده) أي: ما أحلَّ مِن العذاب.

---

[1] ر ن + قوله.

[2] وفي هامش د: عند الاعتبار.

أو أراد: إنكم تبشِّرونني بما هو غيرُ متصوَّرٍ في العادة فبأيِّ شيء تبشِّرون؟! يعني: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء؛ لأن البشارة بمثلِ هذا بشارةٌ بغيرِ شيء.

ويجوز أن لا يكون صلةً لـ"بَشَّرَ"، ويكونَ سؤالًا عن الوجه والطريقة، يعني: بأيِّ طريقةٍ تُبشِّرونني بالولد، والبشارةُ به لا طريقةَ لها في العادة؟

وقوله: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمِلُ أن تكون الباءُ فيه صلةً؛ أي: بشَّرناك باليقين الذي لا لَبْس فيه، أو بشَّرناك بطريقة هي حقٌّ، وهي قول الله ووَعْدُه وأنه قادرٌ على أن يوجِدَ وَلدًا من غير أبوَيْن، فكيف من شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقرٍ.

قوله: (أو أراد: إنَّكُم) فعلى الأوّل: يكون الاستفهام للتعظيم والتفخيم. وعلى الثاني: للتحقير أو للإنكار؛ لأنّه ليس شيئًا يُبَشَّر به، فبالحقيقة لا يكون بِشارةً. وقوله: (بغير شيء) وذلك[١] لأنّ البِشارةَ هو الخبر الأوّل الصِّدق الذي يُظهِر أثر السرور في بَشَرة المُخبَر، وهذا الذي ذكرتُم لا يمكن أن يكون صادقًا، فلا يَقبَله السامع، ولا يظهر منه أثر السرور في بَشَرته، فلا يكون[٢] بِشارةً.

قوله: (ويجوز أن لا يكون[٣] صِلة)[٤] يعني: لا يكون الباء مثلها في قولهم: "بشَّرته بقُدوم زيد"؛ بل يكون مثل الباء في قولهم: "ضربتُ بالسَّوطِ"، / فاعلم. [٥١ظ]
وقوله: (بالولد) إشارة إلى أنّ صِلة "بَشَّرَ" محذوف على هذا الوجه.

قوله: (صِلةً) أي: صلةً لـ﴿بَشَّرْنَٰكَ﴾. وقوله: (باليقين) أي: بالأمر المُتيقَّن الذي لا[٥] لَبسَ[٦] في تحقُّقه. وقوله: (أو بَشَّرناك) عطفٌ على قوله: (يحتمل)، أي: أو نقول: ليس الباء صلةً، وهو بيان للوجه والطريقة.

قوله: (فكيف مِن شَيخ)[٧] الفاء في "فكيف" جزاء شرط محذوف، أي: إذا كان على ذلك[٨] فكيف لا يكون قادرًا على الإيجاد مِن شيخ وعجوز.

---

[١] ر - (بغير شيء) وذلك.
[٢] ر: تكون.
[٣] د + بما.
[٤] ر: جعله.
[٥] ن - لا.
[٦] ن: ليس.
[٧] ر: سبح.
[٨] ن - (فكيف مِن شَيخ) الفاء في "فكيف" جزاء شرط محذوف، أي: إذا كان على ذلك.

وقرئ: ﴿تُبشِّرون﴾ بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع، والأصل: تبشِّرونَنِ، و: ﴿تُبشِّرونِّ﴾ بإدغام نون الجمع في نون العماد.

وقرئ: "من القَنِطِين" من قَنِطَ يقنَط.

وقرئ ﴿ومَن يَقْنطْ﴾ بالحركات الثلاث في النون.

أراد: ومَن يقنطُ من رحمة ربّه إلا المخطئون طريقَ الصواب، أو: إلّا الكافرون؛ كقوله: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف ١٢/٨٧].

يعني: لم أستنكِرْ ذلك قنوطًا من رحمته؛ ولكن استبعادًا له في العادة التي أجراها اللهُ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

فإن قلتَ: قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ استثناءٌ منقطِعٌ أم متَّصلٌ؟

قلتُ: لا يخلو: من أن يكونَ استثناءً من ﴿قَوْمٍ﴾ فيكونَ منقطِعًا؛ لأن القوم

قوله:[١] (بفتح النون)[٢] لأنّ نون الجمع يكون مَفتوحًا، وهو لم يُعَدِّ الفعل إلى المفعول به؛ بل حذف المفعول به.[٣]

قوله: (وبكسرها[٤] على حذف نون الجَمْع) أراد: "فبِمَ تُبَشِّرونَنِي؟"، وتَعْدِيةُ الفعل إلى المُضمَر المنصوب؛ لأنّ المعنى عليه، فأثبَتَ ما حَذَفهُ غيره مِن الكسرة التي تَدلّ على الياء المفعولة، وحذفَ النونَ الثانية؛ لأنّ التكرير بها وقعت، ولم يَحذِف الأُولى التي هي علامة الرفع. ذكره أبو عليّ رحمه الله[٥] في **الحجّة**.[٦] واختار المصنّف[٧] هنا أنّه حذف نون الجمع.

---

١ ن: وقوله.

٢ قرأ نافع: ﴿تُبَشِّرُونِ﴾ بكسر النون مخفّفة، وقرأ ابن كثير: ﴿تُبَشِّرُونِّ﴾ بكسر النون مشدّدة، وقرأ باقي العشرة: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون مخفّفة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٢.

٣ ر ن – به.

٤ ر: ويكسرها.

٥ د – رحمه الله.

٦ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٥/٤٥.

٧ ر – المصنّف.

موصوفون بالإجْرام فاختَلفَ لذلك الجِنْسان، وأن يكونَ استثناءً من الضمير في ﴿مُجْرِمِينَ﴾ فيكونَ متصلًا؛ كأنه قيلَ: إلى قومٍ قد أجرَموا كلُّهم إلّا آلَ لوط وَحدهم؛ كما قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات ٣٦/٥١].

فإن قلتَ: فهل يختلفُ المعنى لاختلاف الاستثناءين؟

قلتُ: نعم، وذلك أنَّ ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ مُخرَجون في المنقطِع من حُكم الإرسال، وعلى أنهم أُرسِلوا إلى القوم المجرمين خاصَّةً ولم يُرسَلوا إلى آلِ لوط أصلًا، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحَجر أو السهم إلى المرميِّ، في أنه في معنى التعذيب والإهلاك؛ كأنَّه قيل: "إنَّا أهلكنا قومًا مجرمين؛ ولكنَّ آلَ لوط أنجيناهم"، وأمَّا في المتَّصل فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أنَّ الملائكة أُرسلوا إليهم جميعًا ليُهلِكوا هؤلاء ويُنجُوا هؤلاء، فلا يكون الإرسالُ مُخْلَصًا لمعنى الإهلاك والتعذيبِ كما في الوجه الأول.

قوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ الاستفهام بمعنى الإنكار، كقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ١١١/٩]. وقوله: (إلّا المخطِئون) هذا تفسير ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.[١]

قوله: (على أنّهم أُرسِلُوا) في بعض النُّسخ بغير واو، وهو ظاهر، ويكون "على": متعلّقًا[٢] بـ"مُخرَجُون"،[٣] أي: يكون آل لوطٍ مُخرَجين مِن حكم الإرسال، على معنى أنّ الملائكة أُرسِلوا. وفي بعض النسخ بالواو، أي: والمعنى على أنّهم... إلخ.

قوله: (ومعنى إرسالهم) أي: معنى إرسال الملائكة على هذا الوجه كمعنى إرسال الحجَرِ، ثمّ بيَّن وجه التشبيه بقوله: (في أنّه) أي: في أنّ الإرسال بمعنى التعذيب. وقوله: (في معنى التعذيب) لا الإنذار.

قوله: (وعلى[٤] أنّ الملائكة) اعلم أنّ حذف الواو وإثباته ههنا كما مرّ. وقوله: (مُخلَصًا) أي: مُفردًا.

---

[١] وفي هامش د: قوله: (كما قال) فما وجدنا وجه الشبه بين الآيتين أنّ الاستثناء في كلّ منهما متّصل.

[٢] ر: متعلّق.

[٣] ن: بمخرجين.

[٤] ن – وعلى.

فإن قلتَ: فقولُه: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بمَ يتعلّق على الوجهين؟

قلتُ: إذا انقطَع الاستثناءُ جَرى مجرى خبرِ "لكنَّ" في الاتِّصال بـ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾؛ لأنَّ المعنى: لكنَّ آل لوط مُنْجَوْنَ، وإذا اتَّصل كان كلامًا مستأنَفًا؛ كأنَّ إبراهيم عليه السلامُ قال لهم: "فما حالُ آلِ لوط؟" فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾.

فإن قلتَ: فقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ ممَّ استُثنيَ، وهل هو استثناءٌ من استثناءٍ؟

قلتُ: استُثْنيَ من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء؛ لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكونُ فيما اتَّحد الحُكمُ فيه، وأنْ يقال: "أهلكناهم إلَّا آل لوطٍ إلَّا امرأتَه"، كما اتَّحد الحكمُ في قول المطلِّق: "أنت طالقٌ ثلاثًا إلَّا اثنتين إلَّا واحدة"، وفي قول المُقِرّ: "لفلانٍ عليَّ عشرةُ دراهمَ إلا ثلاثةً إلا درهمًا".

فأمَّا في الآية فقد اختلف الحكمان؛ لأنَّ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿أُرْسِلْنَا﴾ أو بـ﴿مُجْرِمِينَ﴾، و﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ قد تعلَّق بـ﴿منَجّوهم﴾، فأنّى يكونُ استثناءً من استثناء؟

وقرئ ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بالتخفيف والتثقيل.

فإن قلتَ: لمَ جاز تعليقُ فعلِ التقدير في قوله: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ والتعليقُ من خصائص أفعال القلوب؟

قوله: (جرَى مَجرى) إنّما قال: "جرَى مَجرى"؛ لأنَّ[١] "لكنّ" ليس مذكورًا ههنا؛ بل هي في حكمها، ولذلك[٢] علَّله بقوله: (لأنّ المعنى).

قوله: (كأنّ إبراهيم) هذا بيان الاستئناف.

قوله: (فإن قلتَ: فقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾)... إلخ فيه سؤالان؛ فأجاب عن الأوّل بقوله: (استُثني)، وعن الثاني بقوله: (وليس)... إلخ.

قوله: (فيما اتَّحد الحكم فيه)؛ لكن يكون في أحدهما بالنفي، وفي الآخَر بالإثبات.

قوله: (فإن قلتَ: لمَ جازَ تعليق)... إلخ كأنّ الأصل: "قدّرناها مِن الغابرين"،

[١] ر ن – لأنّ.

[٢] ر: وكذلك.

قلتُ: لتضمُّن فعلِ التقدير معنى العلم؛ ولذلك فسَّر العلماء تقديرَ الله أعمال العباد بالعلم.

فإن قلتَ: فلمَ أسند الملائكةُ فِعلَ التقدير -وهو لله وحدَه- إلى أنفسهم، ولم يقولوا: قدَّر الله؟

قلتُ: لِمَا لهم منَ القُرب والاختصاصِ بالله الذي ليس لأحدٍ غيرِهم؛ كما يقول خاصَّةُ الملك: دبَّرنا كذا وأمَرْنا بكذا، والمدبِّرُ والآمرُ هو الملكُ لا هم، وإنما يُظهِرون بذلك اختصاصَهم وأنَّهم لا يتميَّزون عنه.

وقرئ: ﴿قَدَرْنا﴾ بالتخفيف.

المفعول الأوّل هو الضمير المنصوب، والثاني ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، فعلَّقه عن العمل باللام، ثمّ جاء بـ"إنّ"، ولولا اللام لَقِيل: "قدَّرنا أنّها" بفتح الهمزة؛ لكن لمّا جاء اللام علّق لأجل اللام، ثمّ قيل: ﴿إِنَّهَا﴾ بالكسر. ولا يجوز أن يقال: التقدير في الآية: "قدّرناها إنّها[1] لَمِن الغابرين"، على أن يكون الضمير المنصوب المحذوف مفعولًا أوّلَ، وقوله: ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ مفعولًا ثانيًا؛ لأنّه يلزم أن يكون أعمل في الأوّل، وعلّق عن الثاني، وهذا لا يجوز عند أحد مِن النُّحاة.

[٥٢و] قوله: (قلتُ: لتضمّن)[2] قال ابن[3] / الحاجب في شرح المفصّل: «قوله: 'ولا يكون التعليق في غيرها' ليس بمستقيم على ظاهره، فإنّ 'عَرفتَ' و'عَلِمتَ' الذي بمعنى 'عَرفتَ' تعلَّق، وكذلك ما أشبَهَهما مِن أفعال القلوب تعلّق أيضًا مع الاستفهام. نعم التعليق[4] مخصوص بأفعال القلوب».[5] وقوله: (بالعلم) أي: قالوا: تقديره عبارة عن عِلمه بأفعال العباد.[6]

---

١ ن – إنّها.

٢ ر ن: ليضمن.

٣ ر: بن.

٤ ن: التعليم.

٥ الإيضاح لابن الحاجب، ٢/٦٥.

٦ وفي هامش د: قوله: (قلتُ: لِما لهم مِن القُرْبِ) الظاهر أنّ مثل هذا استعارة بالكناية، شبّه خواصّ الملِك أنفسَهم بالملِك، والجامع نُفوذ أمرهم كنُفوذ أمر المَلِك، وكذلك في الملائكة في النسبة إلى الله تعالى، والجامع كون كلّ منهما صالحًا للتدبير.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ
بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٦٤ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ
وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝٦٥ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ
ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۝٦٦﴾

﴿مُنكَرُونَ﴾؛ أي: تنكِرُكم نفسي وتنفِرُ منكم فأخاف أن تَطْرُقوني بشرّ، بدليلِ قوله: ﴿بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾؛ أي: ما جئناك بما تنكرُنا لأجلِه؛ بل جئناك بما فيه فَرَحُك وسُرورُك وتشفِّيك من عدوِّك، وهو العذابُ الذي كنتَ تتوعَّدُهم بنزُوله فيمترُون فيه ويكذِّبونك.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في الإخبار بنزوله بهم.

وقرئ ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها من أَسْرى وسَرَى، وروى صاحبُ الإقليدِ: "فسِرْ" من السَّيْر.

والقِطْعُ في آخرِ الليل، قال:

افتحِي البابَ وانظُري في النجوم ... كَمْ علينا من قِطْعِ ليلٍ بَهِيم

قوله: ﴿مُنكَرُونَ﴾ النُّكْرُ -بالفتح وسكون الكاف-: الأمر[١] الشديد الصعب، وقد نكُرَ الأمرُ نَكارةً، أي: اشتدَّ[٢] وصَعُبَ، ومعنى[٣] أنكرتُه: عددتُه شديدًا صعبًا، أي: هو في نظري وعندي شديد صَعْب.

قوله: (صاحب الإقليد) "الإقليدُ" تفسير لأبي الفتح الهَمْداني، وهَمْدان -بالدال غير المعجمة- قبيلة مِن اليمن، وفيهم قال عليّ رضي الله عنه:

فلو كنتُ بوّابًا على باب جَنّةٍ ... لَقُلْتُ لِهَمْدانَ[٤] ادخُلُوا بسلامِ[٥]

قوله:

(افتحي الباب)... البيتَ[٦]

---

١ ر ن: للأمر.
٢ ر: استد.
٣ ر: معنى.
٤ ر: لهدان.

٥ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في العمدة للقيرواني، ٣٤/١؛ وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي، ١٩٢/٤.
٦ بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «قطع»؛ ولسان العرب لابن منظور، «قطع».

وقيل: هو بعدَما يَمضِي شيءٌ صالحٌ من الليل.

فإن قلتَ: ما معنى أمرِه باتّباع أَدبارهم ونَهيِهم عن الالتفات؟

قلتُ: قد بعث اللهُ الهلاكَ على قومه ونجّاه وأهلَه إجابةً لدعوته عليهم، وخرج مُهاجِرًا فلم يكن له بدٌّ من الاجتهاد في شكر الله وإدامةِ ذكرِه وتفريغِ باله لذلك، فأُمِرَ بأن يُقدِّمهم لئلا يشتغلَ بمن خلْفَه قلبُه، وليكون مُطَّلِعًا عليهم وعلى أحوالهم فلا تَفرُطَ منهم التفاتةٌ احتشامًا ....

قوله: "مِن قِطْع" بيان "كَم"، وهو مبتدأ، "علينا" خبره. جعل الليل كاللباس الساتر، فلذا قال: "كم علينا؟"، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ[1] لِبَاسًا﴾ [النبأ ١٠/٧٨]، ومنه الحديث: «عليك ليلٌ طويل فارقُدْ».[2]

قوله: (شيء صالح) أي: قطعة طويلة منه، يقال: أقَمْتُ عند فلان زمانًا صالحًا، وتقول العرب: مضى مِن عمري شيء صالح، أي: مدّة طويلة.

قوله: (باتّباع أدبارهم) أي: الأهل.

قوله: (وتفريغِ بالِه[3] لذلك)[4] أي: للاجتهاد[5] في الشكر[6] وإدامةِ الذكر.

قوله: (احتشامًا) أي: استحياءً.[7] والحِشمة: الانقباض[8] مِن أخيك في المَطعم وطلبِ الحاجة، مِن الاحتشام، يقال: احتَشَمه واحتشم منه؛ إذا انقبَضَ[9] واستَحْيَى. وقيل: هي عامّيّة؛ لأنّ الحِشمة عند العرب الغضبُ[10] لا غير، ومنه: حَشَمُ الرجُلِ لقرابته وعياله ومَن يغضب له إذا أصابه أمرٌ، وهي كلمة في معنى الجمع لا واحدَ لها، وقيل: جُمعت على أحشام.[11]

---

[1] ن – كاللباس الساتر، فلذا قال: "كم علينا؟" قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾.

[2] صحيح البخاري، ٥٢/٢ (١١٤٢)؛ صحيح مسلم، ٥٣٨/١ (٧٧٦).

[3] ر: بالة.

[4] ر: كذلك.

[5] ن: الاجتهاد.

[6] ن: السكر.

[7] ن: استحاء.

[8] ر ن: لانقباض.

[9] ر: نفيض؛ ن: نقيض.

[10] ر: الغصب.

[11] ر: احتشام. | المُغرب للمطرّزي، «حشم».

منه ولا غيرها من الهَفَوات في تلك الحال الهَوْلة المَحذورَة، ولئلا يتخلَّفَ منهم أحدٌ لغرضٍ له فيصيبَه العذابُ، وليكونَ مسيرُه مَسيرَ الهارب الذي يُقدِّم سِربَه ويفوتُ به، ونُهوا عن الالتفات لئلا يرَوْا ما ينزلُ بقومهم من العذاب فيرِقُّوا لهم، وليُوَطِّنوا نفوسَهم على المهاجَرة ويُطيِّبوها عن مساكنهم، ويَمضُوا قُدُمًا غيرَ مُلتفِتِين إلى ما وراءهم كالذي يتحسَّر على مفارقةِ وطنه فلا يزال يَلوي إليه أَخادِعَه؛ كما قال:

تلفَّتُ نحوَ الحيِّ حتَّى وَجَدْتُني وجِعْتُ من الإصغاء لِيتًا وأَخْدَعَا

وقوله: (منه) أي: لوط عليه السلام. وقوله: (ولا غيرُها) أي: التِفاتة. وقوله: (مِن الهَفَوات) جمع هَفْوة، وهي الزلّة. وقوله: (الهَوْلةِ)[1] يقال: حالٌ هَوْلةٌ، أي: هائلة.

قوله: (ويفُوتُ[2] به) عطفٌ على[3] (يُقَدِّم)، والضمير في "به" للتعدية، والضمير فيه للشرب.

قوله: (ويمضوا قُدُمًا) مضى قُدُمًا -بضمّتين-،[4] أي: تقدَّم ولَمْ يَنْثَنِ، قال في صفة امرأةٍ فاجرةٍ:

تمضي إذا زُجِرَتْ عن سَوءةٍ قُدُمًا[5]

قوله:

(تَلفَّتُ نحوَ الحيِّ)... البيتَ[6]

اللِّيت:[7] صفحة العنق، وهما لِيتان.[8] والأَخْدَع: عِرْق في مَوضع[9] المِحجَمَتَين، وهو شُعبةٌ مِن الوَريد، وهما أخدَعان.[10]

---

[1] في بعض مطبوعات الكشّاف: مهولة.

[2] ر: ونفرت.

[3] ن + ما.

[4] ر - بضمّتين؛ ن - مضى قُدُمًا بضمّتين.

[5] الصحاح للجوهري، «قدم». وتمام البيت فيه:
كأنّها هَدَمٌ في الجَفر مُنقاضُ

[6] للصِّمّة بن عبد الله القُشيري في الصحاح للجوهري، «وجع»؛ ولسان العرب لابن منظور، «وجع».

[7] ن: اللبت.

[8] الصحاح للجوهري، «ليت».

[9] ر: ضع.

[10] الصحاح للجوهري، «خدع».

أو جُعل النهيُ عن الالتفاتِ كنايةً عن مُواصلة السير وتَرْكِ التَّواني والتوقُّف؛ لأن مَن يَتلفَّتُ لا بدَّ له في ذلك من أدْنى وِقْفةٍ.

﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هو مِصرُ، وعُدِّيَ ﴿وَٱمْضُواْ﴾ إلى ﴿حَيْثُ﴾ تعديتَه إلى الظرف المبهَم؛ لأن ﴿حَيْثُ﴾ مُبهَمٌ في الأمكنة، وكذلك الضمير في ﴿تؤمرونه﴾ وعُدِّيَ ﴿قضينا﴾ بـ"إلى"؛ لأنه ضُمِّنَ معنى: أوحينا؛ كأنَّه قيل: "وأوحينا إليه مقضيًّا مَبْتوتًا".

وفسَّر ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ وفي إبهامه وتفسيره تفخيمٌ للأمر وتعظيمٌ له، وقرأ الأعمشُ: "إنَّ" بالكسر على الاستئناف؛ كأنَّ قائلًا قال: أخبِرْنا عن ذلك الأمر فقال: "إن دابرَ هؤلاء"، وفي قراءة ابن مسعود: "وقُلنا إنَّ دابرَ هؤلاء".

ودابرُهم: آخرُهم، يعني: يُستأصَلون عن آخرهم حتى لا يبقَى منهم أحدٌ.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: أهل سَدُومَ التي ضرِبَ بقاضِيها المثَلُ ....

قوله: (كنايةً عن مواصلة السير) عدم الالتفات مِن لوازم مواصلة السير.

قوله: (وكذلك الضمير) أي: هو مبهَم أيضًا.

قوله تعالى: ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي: حيث تُؤمَرون بالمُضيّ فيه.[١]

قوله: (سَدومُ) قرية قوم لوط، وهي بالدال غير المعجمة، وفي تهذيب الأزهري

---

[١] وفي هامش د: قوله: (مقضيًا) حال مِن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾.

في الجَوْر مُستبشِرين بالملائكة.

﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ بفضيحةِ ضيفي؛ لأنَّ مَن أُسِيءَ إلى ضيفه أو جارِه فقد أُسيءَ إليه؛ كما أنَّ مَن أُكرِم مَن يتَّصل به فقد أُكرِم.

﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾: ولا تُذِلُّوني بإذلالِ ضيفي، من الخِزْيِ وهو الهوانُ، أو: ولا تشَوِّروا بي، من الخَزاية وهي الحياء.

﴿عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: عن أن تُجِيرَ منهم أحدًا أو تدفعَ عنهم أو تمنعَ بيننا وبينهم، فإنَّهم كانوا يتعرَّضون لكلِّ أحدٍ، وكان يقومُ صلى الله عليه وسلم بالنَّهي عن المنكر والحَجْزِ بينهم وبين المتعرَّضِ له، فأوْعَدُوه وقالوا: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٦٧].

بالذال المعجمة.[١]

قوله: (كما أنّ) خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كما.

قوله: (أو ولا تُشوِّروا[٢] بي) شوَّرتُه فتشوَّرَ؛[٣] / أخجلتُه[٤] فَخَجِلَ، و"الباء" في "ولا تُشَوِّروا بي"[٥] للتعدية، فالصواب فيه[٦] الفَتَحاتُ؛[٧] ليكون لازمًا فيُعدّى[٨] بها،[٩] لا[١٠] الحركاتُ الثلاث. [٥٢ظ]

قوله: (فإنّهم كانوا يتعرَّضُون) إشارة إلى سبب قولهم: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ﴾.

قوله:[١١] (﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ [الشعراء ٢٦/١٦٧]) أي: عن النهي عن المُنكَر وعن الحَجْر.

---

١ انظر: تهذيب اللغة للأزهري، باب السين والدال، ١٢/٣٧٤. | وفي هامش د: قوله: (لأنّ مَن أُسِيءَ)... إلخ الظاهر أنّ هذا الحكم -وهو إساءة جار الرجل وإكرامُه إساءةٌ وإكرام له- مبنيّ على الاستعارة، شبّه أحد المتجاورين بالآخر، والجامع التضايف، وهو المجاورة، فإنّها أمرٌ نسبيّ لا تُعقَلُ إلّا بالقياس إلى الغير.

٢ د: تشورو.

٣ ر ن + أي.

٤ ر: أحجلته.

٥ ن: ني.

٦ ر – فيه.

٧ ر: الفنحات.

٨ ر ن: فتعدّى.

٩ وفي هامش د: الباء.

١٠ ن – لا.

١١ ن: وقوله.

وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم، وكانوا نَهَوْه أن يُضيفَ أحدًا قط.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ إشارةٌ إلى النساء؛ لأن كلَّ أمَّةٍ أولادُ نبيِّها: رجالُهم بَنُوه ونساؤهم بناتُه، فكأنَّه قال لهم: "هؤلاء بناتي فانكِحوهنَّ وخلُّوا بنيَّ فلا تتعرَّضوا لهم".

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ شكٌّ في قبولهم لقوله؛ كأنَّه قال: "إنْ فعلتُم ما أقولُ لكم وما أظنُّكم تفعلون"، وقيل: "إن كنتُم تُريدون قضاء الشهوةِ فيما أَحَلَّ الله دون ما حرَّم".

﴿لَعَمْرُكَ﴾ على إرادةِ القول؛ أي: قالت الملائكةُ لِلُوطٍ عليه السلام: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾؛ أي: في غَوايَتِهم التي أَذْهبَتْ عقولَهم وتمييزَهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشيرُ به عليهم مِن تركِ البنينَ إلى البنات.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيَّرون، فكيف يقبلون قولَك ويُصْغُون إلى نصيحتك؟!

قوله: (وقيل: عن ضيافة) أي: وقيل: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ﴾ عن ضيافة.[١]

قوله: (وما أظنُّكم تفعلون) إشارة إلى فائدة الإتيان بـ"إن"، دون سائر كلمات الشرط. ولم يُشِرِ المصنِّف إلى جواب الشرط المحذوف. وتقديره على الوجه الأوّل: إن فعلتم ما أقول لكم مِن نكاح بناتي[٢] وتخليةِ[٣] بَنِيَّ[٤] كان خيرًا لكم. وعلى الوجه الثاني: إن كنتم تريدون قضاءَ الشهوة فانكحوا بناتي، فإنَّهنَّ أطيب وأطهر في قضاء الشَّهوة[٥] مِن الأمر الخبيث الذي تميلون إليه وتشتَغِلون به.

قوله: (تُشير[٦] به) في "تُشِير"[٧] ضمير مخاطب يعود إلى "لوط". وقوله: (ويُصْغُون)[٨]

---

[١] ر: صيافة. | وفي هامش د: قوله: (إشارة إلى النساء) هذا إشارة إلى أنّ قوله تعالى: ﴿بَنَاتِىٓ﴾ استعارة؛ شبّه المؤمنات بالبنات بجامع الاتّصال، كما أنّ بناتِه متّصلة به مِن حيث النسب، فكذلك المؤمنات متّصلة به مِن حيث الدين.

[٢] ر: يتاتي.

[٣] ر: وتحليه.

[٤] ر: متي.

[٥] ر ن - فانكحوا بناتي، فإنّهنّ أطيب وأطهر في قضاء الشهوة.

[٦] ر: يشير.

[٧] ر: يشير.

[٨] ر: ويضعون؛ ن: ويضغون.

وقيل: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه أقسم بحياته وما أَقْسَمَ بحياةِ أحدٍ قطُّ كرامةً له، والعَمْرُ والعُمْرُ واحدٌ إلَّا أنهم خَصُّوا القَسَم بالمفتوح لإيثارِ الأخفِّ فيه، وذلك لأن الحَلِفَ كثيرُ الدَّوْر على ألسنتهم؛ ولذلك حذفوا الخبرَ وتقديره: "لعمرُك مما أُقسِمُ به" كما حذفوا الفعلَ في قولك: "باللهِ".

وقرئ: "في سُكرهم" و: "في سَكراتهم".

﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: صيحةُ جبريل عليه السلام ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخِلين في الشروق وهو بُزوغُ الشمس.

﴿مِن سِجِّيلٍ﴾ قيل: من طينٍ عليه كتابٌ من السِّجلِّ، ودليلُه قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [الذاريات ٥١/٣٣-٣٤] أي: مُعْلَمةً بكتابٍ.

﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرِّسين المتأمِّلين، وحقيقةُ المتوسِّمين: النُّظَّارُ المتثبِّتُونَ في نظرهم حتى يَعرفوا حقيقةَ سِمَةِ الشيء، يقال: توسَّمتُ في فلانٍ كذا؛ أي: عرفتُ وَسْمَه فيه.

يُقال: أصغيتُ[١] إلى فلان؛ إذا مِلْتَ بسَمْعِك إليه، مِن صَغَا يَصْغوا،[٢] أي: مال. وقوله: (وما أقسم بحياة)... إلخ جملة معترِضة.

قوله: (مِن السِّجلِّ) أي:[٣] هو مِن السِّجِلِّ.[٤]

قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ الأيكة[٥] والأيك: الشجر الملتَفّ، كانوا أصحاب غِياض، فكذَّبوا شُعيبًا، فأُهلِكوا بعذاب يوم الظُّلَّةِ.[٦] قال المفسِّرون: أخذهم[٧] الحرُّ أيّامًا ثمّ اضطرَمَ عليهم المكان نارًا فهَلَكُوا.[٨]

---

١ ن: أضغيت.

٢ ن: يضغوا.

٣ ن – أي.

٤ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۞ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ ﴿إن﴾ مخففة مِن الثقيلة، أي: إنّ الشأن والأمر كان أصحاب الأيكة... إلخ.

٥ ن – الأيكة.

٦ ن: الطلة.

٧ ر: أحدهم.

٨ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٠/٣ (الحجر، ٧٨/١٥). | وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ هو مدينة ثمود قوم صالح، وهي بين المدينة والشام. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٣٨٩/٤ (الحجر، ٨٠/١٥).

والضميرُ في ﴿عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ لقُرى قومِ لوط.

﴿وَإِنَّهَا﴾: وإن هذه القرى، يعني: آثارَها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ثابتٍ يسلكُه الناسُ لم يَندرِسْ بَعْدُ وهم يُبصرون تلك الآثارَ، وهو تنبيهٌ لقريشٍ كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات ١٣٧/٣٧].

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: قوم شعيبٍ.

﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني: قرى قومِ لوطٍ والأيكةَ.

وقيل: الضميرُ للأيكة ومدينَ؛ لأن شعيبًا عليه السلام كان مبعوثًا إليهما، فلمَّا ذَكَر الأيكةَ دلَّ بذكرها على مدينَ فجاء بضميرهما.

﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبطريقٍ واضحٍ، والإمامُ: اسمُ ما يُؤتَمُّ به، فسُمِّي به الطريقُ ومِطمَرُ البَنَّاء واللوحُ الذي يُكتَبُ فيه؛ لأنها مما يؤتَمُّ به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله: (ومِطْمَرُ[1] البَنّاء) الزِّيج[2] الذي يكون مع البنّائين.[3] وقيل: الحَبْل[4] الذي يُقدِّر به[5] البَنّاء. قال في الصحاح: «الزِّيجُ:[6] خيط[7] البَنّاء، وهو المِطْمَرُ،[8] فارسي مُعرَّب، قال الأصمعي: 'لستُ أدري أعَربيّ[9] هو أمْ مُعرَّب'».[10] وقوله: (لأنّها) أي: الطريق والمِطْمَرُ واللوح.[11]

---

[1] ر ن: وممطر.
[2] ر ن: الريح.
[3] ن: البنايين.
[4] ن: الجبل.
[5] ر: بقدرته.
[6] ر ن: الريح.
[7] ر: حبط.
[8] ر: للمطر؛ ن: الممطر.
[9] ر: أغربي.
[10] الصحاح للجوهري، «زوج».
[11] وفي هامش د: قوله: (فسمّى به الطريق) أي: استُعير الإمام لهذه الثلاثة، والجامع كون كلّ منها ممّا يؤتمّ به.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾ ثمودُ، والحِجْرُ واديهم وهو بين المدينة والشَّام.

﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ يعني: بتكذيبهم صالحًا؛ لأن مَن كذَّب واحدًا منهم فكأنَّما كذَّبهم جميعًا، أو أرادَ صالحًا ومَن معه من المؤمنين؛ كما قيل: "الخُبَيْبُون" في ابن الزبير وأصحابه.

وعن جابر قال: مرَرْنا مع رسول الله على الحجر فقال لنا: «لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسَهم إلَّا أن تكونوا باكين؛ حَذرًا أن يُصيبكم مثلُ ما أصاب هؤلاء» ثمَّ زَجَر رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم راحلتَه فأسرع حتى خَلَّفَها.

قوله: (كما قيل: الخُبَيبون)[١] خُبَيْب:[٢] اسم رجل، وهو خُبَيب[٣] بن[٤] عبد الله بن[٥] الزبير، وكان عبد الله يُكنَى بأبي خُبيب، والخُبيبان: عبد الله بن الزبير[٦] وابنه،[٧] ويُقال: هو وأخوه مصعب، قال حُمَيد بن[٨] الأرقط:

قَدْنِيَ مِن نَصْرِ الخُبَيبَين[٩] قَدِي ليس الإمام بالشحيح[١٠] المُلْحَدِ[١١]

فمَن رَوى: "الخُبَيْبِين"[١٢] على الجمع يريد ثلاثتَهم.[١٣] قال ابن[١٤] السكّيت: «يريد أبا خُبيب[١٥] ومَن كان على رأيه».[١٦]

قوله: (إلّا أن تكونوا) حال. وقوله: (حَذَرًا)[١٧] مفعول له.[١٨] وقوله: (أن يُصيبكم) أي: مِن أن.

---

١ ر: الحبيبون؛ ن: الحبيبون.
٢ ر: حبيب؛ ن: حبيت.
٣ ر: حبيب.
٤ ر: ابن.
٥ ن: ابن.
٦ ر ن – وكان عبد الله يُكنَى بأبي خُبيب، والخُبيبان: عبد الله بن الزبير.
٧ ر: وأبيه.
٨ ن: ابن.
٩ ر ن: الحبيبين.
١٠ ر: بالسحيح؛ ن: بالسيح.
١١ ر ن: الملجد.
١٢ ر: الحبيبين؛ ن: الحبيين.
١٣ ن: ثلاثهم.
١٤ ر: بن.
١٥ ر: حبيب.
١٦ الصحاح للجوهري، «خبب».
١٧ ر: حدرًا.
١٨ ر ن – له.

﴿ءَامِنِينَ﴾ لوَثاقة البيوت واستحكامها من أن تتهدَّم ويتداعَى بنيانُها، ومِن نَقْبِ اللصوص، ومن الأعداء وحوادث الدهر، أو: آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تَحْمِيهم منه.

﴿مَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعُدَدِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلَّا خَلْقًا ملتبِسًا بالحقِّ والحكمة لا باطلًا وعبثًا، أو: بسببِ العدل والإنصاف يومَ الجزاء على الأعمال.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ﴾: وإن الله ينتقمُ لك فيها من أعدائك ويجازِيك وإيَّاهم على حسناتك وسيِّئاتهم، فإنه ما خَلَق السماواتِ والأرضَ وما بينهما إلَّا لذلك.

﴿فَٱصْفَحِ﴾: فأعرِضْ عنهم واحتَمِلْ ما تَلْقَى منهم إعراضًا جميلًا بحِلْمٍ وإغضاءٍ.

وقيل: هو منسوخٌ بآية السيف. ويجوز أن يرادَ به المخَالَقَةُ فلا يكونُ منسوخًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الذي خَلقَك وخَلَقهم، وهو ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالِهم، فلا يَخْفَى عليه ما يَجْرِي بينكم وهو يَحكُم بينكم.

قوله: (وهو يحكم بينكم) فيُجازيكم.[١]

---

١ ر ن: فيجاريكم. | وفي هامش د: قوله: (﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلَّا خلقًا)... إلخ على الوجه الأوّل قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ صفة مصدر يكون ذلك المصدر في الحقيقة مستثنى. وعلى الوجه الثاني: يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مستثنى، أي: ما خلقنا بسبب مِن الأسباب إلَّا بسبب الحقّ، أي: العدل والإنصاف. قوله: (ويجوز أن يراد به المخالقة) المقصود مِن الوجه الأوّل: أن يَتركهم بحالهم، ولا يتعرّض لهم بالقتال والمُحاربة، والمقصود مِن الوجه الثاني أن لا يُسيء الخلق إليهم، فعلى هذا على الأوّل يكون الآية منسوخة، وعلى الثاني لا تكون منسوخة.

أو: إنَّ ربَّك هو الذي خَلَقكم وعَلِم ما هو الأصلحُ لكم، وقد عَلِم أن الصَّفْح اليومَ أَصْلحُ إلى أن يكون السيفُ أصلحَ.

وفي مصحفِ أبيّ وعثمانَ: "إن ربَّك هو الخالقُ"، وهو يَصلُحُ للقليل والكثير، و﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾ للكثير لا غيرُ؛ كقولك: "قَطَّع الثيابَ"، و: "قَطَعَ الثوبَ، والثيابَ".

﴿سَبْعًا﴾: سبعَ آيات، وهي الفاتحة.

أو: سبعَ سورٍ وهي الطُّوَلُ، واختُلف في السابعة فقيل: الأنفالُ وبراءةُ؛ لأنهما في حُكمِ سورةٍ واحدةٍ؛ ولذلك لم يُفصَل بينهما بآية التسمية، وقيل: سورة يونس، وقيل: هي آلُ حاميم.

قوله: (أو إنّ ربّك هو الذي) على الوجه الأوّل -وهو (الذي خلقكم)...[١] إلخ- كان متعلّقًا بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾، وعلى هذا بقوله: ﴿فَٱصْفَحِ﴾.

قوله: (كقولك: قطَّع الثياب)... إلخ قيل: في[٢] الاستشهاد نظر، فإنّ باب التفعيل لا يَمسُّ بهذا، وشاهِدُه الصيغة الموضوعة لأهل الحِرَف، كالنسَّاج والقطّاع. وجواب النظر: أنّ نسبة "قَطَّع" إلى "قَطَع" كنسبة "الخلّاق" إلى "الخالق" في التضعيف.

قوله: (وهي[٣] الطُّوَل) "الطُّولَى" تأنيث[٤] "الأطول"، والجمع "الطُّوَل" مثل: الكُبرى والكُبَر.[٥]

قوله: (واختُلِفَ / في السابعة) عطفٌ على محذوف، أي: اتّفقوا على سِتّة منها، واختلفوا في... [٥٣و]

قوله: (وقيل: هي آل حم) أي: سورة الحواميم، أي: الحواميم السبع، و"آل" اسم هذه السور،[٦] كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة ٢٤٨/٢]، أي: ممّا ترك موسى وهارون، وأصل "آل": أهل، والأهل:

---

[١] في مطبوع الكشّاف: "خلقك".
[٢] ر ن: من.
[٣] ر ن: هي.
[٤] ر ن: ما نبت.
[٥] الصحاح للجوهري، «طول».
[٦] ر: السورة.

أو: سبعَ صحائفَ، وهي الأسباعُ.

و﴿ٱلْمَثَانِى﴾ من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحةَ مما تُكرَّر قراءتُها في الصلاة وغيرِها، أو من الثَّناء لاشتمالها على ما هو ثناءٌ على الله، الواحدةُ:

المختصّ بالشيء اختصاصَ القرابة. فقوله: "آل حم"، أي: السُّوَر المختصّة بـ"حم"، فإنّها مختصّة بذكر "حم" في أوائلها.

قوله: (و﴿ٱلْمَثَانِى﴾)... إلخ أصل التركيب: و﴿ٱلْمَثَانِى﴾ مِن التثنية، وهي التكرير، أو مِن الثناء.[١] أمّا الفاتحة فلِما تكرَّر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو لاشتمالها؛ لكنّ المصنّف قدَّم وأخَّر، وهو مِن طريق البلاغة. وقوله: (وأمّا السورة أو الأسباع)...[٢] إلخ يدلّ على أنّ المراد ما ذكرنا. ويَقرُب مِن هذا التقديم والتأخير ما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [السجدة ٣٢/٧-٩]، فقوله: "وأمّا السُّوَر" عطفٌ على "أمّا" آخر محذوف كما قدّرنا، يؤيّد ذلك ما ذكر ابن[٣] الحاجب في شرح الكافية؛ مِن أنّ:

> "أمّا" للتفصيل؛ لأنّ وَضْعَها على أن يُفصَّل بها نِسَبٌ، إلّا أنّهم لم يلتزموا[٤] ذكر[٥] المتعدِّد، فقد تُذكر[٦] ولا يُذكر[٧] بعدها أمر آخَر، ولكن يُفهم أنّه تُرِك[٨] لأمر، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران ٣/٧]، ولم يذكر بعد ذلك "أمّا" أخرى لتفصيلٍ آخر. وأمّا مجيء المُتعدِّد فيها فكثير، ولذلك قال بعضهم: إنّه لازمٌ، وحَمل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران ٣/٧]، على معنى: وأمّا الراسخون في العلم، وقَطَعَها عن العطف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران ٣/٧]، فكأنّه قال: وأمّا الراسخون في العلم فيقولون.[٩]

---

١ ن: البنا.
٢ ر ن: والأسباع.
٣ ر: بن.
٤ ر ن: يلزموا.
٥ ر: ذلر.
٦ د: يذكر؛ ن: تدكر.
٧ ر: نذكر؛ ن: تدكر.
٨ ن: نرل.
٩ شرح الكافية لابن الحاجب، ١٠٠٥/٣.

مَثْناةٌ أو مُثْنِيَةٌ صفةٌ للآية، وأمَّا السُّوَرُ والأسباعُ فَلِمَا وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغيرِ ذلك، ولِمَا فيها من الثَّناء كأنَّها تُثْني على الله بأفعاله العُظْمَى وصفاتِهِ الحسنى.

و﴿مِنَ﴾ إمَّا للبيان أو للتبعيض إذا أردتَ بالسبع الفاتحةَ أو الطُّوَلَ، وللبيان إذا أردتَ الأَسباع، ويجوز أن تكون كتبُ الله كلُّها مَثانِيَ؛ لأنها تُثْني عليه، ولِمَا فيها من المواعظ المكرَّرة، ويكون القرآن بعضَها.

فإنْ قلتَ: كيف صحَّ عطفُ "القرآن العظيم" على السبع، وهل هو إلَّا عطفُ الشيء على نفسه؟

قلتُ: إذا عُني بالسبع الفاتحةُ أو الطُّوَلُ فما وراءهُنَّ يَنطلِق عليه اسمُ القرآن؛ لأنه اسمٌ يقعُ على البعضِ كما يقعُ على الكلِّ، ألَا تَرَى إلى قوله:

وقوله: **(مَثْناةٌ)** مِن التثنية. وقوله: **(أو مُثْنيةٌ)** مِن الثناء. وقوله: **(صفةٌ للآية)**[١] خبرٌ، أي: هي صفة. وقوله: **(فلِما وقع)** أي: قيل لها: "مثاني" لِما وقع، فحُذف المُعلَّل، وذكر العِلَّة.[٢]

قوله: **(أو الطُّوَلَ)**[٣] أو الحَواميم.

قوله: **(إذا أردت الأسباع)**[٤] أي: إذا أردت بالسَّبْع.

قوله: **(ويجوز أن تكون[٥] كتُبُ اللهِ)** أي: المجموع مِن حيث هو مجموع، يعني على هذا الوجه أيضًا يجوز أن يكون "مِن" للبيان أو التبعيض.[٦]

قوله: **(قلتُ: إذا عُنِيَ بالسَّبْع الفاتحة أو الطُّوَل)** أو الحَواميم. وقوله: **(فما[٧] وراءهُنّ)**[٨] جواب "إذا"، والضمير للفاتحة والطُّوَل، فعلى هذا عطف بعض القرآن على بعض. وقوله: **(لأنّه اسم يقع)** يتعلّق بقوله: "يَنطلق على ما وراءهُنّ اسم القرآن؛ لأنّ اسم القرآن يَنطلِق على بعض القرآن".

---

١ ر: الآية.
٢ ر: العلم.
٣ ن: والطول.
٤ ر: الأشباع.
٥ ر: يكون.
٦ ر: للتبعيض.
٧ وفي هامش د: الذي.
٨ ر ن: رأى هن. | وفي هامش د: يسوى.

﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يوسف ٣/١٢] يعني: سورةَ يوسفَ، وإذا عُنيت الأسباعُ فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له: السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم؛ أي: الجامعَ لهذين النَّعتين، وهو الثناءُ -أو التثنيةُ- والعِظَمُ.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾

أي: لا تطمَحْ ببَصرك طموحَ راغبٍ فيه مُتَمَنٍّ له ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾: أصنافًا من الكفَّار.

فإن قلتَ: كيف وُصل هذا بما قبله؟

قلتُ: يقول لرسوله: قد أُوتيتَ النعمةَ العُظمَى التي كلُّ نعمةٍ وإن عَظُمَتْ فهي إليها حقيرةٌ ضئيلةٌ وهي القرآنُ العظيم، فعليك أن تستغنيَ به ولا تمدَّ

قوله: (وإذا عُنِيَت) أي: بـ"السَّبْع". وقوله: (الأسباع) أي: سبع صحائف.

قوله: (أي: الجامعُ[1] لهَذين[2] النَّعتين)[3] كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ﴾ [الأنبياء ٤٨/٢١]، أي: كتابًا جامعًا بين كونه ضياءً وفُرقانًا.[4] إنْ رُوي "الجامع" بالنصب فـ"أيْ"[5] تفسير لقوله: (ما يقال)، وإن رُوي بالرفع فهو تفسير لقوله: (المثاني والعِظَم)، والأوّل أوجَه.

[٥٣ظ] وقوله: (وهو الثناء) حَقّه[6] "وهما"؛ ليعود[7] إلى هذين / النعتَين،[8] وكأنّه أفرد باعتبار المذكور، يعني: أنّ النَّعتَين هما الثَّناء والعِظَمُ إن كان واحد "المثاني" مَثْناة، أو التثنية والعِظَمُ إن كان واحد "المثاني"[9] تثنية.

---

[1] وفي هامش د: معًا [أي: بالرفع والنصب].
[2] ر ن: لهذه.
[3] ن: التعين.
[4] ر: وقرفانًا؛ ن: وقرقانًا.
[5] ر: فأيّ.
[6] ر: حقه.
[7] ر: لتعوذ.
[8] ر: النعنين.
[9] ر ن - مَثْناة، أو التّثنية والعِظَم إن كان واحد "المثاني".

عينيك إلى متاع الدنيا، ومنه الحديثُ: «ليس منا مَن لم يتغنَّ بالقرآن»، وحديثُ أبي بكر رضي الله عنه: «من أُوتي القرآنَ فرأى أن أحدًا أوتي من الدنيا أفضلَ مما أُوتي فقد صَغَّرَ عظيمًا وعَظَّمَ صغيرًا».

وقيل: وافَتْ من بُصرى وأذرعاتٍ سبعُ قوافلَ ليهودِ بني قُريظةَ والنَّضيرِ فيها أنواعُ البزِّ والطِّيب والجوهرِ وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: "لو كانت هذه الأموالُ لنا لتقوَّينا بها ولأنفقناها في سبيل الله"، فقال لهم الله عزَّ وعلا: "لقد أعطيتُكم سبعَ آيات هي خيرٌ من هذه القوافل السبع".

﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: لا تتمنَّ أموالَهم ولا تحزنْ عليهم أنهم لم يُؤمنوا فيتقوَّى بمكانهم الإسلامُ وينتَعِشَ بهم المؤمنون، وتواضَعْ لِمَن معك من فقراءِ المؤمنين وضعفائهم، وطِبْ نفسًا عن إيمان الأغنياء والأقوياء، ﴿وَقُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أُنذركم ببيانٍ وبرهانٍ أن عذاب الله نازلٌ بكم.

قوله: («مَن لم يَتغنَّ»)[١] أي: لم يَسْتَغْنِ.[٢] يقال: تَغَنَّى،[٣] أي: استغنى.[٤]

قوله: (وقيل: وافَتْ) سبب النزول. يقال: وافى فلان، أي: أتى ووصلَ.

قوله: (أنواع البَزِّ) البَزُّ: الثوب.

قوله: (فيَتقوَّى) جواب النفي. وقوله: (بمكانهم) لفظ "مكان" زائد، أي: بهم. وقوله: (ويَنتعش)[٥] النَّعْشُ: الرفع. قال ذو الرمّة:

لا يَنْعَشُ الطَّرْفَ إلّا ما تَخَوَّنَهُ[٦] داعٍ يُناديه باسم الماء مَبْغُومُ[٧]

انتعَشَ[٨] العاثِر: نهض مِن عَثرته.[٩]

قوله: (أُنذركم ببيان) إشارة إلى أنّ ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ هنا مِن أبان بمعنى أظهَرَ، وأنّ مفعول ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ محذوف.

---

[١] ر: تعين. | صحيح البخاري، ٩/١٥٤ (٧٥٢٧).
[٢] ر: يستعن.
[٣] ر: يعني.
[٤] ر: استعنى.
[٥] ر: وينتعش.
[٦] ر: تحونه؛ ن: نحونه.
[٧] ر ن: مبعوم. | ديوان ذي الرمّة، ١/٣٩٠.
[٨] ر: اينعش.
[٩] الصحاح للجوهري، «نعش».

فإن قلتَ: بمَ تعلَّق قوله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾؛ أي: أنزلنا عليك مثلَ ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسِمون ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ حيث قالوا بعنادهم وعُدوانهم: "بعضُه حقٌّ موافقٌ للتوراة والإنجيل وبعضُه باطلٌ مخالفٌ لهما" فاقتسموه إلى حقٍّ وباطلٍ وعَضَّوه، وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضُهم: "سورة البقرة لي" ويقول الآخر: "سورةُ آل عمران لي".

ويجوز أن يراد بالقرآن: ما يقرؤونه من كُتبهم، وقد اقتسَموه بتحريفهم، وبأنَّ اليهود أقرَّتْ ببعض التوراة وكذَّبت ببعضٍ، والنصارى أقرَّتْ ببعض الإنجيل وكذَّبت ببعضٍ، وهذا تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صَنيع قومه بالقرآن وتكذيبِهم وقولِهم: سحرٌ، وشِعرٌ، وأساطيرُ، بأنَّ غيرَهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فِعْلِهم بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي: **جعلوا القرآن أجزاءً**. وهي جَمْعُ عِضة،[١] وأصلها عِضْوة[٢] أو عِضْهَة،[٣] ونُقصانها الواو أو الهاء،[٤] أراد اللهُ أن يكونوا لرسوله مُعَزِّينَ، فكانوا عليه عِزِينَ، وأن يجعلوا القرآن عِضاتٍ،[٥] فجعلوه عِضِين.

قوله: (وعَضَّوه) عَضَّيتُ الشيء تَعْضِيةً، أي: فرَّقْتُه.

قوله: (ويجوز أن يراد بالقرآن) عطفٌ على محذوف دلّ عليه قوله: (حيث قالوا)... إلخ، فكأنّه قال: المراد بالقرآن: الكتاب المُنزَل على نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم؛ قبلَ قوله: "حيث قالوا"، ثمّ عطفَ عليه قوله: (ويجوز).

قوله: (نحو فِعلهم) أي: بالقرآن.

---

١ ر: غصه.
٢ ر: عصوه
٣ ر: عصهه.
٤ ر: والهاء.
٥ ن: عظات.

والثاني: أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: وأنذِرْ قريشًا مثلَ ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين، يعني: اليهودَ، وهو ما جَرى على قريظةَ والنَّضير، جُعل المتوقَّعُ بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز؛ لأنه إخبارٌ بما سيكون وقد كان.

ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ منصوبًا بـ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾؛ أي: أَنذِرِ المعضِّين الذين يُجزِّئونَ القرآن إلى سحرٍ وشعرٍ وأساطيرَ مثلَ ما أنزلنا على المقتسِمين، وهم الاثنا عشرَ الذين اقتسَموا مَدَاخِلَ مكَّة أيَّامَ المَوْسِم فقَعدوا في كلِّ مدخلٍ متفرِّقين ليُنَفِّروا الناسَ عن الإيمان برسول الله، يقول بعضُهم: "لا تغترُّوا بالخارج منَّا فإنه ساحِرٌ"، ويقول الآخرُ: "كذَّاب"، والآخر: "شاعرٌ"، فأهلَكهم اللهُ يومَ بدر وقبله بآفاتٍ؛ كالوليد بن المغيرة والعاصِ بن وائل والأسودِ بن المطَّلب وغيرِهم.

أو مثلَ ما أنزلنا على الرَّهط الذين تقاسَموا على أن يُبيِّتُوا صالحًا عليه السلام، والاقتسامُ بمعنى التقاسُم.

فإن قلتَ: إذ علَّقتَ قولَه: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ﴾ فما معنى توسُّطِ ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ إلى آخره بينهما.

قوله:[1] (أي: وأَنْذِرْ قُرَيشًا) فيكون المفعول محذوفًا، وهو قريشًا.

قوله: (وقد كان) بعد ما أخبر.

قوله: (ويجوز أن يكون) فعلى هذا يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾[2] مفعولًا أوّلَ لِـ"أنذِرْ"،[3] ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ مفعولًا ثانيًا، وعلى ما مرّ كان قوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ﴾ صفة ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.[4]

قوله: (أيّامَ المَوسِم) مَوسِم الحاجّ: سُوقهم ومجتمعُهم، مِن الوَسْم،[5] وهو العلامة.[6]

قوله: (بمعنى التقاسم) أي: التحالف. تقاسَموا، أي: تحالَفوا.

قوله: (فإن قلتَ: إذا علّقتَ) وهو الوجه الأوّل مِن الوجهين المذكورَين.[7]

---

١ ن – أي: بالقرآن. قوله.
٢ ر ن: الدين.
٣ ن: لأندر.
٤ ن: للمقتسمين.
٥ ر ن: الوشم.
٦ المُغرب للمطرّزي، «وسم».
٧ ر: المذلورين.

قلتُ: لمّا كان ذلك تسليةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتُرض بما هو مَدَدٌ لمعنى التسلية: من النهي عن الالتفاتِ إلى دنياهم والتأسُّفِ على كفرهم، ومن الأمر بأنْ يُقبل بمَجامِعِه على المؤمنين.

﴿عِضِينَ﴾: أجزاءً، جمعُ عِضةٍ، وأصلُها: عِضوةٌ، فِعْلةٌ من عَضَّى الشاةَ: إذا جَعَلها أعضاءً، قال رؤبةُ:

ولـيـس دِيــنُ الله بـالـمُـعَـضَّـى

وقيل: هي فِعْلةٌ من عضهْتُه: إذا بَهتَّه.

وعن عكرمة: العَضْهُ: السِّحرُ بلسان قريش، يقولون للسَّاحرة: عاضِهَةٌ.

ولعنَ رسول الله العاضهة والمستعضِهةَ. نقصانها على الأول واوٌ وعلى الثاني هاءٌ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ عبارةٌ عن الوعيد، وقيل: يسألهم سؤالَ تقريعٍ.

قوله: (مِن النهي) بيان "ما".

قوله: (بمَجامِعِه) أي: بِجُملته[١] وكُلِّه.

قوله: (مِن عَضَهْتُه؛[٢] إذا[٣] بَهَتَّهُ)[٤] وإذا كان مِن عَضَهْتُه؛[٥] إذا بَهَتَّه،[٦] فمعناه:[٧] جعلوه بهتانًا مفترًى.[٨]

قوله: (نقصانُها)[٩] أي: لامُه المحذوفة. وقوله: (على الأوّل) عِضْوة. وقوله: (على الثاني) عِضْهة.[١٠]

قوله: (عبارة عن الوعيد) السؤال للمجرم عن ذنبه سبب لِمؤاخذته وعذابه.

---

[١] ر ن – بيان "ما". قوله: (بمجامعه) أي: بجملته.

[٢] ر: عصمته؛ ن: عضمته.

[٣] ن – إذا.

[٤] ر: نهته؛ ن: ابهتّه.

[٥] ر: عصمته؛ ن: عضته.

[٦] ر: نهته.

[٧] ر: فمعنا.

[٨] ن: متفرى.

[٩] ر: تقصانها.

[١٠] ر: عصهة.

وعن أبي العاليةِ: يُسأل العبادُ عن خَلَّتين: عمَّا كانوا يَعبدون، وماذا أجابوا المرسَلين.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦﴾

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾: فاجهَرْ به وأظهِرْه، يقال: صَدَعَ بالحُجَّة: إذا تكلَّم بها جهارًا؛ كقولك: صرَّحَ بها، من الصَّديع وهو الفجْرُ، والصَّدْع في الزُّجاجة: الإبانة.

وقيل: ﴿فَٱصۡدَعۡ﴾: فافرُق بين الحقِّ والباطل ﴿بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، والمعنى: بما تؤمَرُ به من الشرائع، فحُذف الجارُّ كقوله:

أمرتُكَ الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ به

ويجوز أن تكون "ما" مصدريةً؛ أي: بأمرك، مَصدرٌ من المبنيِّ للمفعول.

عن عروةَ بن الزبير في المستهزئين: هم خمسةُ نفرٍ ذوو أسنانٍ وشرفٍ: الوليد بن المغيرة، والعاصُ بن الوائل، والأسود بن عبد يَغوثَ، والأسود بن المطّلب،

فأطلقَ[1] السببَ وأرادَ[2] المُسبَّبَ، فيكون مجازًا، فكأنّه قال: يُعَذِّبهم ويُجازيهم[3] على فعلهم.

قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ﴾ الصَّدْع: الشَّقُّ،[4] وصَدَعْتُ الشيء: أظهرته.[5]

قوله: (مصدر مِن المبنيِّ للمفعول) أي: بمأموريَّتك. ومثله: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً﴾ [الحشر ٥٩/١٣]، أي: مَرهوبيّةً، و﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ [الروم ٣٠/٣]، أي: مغلوبيّتهم.[6]

قوله: (والعاصُ بن وائل) قال: "العاص" بالرفع هو الصحيح. وفي الصحاح:

(أمرتك الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ به)
تمامه:
فقد تركتكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ
| لعمرو بن معدي كرب في ديوانه، ص ٦٣.

[1] ن: فأطلو.
[2] ن: وأرادوا.
[3] ر: ويجاريهم.
[4] ر ن: السق.
[5] الصحاح للجوهري، «صدع». | وفي هامش د: قوله:
[6] ر: مغلوبينهم. | وفي هامش د: قوله: (ذَوُوا سنان) جمع سِنّ، وسِنان الرمح جمعه أسِنّة.

والحارثُ بن الطُّلاطلةِ.

وعن ابن عباس: ماتوا كلُّهم قبل بدر، قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أُمرتُ أَن أَكفِيَهم، فأَوْمَى إلى ساق الوليد فمرَّ بنبَّالٍ فتعلَّق بثوبه سَهْمٌ فلم يَنعطِفْ تعظُّمًا لأخذه، فأصابَ عرقًا في عقبه فقَطعَه فماتَ، وأَوْمَى إلى أَخمصِ العاصِ بن وائلٍ فدخلَتْ فيها شَوْكَةٌ فقال: لُدِغْتُ لُدِغْتُ، وانتَفَختْ رِجلُه حتى صارت كالرَّحى ومات، وأشار إلى عَيْنَي الأسود بن المطلب فعمِيَ، وأشارَ إلى أنفِ الحارث بن قيس فامتَخَطَ قيحًا فمات، وأشار إلى الأسود بن عبد يَغُوثَ وهو قاعدٌ في أصل شجرةٍ، فجعل ينطِحُ رأسَه بالشجرة ويضرب وجهَه بالشوك حتى مات.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾

﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن.

﴿فَسَبِّحْ﴾: فافزَعْ فيما نابك إلى الله -والفَزَعُ إلى الله: هو الذكرُ الدائمُ وكثرةُ السجود- يَكْفِكَ ويكشِفْ عنك الغُمَمَ، ودُمْ على عبادةِ ربِّك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾؛ أي: الموتُ؛ أي: ما دُمتَ حيًّا فلا تُخِلَّ بالعبادة.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا حزَبَه أمرٌ فزِعَ إلى الصلاة.

«الأعياص[١] مِن قريش أولاد أميّة بنِ[٢] عبد شمس الأكبر، وهم أربعة: العاص، وأبو العاص، والعِيصُ، / وأبو العِيص».[٣] وأمّا العاصي في الإطلاق على أبي[٤] عمرو فهو اسم معنًى. بِخَطِّ[٥] رُكن عَمِيدِي. [٥٤و]

قوله: (الطُّلاطِلَة) في الأصل: الداهية.[٦]

---

١ د ن: الأعياض.

٢ ن: ابن.

٣ الصحاح للجوهري، «عيص».

٤ ر ن: ابن.

٥ ر: بحط؛ ن: بحط.

٦ ر ن: الناهية.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ الحِجرِ كان له من الأجرِ عشرُ حسناتٍ بعددِ المهاجرين والأنصارِ والمستهزئين بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم».

تمّت السورة.

سورة النحل

مكيةٌ غيرَ ثلاثِ آياتٍ في آخرها،

وتسمَّى: سورةَ النِّعَم، وهي مئةٌ وثمانٍ وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ①﴾

كانوا يَستعجلون ما وُعِدوا من قيام الساعة أو نزولِ العذاب بهم يومَ بدرٍ استهزاءً وتكذيبًا بالوعد، فقيل لهم: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هو بمنزلةِ الآتي الواقع وإن كان منتظَرًا؛ لقُرب وقوعه.

﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ رُوي أنه لمّا نزلت ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر ١/٥٤] قال الكفَّارُ

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله:[١] (كانوا يستعجلون)[٢] وإنّما قال: "كانوا يستعجلون"، ولم يقل: استعجَلوا؛ بل أتى بـ"كان"، وحكى[٣] استعجالهم؛ لأنّ[٤] قولهم: "كان زيد يفعل كذا" يفيد التكرار، كقولهم: "كان حاتم يُكرم الضيف"، فأشار المصنّف إلى أنّ المعنى أنّهم كرّروا[٥] الاستعجال. وقوله: (ما وُعِدوا) أي: ما وُعِدوه.

قوله:[٦] (رُوي أنّه لمّا نزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر ١/٥٤]) التأنيث باعتبار السورة أو الآية أو الكلمات.

---

[١] ر ن – قوله.

[٢] ر: استعجلون.

[٣] ر ن: وعلى.

[٤] ر – لأنّ.

[٥] ر: كروا.

[٦] ر: وقوله.

فيما بينهم: "إن هذا يَزعم أن القيامة قد قرُبَت فأمْسِكوا عن بعض ما تعملون حتى نَنْظُرَ ما هو كائنٌ"، فلمّا تأخَّرَتْ قالوا: "ما نرى شيئًا"، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء ١/٢١] فأشفَقُوا وانتَظَروا قُرْبَها، فلمَّا امتدَّت الأيَّامُ قالوا: "يا محمدُ، ما نرى شيئًا مما تُخوِّفنا به!" فنزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناسُ رؤوسَهم فنزلَتْ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطْمأنُّوا.

وقرئ ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالتاء والياء.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تبرَّأ وجَلَّ ....

قوله: (فيما بينهم) عبارة عن التكذيب والاستهزاء والشِّرك والعِصيان إلى غير ذلك، فقولهم: "أمسِكوا عن بعض ما تعملون" كلام قالوه في حقِّ الأمور الواقعة، وهو معنى قوله: "فيما بينهم". والصواب[١] أنّ المراد بقوله: "فيما بينهم" أنّه قالوا ذلك مع أبناء جِنسهم مِن الكفّار بحيث لا يَطّلع عليهم المؤمنون، أي: قالوه سِرًّا. فسمّى المصنّف المكان الذي كانوا[٢] فيه خاليًا أو ذلك[٣] الزمان "ما بينهم"، كأنّه[٤] أمر واقع بينهم[٥] فيما بينهم، أي: في الكلمات التي جرَتْ بينهم، كأنّه قال: في أثناء[٦] كلامهم، وهذا هو المعنيّ، لا المكتوب مِن الجانب الآخر.

قوله: (فلمّا تأخّرت) هذه الفاء هي الفاء الفصيحة، أي: فأمسَكوا[٧] فتأخَّرَتْ فلمّا تأخّرت... وقوله: (فأشفَقُوا)[٨] أي: خافوا.

قوله: (شيئًا ممّا تُخَوِّفونه)[٩] "ممّا" صفة "شيئًا"، والعائدُ إليه المستتر في الجارّ والمجرور.

قوله: (تبرَّأ)[١٠] معنى ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾. وقوله: (جلَّ) معنى ﴿تَعَٰلَىٰ﴾. وقوله:

---

[١] ر ن: الصواب.
[٢] ر: كانو.
[٣] ر: ذاك.
[٤] ر ن: كان.
[٥] ن + قوله.
[٦] د: أفناء؛ ر: أنبا.
[٧] ر: فأسكوا.
[٨] ن: فأسفقوا.
[٩] في مطبوع الكشّاف: "تخوّفنا به".
[١٠] ر: تبرا.

عن أن يكون له شريكٌ، وأنْ تكون آلهتُهم له شركاءَ، أو: عن إشراكهم، على أن ﴿ما﴾ موصولةٌ أو مصدريةٌ.

فإن قلتَ: كيف اتَّصلَ هذا باستعجالهم؟

قلتُ: لأن استعجالَهم استهزاءٌ وتكذيبٌ، ....

(**عن أن يكون**) فـ"ما" موصولة. وقوله: (**وأن تكون**)[1] تقرير المعنى الأوّل. وقوله: (**أو عن إشراكهم**) فـ"ما" مصدريّة، أي: عن معناه ومؤدّاه، كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ [آل عمران ١٨٣/٣]، أي: بمعنى الذي قلتُموه ومؤدّاه، وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ[2] لِمَا قَالُوا۟﴾ [المجادلة ٣/٥٨]، أي: لِمعنى ما قالوا. وقوله:[3] "عن[4] إشراكهم" موضع تأمّل، فإنّ[5] تبرُّءه[6] عن إشراكهم لا معنى له على ظاهره، فإنّ إشراكهم واقع، وهو صفتهم، فيكون المعنى: عن مقتضى إشراكهم وما شابه[7] ذلك المعنى، أو عن الأمر به والإذن فيه وإنزالِ الحُجّة عليه، ما أنزل الله بها مِن سلطان.

وقوله: (**على أنّ "ما" موصولة أو مصدريّة**) فيه لفّ ونشر، إذا كان "ما" موصولة يكون المعنى: عن الذي يشركونه، ولا معنى لتبرُّئه عن ذات ما يُشركونه به،[8] فيكون التقدير: عن مشاركة ما يشركونه به؛ ضرورةَ أنّ التبرُّأ إنّما يكون عن الصفة، فيكون المضاف محذوفًا كما مرّ، ويعود المعنى إلى قوله: "عن أن يكون" إلى قوله: "شركاء"، ويكون العطف في "وأنْ"[9] للبيان، وقوله: "أو عن"[10] عطف على "عن"، فلذا[11] أعاد الجارّ، / بخلافه في قوله: "وأنّ".[12] [٥٤ظ]

قوله: (**قلتُ: لأنّ استعجالهم**) علّة لِمحذوف دلّ عليه الكلام المتقدّم، فإنّ قوله: (**كيف اتّصل؟**) في معنى قولك: أَستَقامَ؟ أو أَصَحَّ؟ أو أَحَسُنَ؟

---

[1] ر: يكون.
[2] د: تعودون.
[3] ر ن: قوله.
[4] ر: وعن.
[5] ر: وإنّ.
[6] ر ن: تبريه.
[7] ن: شابة.
[8] ر ن - به.
[9] ر ن: أنْ.
[10] ر ن: وعن.
[11] ر: فكذا.
[12] ن - قوله: وأنّ.

وذلك من الشرك.

وقرئ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾

﴿يُنَزِّلُ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، وقرئ: ﴿تَنَزَّلُ الملائكةُ﴾؛ أي: تتنزّل.

﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: بما يُحيي القلوبَ الميّتة بالجهل من وَحْيه، أو بما يقوم في الدِّين مقامَ الرُّوح في الجسد.

فكأنّه قال في الجواب: صحَّ واستقامَ وحسُن؛ لأنّ استهزاءهم...

قوله: (وذلك مِن الشِّرك) أي: نشأ مِن الشرك وحصل منه، فـ"مِن" للابتداء، والصواب أنّ "مِن" في "مِن الشرك" للتبعيض، أي: نوع مِن الشِّرك.

قوله: (مِن وَحْيه)[١] شبّه الوحي[٢] بالروح، لِما فيه[٣] مِن الحياة مِن الوجهين المذكورين، ثمّ حذف المشبَّه وكلمةَ التشبيه للمبالغة في التشبيه، وذلك مِن باب التشبيه، حيث بيّن بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾، ولولا ذلك لكان مِن باب الاستعارة، وهو كقوله[٤] تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة ١٨٧/٢].

---

[١] وفي هامش د: شبّه الوحي بالروح في كونه سببًا للحياة، كما أنّ الروح يُحيي ذا الحياة، فبالروح يصير ذو الروح عالمًا، أو مَن شأنه أن يعلم، كذلك بالوحي يصير القلب عالمًا، أو مَن شأنه أن يعلم، أو شبّه بالروح في قيام الشيء به، كما أنّ البدن يقوم بالروح، فكذلك الدين يقوم بالوحي. وإنّما خصّ القلب في الوجه الأوّل -وإن كانت الحياة سارية في جميع البدن- لأنّ المراد مِن الحياة الحاصلة هو العلم، ومحلّه القلب. وفي الوجه الثاني جميع البدن مساوٍ للقلب في القيام بالروح، وليس ذلك مخصوصًا بعضو دون عضو، فيكون جملة البدن بمنزلة جملة الدين في القيام بالروح الحقيقي والمجازي. وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ لا ينافي الاستعارة لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء ٨٥/١٧] شبّه الوحي بالروح في الإحياء أو في القيام، كما أنّ الروح سبب لحياة القلوب، فكذلك الوحي سبب لحياة القلوب الميتة بالجهل، وكما أنّ الروح سبب لِقيام البدن، فكذلك الوحي سبب لِقيام الدِّين.

[٢] ر ن – الوحي.

[٣] ر + الوحي؛ ن + مِن الوحي.

[٤] ن: قوله.

و﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ بدلٌ من "الروح"؛ أي: ينزّلهم بأنْ أنذِروا، وتقديره: بأنّه أنذِروا؛ أي: بأنَّ الشأن أقولُ لكم: ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾، أو تكون ﴿أَنْ﴾ مفسِّرةً؛ لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول، ومعنى ﴿أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾: أَعْلِموا الناس بأن الأمر ذلك، مِن نَذِرْتُ بكذا: إذا عَلِمْتَه، والمعنى: يقولُ لهم: أَعْلِموا الناسَ قولي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾

أو[1] هو استعارة؛[2] لأنّ الروح أيضًا مِن أمره، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء ١٧/٨٥]، فلا يكون[3] مثل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة ٢/١٨٧]. وقوله: "مِن وَحْيه" بيان "ما".

قوله: (و﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ بدل) فيكون مخفّفة[4] مِن الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولا يصلح الطلب -وهو ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾-[5] أن يكون خبره، فاحتِيج إلى قول مقدَّر، فلذلك قال، أي: بأنّ الشأن أقول لكم.

قوله: (ومعنى ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾) مبتدأ. وقوله: (أَعلِموا)[6] خبره. وقوله: (﴿أَنَّهُۥ﴾) أنّ الأمر. وقوله: (بأنّ الأمر) أي: الشأن.[7]

قوله: (والمعنى: يقول)... إلخ حاصله: أنّ قوله: ﴿يُنَزِّلُ﴾ مع ما "أن" المفسِّرة وما بعدها كالقول مع المقول. والضمير في قول المصنّف: (لهم) عائد إلى ﴿مَن يَشَآءُ﴾، فيكون معنى قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾... إلخ: يقول لِمَن يشاء مِن عباده: أَعْلِموا الناس قَولِي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾. فقوله:[8] ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ داخل في جملة ما أوجب الإعلام به.

---

[1] ر ن: و.
[2] ن: اسعارة.
[3] ر: يلون.
[4] ر: محففة.
[5] ر ن – وهو أنذروا.
[6] ر: علموا.
[7] ر ن: البيان.
[8] ن: قوله.

ثـم دلَّ على وحدانيّته وأنه لا إلهَ إلّا هو بما ذَكَر مما لا يقدِر عليه غيرُه: من خَلْقِ السماوات والأرض، وخلقِ الإنسان وما يُصلحه وما لا بدَّ له منه من خلقِ البهائم لأكله وركوبه وجرِّ أثقاله وسائرِ حاجاته، وخَلْقِ ما لا يعلمون من أصناف خلائقه، ومثلُه متعالٍ عن أن يُشرَكَ به غيرُه.

وقرئ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالتاء والياء.

قوله: (ثمّ دلّ) أي: بعد[1] ما أمر الأنبياء بإعلام الناس بوحدانيّته دلّ على وَحدانيّته. وقوله: (وأنّه لا إله إلّا هو) العطف في "وأنّه" للبيان. وقوله: (ممّا لا يَقدِر) بيان (بما). وقوله: (مِن خلق) بيان (ما لا يَقدِر).

قوله: (مِن خَلق البهائم)[2] بيان (ما يصلحه ولا بدّ له)، والصواب أن يقول:[3] هو بيان "خَلق ما يصلحه"، لا بيان "ما يصلحه"؛ لأنّ "ما" مفعول "الخَلق" المضاف إلى "الإنسان"، فلو كان "خَلق البهائم" بيان "ما" لَصار التقدير: خلَقَ خلْقَ البهائم، وهو غير صحيح، ويجوز أن يكون "مِن خَلق البهائم" بدلًا مِن قوله: "ما[4] يصلحه" بتكرير[5] العامل؛ لأنّ التقدير هناك: مِن خَلق ما يُصلحه.

قوله: (لأكلِه) مضاف إلى الفاعل، والمفعول محذوف، وكذا فيما ذكر[6] بعده، أي: لِأكل الإنسان إيّاها، وركوبِ الإنسان إيّاها.

قوله: (وخَلقِ ما لا يعلمون) عطفٌ على قوله: (خَلقِ الإنسان)، لا على قوله: (خَلقِ البهائم)؛[7] لأنّه بيان "ما يُصلحه / ولا بدّ له منه"، وخَلقُ ما لا [٥٥و] يعلمون لا يلزم أن يكون[8] كذلك. أو نقول: هو عطفٌ على "خَلقِ البهائم" لِما سيجيء أنّه يجوز أن يكون المراد بـ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ما يُصلحه.

قوله: (ومثله مُتعالٍ) متعلّق بقوله: "ثمّ دلّ" بما ذكر.

---

[1] ر ن: بعده.
[2] ر: للبهائم.
[3] ر: نقول.
[4] ن: من.
[5] ر: تنكير.
[6] ر ن: ذكره.
[7] ن: لبهائم؛ ر ن + ثمّ.
[8] ر + لا يلزم أن يكون.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه معنيان:

أحدهما: فإذا هو مِنطِيقٌ مجادلٌ عن نفسه مكافحٌ للخصوم مبينٌ للحجة، بعدما كان نُطفةً من منيّ جمادًا لا حِسَّ به ولا حركةَ؛ دلالةً على قُدرته.

والثاني: فإذا هو خصيمٌ لربِّه مُنكرٌ على خالقه، قائلٌ: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس ٧٨/٣٦]، وصفًا للإنسانِ بالإفراطِ في الوقاحةِ والجهلِ والتَّمادي في كُفرانِ النِّعمة.

وقيل: نزلتْ في أبيّ بن خَلَفٍ الجُمَحيِّ حين جاء بالعَظْم الرَّميم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا محمدُ، أتُرى اللهَ يُحيي هذا بعدَ ما قد رَمَّ؟"

قوله: (مُكافِح) أي: مقابل.[١]

قوله: (دلالةً) مفعول[٢] له مِن قوله: (أحدُهما: فإذا هو)؛[٣] لأنّه في معنى قولك: يُعنَى به: فإذا هو مِنطيق[٤] دلالةً[٥] على قدرته. وكذا[٦] قوله: (وصفًا)،[٧] فكأنّه قال: يُعنَى: فإذا هو خصيم وصفًا.[٨] أو كلّ منهما مفعول مطلق، أي: دلّ دلالةً، ووصَف وصفًا.

قوله: (وقيل: نزلت) سبب النزول.

قوله: (أتُرى الله يُحيي؟) أي: أتظنُّه[٩] يُحيي؟ واعلم أنّه يُستعمل "أُرِيتُ" استعمالَ[١٠] "ظننتُ"، فيقال: أُريتُ[١١] زيدًا منطلِقًا، وأُرَى عَمرًا ذاهبًا، وأين[١٢] تُرى بِشرًا جالسًا؟ وذلك لأنّ "رأيتُ" يتعدّى إلى مفعولين، فإذا عُدِّي بالهمزة تعدّى إلى ثلاثة، فبالبناء[١٣] للمفعول أُقيم أحد المفاعيل مُقام الفاعل، وانتصب المفعولان الباقيان.

---

[١] ر ن: يتقابل.
[٢] ن – مفعول.
[٣] ر + هو.
[٤] ر: منطبق.
[٥] ر + دلالة.
[٦] ر + في.
[٧] ن: وصفاء.
[٨] ن: وصفاء.
[٩] ن: أنظنه.
[١٠] ن: استمال.
[١١] ر: أرأيت.
[١٢] ن: وابن.
[١٣] ر ن: فالبنا.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦﴾

"الأنعامُ" الأزواجُ الثمانيةُ، وأكثرُ ما تقعُ على الإبل، وانتصابُها بمضمَرٍ يُفسِّره الظاهرُ؛ كقوله: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ﴾ [يس ٣٩/٣٦]، ويجوز أن يُعطفَ على ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾؛ أي: خَلَق الإنسان والأنعامَ، ثم قال: ﴿خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ﴾؛ ....

فإن قيل: "رأيتُ" مِن أفعال اليقين، فما بالُ "أُريتُ" برَز مِن جملة أفعال الظنّ مع أنّه منقول بالهمزة مِن[١] "رأيتُ"؟ قلنا: سبب ذلك: أنّ الإنسان قد يُريه غيره شيئًا ولا يتّضح[٢] له فيقول: أُريتُ،[٣] أي:[٤] ظننتُ، وأمّا إذا قال: رأيتُ، فمعناه اتّضح[٥] لي وتيقّنته.

قوله: (الأزواج الثمانية) هي مِن[٦] كلّ واحد مِن الإبل والبقر والضأن والمَعز اثنان.

قوله: (وأكثر ما تقع)[٧] "ما" مصدريّة، أي: أكثر وُقوعها على الإبل، فيجوز أن يكون "على الإبل" في محلّ الخبر، أي:[٨] أكثر وقوعها حاصل على الإبل، ويجوز أن يكون "على" متعلّقًا بـ"تقع"،[٩] ويكون الخبر محذوفًا.

قوله: (ويجوز أن يُعطف على ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾) وإذا كان عطفًا على ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يكون التقدير: خلقَ الأنعامَ خَلقَها لكم، فهو مثل: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف ٤/١٢] في أنّ الجملة الثانية بيان للجملة الأولى، وليس مِن الإضمار على شريطة التفسير في شيء، فتأمّل.[١٠]

---

١ ر ن – "أُريتُ" بَرَز مِن جملة أفعال الظنّ مع أنّه منقول بالهمزة مِن.
٢ ر: ولا يتّصح.
٣ ر ن: أرأيت.
٤ ر ن: إن.
٥ ر: اتّصح.
٦ ر – من.
٧ ر ن: يقع.
٨ ر ن – أي.
٩ ن: بيقع.
١٠ ر: فتأمّله.

أي: ما خلقَها إلّا لكم ولمصالحكم يا جنسَ الإنسان.

و"الدِّفءُ": اسمٌ لِمَا يُدْفَأُ به؛ كما أن الملأ اسمُ ما يُملأُ به وهو الدِّفاءُ من لباسٍ مَغمولٍ من صوفٍ أو وَبَرٍ أو شَعَر.

وقرئ: "دِفٌ" بطرح الهمزةِ وإلقاءِ حركتِها على الفاء.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: هي نسلُها ودَرُّها وغيرُ ذلك.

فإن قلتَ: تقديمُ الظَّرْفِ في قولِه: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مُؤْذِنٌ بالاختصاصِ وقد يُؤْكَلُ مِن غيرها.

قلتُ: الأكلُ منها هو الأصلُ الذي يَعتمِدُه الناسُ في معايشهم، وأمّا الأكلُ مِن غيرها من الدجاج والبطِّ وصيدِ البرِّ والبحرِ فكغيرِ المعتدِّ به، وكالجاري مَجْرَى التَّفَكُّه.

ويَحتمِلُ: أنَّ طُعمتَكم منها؛ لأنكم تَحرُثون بالبقر فالحبُّ والثمارُ التي تأكلونها منها، وتكتسبون بإكْراء الإبل وتبيعون نِتاجَها وألبانَها وجلودَها.

قوله: (ما خَلقَها إلّا لكم) اللام في "لكم" يدلّ[١] على الحَصر؛ لأنّه للتخصيص، وفيه نظر.[٢]

قوله: (وهو الدِّفاء)[٣] آلة الدِّفء.

قوله: (الصوف) مِن الضأن، و(الوبَر) مِن الإبل، و(الشَّعَر) مِن المِعزَى.[٤]

قوله: (وأمّا الأكل مِن غيرها) ابتداء. وقوله: (مِن الدجاج) بيان (غير).

قوله: (التَّفكُّه) الفاكهة: ما يُتفكّه[٥] -أي: يُتنَعّم- بأكله، ومنه الفُكاهة؛[٦] المُزاح.[٧]

قوله: (فالحَبُّ) مبتدأ، و(منها) خبره، متعلّق بمحذوف، أي: كائنةٌ وحاصِلةٌ مِن الأنعام.

---

[١] ر: بدل.

[٢] وفي هامش د: الحصر مستفاد مِن كون "اللام" للتعليل، فإنّه لو خلق لغيره لا يكون علّة، والغرض أنّه علّة، فلا يرد على الحاشية.

[٣] ر ن: الرقاء.

[٤] ر ن: المعز.

[٥] ر ن: ينفكه.

[٦] ر ن: الفاكهة.

[٧] المُغرب للمطرّزي، «فكه».

مَنَّ اللهُ تعالى بالتجمُّل بها كما مَنَّ بالانتفاع بها؛ لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من مَعاظِمِها؛ لأن الرُّعْيان إذا رَوَّحوها بالعشيّ وسرَّحوها بالغَدَاة فزيَّنت بإراحتها وتسريحِها الأفنِيةَ، وتجاوَبَ فيها الثُّغاءُ والرُّغاء، آنسَتْ أهْلها وفرَّحَتْ أربابها، وأَجَلَّتْهم في عيون الناظرين إليها، وكَسَبَتْهم الجَاهَ والحُرمَةَ عند الناس، ونحوُه: ﴿لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ﴾ [النحل ١٦/٨]، ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾ [الأعراف ٧/٢٦].

فإن قلتَ: لم قُدِّمتِ الإراحةُ على التسريح؟

قلتُ: لأن الجَمالَ في الإراحة أظهرُ إذا أقبلَتْ ملأى البطونِ حافلةَ الضُّروع، ثم أوَتْ إلى الحظائر حاضرةً لأهلها.

وقرأ عكرمةُ: "حينًا تُريحون وحينًا تَسرحون" على أنَّ ﴿تُرِيحُونَ﴾ و﴿تَسۡرَحُونَ﴾

قوله: (لأنّ الرُّعْيانَ) الراعي جمعه رُعاة، مثل: قاضٍ وقُضاة، ورُعْيان مثل: شابّ وشُبّان، ورِعاء مثل: جائع وجِياع.[١]

قوله: (إذا رَوَّحُوها)[٢] مواشي. وقوله: (فزَيَّنت)[٣] مواشي.

قوله: (بإراحتِها)[٤] مضاف إلى المفعول. أراح إبلَه؛ ردَّه إلى المُراح،[٥] وكذلك[٦] الترويح، ولا يكون ذلك إلّا بعد الزوال.[٧]

قوله: (الثُّغاء) للبقر.

قوله: (والرُّغاء)[٨] للإبل.

قوله: (ونحوُه) أي: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا/ جَمَالٌ﴾. [٥٥ظ]

قوله: (مَلْأى)[٩] بوزن "فَعْلَى"،[١٠] المَلأَ -بالفتح- مصدر قولك: مَلأتُ الإناء،

---

[١] الصحاح للجوهري، «رعى».
[٢] ر: ادارحوها؛ ن: رجوها.
[٣] ر ن: فرينت.
[٤] ر ن: بأن احتها.
[٥] ر: المزاح.
[٦] ن: ولذلك.
[٧] ر ن: الزمان. | الصحاح للجوهري، «روح».
[٨] د: والرعاء.
[٩] ر: ملي.
[١٠] ر: يوزن "فعْلى".

وصفٌ للحين، والمعنى: تُريحون فيه وتسرحون فيه؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ [البقرة ٢/١٢٣].

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

قرئ ﴿بشقِّ الأنفُسِ﴾ بكسر الشين وفتحها، وقيل: هما لغتان في معنى المشقَّة، وبينهما فرقٌ: وهو أن المفتوح مصدرُ شقَّ الأمرُ عليه شَقًّا، وحقيقتُه راجعةٌ إلى الشَّقِّ الذي هو الصَّدْعُ، وأمّا الشِّقُّ فالنِّصف؛ كأنّه يذهب نصفُ قوَّته لِمَا يناله من الجَهد.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾ كأنَّهم كانوا زمانًا يتحمَّلون المشاقَّ في بلوغه حتى حملتِ الإبل أثقالَهم؟

قلت: معناه: وتحمِلُ أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيهِ في التقدير لو لم تُخْلَقِ الإبلُ إلا بجَهْدِ أنفسِكم، لا أنهم لم يكونوا بالغيهِ في الحقيقة.

فإن قلتَ: فكيف طابقَ قولُه: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾ قولَه: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾، وهلّا قيل: لم تكونُوا حامليها إليه؟

فهو مَملوء، ودَلْوٌ مَلْأَى،[١] على فَعْلَى،[٢] وكوز[٣] مَلآن، والعامّة تقول: "مَلْآنة".[٤] والمِلْء -بالكسر-: اسم ما يأخذه الإناء إذا امتَلأ، يقال: أعطني مِلْأَه ومِلْأَيهِ[٥] وثلاثةَ أمْلائِه، وامتَلَأ[٦] مِن الشيء وتمَلَّأ[٧] بمعنًى.[٨]

قوله: (وأمّا الشِّقّ) شَقّ عليه؛ كأنّه فرَّق بعضَ أعضائه.

قوله: (في التقدير) متعلّق بقوله: (لم تكونوا). وقوله: (لو لم تُخلَق)[٩] بيان "التقدير"، فكأنّه قال: لم تكونوا بالِغِيه لو لَم تُخلَقْ.[١٠]

---

[١] ر ن: مليّ.
[٢] ر: فعل.
[٣] ر: ركوز.
[٤] ر ن: ملآنه.
[٥] ن: وملائة.
[٦] ن: وامتلأ.
[٧] ن: وتملّأ.
[٨] الصحاح للجوهري، «ملأ».
[٩] ر: يخلق.
[١٠] ر: نجلق.

قلتُ: طِباقُه من حيث إن معناه: وتحمِل أثقالَكم إلى بلدٍ بعيدٍ قد علمتُم أنكم لا تبلغونه بأنفسِكم إلَّا بجَهْدٍ ومَشَقَّة فضلًا أن تحمِلوا على ظهوركم أثقالكم.

ويجوز أن يكون المعنى: لم تكونوا بالغيه بها إلَّا بشقِّ الأنفس.

وقيل: ﴿أَثْقَالَكُمْ﴾: أجْرامَكم.

وعن عكرمةَ: البلدُ مكةُ.

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رَحِمَكم بخلقِ هذه الحوامل وتيسيرِ هذه المصالح.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾ عطفٌ على "الأنعام"؛ أي: وخلقَ هؤلاء للرُّكوب والزِّينة، وقد احْتُجَّ على حُرمةِ أكلِ لحومهنَّ بأنْ عَلَّل خَلْقَها بالرُّكوب والزِّينة ولـم يَذكر الأكلَ بعدما ذكره في الأنعام.

قوله: (قلتُ: طِباقه)[1] أجاب مِن ثلاثة أوجه: الأوّل: أنّ طِباقه مِن حيث اشتمالُه[2] على زيادة فائدة لـم يفهم ممّا ذكر في السؤال. والثاني والثالث: تأويل أحد الطرفين -أعني: ﴿بَٰلِغِيهِ﴾ و﴿أَثْقَالَكُمْ﴾- على وجه يتطابقان.

قوله: (لم تكونوا بالِغيهِ بها) أي: بالأثقال، فيكون في معنى حامليها.

قوله: (أجرامَكم)[3] جمع جِرْم، أي: أجسادكم، فكأنّه قال: وتَحمِلكم.[4]

قوله: (في الأنعام) هي[5] الإبل والبقر والغنم، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

---

[1] وفي هامش د: على الوجهين الأخيرين: الطِّباق -وهو الجمع بين الضِّدّين- ظاهر؛ أمّا على الوجه الأوّل الطِّباق مِن حيث المفهوم والمعنى، لا مِن حيث اللفظ، كأنّه قال: لم تكونوا بالِغيه إلّا بمشقّة، فبالطريق الأولى لا تكونوا حامليها، فيلزم الطِّباق مِن هذه الجهة.

[2] ن: استماله.

[3] ر + هي. | وفي هامش د: قوله: (﴿أَثْقَالَكُمْ﴾ أجرامَكم) فعلى هذا استعارة، شبّهت الأجرام بالأثقال، أي: الأحمال، والجامع أنّه كما أنّ الحِمل يمنع المتحرّك عن الحركة، فكذلك البدن مانع مِن حركة الشخص.

[4] ر ن: ويحملكم.

[5] ر - هي.

فإن قلتَ: لمَ انتصَبَ ﴿وَزِينَةً﴾؟

قلتُ: لأنه مفعولٌ له، وهو معطوفٌ على محلِّ ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾.

فإن قلتَ: فهلَّا ورد المعطوفُ والمعطوفُ عليه على سَنَنٍ واحدٍ؟

قلتُ: لأنَّ الركوبَ فعلُ المخاطَبين، وأمَّا الزِّينة ففعلُ الزَّائن وهو الخالق.

وقرئ: "لتركبوها زينةً" بغير واوٍ؛ أي: وخلقَها زينةً لتركبوها، ....

قوله: (لأنّ الركوب فِعل المخاطبين) الحاصل: أنّ الركوب ليس فِعْلًا[١] لفاعل[٢] الفعل المُعلّل، فأُتِيَ باللام بخلاف الزينة.

قوله: (أي: خَلَقها زينةً) فيكون[٣] قوله: "زِينةً" مفعولًا[٤] ثانيًا[٥] لقوله قبل[٦] ذلك: "خَلَق"، أي: صيَّرها زِينةً، فإنّ "خَلَق" إذا كان بمعنى "صَيَّر" يتعدّى إلى مفعولين، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣]، وإذا كان "خَلَق" بمعنى "جعلَ" يتعدّى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى:[٧] ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ١/٦]. هذا غلط، والأمر بالعكس، بأن يقال: "جعل" بمعنى "خلَق" يتعدّى إلى واحد، وبمعنى "صيّر" يتعدّى إلى اثنين، ومع هذا لا يُناسب هذا الموضع.

قوله: (أي: خلقَها زِينةً لتركبوها) فيكون "زِينةً" حالًا مِن ﴿ٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾، و﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ مفعول له.

قوله: (أي: خلقَها زِينةً[٨] لتركبوها) هذا على القراءة بغير الواو،[٩] وأمّا على القراءة بالواو فقد ذكرنا أنّها مفعول له.

---

١ ر ن: فعل.

٢ ر ن: الفاعل.

٣ وفي هامش د: هذه الحاشية غير مُنقّحة.

٤ ر + الزينة؛ ن + للزينة.

٥ ن: ثاني.

٦ ر ن: قيل.

٧ ر: تعال.

٨ ر: رينة.

٩ قراءة: "لِتَرْكَبُوهَا زِينَةً" بغير واو، قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وابن عياض. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٦٩؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٥٠٩/٦ (النحل، ٨/١٦).

أو تُجعلُ "زينةً" حالًا منها؛ أي: وخلَقها لتركبوها وهي زينةٌ وجمالٌ.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يجوزُ أن يريدَ به: ما يَخلُقُ فينا ولنا ممَّا لا نَعلم كُنْهَهُ وتفاصيلَه، ويمنُّ علينا بذكره كما مَنَّ بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قُدرته، ويجوز أن يُخبِرَنا بأنَّ له من الخلائق ما لا علمَ لنا به ليزيدَنا دلالةً على اقتداره بالإخبار بذلك وإن طَوَى عنَّا علمَه لحكمةٍ له في طيِّه، وقد حُمل على ما خلَق في الجنَّة والنَّار ممَّا لم يَبْلُغه وَهْمُ أحدٍ ولا خَطَرَ على قلبه.

في هذه الآية حُجّة لِمَن يُحرِّم لحومَ الخَيل، وهو ابن[1] عبّاس والحَكَمُ ومالك وأبو حنيفة؛ لأنّه عَلّل خَلْقَ هذه الأشياء بالرُّكُوبِ والزينة. وأمّا الحَسَنُ وشُريح[2] وعطاء وابنُ[3] جُبَير والشافعي وأحمد وإسحاق فأباحوا لحوم الخيل، وقالوا: ليس المراد مِن الآية بيان تَحليلٍ ولا تَحريم، وإنّما المراد[4] تعريف النعمة وتَنبيهٌ على القدرة، واحتجُّوا بما رُوي أنّه صلّى الله عليه وسلّم[5] نهى يوم خيبر عن لحوم الحُمُر الأهليّة، ورخّص في لحوم الخيل.[6]

ورُوي أنّه صلّى الله عليه وسلّم[7] أطعمَنا لحومَ الخيل، ونهانا عن لحوم الحُمُر.[8] وعن أسماء قالت: «نَحَرْنا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[9] فرَسًا فأكَلناه».[10] ورُوي: «ذَبَحْنا على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[11] فرَسًا ونحن بالمدينة، فأكَلناه».[12]

---

[1] ر: بن.

[2] ن: وسريح.

[3] ر: بن.

[4] ر ن − بيان تحليلٍ ولا تحريم، وإنّما المراد.

[5] د: عليه السلام.

[6] صحيح البخاري، ٩٥/٧ (٥٥٢٠)؛ صحيح مسلم، ١٥٤١/٣ (١٩٤١).

[7] د: عليه السلام.

[8] صحيح مسلم، باب صحّة الاحتجاج بالحديث المُعنعن، ٣٢/١؛ سنن الترمذي، ٣٠٧/٣ (١٧٩٣).

[9] د: عليه السلام.

[10] ن + وروي ذبَحْنا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرَسًا فأكلناه. | صحيح البخاري، ٩٣/٧ (٥٥١٠)؛ صحيح مسلم، ١٥٤١/٣ (١٩٤٢).

[11] د: عليه السلام.

[12] صحيح البخاري، ٩٣/٧ (٥٥١١). | وفي هامش د: قوله: (أو تجعل "زِينَةً" حالًا مِن "ها") على الوجه الأوّل: "زِينةً" مفعول له، و﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ علّة للفعل المعلّل، وهو الخلق المعلّل بالزينة. وعلى الوجه الثاني: حال مِن الباء في ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾. اعلم أنّه على تقدير أن يكون "زِينةً" مفعول له يتعيّن أن يكون مصدرًا، وعلى تقدير أن يكون حالًا يجوز أن يكون اسمًا، وأن يكون مصدرًا في معنى الصفة، أي: لتركبوها حال كونها مزيّنة.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

المرادُ بـ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: الجنسُ؛ ولذلك أضافَ إليها القصدَ وقال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾.

والقصدُ مصدرٌ بمعنى الفاعل وهو القاصد، يقال: "سبيلٌ قصدٌ وقاصدٌ"؛ أي: مستقيمٌ؛ كأنَّه يقصد الوجهَ الذي يؤمُّه السالكُ لا يَعْدِلُ عنه.

ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: أن هدايةَ الطريقِ الموصِلِ إلى الحقِّ واجبةٌ عليه؛ كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل ٩٢/١٢].

فإن قلتَ: لم غُيِّر أسلوبُ الكلام في قوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؟

قلتُ: ليُعلَم ما يجوز إضافتُه إليه من السبيلين وما لا يجوز، ....

قوله: (ولذلك[١] أضاف) يعني: لمَا كان المراد الجنس أضاف القصد إليه؛ لأنَّ السبيلَ القصدَ نوعٌ مِن جنس السبيل، ولذا[٢] أيضًا قال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، أي: وبعض السبيل / مائل منحرِف غير مستقيم. [٥٦و]

قوله: (سبيلٌ قَصْدٌ[٣] وقاصِد) قال في الوسيط: «طريقٌ قَصْد وقاصِد؛ إذا قصَدَ بك[٤] إلى ما تُرِيد، و﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ الإسلام. والمعنى: أنَّ قصد السبيل الذي هو الإسلام مُؤدٍّ إلى رضا الله تعالى، وإلى جزائه وثَوابِه».[٥]

قوله: (ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾) كلمة "علينا" عند أهل السُّنّة محمولة على تحقيق الإنكار، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود ١١/٦]، وقولِه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ٦/٥٤].

قوله: (لِيُعلَم ما يجوز)... إلخ أراد أن يُفسِّر الآية على وجه يوافق مذهبه، فأتى بما يَكاد يُذهِبُ رَونَقَ الآية وطلاوتَها. ومعنى الآية:[٦] قصد السبيل الذي

---

١ ر: وكذلك.

٢ ر ن: وكذا.

٣ ن: نصد.

٤ ر: قصدتك.

٥ التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٥٧ (النحل، ١٦/٩).

٦ ن ر – قوله: (ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾) كلمة "علينا" عند أهل السُّنّة محمولة على تحقيق الإنكار، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود ١١/٦]، وقولِه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ٦/٥٤]. قوله: (لِيُعلَم ما يجوز)... إلخ أراد أن يُفسِّر الآية على وجه يوافق مذهبه، فأتى بما يَكاد يُذهِبُ رَونَقَ الآية وطلاوتَها. ومعنى الآية.

ولو كان الأمرُ كما تَزعم المجبِرةُ لقيل: "وعلى الله قصدُ السبيل وعليه جائرُها" أو: "وعليه الجائر".

وقرأ عبد الله: "ومنكم جائر"، يعني: ومنكم جائرٌ جارَ عن القصد بسوء اختياره واللهُ بريءٌ منه.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَسْرًا وإلجاء.

هو السبيل المستقيم -وهو الإسلام- مُؤدٍّ إلى الله تعالى،[١] أي: إلى رِضَى الله تعالى وثوابه وجزائه، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر ١٥/٤١]، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود ١١/٥٦]، فكأنّه قال: بعض السبيل -وهو السبيل القَصد- مُؤدٍّ إليه، أي: إلى رضاه وثوابِه وجزائِه، وبعضُها جائر[٢] عنه، فيتلاءم الكلامان ويتناسبان.[٣]

وعلى ما ذكره مِن أنّ المعنى: هداية[٤] الطريق المُوصِل إلى الحقّ واجبةٌ عليه، وبعضُها جائر؛ يُذهِبُ حُسنَ التركيب وطلاوةَ النَّسَق. وما أَدْري أتعامَى عن هذا المعنى مع وُفور فضله وغزارة[٥] علمه حرصًا على اعتزاله مِن الحقّ الذي هو دينُه ودَيدَنُه، أم أخفى الله عنه هذا المعنى الظاهر الذي لا يخفى على مَن له[٦] مُسْكة[٧] -فكيف على أمثاله- عِقابًا له على لُزومه مخالفةَ الجماعة، وطعنِه في أرباب القلوب كثيرًا؟

ثمّ إنّ قول المصنّف: (لو كان الأمر كما يَزعُمون لَقيل)... إلخ كلام فاسد لا يلزم أهلَ السُّنّة كما لا يخفى على الناظر[٨] في الآية، وفيما هو المعنَى عند أهل السنّة كما قرّرنا وبيّنّا، والحمد لله على ذلك.

قوله: (وعليه جائرُها) الجَور: المَيل عن القصد.[٩]

---

١ ر - تعالى.

٢ ن: جابز.

٣ ر: ويتناشبان.

٤ ن: هذاية.

٥ ر ن: وعزارة.

٦ ر: كه.

٧ د: مسكه.

٨ ن: الناطر.

٩ الصحاح للجوهري، «جور».

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾

﴿لَكُم﴾ متعلِّق بـ﴿أَنزَلَ﴾ أو بـ﴿شَرَابٞ﴾ خبرًا له، والشرابُ: ما يُشرب.

﴿شَجَرٞ﴾ يعني: الشجرَ الذي تَرْعاه المواشي، وفي حديثِ عكرمة: «لا تأكلوا ثَمَنَ الشجر فإنَّه سُحْتٌ». يعني: الكَلَأ.

﴿تُسِيمُونَ﴾ من سامتِ الماشيةُ: إذا رَعَتْ، فهي سَائِمةٌ، وأَسامَها صاحبُها، وهو من السُّومَةِ وهي العلامةُ؛ لأنها تؤثِّرُ بالرَّعي علاماتٍ في الأرض.

قوله: (يعني الشجر)[1] ذكر[2] الوجهين: **الأوّل**: أنّ المراد بـ"الشجر"[3] الشجرُ[4] الذي تَرعاه المواشي. والثاني: أنّ المراد الكلأ.

قوله: (وفي حديث عِكرمة) معنى حديث عِكرمة رضي الله عنه:[5] هو أنّه لو حفر شخص بئرًا في مَوات أو أخرج قناةً فيه وجَب عليه بذلُ[6] ما فضَل مِن حاجته للمواشي، ولا يجوز له أن يبيع[7] ذلك الماءَ الفاضِلَ مِن حاجته لِمَن احتاج لِمَواشيه، فإنّه لو باع ذلك الماءَ[8] يكون كما لو باع كَلَأً[9] تلك الأرض المَواتِ؛ لأنّ الناس إنّما يَحتاجون إلى ذلك الماء لذلك[10] الكَلَأ ولِيَرْعَوا منه. يدلّ على أنّ الشجر[11] مستعمل في معنى الكلأ، فيكون المراد بـ"الشجر" في الآية الكلأ. قال الزجّاج: «كلّ ما نبَت على الأرض فهو شجر».[12]

قوله: (وأسامَها[13] صاحبُها) أَسَمْتُ الماشيةَ إذا خَلَّيتَها تَرعى.[14]

---

١ ر: الشحر؛ ن: السحر.
٢ ر: قصد.
٣ ن: بالسجر.
٤ ن: السجر.
٥ د - رضي الله عنه.
٦ ر: بدل.
٧ ر ن: يتبع.
٨ ر ن - الماء.
٩ ن: كلًا.
١٠ ر ن: كذلك.
١١ ن: السجر.
١٢ ر: سجر. | معاني القرآن للزجّاج، ١٩٢/٣. | وفي هامش د: قوله: (وهو مِن السُّومة) أي: "سام" مشتَقّ مِن السُّومة. وقوله: (عَلاماتٍ) مصدر، أي: تأثيرات. | السُّومةُ -بالضمّ-: العَلامة تُجعَل على الشاة، وفي الحرب أيضًا. الصحاح للجوهري، «سوم».
١٣ ر: وأساقها.
١٤ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٨/٣ (النحل، ١٠/١٦). | وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم﴾... إلخ، قوله: ﴿مَآءٗۖ لَّكُم﴾ أي: لأجلكم، على تقدير أن يتعلّق بـ﴿أَنزَلَ﴾. وعلى تقدير أن يكون خبرًا يكون اللام للتخصيص. قوله: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ﴾ >

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾

قرئ ﴿يُنۢبِتُ﴾ بالياء والنون.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؟

قلتُ: لأن كلَّ الثمرات لا تكون إلّا في الجنَّة، وإنما أُنبتَ في الأرض بعضٌ من كلِّها للتذكرة.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: ينظرون فيستدِلُّون بها عليه وعلى قدرته وحكمته.

والآيةُ: الدلالة الواضحةُ.

وعن بعضهم: "يُنَبِّتُ" بالتشديد.

وقرأ أبيٌّ بن كعب: "يَنْبُتُ لكم به الزرعُ والزيتونُ والنخيلُ والأعنابُ" بالرفع.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾

قُرئَتْ كلُّها بالنَّصب ....

قوله: (قُرِئَت[1] كلُّها[2] بالنصب)[3] إذا نُصِب الكُلّ يجيء على الآية سؤال، وهو أنّ ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ حال، فيكون معناه: سَخَّرَ[4] هذه الأشياءَ مُسخَّراتٍ،[5] وهو مُحال؛ لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل، أو تكرارٌ خالٍ[6] عن الفائدة

< أي: لأجلكم، والباء في ﴿بِهِ﴾ للآلة. قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ أي: لأجلكم. قوله: ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ والباء في ﴿بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ للسببية. قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ﴾، أي: لأجلكم. قوله: ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾ حال من ﴿مَا﴾ في ﴿مَا ذَرَأَ لَكُمۡ﴾، فإنّه مفعول فعل مقدّر، وقِسْ على هذا.

[1] ر ن: قريب.

[2] ن: كلّما.

[3] قرأ ابن عامر: ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ برفع الأسماء الأربعة، وقرأ حفص: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ بالنصب في الحرفَين الأوّلَين وبالرفع في الأخيرَين، وقرأ باقي العشرة: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ بنصب الأربعة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٣.

[4] ر ن: شجر.

[5] ر ن: مسجرات.

[6] ن: حال.

على: وجَعَل النجومَ مسخَّراتٍ، أو على أن معنى تسخيرِها للناس: تصييرُها نافعةً لهم، حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار، ويَعلمون عددَ السنين والحسابَ بمسير الشمس والقمر، ويهتدون بالنجوم، فكأنّه قيل: ونَفَعَكم بها في حال كونها مسخَّراتٍ لِمَا خُلقن له بأمره.

ويجوز أن يكون المعنى: أنه سخَّرها أنواعًا من التسخير، جمعُ مسخَّرٍ بمعنى تسخيرٍ، من قولك: "سخَّره الله مُسخَّرًا"؛ كقولك: "سَرَّحَه مُسرَّحًا"؛ كأنه قيل: "وسخَّرها لكم تسخيراتٍ بأمره".

لوجوب تقيّد الفِعل[١] / الناصب للحال بالحال، وأشار المصنّف إلى جوابه مِن ثلاثة أوجه: [٥٦ظ]

الأوّل: أنّ ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ حال مِن ﴿ٱلنُّجُومَ﴾، و﴿ٱلنُّجُومَ﴾ منصوب بفِعل مقدّر لا بِـ﴿سَخَّرَ﴾.

والثاني: نفعكم بهذه الأشياء حالَ كونها مسَخَّرة تحت قدرته وإرادته، والتقدير: أنّه تعالى نفع الناس بهذه الأشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حالَ كونها مسَخَّرة تحت قدرته؛ بل التقدير على هذا الوجه: صيَّر هذه الأشياء نافعة لكم، لكنّ المصنّف أشار إلى حاصل المعنى بعد أن أشار إلى أنّ التقدير ما ذكرنا.

والثالث: ظاهر.[٢]

قوله: (على: وجعل النجومَ مسخَّراتٍ) فيكون ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ متعلّقًا بقوله: ﴿وَٱلنُّجُومَ﴾، ونصب ﴿ٱلنُّجُومَ﴾ بفعل مقدّر دلّ عليه ﴿سَخَّرَ﴾،[٣] وهو "جعَل"، ويؤيِّدُ هذا الوجه ما سيجيء أنّه قُرئ: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾ بالرفع، وما قبله بالنصب.[٤]

قوله: (مُسرَّحًا) أي: تسريحًا.

---

١ ر: العمل.

٢ وفي هامش د: مصدر للنوع.

٣ ن: شحر.

٤ وفي هامش د: قوله: (وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾)... إلخ أي: جُمع لكونها أكثر دلالة، وذكر العقل دون التفكّر لكونها أظهر دلالة، فكان العقل كافيًا في إدراكها مِن غير احتياج إلى ترتيب مقدّمات فكريّة.

وقرئ بنصب ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ وحدهما ورفعِ ما بعدهما على الابتداء والخبرِ.

وقرئ: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ بالرفع وما قبله بالنصب.

وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ فجمعَ الآيةَ وذكَر العقل؛ لأن الآثارَ العُلْويَّةَ أظهرُ دلالةً على القدرة الباهرة وأبينُ شهادةً للكبرياء والعظمة.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ﴾ معطوفٌ على ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يعني: ما خَلقَ فيها من حيوان وشجر وثمرٍ وغيرِ ذلك مختلِفَ الهيئات والمناظر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾

﴿لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾: هو السمكُ، ووَصَفه بالطَّراءةِ؛ لأن الفساد يُسرِعُ إليه فيُسارَع إلى أكله خِيفةَ الفساد عليه.

فإن قلتَ: ما بالُ الفقهاء قالوا: إذا حَلفَ الرجلُ أن لا يأكلَ لحمًا ....

قوله: (وقال)... إلخ إشارة[١] إلى فائدة جمع "الآيات" هنا مع الإفراد فيما تقدّم، وذكر ﴿يَعۡقِلُونَ﴾ هنا مع ذكر ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ ثمّة.[٢]

قوله تعالى:[٣] ﴿لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ شيء طرِيّ بيِّن الطَّراوة والطَّراءة، وقد طَرُوَ وطَرُءَ -بهمز وبغير همز- عن الغُوري،[٤] وكذا في الأساس. وعن ابن[٥] الأعرابي: «لحم طريّ غير مهموز، وقد طَرُوَ طَراوةً وطَراءةً»،[٦] وهكذا عن الأزهري.[٧]

قوله: (قلتَ: ما بال الفقهاء) "ما" مبتدأ، و"بالُ" خبره. والبال: الحال، يقال: ما بالكَ؟ وقوله: (قالوا) حال مِن "الفقهاء"؛ لأنّه في المعنى فاعل؛ لأنّ معنى قولك:

---

[١] ر ن: أشار.
[٢] ن: به.
[٣] ن – تعالى.
[٤] ر: الغواري.
[٥] ر: بن.
[٦] المُغرب للمطرّزي، «طرأ».
[٧] تهذيب اللغة للأزهري، باب الطاء والراء، ٦/١٤.

فأكل سمكًا لم يَحْنَثْ، واللهُ تعالى سمَّاه لحمًا كما تَرى؟

قلتُ: مبنَى الأَيمانِ على العادة، وعادةُ الناس إذا ذُكر اللحمُ على الإطلاق أن لا يُفهَم منه السمكُ، وإذا قال الرجل لغلامِهِ: "اشترِ بهذه الدراهِمِ لحمًا"، فجاء بالسمك كان حقيقًا بالإنكار، ومثالُه: أن الله تعالى سمَّى الكافرَ دابَّةً في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال ٨/٥٥]، فلو حلفَ حالفٌ لا يركَبُ دابَّةً فركب كافِرًا لم يَحْنَث.

﴿حِلۡيَةً﴾: هي اللؤلؤُ والمرجانُ، والمرادُ بلُبسهم: لُبْسُ نسائهم؛ لأنهنَّ من جملتهم؛ ولأنهنَّ إنما يتزيَّنَّ بها من أجْلهم فكأنَّها زينتُهم ولباسُهم.

"المَخْرُ": شقُّ الماء بحَيْزومِها، وعن الفرَّاء: هو صَوْتُ جَرْيِ الفُلك بالرِّياح.

وابتغاءُ الفضل: التجارةُ.

ما بَالكَ؟: ما تصنع؟ نحو: ما شأنك؟ وقوله: (فأكل) عطف. وقوله: (لم يحنَث)[١] جواب[٢] "إذا". وقوله: (والله تعالى) حال مِن الضمير في "قالوا"، فهو مِن تداخل الحالَين. "الكاف" صفة مصدر محذوف، أي: سمّاه تسميةً مثلَ التسمية التي تراها.

قوله: (اللُّؤلؤ)[٣] "اللُّؤلؤ":[٤] الدُّرُّ. و"المَرجان": صِغار اللُّؤلؤ.[٥]

قوله: (بِحَيزُومها) الحَيزوم: وَسط الصَّدر، وما يُضمّ[٦] عليه الحِزام.[٧]

---

١ ر: يحنب.

٢ ر ن: الجواب.

٣ ر: واللؤ؛ ن: واللؤلؤ.

٤ ر: اللؤ.

٥ ر: اللولو. | انظر: الصحاح للجوهري، «لألأ» «مرج». | وفي هامش د: قوله: (والمراد بلبسهم)... إلخ على الوجه الأوّل: حقيقة؛ لأنّ الخطاب إلى نوع الإنسان، فكأنّه قال: يا نوع الإنسان تلبسونها، وكذا جميع الخطابات في الشرع، مثل: "أقيموا الصلاة" و"آتوا الزكاة"، فإذًا لَبسُ صنفٍ منه يصدق عليه لَبسُ النوع. وعلى الوجه الثاني: استعارة؛ استعير الموجود للمعدوم، والجامع ترتّب الفائدة، كما أنّه يترتّب على الموجود الفائدة، فكذلك ههنا يترتّب فائدة التزيّن -وهي التلذّذ- على المعدوم، وهو عدم اللُّبس، فإنّ فائدة اللُّبس -وهي التلذّذ- تعود إلى الرجال، فكأنّهم لبسوها، وهذا عكس ما قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة ٢/١٠٢]، فإنّه استُعير عدم العِلم للعِلم بجامع عدم ترتّب الأثر على كلّ منهما، تأمّل.

٦ ن: يصم.

٧ الصحاح للجوهري، «حزم».

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥﴾

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهةَ أن تميدَ بكم وتضطربَ، والمائِدُ: الذي يُدارُ به إذا ركب البحرَ، قيل: خَلقَ اللهُ الأرضَ فجَعلَتْ تَمورُ، فقالَت الملائكةُ: ما هي بمَقَرِّ أحدٍ على ظهرِها، فأصبحَتْ وقد أُرسيَتْ بالجبال لم تَدْرِ الملائكةُ ممَّ خُلقَتْ.

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾: وجعلَ فيها أنهارًا؛ لأن "أَلْقَىٰ" فيه معنى: جَعَل، ألا تَرَى إلى قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ ٧٨/٦-٧].

قوله: (والمائد: الذي يُدار) أي: الشخص الذي يدور رأسُه. ومنه المائدة؛ لأنّه يُدار بها، أي: يدور الناس بها. الدُّوارُ أيضًا مِن دُوار الرأس، يقال: دِيرَ بالرجل، وأُدِير به.[١]

قوله: (تَمُورُ) مارَ الشيء يَمُورُ مَوْرًا؛ تَرَهْيَأَ، أي: تحرَّك وجاء وذهب، كما تَكَفَّأُ النخلةُ[٢] العَيْدانةُ.[٣] والعَيْدانُ -بالفتح-: الطِّوال مِن النَّخل،[٤] الواحدة: عَيدانة، فَعلانة، أو فَيعالة.[٥]

قوله: (فأصبحت) "أصبح" و"أمسى"[٦] و"أضحى" و"ظَلّ" و"بات" في مثل هذا المكان على حدّ الفائدة في "صار" لو وقع موقعها، ألا يُرى[٧] إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل ٥٨/١٦]، والبِشارة بالأُنثى[٨] قد تقع[٩] ليلًا ونهارًا، وكذلك تقول: أمْسَوا نادمين، وأصبحوا خاسرين، وإن كانوا في كلّ أوقاتهم كذلك.

---

١ الصحاح للجوهري، «دور».

٢ ن: التحلة.

٣ ن: العبدانة. | الصحاح للجوهري، «مور».

٤ ن: النحل.

٥ الصحاح للجوهري، «عود». | وفي هامش د: قوله: (ما هي بمَقرّ أحد على ظهرها) "الباء" زائدة، زِيدت في خبر "ما"، و"المَقرّ" اسم مكان، و"على ظهرها" صفة "أحد"، ولا يجوز أن يتعلّق بـ"مقرّ"؛ لأنّ اسم المكان والزمان لا يعملان، أي: الأرض ليست موضع قرار أحد كائنٍ على ظهرها.

٦ ن + أصبح وأمسى.

٧ ر ن: ترى.

٨ ن - ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل ٥٨/١٦]، والبِشارة بالأنثى.

٩ ن: يقع.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: هي مَعالمُ الطُّرق، وكلُّ ما تَستدِلُّ به السَّابِلةُ من جبلٍ ومَنْهَلٍ وغيرِ ذلك.

والمراد بالنجم: الجنسُ؛ كقولك: "كثُر الدرهمُ في أيدي الناس".

وعن السُّدِّيّ: هو الثُّريَّا والفرقدان ....

قوله: (السابلةُ) "السابلةُ":[1] المختلِفةُ في الطُّرُقات في حوائجهم، عن عليّ بن[2] عيسى. وإنّما / أُنِث[3] على تأويل الجماعة بطريق النَّسب، هكذا ذكر في المُغرب.[4] ولي في قوله: "وإنّما أُنِث"...[5] إلخ نظر؛ لأنّ ما كان بطريق النَّسب لا يُؤنَّث،[6] وأظُنُّ أنّ[7] الصواب أن يُقال: هو بطريق النَّسب، والتاء للمبالغة، كما في "علّامة"، وقد قيل مثلُ ذلك في ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩].[8] [٥٧و]

قوله: (الثريّا) وهو تصغير الثَّروَى، والثَّروَى مؤنّث ثَروانَ، وهو ذو الثَّروة، أي: ذو الغِنَى، سُمِّي بذلك لِتَعدُّد نُجومها، وأمّا تصغير "ثَروتها"[9] فواضح، قال الشاعر:

خَليليّ إنّي للثُّريّا لَحاسدُ[10] وإنّي على رَيب الزمان لَواجِدُ
تجمَّع منها شَملُها وهي سِتّةٌ[11] وأفقِدُ مَن أحبَبتُه وهو واحِدُ[12]

[1] ر – السابلة.
[2] ن: ابن.
[3] ن: أنت.
[4] المُغرب للمطرّزي، «سبل».
[5] ن: أنت.
[6] ر: يونس.
[7] ن – أنّ.
[8] وفي هامش د: قوله: (مَنهَلٍ) المَنْهلُ: المَورد، وهو عين ماء تَرِده الإبل في المراعي، وسُمّي المنازل التي في المَفاوز على طُرق السُّفّار مَناهل؛ لأنّ فيها ماءً. صحاح. | الصحاح للجوهري، «نهل».
[9] ن: ثوبها.
[10] ر: بحاسد.
[11] ر: سنة.
[12] لأبي عثمان الخالدي، وقيل: هو لابن أخيه، وينسب للمهلّبي. انظر: مَن غاب عنه المُطرب للثعالبي، ص ٥٦؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ١٧٤/٦.

....

قوله: "لَواجِدُ" أي: غضبان،[١] مِن "وجَد عليه"، أي:[٢] غَضِب[٣] عليه. "الثُّريّا": هي سِتّة أنجُم مجتمعةٍ منتظَمة تُشبه عُنقودَ الكَرْم، وهي أشهَر منازل القمر، يَسيرها[٤] القمر أحيانًا، لم يَرْصُدْ بَطْلَمْيُوس منها غير أربعة. الكواكب الثابتة كثيرة، قد رصدوا منها ألفًا واثنين وعشرين، وحصروها[٥] في ثمانية وأربعين صورة، منها اثنا[٦] عشر في أوساط[٧] البُروج.[٨] وطريق حصرِهم فيها أنّهم نظروا إلى جملة مِن الكواكب فتوهّموها[٩] على صورة الحيوان الفلاني أو على شكل فلاني[١٠] فسمَّوها بذلك، منها صورة الدُّبّ الأصغَرِ، وهي صورة[١١] دُبّ قائم[١٢] قريب[١٣] القُطب الشمالي وكواكبها سبعة،[١٤] تُسمِّيه العرب بناتَ النَّعْشِ[١٥] الصُّغرى، منها أربعة كواكبٍ هي نَعْش على شكل مربَّع منحرف على بدَنه، والبنات هي[١٦] الثلاثة التي على ذَنَبه على خطّ[١٧] منحرف، وخارجَ الصورة كوكب على طَرف الذَّنَب يُسمَّى جُدَيًّا، وهو مِن دلائل القِبلة، وهو أقرب الكواكب إلى القطب الشمالي مِن الكواكب التي رصدوها،[١٨] والكوكبان[١٩] المضيئان اللذان هما مِن النَّعْش يُسمَّيان الفَرقدَين.[٢٠]

قال في الصحاح: «الفَرقَد: ولد البقرة، قال الشاعر:

كمكحولَتَيْ مَذعورةٍ أُمِّ فَرقَدِ[٢١]

---

[١] ن: عضبان.
[٢] ر: أو.
[٣] ن: عضب.
[٤] ر: يسترها.
[٥] ر: وحضروها.
[٦] ن: اثنا.
[٧] ر: أواسط.
[٨] ن: البحور.
[٩] ر ن: فتموها.
[١٠] ر – الحيوان الفلاني أو على شكل فلاني.
[١١] ن: صور.
[١٢] ن – قائم.
[١٣] ن + من.
[١٤] ن: سبة.
[١٥] ن: النعس.
[١٦] ر: في.
[١٧] ن: حط.
[١٨] ن: صدورها.
[١٩] ن: والكولبان.
[٢٠] ر: الفرقدان.
[٢١] البيت لطَرَفة بن العبد في ديوانه، ص ٣٧. وصدره:
طَحُورانِ عُوّارَ القَذى فتَراهُما

وبناتُ نَعْشٍ والجَدْيُ.

وقرأ الحسن: "وبالنُّجُم" بضمتين، وبضمَّةٍ وسكونٍ، وهو جمعُ نجمٍ كرَهْنٍ ورُهُن، والسكونُ تخفيفٌ، وقيل: حُذِفَ الواوُ من "النجوم" تخفيفًا.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ مُخرَجٌ عن سَنَنِ الخطاب، مقدَّمٌ فيه النجمُ، مقحَمٌ فيه ﴿هُمۡ﴾؛ كأنَّه قيل: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون، فمَن المرادُ بهم؟

قلتُ: كأنه أراد قريشًا: كان لهم اهتداءٌ بالنجوم في مسايرهم، وكان لهم بذلك عِلمٌ لم يكن مثلُه لغيرهم، فكان الشكرُ أوجبَ عليهم والاعتبارُ ألزمَ لهم فخُصِّصُوا.

والفَرقَدان: نجمان قريبان مِن القُطب».[١] يصف الشاعر عَيْنَي المحبوبة يُشبِّهها بِعَيْني البقرة الوحشيّة، كأنّهما مَكحولتان، يريد سوادَهما، وجعل البقرة مذعورة، أي: مُخوَّفة؛[٢] لأنّها إذا خافت نظرتْ نظرًا في غاية المَلاحة.

قوله: (والجُدَيُّ) نجم إلى جَنب القُطب تُعرَف به القِبلة.[٣] الجَديُ: مِن أولاد المَعز في السنة الأولى، وجمعه جِدَاءٌ، وبه سُمّي العاشر مِن البُروج، ويقال لكوكب القِبلة: جَدْيُ الفرقَد، ومنه قول ابن[٤] المبارك في تحرّي[٥] القِبلة: «أهل الكوفة يجعلون الجَدْيَ[٦] خلف القَفَا». والمُنجِّمون يسمُّونه "الجُدَيَّ" على لفظ التصغير فَرقًا بينه وبين البُرج.[٧] والفَرقدان: نجمان قريبان مِن القطب.[٨]

قوله: (وقيل: حذف الواو) أي: النُّجُم أصله النجوم،[٩] فحُذف الواو، كالكُفُفِ مِن الكُفُوف.

قوله: (فإن قلتَ: قوله: / ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾)[١٠] فخرج عن سَنَن[١١] الخطاب؛ [٥٧ظ]

---

[١] الصحاح للجوهري، «فرقد».

[٢] ر ن: مجوفة.

[٣] ر: البقلة.

[٤] ر: بن.

[٥] ر: تجري.

[٦] ن: الجذْيَ.

[٧] المُغرب للمطرّزي، «جدي».

[٨] الصحاح للجوهري، «فرقد».

[٩] ن: للنجوم.

[١٠] في الأصول الخطيّة: "مهتدون". وفي هامش د: ظ [أي: الظاهر]: ﴿يَهۡتَدُونَ﴾.

[١١] ر + في.

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾

فإن قلتَ: "مَن لا يَخْلُقُ" أُريدَ به الأصنامُ، فلِمَ جيءَ بـ"مَن" الذي هو لأُولي العلم خاصةً؟

قلتُ: فيه أوجهٌ:

أحدها: أنَّهم سمَّوْها آلهةً وعَبَدُوها فأَجْرَوها مُجرى أُولي العلم، ألَا ترى إلى قوله على أَثَرِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [النحل ١٦/٢٠].

والثاني: المشاكلةُ بينه وبين مَن يَخْلُقُ.

والثالث: أن يكون المعنى: أن مَن يَخلق ليس كمَن لا يَخلُق من أُولي العلم، فكيف بما لا عِلْمَ عنده؟ كقوله: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف ٧/١٩٥] يعني: أن الآلهة حالُهم مُنحطَّةٌ عن حالِ مَن لهم أَرْجُلٌ وأيدٍ وآذانٌ وقلوبٌ؛

لأنَّ ما قبلها وما بعدها خطاب، وهذا بطريق الغَيبة.[1]

قوله: (والثاني: المشاكلة) "المشاكلة": أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحبته، كقوله:

قالوا اقترح شيئًا نُجِد[2] لك طبخَه[3] قلتُ اطبُخُوا لي جُبَّةً[4] وقميصًا[5]

وكقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة ٢/١٩٤].

---

[1] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: فيه أوجه) على الوجهين الأوّلين: استعارة، وعلى الثالث: حقيقة. على الوجه الأوّل: شُبّهت الأصنام بالمعبود بالحقّ بجامع العبادة، واستعمل فيها التي يستعمل في ذوي العلم. وعلى الوجه الثاني: شُبّه أحد المتجاورَين بالآخر، والجامع التضايف، وهو المجاورة، فإنّها لا تُعقَل إلّا بالقياس إلى الغير، وعلى هذا قالوا:

اقترح شيئًا نُجِد لك طَبخه
قلت اطبخوا لي جُبّة وقميصًا

شبّه الخياطة بالطبخ، والوجه والعلاقة المجاورةُ والمصاحبة، فإنّه ذكر في صُحبته وجِواره.

[2] ن: تجد.

[3] ر: طبخة.

[4] ن: حبّة.

[5] مفتاح العلوم للسكّاكي، ٤٢٤/١. وقائل البيت جَحظة البرمكي. انظر: الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٢٣٣/٨.

لأن هؤلاء أَحْياؤهم أمواتٌ فكيف تصحُّ لهم العبادة؟ لا أنّها لو صحَّت لهم هذه الأعضاء لصحَّ أن يُعْبَدوا.

فإن قلتَ: هو إلزامٌ للّذين عَبَدوا الأوثانَ وسَمَّوها آلهةً تشبيهًا بالله، فقد جَعلوا غيرَ الخالق مثلَ الخالق، فكان حقُّ الإلزام أنْ يقالَ لهم: أفمَن لا يخلقُ كمَن يَخلق؟

قلتُ: حين جَعَلوا غيرَ الله مثلَ الله في تسميته باسمه والعبادةِ له وسوَّوْا بينه وبينه، فقد جعلوا الله من جنسِ المخلوقات وشبيهًا بها، فأَنكَرَ عليهم ذلك بقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾

﴿لَا تُحۡصُوهَا﴾: لا تَضْبِطوا عددَها ولا تبلُغُه طاقتُكم فَضْلًا أن تُطيقوا القيامَ بحقِّها من أداء الشكر، أَتْبَعَ ذلك ما عدَّدَ من نِعَمه تنبيهًا على أنَّ وراءها ما لا يَنحَصِرُ ولا يَنْعَدُّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ حيث يتجاوَزُ عن تقصيركم في أداءِ شُكر النعمة، ولا يَقْطعُها عنكم لتفريطكم، ولا يُعاجِلُكم بالعقوبةِ على كُفرانها.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾

قوله: (أتبع ذلك) أي: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ﴾... إلخ. و"ذلك" مفعول أوّل، و"ما" مفعول ثانٍ.

قوله: (ولا يَنعدُّ) هو مطاوع عَدَدته، أي: لا يصير معدودًا.[1]

---

[1] وفي هامش د: وهو وعيد يحتمل أن يكون مِن قَبيل التعريض، ويحتمل أن يكون مِن قَبيل إطلاق السبب على المسبَّب؛ لأنّ العلم بترتّب المجرم سبب لعُقوبته، فكأنّه قال: يُعذِّبهم ويُجازيهم، ويحتمل أن يكون مِن قَبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، تأمّل، فإنّه موضع تأمّل، ويحتمل أن يكون كناية؛ لأنّها عنده انتقال مِن الملزوم إلى اللازم.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ من أعمالكم، وهو وعيدٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: والآلهةُ الذين يَدْعوهم الكفَّار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وقرئ بالتاء. وقرئ: "يُدعَوْن" على البناء للمفعول.

نَفَى عنهم خصائص الإلهيَّة بنفي كونهم خالِقِين وأحياءً لا يموتون، وعالِمِين بوقتِ البعث، وأثبتَ لهم صفاتِ الخَلْق بأنهم مخلوقون، وأنهم أَمْواتٌ، وأنَّهم جاهلون بالغيب.

ومعنى ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٍ﴾: أنَّهم لو كانوا آلهةً على الحقيقةِ لكانوا أحياءً غيرَ أمواتٍ؛ أي: غيرَ جائزٍ عليها الموت كالحيِّ الذي لا يموت، وأمرُهم على العكس من ذلك، والضمير في ﴿يُبۡعَثُونَ﴾ للداعين؛ أي: لا يَشعُرون متى تُبعثُ عَبَدتُهم؟ وفيه تهكُّمٌ بالمشركين، وأن آلهتهم لا يَعلمون وقت بَعْثِهم، فكيف يكون لهم وقتُ جزاءٍ منهم على عبادتهم؟ وفيه دلالةٌ على أنه لا بدَّ من البعث، وأنه من لوازم التكليف.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن يكون المعنى: أن الناس يَخلُقونهم بالنَّحْتِ والتصوير، وهم لا يقدرون على نحو ذلك، فهم أعجزُ من عَبَدتهم ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾: جماداتٌ لا حياةَ فيها ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٍ﴾، يعني: أنَّ مِن الأموات ما يَعقُبُ موتَه حياةٌ؛ كالنُّطَف

قوله: (وقُرئ بالتاء) القراءة ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالتاء والياء مِن السبعة.[١]

قوله: (والضمير) يعني: أنّ الضمير في ﴿يَشۡعُرُونَ﴾ لآلهتهم، وفي[٢] ﴿يُبۡعَثُونَ﴾ للكفّار[٣] الداعين. وقوله: (للداعين) الذين[٤] أُشير إليهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾. وقوله:[٥] (أي: لا يَشعُرون) أي: آلهتهم. وقوله: (عَبَدَتُهم)[٦] جمع عابِد. وقوله: (لهم) أي: لِعَبَدَتهم. وقوله: (منهم) أي: مِن الآلهة.[٧]

---

[١] قرأ عاصم ويعقوب: ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياء وقرأ باقي العشرة: ﴿تَدۡعُونَ﴾ بالتاء. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٣/٢.

[٢] ن: في.

[٣] ن: لكفّار.

[٤] ر ن: الذي.

[٥] ر ن: وقود.

[٦] ن: عبدبهم.

[٧] وفي هامش د: قوله: (وذلك أعرق) أي: عدم عَقْب موتها حياة.

التي يُنشِئُها الله تعالى حيوانًا، وأجسادِ الحيوان التي تُبعث بعد موتها، وأما الحجارةُ فأمواتٌ لا يَعقُبُ موتَها حياةٌ وذلك أعرقُ في موتها ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: وما يَعلمُ هؤلاء الآلهةُ متى تُبعَثُ الأحياءُ؛ تهكُّمًا بحالها؛ لأن شعور الجماد محالٌ فكيف بشعورِ ما لا يعلمُه حيٌّ إلّا الحيُّ القيومُ سبحانه؟

ووجهٌ ثالثٌ: وهو أن يرادَ بـ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الملائكةُ -وكان ناسٌ منهم يعبدونَهم- وأنهم ﴿أَمْوَاتٌ﴾؛ أي: لا بدَّ لهم من الموت ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾: غيرُ باقيةٍ حياتُهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ولا عِلْمَ لهم بوقتِ بَعْثهم.

وقرئ: "إِيَّان" بكسر الهمزة.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ يعني: أنه قد ثبتَ بما تقدَّم من إبطال أن تكون الإلهيَّةُ لغيرِه وأنَّها له وحده لا شريكَ له فيها، فكان من نتيجةِ ثباتِ الوحدانيَّة ووضوحِ دليلها: استمرارُهم على شركهم، وأنَّ قلوبَهم مُنكِرةٌ للوحدانية وهم مستكبِرون عنها وعن الإقرار بها.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ سرَّهم وعلانيتَهم فيُجازيهم، وهو وعيدٌ.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ يجوز أن يريد: المستكبِرين عن التوحيد، يعني: المشركين، ويجوز أن يعمَّ كلَّ مستكبرٍ، ويَدخلَ هؤلاء تحتَ عمومه.

قوله: (أي: لا بدّ لهم مِن الموت) كقوله تعالى للنبيّ عليه السلام: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر ٣٩/٣٠]، وكان حيًّا، أي: ستَموتُ وسيَموتون.

قوله: (قد ثبَت بما تقدّم) فاعل "ثبَت" ضمير يرجع إلى قوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، فكأنّه قيل: ثبَت التوحيد، ثمّ إنّهم مع ثبوت ذلك استمرُّوا على كفرهم. وقوله: (ثبَتَ... فكان)... إلخ إشارة إلى فائدة "الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾

﴿مَّاذَآ﴾ منصوبٌ بـ﴿أَنزَلَ﴾ بمعنى: أيَّ شيء ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾؟ أو مرفوعٌ بالابتداء بمعنى: أيُّ شيء أنزَلَه ربُّكم؟ فإذا نصبتَ فمعنى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

قوله: (﴿مَّاذَآ﴾ منصوب بـ﴿أَنزَلَ﴾) ذكر سيبويه في "ماذا صنعتَ؟" وجهين: أحدهما: أن يكون المعنى: أيُّ شيء الذي صنعتَه؟ وجوابُه: "حسَنٌ" بالرفع. والثاني: أن يكون "ماذا" كما هو بمنزلة اسم أحد،[١] كأنّه قيل: أيَّ شيء صنعْتَ؟ وجوابه بالنصب. وقُرِئ قوله تعالى: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة ٢/٢١٩] بالرفع والنصب.[٢]

قوله: (أو مرفوع) في عبارتِه تساهل؛ لأنّ ﴿مَّاذَآ﴾ بتمامه ليس مرفوعًا على أنّه مبتدأ؛ بل "ما" مبتدأ، و"ذا" خبره.[٣] ويجوز أن يكون مراد المصنّف هذا المعنى أيضًا، أي: ﴿مَّاذَآ﴾ مرفوع بأنّ "ما" مبتدأ و"ذا" خبره،[٤] فهما[٥] اسمان مرفوعان على الابتدائيّة، فكان حقّه أن يقول: بمعنى: أيُّ شيء الذي أنزله؟[٦]

قوله: (فإذا نَصبتَ) أي: ﴿مَّاذَآ﴾.[٧]

---

١ في مطبوع المفصّل: اسم واحد.

٢ المفصّل للزمخشري، ص ١٩١. وقرأ أبو عمرو: ﴿ٱلْعَفْوُ﴾ بالرفع، وقرأ باقي العشرة: ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ بالنصب. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٢٧.

٣ وفي هامش د: قلتُ: على تقدير أن يكون ﴿مَاذَا﴾ كما هو بمنزلة اسم واحد؛ لمَ لا يجوز أن يكون مرفوعًا كما قدّره؟ وأيُّ مانع يمنع مِن ذلك؟ والحقّ أنّه ليس في العبارة مساهلة.

٤ ر ن - ويجوز أن يكون مراد المصنّف هذا المعنى أيضًا، أي: ﴿مَاذَا﴾ مرفوع بأنّ "ما" مبتدأ و"ذا" خبره.

٥ ن: فيهما.

٦ وفي هامش د: قوله: (فإذا نصبت)... إلخ قلتُ: منشأ اختلاف التقدير كون السؤال جملة اسميّة أو فعليّة، لِما أنّ الاسميّة تدلّ على زيادة ثبوت كونه مُنزلًا، تأمّل، كأنّه قال: أيُّ شيء الذي تحقّق إنزاله؟ فناسب الجواب أن يكون بصيغة تدلّ على تسليم الإنزال، وهو قوله: (المُنزَل أساطير الأوّلين)، ولهذا أورد السؤال على هذا التقدير.

٧ وفي هامش د: قوله: (فإن قلتَ: هو كلام) أي: هذا الكلام وهو "المُنزل أساطير الأوّلين"، أي: فيه تناقض؛ لأنّه -أي: لأنّ المُنزَل- لا يكون مُنزَل ربّهم وأساطير، فإنّ الإنزال مِن الربّ وكونَه أساطير ممّا يتناقضان. قوله: (قلتُ: هو على السُّخرية) أي: هذا الكلام -وهو المُنزَل أساطير- على طريق السُّخرية، فيكون حقيقة، لكن المقصود منه السخرية والاستهزاء، وكذلك نحو: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٧]، فإنّه حقيقة لكن المراد الاستهزاء والاستحقار والاستخفاف، فإنّهم يقولون: في مثل هذا المقام يتكلّمون بألفاظٍ تدلّ على التعظيم ويريدون الاستخفاف والاستحقار.

ما يدَّعون نزولَه أساطيرُ الأولين، وإذا رفعتَه فالمعنى: المنزَلُ أساطيرُ الأولين؛ كقوله: ﴿ماذا يُنْفِقون قل العفوُ﴾ [البقرة ٢/٢١٩] فيمَن رَفَع.

فإن قلتَ: هو كلامٌ متناقِضٌ؛ لأنه لا يكون مُنْزَلَ ربِّهم وأساطيرَ.

قلتُ: هو على السخرية؛ كقوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٧].

وهو كلامُ بعضِهم لبعضٍ، أو قولُ المسلمين لهم.

وقيل: هو قولُ المقتسِمِين الذين اقتسَموا مَداخِلَ مكَّةَ يُنفِّرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا سَألَهم وُفودُ الحاجِّ عمَّا أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: "أحاديثُ الأوَّلين وأباطيلُهم".

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ﴾؛ أي: قالوا ذلك إضلالًا للناس وصَدًّا عن رسول الله،

قوله: (فإن قلتَ: هو كلام متناقِض) هذا السؤال إنّما هو على تقدير أن يكون ﴿مَاذَآ﴾ في محلّ الرفع، وأمّا[١] إذا كان ﴿مَاذَآ﴾ في محلّ النصب فلا يرد هذا السؤال؛ لأنّه يكون عدولًا إلى كلام مستأنَف. وهذا الذي ذكره المصنّف معنى لطيف، فتأمّل.

قوله:[٢] (وهو كلام بعضِهم) أي: السؤال،[٣] وهو ﴿مَاذَآ﴾. وقوله: (وقيل: هو قول) أي: ﴿أَسَٰطِيرُ﴾. وقوله: (يُنَفِّرون) حال. وقوله: (إذا سألهم) ابتداء كلام، أي: إذا سألهم بقولهم: ﴿مَاذَآ﴾. وقوله: (وُفُودُ[٤] الحاجّ) الوَفد: القوم يَفِدُون[٥] على الملِك، أي: يأتون في أمر فتحٍ أو تهنئةٍ أو نحو ذلك، وجمعه وُفود.[٦] وقوله: (قالوا) جواب "إذا".

---

١ ر – أمّا.
٢ ر + قوله.
٣ ن: السواك.
٤ ن: فود.
٥ ر: يعدون.
٦ المُغرب للمطرّزي، «وفد».

فحملوا أَوْزارَ ضلالهم ﴿كَامِلَةً﴾ وبعضَ أوزارِ مَن ضلَّ بضلالهم، وهو وزرُ الإضلال؛ لأن المُضِلَّ والضَّالَّ شريكان: هذا يُضلُّه وهذا يُطاوعُه على إضلاله، فيتحاملان الوزرَ.

ومعنى اللام التعليلُ من غيرِ أن يكون غرَضًا؛ كقولك: "خرجتُ من البلد مخافةَ الشرّ".

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حالٌ من المفعول؛ أي: يُضلُّون مَن لا يَعلم أنَّهم ضُلَّالٌ، وإنما وُصف بالضَّلال واحتمالِ الوزر مَن أضلُّوه وإن لم يَعلم؛ لأنه كان عليه أن يبحثَ وينظرَ بعقله حتى يُميّز بين المُحقِّ والمبطِل.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾

قوله: (مِن غير أن يكون[١] غرَضًا)[٢] أقول: يجوز أن يكون غرَضًا؛[٣] لأن غرَضَهم[٤] بهذا الكلام الإضلال، والإضلال ملزوم للحمل المذكور، فأطلق اللازم وأريدَ الملزوم بطريق الكناية.

قوله: (وإنّما وُصِفَ) كأنّه جواب سؤال، وهو أن يقال: إذا لم يعلم فكيف وُصِف بالضلال واحتمال / الوِزرِ؟[٥] فأجاب بأنّه وُصف بهما لتقصيره في البحث والنظر.[٦] [٥٨و]

---

١ ن: تكون.

٢ ر ن: عرضًا.

٣ ر: عرضًا. | قوله: (مِن غير أن يكون غرَضًا) قوله في الحاشية: "يجوز أن يكون غرَضًا"... إلخ قلتُ: في كون الإضلال غرَضًا نظر، إنّما يكون غرضًا إذا كان حقّيّة المنزَّل ثابتًا عندهم، ويكون قولهم: ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ صادرًا عنهم مكابرةً وعِنادًا، وذلك غير معلوم. لقائل أن يقول: في كون الآية مِثلَ المثال ليس على إطلاقه؛ بل إنّما هو مِن جهة أنّهما ليسا غرضَين، لكن المَخافة داعية إلى الخروج، وحملُ الأوزار ليس كذلك؛ بل الآية مِن قَبيل ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، يعني: شبّه بالعِلّة مِن حيث الترتّب، كما أنّ العِلّة في الخارج تترتّب على المعلول، كذلك حمل الأوزار يترتّب على قولهم: ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فيكون مراد المصنّف مِن قوله: (التعليل) على طريق...؛ على طريق التحقيق.

٤ ر ن: عرضهم.

٥ ر: الوز.

٦ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ المخصوص بالذمّ محذوف، أي: ساء الذي يَزِرُونه وِزرُهُم.

"القواعدُ": أساطينُ البناء التي تَعْمِدُه، وقيل: الأساسُ، وهذا تمثيلٌ، يعني: أنَّهم سَوَّوْا منصوباتٍ ليمكُروا بها اللهَ ورسولَه، فجعَل اللهُ هلاكهم في تلك المنصوبات؛ كحال قومٍ بنَوا بنيانًا وعَمَدوه بالأساطين، فأُتِيَ البنيانُ من الأساطين بأن ضُعْضِعَتْ فسقط عليهم السقفُ وهلكوا، ونحوُه: "مَن حَفَر لأخيه جُبًّا وقع فيه مُنكَبًّا".

قوله: (تَعمِدُه) أي: تَعِمدُ[١] الأساطين البناء وتُقَوِّيه.[٢] تَعمِدُه، أي: تُقيمُه.

قوله: (وقيل: الأساس) الأُسُّ: أصل البناء، وكذلك الأساس، والأَسَسُ مقصور منه، وجمع الأُسّ إساس، مثل: عُسّ وعِساس،[٣] والعُسّ: القَدَح العظيم، وجمع الأساس: أُسُسٌ، مثل: قَذال[٤] وقُذُل،[٥] وجمع الأَسَس: آسَاس، مثل: سبَب وأسباب.[٦]

قوله: (منصوباتٍ) قال[٧] رضي الله عنه:[٨] «المنصوبة: الحِيلة،[٩] يقال: سَوَّى فلان منصوبةً، وفي الأصل صفة للشبكة، أو الحِبالة، فجَرت[١٠] مَجرى[١١] الأسماء، كالدابّة والعجوز».[١٢] قال في المجمل:[١٣] «النَّصب: نَصبُكَ الرمحَ وغيرَه».[١٤]

قوله: (بأن ضُعْضِعَت) يقال: ضَعضَعه، أي: هَدمَه[١٥] حتّى الأرض.[١٦]

---

[١] ن - أي: تعمد.

[٢] ن: ويقوّيه.

[٣] ن: وعشاس.

[٤] ر ن: قدال.

[٥] ر ن: وقدل.

[٦] الصحاح للجوهري، «أسس». | وفي هامش د: قوله: (بيّنًا)... إلخ "بيّنًا" حال مِن الجواب، وكذا "مكشوفًا"، وكذا "مفعولًا"، أي: أطبقوا الجواب حالَ كون الجواب بيّنًا... إلخ أي: جوابًا مبنيًّا على ذاك السؤال، بخلاف الجواب بقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فإنّه غير مبنيّ على ذاك السؤال؛ بل عُدول إلى كلام مستأنَف.

[٧] وفي هامش د: بخطّه.

[٨] د: رحمه الله.

[٩] ر: الجيلة.

[١٠] ن: فجر.

[١١] ن: مجدا.

[١٢] عزاه كذلك إلى الزمخشري الزبيدي في تاج العروس، «نصب».

[١٣] ن: الجمل.

[١٤] مجمل اللغة لابن فارس، «نصب». | وفي هامش د: قوله: (تمثيل) شبّه حالهم في نصب المنصوبات وعَود ضرر المَكر إليهم بحال مَن بنى بنيانًا، فسقط ذلك البنيان عليه، فهلَك به.

[١٥] ر: هذه؛ ن: هده.

[١٦] الصحاح للجوهري، «ضعع». | وفي هامش د: قوله: (وقيل: هو نُمرُود)... إلخ وعلى هذا يكون حقيقة، لكنّ الغرض منه الوعيد والتهديد للكفّار.

وقيل: هو نمروذُ بنُ كَنعَان حين بنى الصَّرْحَ ببابلَ طولُه خمسةُ آلاف ذراع، وقيل: فرسخان، فأهَبَّ اللهُ الريحَ فخرَّ عليه وعلى قومه فهلكوا.

ومعنى إتيانُ الله: إتيانُ أمره ﴿مِنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من جهةِ القواعد.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يحتسِبون ولا يتوقَّعون.

وقرئ: "فأتى الله بيتَهم"، "فَخَرَّ عليهم السُّقُف" بضمتين.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يُخْزِيهِمْ﴾: يُذِلُّهم بعذابِ الخِزْي ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران ١٩٢/٣]، يعني: هذا لهم في الدنيا ثم العذابُ في الآخرة.

﴿شُرَكَآءِىَ﴾ على الإضافة إلى نفسه، حكايةٌ لإضافتهم؛ ليُوبِّخَهم بها على طريق الاستهزاء بهم.

﴿تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾: تُعادُون وتخاصِمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم.

قوله: (كِنعان)[1] بكسر الكاف أفصح.

قوله: (وقُرِئ: "فَأَتَى اللهُ بَيْتَهُمْ")[2] قال في الكواشي: «قُرِئ: 'بُيُوتَهُمْ' و'بَيْتَهُمْ' موحَّدًا».[3]

قوله: (﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ﴾ [آل عمران ١٩٢/٣]) استشهاد.

قوله: (﴿تُشَـٰٓقُّونَ﴾) ومعنى ﴿تُشَـٰٓقُّونَ﴾:[4] تكونون في جانب، والمسلمون في جانب، لا تكونون[5] معهم يدًا واحدة.

---

١ ن: لنعان.

٢ ر: بينهم.

٣ تفسير الكواشي، ٢٦٩ظ. وقراءة "فَأَتَى اللهُ بُيُوتَهُمْ" بالجمع قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، وعن الضحّاك، وعن أبي عمرو برواية أبي مسلم عن العبّاس عنه. وكذا قراءة "بَيْتَهُمْ" بالتوحيد؛ قراءة شاذّة، مرويّة عن محمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٠.

٤ ن: تشاقو.

٥ ر: يلون.

وقرئ: ﴿تشاقُّونِ﴾ بكسر النون، بمعنى: تشاقُّونني؛ لأن مُشاقَّة المؤمنين كأنها مشاقَّةُ الله.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾: هم الأنبياءُ والعلماءُ من أممهم الذين كانوا يَدْعونَهم إلى الإيمان ويَعِظونَهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبَّرون عليهم ويُشاقُّونهم، يقولون ذلك شماتةً بهم، وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفًا لمن سَمِعَه، وقيل: هم الملائكة.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾

قرئ ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء والياء، وقرئ: "الذين تَّوفاهم" بإدغام التاء في التاء.

﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾: فسالَموا وأَخبَتُوا وجاؤوا بخلافِ ما كانوا عليه في الدنيا من الشِّقاق والكِبْر، ....

قوله: (مِن أُمَمِهم)[١] أي: أُمَمِ الماكِرين.

قوله: (يقولون ذلك) أي: "إنّ الخِزيَ[٢] يومئذ".[٣]

قوله: (مِن قولهم) بيان (ذلك).

قوله: (وقُرِئَ: "الَّذِينَ تَّوَفَّاهُم") أي: بتشديد التاء.[٤]

قوله: (وأَخبَتُوا) أي: انقادوا.

---

[١] ر ن: أمم.

[٢] ن: الجزى.

[٣] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ جواب شرط مقدّر، أي: إذا كان كذلك -مِن أنّ الله تعالى يعلم بما كنتم تعملون فيجازيكم- فادخلوا أبوابَ جهنّم. وقوله تعالى: ﴿فَلَبِئۡسَ﴾ عطفٌ على ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ﴾، أو المخصوص بالذمّ محذوف، أي: فلبئس مَثوى المتكبرين جهنّمُ.

[٤] قراءة شاذّة، غير منسوبة. وقال السمين الحلبي: «في مصحف عبد الله: "تَوَفَّاهُم" بتاء واحدة، وهي مُحتَمِلة للقراءة بالتشديد على الإدغام، وبالتخفيف على حذف إحدى التاءَين». الدرّ المصون للسمين الحلبي، ٢١٢/٧ (النحل، ٢٨/١٦). وقرأ بها البزّي في سورة النساء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٣٢/٢. | وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ عَدَنْتُ البلدَ: توطّنته، وعَدَنَت الناقةُ بمكان كذا؛ لَزِمَتْه فلَم تَبرَحْ، ومنه: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾، أي: جنّات إقامة. | الصحاح للجوهري، «عدن».

وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ وجحَدوا ما وُجد منهم من الكفر والعُدْوان، فردَّ عليهم أولو العلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يجازيكم عليه، وهذا أيضًا من الشماتة.

وكذلك: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿خَيْرًا﴾: أنزَلَ خيرًا.

فإن قلتَ: لم نُصب هذا ورُفع الأوَّل؟

قلتُ: فصلًا بين جواب المقِرِّ وجوابِ الجاحد؛ يعني: أن هؤلاء لمَّا سُئلوا لم يَتلَعْثموا وأطبَقوا الجوابَ على السؤال بيّنًا مكشوفًا مفعولًا للإنزال فقالوا: ﴿خَيْرًا﴾؛ أي: أنزل خيرًا، وأولئك عدَلوا بالجواب عن السؤالِ فقالوا: "هو أساطيرُ الأوَّلين وليس من الإنزالِ في شيء".

ورُوي أن أَحياءَ العرب كانوا يبعثون أيَّام الموسم مَن يأتيهم ....

قوله: (وقالوا: ما كُنّا) أي: القول محذوف، تقديره: فأَلْقَوُا السَّلَمَ قائلين: ما كُنّا... وقوله: ﴿بَلَىٰٓ﴾[١] استئناف، والقول[٢] معه مقدّر، فكأنّه قيل: ماذا قال الذين أُوتُوا العِلم حين جَحد الماكرون؟ فقيل: قالوا: بلى.

قوله: (فإن قلتَ: لِمَ نُصِب هذا ورُفع الأوّل؟) الأوّل: قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في قوله: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل ١٦/٢٤].

قوله: (لم يَتلَعْثَمُوا) أي: لم يتوقّفوا. تَلَعْثَم الرجل في الأمر؛ إذا تَمكَّث فيه وتَأنّى.[٣]

قوله: (أيّامَ المَوسم) موسم الحاجّ: سُوقهم ومجتَمَعُهم، مِن الوَسْم، وهو العلامة.[٤]

---

[١] ر ن: بل.

[٢] ن: القول.

[٣] ن: وثاني. | الصحاح للجوهري، «لعثم».

[٤] المُغرب للمطرّزي، «وسم».

بخبرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء الوافدُ كفَّه المقتسِمون وأَمَرُوه بالانصراف، وقالوا: "إن لم تَلقَهُ كان خيرًا لك"، فيقول: "أنا شرُّ وافدٍ إنْ رجعتُ إلى قومي دون أن أستطلِعَ أمرَ محمَّدٍ وأَراه"، فيَلْقَى أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُخبرونه بصدقِه وأنَّه نبيٌّ مبعوثٌ فيهم، فهم الذين قالوا: ﴿خَيْرًا﴾.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وما بعده بدلٌ من ﴿خَيْرًا﴾ حكايةً لقول الذين اتَّقوا؛ أي: قالوا هذا القولَ، فقدَّم عليه تسميتَه خيرًا ثمَّ حكاه.

ويجوز أن يكون كلامًا مبتدأً عِدَةً للقائلين، ويُجعلَ قولُهم من جملةِ إحسانهم ويُحمَدوا عليه.

قوله: (فإذا جاء الوافد) "اللام" في "الوافد" للعَهْد، والمراد به: مَن يأتيهم.

قوله: (المقتسِمون)[١] "المقتسِمون" هم الذين[٢] كانوا يقتسِمون طرُق[٣] مكّة، ويقعد كلّ منهم على طريق يَمنعون الوافدين على[٤] الوُفود[٥] على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[٦] وعن الإسلام بالطعن فيه.

قوله: (فيقول) أي: الوافد. وقوله: (أنا شرُّ وافد) نكّرَ "وافِدًا"، ولم يقُل: "شرُّ الوافدين" ليفيد[٧] التفصيل، أي: إذا فُصِّل الوافدون وافِدًا وافِدًا، فأنا شَرٌّ مِن كلّ وافدٍ.[٨]

قوله: (ويجوز أن يكون) أي: يكون قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وما بعده كلامًا مبتدأً مِن الله تعالى، وَعْدًا لهؤلاء القائلين: خيرًا، والمراد بقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُواْ﴾ على هذا الوجه هو هذا القول الخير.

قوله: (ويُجعَلَ قولُهم) أي: ﴿خَيْرًا﴾.

---

١ ن: المقستمون.

٢ ن – الذين.

٣ ن: طرف.

٤ ر: عن.

٥ ر ن: الوفد.

٦ د: عليه السلام.

٧ ر: لتفيد.

٨ وفي هامش د: قوله: (فقدَّم عليه) أي: سمّى القائل هذا القولَ: خيرًا، ثمّ حكاه، فإنّ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ مِن كلام الله يحكيه المسئُولون مِن المؤمنين. قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على طريق البشارة، فإنّ هذا القول مِن الملائكة حال التوفّي ليس على سبيل الحقيقة؛ بل على طريق الاستعارة، جعلوا ما هو للواقع بمنزلة الواقع.

﴿حَسَنَةٌ﴾: مكافأةً في الدنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خيرٌ منها؛ كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران ١٤٨/٣].

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ دارُ الآخرة، فحُذف المخصوصُ بالمدح لتقدُّم ذكره.

و﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، ويجوز أن يكون هو المخصوصَ بالمدح.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿طَيِّبِينَ﴾: طاهِرين مِن ظُلْم أنفسِهم بالكفر والمعاصي؛ لأنه في مقابلةِ ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل ٢٨/١٦].

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ قيل: إذا أشرفَ العبدُ المؤمنُ جاءه ملكٌ فقال: "السلامُ عليك يا وليَّ الله، اللهُ يَقرَأُ عليك السلامَ"، وبشَّره بالجنَّة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرئَ بالتاء والياء، يعني: أنْ تأتيهم لقبضِ الأرواح.

و﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾: العذابُ المستأصِلُ، أو القيامةُ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلَ ذلك الفعلِ من الشرك والتكذيب ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ لأنهم فعَلوا ما استوجَبوا به التدميرَ.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾: ....

قوله: (إذا[1] أشرفَ) أي:[2] دنا مِن الموت.

---

[1] ر ن: إذ.

[2] ن + إذا.

جزاءُ سيّئات أعمالهم، أو هو كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى ٤٢/٤٠].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾

هذا من جملةِ ما عدَّد من أصناف كفرهم وعنادِهم: من شركهم بالله وإنكار وحدانيّته بعد قيامِ الحُجج، وإنكارِ البعث واستعجالِه استهزاءً منهم به، وتكذيبِهم الرسولَ، وشقاقِهم واستكبارِهم عن قبول الحق، يعني: ....

قوله: (جزاءُ[١] سيّئاتِ أعمالهم) على حذف المضاف.[٢] وقوله: (أو هو كقوله) فيكون قد سُمّي جزاءُ أعمالهم سيّئاتٍ، فلا يحتاج إلى حذف[٣] المضاف.

قوله: / (هذا مِن جملة) "مِن" في قوله: "مِن جملة" اتّصاليّة. و"مِن" في قوله: (مِن أصناف) ابتدائيّة، و"مِن" في (مِن شركهم)[٤] بيانيّة. يريد أنّ ما ذكر في هذه الآية شبيهُ ما ذُكِرَ في آيات أُخَر، فكما أنّ إشراكهم وتكذيبَهم مِن كفرهم، كذلك قولُهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا﴾ مِن كفرهم، وهذا الذي ذكره موافق لمَذهبه. ثمّ شرع في تفسير الآية بقوله: (يعني)... إلخ، ويجوز أن لا[٥] يريد به أنه كُفر؛ بل يريد أنّه كما كان ذلك ممنوعًا شرعًا، قبيحًا عقلًا، فكذلك هذه، فالاتّصال بينهما يكون مِن هذا[٦] الوجه، لا[٧] مِن جهة الكفر، فهذا هو الصواب، وإلّا لكان نِسبةً لأهل السُّنّة والجماعة إلى الكفر، فيعود عليه لا محالةَ، عَصَمه الله تعالى عن ذلك، [٥٨ظ]

---

١ ن: أجزاء.

٢ وفي هامش د: قوله: (جزاء سيّئات)... إلخ على الوجه الأوّل: بحذف المضاف، والوجه الثاني: على طريق المشاكلة؛ سمّى جزاء السيّئة سيّئة، فإنّ المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، وههنا وإن لم يكن ذكر السيّئة تحقيقًا، لكن تقديرًا، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ تدلّ على أنّهم فعلو السيّئة، فكأنّه قيل: فعلوا السيّئات، فأصابهم سيّئات ما عملوا، فعلى الوجه الثاني لا يكون المضاف محذوفًا؛ بل سمّى جزاء السيّئة سيّئة على طريق المشاكَلة. وقلنا: مثل هذا مِن قَبيل الاستعارة؛ استُعير اسم أحد المتجاورين على الآخر، والعلاقةُ التضايف، وهو المجاورة والمصاحبة.

٣ ن – حذف.

٤ ن: مشركهم.

٥ ن: له.

٦ ر: هذه؛ ن: هذ.

٧ ن: له.

أنهم أشركوا بالله وحرَّموا ما أَحَلَّ من البَحِيرةِ والسائبة وغيرهما، ....

هكذا[١] نعتقد[٢] فيه، ونرجو[٣] أن يعفو عن بِدْعته، ويُثِيبَه[٤] على طاعته.

قال الواحدي في الوسيط:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ يعني: أهل مكّة: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ أي: لو شاء الله ما أشركنا، ولكنّه شاء لنا، ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ مِن البَحيرة والسائبة، قال الزجّاج: «إنّهم قالوا هذا على جهة الهُزْءِ، ولو قالوا هذا مُعتقِدِين لكانوا[٥] مؤمنين، ولكنّهم قالوا مستهزئين».[٦]

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مِن تكذيب الرسل، وتحريمِ ما أحلَّ الله، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يعني: ليس إليهم إلّا التبليغ، فأمّا الهِداية فهي إلى الله؛ يهدي مَن يشاء، ويُضِلّ مَن يشاء.[٧]

وأنا أقول: هكذا[٨] يُفسِّرُ هذه الآية أهلُ السُّنّة والجماعة، وأمّا المصنّف فيُريد أن يَسوق الكلام على وجْهٍ يُؤيّد[٩] به اعتزاله، فيَعدِلُ عن الطريق السَّوِيّ إلى المُعتَسِفِ الغَوِيّ،[١٠] عفا الله عنه.[١١]

قوله: (مِن البَحيرة والسائبة) السائبة: الناقة التي كانت تُسَيَّبُ في الجاهليّة

---

١ ر: هذا.

٢ ر: يعتقد.

٣ ر: ويرجوا.

٤ ر: ويثبته.

٥ ن: فكانوا.

٦ انظر: معاني القرآن للزجّاج، ٣/١٩٧. | وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: حاق بهم استهزاء ما كانوا به يستهزئون بحذف المضاف. اعلم أنّ إحاطة العدوّ سبب للإهلاك، فذكر السبب وأراد المسبّب، أو نقول: إحاطة العدوّ مستلزمة للإهلاك، فذكر الملزوم وأراد اللازم، فيكون مِن قَبيل المَجاز في المفرد، ثمّ بعد المجاز في المفرد المجاز في الإسناد؛ لأنّه صار تقدير الكلام: أهلَكَ استهزاءُ ما كانوا به يستهزئون، والمُهلِكُ ليس الاستهزاء؛ بل هو سبب للإهلاك، فيكون مِن قبيل الإسناد إلى السبب، يعني: أهلَكهم الله تعالى لأجل الاستهزاء.

٧ التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٦٢ (النحل، ١٦/٣٥).

٨ ر: هذا.

٩ ن: مؤيّد.

١٠ ر: اللغوي.

١١ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أن تكون مفسِّرة، ويحتمل أن تكون مصدريّة، أي: بأن اعبدوا الله، والجارّ والمجرور يكون حالًا مِن ﴿رَسُولًا﴾، أي: بعثنا في كلّ أُمّة رسولًا ملتبسًا بهذا القول.

ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا: "لو شاء لم نَفعل" وهذا مذهبُ المجبِرة بعينه.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: أشركوا وحرَّموا حلالَ الله، فلمَّا نُبِّهوا على قُبح فِعْلِهم ورَّكوه على ربِّهم.

﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾ إلَّا أن يُبلِّغوا الحقَّ وأنَّ الله لا يشاءُ الشركَ والمعاصيَ بالبيان والبرهان، ويُطْلِعوا على بطلانِ الشرك وقُبْحِه وبراءةِ الله من أفعال العباد، وأنَّهم فاعِلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم، واللهُ عزَّ وجلَّ باعثُهم على جميلها وموفِّقُهم له وزاجِرُهم عن قبيحها ومُوعِدُهم عليه.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾

لِنَذرٍ ونحوِه، وقد قيل: هي أمّ البَحيرة، كانت الناقة إذا وَلدَتْ عشرة[١] أبْطُن كلُّهنّ إناثٌ سُيِّبَتْ؛ فلم تُركَب ولم يَشرَب لَبنَها إلّا[٢] ولدُها والضيفُ حتّى تموت، فإذا[٣] ماتت أكلَها الرجال والنساء جميعًا، وبُحِرَتْ أُذُنُ ابنتها[٤] الأخيرة، فتُسمَّى البَحيرة، وهي بمنزلة أُمّها في أنّها سائبة. والجمع سُيَّب، مثل: نائحة ونُوَّح.[٥]

قوله:[٦] (وَرَّكُوه) وَرّكَ فلان ذنْبَه على غيره، أي: قَرَفَه به، وإنّه لَمُورِّك[٧] في هذا[٨] الأمر، أي: ليس له فيه ذَنب.[٩] "ورَّكُوه" مِن المَورِكة، وهي الوِراك؛ وِسادة يَضَع الراكب وَرِكَه. واعلم أنّ في هذه العبارة سُوء أدبٍ.

قوله: (وأنّ الله لا يشاء الشِّرك والمعاصي) مذهبه، فالمصنّف خلَط الحقّ بالباطل في تفسيره هنا.[١٠]

---

١ ن: عسرة.
٢ ن: أوّلا.
٣ ر: وإذا.
٤ ن: ابنها.
٥ الصحاح للجوهري، «سيب».
٦ ر – قوله.
٧ ر: يموزك.
٨ ن: هذ.
٩ الصحاح للجوهري، «ورك».
١٠ وفي هامش د: قوله: (وأنّهم فاعلوها) عطفٌ على (براءة الله) على سبيل البيان.

ولقد أمدَّ إبطالَ قَدَرِ السُّوء ومشيئةِ الشرِّ بأنَّه ما من أمَّةٍ إلَّا وقد بَعَث فيهم رسولًا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادةُ الله، وباجتناب الشرِّ الذي هو طاعةُ الطَّاغوت.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: لطَفَ به؛ لأنه عَرَفه من أهل اللطف ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾؛ أي: ثَبتَ عليه الخذلانُ والتركُ من اللطف؛ لأنه عرفه مُصمِّمًا على الكفر لا يأتي منه خير.

﴿فَسِيرُواْ... فَٱنظُرُواْ﴾ ما فعَلْتُ بالمكذِّبين، حتى لا يبقى لكم شبهةٌ في أني لا أقدِّرُ الشرَّ ولا أشاؤه حيث أفعلُ ما أفعلُ بالأشرار.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

ثم ذكَر عنادَ قريش وحِرْصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم، وعرَّفهُ أنهم ....

قوله: (ولقد أمدَّ[١] إبطالَ)... إلخ هذا[٢] الذي ذكره لا يدلّ[٣] عليه اللفظ، ولا يُوافقه المعنى؛ بل المفهوم مِن الآية ضِدّ ما ذكره حيث قال: منهم مَن هَداه الله، ومنهم مَن أضلّه الله، فثبَت عليه الضلالة.[٤]

قوله: (لأنّه)[٥] مرّتين؛ علّة اللطف[٦] عنه والخذلان على مذهبه.

[٥٩و] / قوله: (في أنِّي لا أُقدِّر الشرَّ) هذا تفسيره بناء على مذهبه، ولا يدلّ[٧] عليه الآية، لكنّ المصنّف جعل قوله وجهَ ما ذكره،[٨] يعني: لو كنتُ قدَّرتُه أو شِئتُه[٩] لَما فعلتُ بهم ذلك.[١٠]

---

[١] ن: أمّه.

[٢] ن: هذ.

[٣] ن: يدّل.

[٤] وفي هامش د: قوله: ﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ أي: لا يَلطُف، مِن قَبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب في الكلّ، أي: في الهداية والضلال والإضلال.

[٥] وفي هامش د: الله تعالى.

[٦] ر: اللفظ.

[٧] ن: يدّل.

[٨] ر – وجة ما ذكره.

[٩] ر: سببه.

[١٠] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مصدر، أي: غاية وطاقة أيمانهم.

من قِسْمِ مَن حقَّت عليه الضَّلالةُ، وأنه ﴿لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾؛ أي: لا يَلْطُفُ بمن يُخذَلُ؛ لأنه عبثٌ واللهُ متعالٍ عن العبث؛ لأنه من قَبيل القبائح التي لا تجوز عليه.

وقرئ: ﴿لا يُهدَى﴾؛ أي: لا تَقْدِرُ أنت ولا أحدٌ على هدايته وقد خَذَله الله.

قوله: (مِن قِسْم) قال رحمه الله:[١] «القِسْم بالكسر: الحَظُّ والنصيب والمَقسُوم، وبالفتح: الفِعل، وهو المصدر. القَسْم بالفتح: مصدر قَسَم[٢] القَسّام المالَ بين الشركاء. والقِسْم بالكسر: النَصيبُ، مثل: طَحَنْتُ طَحْنًا،[٣] والطِّحْنُ بالكسر: الدقيق».[٤]

قوله: (وأنّه[٥] ﴿لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾) مَن جَعل ﴿يَهْدِي﴾ مِن "هَدَيْتُه" عاد ذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم "إنّ"، ومَن[٦] جعل ﴿يَهْدِي﴾ في معنى "يَهْتدي"، وجعل ﴿مَن يُضِلُّ﴾ مُرتفعًا به؛ فالراجع إلى اسم "إنّ" الذكر الذي في ﴿يُضِلُّ﴾، كما كان كذلك في قول مَن قال: ﴿يُهْدَى﴾، والراجع إلى الموصول الذي هو ﴿مَن﴾ الهاء المحذوفة مِن الصلة، تقديره: يُضِلُّه.

قوله: (لأنّه عَبَث) وإنّما قال: "عَبَثًا"؛ لأنّه تعالى يعلم أنّ اللُّطفَ لا ينفع فيه، وهذا[٧] على مذهبه. وجوابه: أنّ المراد بالعَبث إن كان ما لا غرَضَ[٨] فيه فاستحالته ممنوعة، وإن أردتم غير ذلك فبيّنُوه، فإنّ الحكم باستحالته[٩] فرع تصوّرِه.

قوله:[١٠] (وقُرِئ: ﴿لَا يُهْدَى﴾)[١١] التقدير: فإنّ الله لا يُهْدَى مَن يُضِلّه الله، فـ﴿لَا يُهْدَى مَن يُضِلُّ﴾ جملة مِن فِعل[١٢] وفاعل،[١٣] وهي خبر "إنّ"، والعائد إلى اسمه هو المستتر في ﴿يُضِلُّ﴾.

---

١ ر: رضي الله عنه.
٢ ن: قسمي.
٣ ن: طحناء.
٤ انظر: الصحاح للجوهري، «قسم»؛ والمُغرب للمطرّزي، «قسم».
٥ ر: وأن.
٦ ر: مَن.
٧ ر + هو.
٨ ر: عرض.
٩ ن: باستحالية.
١٠ ر – قوله.
١١ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٤/٢.
١٢ ر: يفعل.
١٣ ن: فاعل.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ دليلٌ على أن المراد بالإضلال الخذلانُ الذي هو نقيضُ النُّصرة.

ويجوز أن يكون ﴿لَا يَهْدِي﴾ بمعنى: لا يهتدِي، يقال: هداهُ الله فهَدى.

وفي قراءة أبيّ: "فإنَّ الله لا هاديَ لمن يُضلُّ" و: "لمن أضلَّ"، وهي معاضِدةٌ لمن قرأ: ﴿لا يُهْدَى﴾ على البناء للمفعول، وفي قراءةِ عبد الله: "يَهَدِّي" بإدغام تاء "يهتدي" وهي معاضِدةٌ للأولى.

وقرئ: "يَضِلُّ" بالفتح.

وقرأ النخعي: "إن تحرَص" بفتح الراء، وهي لُغَيَّةٌ.

قوله: (مُعاضِدة للأُولى)[1] وهي القراءة بفتح الياء، على أنّ ﴿يَهْدِي﴾ بمعنى "يهتدِي".

قوله: (وقرأ النخعي: "إنْ تَحْرَصْ" بفتح الراء)[2] القراءة: ﴿إِن تَحْرِصْ﴾ بكسر الراء مِن "حَرَصَ"[3] بفتحها، وقُرئ بفتح الراء مِن "حَرِصَ"[4] بكسرها. قال في الكواشي:

> القراءة ﴿إِن تَحْرِصْ﴾ بكسر الراء مِن "حَرَصَ"[5] بفتحها، وقُرِئ بفتح الراء مِن "حَرِصَ"[6] بكسرها، والقراءة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال؛ الفاعل ضمير يرجع إلى الله تعالى، ومحلّ ﴿مَن يُضِلُّ﴾ نَصْب؛ مفعول، المعنى: إنّ الله لا يَهدِي مَن يَحكُمُ بإضلاله. أو ﴿يَهْدِي﴾ بمعنى "لا يَهتَدِي"، فمحلُّ ﴿مَن﴾ رفعٌ؛ فاعل، وبضمّ الياء وفتح الدال مجهولًا، فمحلّ ﴿مَن﴾ رفعٌ؛ فاعل المجهول. وقُرِئ: "فَإِنَّ اللهَ لَا هَادِيَ لِمَن[7] يُضِلّ"، و"لِمَنْ[8] أَضَلَّ".[9]

---

[1] ر: الأولى.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وإبراهيم النخعي وأبي حَيوة وأبي البرهسم. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧١.

[3] ر: حرِض.

[4] ر – بفتحها، وقُرئ بفتح الراء مِن "حَرِصَ".

[5] ر: حرِض.

[6] ر: حرضها.

[7] ن: لحسن.

[8] ن: والحسن.

[9] قراءتان شاذّتان، مرويّتان عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٢؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٥٢٩/٦ (النحل، ٣٧/١٦).

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ معطوفٌ على ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ إيذانًا بأنهما كفرَتان عظيمتان موصوفتان حَقِيقَتان بأن تُحكيا وتُدَوَّنا: تَوريكُ ذنوبهم على مشيئة الله، وإنكارُهم البعث مُقسِمين عليه.

و﴿بَلَىٰ﴾ إثباتٌ لِمَا بعد النفي؛ أي: بلَى يبعثهم، و﴿وَعْدًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لِمَا دلَّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأن "يَبعثُ" موعدٌ من الله، وبيَّن أن الوفاء بهذا المَوْعد حقٌّ واجبٌ عليه في الحكمة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم يبعثون، أو أنَّه وعدٌ واجبٌ على الله؛ لأنَّهم يقولون: لا يجبُ على الله شيءٌ، ....

وقُرِئ: "يَضِلّ"[1] بفتح الياء وكَسر الضاد.[2]

قوله: (حقيقتان) أي: جديرتان[3] وخَلِيقتان.[4]

قوله: (تَوريكُ) قد كتبت في الحاشية أنّ ذكر "التَّوريك" سُوء أدب في العبارة، لكنّه يُورده كثيرًا حِرصًا على ردّه على أهل السُّنّة، فيعود عبارته[5] وبالًا عليه، عفا الله عنه.

قوله: (واجب عليه في الحكمة) مذهب أهل السُّنّة أنّه لا يجب[6] على الله تعالى؛ لأنّه تعالى لا مُوجِبَ فَوقَه يُوجِب شيئًا عليه، ولأنّه لا يمكن أن يقال: يُذَمّ أو يُعاقَبُ بترك شيء، فلا معنى للوجوب.

١ قراءة شاذّة، غير منسوبة. وهي كذلك في البحر المحيط لأبي حيّان، ٥٢٩/٦ (النحل، ٣٧/١٦).

٢ تفسير الكواشي، ٢٧٠ظ. | وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ﴿وَعْدًا﴾ مصدر مؤكّد لنفسه، مثل: له عليّ ألف درهم اعترافًا. و﴿حَقًّا﴾ صفة ﴿وَعْدًا﴾، أي: ثابتًا لازمًا، وليس مِن قَبيل "زيد قائم حقًّا"، أي: لا باطلًا؛ بل صفته.

٣ ن: جديدتان.

٤ ر: وحليفتان.

٥ ر: عبار فيه.

٦ ن: بحسب.

لا ثوابُ عاملٍ ولا غيرُه من مَوَاجِبِ الحكمة.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ متعلِّق بما دلَّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: يبعثُهم ليُبيِّن لهم، والضمير لـ﴿مَن يَمُوتُ﴾، وهو عامٌّ للمؤمنين والكافرين، والذي اختلفوا فيه هو الحق.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أنهم كذَبوا في قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ وفي قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾.

وقيل: يجوز أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾؛ أي: بعثناه ليُبيِّن لهم ما اختلفوا فيه، وأنهم كانوا على الضَّلالة قبله مفترِين على الله الكذب.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَوْلُنَا﴾ مبتدأ، و﴿أَن نَّقُولَ﴾ خبرُه، و﴿كُن فَيَكُونُ﴾ مِن "كان" التامَّة التي بمعنى الحدوثِ والوجود؛ أي: إذا أردنا وجودَ شيءٍ فليس إلَّا أن نقول له: "احدُثْ" فهو يحدُثُ عقيبَ ذلك لا يَتوقَّف، وهذا مَثَلٌ؛ ....

قوله: (مِن مَواجِب الحكمة) جمع مُوجَب، وهو ما أوجبه الحكمة.

[٥٩ظ] قوله: (كذَبُوا في قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا / عَبَدْنَا﴾) هذا التفسير مبنيّ على مذهب الاعتزال، لم يدلّ[١] اللفظ عليه.

قوله: (وفي قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ﴾) هذا هو المعنيّ، وهو صحيح.[٢]

قوله: (وهذا مَثَل) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، والمَثَل بمعنى الشَّبه، كما مرّ أنّ المِثل والمَثَل والمَثيل[٣] بمعنى الشِّبه والشَّبَه،[٤] يعني: شبّه عدم امتناع المرادات عليه تعالى وتكوّنَ المرادات

[١] ن: يدّل.

[٢] وفي هامش د: قوله: (وهذا مَثَل؛ لأنّ مرادًا) الجارّ والمجرور متعلّق بقوله: "مَثَل" تعلّق المفعول به، أي: تشبيه هذا بشيءٍ، يعني: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ استعارة تمثيليّة؛ شُبّه وجود مراد الله تعالى عند تعلّق إرادته بوجود المأمور به عند أمر الآمر المُطاع في عدم التوقّف، أي: لا يتوقّف المراد في كلٍّ منهما عند تعلّق الإرادة؛ بل يحصل بالسرعة.

[٣] ن: والمَثَل.

[٤] ر: والشبيه والشبيه. | وفي هامش د: والشبيه.

لأنَّ مرادًا لا يمتنِعُ عليه، وأن وجودَه عند إرادته تعالى غير متوقِّف، كوجود المأمور به عند أمرِ الآمر المُطاع إذا ورد على المأمور المطيعِ الممتثِلِ، ولا قولَ ثَمَّ.

والمعنى: أن إيجادَ كلِّ مقدورٍ على الله عزَّ وعلا بهذه السهولةِ فكيف يمتنِعُ عليه البعث الذي هو من شِقِّ المقدورات؟

وقرئ: ﴿فيَكُونَ﴾ عطفًا على ﴿نَقُولَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ هم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه، ....

عند تعلّق إرادته تعالى بها بوجود المأمور به[١] عند تعلّق أمر المطاع وتوجّهِه إلى المأمور المطيع الذي يعلم عظمةَ الآمر وعِزّتَه وغايةَ اقتداره.

وقوله: (لأنَّ مرادًا)[٢] "اللام" في "لأنّ" متعلّق بقوله: "مَثَل"، وليس للتعليل، بل للاختصاص؛ أي: مَثَل كائن ثابت لبيان أنّ مرادًا...[٣] وقوله: (عند إرادته) يجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل، وهو الله تعالى، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول، أي: عند إرادة ذلك الأمر. وقوله: (إذا وَرَد) بدل مِن قوله: (عند أمر)، وضمير[٤] "وَرَد" عائد إلى "أمر الآمر".

قوله: (مِن شِقّ[٥] المَقدُورات) أي: مِن بعض أو مِن قسم المقدورات.[٦] قال في المُغرب: «الشِّقّ[٧] -بالكسر-: النِّصف والجانب».[٨]

---

[١] ر: بة.
[٢] ر: مراد؛ ن: المراد.
[٣] ن: مراد.
[٤] ن: وضحير.
[٥] ن: سقّ.
[٦] ر - أي: مِن بعض أو مِن قسم المقدورات. ن: المقدوراة.
[٧] ن: السقّ.
[٨] المُغرب للمطرّزي، «شقق». | وفي هامش د: قوله: (﴿فَيَكُونُ﴾ عطفًا على ﴿نَقُولَ﴾) قلت: عطف ﴿فَيَكُونُ﴾ على ﴿نَقُولَ﴾ يستلزم كونه داخلًا تحت الجرّ مِن ﴿قَوۡلُنَا﴾، وفيه بحث، فإنّ تقديره حينئذٍ يكون هكذا: ما قولنا لشيء على تقدير الإرادة إلّا قولنا: كُن، فوجوده، والجرّ يجب أن يكون صادقًا على المبتدأ، وقولنا: "فوجوده" لا يصدق على القول، ففي صحّة العطف بحث.

ظَلَمَهم أهلُ مكّةَ فَفَرُّوا بدينهم إلى الله، منهم مَن هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمَعَ بين الهجرتين، ومنهم مَن هاجر إلى المدينة.

وقيل: هم الذين كانوا محبوسِين معذَّبين بعد هجرةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلما خَرجُوا تَبِعوهم فردُّوهم: منهم بلالٌ وصُهَيْبٌ وخبَّابٌ وعمَّارٌ.

وعن صهيبٍ أنه قال لهم: "أنا رجلٌ كبيرٌ إنْ كنتُ معكم لم أَنفَعْكم، وإن كنتُ عليكم لم أضرَّكم"، فافتدى منهم بماله وهاجر، فلمَّا رآهُ أبو بكر قال له: "رَبحَ البيعُ يا صهيب".

وقال له عُمر: "نِعْمَ الرجلُ صهيبٌ لو لم يَخَفِ الله لم يَعْصِه"، وهو ثناءٌ عظيمٌ، يريد: لو لم يخلق الله نارًا لَأَطاعه فكيف؟

﴿فِى ٱللَّهِ﴾: في حقِّه ولوجهِهِ.

﴿حَسَنَةً﴾ صفةٌ للمصدر؛ أي: لنُبوِّئنَّهم تَبوِئةً حسنةً، وفي قراءة عليٍّ رضي الله عنه: "لنُثْوِينَّهم"، ومعناه: إثْواءةً حسنةً.

قوله: (ففَرّوا بدينهم) "الباء" للتعدية.

قوله: (منهم مَن هاجر) هذا ابتداء كلام. و"منهم"، أي: مِن أصحاب.

قوله: (فكيف؟) أي: فكيف وقد خلقها؟[1]

قوله: (وفي قراءة عليّ رضي الله عنه:[2] "لَنُثْوِيَنَّهُمْ")[3] ثَوَى[4] بالمكان يَثْوِي[5] ثَواءً وثوِيًّا -مثال: مَضَى مَضاء ومُضِيًّا- أقام به، ويقال: ثَوَيت[6] البصرة، وبالبصرة،

---

[1] وفي هامش د: قوله: (﴿حَسَنَةً﴾ صفة للمصدر)... إلخ على الوجه الأوّل يحتمل أن يكون المراد بـ"المنزلة" المنزلةَ المعنويّة والحسّيّة، وعلى الوجه الثاني المراد بـ"المنزلة": المعنويّةُ، فيكون استعارة؛ شُبّه المنزلة المعنويّة بالمنزلة الحسّيّة، والجامع كون كلّ منهما أشرفَ ممّا دونه، وعلى الثالث المراد المنزلة الحسّيّة، فتكون حقيقة. | مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة.

[2] د - رضي الله عنه.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ والأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٢.

[4] ر: توي.

[5] ر: يتووي.

[6] ر: تويت.

وقيل: لنُنزلنَّهم في الدنيا منزلةً حسنةً، وهي الغلَبةُ على أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبةً، وعلى أهل المشرق والمغرب.

وعن عمر رضي الله عنه: أنَّه كان إذا أعطى رجلًا من المهاجرين عطاءه قال: "خُذْ بارَكَ اللهُ لك فيه، هذا ما وَعَدَكَ الله في الدنيا، وما ذَخَر لك في الآخرة أكثرُ".

وقيل: لنبوِّئنَّهم مَبَاءَةً حسنةً وهي المدينة، حيث آواهم أهلُها ونَصَرُوهم.

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ الضميرُ للكفَّار؛ أي: لو علِموا أن الله يَجمع لهؤلاء المستضعَفين في أيديهِم الدنيا والآخرةَ لرَغِبُوا في دِينهم.

ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين؛ أي: لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على: هم الذين صبروا، أو: أعني الذين صبروا، وكلاهما مدحٌ؛ أي: صبروا على العذاب وعلى مفارَقة الوطنِ الذي هو حَرَمُ الله المحبوبُ في كلِّ قلبٍ، فكيف بقلوبِ قومٍ هو مَسْقطُ رأسِهم؟ وعلى المجاهَدةِ وبذلِ الأرواح في سبيل الله.

وأثويتُ[1] بالمكان؛ لغة[2] في ثَوَيت[3] وأثوَيت[4] غيري؛ يتعدّى ولا يتعدّى.[5]

قوله: (وقيل: لَنُنزِلَنّهم في الدنيا منزلةً حسنةً) يعني:[6] المراد بالمنزلة هنا المرتبة، وهي ظرف مِن حيث المعنى.

قوله: (وقيل: لَنُبوِّئَنَّهم مَباءةً) فيكون صفة ظرف محذوف، وعلى الأوّل كان صفة مصدر محذوف.

قوله: (فكيف بقلوب؟) أي[7] فكيف ظنّك بقلوب؟ يقال: هو مَسْقَط رأسي، أي: حيث وُلدتُ؛ لأنّ ذلك الموضع هو الموضع الذي سَقَط عليه رأسُه عند ولادته.

---

[1] ر – وأتويت.
[2] ن: لغدّ.
[3] ر: تويت.
[4] ر: وأتويت.
[5] الصحاح للجوهري، «ثوى».
[6] ر + أن.
[7] ن: أبي.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾

قالت قريش: الله أعظمُ من أن يكون رسولُه بشرًا، فقيل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا يُوحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ على ألسنة الملائكة ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ وهم أهلُ الكتاب ليُعْلِموكم أن الله لم يَبْعَثْ إلى الأمم السالفة إلّا بشرًا.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّقَ قوله ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؟

قلتُ: له متعلَّقاتٌ شتَّى:

فإمّا أن يتعلَّق بـ﴿مآ أَرۡسَلۡنَا﴾ داخلًا تحت حكم الاستثناء مع ﴿رِجَالٗا﴾؛ أي: وما أرسلنا إلّا رجالًا بالبيّنات، كقولك: "ما ضربتُ إلّا زيدًا بالسوط"؛ لأن أصله: "ضربتُ زيدًا بالسوط".

وإمّا بـ﴿رِجَالٗا﴾ صفةً له؛ أي: رجالًا ملتبِسِينَ بالبينات.

وإمّا بـ"أرسلنا" مضمَرًا؛ كأنّما قيل: "بمَ أُرسلوا؟" فقلتَ: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، فهو على كلامَين والأوَّلُ على كلامٍ واحد.

وإمّا بـ﴿يُوحَىٰٓ﴾ أي: يُوحَى إليهم بالبيّنات.

قوله: (قلتُ: له متعلَّقات شتَّى) إلى قوله: (داخلًا تحت حُكم الاستثناء مع ﴿رِجَالٗا﴾) الضمير في "داخلًا" يعود إلى قوله: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾. وقوله: "مع ﴿رِجَالٗا﴾" حال مِن ذلك الضمير، يعني: كما دخل ﴿رِجَالٗا﴾ في حكم الاستثناء، فكذا قوله: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ داخل في ذلك الحكم. حاصله: أنّه لمّا انتقضَ[1] النفي[2] بـ"إلّا" صار المعنى: أرسلنا رجالًا بالبيّنات.[3]

---

[1] ن: انتقضى.

[2] ن: بالفي.

[3] وفي هامش د: قوله: (وإمّا بـ"أرسلنا" مضمرًا) فعلى هذا أيضًا "الباء" للأداة، ويتعلّق بـ"أرسلنا" المحذوف، فإنّ الإرسال ما يتحقّق إلّا بالبيّنات، فيكون ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ متعلّقًا بـ"أرسلنا"، و"الباء" للآلة، فإنّ الإرسال إنّما يتحقّق بالبيّنات، أي: بالمعجزات. قوله: (وإمّا بـ﴿لَا تَعۡلَمُونَ﴾) فعلى هذا أيضًا الباء أداة، ومفعول ﴿لَا تَعۡلَمُونَ﴾ محذوف، أي: إن كنتم لا تعلمون أنّ الرسل بشر بالبيّنات فاسألوا أهلَ الذكر.

وإمَّا بـ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ على أن الشرط في معنى التبكيتِ والإلزام؛ كقول الأجير: "إن كنتُ عملتُ لك فأَعْطني حقِّي"، ....

قوله: (على أنّ الشرط في معنى التبكيت)[١] متعلّق بهذا الوجه الأخير، وهو أن يكون ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ متعلّقًا بـ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: يُبكِّتُهم ويُلزِمهم بهذا القول، يعني: إنكم تعلمون أنّ الأنبياء كانوا رجالًا يوحى إليهم، مثل: إبراهيم وإسماعيل وإسحق[٢] ممَّن لا تَشكُّون[٣] في نبوّتهم، فكيف تقولون:[٤] لا يكون النبيُّ بشرًا؟ فإن كنتم لا تعلمون هذا فاسألوا أهل / الكتاب ليُطلِعُوكم عليه. [٦٠و]

ويمكن أن يكون معنى "التبكيت"[٥] أن يُلزمهم بأنّهم جاهلون لا يعلمون حال الأنبياء، فيقول لهم: فاسألوا العلماء بحال الأنبياء إذ كنتم جاهلون[٦] بها، فإنّ الواجب على الجاهل أن يسأل العالِم. وهذا المعنى مناسب لتمثيل المصنّف بقول الأجير:[٧] "إن كنتُ عَملتُ[٨] لك فأعْطِني حقِّي"، فإنّ عمله محقَّق عنده، لكن يجعل المخاطب كالجاهل بأنّه عمل، فهنا عدم علمهم محقَّق عند الله تعالى، وعندهم أيضًا، فيجعلهم كأنّهم لا يعلمون جهلهم، فقيل لهم بلفظ الشكّ: إن كنتم لا تعلمون فاسألوا أهل الكتاب. و"التبكيت"[٩] كالتقريع[١٠] والتعنيف، وبَكَّتَه بالحجّة غَلَبه.[١١]

---

١ ن: التكيت. | وفي هامش د: قوله: (على أنّ الشرط في معنى التبكيت) التبكيت في المثال باعتبار أنّ الشرط الذي هو الملزوم متحقّق فتحقَّقَ اللازم، وفي الآية يحتمل الوجهين باعتبار تحقّق الملزوم، وهو أنّ عدم العلم بالبيّنات ثابت، فيلزم السؤال، والسؤال مستلزم للمطلوب، وباعتبار اللازم فإنّ السؤال مُنتفٍ، فيلزم انتفاء عدم العلم بالبيّنات، فيلزم العلم بها، وهو المطلوب. الحاصل: أنّ قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قياس استثنائي، فإمّا أن يستثنى غير المقدّم فينتج غير التالي، وإمّا أن يستثنى نقيض التالي فينتج نقيض المقدّم، والمثال مِن قَبيل الأوّل، والآية تحتملهما.

٢ ن: وإسحاق.

٣ ر: يشكون.

٤ ر ن: يقولون.

٥ ر: السكيت.

٦ وفي هامش د: ظ [الظاهر]: جاهلين.

٧ ر: الأخير.

٨ د: علمت.

٩ ن: والتبكيث.

١٠ ر: كالتغريع.

١١ ر: عليه.

وقولُه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ اعتراضٌ على الوجوه المتقدِّمة.

وأهلُ الذكر: أهلُ الكتاب، وقيل للكتاب: الذِّكر؛ لأنه موعظةٌ وتنبيهٌ للغافلين.

﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: ما نزَّلَ الله إليهم في الذِّكر ممَّا أُمروا به ونُهوا عنه وَوُعِدوا وأُوعِدوا.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادةَ أن يُصْغوا إلى تنبيهاته فيَتنبَّهوا ويتأمَّلوا.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: المكَراتِ السَّيِّئات، وهم أهلُ مكةَ وما مَكروا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾) يعني مع ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وإنّما ترَكه لظهوره. وقوله: (على الوجوه المتقدّمة) لا على الوجه الأخير؛ لأنّ قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ على الوجه الأخير مِن تتمّة قوله: "فاسألوا أهل الكتاب".[١]

قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دلّ قوله تعالى:[٢] ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ على أنّه لا ينبغي للعالِم أن يكتفي بما نُقل إليه مِن المعاني؛ بل عليه أن يتأمّل بعد ما وصل إليه البيَانات النبويّة، لِيستخرج[٣] المعاني الدقيقة، والتأويلات الصحيحة الموافِقة لِما سمعه وعَلِمَه مِن بيان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٤]

قوله: (وما مَكروا به)[٥] عطفٌ على (أهلُ)، إمّا بكون قوله: (هم) عائد إلى الماكرين ومَكرِهم معًا فبيَّنهُما بقوله: (أهل مكّة وما مكروا)، وإمّا بأن يكون في الكلام حذف، تقديره: وهم أهل مكّة، ومكرُهم ما مَكروا به.

---

١ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ عطفٌ على مقدَّر، أي: أمَكروا مِن الذين... إلخ ﴿ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ﴾ مفعول "أمِن" بلا واسطة. ﴿بِهِمُ﴾ متعلّق بـ﴿يَخْسِفَ﴾ تعلّق المفعول به ﴿ٱلْأَرْضَ﴾.

٢ ر – تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دلّ قوله تعالى.

٣ ن: يستخرج.

٤ د: عليه السلام.

٥ ن – مكروا به.

﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: متقلِّبين في مَسايرهم ومتاجِرهم وأسبابِ دنياهم.

﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: متخوِّفين، وهو أن يُهلِكَ قومًا قَبلَهم فيَتخوَّفوا فيأخذَهم بالعذاب وهم متخوِّفون متوقِّعون، وهو خلافُ قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقيل: هو من قولك: تَخوَّفْتُه وتَخوَّنْتُه: إذا تَنقَّصْتَه، قال زهير:

تـخـوَّفَ الـرَّحْـلُ منها تـامِكًا قَـرِدًا   كما تـخـوَّفَ عـودَ الـنَّبْعةِ الـسَّفَنُ

أي: يأخذُهم على أن يتنقَّصهم شيئًا بعد شيءٍ في أنفسهم وأموالهم حتى يَهلِكوا.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه قال على المنبر: "ما تقولون فيها؟" فسكتوا، فقام شيخٌ من هُذيلٍ فقال: "هذه لغتُنا: التخوُّفُ: التنَقُّصُ"، قال: "فهل تَعْرِفُ العربُ ذلك في أشعارها؟" ....

قوله: (في مسائرهم) "مسائر" إن[1] كان جمع "مَسِير" يُصرَّح بالياء، كمعايش.

قوله: (قال زُهَير:

تَخَوَّفَ[2] الرحلُ[3] منها[4] تامِكًا[5] قَرِدَا   كما تَخَوَّفَ[6] عُودَ النَّبعة[7] السَّفَنُ[8]

القَرَد -بالتحريك-: نُفاية الصوف وما تَمعَّطَ مِن الغنَم وتلبَّد، والقطعة منه قَرَدة، ويقال: قَرِد الصوف -بالكسر-[9] يَقْرَد قَرَدًا، وسحابٌ قَرِدٌ؛ وهو المتقطِّع في أقطار السماء، يركب بعضه بعضًا.[10] والنُّفاية[11] -بالضمّ-: ما نَفَيتَه مِن الشيء لرَداءته.[12]

وقوله: (على المِنْبَر: ما تقولون فيها؟) أي: في كلمة "تَخَوَّفَ".[13]

---

١ ن - إن.

٢ ن: تحوف. | وفي هامش د: أي: ينقص.

٣ ر ن: الرجل. | وفي ديوان ذي الرمّة: "تَخوَّفَ السير".

٤ وفي هامش د: ناقة.

٥ وفي هامش د: سَنامًا.

٦ ن: تحوف. | وفي هامش د: تنقص.

٧ وفي هامش د: النَّبع: شجر يتّخذ منه القِسيّ. | الصحاح للجوهري، «نبع».

٨ ر + أي ببعض، ناو، سناما، ببعض، سوهان. | لم أجده في ديوان زهير، وهو لذي الرمّة في الصحاح للجوهري، «خوف». وهو في ملحق ديوان ذي الرمّة، ١٩١٧/٣.

٩ ن: باكسر.

١٠ الصحاح للجوهري، «قرد».

١١ ر ن - في أقطار السماء، يركَب بعضُه بعضًا. والنُّفاية.

١٢ الصحاح للجوهري، «نفا».

١٣ ن: تحوّف.

قال: "نعم، قال شاعرُنا..." وأنشد البيتَ، فقال عمرُ: "أيُّها الناسُ، عليكم بديوانكم لا يضلّ"، قالوا: وما دِيوانُنا؟ قال: "شعرُ الجاهلية فإنَّ فيه تفسيرَ كتابكم".

قوله: (نعم، قال شاعرنا) مَقول القول.

قوله: (بديوانكم) أصله: دِوّان؛ لأنّه يُجمع على دواوين، ولو كانت الياء أصليّة لقالوا: دَياوين. الديوان: الجريدة، مِن دوَّنَ الكتُب إذا جَمَعها؛ لأنّها قِطَعٌ مِن القراطيس مجموعةٌ. ويُروى أنّ عمر رضي الله عنه[١] أوّل مِن دوَّن الدَّواوين، أي: رتّب الجرائدَ للوُلاة والقُضاة.[٢] ويقال: فلانٌ مِن أهل الديوان، أي: ممَّن أُثبِتَ اسمه في الجريدة. مُغرب.[٣]

قوله: (لا يَضِلّ) مجزوم؛ لأنّه[٤] جواب أمر، وهو "عليكم بديوانكم".[٥]

قوله: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ اعلم أنّ "الواو" في ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ للحال، لا لِعَطف[٦] حال على حال؛ لأنّ سُجَّدًا[٧] حال / مِن الظِّلال،[٨] ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ حال مِن الضمير في ﴿ظِلَالُهُۥ﴾ كما ذكر، فليس ذو[٩] الحال[١٠] شيئًا واحدًا ليصحّ عطف[١١] أحد الحالين على[١٢] الآخر. [٦٠ظ]

قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾ يتفعّل[١٣] مِن الفَيء. يقال:[١٤] فاءَ يفيء[١٥] فَيْئًا إذا رجَع، ويُعدَّى[١٦] بالهمزة أو التضعيف،[١٧] فما[١٨] عُدِّي بنقل الهمزة: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر ٥٩/٧]، وبالتضعيف: فاء الظِّلُّ، وفيَّأه الله، فتفيّأ[١٩] مطاوع فيَّء.[٢٠]

---

١ د - رضي الله عنه.
٢ ن: والقصاة.
٣ ر ن: معرب. | المُغرب للمطرّزي، «دون».
٤ ر ن: لأنّ.
٥ ن: يديوانكم.
٦ ن: للعطف.
٧ وفي هامش د: اعلم أنّ استعمال السجود في الانقياد بطريق المجاز مِن قَبيل الاستعارة، والعلاقة بين وضع الجبهة والانقياد هي المُطاوعة والانقياد، فيكون الوجه داخلًا فيهما، وجزء لهما.
٨ ر ن: الضلال.
٩ ر: دوا.
١٠ ر: بحال.
١١ ن - حال مِن الضمير في ﴿ظِلَالُهُۥ﴾ كما ذكر، فليس ذو الحال شيئًا واحدًا ليصحّ عطف.
١٢ ن: في.
١٣ ر: ينفعل.
١٤ ر ن: ويقال.
١٥ ن: يقي.
١٦ ر ن: وتعدّى.
١٧ ر: التصعيف.
١٨ ر: قما.
١٩ ر: فنفيأ.
٢٠ ر ن: في.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث يَحْلُمُ عنكم ولا يعاجِلُكم مع استحقاقكم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قرئ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ و﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ بالياء والتاء، و﴿مَا﴾ موصولةٌ بـ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾، وهو مُبهمٌ بيانُه: ﴿مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ واليمينُ بمعنى الأيمان، و﴿سُجَّدًا﴾ حالٌ من الظِّلال.

﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾؛ لأنه في معنى الجمع، وهو ما خَلَق الله من كلِّ شيءٍ له ظلٌّ، وجُمع بالواو؛ لأنَّ الدُّخُورَ من أوصاف العقلاء؛ أو لأنَّ في جُملة ذلك مَن يَعْقِلُ فغلِّب.

والمعنى: أو لم يَروا إلى ما خلَق الله من الأجرام التي لها ظِلالٌ متفيِّئةٌ عن أيمانها وشمائلها؛ أي: عن جانبَيْ كلِّ واحدٍ منها وشقَّيْه، استعارةٌ من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء؛ أي: ترجعُ الظلالُ من جانبٍ إلى جانبٍ منقادةً لله غيرَ ممتنعةٍ عليه فيما سخَّرها له من التَّفَيُّؤ، والأجرامُ في أنفسِها داخرةٌ أيضًا صاغرةٌ منقادةٌ لأفعال الله فيها لا تمتنِعُ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يجوز أن يكون بيانًا لـ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جميعًا ......

قوله: (استعارةٌ) خبر مبتدأ محذوف، وهي كالتعليل لقوله: (أي: عن[1] جانبَي كلّ واحد منها)، تقديره: لأنّه استعارة، أي: أيمانها وشمائلها. وقوله: (مِن يَمين الإنسان) مستعار منه. وقوله: (لِجانبَي)[2] مستعار له. وقوله: (والأجرام[3] في أنفسها) حال.

قوله: (﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يجوز أن يكون بيانًا)... إلخ ذِكرُ الملائكة على الوجهَين

---

[1] ن – عن.
[2] ر ن: بجانبي.
[3] د: والأحرام.

على أن في السماوات خلقًا لله يَدِبُّون فيها كما تَدِبُّ الأَناسيُّ في الأرض.

وأن يكون بيانًا لـ﴿ما في الأرض﴾ وحده ويُرادَ بـ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الخلقُ الذي يقال له: الروحُ.

وأن يكون بيانًا لـ﴿ما في الأرض﴾ وحده ويرادَ بـ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الملائكةُ، وكرِّر ذكرهم على معنى: والملائكةُ خصوصًا من بين السَّاجدين؛ لأنهم أطوعُ الخَلْق وأعبَدُهم، ويجوز أن يراد بـ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: ملائكتُهن، وبقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملائكةُ الأرض من الحفَظةِ وغيرِهم.

فإن قلتَ: سجودُ المكلَّفين مما انْتَظَمه هذا الكلامُ خلافُ سجودِ غيرهم، فكيف عُبِّر عن النَّوعين بلفظٍ واحد؟

قلت: المراد بسجود المكلَّفين: طاعتُهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم: انقيادُه لإرادة الله، وأنها غيرُ ممتنعةٍ عليها، وكلَا السجودين يجمعُهما معنى الانقياد فلمْ يختلِفا؛ فلذلك جاز أن يُعبَّر عنهما بلفظٍ واحد.

فإن قلتَ: فهلا جِيءَ بـ"مَن" دون ﴿مَا﴾ تغليبًا للعقلاء من الدوابِّ على غيرهم؟

الأوَّلين ظاهر؛ إذ لم يُرَد بـ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الملائكة أصلًا، وأمّا على الوجهَين الأخيرين فالملائكة داخلة فيما مرّ، فبيَّن وجه ذكرها آخرًا مِن وجهين.

قوله: (فإن قلتَ: سجود المكلَّفين) "سجودُ المكلَّفين"[١] مبتدأ، خبره قوله: (خلافُ). وقوله: (ممّا انتظَمَهُ)[٢] بيان "السجود". و"انتظَمه":[٣] اشتَمله.

قوله: (وأنّها غير مُمتنعة)[٤] أي:[٥] أنّ الأشياء. وقوله: (عليها) أي: الإرادة.[٦]

---

١ ن – سجود المكلّفين.

٢ ن: انتطمه.

٣ ر ن: وانتطمه.

٤ ر: ممنعة؛ ن: ممتعة.

٥ ن – أي.

٦ وفي هامش د: قوله: (قلتُ: لأنّه لو جِيء بـ"مَنْ") حاصله أنّه لو أتى بـ"مَن" لم يكن فيه قرينة التغليب، والمعنى عليه: فأُتي بـ"ما" التي هي صالحة للعقلاء وغيرهم للتعميم. الحاصل أنّ "ما" على مذهب جار الله والسكّاكي موضوع للعاقل وغيره، أي: مشترك بينهما بالاشتراك المعنويّ، مثل الإنسان، فإنّه موضوع للحقيقة المشتركة بين الأفراد. قوله: (مُدارون) أي: يُجعل مَدارُ أمرهم على الأمر والنهي... إلخ.

قلتُ: لأنه لو جِيءَ بـ"مَن" لم يكن فيه دليلٌ على التغليب فكان متناولًا للعقلاء خاصةً، فجيءَ بما هو صالحٌ للعقلاء وغيرهم إرادةَ العموم.

﴿يَخَافُونَ﴾ يجوزُ أن يكونَ حالًا من الضمير في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: لا يستكبرون خائفين، وأن يكون بيانًا لنفي الاستكبار وتأكيدًا له؛ لأن مَن خافَ الله لم يَستكبرْ عن عبادته.

﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ إنْ علَّقتَه بـ﴿يَخَافُونَ﴾ فمعناه: يخافونه أن يُرسل عليهم عذابًا من فوقهم، وإن علَّقتَه بـ﴿رَبَّهُم﴾ حالًا منه فمعناه: يخافون ربَّهم عاليًا لهم قاهرًا؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام ٦/١٨]، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف ٧/١٢٧].

وفيه دليلٌ على أنَّ الملائكة مكلَّفون مُدارُون على الأمرِ والنهي والوعدِ والوعيد كسائر المكلَّفين، وأنهم بينَ الخوفِ والرجاء.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ٥١﴾

فإن قلتَ: إنما جمعوا بين العدد والمعدودِ فيما وراء الواحدِ والاثنين -فقالوا: "عندي رجالٌ ثلاثةٌ وأفراسٌ أربعةٌ"- لأن المعدودَ عارٍ عن الدِّلالة على العدد الخاصِّ، فأمَّا رجلٌ ورجلان وفرسٌ وفرسان فمعدودان فيهما دلالةٌ على العدد، فلا حاجةَ إلى أن يقال: "رجلٌ واحد" و"رجلان اثنان"، فما وجهُ قوله تعالى: ﴿إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

قلتُ: الاسمُ الحاملُ لمعنى الإفرادِ أو التثنيةِ دالٌّ على شيئين: على الجنسيةِ والعدد المخصوص، ....

قوله: (على العدد الخاصّ) والعدد[١] عارٍ[٢] عن الدلالة على ماهيّة المعدود، فجمع بينهما ليدلّ على العدد الخاصّ وعلى الماهيّة. وقوله: (**وفيهما دلالةٌ**) أي: فيهما دلالة على العدد الخاصّ، وعلى ماهيّة المعدود أيضًا، فلا حاجةَ إلى الجمع بينهما.

---

[١] ر: العدد.

[٢] ن: عاز.

فإذا أريدتِ الدلالةُ على أن المعنيَّ به منهما والذي يُساقُ إليه الحديثُ هو العددُ شُفِعَ بما يُؤكِّده فدُلَّ به على القصد إليه والعنايةِ به، ألَا ترى أنك لو قلتَ: "إنما هو إلهٌ" ولم تؤكِّده بـ﴿وَٰحِدٌ﴾ لم يَحسُنْ، وخَيَّل أنك تُثبِتُ الإلهيَّةَ لا الوحدانيّة.

﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ نَقلٌ للكلامِ عن الغَيبة إلى التكلُّم، وجاز؛ لأن الغائب هو المتكلِّم، وهو من طريقة الالتفات، وهو أبلغُ في الترهيب من قوله: "وإياهُ فارهبوه"، ومِن أن يجيءَ ما قبله على لفظ المتكلِّم.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ٱلدِّينُ﴾: الطاعةُ ﴿وَاصِبًا﴾ حالٌ عَمِل فيه الظرفُ، والواصبُ: الواجبُ الثابتُ؛ لأن كلَّ نعمةٍ منه، فالطاعةُ واجبةٌ له على كلِّ مُنْعَمٍ عليه.

قوله: (على أنّ المعنيّ به) أي: بالاسم. وقوله: (منهما) أي: الجنسيّة والعدد. وقوله:[1] (هو العدد) خبر "أنّ". وقوله: (شُفِعَ)[2] جواب "إذا"، أي: شُفِع الاسم، وتحقيق هذا الموضع أن يقال: الأصل في مثل هذا الموضع أن يكون المراد به المعدود؛ لأنّه الدالّ على الحقيقة، والعدد إنّما هو دالّ على الكمّيّة[3] العارِضة، فإذا كان المراد في بعض المواضع العدد الخاصّ بخلاف ما هو الغالب احتِيج إلى ذكر العدد ليتبيَّن[4] المراد.

قوله: (على لفظ المتكلّم) بأن يقال: إنّما أنا إلهٌ[5] واحد.

قوله: (لأنّ[6] كلّ نِعمة منه) "لأنّ" معلّله[7] محذوف، أي: إنّما وجَب له الطاعة لأنّ... ويجوز أن يكون "اللام" متعلّقة بـ(واجبة)، وإن وقعت بعد الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ... فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ [قريش ١٠٦/١-٣].

---

[1] ر ن: قوله.
[2] ن: سفع.
[3] ر ن – الكمّيّة.
[4] ن: ليبيّن.
[5] ن: إلة.
[6] ر: فلأن.
[7] ر: معللة.

ويجوز أن يكون من الوَصَبِ؛ أي: وله الدِّين ذا كُلفةٍ ومشقَّةٍ؛ ولذلك سُمِّي تكليفًا.

أو: وله الجزاءُ دائمًا ثابتًا سَرْمدًا لا يزول، يعني: الثوابَ والعقابَ.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٥٤ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥٥﴾

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾: وأيُّ شيءٍ حلَّ بكم أو اتَّصل بكم من نعمةٍ ﴿فَـ﴾ هو ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾.

قوله: (ويجوز أن يكون مِن الوَصَب) "الوَصَب": المرَض، ورجلٌ وَصِب ومُوصَّب: كثير[1] الأوصاب. ووَصَب الشيء وُصُوبًا؛ دامَ. ووَصَب الدِّين؛[2] وَجَب.[3]

قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ إن قيل: في قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[4] إشكال مِن جهة أنّ[5] الشرط وما شبّه به يكون الأوّل فيه سببًا للثاني، تقول:[6] أسلِمْ[7] تدخلِ الجنّة، فالإسلام سبب لدخول الجنّة. وههنا على العكس؛ وهو أنّ الأوّل استقرار النِّعمة بالمخاطَبين، والثاني: كونها مِن الله تعالى، فلا يستقيم أن يكون الأوّل فيه سببًا للثاني مِن جهة كونه فرعًا. وإذا ثبت كون الأوّل فرعًا عن / الثاني يكون الثاني سببًا للأوّل، فثبَتَ العكس. [٦١و]

قلنا: جوابه: أنّ الآية جيء بها لإخبار[8] قوم استقرّت بهم نِعَمٌ جَهِلُوا مُعطِيَها، أو شَكُّوا فيه، فاستقرارها مجهولةً، أو مشكوكٌ[9] سبب الإخبار[10] بكونها مِن الله تعالى،

---

[1] ن: كثير.

[2] ر: الذين.

[3] ن: وحب. | مجمل اللغة لابن فارس، «وصب». | وفي هامش د: قوله: (ذا كلفة) حال مِن الضمير في "له"، و"الدين" بمعنى الطاعة. قوله: (ولذلك سمّى) أي: ولأجل أنّ الدين بمعنى الطاعة ذا كُلفة ومشقّة سمّى الدين تكليفًا، فإنّ الدين عبارة عن التكليف.

[4] ر - إن قيل: في قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

[5] ن - أنّ.

[6] ر: بقول.

[7] ن: اسم.

[8] ن: لاختبار.

[9] ر: أو مسكوك؛ ن: أو مشكوكه.

[10] د: للإخبار.

﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾: فما تتضرَّعون إلّا إليه، والجُؤارُ: رفعُ الصوت بالدعاء والاستغاثة، قال الأعشى:

يُـــراوِحُ مـن صـلـواتِ المَلِيك طَـــورًا سـجـودًا وطَـــورًا جُـــؤارًا

فتحقّق إذَن أنّ الشرط والمشروط على بابه،[١] وأنّ ذلك صحّ[٢] مِن حيث إنّ جواب الشرط لا يكون إلّا جملة، ويكون المشروط فيه إمّا مضمونها أو الخطاب بها. فمثال مضمونها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة ٢/٢٧٤]. ومثال الخطاب بها: قولك: "إن أكرمتَني اليومَ فقد أكرمتُك أمسِ". والمعنيّ بالمضمون معنى نسبة الجملة، كقوله تعالى: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة ٢/٢٧٤]، فثُبوت الأجْرِ لهم هو مضمون[٣] الجملة، وهو مُسبَّب عن الإنفاق. والمعنيّ بالخطاب بها أن يكون نفس الإعلام هو المشروط لا مضمونها. ألا يُرى[٤] أنّك لو جعلت مضمون[٥] قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ هو المشروط لكان المعنى: استقرارها سبب لحصولها مِن الله تعالى، فيصير الشرط مسبَّبًا للمشروط؟

قوله: (قال الأعشى:

يُـــراوِحُ[٦] مِـن صـلـوات[٧] المليـ ـك[٨] طَوْرًا سُجودًا[٩] وطَوْرًا[١٠] جُؤارًا)[١١]

يصف راهبًا. المُراوَحة:[١٢] أن يكون عاملان في عملٍ، يعمل هذا مرّة وذا مرّة. والصلاة بمعنى الدعاء. يقول: يُراوح دعاءَ الله؛ طَوْرًا يدعوه[١٣] في السجود خُفيةً،[١٤] وطَورًا يدعوه جِهارًا وجُؤارًا.

---

[١] ر: مابه.
[٢] ن: صحّ ذلك.
[٣] ر ن: منصوب.
[٤] ر ن: ترى.
[٥] ر: مصمون.
[٦] وفي هامش د: أي: يُناوبون.
[٧] وفي هامش د: دعوات.
[٨] وفي هامش د: الله تعالى.
[٩] ن: سجود.
[١٠] ن: وطوًا.
[١١] ر ن + يناوب. دعوات. الله تعالى. | ديوان الأعشى الكبير، ص ٥٣.
[١٢] ر ن: المراوجة.
[١٣] ر ن: ندعوه.
[١٤] ر: حفية.

وقرئ: "تَجَرُونَ" بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم.

وقرأ قتادةُ: "كاشَفَ الضرَّ" على: فاعَلَ بمعنى فَعَل، وهو أقوى من "كَشَف"؛ لأن بناء المُغالَبة يدلُّ على المبالغة.

فإن قلتَ: فما معنى قولِه: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾؟

قلتُ: يجوز أن يكونَ الخطابُ في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ عامًّا ويريدَ بالفريق: فريقَ الكفرة، وأن يكون الخطابُ للمشركين و﴿مِنكُم﴾ للبيان لا للتبعيض؛ كأنه قال: "فإذا فريقٌ كافرٌ وهم أنتم"، ويجوز أن يكون فيهم مَن اعتَبَر كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان ٣٢/٣١].

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من نعمةِ الكشف عنهم كأنهم جَعَلوا غرضَهم في الشِّرك كفرانَ النعمة.

﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تخليةٌ ووعيدٌ، وقرئ: "فيُمتَّعوا" بالياء مبنيًّا للمفعول عطفًا على ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾، ....

قوله: (عامًّا، ويريد بالفريق) و﴿مِنكُم﴾ على هذا للتبعيض.

قوله: (مَن اعتَبر) فيكون حينئذٍ "مِن" للتبعيض.

قوله: (كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ [لقمان ٣٢/٣١]) استشهاد.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ "اللام" متعلّق بـ﴿يُشْرِكُونَ﴾.[١]

قوله: (عطفًا) أي: ليكفُروا وليُمَتَّعوا، و"اللام" فيهما للغرض.[٢]

---

١ ن: بيشكرون. | وفي هامش د: قوله: (كأنّهم جعلوا غرضهم) يعني مشبّه بالعلّة في الترتّب، كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨].

٢ ر ن: للعرض. | وفي هامش د: فيكون مِن باب الكناية؛ لأنّ الأمر بالكفر والتمتّع بما يشاء مِن توابع التخلية والخِذلان؛ لأنّه إذا لم يرد تخليته وخذلانه يأمره وينهاه، فإذا خلّاه وحالَه ولا ينهاه -بل يأمره بأن يفعل ما يريد- علم أنّه أراد خذلانه. قوله: (تخلية) فيكون مِن باب الكناية؛ لأنّ الأمر بالتمتّع بما يشاء مِن توابع الخِذلان والتخلية. قوله: (وعيد) فيكون مِن قَبيل التعريض الذي على سبيل الكناية، مثل: آذيتني فستعرف، ولا يجوز أن يكون مِن قَبيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم؛ لأنّه لو كان كذلك لَما كان معنى المَلزوم مرادًا لكنّه ليس كذلك، ويحتمل أن لا يكون معنى المَلزوم مرادًا، تأمّل.

ويجوز أن يكون: "ليكفرُوا فيُمتَّعوا" من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللامُ لام الأمر.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ٥٦﴾

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لآلهتهم، ومعنى "لا يعلمونها": أنَّهم يسمُّونها آلهةً ويعتقدون فيها أنَّها تَضُرُّ وتنفعُ وتشفعُ عند الله، وليس كذلك، وحقيقتُها أنها جمادٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ، فهم إذن جاهلون بها.

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾) متعلّق بقوله: (قُرِئ)، يعني: يجوز الوجهان على هذه القراءة:[١] الأوّل: أن يكون "اللام" للغرض[٢] كما مرّ. والثاني: أن يكون لام الأمر، ويؤيّده -كونَ "اللام" للأمر- أنّه لمّا قُرِئ: "فَيُمَتَّعُوا"[٣] مبنيًّا للمفعول الغائب[٤] في موضع ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ بطريق أمر المخاطب؛ دلّ على أنّ المراد[٥] في هذه القراءة أيضًا الأمر؛[٦] لأنّ[٧] القراءات يؤيّد[٨] بعضُها بعضًا، ولا يمكن جعله أمرًا إلّا بأن يكون عطفًا على ما هو أمر؛ إذ ليس ههنا لام الأمر، فوجَب أن يكون الأوّل أمرًا ليكون هذا أيضًا أمرًا، وذلك "اللام" يكون[٩] مرادًا هنا.

قوله: (ومعنى لا يعلمونها)... إلخ فكأنّه قال: والمعنى: لا يعلمونها، والضمير الفاعل للكفّار،[١٠] والعائد المفعول إلى "ما" -وهو عبارة عن الآلهة- محذوف. ثمّ قال: "ومعنى لا يعلمونها"... إلخ. ولمّا كان تقدير[١١] كلامه كما ذكرنا عطَف على قوله: "ومعنى لا يعلمونها" قولَه: (وقيل: الضمير). ثمّ إنّ قوله: (وليس كذلك) حال مِن مفعول (يُسمُّونها)، فأنَّث الضمير في "يُسمُّونها" اعتبارًا لمعنى "ما"؛

---

١ قراءة "فَيُمَتَّعُوا" بالياء مضمومةً مبنيًّا للمفعول قراءةٌ شاذّة، مرويّة عن أبي العالية. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٢.
٢ ر ن: للعرض.
٣ ر: فتمتّعوا؛ ن: فتمتّعو.
٤ ن: الغائب.
٥ ر: المرا.
٦ ر ن: للأمر.
٧ ن: لا.
٨ ن: تؤيد.
٩ ر: يلون هنا.
١٠ ر: الكفّار.
١١ ر: تقرير.

وقيل: الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة؛ أي: لأشياءَ غيرِ موصوفةٍ بالعلم، ولا تَشعُر: أَجَعَلوا لها نصيبًا في أنعامهم وزروعهم أم لا؟ وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرُّبًا إليهم.

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ وعيدٌ ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من الإفك في زعمِكم أنها آلهةٌ وأنها أهلٌ للتقرُّب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧﴾

كانت خُزاعةُ وكِنَانةُ تقول: "الملائكةُ بناتُ الله".

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ لذاته من نسبةِ الولد إليه، أو تعجُّبٌ من قولهم.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنينَ، ....

لأنَّها أصنام، وذكَّر في "ليس" لِلفظ "ما". ويجوز أن يكون التقدير:[1] وليس الأمر[2] كما اعتقدوا، فيرجع الضمير في "ليس" إلى ما دلّ عليه سياق الكلام، وعلى هذا[3] يجوز أن يكون حالًا مِن فاعل / "يسمّونها"، أو مِن مفعوله. [٦١ظ]

قوله: (أي: لأشياء[4] غيرِ موصوفة بالعلم) يعني:[5] أنّ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ يكون نازلًا منزلة اللازم، يعني: لا علمَ لها.

قوله: (ولا تشعر[6] أجَعلوها)[7] يجوز أن يكون تقريرًا لقوله: (غيرِ موصوفة بالعلم)، ويجوز أن يكون وجهًا آخر، وهو أن يكون مفعوله محذوفًا لدلالة "القريبة" عليه.

قوله تعالى: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ فيه التفات.[8]

---

[1] ر: التقرير.
[2] ر: للأمر.
[3] ن – هذا.
[4] ر ن: الأشياء.
[5] ر: يغني.
[6] ر ن: تسعر.
[7] في مطبوع الكشّاف: "أجَعلوا لها".
[8] ر ن – قوله تعالى: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ فيه التفات. | وفي هامش د: قوله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ وعيد مِن قَبيل المجاز، مِن باب إطلاق السبب على المسبَّب، فإنّ السؤال عن المجرم سبب لمؤاخذته وعقابه.

ويجوز في ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ الرفعُ على الابتداء، والنصبُ على أن يكون معطوفًا على ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾؛ أي: وجعلوا لأنفسهم ما يَشتهون من الذكور.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿ظَلَّ﴾ بمعنى: "صار" كما يُستعمَلُ "باتَ وأصبحَ وأمسى" بمعنى الصَّيرورةِ، ويجوزُ أن يجيءَ "ظلَّ"؛ لأنَّ أكثر الوضع يتَّفق بالليل، فيظلُّ نهارَه مغتمًّا لذلك مُرْبَدَّ الوجهِ من الكآبةِ والحياءِ من الناس.

قوله: (ويجوز في ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ الرفع) إذا كان ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ مرفوعًا كان مبتدأ، ﴿وَلَهُم﴾ خبره،[1] ويكون عطفًا على جملة قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾، وإذا[2] كان منصوبًا كان مفعولًا أوّلَ لـ﴿يَجْعَلُونَ﴾، ﴿وَلَهُم﴾ مفعول ثانٍ له، أعني: يكونان معطوفَين على مفعولَيه عطفَ المفرد على المفرد، نحو: ضرب زيد عمرًا، وبَكرٌ خالدًا.

قوله: (ويجوز أن يجيء "ظَلّ")[3] يعني: يجوز أن لا يكون "ظَلَّ[4] بمعنى "صار"؛ بل يكون بمعناه المشهور، وهو اقتران[5] مضمون الجملة بالنهار، فقوله: (لأنّ) متعلّق بقوله: "يجيء".[6]

وقوله: (الوضعِ) أي: وَضعِ الحَمل. قوله: (فيظلّ نهارَه) النصب على أنّ اسمه[7] ضمير مستتر، و"نهارَه" ظرف، ويجوز فيه الرفع على إسناد "ظَلَّ" إليه إسنادًا[8] مجازيًّا، مثل: نهاره صائم، وليله قائم. وقوله: (مربدَّ[9] الوجه)، أي: مسودَّه.

---

[1] ن + ويجوز أن.
[2] ر ن: إذا.
[3] ر ن: طل.
[4] ن: طل.
[5] ر: أنّ؛ ن: اقران.
[6] وفي هامش د: تعلّق المفعول له.
[7] ر ن: اسم.
[8] ن: إسندا.
[9] ن ر: مريد.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مَمْلوءٌ حَنَقًا على المرأة.

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يستخفِي منهم ﴿مِنَ﴾ أجلِ ﴿سُوٓءِ﴾ المبشَّرِ به، ومن أجلِ تعييرهم، ويُحدِّثُ نفسَه وينظرُ أيُمسِكُ ما بُشِّر به ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: على هوانٍ وذُلّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: أم يَئِدُه؟ وقرئ: "أيُمسكها على هُون أم يَدسُّها" على التأنيث، وقرئ: "على هوانٍ".

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون الولد الذي هذا محلُّه عندهم لله، ويجعلون لأنفسهم مَن هو على عكسِ هذا الوصف.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: صفةُ السَّوء، وهي الحاجةُ إلى الأولاد الذكور، وكراهةُ الإناث ووأدُهنَّ خشيةَ الإملاق، وإقرارُهم على أنفسهم بالشُّحِّ البالغ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو الغِنَى عن العالَمين، والنزاهةُ عن صفات المخلوقينَ، وهو الجوادُ الكريم.

قوله: (حَنَقًا) الحَنَق: الغيظ، الجمع: حِناق.[١]

قوله: (ويحدّث نفسه) يعني: أنّ قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ متعلِّق بفعل محذوف، فيجوز أن يكون تقديره: يقول في نفسه بطريق حديث النفس: أأمسِكه[٢] أم أَدسُّه؟ فيكون مقولَ[٣] قولٍ محذوف. ويجوز أن يكون التقدير: ينظر ويتفكّر ليعلم أيُمسِكه أم يدسُّه. ويجوز أن يكون مراده أنّ المجموع مقدَّر، وهو القول النفسيّ مع النظر.

قوله: (صفة السَّوء) يعني: أن المَثَل هنا بمعنى الصفة العجيبة الشأن في العلوّ والرِّفعة. و"السَّوء" بمعنى الرَّداءة والفسادِ ضدِّ الصلاح. يعني: لهم الصِّفة المختصَّة بالرَّداءة والفساد[٤] التي لا صلاحَ فيها.

---

١ الصحاح للجوهري، «حنق».

٢ ن: أمسكه.

٣ ن: مفعول.

٤ ن - ضدّ الصلاح. يعني: لهم الصِّفة المختصّة بالرَّداءة والفساد.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ قطُّ، ولأَهْلَكها كلَّها بشؤمِ ظُلْمِ الظالمين.

وعن أبي هريرة: أنّه سمع رجلًا يقول: "إن الظالم لا يَضُرُّ إلّا نفسَه"، فقال: "بلَى والله، حتى إنَّ الحُبارَى لتَموتُ في وَكْرِها بظُلْم الظالم".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كادَ الجُعَلُ يَهلكُ في جُحْرِه بذنبِ ابن آدم.

أو: مِن دابةٍ ظالمةٍ، وعن ابن عباس: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: من مشركٍ يَدِبُّ عليها.

وقيل: لو أُهْلِكَ الآباءُ بكفرهم لم تكنِ الأبناءُ.

قوله: (بلى والله، حتى) أي: بلى والله يضرُّ[١] غيره، حتى أنَّ... فهو غاية لمحذوف دلّ عليه "بلى".

قوله: (إنّ الحُبارَى) "الحُبارَى": طائر، يقع على الذّكر والأنثى، واحدها وجمعها سواء، وإن شئتَ قلتَ في الجمع: حُباريات. وفي المَثَل: «كلّ شيء يحبّ ولدَه حتّى الحُبارى». وإنّما خصّت بهذا المَثَل؛[٢] لأنّها يُضرب[٣] بها المَثَل في الحُمق، فهي على حُمقها[٤] تحبّ ولدها وتعلّمه الطيران.[٥] و"وكر الطائر": عِشُّه، سواء كان في جبلٍ أو شجر.[٦]

قوله: (الجُعَل)[٧] "الجُعَل":[٨] حيوان يُدَهدِه الخَرى وسائرَ النجاسات، ويجعلها بنادق.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ مُشرك») ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال ٨/٥٥].

---

١ ن: نصر.
٢ ن: المثال.
٣ ن: تضرب.
٤ ن: جمعها.
٥ الصحاح للجوهري، «حبر».
٦ الصحاح للجوهري، «وكر».
٧ ن ر: العجل.
٨ ن ر: العجل.

﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ۝٦٢﴾

﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات، ومن شركاءَ في رئاستهم، ومن الاستخفافِ برسلهم والتهاوُنِ برسالاتهم، ويجعلون له أرذلَ أموالهم ولأصنامهم أكرمَها.

﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ عند الله كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾ [فصلت ٤١/٥٠].

وعن بعضهم: أنه قال لرجل من ذوي اليَسارِ: كيف تكونُ يومَ القيامة إذا قال اللهُ تعالى: "هاتوا ما دَفَع إلى السلاطين وأعوانهم"، فيُؤتَى بالدوابِّ والثيابِ وأنواعِ الأموال الفاخرة، وإذا قال: "هاتوا ما دَفَع إليَّ"، فيُؤتَى بالكِسَر والخِرَق وما لا يُؤبَهُ له، أَمَا تستَحْيي من ذلك الموقف؟! وقرأ هذه الآية.

وعن مجاهد: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، هو قولُ قريش: "لنا البَنُونَ".

قوله تعالى: ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾ مفعول ﴿تَصِفُ﴾، و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ بدل مِن ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾، فلذلك لم يذكره المصنّف ههنا إشارة إلى أنّه المقصود، ففسَّره بترك ذكره.

قوله: (كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ﴾)... الآيةَ [فصلت ٤١/٥٠]، أشار المصنّف بالاستشهاد بهذه الآية أنّ المراد بـ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الجنّة، والخَصلة الحُسنى، وأيضًا أشار إلى أن قولهم هذا ليس عن اعتقاد الآخرة، وأنّ فيها ثوابًا، يقولون ذلك عن فرض وتقدير، يعنون أنّ ما يقوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم في الآخرة مِثل ما يقوله سخريةً واستبعادًا لذلك، وهذا كما حكى الله تعالى عن الكافر في سورة الكهف: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف ١٨/٣٦].

قوله: (وعن بعضهم) أي: عن بعض العلماء.

قوله: (إذا قال الله: هاتوا) أي: هاتوا أيّها الملائكة ما دفع هذا الرجل.

قوله: (وعن مجاهد) عطفٌ على قوله: "كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ﴾ [فصلت ٤١/٥٠]"... إلخ؛ لأنّه تفسير آخَر غير ما ذكر.

و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾، وقرئ: "الكُذُبُ" جمعُ كَذُوب صفةٌ للألسنة.

﴿مُفْرَطُونَ﴾ قرئ مفتوحَ الراء ومكسورها مخفَّفًا ومشدَّدًا، فالمفتوح بمعنى: مقدَّمون إلى النار معجَّلون إليها، مِن أَفْرَطْتُ فلانًا وفرَّطْتُه في طلب الماء: إذا قدَّمتَه.

وقيل: مَنسِيُّونَ متروكون، من أفرطتُ فلانًا خَلْفي: إذا خلَّفتَه ونَسِيتَه.

والمكسورُ المخفَّف من الإفراط في المعاصي، والمشدَّد من التفريط في الطاعات وما يَلزمُهم.

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ حكايةُ الحال الماضية التي كان يُزيِّن لهم الشيطانُ أعمالَهم فيها، أو فهو وليُّهم في الدنيا، فجَعَل اليومَ عبارةً عن زمان الدنيا، ومعنى ﴿وَلِيُّهُمْ﴾: قرينُهم وبئسَ القرينُ.

واعلم أنّ المرويّ عن مجاهد رحمه الله[١] لا يلائمه قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ[٢] أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾، فالتفسير[٣] هو الأوّل، والله أعلم.

قوله: (حكاية[٤] الحال الماضية)؛ وذلك لأنّه إخبار عن الكفّار الماضين، أي: كان يقال في ذلك الوقت، فهو وَليُّهم اليومَ.

قوله: (فجُعل "اليومُ" عبارةً عن زمان الدنيا)[٥] كما قيل: "الدهر يومان: أحدهما: الدنيا، والثاني: القيامة". اليومُ هي المدّة مِن طلوع الشمس إلى غروبها عُرفًا،

---

[١] ن: رضي الله عنه.

[٢] د – وقوله: (الوضع) أي: وَضع الحمل... واعلم أنّ المرويّ عن مجاهد رحمه الله لا يلائمه قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ﴾.

[٣] ن: والتفسير.

[٤] وفي هامش د: فيكون مِن قَبيل استعارة الحاضر للغائب، والجامع ظهورُ ثبوته.

[٥] وفي هامش د: فيكون استعارة؛ شبهت الدنيا باليوم في سُرعة انقضائه وانتهائه إلى يوم القيامة، كما أنّ اليوم ينقضي سريعًا وينتهي إلى الغد. قوله: (حكاية للحال الآتية) فيكون استعارة؛ استُعير الحاضر والحال للمستقبل والآتي بجامع التحقّق، وليس المراد بالحكاية هنا الاصطلاحيّة، وهي أن تجيء بالقول بعد استبقاء صورته الأولى؛ بل المراد الاستحضار والتصوّر.

أو يُجعلُ ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ حكايةً للحال الآتية، وهي حالُ كونهم معذَّبين في النار؛ أي: فهو ناصرُهم اليومَ لا ناصرَ لهم غيرُه، نفيًا للناصر لهم على أبلغ الوجوه.

ويجوز أن يرجع الضميرُ إلى مشركي قريش، وأنه زيَّن للكفار قبلَهم أعمالَهم، فهو وليُّ هؤلاء؛ لأنَّهم منهم، ويجوز أن يكون على حذف المضاف؛ أي: فهو وليُّ أمثالهم اليوم.

ومِن طلوع الفجر إلى غروبها شرعًا، وهو الوقت لغةً ليلًا كان أو نهارًا، طويلًا كان أو قصيرًا. وذكر في الكواشي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة ٤/١] أنَّ المراد في الآية الوقت، لعدم الشمس ثمَّة.[١]

قوله: (ويجوز أن يرجع) عطفٌ على محذوف، كأنّه قال: في أوّل الآية الضمير يرجع[٢] إلى الأمم، ورتّب الوجوه المذكورة عليه، ثمّ قال: "ويجوز أن يرجع".

قوله: (وأنّه زيّن) عطفٌ على[٣] "أن يرجع"، وفي الكلام حذف، تقديره: وأن يكون المعنى: أنّه زَيّن.

قوله: (لأنّهم منهم) أي: لأنَّ هؤلاء مِن بعض أولئك الكفّار، أي: مِن[٤] جنسهم[٥] مِن حيث اشتمالُ الكفر للجميع، فيكونون كالمتقدِّم ذِكره معنًى، فيجوز أن يعود الضمير إليهم.[٦]

---

[١] تفسير الكواشي، ٣و.

[٢] ر ن – عطف على محذوف، كأنّه قال: في أوّل الآية الضمير يرجع.

[٣] ر ن – على.

[٤] ر ن – من.

[٥] ر ن: جهنّم.

[٦] وفي هامش د: قوله: (أي: هو عند الله) قلت: أي: أمر الساعة كأمر الشيء الذي نستفيده، وتقولون: كلمح البصر، وحرف التشبيه غير داخل على المشبّه به، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ أي: أمر الساعة بالنسبة إلى الله تعالى كأمر ما هو أقرب الأشياء بالنسبة إليكم، وإن كان متأخّرًا في نفس الأمر وبالنسبة إليكم، ولا شكّ في ذلك؛ لأنّ نسبة لَمح البصر في العرب إلى ما يستبعدونه في زمان وجودهم نسبة متناهٍ إلى متناهٍ، ونسبة قُرب أمر الساعة بالنسبة إلى وجودِ دائم الوجود نسبة متناهٍ إلى غير متناهٍ، فليتأمّل.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على محلِّ ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ إلَّا أنهما انتَصَبا على أنهما مفعولٌ لهما؛ لأنهما فِعْلا الذي أَنْزلَ الكتاب، ودخل اللامُ على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾؛ لأنه فعلُ المخاطَبِ لا فعلُ المُنزِل، وإنما ينتصِبُ مفعولًا له ما كان فِعْلَ فاعلِ الفِعْلِ المعلَّل، والذي اختلفوا فيه: البعثُ -لأنه كان فيهم مَن يؤمن به ومنهم عبدُ المطَّلب- وأشياءُ من التحريمِ والتحليل والإنكارِ والإقرار.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله: (وإنّما ينتصب مفعولًا له ما كان فعل فاعل) "ما كان" فاعل "ينتصب". وقوله: "مفعولًا له" منصوب على التمييز،[1] مقدّم على الفاعل، فإنّ مِثله جائز بلا خلاف بين النحويّين، كقوله[2] تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف ٦١/٣]، وكالقراءة[3] الشاذّة:[4] "وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدًّا[5] رَبُّنَا"،[6] وكقول[7] الشاعر:

أرى كلَّ أرض دَمَّنَتْهــا وإنْ مضــتْ لهـا حـجـجٌ يـزداد طِـيـبًـا تُـرابـهـا[8]

ويجوز أن يقال: إنّه مفعول له، فكأنّه قال: لا ينتصب شيء لكونه مفعولًا له إلّا ما كان فعل الفاعل الفعل المعلّل.

قوله: (والإنكار والإقرار) مشكِلٌ، سواء عطفتَه على (التحريم)، أو على (أشياء)؛ إذ لا معنى لقوله: "اختلفوا في الإنكار والإقرار".[9]

---

١ ر: المميز.

٢ ر: لقوله.

٣ ر ن: وكان لقراءة.

٤ ر ن: السادة.

٥ ر: حدًا.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة وزيد بن عليّ. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

٧ ر ن: كقول.

٨ ر: يرا لها. | بغير نسبة في ديوان المعاني للعسكري، ٢٦١/١.

٩ وفي هامش د: قوله: (القوم سمعوه سماعَ إنصاف) يقال في حقّ مَن سمع ولم يقبَل: ما سمِع، فيكون استعارة المعدوم للموجود بجامع عدم ترتّب الآية، وهو القبول هنا.

﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ إنصافٍ وتدبُّرٍ؛ لأن مَن لم يَسمع بقلبه فكأنّه أصمُّ لا يسمع.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

ذكر سيبويه الأنعامَ في باب ما لا يَنصرِف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم: "ثوبٌ أَكْياشٌ"؛ ولذلك رجع الضمير إليه مفردًا، وأما ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون ٢١/٢٣] في سورة المؤمنين فلأنَّ معناه الجمعُ.

ويجوز أن يقال: في الأنعام وجهان؛ أحدهما: أن يكون تكسيرَ "نَعَم"

قوله: (ثَوبٌ أكياشٌ)[١] وهو ضَربٌ مِن الثياب يُغزَل[٢] غَزلُه[٣] مرّتين، وفي المَثل: «عليك بالثوب الأكياش، فإنّه مِن ثياب / الأكياس».[٤] [٦٢و]

قوله: (وأمّا في ﴿بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون ٢١/٢٣]) هذا عطفٌ على محذوف، كأنّه قال: أمّا[٥] التذكير في هذه السورة فلأنّ ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ مذكّر، وأمّا التأنيث في ﴿بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون ٢١/٢٣]... والأَولى أن يقال: عطفٌ على قوله: (ولذلك)، ولا حاجةَ إلى تقدير محذوف.

قوله: (ويجوز أن يقال: في ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وجهان) اعلم أنّ هذا الكلام ليس مُنقّحًا؛[٦] لأنّه قال: في ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وجهان: أحدهما: أنّه جمع نَعَم، والثاني: أنّه مفرد.[٧] ثمّ بيّن وجه التأنيث على الوجهين،[٨] ولم يُبيّن وجه التذكير إلّا على أحد الوجهين، وهو أن يكون مفردًا، فبقي أن يقال: ما وجه التذكير إذا قلنا: إنّه جمع؟ ولم يُبيّنْهُ، فالوجه ما ذكَر أوّلًا، وهو أنّه اسم مفرد، والتذكير والتأنيث[٩]

---

[١] ن: الياش.
[٢] ر: يعزل.
[٣] ر: عزله.
[٤] ر: الأكاس؛ ن: الأكناس. | ذكره النيسابوري في غرائب القرآن، ٤١٠/٦.
[٥] ن: ما.
[٦] ن: منقدحًا.
[٧] ن: مرد.
[٨] ن + ولم يبيّن وجه التأنيث على الوجهين.
[٩] ن: والتألنيث.

كأجبال في جَبَلٍ، وأن يكون اسمًا مفرَدًا مُقتضَبًا لمعنى الجمع كنَعَمٍ، فإذا ذُكِّرَ فكما يُذكَّر نَعَمٌ في قوله:

فـي كـلِّ عـامٍ نَـعَـمٌ تـحْـوُونَـه   يُـلْـقِـحُـه قـومٌ وتَـنْـتِـجُـونَـهُ

وإذا أُنِّث ففيه وجهان: أنه تكسيرُ نَعَمٍ، وأنه في معنى الجمع.

لِما ذكرناه أوّلًا. وجوابه أن نقول إذًا: قوله: (وأن يكون اسمًا مفردًا) أي: والثاني أن يكون...

قوله:

(فـي كـلّ عـام)...[١] البـيـتَ

بعده:

هـيـهـات هـيـهـات لِـمـا تَـرجُـونـه
أربـابُـه نَـوْكـى[٢] فـلا يَـحْـمُـونـه
ولا[٣] يـلاقـون طِـعـانًـا[٤] دونـه[٥]

تقديره:[٦] أفي كلّ عام حدوثُ نَعَم. و"كلِّ عام" ظرف[٧] زمان، وإذا كان المبتدأ حادثًا[٨] جاز[٩] كون[١٠] ظرف[١١] الزمان خبرًا عنه. وإنّما ذكّر الضمير في "تَحْوُونَه" الراجع إلى "النَّعَم"؛[١٢] لأنّه اسم مفرد مُقْتَضَب[١٣] لِمعنى الجمع، يُخاطب قومًا مِن اللُّصوص والمغيرين،[١٤] يقول لهم بطريق الإنكار: تَحْوُون كلَّ عام نَعَمًا لقوم ألْقَحوه، وأنْتُم تُنتِجُونَه[١٥] في حيّكُم، ثمّ يقول على طريق التحسُّر والتأسّف، أو التسخّر والتهكّم:[١٦]

---

١ وفي هامش د: أكُلُّ عام.
٢ ر: توكي.
٣ ن: لا.
٤ ر: طعانه.
٥ قائله صبيّ من بني سعد. انظر: المقاصد النحويّة للعيني، ١/٥٠٠.
٦ ر ن – تقديره.
٧ ر ن: طرف.
٨ ر ن: حدثًا.
٩ ر: جازيا؛ ن: بازيا.
١٠ ن: لون لون.
١١ ر ن: طرف.
١٢ ر ن: نعم. | وفي هامش د: أصل نَعَمٍ.
١٣ ن: معتضب.
١٤ ر: والمعيرين.
١٥ ر: تنتحوا به؛ ن: تنتحمونه.
١٦ ن: والهتكم.

وقرئ: ﴿نَسْقيكم﴾ بالفتح والضمِّ.

وهو استئنافٌ؛ كأنّه قيل: "كيف العِبرة؟" فقيل: ﴿نُسْقِيكُم﴾.

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾؛ أي: يخلُق الله اللَّبَنَ وَسِيطًا بين الفَرْث والدَّم يكتَنِفانِه،

أرباب هذا النَّعم[1] حَمْقى لا يَحمونه[2] مِن غارتكم،[3] ولا[4] يحاربون[5] بالطِّعان[6] دونه، فلهذا تأخذون منهم بالغارة. وألقح[7] الفَحلُ[8] الناقةَ، والريحُ السحابَ.

قوله: (وقُرئ: ﴿نُسْقِيكُم﴾ بالفتح والضمّ)[9] ﴿نُسْقِيكُم﴾ بالضمّ: نجعل لكم سُقْيا، أي: مَشرَبًا. واعلم أنّ فتح النون وضمّها كلاهما مِن السبعة، سَقَيْتُه[10] حتّى رَوِيَ، وأسقَيْتُه نَهَرًا؛ جعلته شِرْبًا له، وقالوا: سقيتُه في معنى[11] أسقيتُه،[12] ويدلّ[13] على ذلك قوله:

سَقَى[14] قومي بني مَجدٍ وأسقى   نُمَيْرًا[15] والقبائل مِن هلالِ[16]

فـ"سقى قومي" ليس يريد به ما يُروِّي عِطاشهم، ولكن يريد[17] رَزَقهم سُقيا لبلادهم[18] يُخصِبون[19] منها. وبعيدٌ أن يسأل لقومه ما يُروّي العِطاش،[20] ولغيرهم ما يُخصِبون[21] منها، وبيَّن ذلك قولُ الشاعر:

أخطأ الربيع بلادهم فسُقوا حيًّا   ومِن أجلهم أحْبَبتُ كلَّ يَمانِ[22]

---

[1] ن: العنم.

[2] ن: نحمونه.

[3] ن: عاربكم.

[4] ر - لا.

[5] ر: وتحاربون.

[6] ر: بالطمان.

[7] ر: والفخ.

[8] ر: الفخ.

[9] قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وشعبة: ﴿نَسْقِيكُم﴾ بالنون المفتوحة، وضمُّها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف. وقرأ أبو جعفر: ﴿تَسْقِيكُم﴾ بالتاء مفتوحة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٤.

[10] ن - سقيته.

[11] ر: المعنى.

[12] ر ن: أسقيتموه.

[13] ن: وبدل.

[14] ر: سعي.

[15] ر: تميزًا.

[16] للبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ٩٣.

[17] ر: يزيد.

[18] ن: ليلارهم.

[19] ن: يحصبون.

[20] ن: الغطاش.

[21] ن: يحصبون.

[22] لجرير في ديوانه، ٢/١٠٠٩.

وبَيْنَه وبينهما بَرزَخٌ من قدرةِ الله لا يَبْغي أحدهما عليه بلَوْنٍ ولا طَعْمٍ ولا رائحةٍ، بل هو خالصٌ من ذلك كلِّه.

قيل: إذا أكلتِ البهيمةُ العَلَفَ فاستقرَّ في كَرِشِها طبخَتْه فكان أسفلُه فرثًا وأوسطُه لبنًا وأعلاه دمًا، والكَبِدُ مُسَلَّطةٌ على هذه الأصناف الثلاثة تقسمُها، فتُجري الدمَ في العروق، واللبنَ في الضُّروع، وتُبقي الفَرْثَ في الكَرِش، فسبحان اللهِ ما أعظمَ قدرتَه وألطفَ حكمتَه لمن تفكَّر وتأمَّل!

وسئل شقيقٌ عن الإخلاص فقال: تمييزُ العملِ من العيوب كتمييز اللَّبَن من بينِ فَرْثٍ ودَمٍ.

﴿سَآئِغًا﴾: سَهْلَ المرورِ في الحلق، ويقال: لم يَغَصَّ أحدٌ باللَّبَن قطُّ.

وقرئ: "سَيِّغًا" بالتشديد، و: "سَيْغًا" بالتخفيف كهَيْنٍ ولَيْنٍ.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين "مِن" الأولى والثانية؟

فقوله: "سُقوا" دعاء لهم بالسُّقيا التي أخطأت بلادهم. وهذا[١] وإن كان الأكثر فيما يدفع العطش "سَقَى"، وفي السُّقْيى "أسقى"، فمَن قرأ: ﴿نُسْقِيكُم﴾ يريد: إنّا جعلناه في كَثْرته وإدامته كالسُّقيا،[٢] فهو كقولك:[٣] أسقيته[٤] نَهَرًا،[٥] وأمّا مَن فتحَ النون فإنّه لمّا كان للشَّفة[٦] فتح النون، فجعله بمنزلة قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان ٢١/٧٦]، والذي ضمَّ النون جعل ذلك لدَوامه لهم كالسُّقيا.[٧]

قوله: (وبينَه) أي: بينَ اللبَن.[٨] وقوله: (وبينهما) أي: بين فَرْثٍ[٩] ودَم. وقوله:[١٠] (بَرزَخ) البرزخ: الحاجز بين الشيئين.[١١] وقوله: (عليه) أي: اللبَن.[١٢]

---

[١] ن: وكذا.

[٢] ر ن: وإذامتكالسقيا.

[٣] ر + فهو لقولك.

[٤] ر: وأسقيته.

[٥] ن: نهدًا.

[٦] ر: للسفة.

[٧] ن: كالسقياء؛ | وفي هامش د: قوله: (لا يَبغي) مِن البغي بمعنى التعدّي والظلم، أي: لا يؤثّران في اللبن بالطعم واللون.

[٨] ن: اللين.

[٩] ن: فرت.

[١٠] ر ن: قوله.

[١١] ر ن: السنين.

[١٢] ر ن: اللين.

قلتُ: الأولى للتبعيض؛ لأن اللَّبنَ بعضُ ما في بطونها؛ كقولك: "أخذتُ من مالِ زيد ثوبًا"، والثانية لابتداء الغاية؛ لأن بين الفَرْثِ والدمِ مكانُ الإسقاء الذي منه يَبْتدِئُ، فهو صلةٌ لـ﴿نُسْقِيكُم﴾؛ كقولك: "سقيتُه من الحوض"، ويجوز أن يكون حالًا من قوله: ﴿لَبَنًا﴾ مقدَّمًا عليه فيَتعلَّق بمحذوفٍ؛ أي: كائنًا من بين فرثٍ ودمٍ، ألا ترى أنه لو تأخَّر فقيل: "لبنًا من بين فرثٍ ودمٍ" كان صفةً له، وإنما قدِّم؛ لأنه موضعُ العِبرة فهو قَمِنٌ بالتقديم.

قوله: (لأنّ بينَ الفَرْث[١] والدَّم) انتصاب / "بينَ" على الحكاية، وليس "أنّ" بعاملِ هذا النصب، وإنّما هو عامل نصبٍ آخَر مقدَّر، والتقدير: لأنّ ما بين الفَرْث[٢] والدَّم مكانُ الإسقاء، أو المتوسّطَ والمتخلّلَ[٣] بين الفَرْث والدَّم مكانُ الإسقاء. [٦٢ظ]

وما ذكر[٤] في الحاشية مِن أنّ نصب[٥] "بينَ" على سبيل الحكاية فيه نظر؛ لأنّ الحكاية أن يجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى، وهذا ليس كذلك. والحقّ أنْ[٦] لا تحقيقَ لذلك الحاشية[٧] بتمامها، فإنّ بين الفَرْث[٨] والدَّم هو المكان، أي: البُعد الذي يتمكّن فيه المتمكِّن، وأمّا ما بين الفَرْث والدَّم فهو الشيء المتمكِّن في ذلك المكان، وكذلك المتوسِّط والمتخلِّل[٩] بينهما هو[١٠] المتمكِّن. والحاصل في ذلك المكان كاللَّبَن[١١] أو غيره، فإنّ خلفَ[١٢] الشيئين[١٣] وأمامَ الشيئين[١٤] وبينَ الشيئين[١٥] هي الأمكنة.

---

١ ن: الفرت.
٢ ن: الفوق.
٣ ن: والمتحلّل.
٤ ن – ذكر.
٥ ن: يصيب.
٦ ر: والحولان.
٧ ن – مِن أنّ نصب "بينَ" على سبيل الحكاية فيه نظر؛ لأنّ الحكاية أن يجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى، وهذا ليس كذلك. والحقّ أنْ لا تحقيقَ لذلك الحاشية.
٨ ر ن: والفرث.
٩ ر: لمتحلّل؛ ن: لمتخلل.
١٠ ر ن: وهو.
١١ ن: كاللين.
١٢ ن: حلف
١٣ ر ن: السنين.
١٤ ر ن – وأمام الشيئين.
١٥ ر ن: السنين.

وقد احتجَّ بعضُ مَن يَرى أن المنيَّ طاهرٌ على مَن جَعله نجسًا لجَرْيه في مَسْلَك البول بهذه الآية، وأنَّه ليس بمستنكَرٍ أنْ يَسلكَ مَسلكَ البول وهو طاهرٌ كما خَرج اللبنُ من بينِ فرثٍ ودمٍ طاهرًا.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

فإن قلتَ: بمَ تعلَّق قولُه: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾؟

قلتُ: بمحذوفٍ تقديره: ونُسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب؛ أي: من عصيرها، ....

اعلم أنّ "بينَ" منصوبٌ بـ"أنّ" نصبًا لفظيًّا،[1] ولا[2] معنى للحكاية فيه،[3] ولا للحاشية التي كُتبت[4] مِن الجانب الآخَر.

قوله: (وقد احتجّ بعض مَن يرى)... إلخ والحاصل أنّ نجاسة[5] الباطن لا اعتدادَ بها في الأحكام الشرعيّة،[6] ولذلك يصحّ صلاة حامل الحيوان[7] إذا كان منفَذه طاهرًا،[8] كالآدميّ[9] والطيور وغيرها، ما لا يكون نجسَ[10] الكلب.

قوله: (أي: مِن عصيرها)؛[11] لأنّ السقيَ إنّما يكون مِن عصير الثَّمرات[12] دون الثَّمرات.[13]

---

[1] ن: لفطنا.

[2] ن: فلا.

[3] ر ن – فيه.

[4] ر ن: كتب.

[5] ر: نحاسة.

[6] أي: لا حكمَ لها ما لم تَنفصل أو يَنفصل ما لاصقَها، قال النووي: «وأمّا قولهم: 'نجاسة الباطن لا حكمَ لها' فغير مسلَّم؛ بل لها حكم إذا انفصل ما لاصقَها، ولهذا لو ابتلع جَوزة وتقايأها صارَت نجسةَ الظاهر، وأما المنيّ فقال ابن الصبّاغ: 'إن سلّمنا أنّ مخرجَه مخرجُ البول فالفرق أنّه عُفي عنه لعموم البلوى به وتعذّرِ الاحتراز عنه، بخلاف اللبَن في الشاة الميتة'». المجموع للنووي، ١/٢٤٥.

[7] ن: الحيولين.

[8] ر ن: ظاهرًا.

[9] ر ن: كالأدنى.

[10] ر: نحس.

[11] ن: عصرها.

[12] د ن: التمرات.

[13] ر: التمرات.

وحُذف لدلالةِ ﴿نُسْقِيكُم﴾ قبله عليه، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ بيانٌ وكشفٌ عن كُنْهِ الإسقاء.

أو تعلَّق بـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، و﴿مِنْهُ﴾ من تكرير الظرف للتوكيد؛ كقولك: "زيدٌ في الدار فيها".

ويجوز أن يكون ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ صفةَ موصوفٍ محذوفٍ كقوله:

بكفَّي كان مِن أرْمَى البَشَرْ

تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منه سَكَرًا ورزقًا حسنًا؛

قوله: (وحُذف لدلالة ﴿نُسْقِيكُم﴾) إنّما قال: "حُذف"، ولم يقل: هو متعلّق به عطفًا على ﴿مِنۢ بَيْنِ﴾؛ لأنّ ذلك بيان لكيفيّة[1] العِبرة، وهذا ليس كذلك.[2]

قوله: (مِن تكرير الظرف)[3] يعني: أنّه تأكيد لفظي؛[4] لأنّ معنى "فيها": في الدار، فكأنّه قيل: "في الدار في الدار"، وهو كما قال ابن الحاجب في شرح الكافية: «بأنّ 'كِلاهما' في 'جاءني[5] الرجلان[6] كِلاهما' تأكيد لفظي؛ لأنّ معنى 'كِلاهما': كِلا الرجلَين، فكأنّه قيل: جاءني الرجلان الرجلان».[7]

قوله: (كقوله:[8]

بكَفَّي)... البيتَ

ما لَكَ عندي غيرُ[9] سَهم وحَجَرْ[10]

وغيرُ كَبْداءَ[11] شديدةِ[12] الوَتَرْ

جادَتْ[13] بكفَّي كان مِنْ أرمَى البشَرْ[14]

---

[1] ن: الكيفيّة.

[2] ن: لذلك.

[3] ر ن: الطرف.

[4] ن: لقطى.

[5] ن: جا.

[6] ن: الرجان.

[7] انظر: شرح الكافية لابن الحاجب، ٢/٦٥٠.

[8] ر: كقوتي.

[9] ر: عير.

[10] ر: وخجر.

[11] ر: كيدا.

[12] ر ن: سديدة.

[13] ر ن: حادت.

[14] بغير نسبة في المقاصد النحويّة للعيني، ٤/١٥٥٨؛ وشرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٣٧.

لأنهم يأكلون بعضَها ويتَّخذون من بعضِها السَّكَرَ.

فإن قلتَ: فإلامَ يرجع الضميرُ في ﴿مِنْهُ﴾ إذا جعَلْتَه ظرفًا مكرَّرًا؟

قلتُ: إلى المضافِ المحذوف الذي هو العصيرُ؛ كما رجع في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآبِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/٤] إلى الأهل المحذوف.

يقال: ضعِ السهم على كَبِدِ[١] القوس؛ وهي ما بين طرفَي مَقبِضها،[٢] ومَجرى[٣] السهم منها. وقوسٌ كَبْداء؛ إذا ملأ مَقبِضُها الكفَّ.[٤] أي: صارت جيّدة.[٥] والضمير المستتر فيه[٦] للكَبْداء.[٧]

قوله: (إذا جعلتَه ظرفًا[٨] مكرَّرًا) إنّما خصّ السؤال بهذا التقدير؛ لأنّه عُلم تقدير المضاف في الوجه الأوّل، وهو العصير،[٩] لِما ذُكر[١٠] مِن أنّ التقدير: ومِن عصير[١١] ثَمراتِ النخيل، فيكون الضمير عائدًا إليه، أي: تتَّخِذون[١٢] مِن عصيرها. وكذا في الوجه الأخير عُلم أنّه عائد إلى الثمَر المحذوف. بقيَ الوجه المتوسّط؛ وهو أن يكون متعلّقًا بـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، فبيّن[١٣] هنا أنّه يقدّر على هذا الوجه أيضًا مضاف كما في الوجه الأوّل.

قوله: (في[١٤] قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآبِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/٤]) كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآبِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/٤]، على ما للثابت والمحذوف جميعًا.[١٥]

---

١ ر: ليد؛ ن: كيد.

٢ ر: مقبصها؛ ن: مقبضهما.

٣ ر: ومحوى.

٤ ر: للكبد؛ ن: الكبد. | الصحاح للجوهري، «كبد».

٥ تفسير لقوله: "جادَت". انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٣٧.

٦ أي: في "جادَت".

٧ وفي هامش د: وقوله: (كان) أي: رجلٍ كان. قوله: (ومِن ثَمرات) خبر لقوله: (ثَمرٌ).

٨ ر ن: طرفًا.

٩ ر ن: القصير.

١٠ ر: ذلر.

١١ ر ن: عصر.

١٢ ن: تنحدون.

١٣ ر: ومن.

١٤ ر ن – قوله: (في).

١٥ وفي هامش د: قوله: (سمّيت بالمصدر) فيكون مِن قَبيل الخلق بمعنى المخلوق، مِن تسمية المحلّ باسم الحالّ، فإنّ المضروب محلّ، والضرب حالّ، وتسمية الخَمر بالسُّكْر مِن باب تسمية السبب باسم المسبَّب، فإنّ المُسكِر سبب للسُّكْر، فسُمّي ما يُسكِر -وهو السبب- باسم السُّكْر الذي هو المسبَّب.

و"السَّكَر": الخمر، سُمِّيت بالمصدر من سَكِرَ سَكَرًا وسُكْرًا، نحو: رَشِدَ رَشَدًا ورُشْدًا، قال:

وجاؤونا بهم سَكَرٌ علينا فأَجْلى اليومُ والسكرانُ صاحي

وفيه وجهان:

أحدهما: أن تكون منسوخةً، وممَّن قال بنسخها: الشعبيُّ والنخعيُّ.

والثاني: أن يُجمَعَ بين العتاب والمِنَّة.

وقيل: السَّكَرُ: النبيذ، وهو عصيرُ العنب والزبيبِ والتمر إذا طُبِخ حتى يذهبَ ثلثاه، ثم يُترَكُ حتّى يشتدَّ، ....

قوله: (وجاءُونا بهم)... البيتَ،[١] أي: جاء الجيش. "سَكَرٌ"،[٢] أي: غضَبٌ[٣] وسَفَه. "فأجلى"،[٤] أي: / انكشفَ وصاحَ. أراد بالصَّحو عِلمَهم بعجزهم عن مقاومتنا. [٦٣و]

قوله: (منسوخة) ووجه نسخها أنّ فيها إشارة إلى حِلّ الخمر وتقرير له؛ لأنّ هذه الآيات لبيان النِّعَم، فلو لم يكن فيها دلالة على الحِلّ لم يكن لبيان النعمة فيها وجه.

قوله: (والثاني: أن يُجمَع بين العِتاب والمِنّة) وممّا يؤيّد أنّ ذكر السَّكَر للعِتاب وصفُ ﴿رِزۡقًا﴾[٥] بـ"حَسَن"؛ إذ فيه تعريض بأنّ السَّكَر ليس حسنًا؛[٦] بل هو قبيح شرعًا.

قوله: (وقيل: السَّكَر: النَّبيذ)[٧] يجوز أن يكون عطفًا على قوله: "أن يُجمَع"، فيكون وجهًا آخر لعدم النسخ[٨] بناء على مذهب أبي حنيفة.

---

١ بغير نسبة في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٨٧؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «سكر»؛ ولسان العرب لابن منظور، «سكر». | وفي هامش د: الاستشهاد في أنّ السَّكَر مصدر، لكن في البيت مستعار للغضب بجامع كون كلّ منهما مصدرًا لِفعل غير موافق للعقل.

٢ ر: سلن.

٣ ر ن: غصب.

٤ ر: فأحلى. | وفي هامش د: "فأجلى اليوم"، أي: عن الحال.

٥ ر: ررقًا.

٦ ر: حسن.

٧ ر ن: النبيد.

٨ ن: النسج.

وهو حلالٌ عند أبي حنيفة رضي الله عنه إلى حدِّ السكر، ويَحتجُّ بهذه الآية وبقوله عليه السلام: «الخمرُ حرامٌ لِعَيْنِها والسُّكْرُ من كلِّ شرابٍ» وبأَخبارٍ جمَّةٍ.

ولقد صنَّفَ شيخُنا أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ قدَّس الله روحَه غيرَ كتابٍ في تحليلِ النبيذ، فلمَّا شيَّخ وأخذَتْ منه السِّنُّ العاليةُ قيل له: "لو شربتَ منه ما تتقوَّى به"، فأبَى، فقيل له: "فقد صنَّفتَ في تحليله؟!" فقال: "تناوَلَتْه الدَّعارَةُ فسَمُجَ في المروَّة".

قوله: (وبقوله عليه السلام: «الخمر حرام لعينها»)[١] فيحرُم قليله وكثيره. وقوله: («والسُّكر»)[٢] أي: والسُّكر حرام مِن كلّ شراب، فلا يكون إلى حَدِّ السُّكر حرامًا على هذا.

قوله: (الدعارة)[٣] الدَّعَر -بالتحريك-: فساد، والدَّعَرُ أيضًا: مصدر قولك: دَعِر العُود -بالكسر- يَدعَرُ دَعَرًا، فهو عُود[٤] دَعِرٌ،[٥] أي:[٦] رَديء كثير الدخان. ومنه أُخذت[٧] الدَّعارة؛ وهو الفِسق والخُبث.[٨] يقال: هو خبيث[٩] دَاعِر بيِّن الدَّعَرِ والدَّعارة.[١٠] الدَّاعِر: الخبيث[١١] المُفسد، ومصدره الدَّعارة.[١٢]

وقوله: (فيَسْمُجُ)[١٣] أي: يَقبُح.[١٤] وقوله: (في المروءة) المروءة:[١٥] ترك ما لا يليق بالشخص. وضدّها: الخَساسة؛[١٦] وهي تعاطي أمور لا تليق بالشخص، وإن كانت تلك الأمور مِن المباحات. والخساسة ملحقة بالفِسق، ولذلك[١٧] شُرط في الشاهد أن يكون ذا مروءة، أي: تاركٌ غيرَ لائق به مِن إدامة لَعِب الشطرنج والحَمامِ وسماعِ الغناء والدُّفِّ.

---

[١] سنن النسائي، ٣٢١/٨ (٥٦٨٥)؛ السنن الكبرى للبيهقي، ١٠٩/٢١ (٢٠٩٨٨).
[٢] ن: والمسكر.
[٣] ر: الدعا.
[٤] ر: عودًا.
[٥] ن – دَعِرٌ.
[٦] ر – دَعِرٌ، أي.
[٧] ر: أحدث.
[٨] ن: والحبث.
[٩] ر ن: حبيث.
[١٠] ر ن + وقوله. | الصحاح للجوهري، «دعر».
[١١] ن: حبيث.
[١٢] المُغرب للمطرّزي، «دعر».
[١٣] ر ن: فيسمح.
[١٤] ر: بفتح؛ ن: يفتح.
[١٥] ر ن – المروءة.
[١٦] ر: الخشاشة.
[١٧] ر ن: وكذلك.

وقيل: السَّكَرُ: الطُّعْمُ، وأُنشدَ:

جعلتَ أعراضَ الكرام سَكَرًا

أي: تَنقَّلْتَ بأعراضهم.

وقيل: هو من الخمر، فإنه إذا ابْتركَ في أَعراض الناس فكأنَّه تخمَّر بها.

والرزق الحسنُ: الخلُّ والرُّبُّ والتمرُ والزبيبُ وغيرُ ذلك.

قوله: (وقيل: السَّكَرُ: الطَّعْمُ) تفسير ثالث، ووجه ثالث لعدم النسخ، والطَّعم بمعنى المطعوم، قال المطرّزي[١] في المُغرب: «طَعِمَ الشيءَ؛ أكلَه وذاقَه، طَعْمًا وطُعْمًا، بالفتح والضمّ، إلّا أنّ الجاريَ في ألسنتهم في عِلّة الرِّبا الفتح، ومرادهم كون الشيء مَطعومًا، وما يُطعَم».[٢]

قوله: (أي: تنقَّلْتَ)[٣] أي: جعلتَ أعراضهم نُقْلًا.[٤]

قوله: (وقيل: هو مِن الخمر) أي: السَّكَر في[٥] البيت بمعنى الخمر.

قوله: (وأنّه إذا ابْتَرَكَ[٦] في أعراض الناس) ابتَرَكَ[٧] فلان في عِرض فلان؛ إذا اعتمد في ذَمّهِ.[٨] ويقال: ابتَرَكَ[٩] الصَّيْقلُ؛[١٠] اعتمد على السيف يدوسه بالمِدْوَس، ويقال: ابتَرَكَ؛[١١] أي: ألْقى بَرْكَه، والبَرْكُ: الصَّدْرُ.[١٢] كأنّ المراد به المبالغة والثبات.[١٣] المعنى: جعلتُ التخمّر[١٤] بأعراض الكرام، وهو أبْيَن فيما يقال للذي يَبْتَرِكُ في أعراض الناس، وهذا بالتفسير الأوّل أشبَه.[١٥]

قوله: (و"الرزق الحَسن": الخَلّ والرُّبّ[١٦] والتمر والزبيب) يدلّ على أنّه لا حاجةَ

---

[١] د: المطرّري.

[٢] المُغرب للمطرّزي، «طعم».

[٣] ر: تنقلب.

[٤] ن: تفلًا. | النُّقْلُ بالضمّ: ما يُتَنَقَّلُ به على الشراب. الصحاح للجوهري، «نقل».

[٥] ن: ني.

[٦] ر ن: بترك. | وفي هامش د: أسرع.

[٧] ر ن: ابتوك.

[٨] ر ن: ذمّة.

[٩] ر: ابيرك.

[١٠] الصَّيقَل: شحّاذُ السيوف وجلّاؤها، جمعه: صَياقِل، وصَياقِلة. القاموس المحيط للفيروزآبادي، «صقل».

[١١] ر ن – الصَّيقل، اعتمد على السيف يَدوسه بالمِدْوَس، ويقال: ابتَرَك.

[١٢] انظر: الصحاح للجوهري، «برك».

[١٣] ر: والنبات؛ ن: والبيان.

[١٤] ر: التحمّر.

[١٥] ر ن: شبه.

[١٦] الرُّبُّ: ما يُطْبَخ مِن التَّمر، وهو الدِّبْسُ أيضًا. لسان العرب لابن منظور، «ربب».

ويجوز أن يُجعل السَّكَرُ رزقًا حسنًا؛ كأنَّه قيل: "تتَّخذون منه ما هو سَكَرٌ ورزقٌ حَسَنٌ".

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الإيحاءُ إلى النَّحل: إلهامُها، والقَذْفُ في قلوبها، وتعليمُها على وجهٍ هو أعلمُ به لا سبيل لأحدٍ إلى الوقوف عليه، وإلَّا فنِيقَتُها في صَنْعَتِها، ولطفُها في تدبير أمرها، ....

إلى تقدير المضاف في قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ﴾ فما ذكره المصنّف كان مختصًا بما إذا كان التقدير: نسقيكم مِن ثمرات.[1] ويجوز أن يُجعل متعلّقًا بقوله: "وقيل: السَّكَر: الطَّعْم".

قوله: (وإلّا[2] فنِيقتُها)[3] حُذف جزاءُ الشرط لدلالة "فنِيقتُها"...[4] إلخ[5] عليه، أي: وإن لم يكن بالإلهام والقَذف والتعليم فلا يصحّ ولا يتحقّق، أو فكيف يَصحّ ويتحقّق فنِيقتُها،[6] وإن لم يكن الوحي الذي أوحى في شأنها / فنِيقتها...[7] إلخ. [٦٣ظ]
وسُمّيت دَبْرةً لِحُسن تدبيرها في شأنها. تَنوَّقَ في الأمر: تأنّق[8] فيه، وبعضهم لا يقول: تنوَّقَ،[9] والاسم منه النِّيقة، وفي المَثَل: «خَرْقاء[10] ذات نِيقةٍ»،[11] يُضرب للجاهل بالأمر، وهو[12] مع[13] جَهله[14] يَدَّعِي المعرفة.[15]

---

[1] ر: تموات؛ ن: تمرات.
[2] وفي هامش د: أي: وإن لم تُصدِّق ولم تُسلِّم ذلك.
[3] ر: فينفيها؛ ن: فبيقتها.
[4] ر: فينفيها.
[5] ر ن: آخر.
[6] ر: فينفيها؛ ن: فسعها. | وفي هامش د: حَذاقتها.
[7] ر: فينفيها.
[8] ر: بانف.
[9] ر: بيوق.
[10] ر: حرقاء.
[11] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١/٢٣٧.
[12] ر ن: هو.
[13] ر ن: ومع.
[14] ر ن: حمله؛ ن + بدجمله.
[15] الصحاح للجوهري، «نوق».

وإصابتُها فيما يصلحها: دلائلُ بيّنةٌ شاهدةٌ على أن الله أوْدَعها علمًا بذلك وفطَّنها كما أَوْلَى أُولِي العقول عقولَهم.

وقرأ يحيى بن وثابٍ: "إلى النَّحَل" بفتحتين، وهو مذكّر كالنَّخل وتأنيثُه على المعنى.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ هي "أنْ" المفسِّرة؛ لأن الإيحاءَ فيه معنى القولِ.

وقرئ: ﴿بِيُوتًا﴾ بكسر الباء لأَجْل الياء.

و﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمّها: يرفعون من سقوف البيوت، وقيل: ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تتعسَّلُ فيها، والضميرُ في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ للناس.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ وهلَّا قيل: في الجبال وفي الشجر؟

قلتُ: أريد معنى البعضيةِ، وأنْ لا تَبنيَ بيوتَها في كلِّ جبلٍ وكلِّ شجرٍ وكلِّ ما يُعْرَشُ، ولا في كلِّ مكانٍ منها.

و﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ إحاطةٌ بالثَّمَرات ....

قوله: (فيما يُصلحها) الضمير المستتر مِن "يُصلحها" يعود إلى "ما"، والبارزُ المنصوب إلى "النحل". وقوله: (أَولى) أي: أعطى.

قوله: (يرفعون) أي: ما يرفعه الناس مِن سقوف بيوتهم، فإنّ النحل[1] قد تتَّخذ فيها بيوتًا تَتعسَّل فيها.

قوله: (إحاطةٌ) يعني: لا يريد بـ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ جميعَ الثمرات؛ بل الثمرات[2] التي تَجرِسها[3] النحل، فهو مِن الاستغراق العُرفي.[4] قال في المفتاح: «الاستغراق نوعان: عُرفي، وغير عُرفي، فلا بدَّ مِن رعاية ذلك، فالعُرفي نحو قولنا:

---

[1] ر: النخل.
[2] ر: الثمران؛ ن – الثمرات.
[3] ر: يحربها.
[4] ن: العرقي.

التـي تَجْرُسُـها النَّحـل وتعتـادُ أكلَهـا؛ أي: ابْنـي البيـوت ثـمَّ كُلِـي كلَّ ثمـرةٍ تَشْـتَهينَها فـإذا أكلْتِها ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾؛ أي: الطُّـرقَ التـي ألهَمَـكِ وأفهَمـكِ فـي عمـل العسـل.

أو: فاسْلُكِي ما أكلْتِ في سُبُل ربّك؛ أي: في مَسالِكِه التي يُحيلُ فيها بقُدرتـه النَّـوْرَ المُرَّ عسلًا مِن أجوافِكِ ومَنافِذِ مَآكِلِكِ.

أو: إذا أكلتِ الثمارَ في المواضعِ البعيدةِ من بيوتكِ فاسلُكي إلى بيوتكِ راجعةً سُبُلَ ربِّك ....

جمعَ الأمير الصاغة؛ إذا جمعَ صاغةَ بلده أو أطرافِ[١] مَملكته، وغير العُرفي نحو قولنا: الله غفّار الذنوب».[٢]

قوله: (التي تَجرُسها)[٣] أي: تأكلها، والجَرْسُ: أكْلُ النحل؛[٤] لأنّها تُصوِّت[٥] عند الأكل. وسمِّيت النحل الجَوارِسُ.[٦]

قوله: (أي: الطُّرُقَ)... إلخ، فعلى هذا يكون ﴿فَٱسْلُكِي﴾ لازِمًا مِن السلوك.

قوله: (أو فاسلُكي ما أكلْتِ) يُشير إلى أنّ ﴿فَٱسْلُكِي﴾ يكون متعدّيًا مِن السَّلْك. يقال: "اسلُك يدَكَ في جَيبك"،[٧] أي: أَدخِل.

قوله: (أي: في مسالكه التي يُحيل) كأنّ النُّور المُرَّ يحصل له أنواع مِن الهَضم في تلك المسالك حتى يصير عسَلًا، كما يصير الطعام الذي يأكله سائر الحيوانات بسبب أنواع الهَضم دَمًا. وقوله: "يُحيل" أي: يُحيل اللهُ تعالى، أي: يُغيّر. وقوله: (النَّور) زَهر الشجرة والنباتات،[٨] يقال: أنارَت الشجرة،[٩] أي: أخرجَت زهرَها. وقوله: (مِن أجوافك)[١٠] بيان "مسالِكِه".

---

١ ن: أطرف.

٢ مفتاح العلوم للسكّاكي، ٢١٦/١.

٣ ر ن: يحرشها.

٤ ر: النخل.

٥ ر ن: تصوب.

٦ انظر: الصحاح للجوهري، «جرس».

٧ منه قوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ [القصص ٣٢/٢٨].

٨ ر: والبيانات.

٩ د: الشجر.

١٠ ر: اخوافك.

لا تَتَوعَّرُ عليكِ ولا تَضِلِّين فيها، فقد بلغَني أنَّها ربَّما أجَدَبَ عليها ما حَوْلها فتُسافِرُ إلى البلد البعيد في طلب النُّجْعة.

أو أراد بقوله: ﴿ثُمَّ كُلِي﴾: ثم اقصِدِي أكلَ الثمرات ﴿فَٱسْلُكِي﴾ في طلبها في مظانِّها ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾.

﴿ذُلُلًا﴾: جمع ذَلول، وهي حالُ من السُّبل؛ لأن الله ذلَّلها لها ووطَّأها وسَهَّلها؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك ١٥/٦٧]، أو من الضمير في ﴿فَٱسْلُكِي﴾؛ أي: وأنتِ ذُللٌ منقادةٌ لِمَا أُمِرْتِ به غيرُ ممتنعةٍ.

﴿شَرَابٌ﴾ يريد العسل؛ لأنه مما يُشرَبُ ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ منه أبيضُ وأصفرُ وأحمرُ وأسودُ.

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ لأنه من جملةِ الأشفِيَة والأدوِيَة المشهورة النافعة،

قوله: (لا تَتوعَّرُ) أي: لا تَتخَشَّن.

قوله: (أجدَبَ)[١] أي: صار جَدْبًا[٢] لا نباتَ فيه.

قوله: (في طلب النُّجْعة) مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ. قال في الصحاح: «النُّجْعة -بالضمّ-: طلب الكلأ في موضعه، تقول[٣] منه: انتجَعتُ، وانتَجَعتُ فلانًا؛ إذا أتيتَه تطلب مَعروفه».[٤] وقال في المُغرب:[٥] «النُّجْعة: اسم مِن الانتِجاع؛ وهو طلَب الكلأ، ومنه: أبعَدتُ في النُّجْعة، و'مَن أجدَبَ جَنابُه انتجَعَ'».[٦]

قوله: (فاسلُكي في[٧] طلَبها) أي: فاسلُكي مِن بيوتك، وعلى الوجه المتقدّم: إلى بيوتك.[٨]

---

١ ر: احدب.

٢ ر: حدبًا؛ ن: حدنا.

٣ ر: يقول.

٤ الصحاح للجوهري، «نجع».

٥ ر: المعرب.

٦ المُغرب للمطرّزي، «نجع». وقوله: «مَن أجدَبَ جَنابُه انتجَعَ» مَثَل يُضرب في طلب المال عند الافتقاد. انظر: المستقصى للزمخشري، ٣٥٢/٢.

٧ ر – في.

٨ وفي هامش د: قوله: (وتنكيره إمّا لتعظيم)... إلخ فعلى الوجه الأوّل التنكير للتعظيم، وعلى الثاني للتقليل؛ لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة ٧٢/٩]، ومعنى التقليل أنّه شفاء في بعض الأدواء، لا أنّه يُشفَى به كلّ عَليل.

وقلَّ معجونٌ من المعاجين لم يَذكُرِ الأطباءُ فيه العسلَ، وليس الغرضُ أنه شفاءٌ لكلِّ مريضٍ كما أنَّ كلَّ دواءٍ كذلك.

وتنكيرُه إما لتعظيمِ الشفاء الذي فيه؛ أو لأن فيه بعضَ الشفاء، وكلاهما محتملٌ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أن رجلًا جاء إليه فقال: "إنَّ أخي يشتكي بطنَه" فقال: «اسْقِهِ العسلَ» فذَهب ثم رَجَع فقال: "قد سقيتُه فما نَفَعَ" فقال: «اذهَبْ واسقِهِ عَسَلًا، فقد صَدَق الله وكَذَبَ بطنُ أخيكَ» فسَقاه فشَفَاه اللهُ فبَرَأَ كأنما أُنشِطَ من عِقَال.

وعن عبد الله بن مسعود: العسلُ شفاءٌ من كلِّ داءٍ، والقرآنُ شفاءٌ لِمَا في الصدور، فعليكم بالشفاءين: القرآنِ والعَسَل.

ومن بِدَعِ تأويلاتِ الرافِضَة: أن المراد بالنَّحْل عليٌّ وقومُه.

وعن بعضهم أنه قال عند المَهدِيِّ: "إنما النَّحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلمُ!" فقال له رجلٌ: ....

قوله: («كذَبَ بطنُ[1] أخيك»)[2] أي: أخطَأَ الدواءَ فلم يُصِب حظَّه منه. وإنّما أمَرَه بشُرب العسَل عن الاستطلاق؛ لعلمه بأنّ الاستطلاق كان مِن فَضْلةٍ بَلغَميّة، فاحتاج معَها إلى شرب العسَل مرّةً بعد أخرى، حتّى يُسهِلَ ما بقي مِن ذلك.

قوله: (كما[3] أُنشِطَ مِن عِقال) الأُنشُوطة: عُقدة يَسهُل انحِلالها مثل عُقدة التِّكّة، يقال: ما عِقالك بأُنشوطة، أي: ما مَودّتك بواهية. قال أبو زيد: «نَشَطتُ الحبلَ أَنشُطُه نَشْطًا -عَقَدتُه- أُنشُوطةً، وأنشَطتُه: حَلَلتُه، يقال: كأنّما أُنشِط مِن عِقال.[4]

قوله: (وعن بعضهم أنّه قال عند المهدي)... إلخ وكأنّ المصنّف عَفا الله عنه أراد بإيراد هذه الحكاية الشنيعة الغيرِ اللائقةِ بالتفاسير / الردَّ على الرافضة [٦٤و]

---

[1] ر: يظن.

[2] صحيح البخاري، ١٢٣/٧ (٥٦٨٤)؛ صحيح مسلم، ١٧٣٦/٤ (٢٢١٧).

[3] في مطبوع الكشّاف: كأنّما.

[4] ر ن - قوله: (كما أُنشِطَ مِن عِقال) الأُنشُوطة: عُقدة يَسهُل انحِلالها، مثل عُقدة التِّكّة، يقال: ما عِقالك بأُنشوطة، أي: ما مَودّتك بواهية، قال أبو زيد: «نَشَطتُ الحبلَ أَنشُطُه نَشْطًا -عَقَدتُه- أُنشُوطة، وأنشَطتُه: حَلَلتُه، يقال: "كأنّما أُنشِط مِن عِقال". | الصحاح للجوهري، «نشط».

"جعلَ الله طعامكَ وشرابكَ مما يخرج من بطونهـم"، فضحك المهديُّ وحدَّث به المنصورَ فاتَّخذوه أُضحوكةً من أضاحيكهم.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٧٠﴾

﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: إلى أَخسِّه وأَخقرِه، وهو خمسٌ وسبعون سنةً عن عليٍّ رضي الله عنه، وتسعون سنةً عن قتادةَ؛ لأنه لا عُمرَ أسوأُ حالًا من عُمرِ الهَرِم.

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: ليَصِيرَ إلى حالةٍ شبيهةٍ بحالِ الطُّفولة في النسيان، وأنْ يعلمَ شيئًا ثم يُسرعُ في نسيانه فلا يعلمُه إنْ سُئل عنه.

وقيل: لئلا يَعْقِلَ من بعدِ عقله الأوَّل شيئًا.

في إبداعهم هذا التأويلَ البديع برأيهم تعظيمًا لعليّ، وهو رضي الله عنه لا يرضى بهذا التأويل وأمثالِه، لِعُلوِّ مَرتَبته، وارتفاعِ منزلته في العلم والدِّين.

وأقسِمُ بالله لَنحن أحبُّ لعليّ كرّم الله وجهه مِن الرافضة الغُلاة،[1] كما أنَا أحبُّ لعيسى مِن النصارى الغُواة. أحسَنُ ما يُطلب النجاةُ به القصدُ، وعند التعمُّقِ الزلَلُ.[2]

قوله: (وأن يعلم شيئًا ثمّ يُسرِع) عطفٌ على "حالة"، وهو مِن العَطف الذي يكون للبيان، أي: يصير نسَّاءً سريعَ النسيان.

سأل السيرافي شيئًا مِن جاريته، فجاءته به، وقالت له: «خذه»، فقال لها: «لمَ جِئتِ به؟»، فقالت: «سألتَنِيه»، فقال: «أَهو كذلك؟»، فقالت: «نعم»، وكان قاضيًا مفتيًا أربعين سنةً، فقصد دار الخِلافة[3] واستَعفى، وقال: «صِرت[4] نَسَّاءً فلم أصلُح للقضاء». بخطّ أبي حنيفة.

قوله: (مِن بعد عقله الأوّل) أي: يزول عقله فيصير خَرِفًا.[5]

---

[1] ر: العلاة.
[2] ن: الرلل.
[3] ن: الحلاقة.
[4] ن: صرف.
[5] ر: خوفًا.

وقيل: لئلا يعلمَ زيادةَ علمٍ على عِلْمِه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

أي: جعلكم متفاوِتِينَ في الرّزق، فرَزَقكم أفضلَ مما رَزَقَ مماليكَكُم وهم بشرٌ مثلُكم وإخوانُكم، فكان ينبغي أن تردُّوا فضلَ ما رُزِقتُموه عليهم حتى تتساوَوْا في الملبَس والمطعَم؛ كما يُحكى عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنه سمِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما هم إخوانُكم فاكْسُوهم ممَّا تَلْبَسون وأطعِموهم مما تَطْعَمون» فما رؤي عبْدُه بعد ذلك إلّا ورِداؤه رداؤه وإزارُه إزارُه من غيرِ تفاوتٍ.

قوله: (لئلّا يعلمَ زيادة) أي: لا يزيد علمه.

قوله: (فكان ينبغي أن تردّوا)[١] "ينبغي" مطاوِع "بَغَى" بمعنى "طلَبَ"، يقال: بَغَيْتُه فانبَغَى، أي: طلَبته[٢] فحَصَلَ المطلوب.[٣] وقوله: (فضلَ ما رزقتموه) فيه إشارة إلى أنّ تقدير ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾: برادِّي فضلِ رِزقهم، على حذف المضاف. وقوله: (كما يُحكى) صفة مصدر "تردُّوا"، وفيه حذف،[٤] أي: فكان حقّكم أن تردّوا ردًّا مثلَ ردِّ أبي ذرّ على عبده وقت الحكاية عنه أنّه سمع هذا الحديث. والمراد بوقت حكايته أوقاتُه بعد سماع هذا الحديث، ثمّ بيّن كيفيّة ردِّه بقوله: (فما رُؤي)، أي: فما رأى أحد عبدَ أبي ذرّ بعد سَماعه هذا الحديث إلّا على هذه الحال، وهي أنّ رِداءه مِثلَ رداء أبي ذرّ،[٥] فحذف حرف التشبيه للمبالغة، ثمّ أكّد ذلك بقوله: (مِن غير تفاوت).

في هذا نظر؛ لأنّه يلزم منه أن يكون هذه الحكاية مِن جملة تفسير الآية وتتمَّته.

قوله: (فما رُؤي عبدُه) الصواب أنّه عطفٌ على (سمع)، وأنّ قوله: "كما يُحكى" خبر مبتدأ محذوف، وهو ابتداء كلام مِن المصنِّف، أي: هذا الردّ مثلُ ما يُحكى.

---

[١] وفي هامش د: اعلم أنّ هذه الحاشية لا تناسب هذا المقام.

[٢] ر ن: طلب.

[٣] انظر: الصحاح للجوهري، «بغي».

[٤] ن: وفيصرف.

[٥] د ر ن – بعد سَماعه هذا الحديث إلّا على هذه الحال، وهي أنّ رِداءه مِثلَ رداء أبي ذرّ [صح في هامش د].

﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ فجعلَ ذلك من جملةِ جحودِ النِّعمة.

وقيل: هو مَثَلٌ ضربَه الله للَّذين جَعلوا له شركاء فقال لهم: أنتم لا تُسوُّون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمتُ به عليكم ولا تَجعلونَهم فيه شركاءَ ولا تَرضَوْنَ ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتُم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء؟

وقيل: المعنى: أن المواليَ والمماليكَ أنا رازقُهم جميعًا فهم في رزقي سواءٌ، فلا تحسبنَّ المواليَ أنَّهم يردُّون على مماليكهم من عندهم شيئًا من الرزق، فإنما ذلك رزقي أُجريهِ إليهم على أيديهم.

وقرئ: ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ بالياء والتاء.

قوله: (فجعلَ ذلك مِن جملة) فجعَل الله تعالى عدمَ الردّ جحودَ النعمة؛ وذلك لأنّ الردّ كان واجبًا عليهم شكرًا لهذه النعمة. فإذا لم يَردّوا فقد كفروا النعمة، فذكر الجحود، وأراد كفرانَ النعمة؛[1] لأنّ الجحود مستلزم للكُفران.[2]

قوله: (ولا تَرضون[3] ذلك) أي: التسويةَ والشركةَ.[4]

قوله: (وقيل: المعنى: أنّ الموالي) وعلى هذا الوجه يكون ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ متعلِّقًا بقوله: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ﴾... إلخ، فكأنّه قيل: هم لا يَردّون؛ بل أنا أرزق الجميع. وعلى الوجهين الأوّلَين كان متعلِّقًا بـ"رادّي"، فتأمل. ومعنى ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ على هذا[5] الوجه ظاهر، أي: يَجحدون أنّ النعمة مِن الله، ويَحسبون[6] أنّها مِن عندهم، فهم يَردّونها على عبيدهم.[7]

---

١ ر + فذكر الجحود، وأراد كفرانَ النعمة.

٢ وفي هامش د: قوله: (وقيل: هو مَثَل) أي: قوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ استعارة تمثيليّة؛ شُبّه حال المشركين بحال المُنكرين لِنعمة الله، والجامع كونُ كلّ منهما يدّعي دعوى باطلة.

٣ ر: يوضون.

٤ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ جملة واقعة موقعَ جواب النفي، وتقديره: فما الذين فضِّلوا برادّي رِزقهم على ما ملكَت أيمانهم فيستَووا مع عبيدهم في الرِّزق.

٥ ر ن – هذا.

٦ ر: ويحسنون.

٧ وفي هامش د: قوله: (مِن جِنسكم)... إلخ على الوجه الأوّل مِن قَبيل تعميم الخاصّ؛ لأنّ المراد بالنفس الشخصُ، فحُذف الشخص، وبقي القَدر المشترك، وهو النوع أو الجنس. وعلى الوجه الثاني كأنّه استعارة؛ جُعل كلّهم بمنزلة الآدم، والآدم روحه مِن نفسه، والجامع الاتّصال.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾

﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾: من جنسِكم. وقيل: هو خَلْقُ حوّاء من ضِلَعِ آدم.

و"الحفَدة": جمعُ حافد، وهو الذي يَحفِدُ؛ أي: يُسرِع في الطاعة والخِدمة، ومنه قولُ القانت: «وإليك نَسعى ونَحْفِدُ»، وقال:

قوله: (ومنه قول القانت) اسم فاعل مِن القُنوت؛ وهو الطاعة والدعاء والقيام في قوله عليه السلام: «أفضل الصلاة طولُ[١] القُنوت»، والمشهور[٢] الدعاء، وهو المراد هنا. وقولهم: "دعاء القُنوت" إضافة بيان؛ وهو: «اللّٰهمّ إنّا نستعينك،[٣] [٦٤ظ] / ونستغفرك، ونؤمِن بك، ونتوكّل عليك، ونُثني عليك الخير، ونشكرك، ولا نكفُرك، ونخلَع ونترك مَن يَفجُرك، اللّٰهمّ إيّاك نعبد، ولكَ نصلّي ونسجد، وإليك نسعَى ونَحفِد، نرجُوا[٤] رحمتَك، ونخشى عذابَك، إنّ عذابَك بالكفّار مُلحِق».[٥]

والمعنى: يا الله نطلب[٦] منك العَون على الطاعة وتركِ[٧] المعصية، ونطلب المغفرة للذنوب. و"نُثني" مِن الثناء، وهو المدح. وانتصاب "الخيرَ" على المصدر. و"الكفر" نقيض الشكر، وقولهم: "كفرتُ فلانًا" على حذف المضاف، والأصل: كفرتُ نعمتَه. و"نخلَعُ" مِن "خَلَعَ الفرَسُ رسَنَه"؛ إذا ألقاه وطرَحَه، والفعلان موجَّهان إلى "مَن". و"يَفجرك":[٨] يعصيك[٩] ويخالفك.[١٠] والسعي:

---

[١] ر ن: أطول؛ ن + الطاعة والدعاء والقيام.
[٢] ن: والمسهو.
[٣] ن: نستعيك.
[٤] د: نرجو.
[٥] وهو دعاء القنوت المرويّ عن عمر رضي الله عنه. انظر: مصنّف عبد الرزّاق، ١١٠/٣ (٤٩٦٨)؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ١٥٣/٤ (٣١٨٦). وممّا صحّ في القنوت كذلك ما رواه الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: علّمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلماتٍ أقولهنّ في قنوت الوتر: «اللّٰهمّ اهدِني فيمَن هَديتَ، وعافني فيمَن عافيتَ، وتولَّني فيمَن تولّيتَ، وبارِك لي فيما أعطيتَ، وقِني شرَّ ما قَضيتَ، إنّك تقضي ولا يُقضَى عليك، وإنّه لا يذِلّ مَن والَيتَ، تباركتَ ربّنا وتعالَيتَ». سنن أبي داود، ٥٦٤/٢ (١٤٢٥)؛ سنن الترمذي، ٥٨٧/١ (٤٦٤)؛ سنن النسائي، ٢٤٨/٣ (١٧٤٥).
[٦] ن – نطلب.
[٧] ر: ونترك.
[٨] ر: ونفجرك.
[٩] ر: نعصيك.
[١٠] ر ن: ونخالفك.

حَفَد الولائدُ بينهنَّ وأُسْلِمَتْ   بأكُفِّهنَّ أزِمَّةُ الأجْمالِ

واختُلف فيهم:

فقيل: هم الأَخْتانُ على البنات.

وقيل: أولادُ الأولاد.

وقيل: أولادُ المرأة من الزَّوج الأوَّل.

وقيل: المعنى: وجَعل لكم حَفَدةً؛ أي: خَدَمًا يَحْفِدون في مصالحكم ويُعينونكم.

ويجوز أن يراد بالحفَدة: البنون أنفسُهم؛ كقوله: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾؛ كأنه قيل: وجعل لكم منهنَّ أولادًا هم بنونَ، وهم حافدون؛ أي: جامعون بين الأمرَيْن.

الإسراع في المشي. و"نحْفِد"، أي: نعمل بطاعتك، مِن الحَفْد، وهو الإسراع في الخِدمة. و"ألحَقَ" بمعنى لَحِقَ، ومنه: "إنَّ عذابك بالكفَّار مُلحِق"، أي: لاحِق، هكذا نُقل عن الكسائي. وقيل: المراد: مُلحِق بالكفَّار غيرَهم، وهذا أوجَه للاستئناف[1] الذي معناه التعليل.[2]

قوله:

(حفَدَ[3] الولائدُ)... البيتَ[4]

يقول: إنَّ الإماء يُسرِعنَ بينهنَّ وأزِمّة الجِمال أُسلِمت بأكفّهنّ. يريد أنّهنّ متنعِّمات مَخدومات ذواتُ الإماء والأجمال. يصِفُ النساءَ المنعَّمات. أي: حفَدَ[5] الجواري بين النساء.

قوله: (واختلف فيهم) أي: في "الحفَدة".

قوله: (وقيل: المعنى: وجعل لكم حفَدة) فلا يتعلَّق بقوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُم﴾، فكأنّه قال: وجعل لكم مِن أزواجكم بَنينَ، وجعلَ لكم حَفَدة.

---

[1] ن: الاستئناف.

[2] المُغرب للمطرّزي، «قنت».

[3] ر: حقد.

[4] للأخطل في غريب الحديث لأبي عبيد، ٣/٣٧٤، ولم أجده في ديوانه.

[5] ن: حدف.

﴿مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يريد: بعضَها؛ لأن كلَّ الطيّبات في الجنّة، وما طيّباتُ الدنيا إلّا أُنموذجٌ منها.

﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ وهو ما يعتقدون من منفعةِ الأصنام وبركتِها وشفاعتها، وما هو إلّا وهمٌ باطلٌ لم يتوصّلوا إليه بدليلٍ ولا أَمارَةٍ، فليس لهم إيمانٌ إلّا به كأنّه شيء معلوم مستَيْقَنٌ، ونعمةُ الله المشاهدةُ المعاينةُ التي لا شبهةَ فيها لذي عقلٍ وتمييزٍ هم كافرون بها منكرون لها كما يُنكَرُ المحالُ الذي لا تتصوَّره العقولُ.

قوله: (إلّا أُنْمُوذَج) النَّموذَج -بالفتح- والأُنْمُوذَج -بالضمّ- تعريب "نَمُوذَه".[١]

قوله: (﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾) فسّر الباطلَ بما يعتقِدونه، وحذف العائد إلى "ما"، ثمّ بيّن ما يعتقدون بقوله: (مِن مَنفعة)، فالمراد بـ"الباطل" منفعة الأصنام وبرَكتُها[٢] وشفاعتُها. ثمّ قال: وليس هذا المعنى -وهو كونها نافعة شافعة ذاتَ برَكة- إلّا وَهمًا باطلًا. وبيّن بطلانَها بأن ليس عليه دليل ولا أَمارة،[٣] ولو كان حقًّا لَنَصَب الله تعالى عليه دليلًا أو أَمارة.[٤] ثمّ قال: "فليس" مشيرًا[٥] إلى أنّ التقديم أفادَ الحَصر،[٦] أي: بعد ما تبيّن وظهَر أنّ جميع الرزق والمنفعة منه تعالى، ولا منفعةَ في معبوديهم، فهؤلاء[٧] لم يؤمنوا إلّا بذاك الباطل، فكأنّ ذلك الباطل حقٌّ حيث لم يؤمنوا إلّا به. وقوله: (لم يَتوصّلوا) بيان كونه باطلًا. وقوله: (كأنّه شيء) متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (إلّا به)؛ لأنّه في معنى يؤمنون به مشبَّهًا بالمعلوم المستيقَن عندهم.

قوله: (ونِعمةُ[٨] الله) مبتدأ، وخبره (هم كافرون) لَمّا ذُكر قوله: ﴿بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ في مقابَلة قوله: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾ عُلم أنّ المراد بها المعلوميّة التي لا شُبهةَ فيها.

---

١ ر ن: نموده. | المُغرب للمطرّزي، «نمذج».
٢ ر: وتركتها.
٣ ر ن: والإمارة.
٤ ر: وأمارة.
٥ ر: مشير.
٦ ن: الصحر.
٧ ر: فهوالا.
٨ ر ن: وانعمه.

وقيل: الباطل: ما يُسوِّل لهم الشيطانُ من تحريم البَحيرة والسائبة وغيرهما، ونعمةُ الله: ما أحلَّ لهم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٧٣﴾

الرزقُ يكون بمعنى المصدرِ وبمعنى ما يُرزَق، فإنْ أردتَ المصدرَ نصبتَ به ﴿شَيْـًٔا﴾ كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ... مِسْكِينًا﴾ [البلد ٩٠/١٤-١٦] على: لا يملك أن يَرزقَ شيئًا، وإن أردتَ المرزوقَ كان ﴿شَيْـًٔا﴾ بدلًا منه بمعنى: قليلًا، ويجوز أن يكون تأكيدًا لِـ﴿لَا يَمْلِكُ﴾؛ أي: لا يملك شيئًا من الملك.

و﴿مِنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ صلةٌ للرزق إن كان مصدرًا، بمعنى: لا يَرزُق من السماوات مطرًا ولا من الأرض نباتًا، ....

قوله: (والسائبة) "السائِبة": الناقة التي تُسيَّب في الجاهليّة لنَذرٍ ونحوه.[١] يقال: بَحَرتُ أُذُنَ الناقة؛ شقَقتُها[٢] وخَرقتُها.[٣] قال الفرّاء: «هي / ابنة السائبة».[٤] [٦٥و]

قوله: (ما أحلَّ لهم) لمّا كان "الباطل" على هذا الوجه ما يُسوِّل الشيطان -وهو التحريم- فالمناسب أن يكون المراد بـ"نِعمة الله" إحلالَ الله، فالوجه أن نقول: "ما" في قوله: "ما أحلَّ" مصدريّة، أي: إحلالُ[٥] الله، أو نقول: "مِن" متعلِّق بـ"سُوِّل" لا للبيان، أي: ما سُوِّل مِن أجل التحريم، وهو المُحرَّم، فالنِّعمة ما أحلّه الله.

قوله: (على لا يَملِك) أي: على معنى: لا يَملِك.

قوله: (ويجوز أن يكون[٦] تأكيدًا) أي: لا يَملِك مِلكًا شيئًا. فيكون صفةَ مصدر محذوف للتأكيد.

---

١ الصحاح للجوهري، «سيب».

٢ ر: سقفتها.

٣ ر: وحرقتها.

٤ الصحاح للجوهري، «بحر».

٥ ر: إجلال.

٦ وفي هامش د: أي: ﴿شَيْـًٔا﴾.

أو صفةٌ إن كان اسمًا لِمَا يُرزق.

والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لـ﴿مَا﴾؛ لأنه في معنى الآلهة بعد ما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ على اللفظ، ويجوز أن يكون للكفار، يعني: ولا يستطيعُ هؤلاء مع أنهم أحياءٌ متصرِّفون أولو ألبابٍ من ذلك شيئًا، فكيف بالجَماد الذي لا حسَّ به؟

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ وهل هما إلَّا شيء واحدٌ؟

قوله: (إن كان[١] اسمًا) أي: إن كان "الرِّزقُ".

قوله: (لِـ﴿مَا﴾) أي: في ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ باعتبار المعنى. وقوله: (بعدَ ما قيل) ظرف لقوله: "لِـ﴿مَا﴾"، أي: الضمير حصلَ أو استقرّ[٢] لِـ﴿مَا﴾ بعدَ قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾، فكأنّه قيل: اعتُبر معنى ﴿مَا﴾ في[٣] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بعدَ ما اعتُبر لفظه في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾، فقوله: "بعدَ"[٤] في مقابلة "لِـ﴿مَا﴾"، وقوله: "على اللفظ" في مقابلة "لأنّه"... إلخ، فكأنَّه قال: الضمير في ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يعود إلى[٥] ﴿مَا﴾ باعتبار معنى ﴿مَا﴾،[٦] وفي ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ يعود إلى ﴿مَا﴾ باعتبار لفظِه.

قوله: (ويجوز أن يكون للكفّار) وعلى هذا الوجه الواو للحال، أي: والحال أنّهم لا يستطيعون شيئًا مِن ذلك. وفي كون الواو للحال[٧] نظر، والصواب أن يقال: إنّه جملة معترِضة لتأكيد نفي الاستطاعة عن الآلهة.[٨]

قوله:[٩] (أحياء)... إلخ أخبار لـ"أنّ".[١٠]

قوله: (فإن قلتَ: ما معنى قوله) هذا السؤال على تقدير أن يكون الضمير لِـ﴿مَا﴾.

---

١ ر ن – إن كان.
٢ ر: استفز.
٣ ر ن – في.
٤ ن: بعده.
٥ ن – إلى.
٦ ر – ما.
٧ ر – أي: والحال أنّهم لا يستطيعون شيئًا مِن ذلك، وفي كون الواو للحال.
٨ ن: الأهلة.
٩ ر + أو.
١٠ وفي هامش د: قوله: (مِن ذلك شيئًا) "شيئًا" مفعول "لا يستطيع"، و"مِن ذلك" بيانيّة، و"ذلك" إشارة إلى الرِّزق.

قلتُ: ليس في "لا يستطيعون" تقديرُ راجعٍ، وإنما المعنى: لا يملكون أن يَرزقوا، والاستطاعةُ مَنفيَّةٌ عنهم أصلًا؛ لأنهم مَوَاتٌ، إلَّا أن يُقدَّر الراجعُ ويُرادَ بالجمع بين نَفْيِ المِلْك والاستطاعةِ التوكيدُ، أو يرادَ: أنهم لا يملكون الرزقَ ولا يمكِنُهم أن يملِكُوه، ولا يتأتَّى ذلك فيهم ولا يستقيمُ.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ....

قوله: (قلتُ: ليس في ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾) توجيه الجواب أن يقال: هما ليسا في معنًى واحد؛ لأنّه لا يقدَّر في ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ضمير، إلّا أن يقدَّر فيه ضمير مفعول، فيكونان في معنًى واحد، وحينئذ يكون المراد بجمعهما التوكيد، أو لا يكونان بمعنًى واحد؛ لأنّ المراد بعدم الاستطاعة أنّه لا يُمكنهم أن يَملِكوه، فلا يكونان في معنًى واحد أيضًا على تقدير الراجع.

وقوله: (تقديرُ راجعٍ) أي: ضمير مفعول، وإنّما عبّر[١] عنه بقوله: "راجع"؛ لأنّه لو كان ضميرَ مفعول لَكان راجعًا إلى "الرزق". وقوله: (إلّا أن يقدَّر الراجع) استثناء مفرَّغ مِن أعمّ عامّ الحال أو الظرف، أي: ليس فيه تقديرُ راجعٍ في حال أو في وقت مِن الأوقات إلّا في حالٍ أو في وقتٍ[٢] تقديرِ[٣] الراجع وإرادةِ التوكيد، أو في حالٍ أو في وقتٍ تقديرِ الراجع وإرادةِ عدمِ المِلك وعدمِ إمكان المِلك. وقوله: (أو يُراد[٤] أنّهم) على الوجه الثاني. وقوله: (لا يَملكون الرزق) هو معنى ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾. وقوله: (ولا يمكنهم) مِن هنا إلى آخره معنى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.[٥]

---

[١] ن: غبّر.
[٢] ر ن – مِن الأوقات إلّا في حالٍ أو في وقت.
[٣] ر: تغدير.
[٤] ن: يقال.
[٥] ر ن – وقوله: (ولا يمكنهم) مِن هنا إلى آخره معنى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

تمثيلٌ للإشراك بالله والتشبيهِ به؛ لأن مَن يَضرب الأمثالَ مشبّهٌ حالًا بحالٍ وقصّةً بقصّةٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كُنْهَ ما تفعلون وعِظَمَه، وهو معاقِبُكم عليه بما يوازيهِ في العِظَم؛ لأن العقاب على مقدار الإثم.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ كُنْهَهُ وكُنْهَ عقابه، فذاك هو الذي جرَّكم إليه وجرّأكم عليه، فهو تعليلٌ للنهي عن الشرك.

قوله: (تمثيل للإشراك[١] بالله)[٢] حذف المصنّف[٣] مِن كلامه المُمثَّلَ به، أي: تمثيل الإشراك بضرب المَثل، فقولنا: "بضَرب المَثَل" هو المُمثَّل به[٤] المحذوف مِن كلامه، وذكر صفة الإشراك والتشبيه، وهو ظاهر، يعني أنّ المراد بقوله: ﴿لَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: لا تُشرِكوا بالله شيئًا، ولا تُشبِّهوا أحدًا به؛ بطريق الاستعارة،[٥] ووجهه[٦] أنّ[٧] الإشراك بالله تعالى / شُبّه بضَرب[٨] المَثل له، ثمّ قيل: ﴿لَا تَضْرِبُوا۟﴾، [٦٥ظ] وأُريدَ: لا تُشركوا، فيكون استعارة تبعيّة. وإنّما قال: "تمثيل"؛ لأنّ الاستعارة فرع التشبيه. أشار المصنِّف إلى وجه التشبيه بقوله: (لأنّ مَن يضرِب)...

قوله: (كُنْهَه) أي: كُنْهَ ما تفعلون[٩] وكُنْهَ عقابِ ما تفعلون،[١٠] أي: العقابِ الذي تَستحقّون[١١] على ما تفعلون.[١٢] وقوله: (فذاك) أي: عدمُ عِلمكم. وقوله: (إليه) أي: إلى ما تفعلون. وقوله:[١٣] (فهو تعليل) أي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

---

[١] ن: الإشراك.

[٢] وفي هامش د: يعني: قيل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾، وأُريدَ: لا تشركوا أو لا تشبّهوا به شيئًا؛ على سبيل الاستعارة التمثيليّة، دون الاستعارة التبعيّة.

[٣] ر: الصنف.

[٤] ر – أي: تمثيل الإشراك بضرب المَثَل، فقولنا: "بضَرب المَثَل" هو الممثَّل به.

[٥] وفي هامش د: يعني: استعارة تمثيليّة؛ شُبّه حال المشركين بحال مَن يضرب مَثلًا، والجامعُ كون كلٍّ منهما مشبّهًا حالًا بحال، وقصّةً بقصّة.

[٦] ر ن: ووجه.

[٧] ر ن – أنّ.

[٨] ر ن: يضرب.

[٩] ر ن: يفعلون.

[١٠] ر ن: يفعلون.

[١١] ر ن: يستحقون.

[١٢] ر ن: يفعلون.

[١٣] ر ن: فقوله.

ويجوز أن يراد: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ كيف تُضرب الأمثالُ ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، ثم عَلَّمَهم كيف تُضربُ فقال: مَثَلُكم في إشراكِكُم بالله الأوثانَ مَثَلُ مَن سوَّى بين عبدٍ مملوكٍ عاجزٍ عن التصرُّف وبين حُرٍّ مالكٍ قد رَزَقه الله مالًا فهو يتصرَّف فيه ويُنفِقُ منه كيف يشاء.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ وكلُّ عبدٍ مملوكٌ غيرُ قادر على التصرُّف؟

قلتُ: أمَّا ذكرُ المملوك فلِيُميِّزَ من الحُرِّ؛ لأن اسم العبدِ يقع عليهما جميعًا؛ لأنهما من عباد الله، وأمَّا ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ فلِيُجعَلَ غيرَ مكاتَبٍ ولا مأذونٍ له؛ لأنهما يَقْدران على التصرُّف.

واختلفوا في العبد: هل يصحُّ له مِلْكٌ؟ والمذهبُ الظاهرُ أنه لا يصحُّ له.

فإن قلتَ: ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾ ما هي؟

قلتُ: الظاهرُ أنها موصوفةٌ؛ ....

قوله: (ويجوز أن يُراد) وعلى هذا المرادُ بضَربِ[١] المَثَل بيانُ الشَّبَه والصفة العجيبة الشأن، كما في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾. فيه نظر.[٢]

قوله: (ثمّ علَّمَهم) أي: علَّمَهم جواب كيف تُضرَب[٣] الأمثال. وقوله: (فقال: مَثَلُكم) أي:[٤] صِفتكم العجيبة الشأن[٥] مِثلُ مَثَلِ -أي: صفةِ- مَن سَوَّى...، ففي كلام المصنِّف حذف؛ لأنّه حذفَ كلمةَ التشبيه.

قوله: (وأمّا ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾) أي:[٦] وأمّا ذِكر ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾.

قوله: (قلتُ: الظاهر أنّها موصوفة) لتكون[٧] نكرة.[٨]

---

[١] ر: يضرب.

[٢] وفي هامش د: قوله: (ويجوز أن يُراد) وجه بـ"إنّ"، متعلّق بـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، وليس متعلّقًا بقوله: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾.

[٣] ر: يضرب.

[٤] ر: أو.

[٥] ن: الشكل.

[٦] ر – أي.

[٧] ن: ليكون.

[٨] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا﴾ أي: مِن عِندنا، ومِن قِبَلِنا، ومِن جِهَتِنا.

كأنَّه قيل: "وحرًّا رزقناه"؛ ليطابقَ ﴿عَبْدًا﴾، ولا يَمتنِعُ أن تكون موصولةً.

فإن قلتَ: لمَ قيل: ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾ على الجمع؟

قلتُ: معناه: هل يستوي الأحرارُ والعبيد؟

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

"الأَبكمُ": الذي وُلدَ أخرسَ فلا يَفهَمُ ولا يُفهِم.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾؛ أي: ثِقلٌ وعِيَالٌ على مَن يلي أمرَه ويَعُولُه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: حيثُما يُرسِلُه ويُصرِّفُه في مَطْلبِ حاجةٍ أو كِفايةِ مُهِمٍّ لم يَنفعْ ولم يأتِ بنُجحٍ.

﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن﴾ هو سليمُ الحواسِّ نفَّاعٌ ذو كفاياتٍ مع رشدٍ وديانةٍ فهو ﴿يَأْمُرُ﴾ الناسَ ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ والخير ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: على سيرةٍ صالحةٍ ودِينٍ قويم.

وهذا مَثَلٌ ثانٍ ضَربَه لنفسه ولِمَا يُفِيضُ على عباده ويَشمَلُهم من آثار رحمته وألطافه ونِعمه الدينيَّة والدنيويَّة، وللأصنام التي هي أمواتٌ لا تَضرُّ ولا تنفع.

وقرئ: "أينما يُوجِّهْ" بمعنى: أينما يتوجَّهْ، من قولهم: "أينما أُوَجِّهْ ألقَ سَعْدًا".

وقرأ ابنُ مسعود: "أينما يُوَجَّهْ" على البناء للمفعول.

قوله: (فإن قلتَ: لمَ قيل: ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾ على الجمع؟) دون التثنية.

قوله: (سَعدًا) "سَعْد"[١] اسم رجل. يُضرَب هذا المَثل لمَن يتلقَّى الشَّرَّ أيّةً سلَكَ. كأنّ سعدًا كان شِرّيرًا سيِّئَ[٢] الخُلُق.[٣]

---

١ ن: سعدا.

٢ ن: شي.

٣ سَعْد: هي قَبيلة الأضبَط بن قُرَيع وكان سيِّدَهم، فرأى منهم جفوة، ففارَقهم، فرأى غيرهم يجفون ساداتهم كذلك، فقال ذلك. المستقصى للزمخشري، ١/٤٤٩.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يختصُّ به علمُ ما غاب فيهما عن العباد وخَفِيَ عليهم علمُه، أو أراد بغيب السماوات والأرض: يومَ القيامة على أن علمه غائبٌ عن أهل السماوات والأرض لم يطَّلع عليه أحدٌ منهم.

﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾؛ أي: هو عند الله وإنْ تراخَى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستَقرِبونه: هو ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ إذا بَالَغْتم في استقرابه،

قوله: (أو أراد بغيب) "الغيب" بمعنى الغائب على التفسيرَين.

قوله: (أي: هو عند الله) أي: أمر الساعة عند الله تعالى في القُرب -وإن تراخى[١] عندكم- كأمرِ ما تقولون[٢] -أي: كأمرِ الشيء المستقرَب عندكم، الذي تقولون-[٣] أنتم فيه: هو كلَمْحِ البصر، فالمضاف محذوف في قوله: "كما"، و"ما" موصولة، ما بعدَها صِلتها، ووُضِع الظاهر -وهو الشيء- موضع الضمير العائد إلى "ما".

ومعنى قول الناس في المستقرَب: "هو كلَمْحِ البصر": أنّ زمان وقوعِه كزمان لَمْح البصر، أي: الزمانُ الذي بيننا وبين وقوعه زمان قليل، كالزمان الذي بيننا وبين[٤] ما يقع بعد فراغك مِن لَمح البصر، وهو يُستعمل في استقراب الشيء، كما يقولون: يقع هذا بعد لحظة، ومعنى اللَّحظة واللَّمحة[٥] متقارِبان. لَمَحَه وألْمَحَه إذا أبصَرَه بنَظَرٍ خفيف، والاسم اللَّمْحة.[٦]

قال في الوسيط:

اللَّمْح: النظَر بسرعة،[٧] يقال: لَمَحَه ببصَره. قال السُّدّي:[٨] «يقول: هو كلَمْح العين مِن السرعة، أو هو أقربُ مِن ذلك إذا أردناه». وقال الزجّاج:

---

١ ر: يراجي.
٢ ر: يقولون.
٣ ر: يقولون.
٤ ر ن - وقوعه زمان قليل، كالزمان الذي بيننا وبين.
٥ ن - واللمحة.
٦ الصحاح للجوهري، «لمح».
٧ ر: سرعة.
٨ ر: أنشدني؛ ن: أنسد.

ونحوُه قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج ٢٢/٤٧]؛ أي: هو عنده دانٍ وهو عندكم بعيدٌ.

وقيل: المعنى: أن إقامة الساعة وإماتَةَ الأحياء وإحياءَ الأموات من الأوَّلين والآخِرين يكون في أقربِ وقت وأوحَاهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدرُ على أن يُقيمَ الساعةَ ويبعَثَ الخلق؛ لأنه بعضُ المقدورات، ثم دلَّ على قدرته بما بعده.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾

قرئ ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بضم الهمزة وكسرها، والهاءُ مزيدةٌ في "أُمَّات" كما زِيدت في "أَرَاقَ" فقيل: "أهراق"، وشذَّتْ زيادتُها في الواحدة قال:

أُمَّـهَـتـي خِـنْـدِفُ وإلـيـاسُ أبـي

«أعلَمَ الله تعالى أنّ البعثَ والإحياء في قدرته ومشيئته[1] كلَمْح البَصر أو هو أقرب، ليس يريد أن الساعة تأتي أقرَب مِن لَمْح البصر، ولكنّه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء، يدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾».[2]

وهذا المعنى المذكور في الوسيط غيرُ المعنى المذكور في الكشّاف أوَّلًا، ويناسب المذكورَ ثانيًا.

قوله: (وأوحاه) أي: أسرَعه.

قوله:

(أُمَّـهَـتـي خِـنْـدِفُ[3] وإلـيـاسُ أبـي)[4]

---

[1] ن: وميسرته.

[2] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٧٥ (النحل، ١٦/٧٧). وانظر: معاني القرآن للزجاج، ٣/٢١٤.

[3] ر: بحذف.

[4] ر: اني.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ في موضع الحال، ومعناه: غيرَ عالمين شيئًا من حقِّ المنعِم الذي خلَقكم في البطون وسوَّاكم وصوَّركم ثم أخرجكم من الضِّيق إلى السَّعَة.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ معناه: وما ركَّبَ فيكم هذه الأشياء إلَّا آلاتٍ لإزالةِ الجهل الذي وُلِدْتُم عليه واجتلابِ العلم، والعملِ به: من شكرِ المنعِم، وعبادته، والقيامِ بحقوقه، والترَقِّي إلى ما يُسعدكم.

والأفئدةُ في فؤادٍ كالأَغْرِبة في غُرابٍ، وهو من جموع القلَّة التي جرَتْ مجرى جموعِ الكثرة والقلَّةِ، إذ لم يَرِدْ في السماع غيرُها؛ كما جاء "شُسُوعٌ" في جمع "شِسْعٍ" لا غير فجَرَتْ ذلك المجرى.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

إنّي لَدَى[1] الحرب رَخِيُّ اللَّبَبِ[2] مُعتَزِمُ الصَّولةِ عالي[3] النسبِ
أُمَّهَتِي... البيتَ[4]

كان لِمُضَرَ[5] / ابنان إلياس[6] والناس، ومنهم مَن قال: إلياس بكسر الهمزة.[7] [٦٦و]

قوله: (والأفئدة في فؤاد) الفؤاد: وسَط القلب، وهو مِن القلب كالقلب مِن الصدر[8] في وسطه.

قوله: (فجَرَت) يعني: جَرَت جمع الكثرة[9] -وهو "شُسُوع"- مَجرى جمع الكثرة والقلّة. فهو عكس ما ذكر في "الأفئدة".

---

[1] ر: لذي.
[2] ر ن: اللبة.
[3] ن: على.
[4] لقُصَيّ بن كِلاب بن مرّة أحدِ أجداد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. انظر: لسان العرب لابن منظور، «سلل»؛ والمقاصد النحويّة للعيني، ٢٠٨٥/٤.
[5] ر: المضر.
[6] ر: التاس.
[7] وفي هامش د: قوله: (وما رُكّب) نفي. قوله: (آلاتٍ) حال.
[8] ر: المصدر.
[9] ر: الكسرة.

قرئ: ﴿ألم تروا﴾ بالتاء والياء.

﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾: مُذلَّلاتٍ للطَّيران بما خُلِق لها من الأجنحة والأسباب المُواتيَةِ لذلك.

والجوُّ: الهواء المتباعِدُ من الأرض في سمتِ العِلْوِ، والسُّكاكُ أبعدُ منه، واللُّوحُ مثلُه.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في قَبْضِهنَّ وبَسْطِهنَّ ووقوفِهنَّ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ التي تَسكُنونها من الحَجَرِ والمدَرِ والأخبِيَةِ وغيرها،

قوله: (﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ بالياء والتاء) كلاهما مِن السبعة مِن غير واو بعد الهمزة.[1] وأمّا[2] "أَوَلَمْ يَرَوا" بالواو بعد الهمزة فليس مِن السبعة، فإن ورد فهو مِن الشاذّ.

قوله: (المُواتية) أي: الموافِقة، صفة للأسباب.[3] يُستعمل آتيتُه على ذلك الأمر مواتاةً؛ إذا وافقتَه وطاوعتَه، والعامّة تقول: واتَيتُه.[4]

قوله: (واللوح مِثله) وعليه قول[5] أبي نواس:[6]

ورُبَّ كلام مَرَّ فوق مَسامعي ... كما طنَّ في لوح الهَجير[7] ذُبابُ

أوّل القصيدة:

أما لِجَميل عندكُنَّ ثوابُ ... أما لِمُسيء[8] عِندكنَّ[9] مَتابُ

---

[1] ر: الهمز. | قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة وخلَف بالخطاب، وقرأ باقي العشرة بالغيب. النشر لابن الجزري، ٣٠٤/٢.

[2] ر: وإنّما.

[3] ر: الأسباب.

[4] الصحاح للجوهري، «أتا».

[5] ن + ابن.

[6] كذا في الأصول الخطّيّة، والصواب أبو فراس. وهو في ديوان أبي فراس الحمداني، ٢٣/١.

[7] ر: المحر.

[8] ن: لمشي.

[9] ر ن: وعندكن.

والسَّكَنُ: فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ، وهو ما يُسكَنُ إليه ويُنْقَطَعُ إليه من بيتٍ أو إلفٍ.

﴿بُيُوتًا﴾: هي القِبابُ والأبنيةُ من الأدَمِ والأنطاعِ.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تَرَوْنها خفيفةَ المَحْمل في الضَّرْب والنَّقْضِ والنَّقْل.

﴿يومَ ظَعَنِكم ويومَ إقامتِكم﴾؛ أي: يومَ تَرْحلون خَفَّ عليكم حملُها ونقلُها، ويوم تنزلون وتقيمون في مكانٍ لم يَثْقُلْ عليكم ضربُها.

أو: هي خفيفةٌ عليكم في أوْقات السفر والحضر جميعًا، على أن اليوم بمعنى الوقت.

﴿وَمَتَاعًا﴾: وشيئًا يُنْتَفَعُ به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أن تَقْضُوا منه أوطارَكم، أو: إلى أن يَبلَى ويَفْنَى، أو: إلى أن تَموتوا.

وقرئ: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ بالسكون.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾ من الشجر وسائر المستظَلَّات.

قوله: (و"السَّكَنُ" فَعَلٌ) مِثل: النَّقَض بمعنى المَنفوض، والقَبَض[1] بمعنى المَقبوض.

قوله: (والأَنْطاع) النِّطَع بوزن العِنَب،[2] هذا هو المتّخذ مِن الأَدَم. ويقال أيضًا: نِطْعٌ ونَطَعٌ ونَطْعٌ، فهذه أربع لغات،[3] والجمع نُطُوع وأَنْطاع، قال:

يَضربنَ بالأزِمّةِ[4] الخُدودَا ضربَ الرياح النِّطَعَ المَمدُودا[5]

قوله: (إلى أن تقضوا[6] منه) أي: مِن المَتاع.

---

[1] ر: والنفض.

[2] ر: العنت.

[3] ر ن - هو المتّخذ مِن الأَدَم. ويقال أيضًا: نِطْعٌ ونَطَعٌ ونَطْعٌ، فهذه أربع لغات.

[4] ر: باللازمة.

[5] الصحاح للجوهري، «نطع». والبيت للتميمي في لسان العرب لابن منظور، «نطع».

[6] ر: يقضوا.

﴿أَكۡنَٰنٗا﴾: جمع كِنّ، وهو ما يُستكَنُّ به من البيوت المنحوتة في الجبال والغِيران والكهُوف.

﴿سَرَٰبِيلَ﴾: هي القُمصانُ والثياب من الصوف والكتّان والقُطن وغيرها.

﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ لم يذكر البردَ؛ لأن الوقايةَ من الحرِّ أَهَمُّ عندهم، وقلَّما يُهمُّهم البردُ لكونه يسيرًا محتمَلًا.

وقيل: ما يَقِيَ من الحرِّ يَقي من البَرْد، فدلَّ ذكرُ الحرِّ على البَرْد.

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ يريد: الدُّروعَ والجواشِنَ، والسِّربالُ عامٌّ يقعُ على كلِّ ما كان من حديدٍ وغيره.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾؛ أي: تَنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له.

وقرئ: "تَسْلَمون" منَ السلامة؛ أي: تشكرون فتسلَمون من العذاب، أو تَسلَمُ قلوبُكم من الشرك، وقيل: تَسْلَمون من الجِراح بلُبسِ الدروع.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فلمْ يَقْبَلوا منك فقد تمهَّد عُذرُك بعدما أدَّيتَ ما وجَبَ عليك من التبليغ، ....

قوله: (﴿أَكۡنَٰنٗا﴾ جمع كِنّ) على وزن جِمْل[١] وأَحْمال،[٢] ولا يجوز أن يكون واحدها كِنانًا؛ لأنّ جمع الكِنان أكِنّة. والكِنّ: السُّترة، والجمع أكْنان. واكتَنَّ[٣] واستَكَنَّ: استَتَر.[٤] وقوله: (وهو ما يُستَكَنُّ به) أي: يُستَتَرُ به.

قوله: (فقد تمهَّد عُذرُك) يعني: أنّ الجزاء محذوف، أي: إن تَولَّوا فليس عليك تَبِعة ولا مؤاخذة؛ لأنّ عُذرك متمهِّد؛ لأنّك بلَّغتَ وأدَّيتَ وبيَّنتَ.[٥]

قوله: (بعدَ ما أدَّيتَ) مصدريّة. وقوله: (مِن التَّبليغ) بيان "ما".

---

[١] ن: كمل.

[٢] ن: وأحمل.

[٣] ر: واكين.

[٤] ر: ستتر. | الصحاح للجوهري، «كنن».

[٥] د - قوله: (فقد تمهَّد عذرُك) يعني: أنّ الجزاء محذوف، أي: إن تَولَّوا فليس عليك تَبِعة ولا مؤاخذة؛ لأنّ عُذرك متمهِّد؛ لأنّك بلَّغتَ وأدَّيتَ وبيَّنتَ.

فذكَر سبَبَ العُذر وهو البلاغُ ليدلَّ على المسبَّب.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ التي عدَّدْناها حيث يَعْترِفون بها وأنها من الله.

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بعبادتهم غيرَ المنعِم بها، وقولِهم: هي من الله؛ ولكنَّها بشفاعةِ آلهتنا.

وقيل: إنكارُهم قولُهم: "وَرِثناها من آبائنا".

وقيل: قولهم: "لولا فلانٌ ما أَصَبْتُ كذا" لبعضِ نِعَم الله، وإنَّما لا يجوز التكلُّم بنحو هذا إذا لم يَعتقِدْ أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجَعله سببًا في نَيلها.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: الجاحدون غيرُ المعترِفين.

وقيل: ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: نبوَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا يعرفونها ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ عنادًا ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ الجاحدون المنكرون بقلوبهم.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾؟

قلتُ: الدلالةُ على أن إنكارهم أمرٌ مستبعَدٌ بعد حصول المعرفة؛ لأن حقَّ مَن عَرَف النعمةَ أن يَعترف لا أن يُنكِرَ.

قوله: (على المسبَّب) وهو العذر.

قوله: (وقيل: قولهم) أي: إنكارهم.[1]

---

[1] د + قوله: (فقد تمهَّد عذرُك) يعني: أنَّ الجزاء محذوف، أي: إن تَولَّوا فليس عليك تَبِعة ولا مؤاخذة؛ لأنَّ عُذرك متمهِّد؛ لأنك بلَّغتَ وأدَّيتَ وبيَّنتَ. | وفي هامش د: قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: تُنظَرون)... إلخ على الأوجُه الثلاثة مِن قَبيل حذف السبب وإقامة المسبَّب مُقامه. وقوله: (فقد تمهَّد عذرُك) عكس ما تقدَّم، أي: مِن قَبيل حذف المسبَّب والمعلول، وإقامة السبب والعلَّة مُقامه. قوله: (وإنَّما لا يجوز التكلُّم)... إلخ تقديره: ليس عدم الجواز في وقت مِن الأوقات إلَّا في هذا الوقت، وهو أنَّها لم تعتقد... إلخ. قوله: (قلتُ: الدلالة على إنكارهم)... إلخ حاصله أنَّ "ثمَّ" هنا لبُعد المرتبة، فإنَّ بين معرفة الشيء وإنكاره بَونًا بعيدًا ومراتبَ كثيرة، فإنَّ حقَّ المعرفة أن نرتِّب عليه الاعتراف لا الإنكار.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿شَهِيدًا﴾: نبيَّها يَشهدُ لهم وعليهم بالإيمان والتصديقِ والكفر والتكذيب.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، والمعنى: لا حجةَ لهم، فدُلَّ بترك الإذنِ على أنْ لا حُجَّةَ لهم ولا عُذرَ، وكذا عن الحسن رضي الله عنه.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا هم يُسترضَوْنَ؛ أي: لا يقال لهم: "أَرْضُوا ربَّكم"؛ لأن الآخرة ليست بدارِ عمَلٍ.

فإن قلتَ: فما معنى ﴿ثُمَّ﴾ هذه؟

قلتُ: معناها: أنَّهم يُمنَوْنَ بعد شهادةِ الأنبياء عليهم السلام بما هو أطمُّ منها، وهو أنهم يُمنعون الكلامَ فلا يؤذَنُ لهم في إلْقاء معذرةٍ ولا إدلاءٍ بحجةٍ.

قوله: (**يَشهَد لهم وعليهم**)... إلخ فيه لفٌّ ونَشر.

قوله: (**فدُلَّ بترك الإذن**) عدم الإذن مِن لَوازم عدم الحجّة، فإنَّ مَن لا حجّةَ له لا إذنَ له في الاعتذار؛ لأنّ الاعتذار[1] مِن غير حجّة غير مقبول، فهذا بطريق الكناية، والكناية لا تنافي إرادة الحقيقة، فيُفهم منه أنّهم لا حجّةَ لهم ولا عُذرَ، ولا يُؤذَن لهم أيضًا في الاعتذار؛ لأنّ اعتذارهم يكون اعتذارًا بالباطل، فيُمنَعون[2] مِن الكلام، وبهذا يتحقّق معنى "ثمّ" على ما ذُكر في الجواب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ الاستِعتاب: طلب الإعتاب، وهو إزالة العُتْب.

قوله: (**يُمنَون بعد شهادة الأنبياء**)[3] أي: يُبتَلون.[4] مُنِيَ له، أي: ابتُلي، مَناه: ابتلاه.[5]

قوله: (**أطَمُّ**) أي: أعظَم.

قوله: (**ولا إدلاءٍ بحجّة**) يقال: دَلَوت الدلوَ، أي: نزعتُها، وأَدليتُها، أي:

---

[1] ن - لأنّ الاعتذار.

[2] ر: فتمتعون.

[3] ر ن: الانتها.

[4] ر: يدلون.

[5] وفي الصحاح للجوهري، «منا»: «يقال: مُنيَ له، أي قُدِّرَ. ومَنَوْتُهُ ومَنَيْتُهُ؛ إذا ابتليتَه».

وانتصابُ اليوم بمحذوفٍ تقديره: واذكُرْ يومَ نَبْعثُ، أو: يومَ نَبعثُ وقعوا فيما وقعوا فيه.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٥﴾

وكذلك إذا رأوا العذابَ بَغتَهم وثَقُل عليهم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ كقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ الآية [الأنبياء ٢١/٤٠].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٨٦﴾

إن أرادوا بالشركاء آلهتَهم فمعنى ﴿شُرَكَآؤُنَا﴾: آلهتُنا التي دعَوْناها شركاءَ،

أرسلتُها في البئر، ومنه أدلَى بحجَّته، أي: احتَجَّ بها.[1] شُبّه الاحتجاج بالحُجّة لإثبات المطلوب بإرسال الدلو في البئر لإخراج الماء.[2]

قوله: (وكذلك إذا رأوا العذاب) أي: وكذلك إذا رأى الذين / ظلَموا العذابَ. منصوب بمحذوف، وهو "بَغتَهم[3] وثَقُل عليهم"، ثمّ أشار إلى أنّه حُذف ذلك لدلالة ما بعدَه عليه، فإنّ قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾ يدلُّ على "ثقُلَ"، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يدلُّ على "بَغتَهم"،[4] ثمّ شبَّهه مِن حيث المعنى بقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/٤٠]. [٦٦ظ]

قوله: (فمعنى ﴿شُرَكَآؤُنَا﴾: آلهتُنا) يعني: مرادهم[5] بشركائهم آلهتُهم التي جعلوها شركاء لله تعالى، وإنّما أضافوهم إلى أنفسهم لهذه الملابَسة، وهي أنّهم دعَوهم شركاءَ لله[6] تعالى، وكذا[7] الإضافة في قوله تعالى: ﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾ لهذه الملابَسة.[8]

---

[1] الصحاح للجوهري، «دلو».
[2] ر – الماء.
[3] ر: نعتهم.
[4] ر: نعتهم؛ ن: بعثهم.
[5] ن: مراهم.
[6] ن: الله.
[7] ر: ذكر.
[8] ن: الملانه.

وإن أرادوا الشياطينَ فلأنَّهم شركاؤهم في الكفر وقُرناؤهم في الغيِّ.

و﴿نَدْعُواْ﴾ بمعنى: نعبدُ.

فإن قلتَ: لمَ قالوا: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وكانوا يعبدونهم على الصِّحَّة؟

قلتُ: لمَّا كانوا غيرَ راضِينَ بعبادتهم فكأنَّ عبادتَهم لم تكن عبادةً، والدليلُ عليه قولُ الملائكة: ﴿كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ ٣٤/٤١] يعنون: أن الجنَّ كانوا راضِينَ بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا، أو كذَّبوهم في تسميتِهم شركاءَ وآلهةً تنزيهًا لله من الشريك.

وإن أريد بالشركاء الشياطينُ جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾

قوله: (فلأنّهم شركاؤهم) فيه حذف، أي: فإنّما قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾؛ لأنّهم شركاؤهم في الكفر، فلذا[1] أضافوهم إلى أنفسهم.

قوله: (بمعنى نعبُد) يعني على هذين الوجهين المذكورين.

قوله: (فإن قلتَ: لِمَ قالوا) شركاء. وقوله: (على الصحّة) أي: على الحقيقة.

قوله: (قلتُ: لمّا كانوا) أي: شركاء. وقوله: (لم تكن عبادةً) على هذا الوجه يتعلّق قولهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ بقوله: ﴿نَدْعُواْ﴾ أي: نعبدهم.

قوله: (أو كذَّبوهم في تسميتهم) وعلى هذا يتعلّق ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾.

قوله: (وإن أريدَ بالشركاء)[2] والجوابان الأوّلان كانا على تقدير أن يُراد بالشركاء آلهتُهم، فقوله: "وإن أريدَ" عطفٌ على محذوف تقديره: إن أريدَ بالشركاء آلهتُهم فنقول: لمّا كانوا... إلخ، وإن أريدَ...

قوله: (جازَ أن يكونوا) هذا على تقدير أن يتعلّق ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ بقولهم: ﴿شُرَكَآؤُنَا﴾، فإنّهم شركاؤهم في الكفر، وقُرناؤهم في الغيّ لا محالةَ. ولم يذكر المصنّف الوجهَ الآخَر الذي أشار إليه بقوله: "جازَ"؛ وهو أن يتعلّق بقولهم:

---

[1] ن: فكذا.

[2] ر: الشركاء.

كما يقول الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم ٢٢/١٤].

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَأَلْقَوْاْ﴾ يعني: الذين ظلموا، وإلقاءُ السَّلَم: الاستسلامُ لأمر الله وحُكمِه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا.

"ندعو"،[١] أي: نعبُد، فالمعنى أنّ الشياطين يقولون: ما عبدتّمونا ولم يكن إلّا أنّا أَغْوَيناكم فغَوَيتم. والصواب أن نقول: أشار بقوله: "جازَ" إلى أنّه يجوز تعلّقه بـ"شركاء" لِيكون تنزيهًا لله تعالى مِن الشريك. فالحاصل إن تعلّق التكذيب بقوله: "شركاء"[٢] فالمراد تنزيه الله تعالى، وإن تعلّق بالعبادة[٣] فالملائكة يقولون: "ما رَضينا"،[٤] والشياطينُ يَجحدون العبادة كذبًا.

واعلم أنّ هذه الحاشية غير منقّحة، لِما مرَّ أنّهم إن أرادوا بالشركاء آلهتَهم فإنّما سمَّوهم شركاء؛ لأنّهم شركاؤهم في الكفر، وقُرناؤهم في الغيّ، فإذا قالوا للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ كان الشياطين لا محالةَ[٥] كاذبين[٦] في هذا القول، سواء كان متعلِّقًا بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾؛ لأنّهم شركاؤهم[٧] في الكفر، أو كان[٨] متعلِّقًا بقولهم: ﴿نَدْعُواْ﴾؛ لأنّهم كانوا يعبدونهم في الحقيقة، قال الله[٩] تعالى: ﴿كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ ٤١/٣٤]. فالوجه أنّ قول المصنِّف: "جازَ أن يكونوا كاذبين" ليس إشارة إلى وجه آخَر كما كُتب في الحاشية؛ بل معناه: إنّهم كاذبون في هذا القول لا محالةَ، فكأنّه قال: لا يمتنع أن يكذبوا في القيامة كما يَكذب الشيطان في قوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم ٢٢/١٤].

قوله: (يعني الذين / ظلموا) وصوابه: يعني الذين أشركوا؛ لأنّ "الذين ظلموا" [٦٧و]

---

١ ر ن: ندعوا.
٢ ر ن – ليكون تنزيهًا لله تعالى مِن الشريك، فالحاصل أنّ تعلّق التكذيب بقوله: "شركاء".
٣ ن: بالعباد.
٤ ر: زضينا.
٥ ر ن – لا محالة.
٦ ن: كابين.
٧ ن – لأنّهم شركاؤهم.
٨ ر: وكان.
٩ ر ن – الله.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾: ويَطَل عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من أن لله شركاءَ وأنهم ينصُرونهم ويشفعون لهم، حين كذّبوهم وتبرَّؤوا منهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في أنفسِهم وحمَلوا غيرَهم على الكفر يضاعِفُ الله عقابَهم كما ضاعَفوا كفرَهم.

وقيل: في زيادةِ عذابهم حَيَّاتٌ أمثالُ البُخت وعقاربُ أمثال البغال، تَلسع إحداهُنَّ اللَّسعةَ فيَجِدُ صاحبُها حُمَتَها أربعينَ خريفًا.

في الآية المتقدّمة،[١] وأمّا ههنا "فالذين[٢] أشركوا".[٣]

قوله: (حُمَتَها)[٤] حُمَة[٥] العَقرب: سُمّها[٦] وضَرّها، وأصلها: حُمَيٌ[٧] أو حُمَوٌ، والهاء عوض، وأمّا حُمّة الحَرّ -وهو معظمها- فبالتشديد.[٨]

وقوله: (خريفًا) أي: سَنةً؛ إطلاقًا لاسم البعض على الكلّ. الخريف: أحد فصول السَّنة، سمّي[٩] بذلك؛ لأنّه تُخرَف فيه الثمار، أي: تُجتَنَى، ثمّ أريدَ به السَّنة كلّها.[١٠] قال في المُغرب:

> أريدَ به السَّنةُ كلُّها[١١] في قوله: «مَن صامَ يومًا في سبيل الله باعَدَه الله تعالى مِن النار أربعينَ خريفًا، أو سبعينَ[١٢] خريفًا»،[١٣] أي: مسافةَ هذه المدّة.

---

١ ن: المقتدمة.

٢ ر: فأمّا الذين.

٣ وفي هامش د: قوله: (وبطل عنهم) فيكون مِن باب ذِكر السبب وإرادة المسبّب؛ لأنّ الضلالة سبب للبطالة والفساد، أو مِن باب ذكر المَلزوم وإرادة اللازم.

٤ ن: خمتَها.

٥ ن: خمّة.

٦ ن: سحّها.

٧ ن: حمي.

٨ الصحاح للجوهري، «حمى».

٩ ن: شحّي.

١٠ ر: كما.

١١ ر: كملها.

١٢ ن: سبعة.

١٣ صحيح البخاري، ٢٦/٤ (٢٨٤٠)؛ صحيح مسلم، ٨٠٨/٢ (١١٥٣)، بلفظ: «سبعين خريفًا». وفي كنز العمّال للمتّقي الهندي، ٥٥٧/٨ (٢٤١٥٣): «مَن صام يومًا تطوّعًا واحتسابًا بعّدَه الله تعالى مِن النار أربعين خريفًا»، وقال: «رواه ابن زنجويه عن جرير».

وقيل: يُخرَجون من النار إلى الزَّمْهرِير، فيبادرون من شدَّة برده إلى النار.

﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾: بكونهم مفسدِين الناسَ بصَدِّهم عن سبيل الله.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيَّهم؛ لأنه كان يُبعَثُ أنبياءُ الأمم فيهم منهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمدُ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أمَّتَك.

﴿تِبْيَٰنًا﴾: بَيانًا بليغًا. ونظيرُ تبيانٍ: "تِلقاءٌ" في كسرِ أوَّله، ....

وهذا هو التأويل في حديث ابن مسعود رضي الله عنه:[1] «يُدفَع العاصي[2] في مَهواةٍ سبعين خريفًا»،[3] أي: في هُوَّةٍ عميقة، مِقدارُ عُمقها مسيرة هذا المقدار، ولا يُراد حقيقة[4] الأربعين، وإنّما يُراد المبالغة على عادة العرَب.[5]

قوله: (بصدِّهم عن سبيل الله) يجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل وإلى المفعول.

قوله: (بيانًا بليغًا)؛ وذلك لأنّ ما كان مِن المصادر على هذا الوَزن يكون لتكثير الفعل والمبالغةِ فيه، كالتَّلْعابِ والتَّجْوال والتَّرداد،[6] بمعنى كَثرة اللعِب والجوَلان والردّ، لكن جميع ذلك يكون بفَتح الأوّل إلّا هَذان اللّفظان، وهما[7] التِّبيان والتِّلقاء، فقد جاء فيهما الفتح والكسر، لكن القراءة لم تجئ في "التِّبيان" إلّا بكسر التاء. وقوله: (ونظيرُ تِبيان: تِلْقاء) القياس أن يكون على تَفْعال بفتح التاء، ولم يجِئ[8] مِن هذا الباب[9] بكسر التاء إلّا الذين ذكرهما.

---

[1] ر د – رضي الله عنه.

[2] في مطبوع المُغرب: القاضي.

[3] في سنن ابن ماجه، ٣/٤٠٩ (٢٣١١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما مِن حاكم يحكم بين الناس إلّا جاء يوم القيامة، وملَكٌ آخذٌ بقَفاه، ثمّ يرفع رأسه إلى السماء، فإن قال: ألقِه، ألقاه في مَهواة أربعين خريفًا».

[4] ن: حقيقته.

[5] المُغرب للمطرّزي، «خرف».

[6] ن: الرّداد.

[7] ن: صحا.

[8] ر: يجز.

[9] وفي هامش د: أي: في المصدر.

وقد جوَّز الزجَّاج فتحَه في غير القرآن.

فإن قلتَ: كيفَ كان القرآنُ تبيانًا لكلِّ شيء؟

قلتُ: المعنى: أنه بيَّن كلَّ شيءٍ من أمورِ الدِّين، حيث كان نصًّا على بعضِها وإحالةً على السُّنَّة، حيث أُمر فيه باتِّباع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وطاعتِه، وقيل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم ٣/٥٣]، وحثًّا على الإجماع في قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء ١١٥/٤]، وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمَّته اتِّباعَ أصحابه والاقتداءَ بآثارهم في قوله: «أصحابي كالنُّجومِ بأيِّهم اقتدَيتُم اهتَدَيتُم»، وقد اجتهدوا وقاسوا ووطَّؤوا طُرقَ القياس والاجتهاد،

قوله: (في غير[1] القرآن) أمّا[2] في القرآن فالآية[3] لم ترِد به القِراءة.

قوله: (قلتُ: المعنى أنّه بيّن كلَّ شيء مِن أمور الدين) يعني به أنّ الاستغراق في قوله تعالى:[4] ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ استغراق عرفي، لا استغراق[5] حقيقي، كما تقول: جمعَ الأميرُ العلماء، تُريد[6] علماءَ بلده، أو علماءَ مَملكته، لا علماءَ جميع الدنيا للقرينة العقليّة الدالّة على أنّ المراد ذلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة ٢٦٠/٢]. ثمّ بيّن بقوله: (باتّباع)... إلخ إلى أنّ الاستغراق المذكور كيف يتحقّق.

قوله: (وحثًّا على الإجماع في قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ [النساء ١١٥/٤]) قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء ١١٥/٤]. فهذه الآية دالّة على وجوب متابَعة الإجماع، حيث جُمعَ فيها بين مخالَفة الرسول عليه السلام ومتابَعة غير سبيل المؤمنين[7] في الوعيد، فيكون[8] متابعة غير سبيلهم حرامًا، فمتابعة سبيلهم واجبًا.

---

[1] ر + ان.
[2] ر: ما.
[3] لعلّ الصواب: فإنّه.
[4] د – تعالى.
[5] ن: الاستغراق.
[6] ر: يريد.
[7] ر – ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء ١١٥/٤]. فهذه الآية دالّة على وجوب متابَعة الإجماع، حيث جُمعَ فيها بين مخالَفة الرسول عليه السلام ومتابَعة غير سبيل المؤمنين.
[8] ن: فتكون.

فكانت السنَّةُ والإجماعُ والقياسُ والاجتهادُ مستنِدةً إلى تبيانِ الكتاب، فمِن ثَمَّ كان تِبيانًا لكلِّ شيء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾

"العدل": هو الواجبُ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ عَدَل فيه على عباده فجعل ما فرَضَه عليهم واقعًا تحت طاقتهم.

و"الإحسان": النَّدْبُ، وإنما علَّق أمْرَه بهما جميعًا؛ لأن الفَرْضَ لا بدَّ من أن يقع فيه تفريطٌ فيَجْبُره النَّدْبُ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَن علَّمه الفرائضَ فقال: واللهِ لا زِدْتُ فيها ولا نَقَصْتُ: «أفلحَ إنْ صَدَق»، فعَقَد الفلاحَ بشرطِ الصِّدْق والسلامةِ من التَّفريط، وقال صلى الله عليه وسلم: «استَقِيمُوا ولن تُحْصُوا» فما ينبغي أن يُترك ما يَجْبُرُ كسرَ التفريط من النوافل.

قوله: (ولذلك قال) أي:[١] لوقوع التفريط قال...

قوله: («أفلَحَ إن صدَقَ»)[٢] فاعل "أفلَحَ" ضمير يرجع إلى مَن علَّمه الرسول عليه السلام. وقوله: "أفلَحَ" مَقول قول الرسول عليه السلام.

قوله:[٣] (وقال عليه السلام:[٤] «استقيموا ولن[٥] تُحصوا»)[٦] تَمَّ[٧] الحديث، يدلّ على أنّه لا بدَّ أن يقع فيه تفريط. وقوله: «لن تُحصوا»، أي:[٨] لن تُطيقوا؛ لأنّ الإحصاء هو الضبط، والمُطيق / ضابط. [٦٧ظ]

قوله: (مِن النوافل) بيان "ما".

---

١ ن: الى.
٢ صحيح البخاري، ١/١٨ (٤٦)؛ صحيح مسلم، ١/٤٠ (١١).
٣ ن: وقوله.
٤ وقوله: "أفلَحَ" مَقول قول الرسول عليه السلام. قوله: (وقال عليه السلام).
٥ ر: ولكن.
٦ سنن ابن ماجه، ١/١٨٤ (٢٧٧)؛ المستدرك للحاكم، ١/٢٢٠ (٤٤٧).
٧ ر ن: ثم.
٨ ن: الى.

و"الفواحِشُ": ما جاوَزَ حدودَ الله.

و"المنكر": ما تنكرُه العقولُ.

و"البغيُ": طلبُ التطاوُلِ بالظُّلم.

وحين أُسقطت من الخُطَبِ لعنةُ الملاعينِ على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أُقيمت هذه الآيةُ مُقامَها، ولعَمْري إنها كانت فَاحشةً ومنكَرًا وبغيًا ضاعَفَ اللهُ لمن سَنَّها غضبًا ونكالًا وخِزْيًا إجابةً لدعوة نبيّه: «وعادِ مَن عاداه».

وكانت سبَبَ إسلام عثمانَ بن مَظْعون.

قوله: (المَلاعين) يريد أصحابَ معاوية.[١]

قوله: (ولَعمري إنّها) أي: إنّ اللعنةَ.[٢]

قوله: (إجابةً لدعوة نبيّه) خطَبَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٣] على ظَلِفاتِ[٤] ليلةَ غَدير[٥] الخُمّ، وقال: «مَن كُنتُ مَولاه فعليٌّ مَولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه».[٦] الظَّلِفة:[٧] واحدة ظَلِفات[٨] الرَّحْل[٩] والقَتَب، وهي الخَشَبات الأربع اللّواتي يكُنَّ على جَنب البعير، تصيبُ أطرافُها السُّفلَى الأرض إذا وُضِعت عليها.[١٠] وهو معنى قولهم: الظَّلِفة[١١] جِنْو[١٢] القَتَب.[١٣]

قوله: (وكانت سببَ) يعني: هذه الآية، أي: نزولها.

وقوله:[١٤] (عثمان بن مَظْعون) قال عثمان بن مَظْعون عند استماع هذه الآية:

---

[١] د ر: مُغوية.

[٢] ن: القعنة.

[٣] د ن: عليه السلام.

[٤] ر: طلقات.

[٥] ن: نحرير.

[٦] انظر: مسند أحمد، ٢/٢٦٢ (٩٥٠)؛ والسنن الكبرى للنسائي، ٧/٤٣٩ (٨٤١٩)؛ ورسالة طرُق حديث «مَن كنتُ مَولاه فعليّ مولاه» للذهبي. ولم أجد في شيء مِن روايات الحديث قولَه: "على ظَلِفات".

[٧] ر: الطلفة.

[٨] ر: الطلفات.

[٩] ر: الرجل.

[١٠] الصحاح للجوهري، «ظلف».

[١١] ر: الطلفة.

[١٢] ن: حينو.

[١٣] انظر: مجمل اللغة لابن فارس، «ظلف».

[١٤] ن + إذا وُضِعت عليها، وهو معنى قوله: الظَّلِفة جِنْو القَتَب. قوله: (وكانت سببَ) يعني: هذه الآية، أي: نزولها. وقوله.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

"عهدُ الله": هي البيعةُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ٤٨/١٠].

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾؛ أي: أيمانَ البيعة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ أي: بعد توثيقِها باسم الله.

و"أكَّدَ" و"وكَّد" لغتان فصيحتان، والأصلُ الواوُ والهمزةُ بدلٌ.

﴿كَفِيلًا﴾: شاهدًا ورقيبًا؛ لأن الكفيلَ مُراعٍ لحالِ المكفولِ به مهيمِنٌ عليه.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ في نقضِ الأيمان كالمرأة التي أنحَتْ على غَزْلها بعد أن أحكمَتْه وأبرَمتْه ....

«واللهِ إنّ فيه لَحَلاوة،[١] وإنّ عليه لَطُلاوة،[٢] وإنّ أعلاه لَمُثمِر، وإنّ أسفلَه لَمُغْدِق،[٣] وما هو بكلام بَشَر؛ بل هو كلام خالق القُوَى والقُدَر».[٤]

قوله: (لأنّ الكفيل مُراعٍ) متعلِّقٌ بمحذوف، أي: إنّما أُطلقَ[٥] الكفيل[٦] على الرقيب والشاهد لأنّ...

قوله: (التي أنحَت على غَزلها) أنحى[٧] عليه بالسَّوط؛ إذا أَقبَل[٨] به عليه.

---

١ ن: الحلاوة.

٢ ن: لظلاوة.

٣ ن: لمغرق.

٤ لم أجِده مِن قول عثمان بن مظعون. ونحوه في دلائل النبوّة للبيهقي، ١٩٨/٢، مِن قول الوليد بن المغيرة حين قرأ عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هذه الآية. | وفي هامش د: قوله: (كَفِيلًا شاهدًا) فيكون مِن قَبيل ذِكر المَلزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ الكفالة مستلزِمة للمراقبة.

٥ ن: الخلق.

٦ ر – (مُراعٍ) متعلِّقٌ بمحذوف، أي: إنّما أُطلق الكفيل.

٧ ر: انجى؛ ن: الخى.

٨ ر: قبل.

فجَعلَتْه ﴿أَنكَٰثًا﴾: جمع نِكْثٍ وهو ما يُنكَثُ فَتْلُهُ.

قيل: هي رَيْطةُ بنتُ سعدِ بن تَيْمٍ، وكانت خَرقاءَ اتَّخذت مِغْزَلًا قدْرَ ذراعٍ وصِنَّارةً مثلَ إصبعٍ وفَلْكةً عظيمةً على قَدْرِها، وكانت تغزلُ هي وجَواريها من الغداة إلى الظُّهر، ثم تأمرُهنَّ بِنَقْضِ ما غزلنَ.

﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حالٌ، و﴿دَخَلًا﴾ أحدُ مفعولي "اتَّخذ"، يعني: ولا تَنْقضوا أيمانكم مُتَّخذِيها دخلًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: مَفْسَدةً ودَغَلًا ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: بسببِ أن تكون أمّةٌ -يعني: جماعةَ قريشٍ- ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾: هي أَزْيَدُ عددًا وأَوْفرُ مالًا ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ من جماعةِ المؤمنين.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ الضميرُ لقوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾؛ لأنه في معنى المصدر؛ أي: إنما يختَبِرُكم بكونهم أَرْبَى ليَنظرَ أَتَتمسَّكون بحبلِ الوفاء بعهدِ الله ....

قوله: (﴿أَنكَٰثًا﴾)[1] نصب على المصدر؛ لأنّ معنى نَكَثْتُ: نقَضْتُ، ومعنى نقَضْتُ: نكَثْتُ. وعلى ما في الكتاب هو مفعول به لفعل محذوف،[2] وهو الصواب.

قوله: (قيل: هي) أي:[3] التي نقضَتْ.

قوله: (خرقاءَ) أي: حمقاء.

قوله: (وصِنّارة) الصِّنّارة: الحديدة التي في رأس المِغزل، وبالسين لغة.[4]

قوله: (﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال) أي: مِن الضمير في ﴿كَٱلَّتِى﴾، أو مِن الضمير في ﴿تَكُونُوا۟﴾.

قوله: (بكونهم أَرْبَى) أي: بكون قريش.[5]

قوله: (لينظُرَ[6] أتتمَسَّكون) أي:[7] لينظُرَ فيعلمَ، أو النظَر هنا بمعنى العِلم؛ لأنّه سببه.

---

١ ن: أنكاسًا.
٢ ر – محذوف.
٣ ن: أبي.
٤ انظر: الصحاح للجوهري، «صنر».
٥ ر: فرس.
٦ ر: لتنظر.
٧ ن: أبي.

وما عقَدْتُم على أنفسكم ووكَّدْتُم من أيمانِ البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترُّون بكثرةِ قريشٍ وثروتهم وقوَّتهم وقلَّة المؤمنين وفقرهم وضَعْفهم.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ إنذارٌ وتحذيرٌ من مخالفةِ مِلَّة الإسلام.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: حَنيفةً مسلِمةً على طريقِ الإلجاء والاضطرار، وهو قادرٌ على ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ الحكمةُ اقتضَتْ أن يضلَّ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ وهو أن يخذلَ مَن عَلِمَ أنه يختارُ الكفرَ ويصمِّمُ عليه ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وهو أن يَلْطُفَ بمن عَلِمَ أنه يختار الإيمان، يعني: أنَّه بنى الأمرَ على الاختيار وعلى ما يُستحَقُّ به اللُّطفُ والخذلان والثوابُ والعقابُ، ولم يَبْنِهِ على الإجبار الذي لا يُستحَقُّ به شيءٌ من ذلك، وحقَّقَه بقوله: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولو كان هو المضطرَّ إلى الضلال والاهتداء لَمَا أثبتَ لهم عملًا يُسألون عنه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

ثم كَرَّر النهي عن اتِّخاذ الأيمان دخلًا بينَهم ....

قوله: (مِن أيمان البَيعة) بيان قوله هذا مبنيّ على مَذهبه، فإنّ ذِكر الخِذلان واللطف وعلم الاختيار بناء على مذهبه.[1]

قوله: (ولو كان هو المُضْطَرَّ) "هو"، أي:[2] الله تعالى. و"المُضْطَرّ" اسم الفاعل.

قوله: (ثم كرَّر[3] النهيَ) هذا عطفٌ على محذوف، أي: نَهى عن اتّخاذ الأيمان دَخَلًا ثم كرَّر[4] النهي.[5]

---

[1] وفي هامش د: قوله: (وعلى ما يستحقّ به) وهو اختيار الكفر والإيمان.

[2] ن: أبي.

[3] ن: كدّر.

[4] ن: كدّر.

[5] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ >

تأكيدًا عليهم وإظهارًا لعِظَم ما يُركب منه.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتزلَّ أقدامُكم عن محجَّة الإسلام بعد ثُبوتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ في الدنيا بصدودِكم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وخروجِكم من الدِّين، أو بصدِّكم غيرَكم؛ لأنهم لو نقضوا أَيْمانَ البَيْعة وارتدُّوا لاتَّخذوا نقضَها سنَّةً لغيرهم يَستنُّون بها.

﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في الآخرة.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾

كأنَّ قومًا ممن أسلم بمكَّة زيَّن لهم الشيطانُ لجزَعهم مما رأَوْا من غَلَبة قريشٍ واستضعافهم المسلمين وإيذائهم لهم، ولِمَا كانوا يَعِدُونهم ....

قوله: (لعِظَم ما يُركَبُ منه) الضمير مِن قوله: "يُركَب" عائد إلى "ما".[1] والضمير في "منه" يعود إلى اتّخاذ الأيمان دَخَلًا،[2] و"مِن" للبيان.[3]

قوله: (لأنّهم لو نَقضوا) كالتعليل لصحّة معنى "صَدِّكم[4] غيرَكم".

قوله: (كأنّ قومًا) بيان لِوجه تكرير النهي عن اتّخاذ الأَيمان دَخَلًا،[5] أو[6] هو مقدّمة لتفسير قوله: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾.

قوله: (لِجزَعهم)[7] متعلّق بـ"زَيَّن" على معنى أنّ الشيطان لمّا رأى جَزَعَهم وقِلّةَ صبرهم طمِع[8] في أنّهم يَقبلون[9] تزيين النقض، فزيَّن ذلك لهم.

قوله: (ولِما كانوا) عطفٌ على "لِجَزَعهم"، بمعنى أنّ[10] قريشًا كانوا يَعِدونهم إيتاءَ المال والنُّصرة إن رجَعوا، فطمِع الشيطان في أن يَنقضوا، فزيَّن لهم النقض.

< استعارة تمثيليّة؛ شبّه ثباتهم بالدين بثبات القَدَم في الطريق، والجامع كون كلّ منهما مستلزِمًا للمطلوب.

[1] ن: من.
[2] ن: دخل.
[3] ر: بيان.
[4] ن: صدلم.
[5] ن: دخل.
[6] ن: و.
[7] د ن: يجزعهم.
[8] ن: لجمع.
[9] ر: يقتلون.
[10] ن – أنّ.

إنْ رَجعوا من المواعيد= أن يَنْقُضوا ما بايَعُوا عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فثبَّتَهم الله.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾ ولا تَستبدِلوا ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وبيعةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عَرَضًا من الدنيا يَسيرًا، وهو ما كانت قريشٌ يَعِدُونهم ويُمنُّونَهم إن رجَعوا.

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من إظهارِكم وتغنيمِكم ومِن ثوابِ الآخرة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٦﴾

﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من أعراضِ الدنيا ﴿يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من خزائن رحمته ﴿بَاقٍ﴾ لا يَنفَدُ.

وقرئ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بالنون والياء.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى المشركين ومشاقِّ الإسلام.

فإن قلتَ: لم وُجِّدت القدمُ ونكِّرَتْ؟

قلت: لاستعظامِ أن تَزِلَّ قدمٌ واحدةٌ عن طريق الحقِّ بعد أن ثَبَتَتْ عليه

وقوله: (إن رجعوا) قيد، ومتعلِّق[1] بالمفعول الثاني لـ"يَعِدونهم" على ما أشرنا إليه، أي: يَعِدونهم إيتاء المال / والترحيبَ والنُّصرة إن رجَعوا عن العهد. وقوله: [٦٨و]
"إن رجعوا" جملة معترِضة.

قوله: (فثبَّتَهم الله) أي: ثبَّتَهم بالتكرير، أو بقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾، وهذا هو الصواب.[2]

---

[1] ر: متعلَّق.

[2] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ المراد بالأحسن هو الواجب والمندوب، والحسن هو المباح.

فكيف بأقدام كثيرةٍ؟

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

فإن قلتَ: ﴿مَنْ﴾ متناولٌ في نفسِه للذَّكَر والأنثى فما معنى تبيينِه بهما؟

قلتُ: هو مُبهَمٌ صالحٌ على الإطلاق للنَّوعَينِ، إلَّا أنه إذا ذكِّر كان الظاهرُ تناوُلَه للذكور، فقيل: ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ على التبيين ليَعُمَّ المَوعِدُ النوعَين جميعًا.

﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا، وهو الظاهر لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وَعَدَه اللهُ ثوابَ الدنيا والآخرة كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران ١٤٨/٣]، وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسِرًا كان أو مُعسِرًا يعيش عيشًا طيِّبًا: إن كان مُوسِرًا فلا مقالَ فيه، وإن كان مُعْسِرًا فمعه ما يطيِّبُ عَيشَه وهو القَناعةُ والرضا بقسمةِ الله.

وأمَّا الفاجرُ فأمرُه على العكس: إن كان مُعْسِرًا فلا إشكال في أمره، وإن كان موسرًا فالحِرْصُ لا يَدعُه أن يتهنَّأ بعيشِه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: الحياةُ الطيِّبةُ: الرزق الحلال، وعن الحسن: القَناعةُ، وعن قتادة: يعني: في الجنَّة، وقيل: هي حلاوةُ الطاعةِ والتوفيقِ في قلبه.

قوله: (فكيف بأقدام كثيرة؟) أي:[١] فكيف ظنّك بزَلَل أقدام كثيرة؟ وهو جزاء شرط محذوف، أي: إذا كان زَلَل قدَم واحدة مستعظَمًا، فكيف ظنُّك بأقدام كثيرة؟

قوله: (يعني في الدنيا) العطف يقتضي[٢] المغايَرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ مغايِرٌ لقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾، والجزاءُ في الآخرة، والحياة الطيِّبة في الدنيا.

قوله: (إن كان موسِرًا)... إلخ هذا ابتداء كلام لبيان ما تقدَّم.

---

[١] ن: ابي.

[٢] ن: مقتضى.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

لمَّا ذَكر العمل الصالحَ ووعَدَ عليه وَصَلَ به قولَه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ إيذانًا بأنَّ الاستعاذة من جملةِ الأعمال الصالحة التي يُجزِلُ اللهُ عليها الثوابَ.

والمعنى: فإذ أردتَ قراءةَ القرآنِ فاستعِذْ باللهِ؛ كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة ٥/٦]، وكقولك: "إذا أكلتَ فسَمِّ اللهَ".

فإن قلتَ: لم عُبِّر عن إرادةِ الفعل بلفظِ الفعل؟

قلتُ: لأن الفعل يُوجَدُ عند القصدِ والإرادةِ بغيرِ فاصلٍ وعلى حَسَبِهِ، فكان منه بسببٍ قويٍّ وملابَسةٍ ظاهرة، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قرأتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: "أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم"، فقال لي: «يا ابنَ أمِّ عَبْدٍ، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأنيهِ جبريلُ -عليه السلام- عن القلم عن اللَّوح المحفوظ».

قوله: (فكان منه بسبب)[١] أي: فكان الفِعل مبتدِئًا أمره[٢] مِن القصد والإرادة ملتبِسًا بسببٍ قوي، يعني: أنّ القصد والإرادة سبب[٣] قويٌّ للفعل، فإذا اعتبرتَ الفعل بالنسبة إلى القصد والإرادة وجدتَه ملابِسًا بسببٍ[٤] قويّ، فإنّهما سبب قويّ للفعل؛ لأنّ الفعل واجب الصدور[٥] عند القدرة والإرادة الجازمة.[٦]

قوله: (أمّ عبدٍ) كُنية[٧] أمّ عبد الله بن مسعود.

قوله: (عن اللوح) متعلّق بمحذوف، فكأنّه قيل: كيف أقرَأكَ عن القلم؟

---

١ ن: سبب؛ ن + أي: فكان الفعل مِن القصد، "مِن" في "منه" اتّصاليّة، والباء متعلّقة بمحذوف.

٢ ر: بأمره.

٣ ن: بسبب.

٤ ر: لسبب.

٥ ن + عند القداة.

٦ وفي هامش د: قوله: (بسبب) إمّا حال مِن الضمير في "كان"، و"الباء" للملابَسة، وإمّا خبر "كان"، و"مِن" في "منه" للبيان، والمُبَيّن هو "القصد"، والضمير المجرور عائد إلى "القصد".

٧ ر: كتبه.

﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾؛ أي: تسلُّطٌ وولايةٌ على أولياء الله، يعني: أنهم لا يقبلونَ منه ولا يطيعونه فيما يُريد منهم من اتِّباع خطواته.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾ على مَن يتولّاه ويُطيعُه.

﴿بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ الضميرُ يرجع إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾، ويجوزُ أن يرجع إلى الشيطان على معنى: بسببه.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾

تبديلُ الآيةِ مكانَ الآية: هو النسخُ، واللهُ تعالى ينسخُ الشرائعَ بالشرائعِ؛ لأنها مصالحُ، وما كان مصلحةً أَمسِ يجوزُ أن يكونَ مفسدةً اليومَ وخلافُه مَصلحةً، واللهُ عزَّ وجلَّ عالمٌ بالمصالح والمفاسد، فيُثبِتُ ما يشاءُ وينسخُ ما يشاءُ بحكمته، وهذا معنى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.

فقال: "عن اللوح"، أي: اقرَأني عمّا أثبتَ القلمُ في اللوح، فكان الإقراء عن القلم بسبب الإقراء عن اللوح.

ذُكر في بعض كُتب الكلام: «القلمُ يشبه أن يكون العقلَ الأوّل؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم:[١] 'أوّل ما خلَق الله القلمُ، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ فقال: القدَرَ؛ ما كان وما هو كائن إلى الأبد'.[٢] واللَّوح هو الخَلق[٣] الثاني، ويشبه أن يكون العرشَ، أو متّصلًا به؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم:[٤] 'ما مِن مخلوق إلّا وصورته تحت العرش'».[٥]

قوله: (الضمير) أي: في ﴿بِهِۦ﴾.

---

١ د ن: عليه السلام.
٢ سنن أبي داود، ٨٦/٧ (٤٧٠٠)؛ سنن الترمذي، ٢٧/٤ (٢١٥٥).
٣ ن: خلق.
٤ د ن: عليه السلام.
٥ نقله الدياربكري عن طوالع الأنوار للبيضاوي. انظر: تاريخ الخميس للدياربكري، ١٨/١.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾ وَجَدوا مدخلًا للطَّعْن فطَعَنوا، وذلك لجهلهم وبُعدِهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ، وكانوا يقولون: إن محمدًا يَسخَر من أصحابه: يأمرُهم اليومَ بأمرٍ وينهاهُم عنه غدًا فيأتيهم بما هو أهونُ، ولقد افترَوْا فقد كان ينسَخُ الأشقَّ بالأهونِ والأهونَ بالأشقِّ، والأهونَ بالأهونِ والأشقَّ بالأشقِّ؛ لأن الغرضَ المصلحةُ لا الهوانُ والمشقَّةُ.

فإن قلتَ: هل في ذكرِ تبديلِ الآيةِ بالآيةِ دليلٌ على أن القرآنَ إنما يُنسَخُ بمِثْلِه ولا يصحُّ بغيره من السنَّة والإجماعِ والقياس؟

قلتُ: فيه أن قرآنًا يُنسَخ بمثله وليس فيه نفيُ نسخِه بغيره، على أن السنَّة المكشوفةَ المتواترةَ مثلُ القرآنِ في إيجاب العلم فنَسْخُه بها كنَسخِه بمثله، وأمَّا الإجماعُ والقياسُ والسنَّةُ غيرُ المقطوعِ بها فلا يصحُّ نسخُ القرآن بها.

في ﴿يُنَزِّلُ﴾ و﴿نَزَّلَهُۥ﴾ وما فيهما من التنزيل شيئًا فشيئًا على حسَب اقتضاءِ الحوادث والمصالح إشارةٌ إلى أنَّ التبديل من بابِ المصالح كالتنزيل، وأن تركَ النسخ بمنزلةِ إنزاله دفعةً واحدةً في خروجه عن الحكمة.

و﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾: جبريلُ عليه السلام، أُضيفَ إلى القُدُس -وهو الطُّهرُ- كما يقال: "حاتم الجود" و"زَيدُ الخير"، والمراد: الروحُ المقدَّسُ، وحاتمٌ الجوادُ، وزيدٌ الخَيِّرُ، والمقدَّسُ: المطهَّرُ من المآثم.

وقرئ بضمِّ الدال وسكونها.

قوله: (في إيجاب العلم) أي: هو أيضًا يوجب العلم كالقرآن، بخلاف الغير المتواتر، فإنّه يوجب الظنّ.

قوله: (فلا يصحّ نسخ القرآن بها) أي: بالثلاثة.

قوله: (وما فيهما مِن التنزيل) أي: فيما يُنزِّل ونزَّله، ثمّ بيّن "ما" بقوله: "مِن التنزيل". وقوله: (شيئًا) مفعول به للتنزيل، يعني: إنّما قال: ﴿يُنَزِّلُ﴾ و"نَزَّلَ" بالتشديد فيهما ليكون إشارةً إلى أنّ في التبديل بالنسخ مِن المصلحة ما في التنزيل.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في موضع الحال؛ أي: نَزَّله مُلْتَبِسًا بالحكمة، يعني: أنَّ النسخَ من جملةِ الحقِّ.

﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ليبلُوَهم بالنسخ، حتى إذا قالوا فيه: "هو الحقُّ من ربِّنا والحكمةُ" حُكِمَ لهم بثباتِ القَدَم وصحةِ اليقين وطُمَأنينةِ القلوب، على أنَّ الله حكيمٌ فلا يفعلُ إلَّا ما هو حكمةٌ وصوابٌ.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ مفعولٌ لهما معطوفانِ على محلِّ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾، والتقدير: تثبيتًا لهم وإرشادًا وبشارةً، وفيه تعريضٌ بحصولِ أضداد هذه الخصالِ لغيرهم.

وقرئ: "لِيُثْبِتَ" بالتخفيف.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

أرادوا بالبَشر: غلامًا كان لحُوَيْطِبِ بنِ عبد العُزَّى قد أسلم وحَسُنَ إسلامه اسمُه: عائشٌ، أو: يعِيشُ، وكان صاحبَ كتب.

وقيل: هو جَبْرٌ غلامٌ روميٌّ كان لعامرِ بنِ الحَضرَميّ.

وقيل: عبدان: جَبْرٌ ويَسارٌ، كانا يصنعان السيوفَ بمكّة ويقرآن التوراةَ والإنجيل، فكان رسول الله إذا مرَّ وقف عليهما يسمعُ ما يقرآن، فقالوا: "يُعلِّمانهِ"، فقيل لأحدهما فقال: "بل هو يُعلِّمني".

قوله: (حُكم لهم بثَبات القدَم) فمعنى ﴿لِيُثَبِّتَ﴾: لِيَحكم بالثبات لهم؛ لأنّهم إذا قالوا فيه: "هو الحقّ" يحكم[1] الله تعالى عليهم بأنّهم ثابتوا القدَم صحيحو[2] اليقين، وكذا يحكم[3] لهم الناس بذلك.

قوله: (على أنّ الله) متعلِّق بقوله: "بثَبات القدَم"... إلخ.

---

[1] د: لحكم؛ ن: الحكم.
[2] د ن: صحيحوا.
[3] د ن: الحكم.

وقيل: هو سلمانُ الفارسيُّ.

واللسانُ: اللغةُ.

ويقال: أَلْحَدَ القبرَ ولحَدَه، وهو مُلْحَدٌ ومَلحودٌ: إذا أمالَ حَفْرَه عن الاستقامة فحفَرَ في شقٍّ منه، ثم استُعير لكلِّ إمالةٍ عن استقامةٍ فقالوا: "أَلحَدَ فلانٌ في قوله" و"أَلْحَدَ في دينه"، ومنه: المُلْحِدُ؛ لأنه أمالَ مَذهبَه عن الأديان كلِّها، لم يُمِلْه عن دِينٍ إلى دينٍ.

والمعنى: لسانُ الرجل الذي يُميلون قولَهم عن الاستقامة إليه لسانٌ ﴿أَعۡجَمِيّٞ﴾ غيرُ بيِّنٍ ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ ذو بيانٍ وفصاحةٍ، ردًّا لقولهم وإبطالًا لطَعْنهم.

وقرئ: ﴿يَلحَدون﴾ بفتح الياء والحاء.

وفي قراءة الحسن: "اللسانُ الذي يُلحدون" إليه بتعريف "اللسان".

فإن قلتَ: الجملةُ التي هي قولُه: ﴿لِسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ﴾ ما محلُّها؟

قلتُ: لا محلَّ لها؛ لأنها مستأنفةٌ جوابٌ لقولهم، ومثلُه قولُه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَاتِهِۦ﴾ [الأنعام ٦/١٢٤] بعد قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ [الأنعام ٦/١٢٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

قوله: (وقيل: هو سَلمان الفارسي) "قيل" هذا غير صحيح؛ لأنَّ سَلمان الفارسي رضي الله عنه[1] أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[2] بالمدينة، وهذه الآية مكيّة.

قوله: (والمعنى: لسانُ الرجل) هو / غلام حوَيطب، أو الآخَر، وهو جَبر.[3] [٦٨ظ]

---

[1] د ن – رضي الله عنه.

[2] د ن: عليه السلام.

[3] ر: خبر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يعلمُ اللهُ منهم أنهم لا يؤمنون.

﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: لا يَلطُف بهم؛ لأنهم من أهلِ الخِذْلان في الدنيا والعذابِ في الآخرة، لا مِن أهلِ اللُّطفِ والثَّواب.

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ﴾ رَدٌّ لقولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾ يعني: إنما يليقُ افتراءُ الكذبِ بمَن لا يؤمنُ؛ لأنه لا يترقَّب عقابًا عليه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى قريش ﴿هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون.

أو إلى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: أولئك هم الكاذِبُون على الحقيقةِ الكامِلُون في الكذب؛ لأن تكذيبَ آياتِ الله أعظمُ الكذب، أو: أولئك هم الذين عادتهم الكذبُ

قوله: (أي: يعلمُ الله منهم أنّهم لا يؤمنون) فقوله: "لا يؤمنون" بمعنى الاستقبال، لا[1] بمعنى الحال.

قوله: (﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى قريش) فتقديره[2] هكذا: إنّما يفتري الذين لا يؤمنون، والذين لا يؤمنون قريش، وإنّما يفتري الكذبَ[3] قريش.[4]

قوله: (أو[5] أولئك هم الذين عادتهم الكذب)... إلخ وعلى هذَين الوجهين الأخيرَين[6] يكون "أولئك" إشارة إلى قريش.

---

[1] ر: أو.

[2] ن: فنقريره.

[3] ر – الكذب.

[4] وفي هامش د: قوله: (﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة)... إلخ ذكر أربعةَ أوجُه، على الوجه الأوّل كناية؛ لأنّ الكذب مِن توابع عدم الإيمان. وعلى الوجه الثاني والثالث مِن قَبيل تخصيص العامّ؛ لأنّ الكاذب أعمّ مِن أن يكونوا كاملين في الكذِب، أو يكون عادتهم الكذِب، ويعود هنا النوع إلى إطلاق اسم الجزء على الكلّ، فإنّ الكذب معلوم مِن قوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، فيكون الكذب محمولًا على أحد هذين الوجهين. وعلى الوجه الرابع حقيقة كلّي متعلّقه الخاصّ محذوف، أي: الكاذبون في قولهم: "إنّما أنتَ مُفترٍ".

[5] ر: و.

[6] ر: الآخرين.

لا يبالون به في كلِّ شيءٍ، لا يَحْجُبهم عنه مُروّةٌ ولا دينٌ، أو: أولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦﴾

﴿مَن كَفَرَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ على أن يُجعل ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ اعتراضًا بين البدلِ والمبدَلِ منه، والمعنى: إنما يَفتري الكذبَ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾، واستثْنَى منهم المكرَهَ فلمْ يَدخلْ تحت حُكْم الافتراء.

ثم قال: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾؛ أي: طاب به نفسًا واعتقدَه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

ويجوز أن يكون بدلًا من المبتدأ الذي هو ﴿أولئك﴾ على تقدير: ومَن كَفَرَ باللهِ مِن بعدِ إيمانه هم الكاذبون.

أو من الخبر الذي هو ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ على تقدير: وأولئك هم مَن كفر بالله من بعد إيمانه.

ويجوز أن ينتصِبَ على الذَّم.

قوله: (بدل مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ﴾.[1]

قوله: (ويجوز أن يَنتصِب) أي: ﴿مَن كَفَرَ﴾.[2]

---

[1] ر - قوله: (بدل مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ﴾...

[2] وفي هامش د: قوله: (ويجوز أن ينتصب على الذمّ) قال المرزوقي في شرح:

إنّـا بنـي نهشـلَ لا ندّعـي لأبٍ
عنـه ولا هـو بالأبنـاء يشـرينا:

«انتصاب 'بني' على إضمار فعل، كأنّه قال: اذكر بني نهشل، وهذا على الاختصاص والمدح، وخبر 'إنّ': 'لا ندّعي'، ولو رفع فقال: بنو نهشل، على أن يكون خبرَ 'إنّ' لكان 'لا ندّعي' في موضع الحال. والفصل بين أن يكون اختصاصًا وبين أن يكون خبرًا صُراحًا هو أنّه لو جعله خبرًا لَكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب، وكان لا يخلو فعله لذلك مِن خمولٍ أو جهلٍ مِن المخاطَب بشأنهم. وإذا جُعل اختصاصًا فقد أمِن مِن الأمرين جميعًا. فقال مفتَخِرًا: أنا أذكر مَن لا يَخفى شأنه، لا نفعل كذا وكذا. وإنّما قلتُ: 'خبرًا صُراحًا'؛ لأنّ لفظ الخبَر قد يُستعار لِمعنى الاختصاص، لكنه يُستدلّ على المراد منه بقرائنه؛ على هذا قوله:

أنـا أبـو النـجم وشِـعري شِـعري»

| شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١٠٢/١.

وقد جوَّزوا أن يكونَ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ شرطًا مبتدأً ويُحذَف جوابُه؛ لأنَّ جوابَ ﴿مَن شَرَحَ﴾ دالٌّ عليه؛ كأنه قيل: "مَن كَفَر بالله فعليهم غضبٌ إلّا مَن أُكرِهَ ولكنْ مَن شَرحَ بالكفر صدرًا فعليهم غضبٌ".

روي: أنَّ ناسًا من أهلِ مكة فُتِنُوا فارتدُّوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم مَن أُكرهَ فأَجرى كلمةَ الكفر على لسانه وهو معتقدٌ للإيمان؛ منهم: عمَّار وأبواه ياسرٌ وسُمَيَّةُ، وصهيبٌ وبلال وخبَّابٌ وسالم، عُذِّبوا: فأمَّا سُميَّةُ فقد رُبِطت بين بعيرينِ ووُجِئَ في قُبلها بحَرْبة وقالوا: إنكِ أسلمتِ من أجل الرجال! فقُتِلَتْ وقُتل ياسرٌ وهما أوَّلُ قتيلين في الإسلام، وأما عمَّار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكْرَهًا، فقيل: يا رسول الله! إن عمَّارًا كفر، فقال: "كلَّا إنَّ عمارًا مُلِئَ إيمانًا من قَرْنه إلى قَدَمِهِ واختَلَطَ الإيمانُ بلَحْمِه ودمِهِ".

قوله: (شرطًا[1] مبتدأً) أي: مبتدأ متضمِّن للشرط. بخطّه. ﴿مَن﴾ مبتدأ، خبره ﴿كَفَرَ﴾، كما يقال في "مَن يُكرِمْني أُكرِمْه": "مَن" مبتدأ، "يُكرِمْني" خبره، وجزاءه "أُكرِمْه". وأنا أقول: ﴿مَن كَفَرَ﴾ مبتدأ، و﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ مستثنًى منه، و﴿لَّٰكِن مَّن شَرَحَ﴾ عطفٌ على المستثنى عطفَ المفرد على المفرد، فيدخل في حكم المستثنى منه، أعني: ﴿مَن كَفَرَ﴾؛ لأنَّ ﴿لَّٰكِن﴾ بعدَ النفي للإثبات، فكأنّه قيل: مَن كفر بالله مَن شرَحَ بالكُفر صَدْرًا فعلَيهم غضب. وحاصله: أنّ ﴿مَن كَفَرَ﴾ مبتدأ، و﴿مَن شَرَحَ﴾ في حكم المعطوف عليه، وقوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ جزاؤه، أعني: أنّ المعنى يَئُول إلى هذا المعنى، وإلّا فالإعراب ما بيّناه أوّلًا.

قول أبي عليّ الجُبّائي،[2] تقديره: مَن كفرَ بالله فقد استحقّ الغضبَ والعقابَ إلّا مَن... بخطّ صاحب المُغرب والمُعرب.[3]

قوله: (وأبواه) مبتدأ، و(عذّبوا)[4] خبره. وقوله: (ووُجِئَ)[5] جُرِحَ.[6]

---

[1] ر: شرط.

[2] ر: الحنايني. | أي: قوله: (وقد جَوّزوا أن يكون ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ شرطًا مبتدأ) هو قول أبي عليّ الجُبّائي. انظر: فتوح الغيب للطيبي، ٢٠٢/٩.

[3] ر: والمغرب.

[4] ن: أو عذبوا.

[5] ر: ووحي.

[6] ر: خرج.

فأتَى عمَّارٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحُ عينيه وقال: "ما لكَ! إنْ عادوا لك فعُدْ لهم بما قلتَ".

ومنهم جَبْرٌ مولى الحَضرَميِّ، أكرهه سيِّدُه فكَفَر، ثم أسلَمَ مولاهُ وأسلَمَ وحسُنَ إسلامُهما وهاجرا.

فإن قلتَ: أيُّ الأمرين أفضلُ: أَفِعْلُ عمَّارٍ أم فعلُ أبويه؟

قلتُ: بل فعلُ أبويه؛ لأنَّ في تركِ التَّقيَّة والصبرِ على القتلِ إعزازًا للإسلام.

وقد رُوي: أن مُسَيلمةَ أخذَ رجلين فقال لأحدهما: "ما تقولُ في محمد؟" قال: "رسولُ الله"، قال: "فما تقولُ فيَّ؟" قال: "أنت أيضًا"، فخلَّاه، وقال للآخر: "ما تقولُ في محمد؟" قال: "رسولُ الله"، قال: "فما تقول فيَّ؟" قال: "أنا أَصَمُّ"، فأعاد عليه ثلاثًا فأعاد جوابه فقتلَه، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أمَّا الأولُ فقد أَخَذَ برخصةِ الله، وأمَّا الثاني فقد صَدَعَ بالحقِّ فهنيئًا له».

قوله: (وقال: «ما لكَ؟[1] إن عادوا لك») فقال عمّار:[2] «ما خَلَّوْني حتى نِلتُ منك»، فقال عليه السلام: «كيف وجدتَ قلبكَ؟»»، قال: «مطمئِنّ بالإيمان»، فقال: «إن عادوا لكَ»... إلخ،[3] أي: إن عادُوا لك بالإكراه فعُد لهم بالكلمة.

قوله: (وقد رُوي أنّ مُسَيلِمة) يجوز أن يكون عطفًا على قوله قبلُ:[4] (رُوي)، ويجوز أن يكون تحقيقًا لِقوله: (بل فعل)، وهذا هو المعنى، فهو عطفٌ على قوله: (لأنّ في تَرك)...

قوله: (فقد صدَعَ بالحقِّ) أي: أظهر الحقَّ وكشفَه، وجهرَ به، قال تعالى:

---

[1] ر: ملك.

[2] ن: عمّا.

[3] انظر: المستدرك للحاكم، ٢/٣٨٩ (٣٣٦٢)؛ السنن الكبرى للبيهقي، ١٧/١٤٠ (١٦٩٧٩).

[4] ر: فيل.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الوعيد، وأن الغضب والعذابَ يَلْحَقانِهم بسببِ استحبابهم الدُّنيا على الآخرة، واستحقاقِهم خِذْلانَ اللهِ بكُفْرِهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغَفْلةِ، الذين لا أحَدَ أغفلُ منهم؛ لأن الغفلةَ عن تدبُّر العواقب هي غايةُ الغفلة ومُنْتَهاها.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ دلالةٌ على تباعُدِ حالِ هؤلاء من حالِ أولئك وهم عمّارٌ وأصحابه، ومعنى "إنَّ ربك لهم": أنه لهم لا عليهم، بمعنى: أنه وليُّهم وناصرُهم لا عدوُّهم وخاذِلُهم؛ كما يكونُ المَلِكُ للرَّجل لا عليه، فيكون مَحمِيًّا منفوعًا غيرَ مَضرور.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ بالعذاب والإكراه على الكفر، وقرئ: ....

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر ١٥/٩٤] مِن الصَّدْع، وهو كسر الزُّجاجة بقوّة بحيث يُسمع صوته.[1]

---

[1] وفي هامش د: (﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ دلالة على تباعُد) يعني: أنّ "ثمّ" للتراخي في المرتبة، لا في الزمان، أي: بينهما بَون بعيد. حاصل الجواب: أنّ النفس تُطلق بالاشتراك اللفظي على شيئَين؛ على جملة الشيء، وعلى حقيقته، فعلى هذا المراد بالنفس المضافة إلى الهاء العائدة إلى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذاته وحقيقته، والمراد بالنفس المضاف إليها جملةُ الشيء، وبهذا يندفع الإيراد في "طاب زيد نفسًا"، فإنّه يجوز أن يكون لمتعلّق ما انتصب عنه، فإنّ المراد مِن "زيد" جملتُه، ومِن "نفسًا" ذاتُه وحقيقتُه، وذات الشيء وحقيقته متعلّقة به. وإطلاق النفس على المعنيين يحتمل أن يكون بطريق الحقيقة، ويحتمل أن يكون في أحدهما بطريق المجاز، وفي الآخر بطريق الحقيقة، والعلاقة الكلّيّة الجزئيّة.

﴿فَتَنوا﴾ على البناء للفاعل؛ أي: بعدما عَذَّبوا المؤمنين كالحَضرَميّ وأشباهِهِ.

﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ من بعد هذه الأفعال وهي الهجرةُ والجهادُ والصبرُ.

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي﴾ منصوبٌ بـ﴿رَحِيمٌ﴾، أو بإضمارِ "اذكر".

فإن قلتَ: ما معنى النَّفسِ المضافةِ إلى النَّفْس؟

قلتُ: يقال لِعَيْنِ الشيء وذاتِه: نفسُه، وفي نقيضه: غيرُه، والنَّفسُ: الجملةُ كما هي، فالنفسُ الأولى هي الجملةُ والثانيةُ هي عينُها وذاتُها؛ فكأنه قيل: يومَ يأتي كلُّ إنسانٍ يجادلُ عن ذاته لا يُهِمُّه شأنُ غيره، وكلٌّ يقول: نفسي نفسي.

قوله: (كالحضرمي) فإنّه أكرَه جَبرًا،[1] وهو[2] كان سيّدَ جَبْرٍ،[3] لكنّه أسلَم.[4]

قوله: (قلتُ: يقال[5] لعين الشيء) حاصل الجواب: أنّ النفس تُطلق على معنيَين:[6] **أحدهما**: جملة الشيء. **والثاني**: بمعنى عين[7] الشيء وذاتِه، أي: هو لا غيره،[8] كما تقول[9] في التأكيد: جاء زيدٌ نفسُه. فالنفس الأوّل -وهي في قوله: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ﴾- بمعنى جملة الشخص، أي: يأتي[10] كلُّ إنسان، أي: كلُّ شخص إنساني، والنفس الثانية -وهي المضافة- بمعنى ذاتِ الشيء وعينِه، أي: تُجادِل عن عَينها، لا عن غيرها، كما تقول: دفعت عن زيدٍ نفسِه، وجاء زيدٌ نفسُه، فكأنّه[11] قيل: تأتي كلُّ نفسٍ تُجادِل عنها، لا عن غيرها. وقوله: (والنفس الجملة) أي: النفس مجموع الشيء كما هو.

---

[1] ن: جبرًا.

[2] ر: و.

[3] ن: جبر.

[4] تقدّمت قصّته في كلام الزمخشري، وهي كذلك في الكشف والبيان للثعلبي، ١٦/١٣٩ (النحل، ١٦/١٠٦).

[5] ن: لقال.

[6] ن: معنين.

[7] ر: عن.

[8] ر: عين.

[9] ر: يقول.

[10] ر: تأتي.

[11] ن: فكان.

ومعنى المجادلةِ عنها: الاعتذارُ عنها؛ كقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف ٣٨/٧]، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٢٣/٦] ونحو ذلك.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾؛ أي: جَعَل القريةَ التي هذه حالُها مَثَلًا لكلِّ قومٍ أَنْعَمَ اللهُ عليهم فأبطرَتْهم النعمةُ فكفروا وتولَّوا فأنزل اللهُ بهم نِقْمَتَه، فيجوزُ أن تُراد قريةٌ مقدَّرةٌ على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأوَّلين قريةٌ كانت هذه حالها فَضَربها الله مثلًا لمكَّةَ إنذارًا من مِثْل عاقبتِها.

﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يُزعجُها خوفٌ؛ لأن الطمأنينةَ مع الأَمْنِ والانزعاجَ والقَلَقَ مع الخوف.

﴿رَغَدًا﴾: واسعًا، والأنعُمُ: جمعُ نِعمةٍ على تركِ الاعتداد بالتاء كدِرْعٍ وأَدْرُعٍ، أو جمعُ نُعْمٍ كبُؤْسٍ وأَبْؤُسٍ، وفي الحديث: نادى منادي النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالموسم ....

قوله: (كقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف ٣٨/٧]) قال تعالى[1] حكايةً عمّا
[٦٩و] يقوله بعض الكفّار: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا / مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف ٣٨/٧]، وقال تعالى في موضع آخَر حكاية أيضًا عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٢٣/٦].

قوله: (التي هي حالها) عبارة عن قوله تعالى: ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾... إلخ.

قوله: (أو جمع نُعْم) النُّعْم -بالضمّ-[2] خلاف البُؤْس، يقال: يومُ نُعْمٍ، ويومُ بُؤْس.[3] وقوله: (بالموسم) يقال: وَسَمَه وَسْمًا؛ إذا أثَّر فيه بِسِمةٍ وكَيٍّ،

---

[1] ن - تعالى.
[2] ر: ما ضم.
[3] الصحاح للجوهري، «نعم».

بمنًى: «إنها أيَّامُ طُعْمٍ ونُعمٍ فلا تصوموا».

فإن قلتَ: الإذاقةُ واللِّباسُ استعارَتانِ، فما وجهُ صحَّتِهما؟ والإذاقةُ المُستعارةُ موقَعةٌ على اللِّباس المستعارِ، فما وجهُ صحَّةِ إيقاعِها عليه؟

قلتُ: أمَّا الإذاقةُ فقد جَرتْ عندَهم مَجْرى الحقيقةِ لشُيوعها في البلايا والشدائدِ وما يَمسُّ الناسَ منها، فيقولون: "ذاقَ فلانٌ البُؤسَ والضُّرَّ" و"أذاقَه العذابَ"، شُبِّهَ ما يُدرَكُ ....

وموسمُ الحاجِّ: مجتمَعُهم وسوقُهم، مِن الوَسم؛ وهو العلامة، سُمّي بذلك؛ لأنّه معلوم يُجتمع[1] إليه.[2]

قوله: (بمِنًى) سُمّي "مِنًى"؛ لأنّ الدماء تُمنَى بها، أي:[3] تُراق، أو لأنّ آدم عليه السلام[4] تَمَنَّى[5] المغفرة. وقوله: (طُعْمٍ) طَعِمَ الشيءَ: أكَلَه وذاقَه، طَعْمًا وطُعْمًا بالفتح والضم.[6] والضمير مِن "إنّها" يعود إلى "الأيّام" لدلالة الحال عليها، أي: هذه[7] الأيّام أيّام أَكْل وتَنَعُّم.

قوله: (قلتُ: أمّا الإذاقة)... إلخ قال الشاعر:

دُونَـــكَ مـا جَـنَـيـتَـه[8] فـاحْـسُ وذُقْ[9]

وقال أبو سفيان لحمزة[10] حين قُتل في أُحُد: «ذُقْ عُقَقُ».[11]

قوله: (شُبّه) ابتداء كلام لبيان ما تقدّم، فإنّه لمّا قال:[12] "جَرَت الإذاقة

---

[1] ر: مجتمع.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «وسم»؛ ومجمل اللغة لابن فارس، «وسم».

[3] ر - أي.

[4] ر ن - عليه السلام.

[5] ر: بمني.

[6] المُغرب للمطرّزي، «طعم».

[7] ن: هذ.

[8] ر: خبيته.

[9] قيل: ليزيد بن عمرو بن الصّعق الكلابي، وأوّله:

دونَـك ما جَنيتَه يا ابن الصّعق

دونَـكَ ما جَنَيته فاحسُ وذُق

قد كنت حذّرتك آلَ المصطلق

وقلت: يا هذا أطِعني وانطلِق

[10] ن: الحمزة.

[11] لسان العرب لابن منظور، «ذوق». وفيه: أي: ذُق طَعمَ مُخالَفتك لنا وتركِك دينك الذي كنت عليه يا عاقُّ قومه. جعلَ إسلامه عقوقًا، وهذا مِن المجاز أن يُستعمل الذُّوق -وهو ما يتعلّق بالأجسام- في المعاني.

[12] ر: حآ.

من أثرِ الضَّررِ والألم بما يُدرَك من طَعم المُرِّ والبَشِعِ، وأمّا اللباسُ فقد شُبّه به -لاشتماله على اللّابس- ما غَشِيَ الإنسانَ والْتَبَس به من بعضِ الحوادث، وأمّا إيقاعُ الإذاقة على لباسِ الجُوع والخوفِ ....

مَجرَى الحقيقة فيما ذُكر لشيوعها" عُلم أنّه بطريق المجاز، فبيَّنه بقوله: "شُبّه"... إلخ،[1] يعني: شُبّه المُدرَكُ الأوّل بالمُدرَك الثاني، ثمّ شُبّه الإدراكُ الأوّل بالإدراك الثاني، أي: بالذوق، ثمّ قيل: "أذاقَ"، فهو استعارة تَبعيّة،[2] والجامع بينهما التأثّر. وقوله: (مِن أثَر الضرر) بيان "ما" أو صِلة[3] "يُدرَك".

قوله: (والبَشِع)[4] شيء بَشِع،[5] أي: كَريهُ[6] الطعم، يأخذ في الحَلق،[7] بيّنُ البَشاعة.[8]

قوله: (وأمّا اللباس) أي: مسمًّى[9] اللباس.

وقوله: (فقد شُبّه به) أي: بمسمًّى[10] اللباس. مسمَّى اللباس مستعار منه،[11] وما غَشي الإنسانَ عند الخوف والجوع مستعار له، فقوله: ﴿فَأَذَاقَهُمُ﴾ [الزمر ٢٦/٣٩] للنظر إلى المستعار له.[12]

قوله: (مِن بعض[13] الحوادث) كالجوع والخوف. وقوله: (وأمّا إيقاع الإذاقة)

[1] وفي هامش د: يعني: شُبّه المُدرَك مِن الألَم بالمُدرَك مِن الشيء المُرّ، فيلزم تشبيه إدراك الألَم بإدراك المرّ، والجامع إدراك غير الملائم المنافر المنافي، أو التأثّر. ثمّ هذا التشبيه الذي قلنا كان في الثلاثي المجرّد -وهو "ذاق"- مع متعلّقه، ثم زِيد عليه، فيكون مبنيًّا عليه في التشبيه والاستعارة، فيكون معنى الاستعارة: جعلها الله مُدرِكة لِما يحصل للإنسان -وهو التأثّر- عند الجوع والخوف. ثمّ الاستعارة الأولى لمّا صارت مُنزلةً مَنزِلةَ الحقيقة لشيوعها -كما أشار المصنّف- صارت قرينةً للاستعارة الثانية، وهو ملائم للمستعار له؛ لأنّ معناه بناءً على الاستعارة: جعلها الله مُدرِكة لِما يحصل مِن الجوع والخوف، فتكون مجرَّدة، ولو قال: "فكَساهم" كانت استعارة ترشيحيّة. والاستعارة الثانية ظاهرة، فإنّه بيّنه وجه الشبه. واعلم أنّ المستعار له في اللباس ليس الجوعَ والخوف، وإلّا يلزم ذكر الطرفين في الاستعارة، تأمّل.

[2] ن: تبعيّته.

[3] ن: صلته.

[4] ن: واليسع.

[5] ن: بتسع.

[6] ن: كريد.

[7] ن: الخلق.

[8] ن: البساعة. | الصحاح للجوهري، «بشع».

[9] ر: سمّي.

[10] ر: بمسي.

[11] وفي هامش د: مشبّه به.

[12] ن – له.

[13] ن + له.

فلأنه لمَا وقَع عبارةً عمَّا يَغْشَى منهما ويلابِسُ فكأنَّه قيل: فأذاقهم ما غشِيَهم من الجوعِ والخوف، ولهم في نحوِ هذا طريقان لا بدَّ من الإحاطةِ بهما فإنَّ الاستنكار لا يقعُ إلا لِمَن فَقَدَهما:

أحدهما: أن يَنظروا فيه إلى المستعارِ له كما نُظِرَ إليه هاهنا، ونحوُه قولُ كُثَيِّرٍ:

غَمْرُ الرِّداءِ إذا تَبَسَّمَ ضَاحكًا   غَلِقَت لضحكتِه رقابُ المالِ

استعار الرداء للمعروفِ؛ لأنه يَصُونُ عِرْضَ صاحبِهِ صونَ الرِّداء لِمَا يُلْقَى عليه، ووصَفَه بالغَمْر الذي هو وصفُ المعروفِ والنَّوالِ لا صفةُ الرِّداء نظرًا إلى المستعار له.

بأن جعل اللباس مفعولَ الإذاقة.[١] وقوله: (فَلِأنّه) أي: اللباس. وقوله: (منهما) مِن الجوع والخوف.[٢]

قوله: (فقَدَهما) أي: طريقان. وقوله: (كما نُظِر إليه) أي: إلى المستعار له[٣] ههنا، أي: في الآية، وهو ما غَشي الإنسانَ عند الجوع والخوف.

قوله: (إلى[٤] المستعار له) نحو: "جاوَرتُ[٥] بَحرًا، ما أكثرَ علومَه، وما أجمَعَه للدقائق، وما أوقَفَه على الحقائق".[٦]

قوله:

(غَمْرُ الرِّداءِ)... البيتَ[٧]

"غَمْرُ[٨] الرِّداء"، أي: كثير المعروف. وقوله: "إذا تبسّم ضاحكًا"، أي: إذا ضَحِك ضِحْكةَ تبسّم أيقَن السائل أنّه بذلك التبسُّم استغلَقَ رِقابَ ماله، ويُعطَى بلا خلاف. و"غَلِقَت" مِن قولهم: غَلِق الرَّهنُ، أي: استحقَّه المرتهِن،

---

[١] ر - بأن جعل اللباس مفعول الإذاقة.
[٢] وفي هامش د: قوله: (ولهم في نحو هذا طريقان) أي: في الاستعارة، يريد: بين الاستعارة الترشيحيّة والتجريديّة.
[٣] وفي هامش د: وهذا سمّي استعارة مجرّدة.
[٤] ن: أي.
[٥] ر: جاوزته.
[٦] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ٣٨٥/١.
[٧] لكثير عزّة في ديوانه، ٢٨٨.
[٨] ن: غمرو.

والثاني: أن ينظروا فيه إلى المستعار؛ كقوله:

وذلك إذا لـم يُفكَّك في الوقت المشروط،[١] وفي الحديث: «لا يَغْلَقُ الرَّهن، لِصاحِبه غُنْمه، وعليه غُرْمه»،[٢] تفسيره عن أبي عُبيد أنّهما بمعنًى واحد، يقول:[٣] يرجع الرهن إلى ربّه، فيكون غُنمه له، ويرجع ربُّ الحقّ عليه، فيكون غُرمه عليه. وعن النخعي في رجل دفعَ إلى رجل رَهنًا وأخذ منه دِرهمًا، فقال: «إن جِئتُك بحقِّك إلى كذا وكذا، وإلّا فالرهن لك بحقِّك»، فقال إبراهيم: «لا يَغْلَق الرهن»، فجعله / جوابًا للمسألة. ويُنشَد لزهير: [٦٩ظ]

وفـارَقَـتـكَ بـرَهـنٍ لا فَـكـاكَ له   يومَ الـوَداعِ فأمسى الرهنُ قد غَلِقا[٤]

أي: ارتهنَت قلبه[٥] فذهبَت به.[٦]

قوله في الحاشية: "في الحديث: «لا يَغلَق الرهنُ»"، في المصابيح هكذا عن أبي هريرة رضي الله عنه[٧] أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٨] قال: «لا يُغلِق الرهنُ الرهنَ مِن صاحبه الذي رهَنَه، له غُنْمه، وعليه غُرْمه».[٩] وقال الإمام التُّورِبشتي في شرحه: «قوله: 'لا يُغلِق' أغلَقَ يُغلِق؛ إذا شَدَّ وأحكَمَ شيئًا بشيء، و'الرهنُ' الأوّل مصدر، و'الرهن' الثاني بمعنى المرهون، يعني: لا يمنع الرهنُ المرهونَ مِن مالكه بحيث يزول عنه منفعتُه، ويسقط[١٠] عنه نفقته؛[١١] بل له منفعتُه وفوائده،[١٢] وعليه نفقته وضمانه إن هلَكَ في يد المُرتهِن».[١٣]

قوله: (والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار)[١٤] جاوَرت بحرًا زاخرًا، لا يزال[١٥] يتلاطَم أمواجُه، ولا يَغيض فَيضُه، ولا يُدرَك قَعرُه.[١٦]

---

[١] الصحاح للجوهري، «غلق».
[٢] المستدرك للحاكم، ٥٩/٢ (٢٣١٧)؛ السنن الكبرى للبيهقي، ٦٦/٦ (١١٢١٩).
[٣] ن: مقول.
[٤] انظر: شرح شعر زهير لثعلب، ص ٣٨.
[٥] ن: قبله.
[٦] المُغرب للمطرّزي، «غلق».
[٧] د - رضي الله عنه.
[٨] د: عليه السلام.
[٩] مصابيح السنّة للبغوي، ٣٣٨/٢ (٢١٢٠).
[١٠] ر ن: وسقط.
[١١] ن + به.
[١٢] ن: وفايده.
[١٣] انظر: الميسّر للتوربشتي، ٨٨/٢. ولفظه في المفاتيح للمظهري، ٤٥٧/٣.
[١٤] ن: المسعار.
[١٥] ر ن: لا زوال.
[١٦] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ٣٨٥/١.

يـنـازِعُـنـي ردائـــي عـبـدُ عـمـرٍو رُويــدَكَ يـا أخـا عـمـرِو بـنِ بكْـرِ
لـي الـشَّـطـرُ الـذي مـلـكَـتْ يميني ودونَــــكَ فـاعـتَـجِـزْ مـنـه بـشـطْـرِ

أراد بردائه: سيفَه، ثم قال: "فاعتَجِزْ منه بشطْرٍ"، فنَظَر إلى المستعارِ في لفظِ الاعتجار، ولو نُظر إليه فيما نحن فيه لقيل: "فكساهم لباسَ الخوف والجوع"، ولقال كثيِّرٌ: "ضافي الرِّداء إذا تبسَّمَ ضاحكًا".

﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ في حالِ الْتِباسهم بالظُّلم؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل ٢٨/١٦] نعوذُ بالله من مفاجأةِ النِّقمة والموتِ على الغَفْلة.

وقرئ: "والخوفَ" عطفًا على اللِّباس، أو على تقديرِ حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مُقامَه، أصله: ولباسَ الخوف، ....

قوله:

(يُـــنـــازِعـــنـــي)... الـبـيـتَـيـن[1]

"دونَك"، أي: خُذ. ومعنى البيت الثاني قريب مِن معنى قوله:[2]

نُـقـاسِـمُـهـم[3] أسيـافَـنـا شَـرَّ قِـسـمـةٍ فَفِينا غَواشيها وفيهم صُدورها[4]

وقوله: (فاعْتَجِر)[5] المِعجَر:[6] ما تشدّه المرأة على رأسها، يقال: اعتجَرَت المرأةُ، والاعتِجار أيضًا: الاعتِمام على الرأس.[7] وقوله: (ولو نُظِر إليه) أي: إلى المستعار. وقوله:[8] (فيما نحن فيه) أي: في الآية والبيت. قال رضي الله عنه:[9] سألَ بعضُ الملاحدة ابنَ الأعرابي، فقال: «نعَم للفتوى لِباس، ولا بأس،[10] وإذا رَحِم الله الناس، فلا رحِمَ هذا الراس، هَبْ أنّ محمّدًا لم يكن نبيًا، ألم يكن عربيًا؟!».[11]

---

[1] بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «ردي».
[2] ر ن + شاعر. | وفي هامش د: شاعر.
[3] ر: تقاسمهم.
[4] لجعفر بن عُلبة الحارثي في لسان العرب لابن منظور، «غشا».
[5] ن: فاعتجز.
[6] ن: المعجز.
[7] الصحاح للجوهري، «عجر».
[8] ن: قوله.
[9] د: رحمه الله.
[10] ر ن: لباس.
[11] ن: غريبًا.

وقرئ: "لباسَ الخوفِ والجوع".

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾

لمَا وعَظَهم بما ذَكَر من حالِ القرية وما أُتِيَتْ به من كُفرها وسوءِ صَنيعها وصَل بذلك بالفاء في قوله: ﴿فَكُلُواْ﴾ صَدَّهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبِهم الفاسدةِ التي كانوا عليها بأنْ أَمَرهم بأكلِ ما رزقهم اللهُ من الحلال الطيّبِ وشُكرِ إنعامه بذلك، وقال: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ يعني: تُطيعون، أو: إن صحَّ زَعمُكم أنكم تعبدون الله بعبادةِ الآلهة؛ لأنها شفعاؤكم عنده.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥﴾

قوله: (وقُرئ: "لِبَاسَ الخَوفِ") هو في قراءة أبيّ.[1]

قوله: (وما أُتِيَت)[2] أي: أُهلِكَت، يقال: أتى عليهم الدَّهر، أي: أهلَكهم وأفنَاهم، وأصله مِن إتيان العدوّ. وقوله: (به) أي: بسببه. وقوله: (مِن كفرها) بيان "ما". وقوله:[3] (بذلك) أي: بالموعظة التي ذكر قبل، وهي حال القرية وما أُتِيَت به. وقوله: (صَدّهم)[4] أي: وَصَل[5] صَدُّهم عن أفعال الجاهليّة بالموعظة التي ذكر قبله، وذلك الصدّ هو قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾، أي: وصَل الصدّ بالموعظة بسبب "الفاء" في ﴿فَكُلُواْ﴾.[6]

قوله: (بعبادة الآلهة) أي: بواسطة عبادة الآلهة.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال أبو حيّان: «وهذا عندي إنّما كان في مصحفه قبلَ أن يَجمعوا ما في سواد المصحف الموجود الآن شرقًا وغربًا، ولذلك المستفيضُ عن أبيّ في القراءة إنّما هو كقراءة الجماعة». البحر المحيط لأبي حيّان، ٦/٦٠٥ (النحل، ١٦/١١٢).

[2] وفي هامش د: وما أوتيت به. نخ [نسخة]. | في بعض مطبوعات الكشّاف: وما أُوتيت.

[3] ن: قوله.

[4] وفي هامش د: أي: مَنَعهم.

[5] ر: وحصل.

[6] وفي هامش د: قوله: (يعني: تطيعون)... إلخ فيكون على الوجه الأوّل مِن قَبيل الكناية؛ لأنّ العبادة مِن توابع الإطاعة، وعلى الوجه الثاني حقيقة.

ثم عدَّد عليهم مُحرَّماتِ الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلِهم بأهوائهم وجَهالاتهم دون اتِّباع ما شَرَع الله على لسان أنبيائه.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ١١٦﴾

وانتصابُ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بـ"لا تقولوا" على: ولا تقولوا الكذبَ لِمَا تصفُه ألسنتُكم من البهائم بالحلِّ والحُرمة في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام ٦/١٣٩] من غيرِ استنَادِ ذلك الوصفِ إلى وحيٍ من الله أو إلى قياسٍ مُستنِدٍ إليه، واللامُ مثلُها في قولك: "ولا تقولوا لِمَا أَحَلَّ اللهُ: هو حرامٌ".

وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾، ويجوز أن يتعلَّق بـ﴿تَصِفُ﴾ على إرادة القول؛ أي: ولا تقولوا الكذبَ لِمَا تصفُه ألسنتكم فتقولُ: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾.

ولـك أن تَنْصِـبَ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بـ﴿تَصِفُ﴾ وتَجعَـلَ "مـا" مصدريـةً وتُعلِّـقَ ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بـ"لا تقولـوا" على: ولا تقولـوا هـذا حلالٌ وهـذا حرامٌ

قوله: (ثمّ عدّد) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾. وقوله: (ونهاهم) ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾. وقوله: (عن تحريمهم) إضافة إلى الفاعل.

قوله: (على "ولا تقولوا الكذِبَ") أي: ولا تقولوا القولَ الكذِبَ، والكذبُ: قولُهم: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾. وقوله: (لِما تصِفُه) موصولة.

قوله: (مِن غير استناد) حال، أي: غيرَ مستندين. وقوله: (إلى وَحيٍ مِن الله) بأن يكون مستنِدًا إلى آية أو حديث. وقوله:[١] (ويجوز أن يتعلَّق) ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾.

قوله: (وتَجعلَ "ما" مصدريّة) أي: لوَصف ﴿أَلْسِنَتُكُمُ﴾.

---

١ ن: قوله.

لوصفِ ألسنتِكم الكذبَ؛ أي: لا تُحرِّموا ولا تحلِّلوا لأجلِ قولٍ تنطقُ به ألسنتُكم ويَجُولُ في أفواهكم لا لأجلِ حُجَّةٍ وبيّنة؛ ولكنْ قولٌ ساذجٌ ودَعوَى فارغةٌ.

فإن قلتَ: ما معنى وصفِ ألسنتِهم الكذبَ؟

قلتُ: هو من فصيحِ الكلام وبَليغِه، جعَل قولَهم كأنَّه عينُ الكذب ومَحْضُه، فإذا نطقَتْ به ألسنتُهم فقد حَلَّتِ الكذبَ بحِلْيَته وصوَّرَتْه بصُورته؛ كقولهم: وَجهُها يصفُ الجَمالَ، وعينُها تَصِفُ السِّحرَ.

وقرئ: "الكَذِبِ" بالجرِّ صفةً لـ"ما" المصدريةِ؛ كأنَّه قيل: لوَصْفِها الكذبِ بمعنى: الكاذبِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف ١٢/١٨] والمراد بالوصف: وصفُها البهائمَ بالحلِّ والحُرمة.

قوله: (ساذَج) أي: عُريان، وهو فارسي معرّب.[١]

قوله: (ودَعوَى) صحّ بغير تنوين؛ لأنّ الألِف في "دعوى" ألِف تأنيث.

[٧٠و] قوله: (فقد حَلَّت) حَلِيَت المرأةُ، أي: صارَت ذاتَ حُليٍّ، / فهي حَلِيَةٌ وحالِيةٌ، ونِسوة حَوالٍ، وحَلَّيتُها تَحْلية، ومنه سيف مُحَلًّى، وحَلَّيتُ الرجلَ أيضًا، أي: وَصفتُ حِليَتَه، وحِليةُ السيف جَمْعها: حِلًى، مثل: لِحْيةٍ ولِحًى، ورُبّما ضُمّ، وحِلية الرجل: صفته.[٢]

قوله: (وَجهُها[٣] يَصِفُ الجَمالَ) أي: هو جميل. وقوله: (وعينُها[٤] تَصِفُ[٥] السِّحرَ)[٦] أي: هي ساحرة.[٧]

قوله: (صفةً لِـ"ما" المصدريّة) "ما" المصدريّة حرف، وهي لا تُوصَف، ومُراده أنّه وَصْف للمَصدر المراد بقوله: "ما تَصِف"، وقد صرّح به في قوله: (لوصفها الكذبَ).

---

١ انظر: تاج العروس للفيروزآبادي، «سذج».
٢ الصحاح للجوهري، «حلا».
٣ ر: وجهتها.
٤ ن: عينها.
٥ ن: يصف.
٦ ر: الشجر.
٧ ر: شاجرة.

وقرئ: "الكُذُبُ" جمع كَذُوبٍ بالرفع صفةً للألسنة، وبالنَّصب على الشَّتم، أو بمعنى: الكَلِمَ الكواذبَ، أو هو جمعُ الكِذَاب من قولك: "كَذَبَ كِذابًا" ذكره ابن جني.

واللام في ﴿لِتَفۡتَرُواْ﴾ من التعليل الذي لا يتضمَّن معنى الغرض.

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: منفعَتُهم فيما هم عليه من أفعالِ الجاهلية منفعةٌ قليلةٌ وعقابُها عظيمٌ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾

﴿مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ يعني: في سورة الأنعام.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩﴾

﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ في موضع الحال؛ أي: عَمِلوا السوءَ جاهلينَ غيرَ عارِفين بالله وبعِقَابه، أو غيرَ متدبِّرين للعاقبة لغلَبة الشَّهوةِ عليهم.

قوله: (وبالنصب)[1] أي: "الكُذُبَ".[2] وقوله: (أو بمعنى: الكَلِمَ الكواذِب) أي: تصف ألسِنتكم الكَلِمَ الكواذِبَ، فـ"الكُذُبَ" مفعول "تَصِفُ". وقوله: (أو هو جمع الكِذاب) أي: "الكُذُبَ" على تقدير النصب، فيكون مصدرًا؛[3] لأنَّ "الكِذاب"[4] مصدر.[5]

قوله: (واللام في ﴿لِتَفۡتَرُواْ﴾) اللام في ﴿لِتَفۡتَرُواْ﴾ مثلها في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٢٨/٨].

---

١ ن: وبالصد.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن يعقوب. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٦.

٣ ن: مصدر.

٤ ن: الكذب.

٥ ن: مصد.

﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: من بعدِ التوبة.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾

﴿كَانَ أُمَّةٗ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمّةً من الأمم؛ لكماله في جميع صفات الخير؛ كقوله:

وليس لله بمُستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدِ

وعن مجاهدٍ: كان مؤمنًا وحده والناسُ كلُّهم كفّارٌ.

والثاني: أن يكون أمّةً بمعنى مأمومٍ؛ أي: يَؤمُّه الناس ليأخذوا منه الخيرَ، أو بمعنى: مؤتَمٍّ به كالرُّحلةِ والنُّخْبة، وما أشبهَ ذلك مما جاء من فُعلةٍ بمعنى مفعولٍ، فيكون مثلَ قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ [البقرة ١٢٤/٢].

ورَوَى الشعبيُّ عن فَرْوةَ بن نوفلٍ الأشجعيّ عن ابن مسعود أنه قال: "إن معاذًا كان أمّةً قانتًا لله"، فقلتُ: "غلطتَ، إنما هو إبراهيمُ عليه السلام"، فقال: "الأمّةُ: الذي يُعلِّم الخيْرَ، والقانتُ: المطيعُ لله ورسوله، وكان معاذٌ كذلك".

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال حين قيل له: "ألا تستخلِفُ؟": لو كان أبو عبيدةَ حيًّا لاستخلفتُه، ولو كان معاذٌ حيًّا لاستخلفتُه، ولو كان سالمٌ حيًّا لاستخلفتُه، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أبو عبيدةَ أمينُ هذه الأمّة، ومعاذٌ أمّةٌ لله قانتٌ لله ليس بينه وبين الله يومَ القيامة إلّا المرسلون، وسالمٌ شديدُ الحبِّ لله لو كان لا يخافُ اللهَ لم يَعْصِه».

قوله: (وعن مجاهد) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (لكماله).

قوله: (بمعنى مأموم) أي: مقصود.[1] قوله: (أي: يَؤمّه) أي: يَقصده.

قوله: (كالرُّحلةِ)... إلخ "الرُّحلة": ما يُرتَحلُ إليه، و"النُّخبة": المُنتخَب.[2]

قوله: (وسالم) مَولى أبي حُذيفة.

---

[1] ر ن: مقصوده.

[2] وفي هامش د: قوله: (﴿كَانَ أُمَّةٗ﴾ فيه وجهان)... إلخ على الوجه الأوّل كونه أمّة باعتبار جميع الصفات فيه، وعلى الوجه الثاني باعتبار إيمان جميع الناس.

وهو ذلك المعنى؛ أي: كان إمامًا في الدِّين؛ لأن الأئمَّةَ معلِّمو الخير.

والقانتُ: القائمُ بما أمَر الله، والحنيفُ: المائلُ إلى ملَّة الإسلام غيرُ الزائل عنه، ونَفَى عنه الشركَ تكذيبًا لكفَّار قريشٍ في زعمهم أنهم على ملَّة أبيهم إبراهيم.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ رُوي أنه كان لا يتغدَّى إلَّا مع ضيفٍ، فلم يجِدْ ذاتَ يومٍ ضيفًا فأخَّرَ غَداءَهُ، فإذا هو بفَوْجٍ من الملائكة في صورةِ البشر، فدعاهم إلى الطعام فخيَّلوا له أن بهم جُذامًا، فقال: "الآن وجَبَتْ مُواكلتُكم، شكرًا لله على أنه عافاني وابتلاكُم".

﴿اجْتَبَاهُ﴾: اختصَّه واصطفاه للنبوَّة ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى ملَّة الإسلام.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿حَسَنَةً﴾ عن قتادة: هي تَنويهُ الله بذكره حتى ليس من أهلِ دينٍ إلَّا وهم يتوَلَّوْنَه.

وقيل: الأموال والأولاد.

وقيل: قولُ المصلِّي منَّا: كما صلَّيتَ على إبراهيم.

﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: لَمِن أهل الجنَّة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله: (وهو ذلك المعنى) أي: ما قاله ابن مسعود قبلُ.

قوله: (تَنويهُ[1] الله) ناهَ[2] الشيءُ يَنُوهُ؛ إذا ارتفَعَ، فهو نائِهٌ،[3] ونَوَّهتُه تَنويهًا؛ إذا رفعتَه، ونَوَّهتُ باسمه؛ إذا رفعتَ ذِكره.[4]

---

[1] ر: بتوبة.
[2] ن: ناءه.
[3] ر: بانه.
[4] الصحاح للجوهري، «نوه». | وفي هامش د: قوله: (لَمِن أهل الجنّة) فيكون مِن قَبيل ذِكر السبب وإرادة المسبَّب؛ لأنّ الصلاحيّة سبب لأهليّة الجنّة، أو مِن قَبيل ذِكر المَلزوم وإرادة اللازم.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ في ﴿ثُمَّ﴾ هذه ما فيها من تعظيمِ منزلةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلالِ محلِّه، والإيذانِ بأنَّ أشرفَ ما أُوتيَ خليلُ الله إبراهيمُ عليه السلام من الكرامةِ وأجلَّ ما أُولِيَ من النعمة: اتِّباعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِلَّته، من قِبَل أنها دَلَّتْ على تباعُد هذا النعتِ في المرتبةِ من بين سائرِ النُّعوت التي أثنى الله عليه بها.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٢٤﴾

﴿ٱلسَّبْتُ﴾: مصدرُ سَبَتتِ اليهودُ: إذَا عظَّمتْ سَبْتَها، والمعنى: إنما جُعل وبالُ السَّبت وهو المسخُ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ واختلافُهم فيه: أنَّهم أحلُّوا الصَّيدَ فيه تارةً وحرَّموه تارةً، وكان الواجبُ عليهم أن يتَّفقوا في تحريمه على كلمةٍ واحدةٍ بعد ما حتَّم الله عليهم الصَّبرَ عن الصَّيد فيه وتعظيمَه، والمعنى في ذكر ذلك نحوُ المعنى في ضربِ القريةِ التي كفرَتْ بأَنعُمِ اللهِ مثَلًا، وغيرِ ما ذُكر وهو الإنذارُ من سَخَط الله على العُصاة والمخالِفين لأوامره والخالِعين رِبقةَ طاعته.

فإن قلتَ: فما معنى الحكمِ بينهم إذا كانوا جميعًا محِلِّين أو محرِّمين؟

قوله: (ما[١] فيها مِن تعظيم)[٢] كلمة "ما" ههنا للتعظيم، كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه ٢٠/٧٨].

قوله: (وغيرِ ما ذكر) ويجوز أن يكون "وغير" عطفًا على "أنعُم"، أي: كفَرَت بأنعُم الله وبغير...

قوله: (فإن قلتَ: ما معنى الحكم بينهم؟) معنى السؤال: أنّه لو كان بعضهم مُحلِّين وبعضهم مُحرِّمين[٣] لَكان قوله: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ ظاهر المعنى، وأمّا إذا كانوا جميعًا مُحلِّين تارةً ومُحرِّمين[٤] أخرى فما معنى قوله: ﴿لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾،

---

[١] ر ن: فما.
[٢] ر ن: تعظم.
[٣] ر: مجرمين.
[٤] ر: ومجرمين.

قلت: معناه: أنه يجازيهم جزاءَ اختلافِ فِعْلهم في كونهم محلّين تارةً ومحرّمين أخرى.

ووجهٌ آخر: وهو أن موسى عليه السلام أمرَهم أن يجعلوا في الأسبوع يومًا للعبادة، وأن يكون يومَ الجمعة، فأبَوْا عليه وقالوا: نريدُ اليوم الذي فرغَ اللهُ فيه من خلقِ السماوات والأرض وهو السَّبتُ، إلَّا شِرذمةً منهم قد رضُوا بالجمعة، فهذا اختلافهم في السبت؛ لأن بعضهم اختاروه وبعضَهم اختار عليه الجُمعةَ، فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصَّيد فيه، فأطاعَ أَمرَ الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون، وأعقابُهم لم يَصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك، وهو يحكُمُ ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فيُجازي كلَّ واحدٍ من الفريقين بما يَستوجِبه.

ومعنى ﴿جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾: فُرض عليهم تعظيمُه وتركُ الاصطياد فيه.

وقرئ: "إنما جَعَلَ السبتَ" على البناء للفاعل، وقرأ عبد الله: "إنَّا أنزلنا السبتَ".

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾

﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالمقالةِ المحكَمَة الصحيحةِ، وهي الدليلُ الموضِح للحقِّ المُزيلُ للشُّبهة.

وإنّما قال المصنّف: "مُحلِّين أو مُحرِّمين"؛[١] لأنّه إذا كان جميعهم مُحلِّين تارةً ومُحرِّمين[٢] أخرى، فلا محالةَ كانوا مُحلِّين أو مُحرِّمين.[٣]

قوله: (ووجه آخرُ)...[٤] إلخ و﴿ٱلسَّبْتُ﴾ على هذا التفسير اسم ذلك اليوم، لا المصدر، بخلاف الوجه الأوّل.[٥]

قوله: (ومعنى ﴿جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾) فُرِض عليهم على الوجه الثاني.

---

١ ر: مجرمين.

٢ ر: ومجرمين.

٣ ر: مجرمين. | وفي هامش د: قوله: (قلت: معناه)... إلخ فيكون مِن قَبيل ذكر السبب وإرادة المسبَّب؛ لأنّ الحكم بالجزاء سبب للجزاء.

٤ ر ن: أخرى.

٥ وفي هامش د: قوله: (فيُجازى)... إلخ فعلى هذا التفسير أيضًا مَجاز كما مرّ آنفًا.

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وهي التي لا يَخْفَى عليهم أنك تناصِحُهم بها وتَقْصِدُ ما ينفعُهم فيها.

ويجوزُ أن يريد القرآنَ؛ أي: اُدعُهم بالكتاب الذي هو حكمةٌ وموعظةٌ حسنةٌ.

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالطريقةِ التي هي أحسنُ طرقِ المجادَلة: من الرِّفقِ واللِّينِ من غيرِ فَظاظةٍ ولا تعنيفٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بهم، فمَن كان فيه خيرٌ كفاهُ الوعظُ القليلُ والنصيحةُ اليسيرةُ، ومَن لا خيرَ فيه عَجَزَتْ عنه الحِيَلُ وكأنك تَضرِبُ منه في حديدٍ بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

سمِّي الفعلُ الأولُ باسمِ الثاني للمُزاوجة، والمعنى: إنْ صُنع بكم صَنيعُ سوءٍ مِن قتلٍ أو نحوِه فقابِلوه بمِثْله ولا تَزيدوا عليه.

قوله: (وكأنك تضرِبُ منه في حديد) كما تقول: رأيتُ منك أسدًا.

قوله: (للمُزاوَجة) صوابه للمشاكَلة. والمشاكَلة:[١] هي أن تَذكُر[٢] الشيءَ بلفظِ غيره لوقوعه في صُحبتِه، كقوله:

قالوا: اقترح شيئًا نُجِد لكَ طَبخَهُ   قلتُ: اطبُخوا لي جُبّةً وقَميصًا[٣]

وكقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة ٢/١٩٤].[٤]

والمزاوَجة: هي أن يُزاوَج بين معنيَين في الشرط والجزاء، كقوله:

إذا ما نَهَى الناهي فَلجَّ بِيَ الهوَى   أصاخَتْ[٥] إلى الواشِي فلجَّ بها الهَجرُ[٦]

---

[١] ر: والمشكالة.

[٢] ن: تكرر.

[٣] البيت لأحمد بن محمّد الأنطاكي، المعروف بأبي الرَّقَعْمَق. انظر: معاهد التنصيص لأبي الفتح العبّاسي، ٢/٢٥٢.

[٤] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ١/٤٢٤.

[٥] ر: أضاحت؛ ن: أخاخت.

[٦] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ١/٤٢٥. والبيت للبحتري في ديوانه، ص ٨٤٤.

وقرئ: "وإنْ عَقَّبْتُم فعَقِّبُوا"؛ أي: وإن قَفَّيْتُم بالانتصار فقفُّوا بمثلِ ما فُعِل بكم.

روي: أن المشركين مَثَلوا بالمسلمين يوم أحدٍ: بَقَروا بطونَهم وقطعوا مذاكيرَهم ما تركوا أحدًا غيرَ مَمْثولٍ به إلا حنظلةَ بن الراهبِ، فوقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حمزةَ وقد مُثِل به -وروي: فرآه مبقورَ البَطْنِ- فقال: «أمَا والذي أَحلِفُ به لئن أَظْفَرني اللهُ بهم لأمثُلَنَّ بسبعين مكانك» فنزلَتْ، فكفَّر عن يمينه وكفَّ عمَّا أراده.

ولا خلافَ في تحريم المُثلة، وقد وردتِ الأخبارُ بالنهي عنها حتى بالكلب العَقُور.

إما أن يرجع الضمير في ﴿لَهُوَ﴾ إلى صبرِهم وهو مصدرُ ﴿صَبَرْتُمْ﴾، ويراد بالصابرين: المخاطَبون؛ أي: ولئن صبرتُم لصَبْرُكم خيرٌ لكم، فوُضع الصابرون موضع الضمير ثناءً من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد، أو وصَفَهم بالصِّفة التي تحصلُ لهم إذا صبروا عن المعاقَبة.

وإمَّا أن يرجعَ إلى جنسِ الصبر، وقد دَلَّ عليه ﴿صَبَرْتُمْ﴾ ويراد بالصابرين جنسُهم؛ كأنَّه قيل: "ولَلصَّبْرُ خيرٌ للصابرين"، ....

قوله: (بالانتصار) أي: بالانتقام.

قوله: (مَثَلُوا بالمسلمين) مَثَل به مُثْلةً، وذلك أن / يقطع بعض أجزائه، أو يُسوِّد وَجهه.[1] [٧٠ظ]

قوله: (بَقَروا)[2] جملة مبيِّنة.

قوله: (مذاكيرَهم) المذاكير: جمع الذَّكَر الذي هو العضو المخصوص -أي: الفرج- على خلاف القياس، كأنَّهم فرَّقوا بين الذكَر -وهو العُضو- وبينَ الذَّكَر الذي هو خلاف الأنثى في[3] الجَمع، فإنَّه يُجمع على ذكور وذُكران.

قوله: (وإمّا أن يرجع إلى جنس الصبر) فعلى هذا لا يكون مِن وضع الظاهر مَوضعَ الضمير.[4]

---

[1] ن: وجه. | المُغرب للمطرّزي، «مثل».
[2] ر: يقرا.
[3] ر: و.
[4] ن: المضمر.

ونحوُه قوله عزّ وعلا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى ٤٢/٤٠]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٣٧].

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ أنت، فعَزَم عليه بالصبر ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: بتوفيقِه وتثبيتِه ورَبْطِه على قلبك.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الكافرين؛ كقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة ٥/٦٨]، أو على المؤمنين وما فَعَل بهم الكافرون.

﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ وقرئ: "ولا تكُن في ضِيقٍ".

أي: ولا يضِيقنّ صدرُك من مكرهم، والضَّيْق: تخفيفُ الضَّيِّق؛ أي: في أمرٍ ضيِّقٍ، ويجوزُ أن يكون الضَّيْقُ والضِّيقُ مصدرين كالقِيل والقَول.

قوله: (فعزَمَ عليه بالصبر) أي: أمَرَ به. يقال: عزَمتُ عليك، وحقيقته القَطع، أي: قطعتُ عليك هذا؛ وهيَ عِبارة عن[1] المُلوك.

قوله: (﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾) قال أبو الحسن: «الضَّيق والضِّيق لغتان في المصدر، وأمّا المثقَّلة[2] فيكون فيها التخفيف، فيكون "ضَيْق" مثل مَيْت، وينبغي أن يُحمل على أنّ "ضَيْق" مصدر؛ لأنَّك إذا حملتَه على أنّه مخفَّف مِن "ضَيِّق" فقد أقمتَ الصفةَ مُقامَ الموصوف في غير[3] ضرورة». والمعنى: لا تَكُ في ضِيقٍ، أي: لا يَضِق[4] صدرك مِن مَكرهم، كما قال: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود ١١/١٢]، وليس المراد: لا تكن في أمرٍ ضَيِّق، فمَن فتحَ "ضَيْقًا" كان في معنى مَن كسرَ، وهما لغتان كما قال أبو الحسن. قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود ١١/١٢].

---

[1] ر – عن.
[2] ن: المنفلة.
[3] ر: غيره.
[4] ر: يضيق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾؛ أي: هو وليُّ الذين اجتنَبوا المعاصيَ ﴿و﴾ وليُّ ﴿الذين هم مُحْسِنون﴾ في أعمالهم.

وعن هَرِمِ بن حَيَّانَ أنه قيل له حين احتُضرَ: "أَوْصِ"، فقال: "إنما الوصيَّة من المال ولا مال لي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل".

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ النحلِ لم يُحاسبْه الله بما أَنْعَمَ عليه في دار الدنيا، وإن مات في يومِ تلاها أو ليلةٍ كان له من الأجرِ كالذي مات وأحسَنَ الوصية».

قوله: (وعن هَرِم ابن حيّان) سمّي به؛ لأنّه بقي في بَطن أمّه أربعَ سنين.[1]

قوله: («وأوصيكم بخواتيم[2] سورة النحل»)[3] مِن قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾... إلى آخر السورة.

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله أجمعين.

تمّت السورة بحمد الله ومَنّه وكرَمه.[4]

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «هرم».

[2] ر ن: بخواتم.

[3] جامع البيان للطبري، ١٤/٤٠٩ (النحل، ١٦/١٢٨).

[4] ر ن – والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله أجمعين. تمّت السورة بحمد الله ومَنّه وكرمه.

سورة بني إسرائيل

مكيةٌ، وهي مئةٌ وعشرُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾

﴿سُبۡحَٰنَ﴾ عَلَمٌ للتسبيح كعُثْمانَ للرَّجل، وانتصابُه بفعلٍ مضمَرٍ متروكٍ إظهارُه تقديرُه: أُسبِّحُ اللهَ سبحان، بمعنى: تسبيحًا، ثم نُزِّل "سبحانَ" منزلةَ الفعلِ فَسَدَّ مَسَدَّه، ودلَّ على التنزيه البليغِ من جميعِ القبائح التي يضيفُها إليه أعداءُ الله.

و﴿أَسۡرَىٰ﴾ و"سَرَى" لغتان.

و﴿لَيۡلٗا﴾ نصبٌ على الظرف.

فإن قلتَ: الإسراءُ لا يكون إلَّا بالليل، فما معنى ذكرِ الليل؟

قلتُ: أراد بقوله: ﴿لَيۡلٗا﴾ بلفظ التنكير: تقليلَ مدَّةِ الإسراءِ، وأنه أَسرى به في بعضِ الليل من مكَّة إلى الشام مسيرةَ أربعين ليلةً، وذلك أن التنكيرَ فيه قد دلَّ على معنى البعضيَّة، ....

سورة بني إسرائيل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ يَسِّر ولا تُعسِّر[2]

قوله: (على معنى البَعضيَة)؛[3] وذلك لأنَّ التنكير قد يكون للتقليل،[4] والتقليلُ[5]

[1] وتُسمَّى أيضًا سورةَ الإسراء، سورةَ سبحان.
انظر: الإتقان للسيوطي، ١/١٩٣.
[2] ر ن – ربِّ يسّر ولا تُعسِّرْ.
[3] ر: التعصية.
[4] ن: للقليل.
[5] ر: والتعليل؛ ن: والقليل.

ويَشهدُ لذلك قراءةُ عبد الله وحُذيفةَ: "من الليل"؛ أي: بعضَ الليل؛ كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ [الإسراء ٧٩/١٧] يعني: الأمرَ بالقيام في بعض الليل.

واختُلف في المكان الذي أُسْرِي منه، فقيل: هو المسجد الحرامُ بعينه، وهو الظاهر، ورُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «بَيْنا أنا في المسجدِ الحرام في الحِجْرِ عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جَبريلُ عليه السلام بالبُراق».

وقيل: أُسرِي به من دار أمّ هانئ بنتِ أبي طالبٍ.

والمرادُ بالمسجد الحرام: الحرَمُ؛ لإحاطته بالمسجد والْتِباسِهِ به، وعن ابن عباسٍ رضي الله عنه: الحرمُ كلُّه مسجد.

وروي: أنه كان نائمًا في بيت أمِّ هانئ بعد صلاة العشاء، فأُسري به ورجع من ليلته وقصَّ القصّةَ على أمِّ هانئ، وقال: «مُثِّلَ لي النَّبِيُّونَ فصلَّيتُ بهم»، وقامَ ليخرج إلى المسجد، فتشبَّثَتْ أمُّ هانئ بثوبه فقال: «مَا لَكِ؟» قالت: "أَخشَى أن يكذِّبكَ قومُك إنْ أَخْبرتَهم"، قال: «وإنْ كذَّبوني»، فخرجَ فجلس إليه أبو جهلٍ فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحديثِ الإسْراء، فقال أبو جهل:

والتبعيضُ متقاربان، فاستعمل في التبعيض ما هو للتقليل.[١]

قوله: (قراءة عبد الله) بنِ[٢] مسعود.[٣]

قوله: (في الحِجْرِ عند البيت) الحِجْر -بالكسر- ما أحاط به الحَطيم ممّا يلي الميزاب مِن الكعبة.[٤] قال ابن[٥] عبّاس: «الحَطيم: الجَدْرُ»،[٦] يعني: جدار حِجْر الكعبة.[٧]

قوله: (قال: «وإنْ كذّبوني») أي: أُخبرهم[٨] وإن كذّبوني.

---

١ ر: للتعليل.

٢ ن: ابن.

٣ وهي قراءة شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٦.

٤ المُغرب للمطرّزي، «حجر».

٥ ن: بن.

٦ ر ن: الحدر.

٧ ن: العبة. | الصحاح للجوهري، «حطم».

٨ ر: أخيرهم.

"يا معشرَ بني كعب بن لُؤَيٍّ هلمَّ!" فحَدَّثهم فمِن بين مصفِّقٍ ....

قوله: (هَلُمَّ) "هَلُمَّ" مُركّبة مِن حرف التنبيه[١] مَعَ "لُمَّ"، أي:[٢] اجْمَعْ نفسَك، محذوفةً مِن "ها" ألِفُها عند أصحابنا، وعند الكوفيّين مِن "هل" مع "أُمَّ"، محذوفةً همزتُها. والحِجازِيُّون[٣] فيها على لفظ واحد في التثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، وبَنُو[٤] تميم يقولون: هَلُمّا، هَلُمُّوا، هَلُمِّي، هَلْمُمْنَ.[٥] وهي على وجهَين؛ متعدّيةٍ كَ"هَاتِ"،[٦] وغيرِ متعدّية بمعنى: تَعالَ[٧] وأَقْبِلْ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام ١٥٠/٦]، وقال: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب ١٨/٣٣].[٨]

قوله: (فحدَّثَهم) الفاء في "فحدَّثَهم" فاء فَصيحة، أي: فجاءُوا فحدَّثهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٩] بذلك. والصَّفْق: الضَّرب[١٠] الذي يُسمع له صَوت، والتَّصفِيق مثله، والتَّصفِيق باليَدِ: التَّصوِيت بها.[١١]

[٧١و] قوله: / (فمِن بَيْنِ مُصفِّق) خبر مبتدأ محذوف، أي: فَهُم مِن بين مُصفِّق. و"مِن" متعلِّق بمحذوف، أي: فَهُم كانوا أو صاروا[١٢] بين مُصفِّق وواضِع. ويريد[١٣] بذلك بيان تفصيل[١٤] أحوالهم وأفعالهم عند ذلك، يعني: كان بعضُهم يُصفِّق باليدين عند سماع هذا القول مِن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١٥] استهزاءً وسُخرية، وبعضهم يَضَع[١٦] يده على رأسه إنكارًا وتعجُّبًا، كَمَن يتحيَّر[١٧] في أمْرٍ ويُدَوِّر رأسه عند ذلك، فيَضع يده على رأسه[١٨] لِيُمسِكَه عن الحركة الشديدة والأداءِ[١٩]

---

[١] ر ن: التثنية.
[٢] ر ن: أن.
[٣] ر: والحجاريّون.
[٤] ر: وهو.
[٥] ر: بلممن.
[٦] ر: كهاب.
[٧] ر ن: تعالى.
[٨] المفصّل للزمخشري، ص ١٩٣.
[٩] د: عليه السلام.
[١٠] ر ن: والضرب.
[١١] الصحاح للجوهري، «صفق».
[١٢] ر: وصاروا.
[١٣] ن: يريد.
[١٤] ن: تفضيل.
[١٥] د: عليه السلام.
[١٦] ر ن: يدع.
[١٧] ر: يتخيّر.
[١٨] ر: رأسَه.
[١٩] ن: والأذاء.

وواضعٍ يدَه على رأسه تعجُّبًا وإنكارًا، وارتدَّ ناسٌ ممن كان آمَنَ به. وسعى رجالٌ إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال: "إنْ كان قال ذلك لقد صدَقَ"، قالوا: "أتُصدِّقه على ذلك؟!" قال: "إنّي لأُصدِّقه على أبعدَ من ذلك"، فسُمِّي الصِّدِّيقَ. وفيهم مَن سافر إلى ما ثَمَّ، ....

إلى الوجَع والهلاك، وكانوا يفعلون جميع[1] ذلك لإظهار الإنكار، والامتناعِ عن القبول والإقرارِ،[2] والإضرارِ[3] على العُتوّ والاستِكبار.[4]

قوله: (سَعَى) يجوز أن يكون مِن السَّعْي[5] بمعنى الإسراع في المَشي.[6] ويجوز أن يكون مِن قولهم: سَعَى به إلى الوالي، أي: وَشَى.

قوله: (فَقال) الفاء في "فقال" أيضًا فاء فصيحة، وضميره يعود إلى "أبي بكر رضي الله عنه"،[7] أي: سعى رجال منهم إلى أبي بكر رضي الله عنه[8] وحدَّثوه بما سمعوه مِن النبيّ عليه السلام في شأن المِعراج، فقال أبو بكر:[9] «إن[10] كان قال»... ويجوز أن يكون الضمير في "كان" ضمير الشأن، وأن يكون ضميرًا عائدًا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[11] أي: كان قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[12] ما حدَّثتُموني[13] عنه فقد صدَق.

قوله: (فسُمِّي الصِّدِّيقَ) أي: فسُمِّي أبو بكر بسبب هذا الجواب الصِّدْقِ، لظهور صِدقِه الكامل بهذا الجواب.

قوله: (إلى ما[14] ثَمَّ) "ثَمَّ" عبارة عن المسجد الأقصى، و"ما" كناية[15] عن المواضع التي هي حوالَي المسجد الأقصى.

---

١ ر ن - جميع.
٢ ن: والإفرار.
٣ ن: والإضرار.
٤ ر ن: والاستكبار.
٥ ن: السعني.
٦ ر: الشيء؛ ن: الشي.
٧ د - رضي الله عنه.
٨ د - رضي الله عنه.
٩ ر ن - وحدّثوه بما سمعوه مِن النبيّ عليه السلام في شأن المعراج، فقال أبو بكر.
١٠ ر ن: إذا.
١١ د: عليه السلام.
١٢ د: عليه السلام.
١٣ ن: ما ثنموني.
١٤ وفي هامش د: جانب الشام.
١٥ ن: كنابة.

فاستَنْعَتُوه المسجدَ فجُلِّي له بيتُ المقدس، فطَفِقَ يَنظرُ إليه ويَنعته لهم، فقالوا: أما النعتُ فقد أصاب! فقالوا: أخبِرْنا عن عِيرنا؟ فأخبرهم بِعددِ جِمالها وأحوالها، وقال: تَقْدَمُ يومَ كذا مع طلوعِ الشمس يَقْدُمُها جملٌ أورقُ، فخرجوا يشتدُّون ذلك اليوم نحو الثنيّة، فقال قائلٌ منهم: هذه والله الشمسُ قد شَرَقَتْ، فقال آخرُ: وهذه والله العِيرُ قد أقبلَتْ يقدمُها جملٌ أورقُ كما قال محمدٌ، ثم لم يؤمُنوا وقالوا: ما هذا إلَّا سحر مبينٌ.

وقد عُرِج به إلى السماء في تلك الليلة، وكان العروج به من بيت المقدس، وأخبر قريشًا أيضًا بما رأى في السماء من العجائب، وأنه لقي الأنبياءَ وبَلغَ البيتَ المعمورَ وسِدْرةَ المنتهَى.

واختلفوا في وقت الإسراء:

فقيل: كان قبلَ الهجرةِ بسنةٍ.

وعن أنسٍ والحسن: أنه كان قبل البَعْث.

قوله: (فاستَنْعَتُوه) أي: طلبوا منه عليه السلام[١] نَعْتَ المسجد الأقصى.

قوله: (فجُلِّي)[٢] أي: كشف الله تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٣] بيتَ المقدس.

قوله: (فطَفِقَ) أي: النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم.[٤]

قوله: (يَشتَدُّون) أي: يُسرِعون.

قوله: (أوْرَقُ) الأوْرَقُ مِن الإبل: الذي في لونه بياض إلى سواد،[٥] وهو أطيب الإبل لَحْمًا، وليس عندهم بِمَحمود[٦] في حمله وسَيرِه، ومنه قيل للرماد:[٧] أورَقُ، وللحَمامة والذِّيبة:[٨] وَرْقاء.[٩]

---

١ ر ن – عليه السلام.

٢ ر: فحلّي؛ ن: فخلّي.

٣ د: عليه السلام.

٤ د: عليه السلام.

٥ ن: سواس.

٦ ر: بمجرد؛ ن: بمحرد.

٧ ر ن: للمرماد.

٨ ر: والدبية.

٩ الصحاح للجوهري، «ورق».

واختُلِف في أنه كان في اليَقَظةِ أم في المَنَام:

فعن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالَتْ: والله ما فُقد جسدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عُرِج بروحه.

وعن معاوية: إنما عُرِج بروحه.

وعن الحسن: كان في المنام رُؤيا رآها. وأكثرُ الأقاويل بخلافِ ذلك.

والمسجدُ الأقْصى: بيتُ المقدس؛ لأنه لم يكن حينئذٍ وراءه مسجدٌ.

﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ يريد بركاتِ الدِّين والدنيا؛ لأنه متعبَّدُ الأنبياء عليهم السلام مِن وقتِ موسى عليه السلام، ومَهْبِطُ الوحي، وهو محفوفٌ بالأنهار الجاريةِ والأشجارِ المُثمرة.

وقرأ الحسن: "ليُريَهُ" بالياء، ولقد تصرَّفَ الكلامُ على لفظ الغائب والمتكلِّم فقيل: ﴿أَسْرَىٰ﴾، ثمَّ ﴿بَارَكْنَا﴾، ثم "ليريَه" على قراءة الحسن، ثم ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، ثم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾، وهي طريقةُ الالتفات التي هي من طُرُق البلاغة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال محمَّدٍ ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأفعاله، العالمُ بتهذُّبها وخُلوصها، فيُكرِمُه ويقرِّبه على حَسَب ذلك.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ قرئ بالياء على: لئلا يتَّخذوا، ....

قوله: (لأنّه مُتعبَّد)... إلخ فيه لفّ ونشر.

قوله: (تصرَّف) أي: تردَّد.

قوله: (وهي طريقة الالتفات) أي: تصرّفِ الكلام... إلخ، وأنّثه لتفسيره[1] بالطريقة.

قوله: (على[2] "لِئلّا يتّخِذوا")[3] والمعنى: هديناهم لئلّا يتّخِذوا مِن دوني وكيلًا. ويجوز في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ ثلاثة أوجه: أحدها:[4] أنْ يكون "أن" الناصبةَ للفعل،

---

١ ن: ليفسّره.

٢ ن – على.

٣ ن: يتحدوا.

٤ ن: أحدهما؛ ر ن + إلّا.

وبالتاء على: أي: لا تتَّخذوا؛ كقولك: كتبتُ إليه أنِ افْعَلْ كذا.

﴿وَكِيلًا﴾: ربًّا تكِلون إليه أمورَكم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ نصبٌ على الاختصاص، وقيل: على النداء فيمَن قرأ: ﴿لا تتَّخذوا﴾ بالتاء على النهيِ، يعني: قلنا لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلًا يا ذريَّةَ مَن حَمَلْنا ﴿مَعَ نُوحٍ﴾.

وقد يُجعل ﴿وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ مفعولي ﴿تَتَّخِذُواْ﴾؛ ....

فيكون المعنى: وجعلناه هدًى كراهةَ أن تتَّخِذوا،[١] أو لِئلّا[٢] تتَّخِذوا،[٣] فيكون نفيًا. والآخَر: أنْ يكون بمعنى "أي"؛ لأنّه بعد كلام تامّ، ويكون التقدير: أي: لا تتّخِذوا. والثالث: أن يكون "أنْ" زيادة،[٤] ويُضمَر[٥] القول، فيكون التقدير: وجعلناه[٦] هدًى لبني إسرائيل، فقلنا لهم: لا تتّخذوا مِن دوني وكيلًا، فيكون نَهيًا.

قوله: (على "أي: لا تَتّخِذوا") أي: على "أن" مُفسِّرة.

قوله: (يا ذُرّيّةَ مَن حَمَلْنا)[٧] ولا يَسهُل أن يكون نداءً[٨] على قول مَن قرأ بالياء؛[٩] لأنّ الياء للغَيبة، والنداءَ للخطاب.

قوله: (مفعولَي ﴿تَتَّخِذُواْ﴾) فإنّه يتعدّى إلى مفعولَين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء ١٢٥/٤]، وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة ١٦/٥٨]. وأفرد[١٠] "الوكيل"، وهو في معنى الجمع؛ لأنّ "فَعِيلًا" يكون مفردَ اللفظ،[١١]

---

١ ر: يتّخذوا.
٢ ر: ليا.
٣ ر: يتّخذوا.
٤ ن: زائدة.
٥ ر: ويضمن؛ ن: ويصمن.
٦ ر ن: وجعلنا.
٧ ن: جعلنا.
٨ ر: بذاء.
٩ يعني: في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾. وهي قراءة أبي عمرو البصري. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٦/٢.
١٠ ن: وأقرد.
١١ ر: مفردًا للفظ.

أي: لا تجعلوهم أربابًا؛ كقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران ٨٠/٣]، ومن ذريَّة المحمولين مع نوحٍ: عيسى وعزيرٌ.

وقرئ: "ذريَّةُ من حملنا" بالرفع بدلًا من واو ﴿تَتَّخِذُواْ﴾.

وقرأ زيد بن ثابت: "ذِرِيَّةَ" بكسر الذال، وروي عنه أنه قد فسَّرها بولد الولد.

ذكَّرهم اللهُ النعمةَ في إنجاءِ آبائهم من الغرق.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إن نوحًا عليه السلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ قيل: كان إذا أكَلَ قال:

والمعنى على الجمع، نحو قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء ٦٩/٤]، فيكون ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مفعولًا ثانيًا على قول مَن قرأ بالياء والتاء.

[٧١ظ] قوله:[١] (كقوله:[٢] ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ [آل عمران ٨٠/٣])... إلخ / هذا تحقيق أنّهم اتّخذوا الذرّيّة أربابًا. والصواب أنّه بيان أنّ "اتَّخَذَ"[٣] يتعدّى إلى مفعولين.

قوله: (وعُزيرٌ)[٤] "عُزير"[٥] يُصرف ولا يُصرف.

قوله: (بدلًا مِن واوٍ) بإبدال الظاهر مِن ضمير المخاطَب، كما هو مذهب بعض البغداديّين،[٦] وتمسَّكوا بقول الشاعر:

فَلَأَحْشَأَنَّكَ[٧] مِشْقَصًا[٨] أَوْسًا أُوَيْسُ مِنَ[٩] الهَبالَهْ[١٠]

وقالوا: "أَوسًا" بدل مِن كاف[١١] الخطاب،[١٢] وأُجيبُوا بأنّ "أَوْسًا" مصدر مِن أُسْتُه أَوْسًا؛ إذا أعْطَيتَه. وانتصب[١٣] "أَوْسًا"؛ لأنّ ما ذكَر مِن قوله: "لَأَحْشَأَنَّكَ" يدلّ على "لَأُووَسَنَّكَ"،[١٤] فانتصب المصدر عنه.

---

[١] ن – قوله.
[٢] ن: لقوله.
[٣] ر: اتّخذوا؛ ن: اتحدوا.
[٤] ر ن: وعزيز.
[٥] ر ن: عزيز.
[٦] د: البعداذيين.
[٧] ر: فلأحسنك؛ ن: فلأحسك.
[٨] ن: مسقصًا.
[٩] ن: ما.
[١٠] ر ن: الهاله. | لأسماء بن خارجة يصف ذئبًا طمع في ناقته، وتسمَّى هَبالة. لسان العرب لابن منظور، «حشأ».
[١١] ر ن: كان
[١٢] ن: المخاطب.
[١٣] ر ن: وانتصبت.
[١٤] ر: لأدوسنّك.

الحمدُ لله الذي أطْعَمني ولو شاء أجَاعَني، وإذا شرب قال: الحمدُ لله الذي سقاني ولو شاء أظْمَأني، وإذا اكتَسَى قال: الحمدُ لله الذي كَسَاني ولو شاء أعْرَاني، وإذا احْتَذَى قال: الحمدُ لله الذي حَذَاني ولو شاء أحْفاني، وإذا قضَى حاجتَه قال: الحمدُ لله الذي أخرج عنِّي أذاه في عافيةٍ ولو شاء حَبَسه.

قوله: (أظْمَأَنِي)[١] أي: أعطَشَنِي. وظَمِئ[٢] ظَمَأً،[٣] أي: عَطِش، وأظْمَأتُه،[٤] أي: أعطَشْتُه.[٥] والحِذاء:[٦] النَعْل،[٧] واحتَذَى،[٨] أي:[٩] انتعَلَ، قال الشاعر:

كُلُّ الحِذاءِ[١٠] يَحتَذِي[١١] الحافِيْ الوَقِعْ[١٢]

وأحْذَيْتُه[١٣] نَعلًا، أي: أعْطَيْتُه نَعْلًا، تقول[١٤] منه: استَحْذَيْتُه[١٥] فأَحْذاني،[١٦] هكذا في كتب اللغة، ولم أجِدْ في شيءٍ مِن كتب اللغة[١٧] "التَّحذية"[١٨] بهذا المعنى، فلو كان "أَحْذاني"[١٩] بدلَ "حَذَّاني"[٢٠] لَكان مُوافِقًا لِما في كتب اللغة، ومناسبًا لِأحْفاني. يقال: رجل حافٍ؛ للذي[٢١] يمشي بلا خُفٍّ[٢٢] ونَعلٍ، وقد حَفِيَ[٢٣] يَحفَى،[٢٤] وأحْفاه[٢٥] غيرُه.[٢٦] والوَقِع: هو الذي يشتكي لَحْمَ قدَمه مِن غِلَظِ الأرض والحِجارة، يقال:[٢٧] وَقِعَ يَوْقَع وَقَعًا.[٢٨] وقوله: (أذاهُ)[٢٩] أي: الطعام.

---

١ ن: أطماني.
٢ ن: وطمئ
٣ ن: طمأ.
٤ ن: وأطمأته.
٥ الصحاح للجوهري، «ظمأ».
٦ ر: والحدا؛ ن: والخداء
٧ ر ن: الفعل.
٨ ر ن: واحتدى.
٩ ر - أي.
١٠ ر ن: الحداءِ.
١١ ر ن: يحتدي.
١٢ أوّله:
يا ليتَ لي نَعلَين مِن جِلدِ الضَّبُع
وشُـرُكًـا مِـنَ اسْتِـها لا تَـنقَطِـعْ
كلُّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحافي الوَقِعْ
وهو لأبي المِقدام، واسمه جَسّاس بن قُطَيب.
انظر: لسان العرب لابن منظور، «وقع».
١٣ ر ن: وأحديته.
١٤ ر: يقول.
١٥ ر ن: استحديته.
١٦ ر ن: فأحداني. | الصحاح للجوهري، «حذا».
١٧ ر ن - ولم أجِد في شيءٍ مِن كتب اللغة.
١٨ ر ن: التحدية.
١٩ ر ن: أحداني.
٢٠ ر: خداني؛ ن: حداني.
٢١ ر ن: الذي.
٢٢ ن: حف.
٢٣ ر: خفي.
٢٤ ر: يخفى.
٢٥ ر: وأخفاه.
٢٦ الصحاح للجوهري، «حفا».
٢٧ ر: ويقال.
٢٨ الصحاح للجوهري، «وقع».
٢٩ ر ن: أداه.

ورُوِي أنه كان إذا أراد الإفطارَ عرضَ طعامَه على مَن آمَنَ به، فإنْ وجَده محتاجًا آثرَه به.

فإن قلتَ: قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ ما وجهُ مُلاءمَتهِ لِمَا قَبلَه؟

قلتُ: كأنه قيل: لا تتَّخذوا من دوني وكيلًا ولا تُشركوا بي؛ لأن نوحًا عليه السلام كان عبدًا شكورًا وأنتم ذريَّةُ مَن آمَنَ به وحُمل معه، فاجعلوه إِسْوتكم كما جَعلَه آباؤكم إِسوتَهم.

ويجوز أن يكون تعليلًا لاختصاصِهم والثناءِ عليهم بأنهم أولادُ المحمولين مع نوحٍ، فهم متَّصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاصَ.

ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد.

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤﴾

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: وأوحينا إليهم وحيًا مقضيًّا؛ أي: مقطوعًا مبتوتًا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالةَ ويَعلُون؛ أي: يتعظَّمون ويَبْغون.

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في التوراة.

و﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، ويجوز أن يُجرَى القضاءُ المبتوتُ مُجرَى القَسَم فيكون ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾ جوابًا له؛ كأنه قال: وأقسمنا لتُفسدن.

قوله: (على سبيل الاستطراد) الاستطراد: ذكر غير ما سِيق الكلام له إذا تعلّق ببعض ما سِيق الكلام له بوجه مِن الوجوه.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ القضاء في اللغة: هو الإحكام والإتمام والتكميل، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ [فصلت ١٢/٤١]، أي: أتمَّهُنّ وأكملهُنّ.

قوله: (قَسَمٍ[١] محذوفٍ) تقديره: قائلًا: واللهِ لَتُفسِدُنَّ.[٢]

قوله: (ويجوز أن يُجرَى) يعني: يكون قوله: ﴿وَقَضَيۡنَآ﴾ جارِيًا مَجرى قوله:

---

[١] ر: قسيم؛ ن: فسيم.

[٢] ر: لتفدرن.

وقرئ: "لتُفْسَدُنَّ" على البناء للمفعول، و: "لتَفْسُدُنَّ" بفتح التاء من فَسَد.

﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أُولاهما: قتلُ زكَريا عليه السلام وحَبْسُ أرْمِيَا حين أنذرهم سَخَطَ اللهِ، والآخرةُ: قتلُ يحيى بن زكريا وقصدُ قتلِ عيسى ابن مريم.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝﴾

﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ وقرئ: "عبيدًا لنا" -وأكثرُ ما يقال: "عبادُ الله" و"عبيدُ الناس"-

---

"وأقسَمْنا"، فيكون قولُه: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جوابَ قوله: ﴿قَضَيْنَا﴾، لذلك فلا[١] يحتاج إلى تقدير قسَمٍ آخر.

قوله: (أُرْمِيَا) "أَرْمِيَا"[٢] بالقصر، وهو أُرْمِيَا بن[٣] حِلْقِيَا،[٤] قيل: هو الخَضِر[٥] عليه السلام.

قوله: (والآخرة[٦] قَتْلُ[٧] يَحيَى) هذا يدلّ على أنّ هلاك زكريّا قبل هلاك يَحيى، وقال بعضهم: هلك يَحيَى قبل هلاك زكريّا، ولذلك[٨] قالوا في قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى﴾ [مريم ١٩/٥-٦]: إنّ حَمل ﴿يَرِثُنِى﴾ على الاستئناف أَولى مِن حمله على الصفة؛ لئلّا يلزم منه أنّ زكريّا لم يوهب مَن وَصَفَهُ،[٩] لِهلاك يَحيَى قبل زكريّا عليهما السلام، والله أعلم.[١٠]

---

[١] ر ن: ما.
[٢] ن: رميا.
[٣] ن: أرميان.
[٤] ر: حلعيا؛ ن: حلفيا.
[٥] ن: الحضر.
[٦] ر: وللآخرة.
[٧] ر ن: قيل.
[٨] ر: وكذلك.
[٩] ر: صفة؛ ن: صفه.
[١٠] وفي هامش د: قوله: (فإن قلتَ: كيف جاز؟)... إلخ (على ذلك) على المذكور؛ قتل العلماء، وتخريب المسجد، وإحراق التوراة. قوله: (قلتُ: معناه: خلَّينا بينهم) فيكون مِن قَبيل المجاز في المفرد، مِن قَبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب؛ لأنّ الخِذلان والتخلية سبب لِبَعث الباعث، وهو الشيطان أو أنفسهم. وقوله: (على أنّ الله عزّ وجلّ)... إلخ إشارة إلى جواب آخر، وحاصله: أنّه ما أسند القتل والتخريب والإحراق إليه تعالى؛ بل إليهم، فإن قلتَ: البعث منه تعالى قَبيح، قلنا: في مقابلة فِعلهم وجزاء أعمالهم، فلا يكون قبيحًا.

سِنْحارِيبُ وجنودُه، وقيل: بُختَ نَصَّرُ. وعن ابن عباس: جالوت، قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرَّبوا المسجدَ وسَبَوْا منهم سبعين ألفًا.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يَبْعثَ الله الكفَرةَ على ذلك ويُسلِّطَهم عليه؟

قلتُ: معناه: خلَّينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نَمنعهم، على أن الله عزَّ وعلا أَسْندَ بعثَ الكَفَرة عليهم إلى نفسه، فهو كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام ١٢٩/٦]، وكقول الداعي: "وخالِفْ بين كلمِهم"، وأَسْنَدَ الجَوْسَ -وهو التردُّدُ خلالَ الدِّيار بالفساد- إليهم، فتخريبُ المسجدِ وإحراقُ التوراةِ مِن جملةِ الجَوْسِ المسنَدِ إليهم.

وقرأ طلحة: "فحاسوا" بالحاء، وقرئ: "فجوَّسُوا"، و: "خَلَلَ الديار".

قوله: (سِنْحاريب) هو مَلِكٌ جبّارٌ[١] مثلُ بُخْتَ نَصَّر.[٢]

قوله: (على ذلك) أي: ذلك المسجد.

قوله:[٣] (قلتُ: معناه: خَلَّيْنَا)...[٤] إلخ لا يخفى على أحد ضعف[٥] هذا الجواب، فالجواب أنّه تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

قوله: (كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي﴾ [الأنعام ١٢٩/٦]) أسند سبب المخالفة إلى الله تعالى؛ لأنّه[٦] سبب ما هو سبب للمخالفة.[٧]

قوله: (وقرأ طلحة). قوله: ("فَحَاسُوا" بالحاء)[٨] يقال: الذئب يَحُوسُ الغنمَ، بالحاء، أي: يَتخلّلها[٩] ويُفرِّقُها، وحَمَلَ فلان على القوم فحاسَهُم،[١٠] و"حَاسُوا[١١] خِلالَ الدِّيار" مثل: جاسُوا.[١٢]

---

١ ن: حبار.

٢ ن: مصر.

٣ ن: وقوله.

٤ ر: حلينا.

٥ ن: ضعْق.

٦ ر ن: لا.

٧ ر ن: المخالفة.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة وأبي السمّال. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٧؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ١٤/٧ (الإسراء، ٥/١٧).

٩ ر ن: يتحللها.

١٠ ن: فحاشهم.

١١ ن: وحاشوا.

١٢ الصحاح للجوهري، «حوس».

فإن قلتَ: ما معنى ﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؟

قلت: معناه: وَعْدُ عقابِ أُولاهما.

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ يعني: وكان وعدُ العقاب وعدًا لا بدَّ أن يُفْعَلَ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾؛ أي: الدولةَ والغَلَبَةَ على الذين بُعثوا عليكم حين تُبتُم ورَجَعْتُم عن الفساد والعُلوِّ، قيل: هي قتلُ بُختَ نَصَّرَ واستنقاذُ بني إسرائيلَ أسراهم وأموالَهم ورجوعُ المُلْك إليهم، وقيل: هي قتلُ داودَ جالوتَ.

﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ مما كنتُم، والنَّفير: مَن يَنْفِرُ مع الرَّجل مِن قومه، وقيل: جمعُ نَفْرٍ؛ كالعبيدِ والمَعِيز.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧﴾

قوله: (قلتُ: / معناه: وَعْدُ)[١] و"الوَعْدُ" هنا بمعنى المَوعود، والمضاف محذوف قبله وبعده، أي: فإذا جاء وقت مَوعود عقاب أُولَى المَرّتين، وكذا الوعد في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا﴾ بمعنى المَوعود؛ إذ المعنى: ما وعده الله تعالى لا بدّ أن يفعله. [٧٢و]

قوله: (كالعبيد) قال عبد القاهر رحمه الله:[٢] «إنّ 'عَبيدًا' ليس بتكسير، وإنّما هو اسمُ جمعٍ، لجواز تصغيره[٣] على لفظه».[٤] وقال الجوهري في الصحاح: «العبد: خلاف الحُرّ، والجمع عَبِيد، مثل: كَلْب وكَلِيب، وهو[٥] جمعٌ عزيزٌ».[٦] وقوله: (والمَعِيزُ)[٧] اسم جمع لِـ"مَعْز".[٨]

---

[١] ن: وعده.
[٢] د – رحمه الله.
[٣] ر ن: الصغيرة.
[٤] ر ن: لفطة. | المقتصد للجرجاني، ٢/٩٣٨.
[٥] ر ن: مثل.
[٦] الصحاح للجوهري، «عبد».
[٧] ر ن: والمعير.
[٨] ن: لمعر.

أي: الإحسانُ والإساءةُ كلاهما مختصٌّ بأنفُسِكم لا يتعدَّى النفعُ والضررُ إلى غيركم.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: ما أحسَنْتُ إلى أحدٍ ولا أسأتُ إليه، وتلاها.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ المرَّة ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾؛ حُذف لدلالةِ ذكرِه أوَّلًا عليه، ومعنى: ﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: ليجعلوها باديةً آثارُ المساءةِ والكآبةِ فيها؛ كقوله: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك ٢٧/٦٧].

وقرئ: ﴿لِيَسُوءَ﴾ والضمير لله عزَّ وجل أوْ للوَعْد أو للبعث، و: ﴿لِنَسُوءَ﴾ بالنون.

قوله: (بعثناهم لِيَسُوءُوا)[١] وجه الجمع أنّه أشبهُ بما قبله وما بعده، ألا يُرى[٢] أنّ الذي قبله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ﴾ وبعده: ﴿لِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾، وهو بيت المقدس. والمبعوثون في الحقيقة[٣] هم الذين يَسوءُونَهم[٤] بقَتلهم إيّاهم وأسرهم لهم، وهو مِن "ساءَه" نقيض "سرَّه"، والأصل: لِيَسُوءُوكم،[٥] وإنّما عُدّي إلى "الوجه" لظهور أثر المساءة عليه. وقوله: (حُذف)[٦] أي: بعثناهم. وقوله: (لدلالة ذكره أوّلًا)؛ ولأنّه جواب "إذا" وشرطها يقتضيه، فحُذف للدلالة[٧] عليه. وقوله: (ليجعلوها باديةً)... إلخ أي: فعلوا بقلوبهم ما ظهر أثرُه على وجوههم.

وقوله: (آثار المساءة) فاعل "باديةً"، عُدّي إلى الوجوه؛ لأنّ الوجوه قد يُراد بها ذَوُو[٨] الوجوه، كقوله عزّ وجلّ:[٩] ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص ٨٨/٢٨]، وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس ٣٨/٨٠-٣٩]، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢/٧٥]، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٤/٧٥]، وكأنّ الوجوه إنّما خُصّت بذلك؛ لأنّها تدلّ على ما كان في ذوي الوجوه مِن الناس مِن حُزن ومَسرّة، وبِشارة وكآبة.[١٠]

---

[١] ر ن: ليسوا.
[٢] ر ن: ترى.
[٣] ن: القحيقة.
[٤] ر: يسونهم.
[٥] ر: ليسوكم.
[٦] ن: حدف.
[٧] ر ن: لدلالة.
[٨] ن: دوو.
[٩] ن: تعالى.
[١٠] ن: وابة.

وفي قراءة عليّ رضي الله عنه: "لَنَسُوأَنَّ" و: "لَيَسُوأَنَّ"، وقرئ: "لِنسوأَنْ" بالنون الخفيفة، واللامُ في ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ﴾ على هذا متعلِّق بمحذوف، وهو: وبعثناهم ليدخلوا، و"لَنَسُوأنَّ" جوابُ ﴿إذا جاء﴾.

﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ مفعولُ "لِيُتَبِّروا"؛ أي: ليُهلكوا كلَّ شيءٍ غَلَبوه واستولَوْا عليه، أو بمعنى: مُدَّةَ علوِّهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ⑧﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡ﴾ بعد المرَّة الثانيةِ إنْ تُبْتُم توبةً أُخرى وانْزَجَرْتُم

قوله: (على هذا متعلّق بمحذوف) وعلى الأوّل كان قولُه: ﴿لِيَدۡخُلُواْ﴾ عطفًا على قوله: ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾.[1] وقوله: (وهو "وبَعثناهم")[2] أتى المصنّف بالواو في[3] "وبعثناهم"[4] إشارة إلى أنّه معطوف على "لَنَسُوأَنَّ".[5]

قوله: (ولَنَسُوأَنَّ[6] جواب "إذا جاء") تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة فلَنَسُوأنَّ،[7] فحذف الفاء. هكذا في بعض الحواشي. والأَولى أن يقال: المعنى على قسم مقدّر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ﴾ [الجاثية ٢٥/٤٥] على أحد الوجهين، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام ١٢١/٦]، وإذا كان القسَم مقدَّرًا يكون "لَنسوأنَّ"[8] جوابَ القسم المقدّر لفظًا، وجوابَ الشرط والقسم معًا معنًى، وإنّما حذف "بعثناهم" على هذه القراءات لدلالة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا﴾ على أنّ مثله محذوف ههنا.

قوله: (﴿مَا عَلَوۡاْ﴾[9] مفعول) فـ﴿مَا﴾ موصولة. وقوله: (أو[10] بمعنى مدّةَ) فيكون "ما" مصدريّة، ونصب "مدّةَ" على الحكاية.

---

[1] ر: ليسوا.
[2] ن: بعثناهم.
[3] ر: وفي.
[4] ر: بعثناهم؛ ن: يغشاهم.
[5] ر: ليسون؛ ن: ليسوأن.
[6] ر: ولنسون؛ ن: وليسون.
[7] ر ن: فليسون.
[8] ر ن: ليسون.
[9] ن: ما علو.
[10] ن: أي.

عن المعاصي ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ مرَّةً ثالثةً ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقوبتِكم، وقد عادوا فأعادَ اللهُ إليهم النِّقْمةَ بتسليط الأكاسرة وضربِ الإتاوَةِ عليهم.

وعن الحسن: عادوا فبَعَث الله محمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فهم يُعْطُون الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون.

وعن قتادة: ثم كان آخِرَ ذلك أنْ بَعَثَ الله عليهم هذا الحيَّ من العرب، فهم منهم في عذابٍ إلى يوم القيامة.

﴿حَصِيرًا﴾: مَحْبِسًا؛ يقال للسجن: مَحْصَرٌ وحَصِيرٌ.

وعن الحسن: بساطًا كما يبسط الحصيرُ المزمُولُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: للحالةِ التي هي أقومُ الحالاتِ وأسدُّها، أو للمِلَّة، أو للطريقة، وأيَّما قدَّرتَ لم تَجِدْ مع الإثباتِ ذَوْقَ البلاغةِ الذي تجدُه مع الحذف؛ لِمَا في إبهامِ الموصوفِ بحذفه من فخامةٍ تُفقَدُ مع إيضاحه، وقرئ: ﴿وَيَبْشُرُ﴾ بالتخفيف.

فإن قلتَ: كيف ذَكَر المؤمنين الأبرارَ والكفَّارَ ولم يذكُرِ الفَسَقة؟

قوله: (بتسليط الأكاسرة) كِسرى: لقب ملوك الفُرس، بفتح الكاف وكسرها، وهو مُعرَّب "خُسْرَوْ"،[١] وجمع كِسرى: أكاسرة على غير قياس، والقياس: كِسرَوْن بفتح الراء، مثل: عِيسَوْن[٢] وموسَون بفتح السين.[٣] وقوله: (الإتاوة) الإتاوة: الخراج والجِزية.

قوله: (المَزمول)[٤] أي: المنسوج.

قوله: (مِن فخامة) بيان لِـ"ما".

---

[١] ر ن: حسرو.
[٢] ر: عيشون.
[٣] الصحاح للجوهري، «كسر».
[٤] ر: المزمول.

قلتُ: كان الناسُ حينئذٍ إمَّا مؤمنٌ تقيٌّ وإمَّا مشركٌ، وإنما حدَثَ أصحابُ المنزلةِ بين المنزلتين بعد ذلك.

فإن قلتَ: عَلَامَ عُطِف ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

قلتُ: على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ على معنى: أنه بَشَّرَ المؤمنين ببشارتَينِ اثنتينِ: بثوابِهم وبعقابِ أعدائهم.

ويجوز أن يراد: ويُخبرُ بأنَّ الذين لا يؤمنون معذَّبون.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

أي: ويدعو الله عند غضبه بالشرِّ على نفسِه وأهلِه وماله كما يدعُوه لهم بالخير؛ كقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ [يونس ١١/١٠].

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾: يتسرَّع إلى طَلَبِ كلِّ ما يقعُ في قلبه ويَخطُرُ بباله، لا يتأنَّى فيه تأنِّيَ المتبَصِّر.

[٧٢ظ] قوله: (قلتُ: كان الناس)... إلخ فيما ذكره / المصنِّف نظر؛ لأنَّ بعضهم شَرِبَ فجُلِدَ، وقذَفَ فحُدَّ، وزَنى فرُجِم. هذا مِن نَبْزِ[١] أبي حُذَيفة واصِلِ بن[٢] عطاء، لَقَّبهم بهذا اللقَب.

قوله: (قلتُ: على ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾) أي: عطفٌ على...

قوله: (بِبشارتَين[٣] اثنتين)،[٤] مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل ٥١/١٦].

قوله: (ويجوز أن يُراد: ويُخبِرُ)[٥] فعلى هذا يكون في الكلام حذف، ويكون مِن قَبيل "عَلَفتُه تِبنًا وماءً باردًا".

---

[١] ر ن: سر. | النَّبزُ -بالتحريك-: اللقَب، والنَّبْزُ -بالتسكين- المصدر. تقول: نَبَزَهُ يَنْبِزُهُ نَبْزًا، أي: لقَّبه. الصحاح للجوهري، «نبز».

[٢] ر ن: ابن.

[٣] ر ن: بشارين.

[٤] ر: اثنين.

[٥] ر: يخبر؛ ن: يخبره.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه دفع إلى سودةَ بنتِ زَمَعَةَ أسيرًا، فأقبل يَئِنُّ بالليل، فقالَتْ له: ما لكَ تَئِنُّ؟ فشكَا أَلَمَ القِدِّ، فأرْخَتْ له من كتافِهِ، فلمَّا نامت أخرج يده وهَرَبَ، فلمَّا أصبح النبيُّ صلى الله عليه وسلم دعا به فأُعْلِمَ بشأنه، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللّٰهمَّ اقطَعْ يدَيْها» فرفعَتْ سودةُ يديها تتوقَّعُ الإجابةَ وأنْ يَقْطَعَ اللهُ يديها، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنّي سألتُ الله أن يجعَلَ لَعْنَتي ودُعائي على مَن لا يَستحِقُّ من أهلي رحمةً؛ لأنّي بشرٌ أغضبُ كما يَغضَبُ البشر، فلتردَّ سودةُ يدَيْها».

ويجوز أن يريدَ بالإنسان الكافرَ، وأنه يدعو بالعذاب استهزاءً ويستعجِلُ به كما يدعو بالخير إذا مسَّته الشدَّةُ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يعني: أن العذابَ آتيهِ لا محالةَ، فما هذا الاستعجالُ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النَّضْرُ بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية [الأنفال ٨/٣٢]. ....

قوله: (بنْتِ زَمَعة) الزَّمَعة: بفتحتين؛ وهي زوائدُ خَلْفَ[1] الأرساغ، وبها سمّي والدُ سَودةَ بنت[2] زَمَعة.[3]

قوله: (مِن كِتافِه)[4] كَتَفتُ[5] الرجلَ؛ شدَدْتُ يديه إلى خلف بالكِتاف؛ وهو حَبْل.[6]

قوله: (على مَن لا يستحقّ) أي: لا يستحقّها، يعني: يستحقّ[7] اللعنة. وقوله: (مِن أهلي) بيان "مَن". وقوله:[8] (رحمةً) مفعول ثانٍ[9] لقوله:[10] (يجعل).[11]

قوله: (ويجوز أن يريد بالإنسان) أي: في ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

قوله: (قال:[12] ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ) فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال ٨/٣٢].

---

[1] ن: حلف.
[2] ر: بيت.
[3] المُغرب للمطرّزي، «زمع».
[4] ر: كنافه.
[5] ر: كنفت.
[6] الصحاح للجوهري، «كتف».
[7] ر ن - أي: لا يستحقّها، يعني: يستحقّ.
[8] ن: قوله.
[9] ر ن: بان.
[10] ر: لقوا.
[11] ر: الجعل.
[12] ر: قالوا.

فأُجيبَ له فضُربت عُنقُه يوم بدرٍ صَبْرًا.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسِهما، فتكون الإضافةُ في آيةِ الليل وآيةِ النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود؛ أي: فمحونا الآيةَ التي هي الليلُ، وجعلنا الآيةَ التي هي النهارُ مُبصِرةً.

والثاني: أن يراد: وجعلنا نيّري الليلِ والنهارِ آيتين، يريدُ: الشمسَ والقمرَ.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: جعَلْنا الليلَ ممحُوَّ الضَّوء مَطْموسَه مُظلِمًا لا يُستبانُ فيه شيءٌ كما لا يُستبان ما في اللَّوح الممحُوِّ، وجعَلْنا النهارَ مُبصِرًا؛ أي تُبصَرُ فيه الأشياء وتُستبانُ.

قوله: (صبرًا) أي: مَصبورًا. يقال: صَبرتُه، أي: حبَسْتُه، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف ١٨/٢٨]، ويقال: قُتِلَ فلان صَبْرًا، وحُلِّفَ صَبْرًا؛[١] إذا حُبِسَ[٢] على القتل حتّى يُقتَل، أو على اليمين حتّى يَحلِفَ، قاله[٣] في الصحاح.[٤] قال في المُغرب: «أصل الصَبْر: الحَبْس، ومنه يقال للرجل إذا شُدّت[٥] يداه ورِجلاه أو أمسكه رجلٌ آخَر حتّى يُضرَب عُنقُه: قُتِل صَبْرًا، ويقال: يَمين[٦] الصَّبْرِ، ويمين مَصبُورة؛ وهي التي يُصبَرُ عليها الإنسانُ -أي: يُحبَسُ-[٧] حتّى يَحلِفَ».[٨]

قوله: (والثاني: أن يُراد: وجعلنا نَيّري الليل) أي: يكون المضاف محذوفًا.

قوله: (أي: جعلنا الليل مَمحوَّ[٩] الضوء)... إلخ تفسير على الوجه الأوّل.

---

[١] ن: صبرًا.
[٢] ر: جلس.
[٣] ر: قال.
[٤] الصحاح للجوهري، «صبر».
[٥] ر ن: سدت.
[٦] ر: عين.
[٧] ر ن: يجلس.
[٨] المُغرب للمطرّزي، «صبر».
[٩] ر: فمحو؛ ن: فمحوا.

أو: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ التي هي القمرُ حيث لم نَخلُقْ له شعاعًا كشعاعِ الشمس فتُرى به الأشياءُ رُؤيةً بيّنةً، وجعلنا الشمسَ ذاتَ شعاعٍ يُبصَرُ في ضوئها كلُّ شيء.

﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لتتوصَّلوا ببياضِ النهار إلى استبانةِ أعمالِكم والتصرُّفِ في معايشكم ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ باختلافِ الجديدَينِ ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ وجنسَ ﴿الحساب﴾ وما تحتاجون إليه منه، ولولا ذلك لَمَا عَلِم أحدٌ حُسبانَ الأوقات ولتعطَّلتِ الأمورُ.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ ممَّا تفتقِرون إليه في دِينكم ودنياكم ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيَّنَّاه بيانًا غيرَ مُلتبِسٍ فأزَحْنا عِلَلَكم وما تركْنا لكم حُجةً علينا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾

﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عملَه، ....

وقوله: (أو[1] فمَحَونا)... إلخ تفسير على الوجه الثاني.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ عطف على ﴿عَدَدَ﴾.

قوله: (فأزَحْنا)[2] زاحَ الشيءُ يَزيح زَيْحًا؛ بَعُدَ وذهَبَ، وأزاحَه غيرُه.[3]

قوله: (﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عَملَه) وإنّما[4] قيل لعَمَله: طائر -وطير في بعض اللغات- على حسب تعارُف العرب ذلك في نحو قولهم: جَرَى طائرُه[5] بكذا، ومثله في يس:[6] ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس ١٩/٣٦]، وفي الأعراف: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف ١٣١/٧]. رُوِي عن أبي زيد أنّ كلّ ما[7] جرى مِن طائر أو ظبي[8] أو غيرِه فهو عندهم طائر، وأنشد أبو[9] زيد لِكُثَيِّر في تَضبيرهم[10] كلَّ ما جرى طائرًا وإن كان ظَبْيًا[11] أو غيرَه مِن البهائم فقال:

---

١ ر ن - أو.
٢ ر ن: فأرحنا.
٣ الصحاح للجوهري، «زيح».
٤ ر ن: دائمًا.
٥ ر ن: طائر.
٦ ن: ليس.
٧ ن: كلّما.
٨ ر ن: طبي.
٩ ن: أبوا.
١٠ ر ن: تصبيرهم.
١١ ر ن: طبيًا.

وقد حقَّقْنا القولَ فيه في سورةِ النمل.

فلستُ بِناسيها ولستُ بتاركٍ إذا عَرض الأُدْمُ الجوازي[١] سُؤالَها

قال: ثمّ خبّر في البيت الثاني أنّ الذي زَجَره طائر، فقال:

أَأُدْرِكُ[٢] مِن أُمّ الحُكَيْم غِبطةً[٣] بها[٤] خبَّرَتْني الطيرُ أم قَدْ[٥] أتى لها[٦]

فقوله: "سؤالَها" مفعول "تارك"، أي: لستُ بتاركٍ سؤالَها.

وقوله: (في سورة النمل) قال المصنّف رحمه الله[٧] في سورة النمل في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ [النمل ٢٧/٤٧]:

كان الرجل يخرُجُ / مسافرًا فيمُرُّ بطائر فيزجره،[٨] فإن مرّ سانِحًا تَيمَّن، [٧٣و]
وإن مرَّ بارِحًا تشاءَم، فلمّا نسبوا الخير والشرَّ إلى الطائر استُعير لِما كان سببَهما مِن قدَر[٩] الله تعالى وقِسمته،[١٠] أو مِن عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنِّقْمة،[١١] ومنه قالوا: "طائر الله، لا طائرك"، أي: قدَر الله[١٢] الغالب الذي يُنسَب إليه الخير والشرُّ، لا طائرك الذي تتشاءم[١٣] به وتتيمّن[١٤] به. فلمّا قالوا: اطَّيَّرنا[١٥] بكم -أي: تشاءَمنا- وكانوا قد قُحطُوا؛ قال طائركم -أي: سببكم الذي يجيء منه[١٦] خيركم وشرّكم- عند الله، وهو قَدَره وقسمتُه، إن شاء[١٧] رزقكم، وإن شاء[١٨] حرَمكم،

---

١ ر: الحوازي؛ ن: الحواري.
٢ ر ن: أدرك.
٣ ر: غيطة.
٤ ر ن: بما.
٥ ر ن - قد.
٦ ديوان كثيّر عزّة، ص ٧٦.
٧ د - رحمه الله.
٨ ر: فيرجره.
٩ ر: قد.
١٠ ن: وقسمنه.
١١ وفي هامش د: فيكون الطائر مستعارًا لِقدَر الله، ولعمل العبد، والجامع أنّ كلًّا منهما سبب للخير والشرّ، أمّا الطائر فباعتقادهم، وأمّا قدَرُ الله وعمل العبد فبحسب الواقع والخارج.
١٢ ر ن - الله.
١٣ ر: يتشاءم.
١٤ ر: ويتيمّن.
١٥ ن: الطيرنا.
١٦ ر ن: منكم.
١٧ ر ن: يشأ.
١٨ ن: يشأ.

وعن ابن عُيينةَ: هو من قولك: طار له سهمٌ: إذا خرج.

ويجوز أن يريد: عملُكم مكتوبٌ عند الله، فمنه نزل[١] بكم ما نزل[٢] عقوبةً لكم وفتنةً.[٣]

يقال: سَنَح الظبي؛[٤] إذا مرَّ مِن مَياسِرك[٥] إلى[٦] مَيامِنك. والبُروح:[٧] ضِدّ السُّنوح.[٨] قولهم: "طائرُ الله، لا طائرُك"[٩] يقال هذا لِمَن أصابه مكروه فظنّ أنّ ذلك المكروه أصابه[١٠] مِن قِبَل ما تشاءم به مِن طير وغيره، أو أصابه[١١] خيرٌ فظنّ وصوله إليه بسبب ما تيمَّن به.

وقوله: (وعن ابن[١٢] عُيَينةَ)[١٣] هو مِن قولك: طار له سَهْم.

اعلم أنّ هذا وجه آخر غيرُ ما حقَّقه في[١٤] سورة النمل، وقد بيّن هذا الوجه في الوسيط، قال الواحدي رحمه الله:[١٥]

معنى "الطائر": ما طار له مِن خير وشرّ، أي: صار له عند القِسمة، مِن قولهم: أطرتُ[١٦] المال وطيَّرتُه بين القوم فطار لكلّ واحد منهم سهمه، أي: صار له، ذكَرنا ذلك عند قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف ١٣١/٧]. قال الأزهري: «والأصل في هذا أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم[١٧] عَلِمَ المُطيعَ مِن ذرّيّته والعاصيَ، فكتَب ما علِمه منهم أجمعين، وقضى سعادة[١٨] مَن عَلِمَه[١٩] مطيعًا، وشقاوةَ[٢٠] مَن عَلِمَه عاصيًا،

---

١ ر ن: ترك.

٢ ن: ترك.

٣ وفي هامش د: إلى هنا عبارة المصنّف في سورة النمل. | النمل، ٤٧/٢٧.

٤ ر: الطبي؛ ن: الطير.

٥ ر: مباشرك؛ ن: شرك.

٦ ن + شرك.

٧ ن: والبروج.

٨ انظر: الصحاح للجوهري، «سنح».

٩ ر ن: طائر.

١٠ ن: إصابة.

١١ ن: اصابه.

١٢ ر: بن.

١٣ وفي هامش د: على قول ابن عُيَينة يكون معنى الطائر بحسب اللغة: الخارج مِن السهم، ثمّ استُعير للعمل، والجامع الظهور، كما أنّ الخارج مِن السهم يظهر بخروج السهم، كذلك عمل العبد يظهر بصُدوره منه.

١٤ ر ن: من.

١٥ د: رحمه الله.

١٦ ر: أظرب.

١٧ ر ن – آدم.

١٨ ر: بسعادة.

١٩ ر ن: عليه.

٢٠ ر: وسقاوة.

يعني: ألزَمْناه ما طار من عمله، والمعنى: أن عمله لازمٌ له لزومَ القِلادة أو الغُلِّ لا يُفكُّ عنه، ومنه مَثَلُ العرب: "تَقلَّدَها طوقَ الحمامة"، وقولُهم: "الموتُ في الرقاب"، و: "هذا رِبقةٌ في رقبته".

وعن الحسن رحمه الله: يا ابن آدم، بُسِطَتْ لك صحيفةٌ إذا بُعثْتَ قُلِّدْتَها في عُنقك.

وقرئ: "في عُنْقه" بسكون النون.

وقرئ: ﴿نُخرِجُ﴾ بالنون، و: "يُخْرِجُ" بالياء والضميرُ لله عزَّ وجل، و: ﴿يُخْرَجُ﴾ على البناء للمفعول، و: ﴿يَخْرُجُ﴾ من خَرجَ والضميرُ للطائر؛ أي: يَخْرُجُ الطائرُ كتابًا، وانتصاب ﴿كِتَٰبًا﴾ على الحال.

فطار لكلّ منهم ما هو صائر[1] إليه عند خلقِه وإنشائه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، أي: ما طار له في علم الله تعالى بدأً، و﴿فِى[2] عُنُقِهِۦ﴾ عبارة عن اللزوم، كلزوم القِلادة العُنقَ مِن بين ما يلْبَس.[3]

قوله تعالى: ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ معناه: لزوم ذلك وتعلُّقُه، وهذا مثل قولهم: طوَّقْتُك كذا، أي: قَلَّدْتك، أي: صرفتُه نحوك، وألزمتُه إيّاك، ومنه: قلّده السلطان[4] كذا، أي: صارت الوِلاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطَّوْق.[5] أنشد بعض أصحاب الأصمعي:

إنّ لـي حـاجـةً إلـيـكِ فـقـالـتْ   بـين أُذْنِـي وعـاتِـقِـي مـا تـريـدُ[6]

قوله: (أي: يَخرُج الطائر) أي: يَخرج عملُه[7] له كتابًا،[8] أي: ذا كتاب،[9] ومعنى "ذا كتاب"،[10] أي: مُثبَت في الكتاب الذي قيل فيه: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف ١٨/٤٩].

---

[1] ر: طائر.

[2] ر ن: في.

[3] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٩٩ (الإسراء، ١٧/١٣).

[4] ن: الشيطان.

[5] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٥/٨٩.

[6] لعمر بن أبي ربيعة في عيون الأخبار لابن قتيبة، ٣/١٥٤؛ والمنتحِل للثعالبي، ١/٤٧.

[7] ر ن: علمه.

[8] وفي هامش د: حال.

[9] ن: لتاب.

[10] ن: لتاب.

وقرئ: ﴿يُلقّاه﴾ بالتشديد مبنيًا للمفعول.

و﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ صفتان للكتاب، أو ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ صفة و﴿مَنشُورًا﴾ حال من ﴿يَلْقَىٰهُ﴾.

﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

﴿ٱقْرَأْ﴾ على إرادةِ القول.

وعن قتادة: يَقرأُ ذلك اليومَ مَن لم يكنْ في الدنيا قارئًا.

و﴿بِنَفْسِكَ﴾ فاعلُ ﴿كَفَىٰ﴾، و﴿حَسِيبًا﴾ تمييزٌ، وهو بمعنى: حاسِبٍ؛ كـ"ضَرِيبِ القِدَاحِ" بمعنى: ضارِبِها، و"صريمٍ" بمعنى: صارمٍ؛ ذكرهما سيبويه،

قوله: (وقُرئ: ﴿يُلَقَّىٰهُ﴾ بالتشديد)[1] هو مِن قولك: لَقِيت الكتاب، فإذا ضعّفتَ[2] قلتَ: لَقّانيه،[3] فيتعدّى الفعل بتضعيف[4] العين إلى مفعولين / بعد[5] ما [٧٣ظ]
كان يتعدّى بغير[6] التضعيف إلى مفعول واحد، فإذا بُني للمفعول قام أحدهما مقام الفاعل، وبقي متعدّيًا إلى مفعول، وعلى هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾ [الفرقان ٧٥/٢٥]، وفي البناء للفاعل ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان ١١/٧٦].

قوله: (كضَريبِ[7] القِداح) قِدْح السهم -بالكسر-: عُودُه المَبرِيّ[8] قبل أن يُراش ويُنصَل، والجمع: قِداح.[9]

يقال: ضرب[10] بالقِداح على الجَزور، وضرب في الجَزور بسهم؛ إذا شرك فيها، وأخذَ[11] منها نصيبًا، وعلى ذا قول امرئ القيس:

---

[1] قرأ بها أبو جعفر وابن عامر. النشر لابن الجزري، ٣٠٦/٢.
[2] د: صعّعت.
[3] ر: لقاتيه.
[4] ر ن: مصعيف.
[5] ر: يعد.
[6] ر: بعين.
[7] ر: كضربت.
[8] ر ن: المربى.
[9] المُغرب للمطرّزي، «قدح».
[10] ن: صرب.
[11] ر: واحدا؛ ن: واحد.

و"على" متعلِّق به، من قولك: "حَسَبَ عليه كذا".

ويجوز أن يكون بمعنى الكافي وُضع موضعَ الشهيد فعُدِّيَ بـ"على"؛ لأن الشاهدَ يكفي المُدَّعِيَ ما أَهمَّه.

وما ذرفَت عَيناكِ إلّا لِتَضربي[١] بسَهمَين في أعشارِ قلبٍ[٢] مُقتَّلِ[٣]

قالوا: أراد بالسهمَين: المعلّى، وله سبعة أنصِباء مِن الجَزور، والرقيب،[٤] وله ثلاثة. والجَزُور تُقسَم عشرةَ أجزاءَ، فكأنّه قال: وما بَكيتِ إلّا لتملكي قلبي كلَّه، وتفوزي[٥] بجميع أجزائه. والباء فيه للأداة.[٦]

و"قلبٍ مُقتَّلِ" أي: مُذلَّل،[٧] قتَّله العِشْق.[٨] وأعشار الجَزور: الأنصباءُ، أي: قد حُزْتِ القلبَ كلَّه.[٩] يقال: ذرَفَ[١٠] الدمعُ، أي: سال، ويقال: ذرَفَت[١١] عينُه،[١٢] أي:[١٣] سالَ منها الدمع.[١٤]

قوله: (ويجوز أن يكون) أي: "حسيب".[١٥] وقوله: (وُضع) أي: وُضع "الحسيب" بمعنى "الكافي" موضعَ... وقوله: (فعُدّي بـ"على")[١٦] كما يُعدَّى "الشهيد" بـ"على". وقوله: (لأنّ الشاهد) بيان هذا الوضع،[١٧] يعني أنّ الكافي مِن لوازم الشاهد، فأطلق اللازم على المَلزوم، فيكون كناية، وعلى هذا الوجه أيضًا تمييز. وقوله: (ما أهمَّه) أهمَّه الأمر؛ إذا أقلقَه وأحزَنَه، ومنه قولهم: "هَمُّكَ ما أهمَّك"، أي: أذابكَ ما أحزنكَ، ومنه قيل للمَحزون[١٨] المَغموم: مَهموم. والهِمُّ: الشيخ الفاني، مِن الهَمّ؛ الإذابة، أو مِن الهَميم؛ الدَّبيب.[١٩]

---

١ ر: لتصربي؛ ن: لنصرتي.
٢ ن: قلت.
٣ ديوان امرئ القيس، ص ١٣، بلفظ:
وما ذرفَت عَيناكِ إلّا لِتَقدَحي
بسَهمَيكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ
٤ ن: والرقيب.
٥ ن: تفوزي.
٦ المُغرب للمطرّزي، «ضرب».
٧ ر: مدالي؛ ن: مدلك.
٨ ر: الغسق؛ ن: العسق. | الصحاح للجوهري، «قتل».
٩ ر ن: والأنصباء. | الصحاح للجوهري، «عشر».
١٠ ن: درف.
١١ ر ن: درفت.
١٢ ر: عيناي.
١٣ ر - أي.
١٤ الصحاح للجوهري، «ذرف».
١٥ ن: حسلنب.
١٦ ر: فعلى.
١٧ ر ن: الموضع.
١٨ ن: للمجزون.
١٩ ر: الذبيب. | المُغرب للمطرّزي، «همم».

فإن قلتَ: لم ذُكِّرَ ﴿حَسِيبًا﴾؟

قلتُ: لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير؛ لأن الغالب أنَّ هذه الأمور يتولّاها الرجال؛ فكأنه قيل: كفى بنفسك رجلًا حسيبًا، ويجوز أن يُتأوَّل النفسُ بالشخص؛ كما يقال: ثلاثةُ أنفس.

وكان الحسن إذا قرأها قال: يا ابن آدم أَنْصَفَكَ واللهِ مَن جَعَلك حسيبَ نفسِكَ.

﴿مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

أي: كلُّ نفسٍ حاملةٍ وِزْرًا فإنما تَحْمِل وِزرَها لا وِزرَ نفسٍ أخرى.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾: وما صحَّ منَّا صحَّةً تدعو إليها الحكمةُ أن نُعذِّبَ قومًا إلَّا بعد أن ﴿نَبْعَثَ﴾ إليهم ﴿رَسُولًا﴾ فنُلْزِمَهم الحُجَّة.

فإن قلتَ: الحجةُ لازمةٌ لهم قبل بعثةِ الرسل؛ لأنَّ معهم أدلةَ العقل التي بها يُعرَفُ الله، وقد أغفلوا النظر وهم متمكِّنون منه، واستيجابُهم العذابَ لإغفالهم النظرَ فيما معهم، وكفرُهم لذلك لا لإغفال الشرائع التي لا سبيلَ إليها إلَّا بالتوقيف، والعملُ بها لا يصحُّ إلَّا بعد الإيمان.

قوله: (فإن قلتَ: لمَ ذُكِّرَ ﴿حَسِيبًا﴾؟) أي: مع أنَّ "النفس" مؤنّث.

قوله: (صحّةً تدعو[1] إليها) يعني: أنّ عدم صحّةِ ذلك مِن حيث إنّه مخالف للحِكمة، وأنّ الحكمة تقتضي خلافَه، لا مِن حيث القدرة، فإنّ ذلك مقدور ممكن، والله على كلّ شيء قدير، ومع ذلك لا يفعل إلّا ما هو حِكمة وصواب لرحمته بالعباد.

قوله: (فيما معهم) وهو أدلّة العقل. وقوله: (لذلك) أي: إغفال[2] النظر. وقوله: (الشرائع) أي: الأحكام.[3]

---

[1] ر: يدعو.

[2] ن: أعفاك.

[3] وفي هامش د: قوله: (وإذا دَنا)... إلخ فيكون مِن قَبيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ إرادة الإهلاك سبب لدنوّ الإهلاك.

قلتُ: بعثةُ الرسول من جملة التنبيه على النظرِ في أدلةِ العقل والإيقاظِ من رقْدةِ الغفلة؛ لئلا يقولوا: كنَّا غافلينَ فلولا بَعَثتَ إلينا رسولًا ينبّهنا على النَّظرِ في أدلةِ العقل.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ﴾: وإذا دنا وقتُ إهلاكِ قومٍ ولم يبقَ من زمانِ إمهالهم إلّا قليلٌ أمَرناهم ﴿فَفَسَقُواْ﴾؛ أي: أمَرْناهم بالفسق ففعلوا، والأمرُ مجازٌ؛ لأن حقيقةَ أمرِهم بالفسق أن يقول لهم: "أفسُقوا" وهذا لا يكون، فبقي أن يكون مجازًا، ووجهُ المجاز: أنه صَبَّ عليهم النعمةَ صبًّا فجعلوها ذريعةً إلى المعاصي واتِّباعِ الشَّهوات، فكأنَّهم مأمورون بذلك لتسبُّبِ إيلاءِ النعمةِ فيه، وإنما خوَّلهم إيَّاها ليَشكُروا ويَعملوا فيها الخيرَ ويتمكَّنوا من الإحسان والبرِّ؛ كما خلقَهم أَصحَّاء أقوياء وأَقدَرَهم على الخير والشرِّ وطلبَ منهم إيثارَ الطاعة على المعصية فآثروا الفسوقَ، فلمَّا فَسَقوا حَقَّ عليهم القولُ وهو كلمةُ العذاب فدمَّرهم.

فإن قلتَ: هلا زعمتَ أن معناه: أمَرْناهم بالطاعة ففَسَقوا؟

قوله: (بذلك) أي: بالفِسق.[١] وقوله: (لِتسبّب) هذا إشارة إلى العَلاقة، وهي التسبّب في الصورتين، فلِما أنّ الأمر بالفِسق يتَسَبّب في الفِسق. وقوله: (وإنّما خوّلهم) هذا ابتداء كلام لدفع قول مَن يقول: لمَ أعطاهم ما جعلوه ذريعة إلى الفسق؟ وقوله: (كما خلَقهم[٢] أصحّاء) هذا متعلّق بقوله: "خوّلهم"، أي: خوّلهم تخويلًا للشكر مثل خلقهم[٣] أصحّاء للطاعة.[٤]

---

١ ر: بالعتق؛ ن: بالععق.
٢ ن: حلقهم.
٣ ن: خلفهم.

٤ وفي هامش د: قوله: (والأمر مجاز) استُعير الأمر لإعطاء النّعمة وصبّها عليهم، والجامع السببيّة، كما أنّ الأمر بالفِسق سبب له كذلك إعطاء النعمة سبب له.

قلتُ: لأن حذفَ ما لا دليلَ عليه غيرُ جائزٍ فكيف بحذفِ ما الدليلُ قائمٌ على نقيضه، وذلك أن المأمور به إنما حُذف؛ لأن "فَسَقوا" يدلُّ عليه، وهو كلامٌ مستفيضٌ؛ يقال: "أمرتُه فقام" و: "أمرته فقرأ" لا يُفهَم منه إلَّا أن المأمور به قيامٌ أو قراءةٌ، ولو ذهبتَ تُقدِّر غيرَه فقد رُمتَ من مخاطِبك علمَ الغيب، ولا يلزمُ على هذا قولُهم:

قوله: (فإن قلتَ: هلّا[1] زعمت) أي: هلّا حملته على هذا المعنى لئلّا يلزم المجاز الذي ذكرتم، وهو أن يكون[2] كونهم مأمورين مجازًا[3] عن صبّ / النِّعمة [٧٤و] عليهم، وجعلهم إيّاها ذريعةً إلى المعصية.

قوله: (وذلك أنّ المأمور به)[4] أي: بيان أنّه يلزم ممّا ذكرتم حذف ما الدليل قائم على نقيضه: أنّ المأمور به[5] إنّما حذف في هذه الصورة لدلالة "فسقُوا" عليه، فلو كان التقدير كما ذكرتم لزم حذف ما الدليل قائم على نقيضه؛ لأنّ الفِسق يدلّ على الفسق، وهو نقيض الطاعة.

قوله: (وهو كلام مستفيض) لمّا ذَكر أنّ المأمور به[6] حُذف في هذا الكلام لدلالة "فَسقُوا" عليه، قال: وهو -أي: الكلام الذي حُذف منه المأمور به[7] للدلالة- كلام مستفيض.[8]

قوله: (ولا يلزم هذا قولَهُم)[9] أي: هذا المحذور،[10] وهو أن يطلب مِن مخاطبه[11] علمَ الغيب. وهو جواب سؤال مقدَّر، وتقريره[12] أنّهم يقولون: أمرته فعصاني، نحو قول الشاعر:

أمَرتُك أمرًا جازمًا فعَصيتَني[13]

---

[1] ر ن: هذا.

[2] ر: يلون.

[3] ر: فجازًا.

[4] ن: المأموريه.

[5] ن: المأمورية.

[6] ن: المأمورية.

[7] ن: المأمورية.

[8] وفي هامش د: أي: منتشر.

[9] في مطبوع الكشّاف: "ولا يلزم على هذا قولُهُم".

[10] ن: المحدوز.

[11] ر: مخاطبة.

[12] ر ن: وتقديره.

[13] تمامه:

فأصبحتَ مسلوبَ الإمارة نادمًا

قاله حُضين بن المنذر الرَّقاشي ليزيد بن المُهلّب.

انظر: جامع البيان للطبري، ١٤/٤٤ (الحجر، ١٥/٩٤).

"أمرتُه فعصاني"، أو: "فلم يَمتثِلْ أمرِي"؛ لأن ذلك منافٍ للأمر مناقضٌ له، ولا يكونُ ما يناقضُ الأمرَ مأمورًا به، فكان مُحالًا أن يُقصدَ أصلًا حتى يُجعلَ دالًّا على المأمور به، فكان المأمورُ به في هذا الكلامِ غيرَ مدلولٍ عليه ولا منويٍّ؛ لأن مَن يَتكلَّم بهذا الكلامِ فإنه لا يَنوي لأمرِه مأمورًا به، فكأنَّه يقول: كان منِّي أمرٌ فلم تكنْ منه طاعةٌ؛ كما أن مَن يقول: "فلانٌ يُعطي ويَمنعُ، ويأمرُ ويَنْهَى" غيرُ قاصدٍ إلى مفعول.

فإن قلتَ: هلَّا كان ثبوتُ العلمِ بأن الله لا يأمُرُ بالفحشاء وإنما يأمرُ بالقِسطِ والخيرِ دليلًا على أن المراد: أَمَرْناهم بالخير ففَسَقوا؟

قلتُ: لا يَصِحُّ ذلك؛ لأن قوله: ﴿فَفَسَقُواْ﴾ يُدافعُه؛ فكأنك أظهرتَ شيئًا وأنتَ تدَّعي إضمارَ خلافه، فكان صرفُ الأمرِ إلى المجاز هو الوجهَ.

ونظيرُ "أَمَر": "شاء" في أنَّ مفعولَه استفاض فيه الحذفُ لدلالةِ ما بعده عليه، تقول: "لو شاء لأحسنَ إليك" و: "لو شاء لأساء إليك"، تريد: لو شاءَ الإحسانَ ولو شاءَ الإساءةَ، فلو ذهبتَ تُضمِرُ خلافَ ما أظهرتَ وقلتَ: "قد دلَّت حالُ مَن أُسندَتْ إليه المشيئةُ أنه من أهلِ الإحسان، أو من أهلِ الإساءةِ،

وظاهره:[١] أمرته بالمعصية فعصاني، مع أنَّ المراد: أمرته بالطاعة فعصاني، فلمَ لا يقال في "أمرته ففَسَق": تقديره: أمرته بالطاعة[٢] ففَسَق؟ فأجاب بمنع أنَّ ظاهر "أمرتُه فعصاني": أمرته بالعصيان فعَصاني، فإنَّ العِصيان ترك المأمور به،[٣] فكيف يكون دالًّا على كونه مأمورًا؟ وهذا بخلاف الفِسق، فتأمَّل. ثمَّ أشار إلى أنَّ المأمور به[٤] غير منويّ ههنا؛ بل متروك رأسًا، أُجري[٥] "أمرتُه" مُجرى ما لا يقتضي مأمورًا به، كما في قولهم: فلان يعطي ويمنع. وقوله:[٦] **(لأنَّ ذلك مُنافٍ)** أي: لأنَّ العِصيان.

---

١ ر: وظاهرته؛ ن: وطاهرته.
٢ ر + فعصاني فلمَ لا يقال في "أمرته"؛ ن + فعصاني فلمَ لا يقال في "أمرته ففسق" بالطاعة.
٣ ن: المأمورية.
٤ ن: المأمورية.
٥ ر: أخري.
٦ ر ن: قوله.

فأَترُكَ الظاهرَ المنطوقَ به وأُضْمِرُ ما دلَّت عليه حالُ صاحبِ المشيئة" لم تكن على سدادٍ.

وقد فسَّر بعضهم ﴿أَمَرْنَا﴾ بـ: كثَّرنا، وجَعَل "أمرتُه فأَمِرَ" من باب: فعلتُه ففَعِل، كثَبَرْتُهُ فثَبِرَ، وفي الحديث: «خيرُ المال سكّةٌ مأبورةٌ ومُهْرَةٌ مأمورةٌ»؛ أي: كثيرة النِّتاج.

قوله: (وقد فسَّر بعضهم ﴿أَمَرْنَا﴾ بكثَّرنا)[١] قال أبو عبيدة: «﴿أَمَرْنَا﴾ أكثَرْنا،[٢] يقال: أَمِرَ بنو[٣] فلان؛ إذا كَثُرُوا»،[٤] وأنشد للَبيد:[٥]

إن يُغْبَطُوا[٦] يُهْبَطُوا وإن أَمِرُوا يَصبِرُوا[٧] للهُلْكِ والنَّفَدِ[٨]

وقوله: (وجعل أمَرتُه فأَمِرَ) أي: كثَرْتُهُ فكثُرَ. وقوله: (كَثَبَرتُهُ[٩] فَثَبِرَ)[١٠] أي: أهلكتُه فهلَكَ، وهو مِن الثُّبور.

قوله: (سِكَّةٌ[١١] مَأبُورة، ومُهْرَة مأمُورة) السِّكّة: الصفّ مِن النخل.[١٢] وقوله: "مَأبُورة" أي: مُصلَحة؛ لأنّه إذا لقَّحها[١٣] فقد أصلحها. وفي بعض الروايات: "أو مُهْرة" بـ"أو".[١٤] يقال: أبَرَ فلان نخلَهُ؛ لقَّحَه[١٥] وأصلحه، وتأبيرُ النخلِ: تلقيحه، يقال: نخلة مُؤبَّرة، مثل مَأبورة، والاسم منه الإِبار.[١٦] والمُهْر: ولد الفرس، والجمع: أَمْهار ومِهار،[١٧] والأنثى مُهْرة، والجمع مُهَر ومُهَرات.[١٨]

---

[١] ر: يكثرنا.

[٢] ن: ألثرنا.

[٣] ر ن: بنوا.

[٤] ر ن: أكثروا.

[٥] ر: اللبيد.

[٦] ر: يغيطوا.

[٧] ن – يصبروا.

[٨] انظر: غريب الحديث للحربي، ١/٨٨. والبيت في دِيوان لَبيد بن ربيعة، ص ١٦٠، بلفظ:

إن يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وإن أَمِـرُوا
يـومًا يَصيـرُوا للـهُلْكِ والنَّكَدِ

| وفي هامش د: قال الحَماسي:

كلّمـا حـيّ وإن أَمِـرُوا
ورَدُوا الحـوضَ الـذي وَردُوا

| لفاطمة بنت الأخرَم الخزاعيّة في شرح شواهد المغني للسيوطي، ٢/٥٤٤.

[٩] ن: كبثرته.

[١٠] ر: فثير.

[١١] ن: سلّة.

[١٢] انظر: الصحاح للجوهري، «سكك».

[١٣] ر ن: لحقها.

[١٤] ن: تاو.

[١٥] ر ن: لحقه.

[١٦] ر: الأوبار. | الصحاح للجوهري، «أبر».

[١٧] ر ن: ومها.

[١٨] الصحاح للجوهري، «مهر».

وروي: أن رجلًا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أَرى أمرَكَ هذا حقيرًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنه سيأمَرُ»؛ أي: سيَكثرُ وسيكبُر.

وقرئ: ﴿آمَرْنا﴾ من أَمِرَ وآمَرَه غيرُه، و: "أمَّرنا" بمعنى: آمَرْنا، أو: من أَمُرَ إِمارةً وأمَّره اللهُ؛ أي: جعلناهم أُمراءَ وسلَّطناهم.

والسِّكَّة: الطريقة المُصطفَّة مِن النخل،[١] ومنه الحديث: «خير المال سِكَّة مأبورة، ومُهرة[٢] مأمورة»،[٣] والمعنى: خير المال صفٌ مِن النخل[٤] مُلقَّحةٌ، أو فرس كثيرة النتاج، وكان الأصمعي يقول: «السِّكَّة هنا الحديدة التي تُحرَث[٥] بها الأرضُ، ومعنى هذا الكلام: خيرُ المال نَتاج أو زَرع».[٦]

وقال الواحدي في الوسيط: «﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أكثرْنَا فُسَّاقَها، وهو قول مجاهد وعِكرمة وسعيدِ بن جُبير. يقال: أَمِرَ القومُ إذا كَثُرُوا، وأَمَّرَهم الله، أي: كثَّرَهم، والمُترَف: المُنعَّم الذي قد أَبطَرَتْه النِّعمة وسَعةُ العَيش. والمُفسِّرون يقولون في تفسير 'المُترَفِين': الجبّارين والمُسَلَّطِينَ والملوك».[٧]

قوله: (و"أَمَّرْنَا")[٨] مِن التأمِير،[٩] فهو مِن أَمِرَ، أي: كَثُرَ، وأَمَّرتُه: كَثَّرتُه.[١٠]

قوله: (أو مِن أَمُرَ[١١] إمارةً) الأمير: ذو الأمْر. وقد أمَر فلان[١٢] وأَمُرَ / أيضًا بالضمّ، أي: صارَ أميرًا، والأنثى بالهاء، قال: [٧٤ظ]

---

١ ن: النحل.

٢ ر ن – مأبورة ومُهرة.

٣ مسند أحمد، ١٧٣/٢٥ (١٥٨٤٥)؛ المعجم الكبير للطبراني، ٩١/٧ (٦٤٧٠).

٤ ن: النحل.

٥ ر: يحرث.

٦ الصحاح للجوهري، «سكك».

٧ التفسير الوسيط للواحدي، ١٠١/٣ (الإسراء، ١٦/١٧).

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وأبي عثمان النهدي والسدّي وزيد بن عليّ وأبي العالية. انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٢٧/٧ (الإسراء، ١٦/١٧).

٩ ر: التأسير.

١٠ وفي هامش د: قوله: (مِن أمِرَ، وآمرَه غيرُه) يريد أنّ قراءة ﴿ءَامَرْنَا﴾ بالمدّ إنّما هي مِن "أمِرَ" على وزن "عَلِمَ" الذي معناه: كَثُر، ومتعدّيه "آمَرَ"، أصله: "أأمَرَ" على وزن أعلَمَ الذي معناه: كَثَّر بالتشديد. وأمّا قراءة "أمَّرَ" بالتشديد فيجوز أن يكون بمعنى "آمَرَ" بالمدّ الذي معناه: كثَّرَ بالتشديد، ويجوز أن يكون مِن "أمُرَ" بالضمّ الذي معناه صار أميرًا، ومتعدّيه "أمَّرَ" بالتشديد الذي معناه: جعلَه أميرًا. | وقرأ: ﴿ءَامَرْنَا﴾ بالمدّ يعقوب. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٦/٢.

١١ ن: أسر.

١٢ ر: فالا من.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾

﴿كم﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ بيانٌ لِـ﴿كَمْ﴾ وتمييزٌ له كما يميَّز العدد بالجنس، يعني: ﴿عَادٗا وَثَمُودَاْ... وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا﴾ [الفرقان ٣٨/٢٥]، ونبّه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ على أنَّ الذنوبَ هي أسبابُ الهلَكة لا غيرُ، وأنه عالمٌ بها فمعاقِبٌ عليها.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومٗا مَّدْحُورٗا ١٨﴾

مَن كانت العاجلةُ هَمَّه ولم يُرِدْ غيرَها كالكَفَرة وأكثرِ الفَسَقة تفضَّلْنا عليه من منافعها بمَا نشاء لمن نريد، فقيَّدَ الأمر تقييدَيْن:

أحدهما: تقييدُ المُعجَّل بمشيئته.

والثاني: تقييدُ المعجَّل له بإرادته.

وهكذا الحال: ترى كثيرًا من هؤلاء يتمنَّون ما يتمنَّون ولا يُعطَون إلّا بعضًا منه، وكثيرًا منهم يتمنَّون ذلك البعضَ ....

ولـو جـاءُوا بـرَمْـلـةَ أو بِـهِـنْـدٍ[١] لَـتـابَـعْـنـا أمـيـرةً[٢] مُـؤمِـنِـيـنـا[٣]

والمصدر: الإِمْرَة[٤] -بالكسر- والإمارة.[٥]

قوله: (﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان ٣٨/٢٥]) أي: عاد وثمود.

قوله: (تقييد[٦] المُعجَّل) وهو قوله: ﴿مَا نَشَآءُ﴾.

قوله: (بمشيئته) أي: بمشيئة الله تعالى، وهو قوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾. وقوله: (إلّا بعضًا منه) لتقييد المعجَّل بمشيئته[٧] ما شاء.

---

١ ر: بهتد.

٢ ر: أمره.

٣ لعبد الله بن همّام السلولي في لسان العرب لابن منظور، «أمر»، بلفظ: "لَبايَعْنا".

٤ ر: للإمر؛ ن: الإمر.

٥ الصحاح للجوهري، «أمر».

٦ ر: تعسد.

٧ ن: بمشيئة.

وقد حُرِموه، فاجتَمع عليهم فقرُ الدنيا وفقرُ الآخرة، وأما المؤمنُ التقيُّ فقد اختار مرادَه -وهو غِنَى الآخرةِ- فما يُبالي: أُوتيَ حظًّا من الدنيا أم لم يؤتَ، فإن أُوتي فبها وإلّا فربَّما كان الفقرُ خيرًا له وأعونَ على مراده.

وقوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدلٌ من ﴿لَهُۥ﴾ وهو بدلُ البعضِ من الكلِّ؛ لأن الضمير يرجعُ إلى ﴿مَن﴾ وهو في معنى الكثرةِ.

وقرئ: "يشاء"، وقيل: الضميرُ لله عزَّ وجل، فلا فرقَ إذَنْ بين القراءتين في المعنى، ويجوز أن يكون للعبد على أن للعبد ما يشاء من الدنيا، وأنَّ ذلك لواحدٍ من الدَّهماء يريد به اللهُ ذلك.

وقيل: هو مَن يريد الدنيا بعملِ الآخرة: كالمنافق، والمُرائي، والمهاجرِ للدنيا، والمجاهِدِ للغنيمة والذِّكْر؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: «فمَن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِهِ فهجرتُه إلى اللهِ ورسولِهِ، ومَن كانت هجرتُه لدنيا يُصيبُها أو امرأةٍ يتزوَّجها ....

قوله: (وقد حُرِمُوه) لتقييد[١] المعجَّل له بإرادته.

قوله: (فإن أُوتي فبِها) أي: فبِالطَّلِبة أو فبِالخَصلة[٢] الحَسنة أخذَ. وقوله: (ويجوز أن يكون) أي: الضمير.

قوله: (وأنّ ذلك لواحد) هذا تفسير ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾.[٣]

قوله: (مِن الدَّهْماء)[٤] دَهْماء الناس: جماعتهم. وقوله: (يريد)...[٥] إلخ صِفة "لواحد".

---

[١] ن: لفسد.

[٢] ر: فبالحله.

[٣] ر: يزيد.

[٤] ر ن: والدهما. | وفي هامش د: (الدَّهماء) جماعة مِن الناس. (يريد به الله ذلك) الضمير للعبد، و"ذلك" إشارة إلى "ما شاء"، والجملة صفة "لواحد". قوله: (لأنّها ثواب وأعواض وتفضّل) أي: لأنّ ما في الآخرة ثواب؛ وهو جزاء أعمال الخير، وعِوض؛ وهو ما في مقابلة الآلام والبلايا، وتفضُّل؛ وهو إيصال منفعة خالِصة إلى الغير مِن غير استحقاق. قُطب الدين رحمه الله.

[٥] ر: يزيد.

فهجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه».

﴿مَدۡحُورٗا﴾: مَطْرودًا من رحمة الله.

﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾

﴿سَعۡيَهَا﴾: حقَّها من السعي وكِفَاءَها من الأعمال الصالحة، اشتَرط ثلاثَ شرائطَ في كونِ السعي مشكورًا: إرادةَ الآخرة بأنْ يَعْقِدَ بها همَّه ويتجافَى عن دارِ الغرور، والسعيَ فيما كُلِّف من الفعل والترك، والإيمانَ الصحيحَ الثابتَ.

وعن بعضِ المتقدِّمين: مَن لم يكن معه ثلاثٌ لم ينفَعْه عملُه: إيمانٌ ثابتٌ، ونيَّةٌ صادقةٌ، وعملٌ مصيبٌ، وتلا هذه الآيةَ.

و"شكرُ الله": الثوابُ على الطاعة.

قوله: («فهجرتُه[1] إلى ما[2] هاجر»)[3] أي: مصروفة إليه.

قوله: (وكِفَاءَها) تقول:[4] لا كِفاءَ له بالكسر، وهو في[5] الأصل مصدر، أي: لا نظيرَ له.

قوله: (ونيّة صادقة) فقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ يدلّ[6] على اشتراط النيّة في صِحّة الطاعات[7] والعبادات.

قوله تعالى:[8] ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ﴾ قال في الوسيط: «قال الحسن: 'كُلًّا نُعطي مِن الدنيا؛ البَرَّ والفاجرَ'، ثمّ فصَّل الفريقين فقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾. ﴿ٱنظُرۡ﴾ يا محمّد ﴿كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ يعني في الرزق، فمِن مُقِلّ[9] ومُكْثِر، ومُوسَّع عليه[10] ومُقتَّر، هذا في الدنيا، ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ﴾».[11]

---

[1] ر: هجرته.

[2] ر + هو.

[3] صحيح البخاري، ٦/١ (١)؛ صحيح مسلم، ١٥١٥/٣ (١٩٠٧).

[4] ر: يقول.

[5] ر ن – في.

[6] ن: بدل.

[7] ر ن: المطاعات.

[8] ن – تعالى.

[9] ر ن: معل.

[10] ر ن – عليه.

[11] التفسير الوسيط للواحدي، ١٠١/٣ (الإسراء، ١٩/١٧).

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠﴾

﴿كُلًّا﴾: كلَّ واحدٍ من الفريقين، والتنوينُ عوضٌ من المضافِ إليه.

"نُمِدُّهم": نَزِيدُهم من عطائنا ونَجعلُ الآنِفَ منه مَدَدًا للسَّالف لا نقطعُه، فنَرْزُق المطيعَ والعاصيَ جميعًا على وجهِ التفضُّل.

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ وفضلُه ﴿مَحْظُورًا﴾؛ أي: ممنوعًا لا يمنعُه من عاصٍ لعصيانه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ٢١﴾

﴿ٱنظُرْ﴾ بعينِ الاعتبار ﴿كَيْفَ﴾ جعلناهم متفاوِتِينَ في التفضُّل، وفي الآخرةِ التفاوتُ أكثرُ؛ لأنها ثوابٌ وأعواضٌ وتفضُّلٌ، وكلُّها متفاوتةٌ.

ورُوِي: أن قومًا من الأشراف فمَن دونَهم اجتمعوا ببابِ عمرَ رضي الله عنه، فخرج الإذنُ لبلالٍ وصهيبٍ، فشقَّ على أبي سفيان، فقال سُهَيْلُ بن عمرو: إنما أُتِينا من قِبَلِنَا؛ إنهم دُعُوا ودُعينا -يعني: إلى الإسلام- فأَسرعوا وأبطأنا، وهذا بابُ عمرَ "رضي الله عنه" فكيف التفاوتُ في الآخرة، ولئن حسَدْتُموهم على بابِ عمرَ "رضي الله عنه" لَمَا أعدَّ الله لهم في الجنَّة أكثرُ.

وقرئ: "وأكثرُ تَفْضيلًا".

قوله: (ونجعل الآنِفَ) الاستئناف: الابتداء، وكذلك الِائتِناف، وقلتُ كذا آنِفًا وسالِفًا.[1]

قوله: (أُتِينا) أي: أُصِبْنا بما أُصِبْنا، يعني: المنع مِن الدخول وتأخير الإذْن. يقال: أتى[2] عليهم الدهرُ، أي: أهلَكهم وأفناهم، وأصله مِن إتيان العدوّ.[3] وقوله:[4] (مِن قِبَلِنا) أي: مِن جِهتنا، ومِن أجل فِعلنا، وهو أنّا أخَّرنا[5] وتباطَأْنا فيه، ثمّ بيّن هذا المعنى بقوله: (إنّهم دُعُوا)... إلخ، وقوله: (لَما أعدَّ اللهُ) أي: الذي.

[1] الصحاح للجوهري، «أنف».
[2] ن: أتى.
[3] المُغرب للمطرّزي، «أتي».
[4] ن: قوله.
[5] ر: أجزنا.

وعن بعضهم: أيُّها المُباهي بالرَّفع منك في مجالسِ الدنيا، أَمَا ترغَبُ في المباهاةِ بالرَّفعِ في مجالس الآخرة وهي أكبرُ وأفضلُ.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَتَقْعُدَ﴾ من قولهم: "شَحَذَ الشفرةَ حتى قعدَتْ كأنَّها حَرْبةٌ" بمعنى: صارَتْ، يعني: فتصيرَ جامعًا على نفسك الذمَّ وما يَتْبعُه من الهلاك من إلهك، والخذلانَ والعجزَ عن النُّصرة ممن جعَلْتَه شريكًا له.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: وأمَرَ أمرًا مقطوعًا به ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ "أَنْ" مفسِّرةٌ و"لا تعبدوا" نهيٌ، أو: بأنْ لا تعبدوا.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: وأَحْسِنوا بالوالدين إحسانًا، أو: بأنْ تُحسِنوا بالوالدين إحسانًا.

وقرئ: "وأوصى"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "ووَصَّى".

وعن بعض ولدِ معاذ بن جبل: "وقضاءُ ربِّكَ".

قوله: (أو بأن لا تعبُدوا) فـ"أنْ" ناصبة، و﴿لَا تَعْبُدُوٓاْ﴾ نفي.

قوله: (وأحسِنوا) على تقدير أن يكون مفسِّرة، و﴿لَا تَعْبُدُوٓاْ﴾[1] نَهْيًا. وقوله: (أو[2] بأن تُحسِنُوا) على تقدير: "بأن لا تعبُدوا"، على "أن" ناصبة، و"لا" نَفْي.

قوله: (وقُرِئ: "وَأَوْصَى")[3] مكان ﴿وَقَضَىٰ﴾.

قوله: (بعضِ ولد) بلفظ الوَحدة.[4] قال الجوهري: «الوَلَد يكون واحدًا، ويكون جمعًا».[5]

---

[1] ر ن - نفي. قوله: (وأحسِنوا) على تقدير أن يكون مفسِّرة، و﴿لَا تَعْبُدُوٓاْ﴾.

[2] ن - أو.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٧٩.

[4] ر ن: الوجده.

[5] الصحاح للجوهري، «ولد».

ولا يجوز أن تَتَعلَّق الباء في "بالوالدين" بالإحسان؛ لأنَّ المصدر لا يتقدَّم عليه صِلَتُه.

﴿إِمَّا﴾ هي "إنْ" الشرطيَّةُ زِيدَتْ عليها "ما" تأكيدًا لها، ولذلك دخلتِ النونُ المؤكِّدةُ في الفعل، ولو أُفردَتْ "إنْ" لم يصحَّ دخولها؛ لا تقول: "إنْ تكرمنَّ زيدًا يُكرمْكَ" ولكنْ: "إمَّا تكرمنَّه".

و﴿أَحَدُهُمَا﴾ فاعلُ ﴿يَبْلُغَنَّ﴾، وهو فيمَن قرأ: ﴿يَبْلُغانِّ﴾ بدلٌ من ألفِ الضمير الراجِعِ إلى الوالدين.

و﴿كِلَاهُمَا﴾ عطفٌ على ﴿أَحَدُهُمَا﴾ فاعلًا وبدلًا.

فإن قلتَ: لو قيل: "إمَّا يَبلُغانِّ كلاهما" كان "كلاهما" توكيدًا لا بدلًا، فما لك زعمْتَ أنه بدلٌ؟

قوله: (ولا يجوز) عطفٌ على ما دلّ عليه ("وأحسِنوا")... إلخ كأنّه قال: "الباء" متعلّق بـ"أَحسِنوا" أو بـ﴿قَضَىٰ﴾، ولا يجوز أن يتعلّق بـ"الإحسان".

قوله: (بدَلَ مِن ألِف الضمير) في ﴿يَبْلُغَـٰنِّ﴾.[1]

قوله: (فاعلًا) على قراءة ﴿يَبْلُغَنَّ﴾. وقوله: (وبدَلًا) على قراءة ﴿يَبْلُغَـٰنِّ﴾. فقوله: "فاعلًا" يجوز أن يكون خبر "كان" المحذوفة، سواء[2] كان كلاهما فاعلًا أو بدلًا. ويجوز أن يكون حالًا مِن (﴿أَحَدُهُمَا﴾)؛ لأنّه مفعول بواسطة[3] الحرف.

قوله: (توكيدًا لا بدَلًا) كما قالوا: "جاءَني الزَّيدان كلاهما" تأكيد باتّفاق؛ لأنّه يدلّ على ما دلّ عليه "الزيدان"، والدليل عليه أنّه يُفهم مِن "كِلَا / الزيدَين" [٧٥و] ما يُفهم مِن "الزيدَين"، وكذا يُفهم مِن[4] "كِلا الأبوَين" ما يُفهم مِن "الأبوَين"، فثبَت أنّه يدلّ على نفسِ ما دلّ عليه الأوّل، وهو المعنيّ بالتأكيد. وأمّا في البدل فلا[5] بدّ مِن معنًى زائد لا يكون في المبدَل منه.

---

١ قرأ ﴿يَبْلُغَـٰنِّ﴾ بألِف بعد الغين مع المدّ وكسرِ النون المشدّدة حمزة والكسائي وخلف. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٦/٢.

٢ ر: سو.

٣ ر: بوليطه؛ ن: بولطه.

٤ ن – "كِلَا الزيدَين" ما يُفهم مِن "الزيدَين"، وكذا يُفهم مِن.

٥ ن: لا.

قلتُ: لأنه معطوفٌ على ما لا يَصحُّ أن يكونَ توكيدًا للاثنين، فانْتَظَم في حُكمه فوجَبَ أن يكون مِثلَه.

فإن قلتَ: ما ضرَّكَ لو جعلتَه توكيدًا مع كون المعطوفِ عليه بدلًا، وعطَفْتَ التوكيدَ على البدل؟

قلتُ: لو أريدَ توكيدُ التثنية لقيل: ﴿كِلَاهُمَا﴾ فحَسْبُ، فلمَّا قيل: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ عُلم أن التوكيدَ غيرُ مرادٍ، فكان بدلًا مثلَ الأوَّل.

﴿أُفٍّ﴾: صوتٌ يدلُّ على تضجُّرٍ، وقرئ: "أفّ" بالحركات الثلاث منوَّنًا وغير منوَّن: الكسرُ على أصل البناء، والفتحُ تخفيفٌ -للضمَّةِ والتشديدِ- كـ"ثُمَّ"، والضمُّ إتباعٌ كـ"مُنذُ".

قوله: (فإن قلتَ: ما ضَرَّك)[١] اعلم أنّ بناء هذا السؤال على أنّه لا بدّ في البدل مِن معنًى وفائدةٍ لا يكون في المبدَل منه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة ١/٦-٧]، وسائر أفراد البدَل، ولذلك قالوا: "جاءني زيدٌ زيدٌ" هو تأكيد، وليس بدَلًا، وحَملوا كلامَ مَن قال: "إنّه بدل" على السَّهْو.

قوله: (لَقِيل: ﴿كِلَاهُمَا﴾)؛ لأنّ المراد بتوكيد التثنية[٢] بـ"كِلا" هو الشمول والإحاطة، ولو أريدَ الشمول والإحاطة لم يقل: ﴿أَحَدُهُمَا﴾؛ لكونه منافيًا للشمول.

قوله: (فحسب) أي: بدون ذكر ﴿أَحَدُهُمَا﴾. وقوله: (عُلم[٣] أنّ التوكيد)؛ لأنّ المفرد لا يصحّ أن يكون تأكيدًا[٤] للتثنية، وصحّ أن يكون بدلًا؛ لاشتمال الكلام على تفصيل[٥] وتخيير[٦] ليس في المبدَل منه.

قوله: (للضمّة والتشديد) يعني: لمّا كان في الكلمة ضمّة وتشديد ناسبَ التخفيف، فبُني[٧] على الفتح. فقوله: "للضمّة" أي: لأجل.

---

[١] ن: ضرّل.
[٢] ر ن: البينة.
[٣] ر: على.
[٤] ر ن: توكيدًا.
[٥] ر: تفضيل.
[٦] ر ن: وبحسر.
[٧] ر: في.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿عِندَكَ﴾؟

قلتُ: هو أن يَكْبَرَا ....

قوله: (**فإن قلتَ: ما معنى ﴿عِندَكَ﴾؟**) أي: ما الفائدة في ذِكر ﴿عِندَكَ﴾؟ فأجاب بقوله: (**هو**) أي: المعنى (**أن يَكْبَرا**)، يعني:[١] أنّ الغَرَض مِن إيراده[٢] الإشارةُ إلى أنّهما إذا كان وَصْفُهما وحالُهما على الوجه الذي ذكره المصنّف فعليه بالرِّفْق في شأنهما. قال المرزوقي في شرح بيت المَراثي:[٣]

وطيَّبَ نفسي أنّني لم أقُلْ لهُ كذبتَ ولم أبخَلْ بما ملَكتْ يدي[٤]

"أنّني" في موضع الفاعل لـ"طيَّب"، وليس القَصْدُ إلى أنّه لم يَقُل له: كذبتَ فقط، وإنّما المراد: أنّي لم أجْفُه بأدوَنِ ألفاظ الجَفاء، على ذلك قول الله[٥] تعالى في الوَصَاة[٦] بالوالدين، وتنزيهِهما عن قبائح القول والفعل: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، فـ"أُفّ" الأصل في صيانتهما عن الخَنَا[٧] وفُحْشِ[٨] القول، والنَّهْر الأصل في ترك[٩] إيذائهما بالفعل والزجر، فيقول الشاعر: سَلّاني طاعتي له، واحتشامي منه مدّةَ حياتي، وإعظامي[١٠] إيّاه في القول عند مخاطباته،[١١] والفِعلِ وقتَ مجالسته، ولدَى[١٢] معاملته.

فأشار إلى القول بقوله: "لم[١٣] أقُلْ له: كذبتَ"، وإلى[١٤] الفعلِ بقوله: "ولم أبخَلْ بما ملكتْ يدي"، والمعنى: تَمْلِك[١٥] يدي عليه، فحذف[١٦] "عليه" كما يحذف[١٧] المفعول إذا دلّ عليه الكلام.[١٨]

---

[١] ر: لعني.

[٢] ن: ابراه.

[٣] ر: المرابي؛ ن: المراتي.

[٤] لدُريد بن الصمّة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٨٢١/٢.

[٥] ر: قوله.

[٦] وفي هامش د: اسم المصدر، اسم التوصية.

[٧] ر: الحفا؛ ن: الجفا.

[٨] ر ن: وأفحش.

[٩] ر: ترل.

[١٠] ر: وإعطامي.

[١١] ن: مخاطبته.

[١٢] ر: والذي.

[١٣] د: ألم.

[١٤] ر: إلى.

[١٥] في مطبوع شرح ديوان الحماسة: "بِملك".

[١٦] ر ن: محذوف.

[١٧] ر: بحذف.

[١٨] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٨٢١/٢.

ويَعْجِزَا وكانا كلًّا على ولدهما لا كافلَ لهما غيرُه، فهما عنده في بيته وكَنَفِه، وذلك أشقُّ عليه وأشدُّ احتمالًا وصبرًا، وربَّما تولَّى منهما ما كانا يتولَّيان منه في حال الطُّفولة، فهو مأمورٌ بأنْ يَستعمل معهما وَطأَةَ الخُلُق ولِينَ الجانب والاحتمالَ حتى لا يقولُ لهما إذا أَضْجَره ما يَستقذِرُ منهما أو يَستثقِلُ من مُؤَنِهما: ﴿أُفٍّ﴾ فضلًا عما يزيدُ عليه.

وقد بالَغَ سبحانه في التوصيةِ بهما حيث افتتَحَها بأنْ شَفَع الإحسانَ إليهما بتوحيده، ونَظَمَهُما في سلك القضاء بهما معًا، ثم ضيَّق الأمرَ في مراعاتهما حتى لم يُرَخِّصْ في أدنى كلمةٍ تَنْفَلِتُ من المتضجِّر مع مُوجِبات الضَّجر ومقتَضَيَاتهِ، ومع أحوالٍ لا يكادُ يَدخلُ صبرُ الإنسان معها في الاستطاعة.

وقوله: (كَلًّا) أي: ثِقْلًا وعِيالًا. وقوله: (وكنَفه) الكنَفُ: الجانب. وقوله: (وربّما تولَّى) مِن تولَّى[١] العملَ، أي:[٢] تقلَّده. وقوله: (فهو مأمور) أي: الولد.

قوله: (ما يَستَقْذِر)[٣] أي: يَستَقذِره،[٤] والعائد إلى "ما" محذوف. والقَذَر:[٥] ضِدّ النظافة،[٦] وهو قَذِر[٧] بَيِّن القَذارة،[٨] وقَذِرْتُ[٩] الشيءَ -بالكسر- وتَقَذَّرتُه[١٠] واستَقْذَرْتُه،[١١] أي: كَرِهْتُه لعدم نظافته، أو لِنجاسته.[١٢]

قوله: (في التوصية بهما) أي: بالوالدين. وقوله: (إليهما)[١٣] إلى[١٤] الوالدين. وقوله: (ونَظَمَهُما) أي: نَظَم التوحيدَ والإحسانَ إلى الوالدين[١٥] في سِلك القضاء بالتوحيد والإحسان / معًا. وقوله: (في مراعاتهما) أي: الوالدَين. وقوله: (يدخُل صبرُ الإنسان معها) أي.[١٦] [٧٥ظ]

---

[١] ر ن – تولَّى.
[٢] ر – أي.
[٣] ر ن: يستقدر.
[٤] ر ن: يستقدره.
[٥] ر: والعذر؛ ن: والعدر.
[٦] ر: البطاقة.
[٧] ر ن: قدر.
[٨] ر ن: القدارت.
[٩] ر ن: وقدرت.
[١٠] ر ن: وتقدرته.
[١١] ر ن: واستقدرته.
[١٢] ر + في؛ ر ن: والنجاسة. | الصحاح للجوهري، «قذر».
[١٣] ر ن + أي.
[١٤] ن – إلى.
[١٥] ن – وقوله: (ونَظمَهُما) أي: نَظَم التوحيدَ والإحسان إلى الوالدين.
[١٦] كذا في الأصول الخطّيّة، ولعله يريد: أي: الأحوال.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولا تَزجُرْهما عما يتعاطَيانهِ ممَّا لا يُعجبُك، والنَّهْيُ والنَّهْرُ والنَّهْمُ: أخواتٌ.

﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدلَ التأفيفِ والنَّهرِ ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلًا كما يَقتضيه حُسْنُ الأدب والنزولُ على المُروءة.

وقيل: هو أن يقولَ: "يا أبتاه" "يا أُمَّاه" كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ مع كفرِه، ولا يدعوَهما بأسمائهما فإنَّه من الجفاء وسوءِ الأدب وعادةِ الدُّعَّار، قالوا: ولا بأسَ به في غير وجهه؛ كما قالت عائشةُ رضي الله عنها: "نَحَلَني أبو بكر كذا".

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

وقرئ: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ و: "الذِّلّ" بالضم والكسر.

قولُه: (الدُّعَّارِ)، الدَّعارة: الخُبث والفِسق، يقال: هو خَبيثٌ[١] داعِر، والجمع: الدُّعَّار، مثل: جاهِل وجُهَّال، وفاسِق وفُسَّاق. وقوله: (في[٢] غير وجهه)[٣] أي: غَيْبتِه.[٤]

قوله: (كما قالت عائشة رضي الله عنها:[٥] «نَحَلَني»)[٦] أي: أعطاني.

قوله: (وقُرئ: "جَنَاحَ الذُّلِّ" و"الذِّلّ")[٧] "الذُّلّ"[٨] بضمّ الذال ضِدّ العِزّ، وبكسرها ضِدّ الصعوبة، وهو الانقياد، أي: أَلِنْ لهما جناحكَ[٩] الذَّليلَ[١٠] أو الذَّلُولَ.[١١]

---

١ ر: حبيث.

٢ ر ن: من.

٣ ر: وجه.

٤ ر ن: عيبته.

٥ د – رضي الله عنها.

٦ انظر: الموطأ لمالك، ٢/٧٥٢ (٤٠).

٧ القراءة بكسر الذال قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وعروة بن جبير والجَحدري وابن وثّاب. انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٧/٣٨ (الإسراء، ١٧/٢٤).

٨ ر: والذلّ؛ ن – الذُّلّ.

٩ ر ن: جانبك.

١٠ ن: الدليل.

١١ ر ن: الذَلول. | وفي هامش د: قوله: (قلتُ: فيه وجهان)... إلخ الحاصل على الوجهين: أنّ هنا استعارة بالكناية، ومعها استعارة تخييليّة وترشيح أو تجريد، على الوجه الأوّل شُبّه الشخص المدلول عليه بالضمير المخاطَب المقدَّر كما قدّره المصنّف بقوله: (واخفض لهما جناحك الذَّليلَ أو الذَّلولَ) بالطائر، والجامعُ العطف على مَن يُعيله والحُنُوّ والشفقة، و"الجَناح" استعارة تخييليّة وقرينة لها، ﴿وَٱخْفِضْ﴾ يحتمل أن يكون ترشيح الاستعارة، >

فإن قلتَ: ما معنى قولِهِ: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المعنى: واخْفِضْ لهما جناحَكَ؛ كما قال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر ٨٨/١٥]، وأضافه إلى ﴿ٱلذُّلِّ﴾ أو "الذِلّ" كما أُضيف حاتِمٌ إلى الجُود، على معنى: واخفِضْ لهما جناحَكَ الذليلَ أو الذَّلول.

والثاني: أن يُجعَلَ ....

قوله: (جناحَك الذَّليلَ[1] أو الذَّلولَ)[2] يقال: دابّة ذَلُول[3] بيّن الذِّلّ[4] بالكسر، ورجل ذَليل[5] بيّن الذُّلّ. والذُّلّ[6] -بالضمّ- ضدّ العِزّ، ورجل ذَليل[7] بيّنُ الذُّلّ[8] والذِّلّة[9] والمَذَلّة،[10] مِن قوم أذِلّاء[11] وأذِلّة. والذِّلّ -بالكسر-: اللين[12] والانقياد، وهو ضِدّ الصعوبة، يقال: دابّة ذَلول[13] بيّنة الذِّلّ،[14] مِن دوابَّ ذُلُلٍ.[15]

قوله: (والثاني: أن يُجعل) وجهه[16] أن نقول: شُبّه الذُّلّ بطائرٍ[17] شأنه أن يستعليَ

‹ وأن يكون تجريدًا؛ بالنسبة إلى الشخص الذي هو استعارة بالكناية تجريد، وبالنسبة إلى "الجَناح" الذي هو استعارة تخييليّة ترشيح. وعلى الوجه الثاني شُبّه الذُّلّ أو الذِّلّ بذي جَناح يَخفِض الجَناح عند الشفقة وإرادة إيصال الخير إلى مستحقّهما، والجامعُ كون كلّ واحد منهما متنفَعًا به، والباقي بحاله مِن أنّ "الجَناح" استعارة تخييليّة، ﴿وَٱخْفِضْ﴾ بالنسبة إلى التخييليّة ترشيح، وبالنسبة إلى بالكناية تجريد. وفي قول لبيد:

وغَداةِ ريح قد كشفتُ وقِرّة إذ
أصبحتْ بيد الشَّمال زِمامُها

استعارتان بالكناية مع كلٍّ منهما استعارة تخييليّة؛ شُبّه الشمال الذي هو الريح بالقائد أو الراكب، كما أنّ القائد يَجُرُّ ما يقتاده إلى حيث ما يتوجّه كذلك الريح يَجُرّ القِرّةَ إلى حيث ما يتوجّه، واليد استعارة تخييليّة وقرينة لها. وشُبّه القِرّة بالناقة، والجامع بينهما أنّ الناقة تجري مع مَن يقودها تبعًا له، ويكون زمامها في يده، فكذلك القِرّة تجري مع الريح تبعًا له.

[1] ن: الدليل.
[2] ر ن - أو الذلول.
[3] ر ن: دلول.
[4] ر ن: الدل.
[5] ر ن: دليل.
[6] ر ن - والذُّلّ.
[7] ر ن: دليل.
[8] ر ن: الدل.
[9] ر ن: والدلّة.
[10] ن: والمدلّة.
[11] ن: أدلاء.
[12] ر: اللبن.
[13] ر ن: دلول.
[14] ر ن: الدل.
[15] ر ن: ذلك.
[16] ر: وجه.
[17] ر ن: نظائر.

لذُلِّهِ -أو لذِلِّه- لهما جناحًا خفيضًا -كما جَعَل لبيدٌ للشمال يدًا وللقِرَّة زِمامًا- مبالغةً في التذلُّل والتواضَع لهما.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: مِن فَرْطِ رحمتِكَ لهما وعَطفِكَ عليهما لكِبَرهما وافتقارِهما اليومَ إلى مَن كان أفقرَ خَلْقِ الله إليهما بالأمسِ، ولا تكتَفِ برحمتِكَ عليهما التي لا بقاءَ لها، وادْعُ الله بأنْ يرحمَهما رحمتَه الباقيةَ، ....

ولا ينخفض،[1] ويَصْعُبَ ولا ينقادَ، ثمّ ذكر الذُّلّ وأراد الطائر، وأثبتَ للذُّلّ ما قِوام[2] استعلاء الطائر به، وهو الجَناح، وجعله قرينة الاستعارة، فهو استعارة بالكناية، تَبِعَها استعارة تخييليّة.[3] وأمّا لبيد الشاعر فشبّه الشّمال براكبِ ناقةٍ بعد أن شَبّه القِرّةَ بالناقة، وأثبتَ للراكب يدًا، وللناقة[4] زمامَها، فهذا أيضًا استعارة بالكناية، تَبِعَها استعارة تخييليّة.

والقُرّ -بالضمّ- البَردُ، والقِرّة -بالكسر- البَرد.[5]

وقوله: (لِذُلّه أو لِذِلّه لهما) أي: لِذُلّ الولد، و"لهما"، أي: للوالدين.[6]

وقوله:[7] (كما جعل لبيد) في قوله:

وغَــداةِ[8] ريـحٍ قـد كـشَـفْـتُ[9] وقَـرّةٍ إذ أصبحتْ[10] بيد الشَّمال زِمامُها[11]

قال في الصحاح: «يومٌ قَرٌّ، وليلة قَرّة، أي: باردة، والقُرّ[12] -بالضمّ-: البَردُ، وقال: القِرّة -بالكسر-: البَرد».[13]

قوله: (والتواضع لهما) أي:[14] للوالدين.

---

١ ر: يتحفض.

٢ ن: مرام.

٣ ن: بحسلته.

٤ ر: والناقة؛ ن: والنقاقة.

٥ الصحاح للجوهري، «قرر».

٦ ر ن – وقوله: (لِذُلّه، أو لِذُلّه لهما) أي: لِذُلّ الولد، و"لهما"، أي: للوالدين.

٧ ن: قوله.

٨ ر: وعداه؛ ن: وعداة.

٩ ر: لشفت.

١٠ ر: إذا صبحت؛ ن: أصحت.

١١ ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٣١٥.

١٢ ن: والفرّ.

١٣ الصحاح للجوهري، «قرر».

١٤ ن: أو.

واجعَلْ ذلك جزاءً لرحمتِهما عليكَ في صِغَرِكَ وتربيتِهما لك.

فإنْ قلتَ: الاسترحامُ لهما إنما يصحُّ إذا كانا مسلمَين؟

قلتُ: وإذا كانا كافرين فله أن يسترحِمَ لهما بشرطِ الإيمان، وأنْ يدعوَ اللهَ لهما بالهداية والإرشاد، ومِن الناسِ مَن قال: كان الدعاءُ للكفّار جائزًا ثم نُسِخ، وسئل ابنُ عُيَينةَ عن الصَّدقةِ عن الميّت فقال: كلُّ ذلك واصلٌ إليه ولا شيءَ أنفعُ له من الاستغفار، ولو كان شيءٌ أفضلَ منه لأمرَكم به في الأبوين، ولقد كرَّر اللهُ سبحانه في كتابه الوصيَّةَ بالوالدين.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «رضا اللهِ في رضا الوالدين، وسَخَطُه في سَخَطِهما».

ورُوي: يفعلُ البارُّ ما يشاءُ أن يفعلَ فلن يدخُلَ النارَ، ويفعَلُ العاقُّ ما يشاءُ أن يفعلَ فلن يدخلَ الجنَّة.

قوله: (واجعل ذلك) أي: رحمته[1] الباقية، أي: اسأل منه تعالى أن يُجازيَهما[2] ويكافئَهما بذلك.

قوله: (ولو كان شيء أفضلَ منه) أي: مِن الاستغفار.[3]

قوله: (ورُوي: «يَفعَلِ البارُّ»)[4] إن قُرئ بضمّ اللام يكون خبَرًا في معنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ[5] أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة ٢/٢٣٣]، وإن قُرئ بكسر اللام يكون مِن قَبيل قوله:

---

[1] ر ن: رحمة.

[2] ر: تجازيهما.

[3] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ مقول قول مقدّر، وذلك القول المقدّر إمّا حال مِن فاعل ﴿نُخْرِجُ﴾، أو ﴿تُخْرِجُ﴾، أي: قائلًا: اقرأ، وعلى تقدير "يُخرَج" أو "يَخرُج" تقديره: مقولًا فيه: اقرأه، فيكون مِن وضع الظاهر موضعَ الضمير. ويحتمل أن يكون حالًا مِن الضمير في ﴿لَهُۥ﴾، أي: مقولًا فيه، أو يقال فيه: اقرأ. و﴿كَفَىٰ﴾... إلخ أيضًا مقولًا ذلك القول المقدّر، ويحتمل أن يكون صفة "كتاب"، أي: كتابًا مقولًا فيه: اقرأه، فيكون أيضًا مِن وضع الظاهر موضعَ الضمير.

[4] ر ن: النار. | انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٣١٦/١ (الإسراء، ١٧/٢٤).

[5] ر ن + اللام يكون خبرًا في معنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة ٢/٢٣٣].

وروى سعيد بن المسيّب: إن البارَّ لا يموتُ مِيتةَ سُوءٍ.

وقال رجلٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أبويَّ بلَغَا من الكِبَرِ أنّي أَلي منهما ما وَلِيَا منِّي في الصِّغَر، فهل قضَيْتُهما حقَّهما؟" قال: «لا، فإنهما كانا يفعلانِ ذلك وهما يُحبَّان بقاءكَ، وأنت تفعلُ ذلك وأنت تُريدُ موتَهما».

وشكَا رجلٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذُ مالَه، فدعا به فإذا شيخٌ يتوكَّأُ على عصًا، فسأله فقال: "إنه كان ضعيفًا وأنا قويٌّ، وفقيرًا وأنا غنيٌّ، فكنتُ لا أَمْنَعُه شيئًا من مالي، واليومَ أنا ضعيفٌ وهو قويٌّ، وأنا فقيرٌ وهو غنيٌّ، ويَبْخلُ عليَّ بماله"، فبكَى عليه السلام وقال: «ما مِن حَجَرٍ ولا مَدَرٍ يسمعُ هذا إلَّا بكَى» ثم قال للولد: «أنت ومالُكَ لأبيك، أنتَ ومالك لأبيك».

وشكا إليه آخَرُ سُوءَ خُلقِ أمِّه، فقال: «لم تكن سيّئةَ الخُلُق حين حملَتْكَ تسعةَ أشهرٍ» قال: "إنها سيِّئةُ الخُلق"، قال: «لم تكن كذلك حين أرضعَتْك حولين» قال: "إنها سيِّئةُ الخُلق"، قال: «لم تكن كذلك حين أسهرَتْ لك ليلَها وأظمأَتْ لك نهارها» قال: "لقد جازيتُها"، قال: «ما فعلتَ؟» قال:" حجَجْتُ بها على عاتقي"، قال: «ما جزيتَها ولو طَلْقَةً».

محمَّدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ إذا ما خِفْتَ[1] مِن أمرٍ تَبالا[2]

أي: لِتَفْدِ، فحُذف[3] لام الأمر، وهو قليل كحذف[4] الجارّ.

قوله: (ولو[5] طَلْقةً) مِن الطَّلَقِ، أي: العَدْوِ.[6] يقال: أعدى الفرسَ[7] طَلَقًا أو طَلَقَيْنِ،[8] أي: شَوْطًا أو شَوْطَين.[9] أو مِن الطَّلْق، وهو وجَع المَخاض، وقد طُلِقَتِ المرأة تُطْلَقُ طَلْقًا على ما لم يُسمَّ فاعله.[10]

---

١ ر ن – خِفْتَ.

٢ يُنسب لأبي طالب عمّ النبي صلّى الله عليه وسلّم. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ١٤/٩.

٣ ر ن – فحُذف.

٤ ن: لحذف.

٥ ر ن: وهو.

٦ ر: العدوّ.

٧ في الصحاح: عَدا الفرسُ.

٨ ر ن: طلقتين.

٩ الصحاح للجوهري، «طلق».

١٠ الصحاح للجوهري، «طلق».

وعـن ابـن عُمـرَ رضـي الله عنهمـا: أنـه رَأى رجـلًا فـي الطـواف يحمِـلُ أمَّه ويقول:

إنِّـــي لـهـا مَـطـيَّـةٌ لا تُـذْعَـر   إذا الـرِّكـابُ نَـفَـرَتْ لا تَـنْـفِر
مـا حَـمَـلَـتْ وأرضـعَـتْـني أكـثَر   اللهُ ربِّـــي ذُو الجـــلالِ الأكبـــر
تَـظـنُّـنِـي جـزيـتُـهـا يـا ابـــنَ عُـمَـر

قال: لا، ولو زَفْرَةً واحدةً.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «إيَّاكم وعقوقَ الوالدين، فإن الجنَّة توجدُ ريحُها من مسيرةِ ألفِ عامٍ، ولا يَجدُ ريحَها عاقٌّ، ولا قاطعُ رَحِمٍ، ولا شيخٌ زانٍ، ولا جارٌّ إزارَه خُيَلاءَ، إن الكبرياءَ لله ربِّ العالمين».

وقال الفقهاء: لا يَذهَبُ بأبيه إلى البِيعة، وإذا بَعثَ إليه منها ليَحمِلَه فعَلَ، ولا يُناوِلُه الخمرَ، ويأخُذُ الإناءَ منه إذا شَرِبَها.

وعـن أبـي يوسفَ رحمـه الله: إذا أمـره أن يُوقِدَ تحت قِدْره وفيهـا لحـمُ الخنزير أوقَدَ.

وعن حُذيفة: أنه استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قتلِ أبيه وهو في صفِّ المشركين فقال: «دَعْه يَلِهِ غيرُك».

قوله:

(إنِّـي لها مَطيَّة لا تُـذْعَـرُ)...[1] الأبيات[2]

الذُّعْر:[3] الخوف.

وقوله: (قال: «لا») أي: قال ابن[4] عمرَ: «لا». وقوله: («ولو زَفْرةً») الزَّفْرُ: مصدر قولك: زَفَرَ الحِمْلَ يَزْفِره زَفْرًا، أي: حَمَله.[5]

---

[1] ر: تدعر؛ ن: ندعر.

[2] الحديث في البرّ والصلة للمروزي، ص ١٩؛ وأخبار مكّة للفاكهي، ٣١٢/١. والأبيات فيهما بلفظ:

إنِّـــي لـهـا بـعـيـرُهـا الـمـذلَّـلُ
إن أذعَـــرَت ركـابُـهـا لـم أذعَـرُ
أحـمِـلـهـا ومـــا حـمـلـتـني أكـثـرُ

وانظر: الكافي الشاف لابن حجر، ص ٩٨.

[3] ر: الدغر.

[4] ر ن: أبو.

[5] الصِّحاح للجوهريّ، «زفر».

وسُئل الفضيلُ بن عياض عن برِّ الوالدين فقال: أنْ لا تقومَ إلى خدمتهما عن كَسَلٍ.

وسُئل بعضُهم، فقال: أنْ لا ترفَعَ صوتَك عليهما، ولا تنظرَ شَزْرًا إليهما، ولا يَرَيَا منك مخالفةً في ظاهرٍ ولا باطنٍ، وأن تترحَّمَ عليهما ما عاشا، وتَدعُوَ لهما إذا ماتا، وتقومَ بخدمةِ أَوِدَّائهما مِن بعدِهما، فعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إن مِن أَبَرِّ البِرِّ أن يَصِلَ الرَّجلُ أهلَ وُدِّ أبيه».

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: بما في ضمائركم من قصد البرِّ إلى الوالدين، واعتقادِ ما يجبُ لهما من التوقير.

﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: قاصدِينَ الصلاحَ والبرَّ ثمَّ فَرَطَتْ منكم في حالِ الغَضَب وعند حَرَج الصدر وما لا يخلو منه البشرُ، أو لحَمِيَّة الإسلام، هَنَةٌ تُؤدِّي إلى أذاهما ثم أُبتُم إلى الله واستغفرتُم منها فإن الله غفور رحيمٌ ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾: للتوَّابين.

وعن سعيد بن جُبير: هي في البادرةِ تكونُ من الرجل إلى أبيه لا يريدُ بذلك إلَّا الخيرَ.

وعن سعيد بن المسيّب: الأوَّابُ: الرَّجلُ كلَّما أذنبَ ذنبًا بادَرَ بالتَّوبة.

ويجوز أن يكون هذا عامًّا لكلِّ مَن فرطَتْ منه جنايةٌ ثم تابَ منها، ويندرِجُ تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لورُوده على أثره.

قوله: (وعند حَرَجِ[1] الصدر) أي: ضِيْق الصدر. وقوله: (هَنَةٌ) أي: زَلَّةٌ.[2]

---

[1] ن: جرح.

[2] وفي هامش د: قوله: (قاصدين للصلاح) فيكون مِن قَبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب؛ لأنَّ قصد الشيء وإرادته سبب لوجوده وحصوله. | أنشد رحمه الله لنفسه:

وأنتِ الشهيرة بخفض الجَناح
فلا تكُ في دفعه أجدَلَا

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ وصَّى بغيرِ الوالدين من الأقاربِ بعد التوصيةِ بهما، وأن يُؤتَوْا حَقَّهم، وحقُّهم إذا كانوا محارمَ كالأبوين والولد وفقراءَ عاجزين عن الكسب وكان الرَّجل موسرًا: أن يُنفِق عليهم عند أبي حنيفة رحمه الله، والشافعيُّ لا يرَى النفقةَ إلّا على الولد والوالدَين فحسبُ، وإن كانوا مياسيرَ أَوْ لم يكونوا محارم -كأبناء العمِّ- فحقُّهم صلتُهم بالموادَّة والزِّيارة وحُسنِ المعاشرة والمُؤالفةِ على السرَّاء والضرَّاء، والمعاضَدةِ ونحو ذلك.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: وآتِ هؤلاء حقَّهم من الزكاة، وهذا دليلٌ على أن المراد بما يؤتي ذوي القرابة من الحقِّ: هو تعهُّدهم بالمال.

وقيل: أرادَ بذي القربى أقرِبَاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

"التبذيرُ": تفريقُ المال فيما لا ينبغي، وإنفاقُه على وجهِ الإسراف، وكانت الجاهليَّة تنحرُ إبلَها وتتياسَرُ عليها، وتُبذِّرُ أموالها في الفَخرِ والسُّمعَةِ،

[٧٦و] قوله: (وأن يُؤتَوا[١] حقَّهم) هذا / مثل قولك: أعجبني زيدٌ وكرمُه، أي: أوصى[٢] بأن يُؤتَى غيرُ الوالدين حقَّهم. وقوله: (كالأبوَين) متعلّق بقوله: (محارم)، فكأنّه قال: إذا كان غير الأبوين مَحارم كما أنّ الأبوين محارِم. وقوله: (وحَقُّهُم) أي: وحقّ غير الوالدين أن يُنفَق عليهم بالشرائط المذكورة، فلذلك قال: (عند أبي حنيفة)، ثمّ قال (والشافعي)... إلخ. وقوله: (وإن كانوا مَياسير) عطفٌ على جملة قوله: "وحقُّهم"... إلخ، أي: وإن كان الأقارب مَياسير.

قوله: (وتتياسر) المَيسرة: قِمار العرب بالأزلام، والياسر:[٣] اللاعب بالقِداح.[٤]

---

١ ر ن: تولوا.

٢ ن: أوضى. | وفي هامش د: الله.

٣ ن: والباسر.

٤ الصحاح للجوهري، «يسر». | وفي هامش د: قوله: ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أمثالهم) على الأوّل: استُعير "الإخوان" للأمثال، والجامع المناسبة والمشابَهة، كما أنّ الأخ مناسب للأخ ومشابه له، فكذلك المِثل مشابه للمِثل ومناسِب له، وعلى الوجه الثاني للأصدقاء، والجامع المطاوَعة، وعلى الوجه الثالث للقُرَناء، والجامع المُقارنة.

وتذكُرُ ذلك في أشعارها، فأمرَ اللهُ بالنفقةِ في وجوهها ممَّا يقرِّبُ منه ويُزْلِفُ.

وعن عبد الله: هو إنفاقُ المال في غير حقِّه.

وعن مجاهد: لو أنفقَ مُدًّا في باطلٍ كان تبذيرًا.

وقد أنفقَ بعضُهم نفقةً في خيرٍ فأكثرَ، فقال له صاحبُه: لا خيرَ في السَّرَف، فقال: لا سَرَف في الخير.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَعْدٍ وهو يتوضأُ، فقال: «ما هذا السَّرَفُ يا سَعْدُ؟» قال: "أَوَفي الوضوءِ سَرَفٌ؟" قال: «نَعَم، وإنْ كنتَ على نهرٍ جارٍ».

﴿إِخْوَانَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أمثالَهم في الشَّرارة، وهي غاية المَذمَّةِ؛ لأنه لا شرَّ من الشيطان، أو: هم إخوانُهم وأصدقاؤُهم؛ لأنهم يُطيعُونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف، أو: هم قُرناؤهم في النار على سبيل الوعيد.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ فما ينبغي أن يُطاعَ فإنَّه لا يدعُو إلَّا إلى مثلِ فعله.

وقرأ الحسنُ: "إخوانَ الشيطان".

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

وإن أعرَضْتَ عن ذي القربى والمسكينِ وابنِ السبيل حياءً من الردِّ ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ولا تتركهُم غيرَ مُجابِينَ إذا سألوك، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا سُئل شيئًا وليس عنده أعرَضَ عن السائل وسكتَ حَياءً.

وقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾: إمَّا أن يتعلَّق بجوابِ الشرط مقدَّمًا عليه؛

قوله: (كان تبذيرًا) تمّ[1] كلام مجاهد.

قوله: (إمّا أن يتعلّق بجواب الشرط) على مذهب مَن يُجوّز إعمال ما بعد الفاء الجزائيّة[2] فيما قبلها، أو أراد التعلّق مِن حيث المعنى.

---

[1] ن: ثم.

[2] ر: الحرابيه.

أي: فقل لهم قولًا سهلًا ليّنًا وعِدْهم وعدًا جميلًا رحمةً لهم وتطييبًا لقلوبهم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: ابْتَغِ رحمةَ الله التي ترجوها برحمتك عليهم.

وإمّا أن يتعلَّق بالشرط؛ أي: وإنْ أعرضتَ عنهم لفَقْدِ رزقٍ من ربِّك ترجو أن يُفتَح لك -فسَمَّى الرِّزق رحمةً- فرُدَّهم ردًّا جميلًا، فوَضعَ الابتغاءَ موضعَ الفَقْدِ؛ لأنَّ فاقدَ الرِّزق مُبتغٍ له، فكان الفَقْدُ سببَ الابتغاء والابتغاءُ مسبَّبًا عنه، فوُضع المسبَّبُ موضعَ السَّبَب.

قوله: (رحمةً لهم وتطييبًا) مِن تتمّة تفسير: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾؛ لأنَّ[١] قول الميسور لهم متضمِّن للرحمة لهم وتطييب لقلوبهم. وأشار إلى أنَّ[٢] هذا المقدّر إنّما حُذف لدلالة ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾ عليه، فإنَّ مَن أراد أن يرحمه الله تعالى فعليه أن يرحم عبادَه،[٣] «ارحمْ مَن في الأرض يَرحمكَ مَن في السماء».[٤] ولذلك[٥] قال المصنّف: (أي: ابتغِ[٦] رحمةَ الله التي ترجوها برحمتك[٧] عليهم). فـ"رحمةً وتطْييبًا" في قول المصنّف نصب على المصدر؛ لأنَّ قول الميسور لهم في معنى الرحمة والتطييب. وقوله: "أي: ابتغِ"[٨] هذا إشارة إلى حاصل المعنى بعد حلِّ اللفظ وذكرِ التعلّق.

قوله: (فسمّى الرزقَ) لمّا ذكر أنَّ[٩] المراد بـ﴿رَحْمَةٍ﴾ رِزقٍ؛ أوردَ قوله: "فسمّى الرزقَ: رحمةً" كالجملة المعترضة، ثمّ ذكَر جزاء الشرط، وهو (فرُدَّهم). ولمّا ذكر أنَّ المراد بالابتغاء الفَقد قال: (فوضع الابتغاء موضعَ الفقد)،[١٠] ففي قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ وضع المسبَّب موضع السبب، وفي قوله تعالى: ﴿رَحْمَةٍ﴾ وضع السبب موضع المُسبَّب. وقوله:[١١] (فسمّى الرزقَ: رحمةً)؛ لأنَّ الرحمة سببه.

---

١ ن + لأنّ.

٢ ر – أنّ.

٣ ن: عباد الله.

٤ المستدرك للحاكم، ٢٧٧/٤ (٧٦٣١). وهو في سنن أبي داود، ٢٩٨/٧ (٤٩٤٢)؛ وسنن الترمذي، ٣٨٨/٣ (١٩٢٤)، بلفظ الجمع.

٥ ر: وكذلك.

٦ ر: اتبع.

٧ د: برحمك.

٨ ر: أي: اتبع.

٩ ر ن – أنّ.

١٠ ن: الفقد.

١١ ن + رحمة.

ويجوز أن يكون معنى ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾: وإنْ لم تنفعْهم ولم ترقَعْ خصَاصَتَهم لعدم الاستطاعةِ -ولا يريد الإعراضَ بالوجه- كِنايةً بالإعْراض عن ذلك؛ لأن مَن أبَى أن يُعطيَ أعرضَ بوجهه.

يقال: "يُسِرَ الأمرُ وعُسِر" مثلَ: "سُعِدَ الرجلُ ونُحِس" فهو مفعولٌ.

وقيل: معناه: ﴿فَقُل لَّهُمْ﴾: رزَقَنا اللهُ وإيَّاكم من فضله، على أنه دعاءٌ لهم يُيَسِّرُ عليهم فقرهم؛ كأنَّ معناه: قولًا ذا مَيسورٍ، وهو اليُسر؛ أي: دعاءً فيه يُسرٌ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩﴾

هذا تمثيلٌ لمنعِ الشحيحِ وإعطاءِ المُسرِف، أمَر بالاقتصادِ الذي هو بين الإسرافِ والتقتير.

قوله: (لعدم الاستطاعة).[١]

قوله: (كنايةً)؛ لأنّ الإعراض[٢] لازم لعدم النَّفع، فأُطلقَ وأريدَ الملزوم، فيكون كناية، والمعنى: فإن لم تُعطِهم شيئًا فقل لهم قولًا ميسورًا. وقوله: (عن ذلك) أي: عن عدم النَّفع.

قوله: (فهو مفعول) وضع المصنّف هذا اللفظ مقام اسم المفعول مِن هذه الأفعال، فكأنّه قال: يسِرَ الأمرُ فهو ميسور، وعسِرَ الأمر فهو مَعْسور، وكذا في الباقيين.

قوله: (تمثيل لِمنع الشحيح)[٣] مثّل حال مَن يمنع لِشُحّه[٤] بحال مَن يده مغلولة إلى عنقه فلا[٥] يقدِر على إعطاء شيء، وكذا شبّه[٦] حال المُسرف[٧] بحال مَن بسطَ كفَّه كلَّ البَسْطِ فلا يبقى شيء في كفّه، ثمّ استعمل الألفاظ التي تستعمل[٨] في المُمَثَّل به في المُمَثَّل، فيكون تمثيلًا.

---

١ كذا في الأصول الخطّيّة دون بيان.

٢ ر: الاغتراض.

٣ ر ن: الصحيح.

٤ ر: لسحة؛ ن: لسحه.

٥ ن: قلا.

٦ ر: مشبه.

٧ ن: المسرق.

٨ ر: يستعمل.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: فتَصِيرَ ملومًا عند الله؛ لأن المسرفَ غيرُ مرضيٍّ عنده وعند الناس، يقول المحتاج: أعطَى فلانًا وحَرَمني، ويقول المستَغْني: ما يُحسِنُ تدبيرَ أمرِ المعيشة، وعند نفسك: إذا احتجتَ فندِمْتَ على ما فعلتَ.

﴿مَّحْسُورًا﴾: مُنقَطَعًا بك لا شيءَ عندك، من حسَرَه السَّفَرُ: إذا بلغَ منه، وحَسَره بالمسألة.

وعن جابر: بينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ فيما بين أصحابه إذ أتاه صبيٌّ فقال: ....

قوله: (منقطعًا بك)[١] انقُطِع بالمسافر -مبنيًّا للمفعول- إذا عَطِبت[٢] دابّتُه، ونَفِدَ زادُه، فانقطعَ به السفر دون طِيَّته،[٣] فهو منقطَع به.[٤]

قوله: (مِن حَسَره[٥] السفر) حسَرَ البعيرُ يَحسِر[٦] حُسورًا؛ أعْيَى،[٧] وحَسَرتُه أنا، يتعدّى ولا يتعدّى.[٨]

قوله: (وعن جابر: «بَيْنا[٩] رسول الله عليه السلام»)[١٠] أصله بين أوقاتِ رسولُ الله عليه السلام[١١] / جالس فيها. وقوله: "رسول الله"... إلخ صفة "أوقاتِ"، ثمّ حُذف الموصوف، فأصلُ "بَينا": "بَين"، فإذا حُذف منه المضاف إليه يُعوَّض[١٢] منه إمّا "ما" وإمّا "الألف"، قال الشاعر: [٧٦ظ]

بينما نحنُ بالثلاثِ[١٣] فالقا ع سِراعًا والعيسُ[١٤] تهوى هُوِيًّا[١٥]

---

[١] ر ن: بل.

[٢] ر ن: عطيت.

[٣] ر: طيبه؛ ن: طية.

[٤] المُغرب للمطرّزي، «قطع». | وفي هامش د: قوله: (إذا بلغ منه) أي: إذا بلغ السفر، وكذا حَسَره بالمسألة، أي: أعياه المسألة.

[٥] ر ن: حسرة.

[٦] ر: يحسُر.

[٧] ر: أعني.

[٨] الصحاح للجوهري، «حسر».

[٩] ر: نبينا.

[١٠] ر ن - عليه السلام. | قال الوليّ العراقي: لم أقِف عليه، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجِده. الفتح السماوي للمناوي، ٢/٧٧٢.

[١١] ر ن: صلّى الله عليه وسلّم.

[١٢] ر: تعوض.

[١٣] ر: بالبلالت. | وهو في لسان العرب لابن منظور، «بلكث»: بالبلاكث. وقال: «البَلاكِث: مَوضِع».

[١٤] ر ن: والعيش.

[١٥] عن بعض القرشيّين في لسان العرب لابن منظور، «بلكث». وينسب لكثير عزّة، وهو في قسم الشعر المنسوب إليه مِن ديوانه، ص ٥٣٨.

إنَّ أمِّـي تَسْتكْسـيكَ درعًـا، فقـال: «مِـن سـاعةٍ إلـى سـاعةٍ يَظهـرُ فعُـدْ إلينـا» فذهَـبَ إلى أمِّـه فقالـت لـه: قُـلْ لـه: إن أمِّـي تستكسـيكَ الـدرعَ الـذي عليـك، فدخـل داره ونَـزَعَ قميصَـه وأعطـاهُ وقَعَـد عُريَانًـا، وأذَّن بـلالٌ وانتظـروا فلـم يَخـرج للصـلاة.

وقيـل: أعطـى الأقـرعَ بـن حابسٍ مئـةً مـن الإبـل وعُيَيْنـةَ بـن حِصْـنٍ، فجـاءَ عبـاسُ بـن مـرداسٍ وأنشـأ يقـول:

أتـجـعـلُ نَـهـبِـي ونَـهـبَ العُـبَـيْـ ـدِ بـيـن عُـيَـيْـنـةَ والأقـــرعِ
ومـا كـان حِـصْـنٌ ولا حـابـسٌ يـفـوقـان جَـــدِّي فـي مَـجْـمَـعِ
ومـا كـنـتُ دونَ امـرئٍ منهمـا ومَـــن تَـضَـعِ الـيـومَ لا يُـرفَـعِ

فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، ....

وقال:

بـيـنـا نـحـن نَـرقُـبـه[1] أتـانـا مـعـلِّـقَ وَفْـضـة وزِيـــادِ راعٍ[2]

وقوله: (دِرعًا) دِرع المرأة: قَميصها.[3]

قوله: (مِن ساعة) "مِن" متعلّق بمحذوف، والتقدير: أَخِّر سؤالك مِن ساعة ليس فيها لنا دِرع إلى ساعة يَظهر فيها لنا دِرع. وقوله: (فقالت له) فاء فصيحة.

قوله:

(أتـجـعـلُ[4] نَـهْـبِـي)...[5] الأبـيـات[6]

النَّهْبُ: الغَنيمة، والجمع: نِهاب. والعُبيد: اسم فرس العبّاس بن[7] مِرداس. وقوله: (ومَن تضع) أي: أنتَ.

---

[1] ر: نزفيه؛ ن: نرفيه.

[2] ر ن: دراع. | نسبه ابن خلّاف إلى رجل مِن قيس عيلان. شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي، ١٧٤/٦. وهو فيه وفي غيره من المصادر بلفظ: "وزنادِ راعٍ".

[3] ر: قميصًا. | وفي هامش د: قوله: (ليس لهوانٍ منك) أي: لهوانٍ حاصل منك عليه.

[4] ر ن: أتجمل.

[5] ر ن: نهي.

[6] للعبّاس بن مِرداس في الصحاح للجوهري، «عبد»؛ ولسان العرب لابن منظور، «عبد».

[7] ر ن: ابن.

اقطَعْ لسانَه عنِّي، أعطهِ مئةً من الإبلِ» فنزلت.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ٣٠﴾

ثم سلَّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عمَّا كان يَرْهَقُه من الإضاقة بأنَّ ذلك ليس لهوانٍ منك عليه، ولا لِبُخْلٍ به عليك؛ ولكنْ لأن مشيئتَه في بَسْطِ الأرزاق وقَدْرِها تابعةٌ للحكمة والمصلحة.

ويجوز أن يريدَ أن البسطَ والقبضَ إنما هما من أمر الله الذي الخزائنُ في يده، فأمَّا العَبيدُ فعليهم أن يقتصِدوا.

ويحتمِلُ أنه عزَّ وعلا بسَط لعباده أو قبَض فإنَّه يراعي أوسطَ الحالين لا يبلغُ بالمبسوطِ له غايةَ مرادِه ولا بالمقبوضِ عليه أقصى مكروهه، فاستَنُّوا بسنَّته.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ٣١﴾

قتلُهم أولادَهم: هو وَأْدُهم بناتِهم، كانوا يَئِدونهنَّ خشيةَ الفاقة وهي الإملاقُ، فنهاهم الله وضَمِن لهم أرزاقَهم.

قوله: («اقطع لسانه عنِّي»)[١] قوله صلّى الله عليه وسلّم:[٢] «عنّي»[٣] لبيان أن ليس المراد بالقطع الإبانة؛ بل المراد صرفه عنه صلّى الله عليه وسلّم،[٤] ثمّ مع هذه القرينة بيّنه بيانًا شافيًا بقوله عليه السلام: «أعطِهِ».[٥]

قوله: (يَرهَقه) رَهِقَهُ -بالكسر- يَرهَقُه رَهَقًا؛ غَشيَه،[٦] مِن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس ١٠/٢٦]، ومنه الحديث: «إذا صلّى أحدُكم إلى الشيء فَلْيَرْهَقْه»،[٧] أي: فَلْيَغْشَه،[٨] ولا يَبْعُدُ منه.[٩] وقوله: (من الإضاقة) أي: الفقر.

---

١ انظر: صحيح مسلم، ٧٣٧/٢ (١٠٦٠)؛ ودلائل النبوّة للبيهقي، ١٨٣/٥.

٢ د: عليه السلام.

٣ ر ن - عنّي.

٤ د: عليه السلام.

٥ وفي هامش د: قوله: (فنزلت) أي: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾... إلخ.

٦ ر ن: عشيه.

٧ انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري، ١٠٢/٢.

٨ ر: فليغشيه.

٩ الصحاح للجوهري، «رهق».

وقرئ: "خِشيَةَ" بكسر الخاء.

وقرئ: ﴿خِطْـًٔا﴾ وهو الإثم، يقال: "خَطِئَ خِطْئًا" كأثِمَ إثمًا، ....

قوله: (وقُرئ: ﴿خِطْـًٔا﴾)[١] قرأ ابن كثير: ﴿خِطَاءً﴾ مكسورةَ الخاء ممدودةً مهموزة، فـ﴿خِطَاءً﴾ يجوز أن يكون مصدر "خاطَأَ"، وإن لم يُسمَع "خاطَأَ"، ولكن قد جاء ما يدلّ عليه، وذلك أنّ أبا عُبيد قال:[٢] «تَخاطَأَه[٣] النَبل أحشاءَه»، وأنشَدَنا محمّد بنُ[٤] السَّريّ في وصف كَمْأة:

وأصغَر قد ناولتُه أخْـدَشَ القَرَى أدرَّتْ[٥] عليه المُدْجِناتُ الهَواضِبُ
تـخـاطَـأَه الـقـنَّـاصُ[٦] حتّى وَجَـدْتُـه وخُرْطومُه في مَنْبَع[٧] الماء راسبُ[٨]

فـ"تَخاطَأَ" يدلّ على "خاطَأَ"؛ لأنّ "تفاعَلَ" مُطاوع "فَاعَلَ"، كما أنّ "تَفعَّلَ" مُطاوع "فَعَّلَ".

والدَّجْن: إلباسُ[٩] الغَيم السماءَ. والداجِنة: الماطرة المُطبِقة.[١٠] وسحابة داجِنة ومُدْجِنة، وأدجَنَت السماءُ: دام مَطرُها.[١١] والهَضْبة: المَطرة، يقال: هَضَبَتْهُم[١٢] السماء، أي: مَطَرتْهم.[١٣]

وقرأ ابن عامر: ﴿خَطَـًٔا﴾ بفتح الخاء[١٤] والطاء،[١٥] وإنّ "الخَطَأ" لِما لم يتعمّد، وكان المأثَم فيه موضوعًا عن فاعله. وقد قالوا: "أخطَأَ" في معنى "خَطِئَ"، كما قالوا: "خَطِئَ" في معنى "أخطَأَ". قال:

---

١ انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٧.

٢ ر ن – "خاطَأَ"، ولكن قد جاء ما يدلّ عليه، وذلك أنّ أبا عُبيد قال.

٣ ر ن: خاطأه. | في الحجّة: "تخاطأت". وفي الصحاح للجوهري، «خطأ»، مِن شِعر أوفَى بن مَطر المازني:

ألَا أبـلِغـا خُـلَّـتـي جـابـرًا
بـأنّ خَـلـيـلـكَ لـم يُـقـتَـلِ
تَـخـاطَـأَتِ الـنَّـبـلُ أحـشـاءَه
وأُخِّـر يـومـي فـلَـم يَـعـجَـلِ

٤ ن: ابن.

٥ ر: أدر.

٦ ن: القناض.

٧ ر: مَنْقع. | وفي هامش ر: مَنْبَعٍ نخ [نسخة].

٨ بألفاظ مختلفة في مطبوع الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٥/٩٧.

٩ ن: للباس.

١٠ ر: المطيقة.

١١ الصحاح للجوهري، «دجن».

١٢ ر: هضبهم؛ ن: هضهم.

١٣ الصحاح للجوهري، «هضب».

١٤ ر ن: الحاءَ.

١٥ ن: والطاءَ.

و"خَطَأً" وهو ضدُّ الصواب اسمٌ من أخطأ، وقيل: هو والخِطْءُ كالحَذَرِ والحِذْرِ، و"خِطَاءً" بالكسر والمدّ، و"خَطاءً" بالفتح والمدّ، و"خَطْأً" بالفتح والسكون.

عبادك مُخطِئون وأنتَ ربٌّ كريم لا يليق بك[١] الذُّمومُ[٢]

فمجرى[٣] الكلام أنّهم خاطِئون.[٤] وفي التنزيل: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾،[٥] والمؤاخذة عن المُخطئ موضوعة، فهذا يدلّ على أنّ ﴿أَخۡطَأۡنَا﴾ في معنى "خَطِئنا".

وكما جاء[٦] "أخطَأَ" في معنى "خَطِئَ" كذلك[٧] جاء "خَطِئَ" في[٨] معنى "أخطَأَ" في قوله:

والناس يَلْحَونَ الأميرَ إذا هُمُ خَطِئوا[٩] الصوابَ ولا يُلام المرشدُ[١٠]

أي: أخطَئُوا. فكذلك قول ابن[١١] عامر: ﴿خَطَـٔٗا﴾ في معنى ﴿خِطۡـٔٗا﴾، كما جاء "الخِطْأُ" في معنى "الخَطَأ". ويجوز أن يكون "الخَطَأ" لغةً في "الخِطْءِ"، كالمِثل والمَثَل، والشِّبْه والشَّبَه، والبِذْل[١٢] والبَدَل.

[٧٧و] وقرأ نافع / وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿خِطۡـٔٗا﴾ مكسورةَ الخاء[١٣] ساكنةَ الطاء مقصورةً، ووجهه أنّه يقال: خَطِئَ يَخْطَأ خِطْأً؛ إذا تعمَّد الشيء. حكاه الأصمعي، والفاعل منه خاطِئٌ، وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى: ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة ٣٧/٦٩]. مِن الحُجّة.[١٤]

وقوله: (و﴿خِطَاءً﴾) قال الشيخ الكواشي رحمه الله:[١٥] «بكسر الخاء مدًّا[١٦] مصدر خاطَأ خِطَاءً،[١٧] كقاتَل قِتالًا».[١٨]

---

[١] ر – بك.
[٢] ر: بالذموم. | بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «خطئ»، بلفظ: "عِبادُك يَخْطَئُون"...
[٣] ن: بمجرى.
[٤] ن: خاطئول.
[٥] ن: أخطلنا.
[٦] ن: قصاء.
[٧] ن: لذلك.
[٨] ر ن – في.
[٩] ر: خطبوا؛ ن: خطئو.
[١٠] بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «أمر».
[١١] ر: بن.
[١٢] ر: والبد.
[١٣] ر: الحاء؛ ن: الحا.
[١٤] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٩٦/٥.
[١٥] د – رحمه الله.
[١٦] ن: مذا.
[١٧] ن – خِطاءً.
[١٨] تفسير الكواشي، ٢٨١و.

وعن الحسن: "خَطًا" بالفتح وحذفِ الهمزة كالخَبِ. وعن أبي رَجَاءٍ: بكسرِ الخاء غيرَ مهموز.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ٣٢﴾

﴿فَٰحِشَةً﴾ قبيحةً زائدةً على حدِّ القبح.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: وبئس طريقًا طريقُه، وهو أن تغصِبَ على غيرِك امرأتَه أو أختَه أو بنتَه من غيرِ سببٍ، والسببُ ممكنٌ وهو الصِّهْرُ الذي شَرَعه الله.

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ٣٣﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلَّا بإحدى ثلاثٍ: إلَّا بأنْ تكفُرَ، أو تَقتُلَ مؤمنًا عمدًا، أو تزنيَ بعد إحصان.

﴿مَظْلُومًا﴾ غيرَ راكبٍ واحدةً منهنَّ.

﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: للَّذي بينه وبينه قرابَةٌ تُوجبُ المطالبةَ بدمه، فإنْ لم يكن له وليٌّ فالسلطانُ وَليُّه.

قوله: (وهو الصِّهْر)[١] الصِّهْر:[٢] حُرمة الخُتونة.[٣] والخُتُون[٤] والخُتُونة:[٥] المُخاتَنة، وهي تَجْمَع[٦] المُصاهرة بين الرجل والمرأة. وعن ابن شُمَيل:[٧] «سمِّيَت المصاهرة مُخاتَنة[٨] لالتقاء[٩] الخِتانين منهما».[١٠]

قوله: (إلّا بأن تكفُر)[١١] الضمير في "تكفُر"[١٢] للنفس، وكذا في "تَقتُل".[١٣]

---

١ ر ن: الضمير.
٢ ر ن: الضمير.
٣ ر ن: الحتونة.
٤ ر ن: والحتون.
٥ ن: والحتونة.
٦ ر ن: جمع.
٧ ن: سميل.
٨ ر: مخانتة.
٩ ر ن: الالتقاء.
١٠ المُغرب للمطرّزي، «ختن».
١١ ن: يكفر.
١٢ ن: يكفر.
١٣ ر: تقبل.

﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: تسلُّطًا على القاتل في الاقتصاص منه، أو حُجةً يَثِبُ بها عليه.

﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ﴾ الضميرُ للوليّ؛ أي: فلا يَقتلْ غيرَ القاتل، ولا اثنين والقاتلُ واحدٌ كعادة الجاهليَّة: كان إذا قُتل منهم واحدٌ قتلوا به جماعةً، حتى قال مُهَلْهِلٌ حين قَتل بُجَيرَ بنَ الحارث بن عُبَادٍ: بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيبٍ، وقال:

كـلُّ قـتـيـلٍ فـي كـلـيـبٍ غُـرَّهْ حـتـى يَـنـالَ الـقـتـلُ آلَ مُـرَّهْ

وكانوا يقتلون غيرَ القاتل إذا لم يكن بَواءً.

وقيل: الإسرافُ: المُثلةُ.

قوله: (الضمير للوليّ) وعلى هذا الضميرُ في[1] ﴿إِنَّهُۥ﴾ للوليّ، أو للذي[2] يقتُله الوليّ بغير حقّ.

قوله: (والقاتل[3] واحد) حال.

قوله: (كان إذا قُتِل منهم واحد) استئناف كلام[4] لبيان قتل المتعدِّد، و(كانوا) لبيان قتْل[5] غير القاتل، ففيه لفّ ونشر.

قوله: (بُؤْ بِشِسْعِ[6] نَعل)[7] أي: ليس بشيء[8] في مقابلة كُلَيب، ولا يساوي إلّا[9] شِسْعَ[10] نعله. ويقال: باءَ الرجل بصاحبه، أي: إذا قُتِل به. ومِن أمثالهم: «باءتْ عَرارِ بكَحْلٍ»؛[11] إذا قُتِلَ القاتل بمَقتوله، وهما بقرتان قُتلتْ إحداهما بالأخرى. ويقال: بُؤْ به، أي: كُنْ ممَّن يُقتَل[12] به.[13]

قوله: (وقال) وهو أخو كُلَيب. وقوله:

(كـــلُّ قـــتـــيـــل)... الـبـيـتَ[14]

---

[1] ر ن: على.

[2] ر: وللذي.

[3] ن: والقايل.

[4] ن: كلا.

[5] ر – المتعدّد، و(كانوا) لبيان قتل.

[6] ر ن: بسسع.

[7] ن: لعل.

[8] ن: لشيء.

[9] ن: لا.

[10] ر ن: سسع.

[11] ر: بكجل. | يُضرب لكلّ مستويَين يقعُ أحدهما بإزاء الآخر. مجمع الأمثال للميداني، ٩١/١.

[12] ن: يعتل.

[13] الصحاح للجوهري، «بوأ».

[14] بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «غرر».

وقرأ أبو مسلم صاحبُ الدولة: "فلا يُسرِفُ" بالرفع على أنه خبرٌ في معنى الأمر، وفيه مبالغةٌ ليست في الأمر.

وعن مجاهد: أن الضمير للقاتل الأوَّل.

وقرئ: ﴿فلا تُسرِفْ﴾ على خطاب الوليِّ أو قاتل المظلوم.

"في كُلَيب"، أي: في حقّه وبسببه. والغُرّة: مَن يُفدَى به في قَتْل الجَنين، عبدًا كان أو أمةً.[١]

قوله: (صاحب الدولة) يعني: صاحب الدولة العبّاسيّة، وهو الذي قاتل حتّى سَلّم الخلافة إلى بني العبّاس.

قوله: (أنّ الضمير للقاتل الأوّل) وإن لم يجرِ ذكره؛ لأنّ الحال يدلّ عليه، والضمير على هذا في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ لقوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾، تقديره: فلا يُسْرِف القاتل المبتدئ لقتله في القتل؛ لأنّ مَن قُتِل مظلومًا كان منصورًا بأن يقتصّ له وليّه أو السلطان إن لم يكن له وليّ غيره، فيكون هذا رَدْعًا للقاتل عن القتل، كما أنّ قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة ١٧٩/٢] كذلك. فالوليّ إذا اقتصّ فإنّما يقتصُّ للمقتول، ومنه انتقل إلى الوليّ، بدلالة أنّ القاتل لو أبرَأَ مِن السبب المؤدّي إلى القتل لم يكن للوليّ أن يقتصّ منه، فيصحّ أن يقال: إنّ المقتول منصور.[٢]

قوله: (وقُرئ: ﴿فَلَا تُسْرِف﴾) في السبعة.[٣]

---

١ ر ن - قوله: (وقال) وهو أخو كُلَيب. وقوله: (كلُّ قتيل)... البيتَ، "في كُلَيب"، أي: في حقّه وبسببه. والغُرّة: مَن يُفدَى به في قَتْل الجنين، عبدًا كان أو أمةً.

٢ وفي هامش د: قوله: (﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي: مطلوبًا)... إلخ المسئول على الوجه الأوّل: بمعنى المطلوب، وعلى الثاني: ﴿ٱلْعَهْدَ﴾ استعارة بالكناية، والمسئول استعارة تخييليّة، شُبّه "العهد" بمَن يَعقل ويفهم الخطاب ويكون منقادًا، والوجه كما أنّ مَن يَعقل يكون على وفق إرادة الآمر ومنقادًا على حسب إرادته فكذلك كلّ ما هو معلوم الله تعالى ومتعلّق إرادته يكون موافقًا لإرادة الله تعالى ومنقادًا لأمره، وكون العهد على سبيل التخييل. وعلى الوجه الثالث: بحذف المضاف، والسؤال بمعناه المشهور. وقوله: (تخييلًا) ليس المراد به الاصطلاحي؛ بل اللغوي؛ وهو أنّه خُيِّل وصُوِّر أنّ العهد مِن جملة المأمورين على سبيل الادّعاء، كما هو شأن الاستعارة.

٣ قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٠٧/٢.

وفي قراءة أبيّ: "فلا تُسْرِفوا" ردَّه على ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضمير: إمَّا للوليّ، يعني: حَسْبُه أن الله قد نَصَره بأَنْ أوجَبَ له القصاصَ فلا يَستزِدْ على ذلك، وبأنَّ الله نَصَره بمعونةِ السلطان وبإظهارِ المؤمنين على استيفاء الحقِّ فلا يبغِ ما وراء حقِّهِ.

وإما للمظلوم؛ لأن الله ناصرُه حيث أوجبَ القصاصَ بقتله، ويَنصُره في الآخرة بالثواب.

وإمَّا للَّذي يقتلُه الوليُّ بغير حقٍّ ويُسرفُ في قتله، فإنَّه منصورٌ بإيجابِ القصاصِ على المسرِف.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾: بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسنُ، وهي حفظهُ عليه وتثميرُه.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾؛ أي: مطلوبًا يُطلَب من العاهد أن لا يُضيِّعَه ويَفِيَ به. ويجوز أن يكون تخييلًا؛ ....

قوله: (ردَّه) أي: عطَفه.

قوله: (وهي حفظه)[١] أي: حفظ[٢] المال.

قوله: (أي: مطلوبًا يُطْلَبُ) أي: مطلوبًا عدم تضييعه، ومطلوبًا الوفاء به، فحُذف المضاف، وأقيمَ المضاف إليه -وهو الضمير- مُقامه، فاستتر في ﴿مَسْـُٔولًا﴾.

قوله: (تخييلًا) شُبه المؤاخذة بنَكْث العهد[٣] والمُجازاة عليه بالسؤال عن العهد: لِمَ نُكِثتَ؟[٤] لِتبكيت[٥] الناكِث،[٦] ثمّ قيل: ﴿مَسْـُٔولًا﴾، وأريدَ: مؤاخَذٌ[٧] به، مُجازى[٨] عليه.

---

١ ر: حفظة.
٢ ر: خفظة.
٣ ن - فاستتر في ﴿مَسْـُٔولًا﴾. قوله: (تخييلًا) شُبه المؤاخذة بنكث العهد.
٤ ر: يكبت.
٥ ر: لتبكيت.
٦ ر ن: النالث.
٧ ر ن: مواخد.
٨ ر ن: محارى.

كأنه يقال للعهد: لـم نُكِثْتَ؟ وهَلَّا وُفِيَ بك! تبكيتًا للناكث؛ كما يقال للمَوْؤدَة: ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير ٨١/٩].

ويجوز أن يراد: إن صاحبَ العهدِ كان مسؤولًا.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

قرئ: ﴿بالقُسطاس﴾ بالضمّ والكسر، وهو القَرَسْطون، وقيل: كلُّ ميزانٍ صغُرَ أَوْ كبُرَ من موازين الدراهم وغيرها.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسنُ عاقبةً، وهو تفعيلٌ من آلَ: إذا رَجَع، وهو ما يَؤُولُ إليه.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْفُ﴾: ولا تَتَّبِعْ، وقرئ: "ولا تقُفْ"، يقال: قَفَا أثرَهُ وقَافَه، ومنه: القَافَةُ.

يعني: ولا تكن في اتِّباعك ما لا عِلْمَ لك به من قولٍ أو فعلٍ كمَن يتَّبع مَسْلكًا لا يدري أنه يُوصله إلى مَقصده فهو ضالٌّ، والمرادُ: النهيُ عن أن يقولَ الرجلُ ما لا يَعلمُ وأنْ يعملَ بما لا يعلَمُ، ويَدخلُ فيه النهي عن التقليد دخولًا ظاهرًا؛ لأنه اتِّباعٌ لِمَا لا يُعلَمُ صحَّتُهُ من فسادِه.

وعن ابن الحنفيَّة: شهادة الزور.

وعن الحسن: لا تَقْفُ أخاكَ المسلِمَ إذا مرَّ بك، فتقول: هذا يفعلُ كذا، ورأيتُه يفعل، وسَمِعتُه يفعل، ولـم تَرَ ولـم تَسمَعْ.

قوله: (القَرَسْطون) القَبّان.

قوله: (وهو ما يئُول إليه) أي: أريدَ بالمصدر اسم المفعول.

قوله: (ومنه القافة) القائف: الذي يَعرِف الآثار، والجمع: القافة.[1]

---

١ الصحاح للجوهري، «قوف».

وقيل: القَفْوُ شَبِيهٌ بالعَضِيهَةِ، ومنه الحديث: «مَن قَفَى مؤمِنًا بما ليس فيه حبَسَه اللهُ في رَدْغة الخَبالِ حتى يأتي بالمَخْرَج»، وأنشد:

ومِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العَرانين ساكنٌ   بهنَّ الحياءُ لا يُشِعْنَ التَّقافيا

[٧٧ظ] قوله: (بالعَضِيهة)[١] / العَضِيهة:[٢] الإفك والبُهتان.[٣]

قوله: (في رَدَغة)[٤] الرَّدَغة[٥] -بالتحريك-: الماء والطين والوحل الشديد، وكذلك الرَّدْغة بالتسكين.[٦] وقوله: (الخَبال) أي: الفساد. رَدْغة الخَبال: ما اجتمع مِن قَيح الرجل ودمه في النار.[٧] وقوله: (بالمَخرَج)[٨] أي: العذر.[٩]

قوله: (وأنشد:[١٠]

ومثل الدُّمى[١١] شُمُّ العرانينِ ساكنٌ   بهنَّ الحياءُ لا يُشِعْنَ[١٢] التقافِيا)[١٣]

الدُّمى:[١٤] جمع الدُّمية؛[١٥] وهي الصنم والصورة المَنقوشة. والشَّمم:[١٦] ارتفاع[١٧] الأنف، و"شمّ العَرانين"[١٨] كناية عن أنهنّ عرَب خالص، أو عن[١٩] التكبّر. "لا يُشِعْنَ"،[٢٠] أي: لا يُظهِرْنَ[٢١] التقافيا،[٢٢] أي: التقاذف. يصف[٢٣] جماعة النساء بالجَمال والتكبّر والحياء وصون اللسان عن القذف. "بهنّ الحياء" الباء في "بهنّ" للتعدية، أي: سكَنَ[٢٤] الحياء بهنّ، وقد استحسن هذا اللفظ شيخنا رحمه الله.[٢٥]

---

١ ر: بالعصبهة.
٢ ر: العصبة.
٣ الصحاح للجوهري، «عضه».
٤ ر ن: ردعه.
٥ ر ن: الردعة.
٦ الصحاح للجوهري، «ردغ».
٧ ر ن - رَدْغة الخَبال: ما اجتمع مِن قَيح الرجل ودمه في النار.
٨ ن: بالمجزج.
٩ ر: الغدر؛ ن: العدر.
١٠ ر ن - وأنشد.
١١ ر: الذمي؛ ن: الذمى.
١٢ ر ن: يسعن.
١٣ للنابغة الجعدي في ديوانه، ص ١٩٣. | وفي هامش د: يصف النساء.
١٤ ر: الذمي؛ ن: الذمى.
١٥ ر ن: الذميّة.
١٦ ن: والسمم.
١٧ ر ن: ارتفاح.
١٨ ر: العرابين.
١٩ ن: وعن.
٢٠ ن: يعش.
٢١ ر: يطهرن.
٢٢ ن: التقاقيا.
٢٣ ر: تصف.
٢٤ وفي هامش د: بخطّ أبي حنيفة رحمه الله.
٢٥ ر ن: رضي الله عنه.

أي: التقاذُفَ، وقال الكُمَيْتُ:

ولا أَرْمـــي الـبَـرِيءَ بغير ذنبٍ ولا أَقْـفُـو الـحـواصِـنَ إنْ قُـفِـينا

وقد استَدلَّ به مُبطِلُ الاجتهاد، ولم يصحَّ؛ لأن ذلك نوعٌ من العلم فقد أقامَ الشرعُ غالبَ الظنِّ مُقام العلم وأمرَ بالعمل به.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى السمع والبصر والفؤاد؛ كقوله:

والـعَـيْـشَ بـعـد أولـئـك الأيَّـام

و﴿عَنْهُ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية؛ أي: ﴿كُلُّ﴾ واحدٍ منها كان ﴿مَسْـُٔولًا﴾ عنه، فـ"مسؤول" مسندٌ إلى الجارِّ والمجرور كـ﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾ في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، يقال للإنسان: لمَ سمِعتَ ما لا يحلُّ لك سماعُه؟ ولمَ نظرتَ إلى ما لم يحلَّ لك النظرُ إليه؟ ولمَ عزَمْتَ على ما لم يحلَّ لك العزمُ عليه؟

وقرئ: "والفَوادَ" بفتح الفاء والواو، قُلِبت الهمزةُ واوًا بعد الضمَّة في ﴿الفؤاد﴾ ثم استُصحِبَ القلبُ مَعَ الفتح.

وقوله: "لا يُشِعْنَ التقافيا" وصف، ومعناه: لا يتشاتَمْنَ، ولا يقذف بعضهنّ بعضًا. بخطّ أبي حنيفة رحمه الله.

قوله: (وقال الكُميت:

ولا أرمـــــي)... الـبـيـتَ[1]

الحَواصِن:[2] جمع حاصن،[3] وهي العفيفة. "إن قُفينا" أصله: قُفِينَ.

قوله:

(والـعـيـشَ بـعـد أولـئـك الأيّـام)

أوّله:

ذُمَّ الـمـنـازلَ بـعـد منـزلـة الـلِّـوى[4]

---

[1] ديوان الكميت، ص ٤٦٦.

[2] ر: الخواصن؛ ن: الخواص.

[3] ر: خاصن؛ ن: حاضن.

[4] لجرير في ديوانه، ٢/٩٩٠، بلفظ: "الأقوام" بدل "الأيّام".

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾

﴿مَرَحًا﴾ حالٌ؛ أي: ذا مَرَحٍ، وقرئ: "مَرِحًا"، وفضَّل الأخفشُ المصدرَ على اسم الفاعل لِمَا فيه من التأكيد.

﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تَجعَلَ فيها خَرْقًا بدَوْسِك لها وشدةِ وَطْأتِك، وقرئ: "لن تخرُقَ" بضمِّ الراء.

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ بتَطاوُلك، وهو تهكُّمٌ بالمختال.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾

قرئ: ﴿سَيِّئَةً﴾ و: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ على إضافةِ "سَيِّئٍ" إلى ضميرِ ﴿كُلُّ﴾.

و: "سيِّئًا" في بعضِ المصاحف، و: "سيئاتٍ".

وفي قراءة أبي بكر الصدِّيقِ رضي الله عنه: "كان شأنه".

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿سيئةً﴾ مع قوله مكروهًا؟

قلتُ: السيئةُ في حُكم الأسماء بمنزلةِ الذَّنْب والإثمِ زالٌ عنه حُكمُ الصِّفات فلا اعتبارَ بتأنيثه، ولا فرقَ بين مَن قرأ ﴿سيئةً﴾ ومَن قرأ "سيِّئًا"،

قوله: (﴿مَرَحًا﴾ حال) المَرَح: شِدّة الفَرح والنشاط، وقد مَرِحَ بالكسر، فهو مَرِحٌ، ومِرِّيحٌ مثل سِكِّير.[1]

قوله: (بدَوْسك) داسَ الشيءَ برجله يدوس دَوْسًا.

قوله: ("كان شأنه") أي: شأن كلّ ذلك.

قوله: (قلت: السيّئة) قال أبو عليّ في **الحُجّة**: «يجوز أن لا تجعله صفة للسيّئة، فيلزم أن يكون له فيه ذكر، ولكن تجعله بدلًا، ولا يلزم أن يكون في البدل ذكر المبدَل منه، كما وجب ذلك في الصفة»،[2] هذا كلامه في **الحُجّة**، ويريد بدلَ[3] الكلّ، وأمّا بدل البعض والاشتمال فلا بدّ فيهما مِن الضمير.

---

١ الصحاح للجوهري، «مرح».

٢ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٥/١٠٣.

٣ ر ن - بدل.

ألا تراكَ تقول: "الزِّنا سيِّئةٌ" كما تقول: "السَّرقةُ سيِّئةٌ"، فلا تفرِّقُ بين إسنادها إلى مذكَّر ومؤنَّث.

فإن قلتَ: فما ذُكر من الخصال بعضُها سيِّئٌ وبعضُها حسنٌ، ولذلك قَرأ مَن قَرأ: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بالإضافة، فما وجهُ مَن قرأ ﴿سيِّئةً﴾؟

قلتُ: كلُّ ذلك إحاطةٌ بما نُهيَ عنه خاصَّةً لا بجميعِ الخصال المَعْدودة.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من قوله: ﴿لَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء ٢٢/١٧] إلى هذه الغاية، وسمَّاه حكمةً؛ لأنه كلامٌ مُحكَمٌ لا مَدخَلَ فيه للفساد بوجهٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: هذه الثماني عشرةَ آيةً كانت في ألواحِ موسى عليه السلام، أوَّلُها: ﴿لَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةً﴾ [الأعراف ١٤٥/٧]، وهي عشرُ آيات في التوراة.

ولقد جَعَل الله عزَّ وعلا فاتحتَها وخاتمتَها النهيَ عن الشرك؛ لأن التوحيد هو رأسُ كلِّ حكمةٍ ومِلاكُها، ومَن عدِمَه لم تنفعْهُ حِكَمُه وعلومُه وإن بَذَّ فيها الحكماء، وحكَّ بيافوخه السماء، ....

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة) أي: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾.

قوله: (ومَن عَدِمَهُ) أي: التوحيدَ.

قوله: (وإن بَذَّ)[١] بَذَّه[٢] يَبُذُّهُ[٣] بَذًّا،[٤] أي: غلبَه[٥] وفاقَه.[٦]

[١] ر ن: بد.
[٢] ر ن: بده.
[٣] ر ن: يبده.
[٤] ن: بذًا.
[٥] ن: غليه.
[٦] الصحاح للجوهري، «بذذ».

وما أغنَتْ عن الفلاسفة أَسفارُ الحِكَم وهم عن دينِ الله أضلُّ من النَّعم.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ خطابٌ للَّذين قالوا: "الملائكةُ بناتُ الله"، والهمزةُ للإنكار، يعني: أَفَخَصَّكم ربُّكم على وجهِ الخُلوص والصفاءِ بأفضلِ الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبًا لنفسه، واتَّخذ أَدْوَنَهم وهي البناتُ، وهذا خلافُ الحِكمةِ وما عليه مَعْقولُكم وعادتُكم، فإنَّ العبيدَ لا يُؤْثِرون بأجودِ الأشياء وأصفاها من الشَّوب، ويكون أَرْدَؤُها وأدونُها للسادات.

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بإضافتكم إليه الأولادَ وهي خاصَّةٌ بالأجسام،

قوله: (عن الفلاسفة) هم الذين على اعتقاد أفلاطون وأرسطو وابن[١] سينا ومَن جرى مَجراهم في اعتقاد الإيجاب والقِدم وأمثالهما، فإنّهم المُعَطِّلون؛ لأنّهم يقولون[٢] بالإيجاب، ويَنفون الخالق المختار.[٣] أو هم المشركون؛ لأنّهم يُثبِتون ويعتقدون خالقًا غيرَ الله تعالى، لا واحدًا واثنين؛ بل كثيرًا إلى العَشرة يسمُّونها العقول، فهم مثبِتوا[٤] العقول.

كان في زمن نبيّ حكيمٌ صَنَّف في الحِكَم[٥] ثلاث مئة وستّين تصنيفًا، فأوحى الله إلى نبيّ زمانه: "إنّك قد ملأتَ الدنيا بَقاقًا،[٦] وإنّ الله لم يقبلْ مِن بَقاقِكَ[٧] شيئًا"، والبَقاق:[٨] كثرة الكلام. بخطّه رحمه الله.[٩]

قوله: (ويكونَ أردؤها)[١٠] "يكون" منصوب؛ لأنّه جواب النفي بالواو.

قوله: (بإضافتكم) الباء في "بإضافتكم" وما عطف عليه متعلّق بـ"تقولون".[١١]

---

[١] ر: وبن؛ ن: ابن.
[٢] ر: يقورن.
[٣] ر: المحتاز.
[٤] ر: مثبتون.
[٥] ر: الحلم.
[٦] ر ن: نفاقًا.
[٧] ر: نفاقك؛ ن: تعاقك.
[٨] ر: والنفاق.
[٩] كذا في فتوح الغيب للطيبي، ٣٠١/٩، عن خطّ المصنّف. وعزا القصّة للغزالي في إحياء علوم الدين.
[١٠] ر: أرادها.
[١١] ن: بيقولون.

ثم بأنَّكم تفضِّلون عليه أنفسَكم حيث تجعلون له ما تكرهون، ثم بأنْ تجعلوا الملائكةَ -وهم أعْلى خَلْقِ الله وأشرفهم- أدْوَنَ خَلْقِ الله وهم الإناث.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ يجوزُ أن يريد بـ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ إبطالَ إضافتِهم إلى الله البناتِ؛ لأنه مما صرَّفه وكرَّر ذِكرَه، والمعنى: ولقد صرَّفنا القولَ في هذا المعنى، أو أوقَعْنا التصريفَ فيه وجعلناه مكانًا للتكرير، ويجوز أن يشير بـ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ إلى التنزيل ويريدَ: ولقد صرَّفناه -يعني: هذا المعنى- في مواضعَ من التنزيل، فتُرِك الضميرُ؛ لأنه معلومٌ.

وقرئ: "صَرَفْنا" بالتخفيف، وكذلك ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ قرئ مشدَّدًا ومخفَّفًا.

أي: كرَّرناه ليتَّعِظُوا ويَعتبِروا ويَطمئنُّوا إلى ما يُحتجُّ به عليهم فـ﴿مَا يَزِيدُهُم إلا نُفورًا﴾ عن الحقِّ وقلَّةَ طمأنينةٍ إليه.

وقوله: (أعلى خلق الله) بناء على مذهبه.

قوله: (والمعنى: ولقد صرّفنا القولَ) فيكون المفعول / محذوفًا مرادًا. [٧٨و]

قوله: (أو أوقعْنا التصريف) فيكون جاريًا[١] مَجرى اللازم، ولا يقدّر لأجله مفعول، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف ٤٦/١٥].

قوله: (يعني: هذا المعنى) أي: إبطال إضافتهم إلى الله[٢] البناتِ.

قوله: (وقُرئ: "صَرَفْنا" بالتخفيف) شاذّ.[٣]

قوله: (ومخفّفًا) نحو: ﴿لِيَذْكُرُوا۟﴾، وكلاهما مِن السبعة.[٤] حجّة مَن قال: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أنّ التذكّر هنا أشبه مِن الذِّكر؛[٥] لأنّه كأنّه[٦] يُراد به التدبّر،

---

[١] ر: جازيًا.

[٢] ن + تعالى.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والنخعي. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٨١.

[٤] قرأ: ﴿لِيَذْكُرُوا۟﴾ بالتخفيف حمزة والكسائي وخلف، وقرأ باقي العشرة: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ بالتشديد. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٧.

[٥] وفي هامش د: في الفرق بين الذِّكر والتذكّر.

[٦] ن - كأنّه.

وعن سُفيان: كان إذا قرأها قال: زادني لك خضوعًا ما زادَ أعداءَك نفورًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

قرئ ﴿كما تَقُولُونَ﴾ بالتاء والياء.

و﴿إِذًا﴾ دالَّةٌ على أنَّ ما بعدها وهو ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ جوابٌ عن مقالةِ المشركين وجزاءٌ لـ﴿لَّوْ﴾.

ومعنى ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: لطلَبوا إلى مَن له الملكُ والربوبيةُ سبيلًا بالمغالبة كما يفعلُ الملوكُ بعضُهم مع بعضٍ؛ كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢١/٢٢].

وقيل: لتقرَّبوا إليه؛ كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء ١٧/٥٧].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

وليس الذِّكر الذي بعد نسيان، ولكن هذا كما قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص ٣٨/٢٩]، فإنّ المعنى: ليتدبّروه[١] بعقولهم، وليس المراد: ليذكُروا بعد نسيانهم.[٢] ووجه التحقيق أنّه قد جاء في هذا المعنى: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [البقرة ٢/٦٣]، وفي هذا بعث[٣] على النظر فيه والتدبُّر له.[٤]

قوله: (سفيان) هو الثوري.[٥]

قوله: (بالتاء والياء) كلاهما مِن السبعة.[٦]

---

[١] ر ن: ليدبروه.

[٢] ر: تستنهم.

[٣] ر: نعت.

[٤] وفي هامش د: قوله: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: ما يزيدهم ذلك التصرّف.

[٥] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كَوْنًا مثل الكَوْن الذي تقولونه.

[٦] قرأ ابن كثير وحفص بالياء، وقرأ باقي العشرة بالتاء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٧.

﴿عُلُوًّا﴾ في معنى: تَعَالِيًا، والمرادُ: البَراءةُ من ذلك والنزاهةُ، ومعنى وصفِ العلوّ بالكِبَر: المبالغةُ في معنى البَراءةِ والبُعدِ ممَّا وَصَفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾

المـرادُ أنهـا تُسـبّح لـه بلسـانِ الحـال حيـث تـدلُّ علـى الصانـع وعلـى قدرتـه وحكمتـهِ، فكأنهـا تَنطِقُ بذلـك، وكأنهـا تُنَزِّه الله ممَّـا لا يجوزُ عليـه مـن الشـركاءِ وغيرهـا.

فإن قلـتَ: فمـا تصنعُ بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ وهـذا التسبيحُ مفقوهٌ معلومٌ؟

قلـتُ: الخطابُ للمشركين، وهـم وإن كانوا إذا سُئلوا عن خالقِ السماواتِ والأرض قالـوا: الله، إلَّا أنهـم لمَّا جعلوا معه آلهةً مع إقرارهـم فكأنَّهـم لم ينظُروا ولـم يُقِرُّوا؛ لأن نتيجةَ النظرِ الصحيحِ والإقرارِ الثابتِ خلافُ ما كانوا عليه، فإذنْ لـم يَفقهوا التسبيحَ ولم يستوضِحوا الدلالةَ على الخالق.

فإن قلتَ: مَن فيهنَّ يُسبّحون على الحقيقة -وهـم الملائكةُ والثَّقلانِ- وقد عُطِفُوا على السماوات والأرض، فما وجهُه؟

قلتُ: التسبيحُ المجازيُّ حاصلٌ في الجميع، فوجَب الحملُ عليه وإلا كانت الكلمةُ الواحدةُ في حالةٍ واحدةٍ محمولةً على الحقيقة والمجاز.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ حين لا يُعاجلُكم بالعقوبة على غَفْلَتكم، وسوءِ نظركم، وجهلِكم بالتسبيح، وشِرْككم.

قوله: (لأنّ نتيجة النظر)... إلخ وإذا كان نتيجته[1] منتفيةً فكأنّه مُنتفٍ.[2]

---

[1] ر ن: نتيجة.

[2] وفي هامش د: قوله: (ذو إفعام) يعني: المجاز في الإسناد، وبيّن بقوله: (ذا سَتر) و(ذو إفعام) الملابَسة بين ما هو له وغير ما هو له.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾: ذا سَترٍ؛ كقولهم: "سَيْلٌ مُفعَمٌ": ذو إفعامٍ.

وقيل: هو حجابٌ لا يُرى فهو مستورٌ.

ويجوز أن يراد أنّه حجابٌ مِن دونه حجابٌ أو حُجُبٌ، فهو مستورٌ بغيره، أو حجابٌ يُستَرُ أن يُبصَرَ فكيف يُبصَرُ المُحتجِبُ به؟

وهذه حكايةٌ لِمَا كانوا يقولونه: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت ٥/٤١]؛ كأنه قال: وإذا قرأتَ القرآن جعَلْنا على زُعْمهم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

قوله: (ذا سَتْر) إشارة إلى أنّ المستور هنا بمعنى السَّتْر، كالمَيسور بمعنى اليُسر، والمَعسور بمعنى العُسر. ومنه المُفْعَم؛ لأنّه بمعنى الإفعام، وإذا كان بمعنى السَّتْر يكون المضاف معه محذوفًا، أي: ذا سَتْرٍ؛ وهو الساتر، كما يقال: سيل مُفعَمٌ بفتح العين؛ وهو الذي أفعَمَ الوادي، أي: ملأه ماءً. كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١] إذا قصده الكفّار بالسُّوء اشتغل بقراءة القرآن فيستُره عن أعينهم.

ثمّ اعلم أنّ هذا المعنى الذي ذكرناه مِن أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٢] كان يستَتر بالقرآن مِن أعين الكفّار غير المعنى الذي ذكره المصنّف.[٣]

قوله: (وهذه حكاية) يعني قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾. وهذه الحكاية هو مذهبه، مبنيّ على مسألة الحُسن والقُبح.[٤] وأمّا أهل السنّة فلا يقولون كما قال؛ بل يقولون: يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد.

---

١ د: عليه السلام.

٢ د: عليه السلام.

٣ وفي هامش د: قوله: (وقل: هو حجاب) الضمير يعود إلى "الحجاب".

٤ ن: والفتح.

﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾: كراهةَ أن يفقهوه؛ أو لأنَّ قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ فيه معنى المنعِ من الفقه؛ فكأنَّه قيل: ومنعناهم أن يفقهُوه.

يقال: وَحَد يَحِدُ وَحْدًا وحِدَةً؛ نحو: وَعَد يَعِد وَعْدًا وعِدَةً.

و﴿وَحۡدَهُۥ﴾ من باب: "رَجَع عَوْدَه على بَدْئِهِ" و: "افعلْه جَهدَك وطاقتك" في أنه مصدرٌ سادٌّ مسدَّ الحال، أصلُه: يَحِدُ وَحْدَه، بمعنى: واحدًا وَحْدَه.

و"النفورُ": مصدرٌ بمعنى التوليَة، أو: جمعُ نافرٍ؛ كقاعدٍ وقعود؛ أي: يُحبُّون أن تُذكَرَ معه آلهتُهم؛ لأنهم مشركون فإذا سَمِعوا بالتوحيد نَفَروا.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٤٧﴾

﴿بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ من الهُزءِ بك وبالقرآن، ومن اللغو.

قوله: (أو لأنّ قوله)... إلخ عطفٌ على قوله: (كراهة) مِن حيث المعنى، كأنّه قال: إنّما قيل: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾؛ لأنّ المضاف حذف، أي: كراهةَ أنْ يفقهوه، أو لأن...[1]

قوله: (جَهدَك) الجُهْدُ بالضمّ: الطاقة. وبالفتح مِن قولك: اجْهَدْ جَهدَك في هذا الأمر، أي: ابلُغ غايتَك، ولا تقل:[2] اجْهَدْ جُهدَك. والجَهْد: المشقّة، يقال: جَهَدَ دابّته وأجهَدَها؛ إذا حمل في السير عليها فوقَ طاقتها.[3]

قوله: (أصله: يَحِدُ وحْدَه) أي: "يَحِد" بمعنى الحال، و"وَحْدَه" مصدر منه.[4]

قوله: (و"النفور" مصدر) فقوله: ﴿نُفُورٗا﴾ على الأوّل نصب على أنّه مصدر، وعلى الثاني على أنّه حال.

قوله: (مِن الهُزْءِ بك)[5] بيان "ما".

---

[1] ر ن + قوله.

[2] ن: نقل.

[3] الصحاح للجوهري، «جهد».

[4] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: البعث والقيامة.

[5] ن: بل.

كان يقومُ عن يمينه إذا قرأ رجلان من عَبد الدار ورجلان منهم عن يساره، فيُصفِّقون ويَصفِرُون ويُخلِّطون عليه بالأشعار.

و﴿بِهِۦ﴾ في موضع الحال؛ كما تقول: يَستمِعون بالهزء؛ أي: هازئِين.

و﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾ نصبٌ بـ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: أعلمُ وقتَ استماعِهم بما به يستمعون ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: وبما يتناجَون به إذ هم ذوو نجوى.

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدلٌ من "إذ هم"، ﴿مَّسْحُورًا﴾: سُحِرَ فجُنَّ.

وقيل: هو من السَّحْر وهو الرِّئةُ؛ أي: هو بشرٌ مثلُكم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مَثَّلوك بالشاعر والساحر والمجنون ﴿فَضَلُّواْ﴾ في جميع ذلك ضلالَ مَن يَطلبُ في التِّيهِ طَرِيقًا يَسلكُه فلا يقدرُ عليه، فهو متحيِّرٌ في أمره لا يدري ما يصنعُ.

قوله: (كان يقوم) سبب النزول. وقوله: (عن يمينه) أي: يمينِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[1]

قوله: (و﴿بِهِۦ﴾ في موضع الحال) أي: نحن أعلم بالأمر الذي يستمعون القرآن ملتبسين[2] به، أي: نحن أعلم بالحال أو الطريق الذي يستمعون القرآن[3] به، فالقرآن هو المُستَمَع، وهو محذوف، و"به" حال وبيان لها، أي: يستمعون القرآن هازِئين، / لا جادِّين، والواجب عليهم أن يستمعوه جادِّين. [٧٨ظ]

قوله: (وبما يتناجَون به) فيكون مِن قَبيل قولهم: "عَلَفتُه تِبْنًا وماءً بارِدًا".

قوله: (بدل مِن ﴿إِذْ هُمْ﴾) يجوز أن يكون بدل الكلّ؛ لأنّ ذلك الوقت هو هذا الوقت، أو بدل البعض.

قوله: (وهو الرِّئة) يعني: هو ذو سَحْر، أي: ذو رِئة.

---

١ د: عليه السلام.
٢ ن: ملسين.
٣ ر ن – القرآن.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠﴾

لمَّا قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا﴾ قيل لهم: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ فردَّ قولُه: ﴿كُونُواْ﴾ على قولهم: ﴿كُنَّا﴾؛ كأنه قيل: كونوا حجارةً أو حديدًا ولا تكونوا عظامًا ورُفاتًا فإنه يَقْدِرُ على إحيائكم.

والمعنى: أنكم تَستبعِدون أن يُجدِّد اللهُ خلقَكم ويرُدَّه إلى حالِ الحياةِ وإلى رطوبةِ الحيِّ وغضاضتهِ بعدما كنتُم عظامًا يابسةً -مع أن العظام بعضُ أجزاء الحيِّ؛ بل هي عمودُ خَلْقهِ الذي يُبْنى عليه سائرُه- فليس ببِدْعٍ أن يردَّها اللهُ بقُدرته إلى حالتها الأُولى، ولكنْ لو كنتُم أبعدَ شيءٍ من الحياةِ ورطوبةِ الحيِّ ومن جنسِ ما ركِّب منه البَشَرُ وهو أن تكونوا حجارةً يابسةً أو حديدًا -مع أن طباعهما الجَساوةُ والصَّلابةُ- لكان قادرًا على أن يردَّكم إلى حالِ الحياة.

﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ۝٥١﴾

﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾ يعني: أو خلقًا مما يكبرُ عندكم عن قبول الحياة ويَعظُمُ -في زعمِكم- على الخالق إحياؤه، فإنه يُحْييه.

وقيل: ما يكبر في صدورهم الموتُ، وقيل: السماواتُ والأرض.

﴿فَسَيُنۡغِضُونَ﴾: فسيُحرِّكونها نحوَكَ تعجُّبًا واستهزاءً.

قوله: (كأنّه قيل:[1] كونوا حجارة أو حديدًا) يريد: أنّه ليس المراد بقوله: ﴿كُونُواْ﴾ الطلب، وإن كان ظاهره الأمر؛ بل المراد به الخبر، كأنّه قيل في جواب قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾: قل لهم: إن كنتم حجارة أو كذا[2] فإنكم مبعوثون.

قوله: (وهو أن تكونوا حجارة) أي: كونكم أبعدَ شيء هو كونكم.

قوله: (الجَساوة) أي: اليُبْس.

---

[1] ر ن – قيل.

[2] ر: حديدًا.

والدعاءُ والاستجابةُ كلاهما مجازٌ، والمعنى: يومَ يبعثُكم فتَنْبَعِثون مطاوِعِين منقادِين لا تَمتنِعون.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾

وقوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ حالٌ منهم؛ أي: حامدينَ، وهي مبالَغةٌ في انقيادهم للبعث؛ كقولك لمن تأمرُه بركوبِ ما يَشُقُّ عليه فيتأبَّى ويَمتنِعُ: "ستركبُه وأنت حامدٌ شاكرٌ"، تَعني: أنك تُحمَلُ عليه وتُقسَرُ قَسْرًا حتى إنك تَلينُ لِينَ المُسْمِحِ الراغبِ فيه الحامدِ عليه.

وعن سعيد بن جبير: يَنفُضون الترابَ عن رؤوسهم ويقولون: "سبحانك اللّٰهمَّ وبحمدِكَ".

﴿وَتَظُنُّونَ﴾: وترَوْن الهولَ، فعنده تستقصِرون مدَّةَ لبثِكُم في الدنيا وتحسَبونها يومًا أو بعضَ يوم.

قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾.

سألتُها الوصلَ فقالت: مِضّ وحرَّكت لي[1] رأسها بالنَّغْضِ[2]

النَّغْضُ: هو تحرّكُ الرأس بالاستهزاء. معناه: أن تتمطَّقَ بشفتيك عند ردّ المحتاج. وفي المَثَل: «إنّ في مِضٍّ[3] لَمَطْمَعًا».[4]

قوله: (المُسْمِح)[5] أي:[6] المُنقاد.[7] قولهم: "أسْمَحَتْ[8] قَرُونَتُه"، أي: ذَلَّتْ[9] نفسُه وتابعَتْ.[10]

قوله: (وعن سعيد بن جُبير) عطف على قوله: (وهي مبالغة)، فهذا وجه آخر.

---

[1] ن – لي.

[2] بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «مضض».

[3] ر: ثض.

[4] ر: لطمعا؛ ن: لطعما. | "مِضّ": كلمة تستعمل بمعنى "لا"، وليست بجواب، لقضاء حاجة ولا ردّ لها. يُضرب هذا المَثل عند الشكّ في نَيل شيء. مجمع الأمثال للميداني، ٥١/١.

[5] ر: للمُسحِ.

[6] ر: أو.

[7] ن: المنقاذ.

[8] د: أسمجت.

[9] ن: دلّت.

[10] الصحاح للجوهري، «سمح».

وعن قتادة: تحاقرتِ الدنيا في أنفسِهم حين عايَنوا الآخِرة.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾: وقُل للمؤمنين ﴿يَقُولُوا۟﴾ للمشركين الكلمةَ ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وألْينُ ولا يُخاشِنوهم؛ كقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٦/١٢٥]، وفسَّر ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ يعني: يقولوا لهم هذه الكلمةَ ونحوَها، ولا يقولوا لهم: "إنكم من أهل النار، وإنكم معذَّبون" وما أَشبَهَ ذلك مما يَغيظُهم ويهيِّجُهم على الشرّ.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ اعتراضٌ، يعني: يُلقي بينهم الفسادَ ويُغْري بعضَهم على بعضٍ ليقع بينهم المُشارَّة والمُشاقَّة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾؛ أي: ربًّا موكولًا إليك أمرُهم تَقسِرُهم على الإسلام وتُجبرُهم عليه، وإنما أرسلناك بشيرًا ونذيرًا، فَدارِهم ومُرْ أصحابك بالمداراةِ والاحتمالِ وتركِ المحاقَّةِ والمكاشفَة، وذلك قبلَ نزولِ آيةِ السيف.

وقيل: نزلتْ في عمرَ رضي الله عنه: شَتَمه رجلٌ فأمَرَه الله بالعفو.

وقيل: أَفرطَ إيذاءُ المشركين للمسلمين، فشكَوْا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت.

وقيل: الكلمة التي هي أحسن: أن يقولوا: "يهديكم الله" و"يَرحمكم الله".

قوله: (المُشارّة)[١] أي: المخاصمة.

قوله: (المُحاقّة) المُحاقّة أن يقول[٢] بعضهم لبعض: أنا أحقّ.

قوله: (والمُكاشَفة) أي: المنازَعة. كاشفَه[٣] بالعداوة: باداهُ.[٤]

---

[١] ر ن: المشادّة.

[٢] ر: تقول؛ ن: نقول.

[٣] ن: كاسفه.

[٤] الصحاح للجوهري، «كشف».

وقرأ طلحةُ: "يَنزِغُ" بالكسر، وهما لغتان نحوَ: ﴿يَعرُشون﴾ و﴿يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف ٧/١٣٧].

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

هو ردٌّ على أهل مكّة في إنكارهم واستبعادِهم أن يكون يتيمُ أبي طالب نبيًا، وأن تكون العُراةُ الجُوَّعُ أصحابَه؛ كصهيبٍ وبلالٍ وخبَّابٍ وغيرِهم، دون أن يكون ذلك في بعضِ أكابرِهم وصناديدِهم، يعني: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وبأحوالِهم ومقاديرهم وبما يَسْتأهِلُ كلُّ واحد منهم.

وقولُه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إشارةٌ إلى تَفْضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقولُه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ دلالةٌ على وجهِ تفضيله، وهو أنه خاتمُ الأنبياء، وأن أمَّتَه خيرُ الأمم؛ لأن ذلك مكتوبٌ في زبور داود، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٥] وهم محمدٌ عليه السلام وأمَّتُه.

فإن قلتَ: هلا عُرِّف الزبورُ كما عُرِّف في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٥]؟

قلتُ: يجوز أن يكونَ "الزبورُ وزبورٌ" كـ"العباس وعباسٍ" و"الفضل وفضلٍ"، وأن يريد: وآتينا داود بعضَ الزُّبُر وهي الكتب، وأن يريد ما ذُكِرَ فيه رسول الله

قوله: (وقرأ طلحة: "يَنْزِغُ" بالكسر) شاذّ.[١]

قوله تعالى:[٢] (﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٥]) أراد بـ﴿ٱلذِّكْرِ﴾ اللوحَ المحفوظ، أو كتابَ موسى.

قوله: (قلتُ: يجوز)... إلخ يعني: يجوز أن يكون ﴿زَبُورًا﴾ هنا مِن الأعلام التي كانت في الأصل صفة أو مصدرًا، فإنّ ذلك يجوز إدخال اللام عليه وتركه،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٨١.

٢ ن: يقال.

صلى الله عليه وسلم من الزَّبور، فسمَّى ذلك زبورًا؛ لأنه بعضُ الزبور كما سمَّى بعضَ القرآن قرآنًا.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦﴾

هم الملائكةُ، وقيل: عيسى ابن مريم وعُزيرٌ، وقيل: نَفَرٌ من الجنِّ عبَدَهم ناسٌ من العرب ثم أسلم الجنُّ ولم يَشعُروا؛ أي: أُدعوهم فهم لا يستطيعون أن يَكشِفوا عنكم الضُّرَّ من مرضٍ أو فقرٍ أو عذابٍ، ولا أن يُحوِّلوه من واحدٍ إلى آخرَ أو يبدِّلوه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٧﴾

و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ صفتُه، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خَبرُه، يعني: أن آلهتَهم أولئك يَبتغون ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ -وهي القُربةُ- إلى الله عزَّ وجلَّ.

و﴿أَيُّهُمْ﴾ بدلٌ من واوِ ﴿يَبْتَغُونَ﴾، و"أيٌّ" موصولةٌ؛ أي: يبتغي مَن هو أقربُ منهم وأَزلَفُ الوسيلةَ إلى الله فكيف بغيرِ الأقرب؟

ويجوز أن لا يكون ﴿زَبُورًا﴾ هنا مِن الأعلام؛ بل يكون بمعنى المَكتوب، يعني: آتيناه بعضَ الكتب.[١]

قوله: (وأَزْلَفُ) أي: أقرَبُ. والزُّلْفة[٢] والزُّلْفى: القُربة، وأزلَفَه:[٣] قرَّبَه،[٤] وازْدَلَف[٥] إليه: اقترب.[٦] ولم نَجِدْ[٧] في شيء مِن كتب اللغة فِعلًا ثلاثيًا مجرَّدًا مستعمَلًا بهذا المعنى.

---

[١] وفي هامش د: على الوجه الأوّل: أنّه مِن الأعلام التي كانت في الأصل صفة أو مصدر. وعلى الوجه الثاني: أنّ "الزَّبور" مصدر بمعنى المفعول، أي: مكتوبًا مِن المكتوبات. وعلى الثاني "الزَّبور" عَلَم أيضًا كما في الوجه الأوّل، لكن أطلق اسم الكلّ على الجزء والبعض، وهو الذي ذكر فيه رسول الله عليه السلام، كما يطلق القرآن على بعضه.

[٢] ر: والزلفت.

[٣] ر ن: وأزلفت.

[٤] ر: قربة.

[٥] ر: وازدلفت.

[٦] المُغرب للمطرّزي، «زلف».

[٧] ر ن: يجد.

أو ضُمِّنَ "يبتغون الوسيلةَ" معنى: يَحرِصون؛ فكأنه قيل: يَحرِصون أيُّهم يكون أقربَ إلى الله، وذلك بالطاعة وازديادِ الخيرِ والصلاح، ويَرْجُون ويخافون كما غيرُهم من عبادِ الله، فكيف يزعمون أنّهم آلهةٌ؟

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ﴾ حقيقًا بأنْ يَحذَرَه كلُّ أحدٍ من مَلَكٍ مقرَّب ونبيٍّ مرسَل، فضْلًا عن غيرهم.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ بالموت والاستئصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ بالقتلِ وأنواع العذاب. وقيل: الهلاكُ للصالحة والعذابُ للطالحة.

قوله: (أو ضُمّن)[١] عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل)... إلخ، وعلى هذا الوجه "أيّ" استفهاميّة مبتدأ، خبره ﴿أَقْرَبُ﴾، والمعنى: يَحرِصون على القُرب بالطاعة مبتغين الوسيلةَ ينظرون[٢] ليعلموا أيّهم أقرب. هذا إن رُوي "يَحرِصون" بالحاء المهملة، وهو الصواب. وإن قُرئ بالمعجمة ففي الخَرص[٣] معنى العِلم؛ لأنّ معنى[٤] الخَرْص:[٥] حَزْرُ ما على النخل مِن التمر،[٦] أي: يطلبون العِلم أيّهم أقرب، أي: يطلبون[٧] عِلم القُرب، وذلك بكثرة الطاعة، فإنّ مَن وُفِّق لأكثر[٨] الطاعات عَلِم[٩] أنّه أقرب.

قوله: (كما غيرهم) "ما" في "كما" كافّة، كفّ الكافَ عن عمل الجرّ،[١٠] أي: كغيرهم.[١١] وفائدة زيادة "ما" ههنا التأكيد، فكأنّه قال: كغيرهم البتّة.

---

[١] ر: ضمير.
[٢] ن: ينظون.
[٣] ر ن: الحرص.
[٤] وفي هامش د: التقدير.
[٥] ر ن: الحرص.
[٦] ن: الثمر.
[٧] ن: يطلبوا.
[٨] ر: الأكثر.
[٩] ر ن: اعلم.
[١٠] ر: الجزأ.
[١١] ر: لغيرهم.

وعن مقاتل: وجَدْتُ في كتب الضحاك بن مُزاحِمٍ في تفسيرها: «أمَّا مكَّةُ فيخرِّبُها الحبشةُ، وتهلكُ المدينةُ بالجوعِ، والبصرةُ بالغرق، والكوفةُ بالتُّرك، والجبالُ بالصواعق والرَّواجِفِ، وأما خراسانُ فعذابُها ضروبٌ، ثم ذكرها بلدًا بلدًا».

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

استُعير المنعُ لترك إرسال الآيات من أجلِ صارفِ الحكمة، و﴿أَن﴾ الأُولى منصوبةٌ والثانيةُ مرفوعةٌ، تقديره: وما منَعَنا إرسالَ الآيات إلَّا تكذيبُ الأوَّلين، والمرادُ: الآياتُ التي اقترحَتْها قريشٌ من قلْبِ الصَّفا ذهبًا ومن إحياءِ الموتى وغيرِ ذلك.

وعادةُ الله في الأمم: أنَّ مَن اقترحَ منهم آيةً فأجيبَ إليها ثمَّ لم يؤمِنْ أنْ يُعاجَلَ بعذاب الاستئصال، فالمعنى: وما صرَفْنا عن إرسالِ ما يقترحونه

قوله: (والجبالُ) أراد بـ"الجبال" البلاد مِن الرَّيِّ[1] إلى بغداد.[2]

قوله: (صارفِ الحكمة) أي: الصارِف[3] الذي هو الحكمة.

قوله: (مِن قلب الصفا) جبل.

قوله: (أنَّ مَن اقترح) "أنَّ" مع اسمها وخبرها خبر (عادة الله)، وخبر "أنَّ": (أن يُعاجَل)، وفيه بحث؛ لأنَّ[4] "أنْ يُعاجَل"[5] لا يصحّ حمله[6] على "مَن"[7] اقترح" إلَّا / بتقدير حذف المضاف، أي: أنَّ عذاب أو عقوبة مَن اقترح. وقوله: (منهم)[8] [٧٩و] للتبعيض، وليس متعلِّقًا بقوله: (اقترح منهم)، منصوب المحلِّ على الحال

---

[1] د: الربى.

[2] د: بغداذ.

[3] ر: الضارف.

[4] ر ن - "أنَّ": (أن يُعاجَل)، وفيه بحث؛ لأنَّ. | وفي هامش د: قوله: (استُعير المنع)... إلخ الجامع بين المنع والترك عدمُ ترتّب الفعل على كلِّ منهما.

[5] ر: تعاجل.

[6] ر: جملة.

[7] ر ن - من.

[8] ن: ومنهم.

من الآيات إلّا أَنْ كذَّب بها الذين هم أمثالُهم من المطبوع على قلوبهم كعادٍ وثمودَ، وأنها لو أرسلَتْ لكذَّبوا بها تكذيبَ أولئك، وقالوا: "هذا سحرٌ مُبين" كما يقولون في غيرها، واستوجَبوا العذابَ المستأصِلَ، وقد عزَمْنا أن نُؤخِّرَ أمْرَ مَن بُعثْتَ إليهم إلى يوم القيامة.

ثم ذكَر من تلك الآيات التي اقترحَها الأوَّلون ثم كذَّبوا بها لمَّا أرسلَتْ فأُهلكوا واحدةً، وهي ناقةُ صالحٍ؛ لأن آثار هلاكهم في بلاد العربِ قريبةٌ من حدودِهم يُبصِرُها صادرُهم ووارِدُهم.

﴿مُبْصِرَةً﴾: بيّنةً، وقرئ: "مَبصرَةً" بفتح الميم.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: فكفروا بها.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ﴾: إنْ أراد بها الآياتِ المقترَحَة فالمعنى: لا نُرسلها ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ من نزول العذاب العاجل كالطَّليعة والمقدِّمة له، فإنْ لم يخافوا وقَعَ عليهم.

وإن أراد غيرَها فالمعنى: وما نُرسلُ ما نُرسل من الآياتِ كآياتِ القُرآن وغيرِها إلَّا تخويفًا وإنذارًا بعذاب الآخرة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

مِن الضمير في "اقترَح"، و"مِن" للتبعيض، أي: مَن[١] اقترح آيةً كائنًا منهم. وقوله: (مِن الآيات) بيان "ما".

قوله: (وقد عزَمنا) أي: حَتَمنا.[٢]

قوله: (وقُرئ: "مَبْصَرَةً") شاذّ،[٣] أي: موضع الإبصار.[٤]

---

١ ر: ومن.

٢ ر: ختمنا.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة وابن أبي عبلة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٨٢.

٤ وفي هامش د: قوله: (﴿مُبْصِرَةً﴾ بيّنة) يحتمل أن يكون مِن قَبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ الإبصار مستلزم للظهور، ويحتمل أن يكون حقيقة، فمعناه: وآتينا ثمود الناقة حالَ كون تلك الناقة التي هي آية مِن آيات الله بيّنة ظاهرة لكلّ أحد بحيث لا يخفى.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾: واذكُرْ إذ أوحَينا إليك أنَّ ربَّك أحاطَ بقُريشٍ، يعني: بشَّرْناك بوقعةِ بدرٍ وبالنُّصرةِ عليهم، وذلك قولُه: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر ٥٤/٤٥]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾ [آل عمران ٣/١٢] وغيرُ ذلك، فجَعَله كأَنْ قد كان ووُجِد، فقال: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ على عادته في أَخباره، وحين تزاحَفَ الفريقان يومَ بدر ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول: «اللّٰهمَّ إني أسألك عهدَكَ ووَعدك»، ثم خرج وعليه الدِّرْعُ يُحرِّضُ الناسَ ويقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، ولعل الله تعالى أراه مَصارعَهم في منامِهِ، فقد كان يقولُ حين وردَ ماءَ بدرٍ: "واللهِ لكأنِّي أنظرُ إلى مصارعِ القوم" ....

قوله: (فجعله كأن قد كان) متعلّق بقوله: (بشّرناك)...[١] إلخ يعني: إذا كان المعنى على ما ذكرنا فقد جعل غير الواقع كالواقع.

قوله: (وحين تزاحف) عطفٌ على جملة قوله: (واذكر إذ أوحينا)؛ لأنّ هذا شروع في تفسير ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا﴾ بعد تفسير ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا﴾. ويجوز أن يقال: قوله: "وحين تزاحَف"...[٢] إلخ مِن تتمّة تفسير ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا﴾. وأمّا قوله: (ولعلّ الله) فشروع في تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا﴾. وهذا هو الصواب؛ بل وكان الأوّل هو الصواب. وقوله: "تزاحَفَ"[٣] أي: مشى بعضهم إلى بعض، يقال: زحَفَ إليه؛ مشى، والزَّحف: الجَيش يَزحَفون نحو العدوّ. وقوله: (الفريقان) أي: فريق المسلمين وفريق الكفّار. وقوله: (في العريش) العريش:[٤] ما يُستَظلُّ[٥] به.

قوله: (كان يدعو)[٦] أي: النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٧]

قوله: (ووَعْدَك) وهذا يدلّ[٨] على أنّه تعالى وعده بالنُّصرة يومَ بدر، وذلك بالوحي، ويحتمل أن يكون بالرؤيا.

---

[١] ر: بشرتاك.
[٢] ر ن: تراحف.
[٣] ر: تراخف.
[٤] ن – العريش.
[٥] ر: يستطل.
[٦] ر ن: يدعوا.
[٧] د: عليه السلام.
[٨] ن: بدل.

وهو يُومِئُ إلى الأرض ويقول: "هذا مَصْرَعُ فلان، هذا مصرعُ فلان".

فتسامعتْ قريشٌ بما أُوحِيَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمْرِ بدرٍ، وما أُرِيَ في منامه من مصارِعهم، وكانوا يضحكون ويَستسخِرون ويستعجِلون به استهزاءً.

وحين سَمِعوا بقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان ٤٤/٤٣-٤٤] جعلوها سخريةً وقالوا: "إن محمدًا يَزعم أن الجحيم تُحرِقُ الحجارةَ ثم يقول: يَنبت فيها الشجرُ". وما قَدَر اللهَ حقَّ قَدْرِه مَن قال ذلك، ....

قوله: (وهو يُومِئُ) أومَأْتُ إليه: أشرتُ إليه، ولا تقل:[١] أوْمَيْتُ. ووَمَأْتُ إليه أَمَأُ وَمْأً لغةٌ فيه، قال:

وما كان إلّا وَمْؤُها بالحواجبِ[٢]

قوله: (فتسامعت) مرتَّب على الجملتين المذكورتَين قبلُ، إحداهما:[٣] قوله: "حين تزاحف الفريقان كان يدعو"،[٤] وكان سبب ذلك الوحي. وثانيتهما:[٥] قوله: (ولعلّ الله أراه مَصارعَهم)[٦] وكان ذلك بالمنام.[٧] ثمّ قال المصنّف: "فتسامَعت قريش بالوحي وبالمنام"، كأنّ المعنى: يُسمِع بعضُهم بعضًا أمرَ الوحيِ والمنام، ويضحكون مِن ذلك استهزاء.

قوله: (بما أُوحي)[٨] وهو قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ﴾... إلى آخر تفسيره، وهذا أصوَب مِن الوجه الذي كُتب قبله.

قوله: (وما أُرِيَ في منامه) هو ما أشار إليه بقوله: "وحين تزاحَف"... إلخ.

قوله: (وما قَدَرَ[٩] الله حقّ قَدْره)[١٠] أي: ما عرف الله حقَّ معرفته.

---

[١] ر: يقل.

[٢] الصحاح للجوهري، «ومأ». وصدر البيت فيه:
فقلتُ السلام فاتّقَت مِن أميرها
وقال: «أنشده القَنانيّ».

[٣] ر – قوله: (فتسامعت) مُرَتَّب على الجملتين المذكورتين قبلُ، إحداهما.

[٤] ر ن: يدعوا.

[٥] ر: وما بينهما؛ ن: وثانيهما.

[٦] ر: مضارعهم.

[٧] ر: بالمام.

[٨] ر: أولي.

[٩] ر: وما قدروا. | وفي هامش د: عرف.

[١٠] ر: قدرة. | وفي هامش د: معرفته.

وما أنكروا أن يَجعل اللهُ الشجرةَ من جنسٍ لا تأكلُه النار! فهذا وبَرُ السَّمَنْدلِ -وهو دُوَيْبَّةٌ ببلادِ الترك- تُتَّخذ منه مَنادِيلُ إذا اتَّسخَتْ طُرِحَتْ في النار، فذهبَ الوسخُ وبقي المنديلُ سالمًا لا تَعملُ فيه النار، وتَرى النَّعامةَ تَبتلِعُ الجمرةَ وقِطَعَ الحديدِ الحُمُرَ كالجَمْر بإحماءِ النار فلا تَضرُّها، ثم أقربُ من ذلك أنه خَلَقَ في كلِّ شجرةٍ نارًا فلا تحرقُها، فما أنكروا أن يَخلُق في النار شجرةً لا تُحرِقُها؟

قوله: (وما أنكروا أن يجعل الله) "ما" في "ما أنكروا" استفهاميّة على معنى إنكارِ إنكارِ أن يجعل الله[1] الشجرة[2] مِن جنسٍ لا تأكله النار، بمعنى: لِمَ كان هذا الإنكار؟ فإنَّ وَبَر السَّمَنْدل...

"ما" في "ما أنكروا" منصوب المحلّ على أنّه مفعول مطلق، أي: أيَّ إنكارٍ أنكروا أن يجعل الله... إلخ.

قوله: (وبَر السَّمَنْدل) الوَبَر: الصوف. و"السَّمَنْدل": طائر يأكل النَّبَش.[3] والنَّبَش: البَقل، فَعَلٌ بمعنى مفعول، يقال: نَبَشَ البَقلَ، أي: قلَعه مِن وجه الأرض.

قوله: (دُوَيْبَة)[4] بإسكان الياء وتشديد الباء، ففيه التقاء الساكنَين، كما في خُوَيْصَّة[5] تصغير الخاصَّة.[6]

قوله: (خلق في[7] كلّ شجرة[8] نارًا) وفي المَثَل: «في كلّ شجرٍ نار، واستَمْجَدَ[9] المَرْخُ[10] والعَفار»، / وهما شجَرتان[11] تَنقدح[12] منهما النار، والعَفار[13] بالعين المهملة.[14] [٧٩ظ]

قوله: (فما أنكروا) استفهاميّة.

---

[1] ن - "ما" في "ما أنكروا" استفهاميّة على معنى: إنكار، إنكار أن يجعل الله.

[2] ر ن: السحرة.

[3] وفي لسان العرب لابن منظور، «سمندل»: «السَّمَنْدَل: طائر إذا انقطع نَسله وهرِم ألقى نفسَه في الجَمر فيعود إلى شبابه».

[4] ر ن: دويته.

[5] ر: حق بصبه.

[6] ن: الخاصية.

[7] ن: حلق من.

[8] د: سجرة.

[9] ر: واستمحد.

[10] ر ن: المرح.

[11] ر ن: سخريان.

[12] ر: ينقدح.

[13] ن: والفعار.

[14] انظر: الصحاح للجوهري، «عفر»؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٢/٧٤. وفيه: «يُضرب هذا المَثَل في تفضيل بعض الشيء على بعض».

والمعنى: أن الآيات إنما يُرسَلُ بها تخويفًا للعباد، وهؤلاء قد خُوِّفوا بعذاب الدنيا وهو القتلُ يوم بدر، فما كان ما ﴿أَرَيْنَٰكَ﴾ منه في منامك بعد الوحي إليك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ لهم حيث اتَّخذوه سُخْرِيًّا، وخُوِّفوا بعذاب الآخرة وبشجرةِ الزَّقُّوم فما أثَّر فيهم، ثم قال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾؛ أي: نخوِّفُهم بمخاوف الدنيا والآخرة ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويفُ ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ فكيف يَخاف قومٌ هذه حالُهم بإرسال ما يَقترحونَ من الآيات؟

وقيل: الرُّؤيا هي الإسْراءُ. وبه تَعلَّق مَن يقول: "كان الإسراءُ في المنام"، ومَن قال: "كان في اليقظة" فسَّر الرُّؤيا بالرؤية.

وقيل: إنما سمَّاها رؤيا على قولِ المكذِّبين حيث قالوا له: "لعلها رؤيا رأيتَها وخيالٌ خُيِّل إليك"، استبعادًا منهم، كما سَمَّى أشياءَ بأساميها عند الكفرة؛ نحوَ قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الصافات ٩١/٣٧]، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل ٢٧/١٦]، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان ٤٩/٤٤].

قوله: (والمعنى) أي: مِن قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبِيرًا﴾.

قوله: (فما[1] كان ما أريناك منه) "ما" نافية. وقوله: "منه" أي: مِن العذاب.

قوله:[2] (فكيف يخاف) كما قال[3] تعالى في الأوّل: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ﴾، فهذا الكلام مِن قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ إلى ﴿كَبِيرًا﴾ مرتبِط بعضُه ببعض.

قوله: (ومَن قال: كان) أي: كان الإسراء. وقوله: (فسَّر "الرؤيا" بالرؤية) أي: إذا قلنا: "الرؤيا" هي الإسراء،[4] وقلنا: أنّ الإسراء كان في اليقظة، فللرؤيا[5] تفسيران: الأوّل:[6] أنّها بمعنى الرؤية. الثاني: أنّها سمّاها رؤيا على قول المكذِّبين، أي: حكاية لِما يقولونه ويعتقدونه.

قوله تعالى: (﴿فَرَاغَ﴾ [الصافات ٩١/٣٧]) أي: ذهب في خُفية.[7]

---

[1] وفي هامش د: نفي.

[2] ر ن + تعالى.

[3] ر ن + الله.

[4] ر ن – وقوله: (فسّر "الرؤيا" بالرؤية) أي: إذا قلنا: "الرؤيا" هي الإسراء.

[5] ن: فالرؤيا.

[6] ر: للأوّل.

[7] ر: حفية.

وقيل: هي رؤياه أنّه سيدخل مكّة.

وقيل: رأى في المنام أن وَلَد الحَكَمِ يتداولون مِنبَره كما يتداولُ الصبيانُ الكُرَةَ.

فإن قلتَ: أين لُعنتْ شجرةُ الزَّقُّوم في القرآن؟

قلتُ: لُعنتْ حيث لُعِنَ طاعِموها من الكفرة والظَّلَمة؛ لأن الشجرة لا ذَنْبَ لها حتى تُلعَنَ على الحقيقة، وإنما وُصفت بلَعْن أصحابها على المجاز.

وقيل: وصَفَها الله باللَّعن؛ لأن اللَّعنَ: الإبعادُ من الرحمة، وهي في أصل الجحيم في أبعدِ مكان من الرحمة.

وقيل: تقول العرب لكلِّ طعامٍ مكروهٍ ضارٍّ: ملعونٌ، وسألتُ بعضَهم فقال: نَعَمْ الطعامُ الملعونُ ....

قوله: (أنّ ولَد الحَكَم) "الولد" هنا للجنس، أي: نوافل الحَكَم، وهو الجَدُّ الأعلى لمعاوية.[1] وفعلُهم[2] بالحسَن والحُسين تعبير هذه الرؤيا.

قوله: (فإن قلتَ: أين لُعِنت شجرة الزَّقُّوم؟) "الزَّقُّوم": اسم طعام لهم، فيه تَمْرٌ وزُبْد،[3] والزَّقْمُ: أكْلُهُ.[4] قال ابن[5] عبّاس: «لمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ[6] ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان ٤٤/٤٣-٤٤]، قال أبو جهل: 'التّمر بالزُّبْد نَتَزَقَّمُه'،[7] فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات ٣٧/٦٤-٦٥]».[8]

قوله: (لأنّ الشجرة)[9] أي: يدلّ على أنّ المراد باللعن لعنُ صاحبها أنّ الشجرة لا ذنبَ... إلخ.

---

١ ر: بمعاوية؛ ن: بمعاونة.

٢ ر ن: فعلهم.

٣ ر: ويد.

٤ الصحاح للجوهري، «زقم».

٥ ر: بن.

٦ ن – طعام لهم، فيه تَمرٌ وزُبْد، والزَّقْمُ: أكلُهُ، قال ابن عبّاس: «لمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾».

٧ ر ن: نرقمه.

٨ انظر: الدرّ المنثور للسيوطي، ٣١٠/٥. | وفي هامش د: قوله: (قلتُ: لُعنت)... إلخ على الوجه الأوّل: مِن قَبيل المجاز بالنقصان، مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢/١٢]. وعلى الثاني والثالث: حقيقة. وقوله: "لُعِنت" المراد اللعن المجازي، لا الحقيقي، تأمّل.

٩ ر: السجرة.

القَشِبُ المَمْحوقُ.

وعن ابن عباس: هي الكَشُوثُ الذي يَتلوَّى بالشجر يُجعلُ في الشراب.

وقيل: هي الشيطان. وقيل: أبو جهل.

وقُرئ: "والشجرةُ الملعونةُ" بالرفع على أنها مبتدأ محذوفُ الخبر؛ كأنه قيل: والشجرةُ الملعونةُ في القرآن كذلك.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾

﴿طِينًا﴾ حالٌ: إما من الموصول والعاملُ فيه "أسجدُ" على: أأسْجُد له وهو طينٌ؟ أي: أصله طينٌ، أو من الراجع إليه من الصلة على: أأسجدُ لمَن كان في وقتِ خلقِه طينًا؟

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله: (القَشِبُ)[١] أي: القَذِر.[٢] وقوله: (المَمْحُوق)[٣] أي: لا خيرَ فيه.

قوله: (الكَشوث)[٤] نبت يتعلّق بأغصان الشجر، مِن غير أن يضرب بعِرق[٥] في الأرض، قال:

هو الكَشوثُ[٦] فلا أصلٌ ولا وَرقٌ ولا نسيمٌ ولا ظِلٌّ ولا ثَمَرُ[٧]

قوله: (وقيل: هي الشيطان) أي: الشجرة المَلعونة.[٨]

قوله: (أي: أصله طين) وفيه ازدراء بحال آدم، كأنّه الآن طين.

قوله: (أو مِن الراجع) والعامل على هذا "خلقتَ".[٩]

---

[١] ر: القسب.
[٢] ر ن: القدر.
[٣] ر: الممحون.
[٤] ر ن: الكشوت.
[٥] ر: يعرف.
[٦] ر ن: الكشوت.
[٧] الصحاح للجوهري، «كشث». والبيت فيه بغير نسبة.
[٨] وفي هامش د: قوله: (وهو طين) فيكون إطلاق الطين عليه باعتبار ما كان نحو: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء ٢/٤]، وعلى الثاني: حقيقة.
[٩] ن: احلعت.

﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ الكافُ للخطاب، و﴿هَٰذَا﴾ مفعولٌ به، والمعنى: أخبِرْني عن هذا ﴿ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾؛ أي: فضَّلْتَه، لِمَ كرَّمْتَه عليَّ وأنا خيرٌ منه؟ فاختُصر الكلام بحذف ذلك.

قوله: (﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ الكاف للخطاب)... إلخ على الوجه الذي ذكره المصنِّف يكون المفعول الأوّل محذوفًا، والكاف حرف الخطاب،[1] والتقدير: أرأيتَني، أي: أخبرني، و﴿هَٰذَا﴾ مفعوله الثاني، و"لِمَ كرّمتَه؟"[2] مفعوله الثالث، وهو أيضًا محذوف. فعلى هذا يكون "أرأيت" متعدّيًا إلى ثلاثة مفاعيل، مثل "أخبَرَ"، تقول:[3] أخبرتُ زيدًا عَمرًا فاضِلًا، وأمّا على ما ذكره ابن[4] الحاجب في شرح المفصّل[5] وغيرُه في غيرِه فـ"أخبَرَ" متعدٍّ إلى مفعول واحد، فإذا قلتَ: أخبرتُ زيدًا عَمرًا منطلقًا، فـ"زيدًا" مفعول به، وأمّا "عَمرًا[6] منطلقًا" ففي محلّ المصدر، فكأنّك قلتَ: أخبرتُ زيدًا إخبارًا، ثمّ بيَّنْتَ[7] خصوصيّة الإخبار فقلتَ: "عَمرًا منطلقًا"، وفيه كلام كثير مذكور في موضعه لا يليق بالحواشي.[8]

قوله: (لِمَ[9] كرَّمْته)... إلخ إشارة إلى أنّ ﴿ٱلَّذِى﴾ صفة ﴿هَٰذَا﴾، والمفعول الثاني محذوف. وأظنّ[10] -والله أعلم- أنّه يمكن أن يُقال: ﴿ٱلَّذِى﴾ ليس صفة ﴿هَٰذَا﴾؛ بل هو المفعول[11] الثالث، ويكون الازدراء مِن إبليس[12] بآدم[13] على هذا أظهر،[14] ولا يكون في الكلام حذف، ويقرُب معناه في الازْدراء مِن معنى قول الكفّار في / شأن [٨٠و]
النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[15] ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان ٢٥/٤١].[16]

---

١ ر: الخطا؛ ن: خطاب.
٢ ن: كرمنه.
٣ ر: يقول.
٤ ر: بن.
٥ انظر: الإيضاح لابن الحاجب، ٢/٤٨.
٦ ر: عمر.
٧ ر: نبتت؛ ن: بيتت.
٨ ن: بالجواشي. | وفي هامش د: قوله: (بحذف) أي: بحذف ما ذكرنا مِن المفعول الأوّل والثالث.
٩ ر ن: كم.
١٠ ر - وأظنّ.
١١ ر ن: مفعول.
١٢ د: الإبليس.
١٣ ن: لآدم.
١٤ ن: أطهر.
١٥ د: عليه السلام.
١٦ ر ن + قوله: (إذا).

ثم ابتدأ فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ والـلامُ موطِّئةٌ للقسَم المحذوفِ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: لأستأصِلَنَّهم بالإغواء، مِن احتَنَك الجرادُ الأرضَ: إذا جَرَد ما عليها أكْلًا، وهو من الحَنَك، ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم: "أحْنَكُ الشاتَين"؛ أي: آكَلُهما.

فإن قلتَ: من أين عَلِم أن ذلك يتسهَّلُ له وهو من الغيب؟

قلتُ: إمَّا أن يسمعه من الملائكة صلواتُ الله عليهم وقد أخبرهم الله به، أو خَرَّجَه من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة ٣٠/٢]، أو نظَر إليه فتوسَّم في مخايِلِه أنه خَلْقٌ شهوانيٌّ.

وقيل: قال ذلك لمَّا عمِلَتْ وسوستُه في آدم. والظاهرُ أنه قال ذلك قبل أكلِ آدمَ من الشجرة.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿ٱذْهَبْ﴾ ليس من الذَّهاب الذي هو نقيض المجيء، وإنما معناه: "امْضِ لشأنك الذي اخترتَه" خذلانًا وتخليةً، وعقَّبه بذكرِ ما جرَّه سوءُ اختياره في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ كما قال موسى عليه السلام للسامريِّ: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه ٩٧/٢٠].

قوله: (إذا جرَدَ) أي: أذهَب وأزال.

قوله: (أحنَكُ الشاتَين)[١] وقد يجيء[٢] "أفعل" ولا فِعلَ له، نحو: أحنَكُ الشاتَين،[٣] وأحنَكُ البعيرَين. وفي أمثالهم: «آبَلُ مِن حُنَيف الحَناتِم»، أي: أحسن رعاية للإبل مِن حُنَيف، وهو اسم راعٍ كان يُحسِن[٤] رعي الحيوانات.[٥]

قوله: (والظاهر) هذا ردّ للوجه الأخير.

قوله: (ليس مِن الذهاب)... إلخ أقول: يحتمل أن يكون مِن الذهاب الذي هو

---

١ ر ن: السامر.
٢ ر: يخي.
٣ ر: السانين؛ ن: الساسن.
٤ ر ن – رعاية للإبل مِن حُنَيف، وهو اسم راعٍ كان يُحسِن.
٥ انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٨٦/١.

فإن قلتَ: أمَا كان من حقّ الضميرِ في الجزاء أن يكون على لفظِ الغَيبة ليرجعَ إلى "مَن تَبِعَكَ"؟

قلتُ: بلى؛ ولكن التقدير: فإنَّ جهنم جزاؤُهم وجزاؤك، ثم غُلِّبَ المخاطَبُ على الغائب فقيل: ﴿جَزَآؤُكُمْ﴾، ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات.

وانتصب ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ بما في ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ من معنى: تُجازَوْنَ، أو بإضمار "تُجازَوْنَ"، أو على الحال؛ لأن الجزاء موصوفٌ بالموفور.

والموفورُ: الموفَّر، يقال: فِرْ لصاحبك عِرْضَهُ فِرَةً.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

"استفَزَّهُ": استخفَّه، والفَزُّ: الخفيف.

﴿وَأَجْلِبْ﴾ من الجَلَبة وهي الصِّياح، والخَيْلُ: ....

نقيض المَجيء، فيكون معناه مثل معنى قوله تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص ٧٧/٣٨]، والله أعلم.[١]

قوله: (لأنّ الجزاء موصوف) تعليل لقوله: (نصب على الحال)؛ لأنّ الجزاء وإن كان مصدرًا إلّا أنّه موصوف بالصفة التي هي اسم المفعول، فيكون حالًا. والصواب أن نقول: لو لم يكن قوله: ﴿جَزَآءً﴾ مقيّدًا[٢] بقوله: ﴿مَّوْفُورًا﴾ لم يكن لِوُقوع ﴿جَزَآءً﴾ حالًا معنى، إذ لا معنى لِتَقيّد الجزاء بالجزاء، فلمّا وصف به صحّ واستقام المعنى، فهذا معنى كلام المصنّف،[٣] لا ما كُتب في الحاشية قبلَ هذا.

---

١ وفي هامش د: قوله: (ليس مِن الذهاب)... إلخ يحتمل أن يكون استعارة؛ شُبّه المضيّ في الشأن الذي هو الاستمرار فيما هو عليه مِن الحال مِن غير منع بالمشي الذي هو الحركة الاختياريّة في المسافة، والجامعُ التخليةُ وعدمُ المنع عن فعل ما يريده على حسب اختياره. ويحتمل أن يكون مِن قَبيل ذكر الخاصّ وإرادة العامّ، فيكون مجازًا مرسلًا، وعلى الأوّل يكون مِن قَبيل استعارة المحسوس للمعقول.

٢ ر: مفيدًا؛ ن: معيدًا.

٣ ن: المؤلف.

الخيَّالةُ، ومنه قولُ النبيِّ عليه السلام: «يا خيلَ اللهِ اركبي».

و"الرَّجْلُ": اسمُ جمعٍ للرَّاجلِ، ونظيرُه: الرَّكبُ والصَّحْبُ، وقرئ: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ على أن فَعِلًا بمعنى فاعلٍ، نحو: تَعِبٍ وتاعِبٍ، ومعناه: وجَمْعِكَ الرَّجِلِ، وتُضمُّ جيمُه أيضًا فيكون مثلَ حَدِثٍ وحَدُثٍ ونَدِسٍ ونَدُسٍ وأخواتٍ لهما، يقال: رَجُلٌ رَجُلٌ.

وقرئ: "ورِجالِك" و: "رُجَّالك".

فإن قلتَ: ما معنى استفزازِ إبليسَ بصوته وإجلابِه بخيْلِهِ ورَجْلِه؟

قلتُ: هو كلامٌ ورَدَ مَوْرِدَ التمثيلِ، مُثِّلَتْ حالُه في تسلُّطه على مَن يُغويهِ بمِغوارٍ أَوْقَعَ على قومٍ فصوَّتَ بهم صوتًا يستفزُّهم من أماكنهم ويُقَلْقِلُهم عن مراكزهم، وأَجلبَ عليهم بجُنده من خَيَّالةٍ ورَجَّالةٍ حتى استأصلهم.

وقيل: بصوته: بدعائه إلى الشرِّ.

وخَيلُهُ ورَجْلُهُ: كلُّ راكبٍ وماشٍ من أهل العَيْث.

وقيل: يجوز أن يكون لإبليسَ خَيلٌ ورِجالٌ.

قوله: (الخَيَّالة) أصحاب الخيول.

قولـه: (مثـل: حَـدِثٍ وحَـدُثٍ) "الحَـدِث" بمعنـى: الحـادث. و"النَّـدِسُ" بمعنى: الفَطِن.

قوله: (بمِغوار) رجل مِغوار ومغاوِر، أي: مقاتل.

قولـه: (وقيـل: بصوتـه)... إلـخ وعلـى هذيـن الوجهيـن لا يكـون واردًا[١] مَورِدَ التمثيل.[٢]

قوله: (العَيْثِ)[٣] أي: الفساد.

---

[١] ر ن: وردًا.

[٢] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: هو كلام ورَد)... إلخ فيكون استعارة تمثيليّة؛ شبه حال الشيطان في الإغواء بحال المِغوار، والجامع الإهلاك. قوله: (وقيل: بصوته) أي: بدعائه، فيكون مِن قَبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم؛ لأنّ الدعاء مستلزم للصوت، فيكون كناية.

[٣] ر: العنث؛ ن: العنت.

وأمَّا المشاركةُ في الأموال والأولاد: فكلُّ معصيةٍ يحملُهم عليها في بابهما؛ كالرِّبا والمكاسِبِ المحرَّمة، والبَحِيرةِ والسائبَةِ، والإنفاقِ في الفُسوق والإسراف، ومنعِ الزكاة، والتوصُّلِ إلى الأولاد بالسبب الحرام، ودَعْوَى ولدٍ بغير سببٍ، والتسميةِ بعَبْدِ العُزى وعبدِ الحارث، والتهويدِ والتنصيرِ، والحَمْلِ على الحِرَفِ الذميمة والأعمالِ المحظورة، وغيرِ ذلك.

﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيدَ الكاذبةَ: من شفاعةِ الآلهة، والكرامةِ على الله بالأنساب الشريفة، وتسويفِ التوبة، ومغفرةِ الذنوب بدونها، والاتِّكالِ على الرحمةِ وشفاعةِ الرسولِ في الكبائر، والخروجِ من النار بعد أن يَصيروا حُمَمًا، وإيثارِ العاجل على الآجل.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ يريد الصالحين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؛ أي: لا تَقْدرُ أن تُغْوِيَهم.

قوله: (يَحملهم عليها) أي: يحملهم إبليس.

قوله: (والتهويد والتنصير)[١] إشارة إلى قوله عليه السلام: «فأبواه يُهوِّدانه أو[٢] يُنَصِّرانه».[٣]

قوله: (وتسويف)[٤] أي: التأخير.

قوله: (ومغفرة الذنوب) إشارة إلى مذهبه في بعض ما ذكره كما لا يَخفى.

قوله: (حُمَمًا) الحُمَم: الرماد والفَحْم.[٥]

---

١ ر ن: التنصير.

٢ ن: أوا.

٣ صحيح البخاري، ٩٤/٢ (١٣٥٨)؛ صحيح مسلم، ٢٠٤٧/٤ (٢٦٥٨).

٤ د: والتسويف.

٥ وفي هامش د: قوله: (على سبيل الخِذلان)... إلخ فيكون كناية؛ لأنّ إرادة الخِذلان والتخلية مستلزمة للأمر بفعل ما يريد، فذكر اللازم، وهو الأمر، وأريدَ الملزوم، وهو فعل ما يريد، فيكون كناية. قوله: (﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾)... إلخ على الوجه الأوّل: مِن قَبيل تعميم الخاصّ. وعلى الثاني: مِن قَبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ الضلالة مستلزمة لعدم الاهتداء. وعلى الثالث: حقيقة، لكن الاستعارة في الإغاثة شبّهت بالطريق، والجامع كون كلّ منهما سببًا للمطلوب.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم يتوكّلون به في الإستعاذة منك، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر ١٥/٤٠].

فإن قلتَ: كيف جاز أن يأمرَ الله تعالى إبليسَ بأنْ يتسلَّط على عباده مُغوِيًا مُضِلًّا داعيًا إلى الشرِّ صادًّا عن الخير؟

قلتُ: هو من الأوامر الواردةِ على سبيلِ الخذلان والتَّخلية؛ كما قال للعُصاة: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت ٤١/٤٠].

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿يُزْجِى﴾: يُجري ويُسيِّرُ، والضرُّ: خوفُ الغرَقِ.

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ذَهَبَ عن أوهامِكم وخواطرِكم كلُّ مَن تَدْعُونه في حوادثِكم إلَّا إيَّاه وحدَه، فإنكم لا تذكُرون سواهُ ولا تَدْعونه في ذلك الوقتِ، ولا تَعْقِدون برحمته رجاءَكم، ولا تُخْطِرون ببالِكم أنَّ غيرَه يقدرُ على إغاثَتِكم.

أو: لم يَهْتدِ لإنقاذكم أحدٌ غيرُه من سائر المدعوِّين.

قوله: (﴿يُزْجِى﴾ يُجْرِي[١] ويُسَيِّر)[٢] قال في الوسيط: «أي: يَسُوق[٣] ويُسَيِّر،[٤] حالًا بعد حال».[٥] قوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: إلّا الله تعالى، والضمير في "سواه" و"غيره" يعود إلى "إيّاه"، وفي "لا تَدعُونه" و"برحمته"[٦] يعود إلى "سِواه".

قوله: (مِن سائر المدعوّين) أي: مَن تَدعونه في حَوادثكم.[٧]

---

١ ن: يجزي.
٢ ن: ويشير.
٣ ر: نسون.
٤ ر: ويشير.
٥ التفسير الوسيط للواحدي، ١١٨/٣ (الإسراء، ٦٦/١٧).
٦ ر: وترحمنه.
٧ ن: حوادتكم.

ويجوز أن يراد: ضلَّ مَن تَدْعون من الآلهة عن إغاثتِكم، ولكنَّ الله وحدَه هو الذي تَرْجونه وحدَه، على الاستثناء المنقطِع.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزةُ للإنكار والفاءُ للعطف على محذوفٍ، تقديره: أنجَوْتُم فأمِنْتُم فحمَلَكم ذلك على الإعراض.

فإن قلتَ: بِمَ انْتَصَب ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؟

قلتُ: بـ﴿يَخْسِفَ﴾ مفعولًا به كـ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص ٨١/٢٨]، و﴿بِكُمْ﴾ حالٌ، والمعنى: أن يخسِفَ جانبَ البَرِّ -أي: يقلبَه- وأنتم عليه.

فإن قلتَ: فما معنى ذكرِ الجانبِ؟

قلتُ: معناه: أن الجوانبَ والجهاتِ كلَّها في قدرته سواءٌ، وله في كلِّ جانبٍ برًّا كان أو بحرًا سببٌ مُرصَدٌ من أسبابِ الهلكة، ليس جانبُ البحرِ وحده مختصًّا بذلك؛ بل إن كان الغَرَقُ في جانب البحر ففي جانب البرِّ ما هو مثلُه وهو الخسفُ؛ لأنه تغييبٌ تحتَ التراب كما أنَّ الغرقَ تغييبٌ تحت الماء، فالبرُّ والبحرُ عنده سِيَّانِ يقدر في البرِّ على نحوِ ما يقدِرُ عليه في البحر، فعلى العاقل أن يستويَ خوفُه من الله في جميع الجوانب وحيث كان.

قوله: (ويجوز أن يراد) يعني: يجوز[1] أن[2] يكون المراد بقوله: ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ آلهتَهم، فيلزم أن يكون الاستثناء منقطعًا، وعلى الوجهين الأوّلَين كان المراد بـ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ مَن تَدعونه في الحوادث، وهو شامل لله تعالى أيضًا، فكان الاستثناء متّصلًا.

قوله: (أنَجَوْتُم فأمِنتم) كأنّه قيل: أأمِنتم[3] بعد نجاتكم؟

قوله تعالى: (﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص ٨١/٢٨])، أي: خسفنا الأرض، و﴿بِهِۦ وَبِدَارِهِ﴾ حال، أي: قلبناها وهو عليها.

قوله: (كُلَّها) أي: مِن البَرّ والبحر.

---

[1] ر ن - (أن يراد) يعني: يجوز.

[2] ر: لن.

[3] ن: أمنتم.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: وهي الريحُ التي تَحْصِبُ؛ أي: تَرمي بالحصباء، يعني: أو إنْ لم يُصِبكم بالهلاكِ مِن تحتِكم بالخَسْف أصابَكم به مِن فوقكم بريحٍ يُرسلُها عليكم فيها الحصباءُ يَرجمُكم بها، فيكونُ أشدَّ عليكم من الغَرَق في البحر.

﴿وَكِيلًا﴾: مَن يتوكَّلُ بصَرْفِ ذلك عنكم.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ أن يقوِّيَ دواعِيَكم ويُوَفِّرَ حوائجَكم إلى أنْ ترجِعوا فتركَبوا البحرَ الذي نجَّاكم منه فأعرضتُم، فيَنتقمَ منكم بأنْ يرسلَ ﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ وهي الريحُ التي لها قَصيفٌ، وهو الصوتُ الشديدُ كأنَّها تتقصَّفُ؛ أي: تتكسَّرُ، وقيل: التي لا تمرُّ بشيءٍ إلَّا قصفَتْه.

﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وقرئ بالتاء؛ أي: الريحُ، وبالنون، وكذلك: ﴿يَخْسِفَ﴾ و﴿يُرْسِلَ﴾ و﴿يُعِيدَكُمْ﴾ قرئَتْ بالياء والنون.

التَّبِيع: المطالِبُ، من قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة ٢/١٧٨]؛ أي: مطالَبةٌ، قال الشمَّاخُ:

قوله: (أصابكم به) أي: بالهلاك.[١]

قوله: (فيها الحَصباء) حال مِن الضمير المنصوب في (يُرسلها).[٢]

قوله: (فأعرضتم) لا يَحسن أن يكون "الفاء" في "فأعرضتم"[٣] عاطفة،[٤] لِخُلوّه[٥] عن الراجع إلى الموصول.

قوله: (قَصِيفٌ) يقال: قصف الرعد وغيرُه قَصِيفًا؛ صوَّت صوتًا شديدًا، ورَعْدٌ قاصِفٌ: شديد الصوت، والقَصْف: الكسر، يقال: قَصَفَت الريح السَّفينةَ،[٦]

[٨٠ظ] / وريح قاصف؛ شديدة.[٧]

---

١ وفي هامش د: قوله: (قلتُ: معناه: أنّ الجوانب) حاصله: أنّه ذكر الجوانب ليفيد الشمول.

٢ ر: شرسلها؛ ن: سرسلها.

٣ وفي هامش د: سببيّة.

٤ ر: عاصفه.

٥ ن: لحلوه.

٦ ن: السفية.

٧ الصحاح للجوهري، «قصف».

كما لاذَ الغريمُ من التَّبيعِ

يقال: فلانٌ على فلانٍ تَبيعٌ بحقِّه؛ أي: مُسَيْطِرٌ عليه مطالِبٌ له بحقِّه.

والمعنى: أنَّا نفعلُ ما نفعلُ بهم ثم لا تجدُ أحدًا يُطالِبُنا بما فعَلْنا انتصارًا منَّا ودَرَكًا للثَّأر من جهتنا، وهذا نحوُ قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس ١٥/٩١].

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بكفرانكم النعمةَ، يريدُ: إعراضَهم حين نجَّاهم.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾

قيل في تكرمةِ ابن آدم: كرَّمه اللهُ بالعقل، والنُّطقِ، والتمييزِ، والخطِّ، والصورةِ الحسَنة، والقامةِ المعتدلة، وتدبيرِ أمرِ المعاش والمعادِ.

وقيل: بتسليطِهم على ما في الأرض وتسخيرِه لهم.

وقيل: كلُّ شيءٍ يأكلُ بفيهِ إلَّا ابنَ آدمَ.

وعن الرَّشيد: أنه أَحْضرَ طعامًا فدَعا بالملاعِقِ وعنده أبو يوسفَ رحمه الله، فقال له: جاء في تفسيرِ جدِّك ابنِ عباسٍ قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: جعَلْنا لهم أصابعَ يأكلون بها، فأُحضرت الملاعقُ فردَّها وأكلَ بأصابعه.

قوله: (فأُحضِرت[١] الملاعق فردَّها) أكلُهم بالملاعق لا يُخالف معنى تكريمهم[٢] الأكلَ بالأصابع، فإنَّ الأكل بالملاعق زيادة تكريم، وإنَّما فسَّره ابن[٣] عبّاس رضي الله عنه[٤] الأكل بالأصابع احترازًا عن الأكل بالفم. والأكل بالملاعق أكلٌ بالأصابع بواسطة الملاعق، لكن ما يسهل أكلُه بالأصابع مِن نحو الثريد فالأولى أكله بالأصابع،[٥] لما ثبت ذلك في الحديث، فلذلك قال أبو يوسف رحمة الله عليه[٦] ما قاله.

---

١ ن: فأخصرت.
٢ ن: تكريههم.
٣ ر: بن.
٤ د – رضي الله عنه.
٥ ن – مِن نحو الثريد، فالأولى أكله بالأصابع.
٦ د – رحمة الله عليه.

﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ هو ما سوى الملائكةِ عليهم السلامُ، وحسبُ بني آدم تفضيلًا أن تُرفعَ عليهم الملائكةُ وهم هم، ومنزلتُهم عند الله منزلتُهم، والعَجَبُ من المُجْبِرة كيف عكَسوا في كلِّ شيءٍ وكابَروا حتى جسَّرتهم عادةُ المكابرةِ على العظيمة التي هي تفضيلُ الإنسان على الملَك، وذلك بعد ما سمعوا تفخيمَ الله أمْرَهم، وتكثيرَه مع التعظيم ذكرَهم، وعلموا أين أَسكنَهم وأنَّى قرَّبَهم، وكيف نزَّلهم من أنبيائه منزلةَ أنبيائه من أُممهم، ثم جرَّهم فرطُ التعصُّب عليهم إلى أن لفَّقوا أقوالًا وأخبارًا منها: «قالت الملائكة: ربَّنا إنك أعطيتَ بني آدمَ الدنيا يأكلون منها ويتمتَّعون ولم تُعطِنا ذلك فأعطناه في الآخرة، فقال: وعزَّتي وجلالي لا أَجعلُ ذريَّةَ مَن خلَقْتُ بيديَّ كمَن قلتُ له كنْ فكان».

ورَوَوْا عن أبي هريرة أنه قال: "لَمُؤمِنٌ أكرمُ على اللهِ من الملائكة الذين عنده".

ومن ارتكابهم: أنهم فسَّروا ﴿كَثِيرٍ﴾ بمعنى "جميع" في هذه الآية، وخُذِلوا حتى سُلبوا الذَّوقَ فلم يُحِسُّوا ببشاعةِ قولهم: "وفضَّلناهم على جميعِ ممَّن خلَقْنا" على أن معنى قولِهم: ....

قوله: (ما سوى الملائكة) هو مذهب المعتزلة.

قوله: (ومَنزلتهم[١] عند الله منزلتهم).١

قوله: (وتكثيره)[٢] أي: الله تعالى.

قوله:[٣] (على[٤] جميع ممَّن[٥] خَلَقْنا)؛ لأنّه[٦] بمعنى مجموع.[٧]

إلخ حاصله: أنّه على تفسيرهم الكثيرَ بالجميع يلزم الجمع بين المتنافيين؛ لأنّ "مِن" في ﴿مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ للتبعيض؛ لأنّ الجميع ما يحتاج إلى البيان. وقوله: (أشجى) أي: أشجى مِن تفسير الكثير بالجميع، أي: تفسير الكثير بالجميع بَشِع في نفسه، والجمع بين الجميع و"مِن" التبعيضيّة أبشَع.

---

[١] وفي هامش د: أي: الملائكة.
[٢] ر: وتكبيره.
[٣] ر ن + الملائكة.
[٤] ر ن + الملائكة.
[٥] ر: من؛ ن: ما.
[٦] ر ن – لأنّه.
[٧] وفي هامش د: قوله: (على أنّ معنى قولهم)...

"على جميعِ ممن خلَقْنا" أَشجَى لحُلوقهِم وأقذَى لعيونهم؛ ولكنهم لا يشعرون.

فانظُرْ إلى تمحُّلهم وتشبُّثهم بالتأويلات البعيدةِ في عداوةِ الملأ الأعلى؛ كأنَّ جبريل غَاظَهم حين أهلك مدائنَ قومِ لوط، فتلك السَّخيمةُ لا تنحلُّ عن قلوبهم.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧١﴾

قوله:[١] (أَشْجى)[٢] الشجَى:[٣] ما يَنْشَبُ[٤] في الحَلق[٥] مِن عَظْمٍ[٦] وغيره.[٧] والقذَى[٨] في العين: ما يقع فيها، وقَذِيَتْ[٩] عَينُه.[١٠]

واعلم أنّ كلامه هذا يدلّ[١١] على أنّ رفعة أهل السُّنّة والجماعة صارت[١٢] كالغُصّة[١٣] في حَلْقِه، وكالقَذَى[١٤] في عينه، فيَطعَنُ فيهم؛ إذ لا يقدر إلّا على الطعن المجرّد. وأمّا أهل السنّة والجماعة فمُبتَهجون بفضيلتهم،[١٥] مشتغلون[١٦] بما يُهِمُّهم[١٧] مِن اكتساب[١٨] ازدياد الفضيلة، فلا يشتغلون بأمثال هذه الهَذيانات؛[١٩] بل يترحّمون على أهل البِدَع والأهواء،[٢٠] ويشغلهم ذلك عن القَدْح فيهم إلّا أحيانًا للانتصار[٢١] الممدوح، قال تعالى: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٢٧].

قوله: (السَّخيمة)[٢٢] الضَّغينة[٢٣] والمَوجِدة[٢٤] في النفس.

---

١ ر: قو.
٢ ر ن: أسجى.
٣ ر ن: السجى.
٤ ن: ينسب.
٥ ن: الخلق.
٦ ر ن: غظم.
٧ الصحاح للجوهري، «شجا».
٨ ن: والقرى.
٩ ر: وقديت.
١٠ ن: عيده. | الصحاح للجوهري، «قذى».
١١ ن: بدل.
١٢ ن: صار.
١٣ ن: كالعصة.
١٤ ر ن: وكالقدى.
١٥ ر: تفصيلهم؛ ن: بفضيلهم.
١٦ ر: مستعلون.
١٧ ر ن: يمهمهم.
١٨ ن: التساب.
١٩ ر ن: الهديانات.
٢٠ ر ن: الأهواء.
٢١ ن: الانتصار.
٢٢ ر: الشخيمة.
٢٣ ن: الصعينة.
٢٤ ر ن: والموحدة.

قرئ: ﴿نَدْعُواْ﴾ بالياء والنون، و: "يُدْعَى كلُّ أناسٍ" على البناء للمفعول.

وقرأ الحسن: "يُدعَوْ كلُّ أناس" على قلبِ الألف واوًا في لغةِ مَن يقول: "أفْعَوْ"، والظرفُ نصبٌ بإضمار: اذْكُرْ.

ويجوز أن يقال: إنها علامةُ الجمع كما في: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾

قوله: (وقرأ الحسن: "يُدْعَوْ")[١] قال في الحجّة:

> مَن أمالَ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ فحسن؛ لأنّه ينحو بالألف نحو الياء لِيُعلم أنّها تنقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة أو مشبَّهة بفاصلة، والإمالة فيها حسَنة؛ لأنّ الفاصلة موضع وَقْف، والألف تخفى في الوقف، فإذا أمالها نَحَى[٢] بها نحو الياء ليكون أظهرَ لها وأبيَن. وممّا يُقوّي ذلك أنّ مِن العرب مَن يَقلِب هذه الألِفات في الوقف ياءاتٍ ليكون أبيَنَ لها، فيقول: أفعِي وحُبْلِي، ومنهم مَن يقول: أفْعُو،[٣] وهم كأنّهم[٤] أحرصُ على البيان مِن الأوّلين مِن حيث[٥] كانت الواو أظهر مِن الياء، والياء أخفى منها.[٦]

هذا مذكور في الحُجّة.

وأقول: فيمكن أن يكون "يُدْعَوْ"[٧] مِن إجراء[٨] الوصل مُجرى الوقف. وإنّما قال: "وإن كانت فاصلة"؛ لأنّ الفواصل قبلها وبعدها لا يُمال، ورعاية[٩] التناسب في الفواصل[١٠] أمر مطلوب، ومع هذا فقد أمالوا[١١] لِما ذكر.

قوله: (ويجوز أن يقال: إنّها[١٢] علامة الجمع) أي: حرف جِيء[١٣] بها ليدلّ على أنّ الفاعل جمع كما يُؤتى بالتاء[١٤] ليدلّ على أنّ الفاعل مؤنّث، ولمّا لم يكن الواو

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٨٢.
[٢] ر: نجى.
[٣] ر ن: أفعوا.
[٤] ر ن: نكأنهم.
[٥] ن: حيت.
[٦] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ١١٢/٥.
[٧] ن: يدعوا.
[٨] ر: أجزاء.
[٩] ن: وزعاية.
[١٠] ر ن: التواصل.
[١١] ر: مالوا.
[١٢] وفي هامش د: واو.
[١٣] ن: حي.
[١٤] ن: بالثاء.

[الأنبياء ٣/٢١] والرفعُ مقدَّرٌ كما في "يُدعى"، ولم يؤتَ بالنون قِلَّةَ مبالاةٍ بها؛ لأنها غيرُ ضميرٍ ليسَتْ إلا علامةً.

﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾: بمَن ائتمُّوا به: من نبيٍّ، أو مقدَّمٍ في الدِّين، أو كتابٍ، أو دينٍ، فيقال: "يا أتباعَ فلان"، "يا أهلَ دينِ كذا أو كتاب كذا".

وقيل: بكتاب أعمالهم، فيقال: "يا أصحابَ كتابِ الخير، ويا أصحابَ كتابِ الشرّ".

وفي قراءة الحسن: "بكتابهم".

ومن بِدَع التفاسير: أن "الإمَامَ" جمعُ "أُمٍّ" وأن الناس يُدعَوْن يوم القيامة بأمَّهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمَّهات دون الآباء رعايةُ حقِّ عيسى عليه السلام، وإظهارُ شرف الحسن والحسين، وأن لا يُفتَضَح أولاد الزِّنا، وليتَ شعري أيُّهما أَبدعُ أصحَّةُ لفظه أم بَهَاءُ حكمته؟!!

﴿فَمَنْ أُوتِىَ﴾ مِن هؤلاء المدعوِّين ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ قيل: "أولئك"؛ لأن "مَن أُوتيَ" في معنى الجمع.

ضميرًا -بل كان حرفًا[١] كما ذكرنا- كان "يُدعَوْ"[٢] باقيًا على إفراده، مثل: يُدْعَى، فيكون إعرابه بالحركة التقديريّة، مثل: يخشى. وقوله: (مقدَّر) أي: في "يُدعَو".[٣] وقوله:[٤] (بها) أي: بالواو. وقوله: (لأنّها) أي: الواو. وقوله: (إلّا علامةً) أي: للجمع.

قوله: (جمعُ أمٍّ) كخِفافٍ[٥] في جمع / خُفٍّ.[٦] [٨١و]

قوله: (وليت شِعرِي أيُّهما أبدَع) الضمير في "أيُّهما" ضمير مُبهم،[٧] فسَّره بقوله: (أصِحَّةُ)... إلخ. والبَهاء: الحُسن.

---

[١] ر: خوفًا.
[٢] ر ن: يدعوا.
[٣] ن: يدعوا.
[٤] ن: قوله.
[٥] ن: لخفاف.
[٦] ن: حف.
[٧] ر: منهم.

فإن قلتَ: لِمَ خُصَّ أصحابُ اليمين بقراءةِ كتابهم كأنَّ أصحابَ الشمال لا يقرؤون كتابهم؟

قلتُ: بلى؛ ولكنْ إذا اطَّلعوا على ما في كتابهم أخذَهم ما يأخذُ المطالَبَ بالنداء على جناياته والاعترافِ بمساويه أمَامَ التنكيل به والانتقامِ منه من الحياء والخجل والانخِزال وحُبْسةِ اللسان والتَّتَعْتُع والعجزِ عن إقامةِ حروفِ الكلام والذهابِ عن تسويَةِ القول؛ فكأن قراءتَهم كَلَا قِراءةٍ، وأمَّا أصحابُ اليمين فأَمْرُهم على عكسِ ذلك، لا جَرَم أنهم يقرؤون كتابهم أحسنَ قراءةٍ وأَبْيَنَها، ولا يَقْنَعون بقراءتهم وحدَهم حتى يقولَ القارئُ لأهلِ المَحْشر: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة ١٩/٦٩].

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ولا يُنقَصون من ثوابهم أدْنى شيءٍ؛ كقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٦٠/١٩] ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه ١١٢/٢٠].

﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

معناه: ومَن كان في الدنيا أعمَى فهو في الآخرة أعمَى كذلك.

قوله: (قلتُ: بلى) أي: بلى يقرأ أصحاب الشمال كتابَهم، ولكن إذا اطّلعوا[١] على ما في كتابهم يأخذهم الخجل والحياء، فكأنّ قراءتهم كلا قراءة.

قوله: (مِن الحياء) بيان "ما يأخذ".

قوله: (والانخزال)[٢] أي: الانقطاع.

قوله: (والتّتعتُع) تَتَعْتَعَ الرجل في كلامه: ارتَبَك[٣] فيه، وتَتَعْتَعَ الصيد في الحِبالة:[٤] تردَّد فيها.[٥]

قوله: (كذلك)[٦] نصب؛ لأنّه مصدر، أي: عمًى مثل العمى الذي في الدنيا،

---

[١] ر ن: طلعوا.

[٢] ر: والافحزال.

[٣] ر ن: ارتبل.

[٤] وفي هامش د: الحِبالة: التي يُصطاد بها. صحاح. | الصحاح للجوهري، «حبل».

[٥] انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، «ربك».

[٦] ن: لذلك.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من الأعمى، والأعمى مستعارٌ ممن لا يُدرِكُ المبصَرات لفسادِ حاسَّته لمن لا يهتدِي إلى طريق النجاة: أمَّا في الدنيا فلفَقْدِ النظر، وأمَّا في الآخرة فلأنه لا ينفعُه الاهتداءُ إليه، وقد جوَّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل، ومن ثَمَّ قرأ أبو عمرو الأوَّلَ مُمَالًا والثانيَ مُفخَّمًا؛ لأن أفعل التفضيل تمامُه بـ"مِن"، فكانت ألفُه في حكمِ الواقعة في وسط الكلام؛ كقولك: "أَعْمالكم"، وأمَّا الأولُ فلَمْ يتعلَّقْ به شيءٌ، فكانت ألفُه واقعةً في الطَّرَف مُعرَّضةً للإمالة.

وأشار بذلك إلى أنّ قوله: ﴿أَعْمَىٰ﴾ ثانيًا صفة مشبَّهة مثل الأوّل، لا اسم التفضيل.[١] ثمّ ذكر أنّ "الأعمى" في الموضعين استعارة؛ لأنّ معنى "الأعمى" هو الذي لا يُدرك المُبصَرات لفساد حاسَّته، فاستُعير في الأوّل لِمَن لا يهتدي إلى طريق النجاة في الدنيا لِفَقد النظر، أي: الفِكر، وفي الثاني لِمَن لا يهتدي إلى طريق النجاة في الآخرة؛ لأنّه لا ينفعه الاهتداء في الآخرة؛ لأنّها ليست دار الكَسْب.

قوله: (وقد جوّزوا) عطفٌ على "كذلك" مِن حيث المعنى.

قوله: (ومِن ثمَّ قرأ أبو عمرو)...[٢] إلخ وأمّا قراءة أبي عمرو: ﴿أَعْمَىٰ﴾ الأوّل مُمَالًا، والثاني مُفخَّمًا،[٣] فإنّه يجوز أن لا يجعل الثاني عبارة عن المَئُوف[٤] الجارحة،[٥] ولكنّه جعله "أفعلَ مِن كذا"،[٦] مثل: أبلَه مِن فلان، فجاز أن يكون فيه "أفعل مِن كذا"،[٧] وإن لم يجز أن يقال ذلك في المُصاب ببصره، فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة؛ لأنّ آخرها هو مِن كذا،[٨] وإنّما يَحسُنُ الإمالة في الأواخر لِما تقدّم،[٩] وقد حذف مِن "أفعَلَ" الذي هو للتفضيل[١٠] الجار والمجرور وهما مرادان في المعنى مع الحذف، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه ٢٠/٧]،

---

١ ر: التفصيل.

٢ ن: أبو عمر.

٣ ر: منجمًا؛ ن: محمًا.

٤ ر ن: المروف. | الآفة: العاهة. وقد إيفَ الزرعُ -على ما لم يسمَّ فاعله- أي: أصابته آفَةٌ، فهو مَئُوف. الصحاح للجوهري، «أوف».

٥ ر: والجارحة؛ ن: والحارجة.

٦ ر: لذى.

٧ ر: كذى؛ ن: كدى.

٨ ر: كذى.

٩ ر: يقدم.

١٠ ر: للتفصيل.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥﴾

روي أن ثَقيفًا قالت للنبيّ صلى الله عليه وسلم: لا ندخُلُ في أمرك حتى تُعطيَنا خصالًا نفتخرُ بها على العرب: لا نُعشَرُ ولا نُحشَرُ ولا نُجَبِّي في صلاتنا،

المعنى: وأخفى من السِّرّ، وكقولهم: عامٌ أوّلُ، أي: أوّل مِن عامك. وكذلك[١] قوله: ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾، أي: أعمى منه في الدنيا. ومعنى العمَى في الآخرة: أنّه لا يهتدي إلى طريق الثواب. ويؤكِّد ذلك ظاهر ما عطف عليه مِن قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾، فكما أنّ هذا لا يكون إلّا على "أفعل" كذلك[٢] المعطوف عليه. ومعنى أضلّ سبيلًا في الآخرة: أنّ ضلاله في الدنيا قد كان ممكنًا مِن الخروج منه، وضلالَه في الآخرة لا سبيلَ له إلى الخروج منه.

قوله: (لا[٣] نُعشَرُ) أي: لا يُؤخَذ منّا العُشْر.

قوله: (ولا نُحشَر)[٤] أي: لا نُدْعى إلى حربٍ. وقوله: (ولا نُجَبِّي)[٥] أي: لا نَنْحَني، أراد الركوع. التَّجْبِية:[٦] أن يقوم الإنسان قيام الراكع، وفي حديث[٧] ابن[٨] مسعود في ذكر القيامة حين يُنفَخ في الصور قال: «فيقومون فيُجَبُّون[٩] تَجْبيةَ[١٠] رجل واحد قيامًا لربّ العالمين».[١١] أبو عُبَيد: «التَّجْبية[١٢] تكون في حالَين: إحداهما أن يضع يديه[١٣] على ركبتيه وهو قائم، والوجه الآخر أن ينكبّ على وجهه باركًا، وهو السجود».[١٤]

---

١ ن: ولذلك.
٢ ن: لذلك.
٣ ر ن: ولا.
٤ ر: يحشر.
٥ ر: نحني؛ ن: نحي.
٦ ر: التحية؛ ن: التحسة.
٧ ر: الحديث.
٨ ر ن: بن.
٩ ر ن: فيحبون.
١٠ ر: تحية؛ ن: نحبية.
١١ انظر: غريب الحديث لأبي عبيد، ٧٦/٤؛ والنهاية لابن الأثير، «جبا». وهو في المعجم الكبير للطبراني، ٣٥٤/٩ (٩٧٦١)؛ والمستدرك للحاكم، ٥٤١/٤ (٨٥١٩)، بلفظ: «فيَحيَون حيّةَ رجل واحد»، بالحاء.
١٢ ر ن: التحية.
١٣ ر ن: يده.
١٤ الصحاح للجوهري، «جبا».

وكلُّ رِبًا لنا فهو لنا، وكلُّ رِبًا علينا فهو موضوعٌ عنَّا، وأن تُمتِّعَنا باللَّات سنةً، ولا نكسرَها بأيدينا عند رأس الحول، وأن تمنعَ مَن قَصَد وادِيَنا "وجَّ" فعضَدَ شَجَرَه، فإذا سألتكَ العربُ: لمَ فعلتَ ذلك؟ فقل: إن الله أمَرَني به، وجاؤوا بكتابهم فكتَب: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتابٌ من محمدٍ رسولِ الله لثقيف: لا يُعشرون ولا يُحشرون» فقالوا: ولا يُجَبُّونَ، فسكتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ثم قالوا للكاتب: اكتُبْ: ولا يُجَبُّون، والكاتب ينظر إلى رسول الله، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسلَّ سَيفَه وقال: أَسْعَرْتُمْ قَلْبَ نبيِّنا يا معشرَ ثَقيفٍ أسْعرَ اللهُ قلوبَكم نارًا، فقالوا: لَسْنا نُكلِّم إياك إنما نُكلِّم محمدًا، فنزلَتْ: ﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ الآية.

ورُوي أن قريشًا قالوا له: اجعَلْ آيةَ رحمةٍ آيةَ عذابٍ، وآيةَ عذابٍ آيةَ رحمةٍ، حتى نؤمِنَ بك، فنزلت: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

"إنْ" مخفَّفةٌ من الثقيلة، واللامُ هي الفارقةُ بينها وبين النافية، والمعنى: إنَّ الشأنَ قارَبوا أن يفتنوك؛ أي: يخدعُوك فاتنينَ ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من أوامرِنا ونواهِينا ووَعْدِنا ووَعِيدِنا ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا﴾: لتتقوَّلَ علينا ما لم نَقُلْ، يعني: ما أَرادُوه عليه من تبديل الوعد وعيدًا والوعيد وعدًا، وما اقترحَتْه ثقيف من أن يُضيف إلى الله ما لم يُنزِلْه عليه.

﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ﴾؛ أي: ولو اتَّبعتَ مرادَهم لاتَّخذوك ﴿خَلِيلًا﴾ ولكُنتَ لهم وليًّا، وخرجتَ من ولايتي.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾: ولولا تثبيتُنا لك وعِصمتُنا ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾: لقارَبْتَ أن تميلَ إلى خَدْعهم ومكرهم، وهذا تهييجٌ من الله له وفضلُ تثبيتٍ، وفي ذلك لُطفٌ للمؤمنين.

﴿إِذًا﴾ لو قارَبْتَ تركَنُ إليهم أدنى رَكْنةٍ ....

قوله: (وَجّ)[1] بلد الطائف.

قوله: (إذن لو قاربت) إشارة إلى أنّ ﴿إِذًا﴾ جزاء لشرط محذوف.

---

[1] ر ن: وح.

﴿لَأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ الدنيا ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾؛ أي: لأذقناك عذابَ الآخرةِ وعذابَ القبرِ مضاعَفَيْن.

فإن قلتَ: كيف حقيقةُ هذا الكلام؟

قلتُ: أصله: لأذقناك عذابَ الحياةِ وعذابَ المماتِ؛ ....

قوله: (فإن قلتَ: كيف حقيقة هذا الكلام؟)[1] المراد بـ"هذا الكلام" هو قوله تعالى: ﴿لَأَذَقْنَٰكَ / ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾، والمراد بـ"حقيقة هذا الكلام" [٨١ظ] هو الكلمات، أي: الكلام الدالّ على المراد مِن هذا الكلام بطريق الحقيقة، وهو قوله: (لأذقناك عذابًا ضِعفًا في الحياة، وعذابًا ضِعفًا[2] في المَمات)،[3] وجعل هذه الحقيقة أصلَ الكلام؛ لأنّه الدالّ على المراد بطريق الحقيقة، ثمّ انتقل منه بحذف الموصوف وحرف الجرّ، ثمّ الإضافةِ إلى هذا الكلام، ثمّ أضاف المصنّف هذه[4] الحقيقة إلى هذا الكلام لهذه الملابسة بينهما، فقال: "حقيقة هذا الكلام"،[5] أي: الحقيقة التي هي أصل هذا الكلام.

والحقيقة: هي الكلمة المستعملة -أو الكلمات المستعملة- فيما وُضعت له أوّلًا. وإنّما ذكرتُ هذا التعريف هنا؛ لأنّ بيان ما ذكرنا موقوف على معرفة معنى الحقيقة.

وقوله: (قلتُ: أصله) أي: أصل الكلام مِن غير النظر إلى إرادة المبالغة بالوصف. ثمّ لمّا أُريدَ المبالغة في الوصف فصار "عذابًا ضعفًا في الحياة". ولو تأمّلت ظهر لك أنّ الأصل ليس ما ذكره؛ بل الأصل: لأذقناك عذابًا في الحياة؛[6] لأنّ المعنى: أنّه يُذيقه عذابًا في حياته، وليس المعنى: أن يُذيقَه عذاب الحياة. ويدلّ على ما ذكرنا قوله: "لأنّ العذاب"... إلخ، فتأمّل.

---

١ ر: الكلام هذا؛ ن – الكلام.

٢ ر ن – في الحياة، وعذابًا ضعفًا.

٣ ن + والمراد بحقيقة هذا الكلام هو الكلمات، أي: الكلام الدالّ على المراد مِن هذا الكلام بطريق الحقيقة، وهو قوله: (لأذقناك عذابًا ضعفًا في الممات).

٤ ر: مده.

٥ ر ن – لهذه الملابَسة بينهما، فقال: "حقيقة هذا الكلام".

٦ ر ن – ولو تأمّلت ظهر لك أنّ الأصل ليس ما ذكره؛ بل الأصل: لأذقناك عذابًا في الحياة.

لأن العذاب عذابان: عذابٌ في الممات وهو عذابُ القبر، وعذاب في الحياة الآخرة وهو عذابُ النار.

والضِّعفُ يوصَفُ به؛ نحوَ قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف ٣٨/٧] بمعنى: مضاعَفًا، فكان أصلُ الكلام: لأذَقْناك عذابًا ضِعفًا في الحياة وعذابًا ضِعفًا في الممات، ثم حُذف الموصوفُ وأُقيمتِ الصفةُ مُقامه وهو الضعفُ، ثم أُضيفتِ الصفةُ إضافةَ الموصوف فقيل: ﴿ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾؛ كما لو قيل: لأذقناك أليمَ الحياةِ وأليمَ الممات.

قوله: (قلتُ: أصله)[١] يعني: أنّ أصل[٢] هذا الكلام -وهو كلام أوساط الناس-: "لأذقناك عذاب الحياة وعذاب المَمات". ثمّ قصد مرتبةً أبلغ مِن ذلك فوصف العذاب بالضِّعف، فصار: "عذابًا ضِعفًا في الحياة، وعذابًا ضِعفًا في المَمات". ثمّ لقصد مرتبة أبلغ حُذف الموصوف وأُقيم الصفة مُقامه إحالة لإرادته على العقل، فصار: "ضِعفًا في الحياة، وضِعفًا في المَمات". ثمّ حُذف "في"[٣] لِقصد مرتبة أبلغَ لزيادة اختصاصه بالإضافة، فصار: "ضعفَ الحياة، وضِعف المَمات".[٤]

قوله: (لأنّ العذاب عذابان)... إلخ لمّا كان العذاب عذابان أُضيفَ العذاب الذي في الحياة إلى الحياة، وأُضيف العذاب الذي في المَمات إلى المَمات.

قوله: (فكان أصل الكلام) أي: فكان[٥] أصل الكلام بعد ما تقدّم هكذا،[٦] يعني في المرتبة الثانية كما كتبنا[٧] مِن الجانب الآخر؛ بل التحقيق هو الذي كتبنا مَبسوطًا.

قوله: (كما لو قيل) أي: كما لو أضيفَ "الأليم" إلى "الحياة" على الوجه الذي ذكر،[٨] وأصله: عذابًا أليمًا في الحياة، وعذابًا أليمًا في المَمات؛[٩] بل أصله أيضًا: عذابَ الحياة وعذابَ المَمات، ثمّ عذابًا أليمًا في الحياة، وعذابًا أليمًا في المَمات.

---

١ ر: أصله.
٢ ن - أصل.
٣ ر ن - في.
٤ ن: المماة.
٥ ر ن: فصار.
٦ ر: هكذى.
٧ ر: ذكرنا.
٨ ر: ذكرنا.
٩ د: المماة.

ويجوزُ أن يراد بضِعْفِ الحياة: عذابُ الحياة الدنيا، وبضعفِ الممات: ما يَعْقُبُ الموتَ من عذابِ القبرِ وعذابِ النار.

والمعنى: لضاعَفْنا لك العذابَ المعجَّل للعُصاةِ في الحياة الدنيا وما نُؤخِّره لِمَا بعدَ الموتِ.

وفي ذكر الكَيْدودةِ وتَقْليلِها مع إتْباعِها الوعيدَ الشديدَ بالعذاب المضاعَفِ في الدارين دليلٌ بيّنٌ على أن القبيحَ يَعظُمُ قُبحُه بمقدارِ عِظَم شأنِ فاعِلِه وارتفاعِ منزلته، ومِن ثَمَّ استَعْظَم مشايخُ العدلِ والتوحيد رضوانُ الله عليهم نسبةَ المجبِرةِ القبائحَ إلى الله تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قوله: (ويجوز أن يُراد) اعلم أنّ أصل الكلام وحقيقته في هذا الوجه كما في الوجه الأوّل، لا تفاوت بينهما إلّا في أنّ المراد بـ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ يختلف في الوجهين.

قوله: (والمعنى: لَضاعَفنا)[١] أي: على الوجه الثاني.

قوله: (وفي ذكر الكَيدودة) ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

قوله: (وتقليلها)[٢] أي: تقليل[٣] الكَيدودة، يعني: في قوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾. ولا يخفى أنّ التقليل[٤] هنا[٥] في الركون؛[٦] لأنّ ﴿شَيْـًٔا﴾ هنا عبارة عن الركون، لكن لمّا لم يكن الركون / هنا مُحقَّقًا؛ بل بطريق الكَيدودة،[٧] قال: "تقليلها". [٨٢و]

قوله: (عِظَم شأن فاعله).

لا يَـخْـقِـرُ الرجـل الرفـيـع دقيـقـةً ... فـي السـهـو فيـهـا لـلـوضـيـع مَـعـاذِرُ
فكـبـائـرُ الـرجـل الـصـغـير صغـائـرٌ ... وصـغـائـرُ الـرجـل الـكـبـير كـبـائـرُ[٨]

قوله: (نِسبةَ المُجبِرة القبائحَ إلى الله تعالى) فإنّ قُبح القبائح منه تعالى يكون أعظم منه مِن غيره. واعلم أنّ أهل السنّة يقولون: لا يَقبُح مِن الله تعالى شيء البتّة،

---

[١] ن: أضاعفنا.
[٢] ر: وتعليلها.
[٣] ر ن: تعليل.
[٤] ر ن: القليل.
[٥] ر ن – هنا.
[٦] ر: الرلون.
[٧] ر: النكدودة؛ ن: الكدودة.
[٨] كذا بغير نسبة في فتوح الغيب للطيبي، ٥٢٠/٤.

وفيه دليلٌ على أن أدنى مُداهنَةٍ للغُواة مضادَّةٌ لله وخروجٌ عن ولايته، وسببٌ موجبٌ لغضبه ونكَاله، فعلى المؤمِنِ إذا تلا هذه الآيةَ أن يَجثوَ عندها ويتدبَّرَها، فهي جديرةٌ بالتدبُّر، وبأنْ يَستشعِرَ الناظرُ فيها الخشيةَ وازديادَ التصلُّب في دين الله.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّها لمَّا نزلت كان يقولُ: «اللهُمَّ لا تكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عينٍ».

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦﴾

﴿وَإِن كَادُواْ﴾: وإن كاد أهلُ مكةَ ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: لَيُزعِجونك بعداوتهم ومَكرهم ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من أرض مكَّة.

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾: لا يَبقَوْن بعد إخراجك ﴿إِلَّا﴾ زمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ فإنَّ الله مُهلِكُهم.

وكان كما قال فقد أُهلكوا ببدرٍ بعد إخراجه بقليل.

وقيل: معناه: ولو أخرجوك لاستُؤصلوا عن بَكْرَةِ أبيهم، ولم يُخرِجوه؛ بل هاجَرَ بأمر ربِّه.

فكلّ شيء يفعل فهو حسنٌ، وإن لم يعلم العباد وجه حُسنه في بعض الصور.

قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ فمَن قرأ ﴿خَلْفَكَ﴾ أو ﴿خِلَٰفَكَ﴾[1] فهو في القراءتين جميعًا على تقدير حذف المضاف، كأنّه قال: لا يَلبثون بعد خروجك.

قوله: (وقيل: معناه) عطفٌ على قوله: (وكان)... إلخ؛ لأنّه إشارة إلى أنّ المراد إخراجُهم له عليه السلام حقيقةً، لا إلجاءهم إلى الخروج، فإنّه ليس بتلك المَثلبة، ولم يُخرِجوه فلم يُسْتَوْصَلوا.

قوله: (عن بَكرة أبيهم) أي: بجمعهم. والبَكْر: الفتيّ مِن الإبل، والأنثى بَكْرة. يقال: «جاءوا على بَكْرة أبيهم» للجماعة إذا جاءوا معًا لم يتخلّف منهم أحد،

---

١ قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وشعبة: ﴿خَلْفَكَ﴾ بفتح الخاء وإسكان اللام من غير ألف، وقرأ باقي العشرة: ﴿خِلَٰفَكَ﴾ بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٨/٢.

وقيل: من أرض العرب.

وقيل: من أرض المدينة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا هاجَرَ حسدَتْه اليهودُ وكرهوا قربَه منهم، فاجتمعوا إليه وقالوا: يا أبا القاسم، إنَّ الأنبياء إنما بُعثوا بالشام وهي بلادٌ مقدَّسةٌ، وكانت مُهاجَرَ إبراهيم عليه السلام، فلو خرجْتَ إلى الشام لآمنَّا بك واتَّبعناك، وقد عَلِمْنا أنه لا يمنعُك من الخروج إلَّا خوفُ الرُّوم، فإنْ كنتَ رسولَ الله فاللهُ مانعُك منهم، فعَسكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميالٍ من المدينة -وقيل: بذي الحُليفة- حتى يجتمعَ إليه أصحابُه ويراه الناسُ عازمًا على الخروج إلى الشام؛ لحرصه على دخول الناس في دين الله، فنزلت فرجعَ.

وقرئ: "لا يُلَبَّثون"، ....

وليس هنا بَكْرة في الحقيقة.[١] وأصل هذا المثل: أنّه كان لرجل عشرةُ بنين، فخرجوا يصطادون، فوقعوا في أرض العدوّ فقتلوهم، وجعلوا رءوسهم في مِخْلاة، وعلّقوها عن عُنُق بَكْرةٍ، وأرسلوا البَكْرة، فجاء البَكْرة بعد ما ذهب بعض الليل، فلمّا جاء البَكْرة خرج أبوهم وجعل يده في المِخْلاة، فظنّ أنّ الرءُوس بَيضَ نعامة، فقال: صادَ بَنِيّ بيضَ النعامة، فلمّا وضح الأمر قال الناس: جاء بنوه على بَكْرةِ أبيهم. ثمّ صار مَثلًا.[٢]

قوله: (فعَسْكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[٣] يقال: عَسْكَرَ الرجل فهو مُعَسْكِر، والموضع[٤] مُعَسْكَر.

قوله: (بذي الحُلَيفة)[٥] ميقات[٦] أهل المدينة في الحجّ.

قوله: (وقُرئ: "لَا يُلَبَّثُونَ") شاذّ.[٧]

---

[١] الصحاح للجوهري، «بكر».
[٢] انظر: فتوح الغيب للطيبي، ١٦/٤٣٣؛ ومجمع الأمثال للميداني، ١/١٧٦.
[٣] د: عليه السلام.
[٤] ر ن: والموضوع.
[٥] ن: الخليفة.
[٦] ر: متفاوت.
[٧] قراءة شاذّة، مرويّة عن عطاء بن أبي رباح. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٣٨.

وفي قراءة أبيّ: "لا يَلْبَثوا" على إعمالِ "إذَن".

فإن قلتَ: ما وجهُ القراءتين؟

قلتُ: أمّا الشائعةُ فقد عُطف فيها الفعلُ على الفعل، وهو مرفوعٌ لوقوعه خبرَ "كاد"، والفعلُ في خبرِ "كاد" واقعٌ موقعَ الاسم، وأما قراءةُ أبيّ ففيها الجملةُ برأسها التي هي "إذَنْ لا يَلْبَثوا" عطفٌ على جملةِ قولِه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾.

وقرئ: ﴿خِلَٰفَكَ﴾ قال:

قوله: (وفي قراءة أُبيّ: "لَا يَلْبَثُوا")[١] شاذّ.[٢]

قوله: (فإن قلتَ: ما وجه القراءتين؟) أي: القراءة بإثبات النون وحذفها.[٣]

قوله: (قلتُ: أمّا الشائعة) بفتح الياء[٤] وإثبات النون، وهو مِن السبعة. وأمّا القراءة بضمّ[٥] الياء وتشديد الباء وإثبات النون[٦] فشاذّة، لكن وجهه[٧] كما ذكره في الأولى، وسمّاها المصنّف شائعة[٨] مع أنّ الأُولى مِن السبعة[٩] والثانية شاذّة. والحاصل أنّه أراد بالشائعة القراءة بإثبات النون.

قوله: (واقع موقع الاسم) وإذا كان واقعًا موقع[١٠] الاسم يكون مرفوعًا، فلا يعمل فيه ﴿إِذًا﴾. وتحقيقه أنّه إذا كان عطفًا على خبر "كاد" يكون قد اعتمد ما بعد ﴿إِذًا﴾ على ما قبلها فلا يعمل، وأمّا في قراءة أُبيّ فلم[١١] يعتمد ما بعدها على ما قبلها فعَمِل.

قوله: (وقُرئ: ﴿خِلَٰفَكَ﴾) في السبعة.

---

١ ر: يلبثون.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ رضي الله عنه. انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٨٠.
٣ ر: وخذفها.
٤ ر ن: الباء.
٥ ن: بالضمّ.
٦ ر – وهو مِن السبعة، وأمّا القراءة بضمّ الياء وتشديد الباء وإثبات النون.
٧ ر ن: وجه.
٨ ن: سائعة.
٩ ر: الشيعة.
١٠ ر: فوقع.
١١ ر: علم.

عَـفَـتِ الـدِّيـارُ خـلافَـهـم فـكأنـمـا   بَـسَـط الـشـواطِـبُ بـيـنـهـنَّ حَـصيـرًا

أي: بعدَهم.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝٧٧﴾

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يعني: أن كلَّ قومٍ أخرجوا رسولَهم من بين ظَهْرانَيْهم فسنَّةُ الله أن يُهلكَهم، ونُصبَتْ نصبَ المصدر المؤكِّد؛ أي: سَنَّ اللهُ ذلك سنَّةً.

﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾

"دَلكَتِ الشمس": غرَبت، وقيل: زالت، ورُوِي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريلُ عليه السلام لدُلوك الشمس حين زالت الشمسُ فصلَّى بي الظهر».

واشتقاقُه من الدَّلْك؛ ....

قوله:

(عَـفَـتْ[1] الـديـار)... الـبـيـتَ[2]

شَطَبَت[3] المرأةُ الجريدَ شَطْبًا؛ إذا شَقَّقَتْه لتَعمل منه الحُصْرَ.[4] يصف دُروسَ ديار الأحباب / بعدهم، وأنّها غير مَكنوسةٍ كأنّما بُسِط فيها سَعَفُ النخل. [٨٢ظ]

قوله: (أي: سنَّ الله ذلك) سنّه ذلك إشارة إلى مفهوم قوله: ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾، وهو عبارة عن الإهلاك. والمعنى: سَنَّ الله إهلاكَ كلّ قوم أخرجوا رسولَهم مِن بينهم سنّة. ولمّا كان للسنّة ملابَسة مع الرسل المُخرَجة كما ذكرنا أُضيفت إليهم، فقيل: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾.

---

[1] ر ن: عقيب.

[2] للحارث بن خالد المخزومي في العين للخليل، «خلف»، ٤/٢٦٦، بلفظ:
خَلَت الـديـار خـلافَـهـم... البيتَ
وله كذلك في لسان العرب لابن منظور، «خلف»، بلفظ:
عَـقَـبَ الرَّبـيـعُ خِـلافَـهـم... البيتَ

[3] ر ن: شطب.

[4] الصحاح للجوهري، «شطب».

لأن الإنسان يَدْلُكُ عَينَه عند النظر إليها، فإن كان الدلوكُ الزوالَ فالآيةُ جامعةٌ للصلوات الخمس، وإن كان الغروبَ فقد خرجت منها الظهرُ والعصر.

والغَسَقُ: الظُّلمةُ، وهو وقتُ صلاة العشاء.

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاةَ الفجر، سُمِّيت قرآنًا -وهو القراءةُ- لأنها ركنٌ؛ كما سمِّيت ركوعًا وسجودًا وقنوتًا، وهي حُجَّةٌ على ابن عُليَّةَ والأصمِّ في زعمهما أن القراءةَ ليست بركنٍ.

﴿مَشْهُودًا﴾: يشهدُه ملائكةُ الليلِ والنهار، ينزل هؤلاء ويَصعدُ هؤلاء، فهو في آخِرِ ديوان الليلِ وأوَّلِ ديوان النهار، أو: يَشهَدُه الكثيرُ من المصلِّين في العادة، أو: من حقِّه أن يكون مشهودًا بالجماعة الكثيرة.

ويجوز أن يكون ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ حَثًّا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورًا عليها؛ ليسمعَ الناسُ القرآنَ فيكثُرَ الثوابُ، ولذلك كانت الفجرُ أطولَ الصلوات قراءةً.

قوله: (لأنّ الإنسان يَدلُك) يعني: عند[1] القرب مِن الزوال. وهذا بيان أنّ "الدُّلوك" بمعنى الزوال.

قوله: (وقنوتًا) أي: قيامًا.

قوله: (ابن[2] عُليَّة) صحّ "عُلَيّة" بضمّ العين وتشديد الياء على لفظ تَصْغير "العَلاة".

قوله: (في زُعمهما) الزُّعم: بالاعتقاد، والزَّعم: باللسان.

قوله: (فهو في آخر ديوان الليل)؛ لأنّه يكتبه ملائكة الليل. وقوله: (وأوّل ديوان النهار)؛ لأنّه يكتبه ملائكة النهار.

قوله: (لكونها) متعلّق بقوله: (حثًّا)، أي: إنّما حثّ على طول القراءة فيها؛ لأنّ الناس يَكثرون فيها. وقوله: (ليسمع) تعليل[3] للحثّ المُعلَّل بالكثرة. وقوله: (مَكثورًا) أي: يُكثَر عليها. و"المَكثور" ذمّ،[4] وهو المَغلوب، مِن قولهم:

---

[1] ر ن: عن.
[2] ر: بن.
[3] ن: تعلل.
[4] ن: دم.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾: وعليك بعضَ الليل ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ والتهجُّدُ: تركُ الهجود للصلاة، ونحوُه: التأثُّمُ والتحرُّجُ، ويقال أيضًا في النوم: تهجُّدٌ.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: عبادةً زائدةً لك على الصلوات الخمس، وُضع ﴿نَافِلَةً﴾ موضعَ "تَهجُّدًا"؛ لأن التهجُّدَ عبادةٌ زائدةٌ، فكان التهجُّدُ والنافلةُ يجمعُهما معنًى واحدٌ، والمعنى: أن التهجُّد زِيدَ لك على الصلوات المفروضةِ فريضةً عليك خاصَّةً دون غيرِك؛ لأنه تطوُّعٌ لهم.

﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ نصبٌ على الظرف؛ أي: عسى أن يبعثَكَ يومَ القيامة فيُقيمَكَ مقامًا محمودًا، أو ضُمِّن ﴿يَبْعَثَكَ﴾ معنى "يُقيمَك"، ويجوز أن يكون حالًا بمعنى: أن يَبعثك ذا مقامٍ محمودٍ.

كاثَرتُه[١] فكثَرتُه، و"المَكثور عليه" مَدح، أي: يزدحم.[٢] بخطِّ أبي حنيفة رحمه الله.

قوله: (وعليك بعضَ[٣] الليل) فـ"مِن" في ﴿مِنَ ٱلَّيْلِ﴾ للتبعيض، وهو مفعول به عامِلُه محذوف، وهو "عليك" بمعنى: الزَم، أي: الزَمْ بعضَ الليل فاترك[٤] فيه النوم للصلاة. والتفعّل قد يكون للتجنُّب.

قوله: (التأثّم) أي: الإثم.

قوله: (والتحرّج) ترك الحرَج.

قوله: (يَجمعهما معنًى واحد) وهو الزيادة، فلمّا جمعهما معنى الزيادة وضع أحدهما موضع الآخر.

قوله: (فيقيمك مقامًا محمودًا) على هذا يكون ناصبُه محذوفًا، وإنّما قدّر كذلك؛ لأنّ البعث لا يكون في المقام المحمود؛ بل بعد أن يبعثه[٥] الله يُقيمه في المقام المحمود.

---

[١] ر: كاثربه.
[٢] ر ن: يردحم.
[٣] ن: بغص.
[٤] ر: فانزل.
[٥] وفي هامش د: نبيّ.

ومعنى المقامِ المحمودِ: المقامُ الذي يحمَدُه القائم فيه وكلُّ مَن رآه وعَرَفه، وهو مطلَقٌ في كلِّ ما يَجلبُ الحمدَ من أنواع الكرامات.

وقيل: المراد الشفاعةُ، وهي نوعٌ واحدٌ مما يتناوله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مقامًا يحمدُكَ فيه الأولون والآخِرون، وتُشرَّفُ فيه على جميع الخلائق: تَسأل فتُعطَى، وتَشفعُ فتُشَفَّعُ، ليس أحدٌ إلَّا تحت لوائك.

وعن أبي هريرةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «هو المقامُ الذي أشفعُ فيه لأمَّتي».

وعن حذيفةَ: يُجمع الناسُ في صعيدٍ واحد فلا تتكلَّم نفسٌ [إلا بإذنه]، فأوَّلُ مَدْعُوٍّ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، فيقول: «لبيك وسعديك، والشرُّ ليس إليك، والمَهديُّ مَن هَدَيتَ، وعبدُك بين يديك، ....

قوله: (وهي نوع واحد) أي: الشفاعة[1] نوع ممّا يتناوله المقام المحمود.

قوله: (وعن ابن[2] عبّاس رضي الله عنه)[3] عطفٌ على قوله: (ومعنى المقام المحمود)... إلخ مِن حيث المعنى. وعلى هذا يكون المعنى: محمودًا صاحبُه، أو[4] القائم فيه.

قوله: (فتُشَفَّع)[5] التشفيع: قَبول الشفاعة.[6] فمعنى "تُشَفَّع":[7] تُقبَلُ[8] شفاعتُك.

قوله: (في[9] صَعيد) الصَّعيد: وجه الأرض.

قوله: (والشرُّ ليس إليك)... إلخ[10] أي: الشرُّ كالكفر والمعاصي لا يُوصِل إلى ثوابك ورضاك، وإنّما يوصِل إليهما الطاعة والإيمان. وقوله: (بين يديك)

---

[1] ن: الشافعة.
[2] ر: بن.
[3] د - رضي الله عنه.
[4] ر: أي.
[5] ر: فيشفع.
[6] ن: الشافعة.
[7] ر: يشفع.
[8] ر: يقبل.
[9] ر: ففي.
[10] انظر: السنن الكبرى للنسائي، ١٠/١٥٣ (١١٢٣٠)؛ والمستدرك للحاكم، ٢/٣٩٥ (٣٣٨٤).

وبك وإليك، لا مَلْجأ ولا مَنْجَى منك إلا إليك، تبارَكْتَ وتعالَيْتَ، سبحانك ربَّ البيت» قال: فهذا قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۝٨٠﴾

قرئ ﴿مُدۡخَلَ... مُخۡرَجَ﴾ بالضَّمِّ والفتح بمعنى المصدر، ومعنى الفتح: أَدْخِلْني فأَدْخُلَ مَدْخلَ صدقٍ.

أي: ﴿أَدۡخِلۡنِي﴾ القبرَ ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾: إدخالًا مرضيًّا على طهارةٍ وطِيبٍ من السيِّئات، ﴿وَأَخۡرِجۡنِي﴾ منه عند البعث إخراجًا مرضيًّا مُلَقًّى بالكرامة آمنًا من السَّخَط، يدلُّ عليه ذكرُه على أثَر ذكر البعث.

أي: واقف بين يديك، مُمتثِل[١] أمرَك وطاعتَك، منتظر لِما يَرِد عليه مِن أوامرِك ونواهيك ليَمْتثله.[٢] وقوله: (وبك) أي: عبدُك حصَلَ ووُجِد[٣] بإيجادك[٤] وخلقك، وهو ينتهي ويرجع إليك، نحو: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون". (لا مَلجأَ ولا مَنجا) مِن عذابك إلّا بالفِرار[٥] إليك والتوجّهِ إلى طاعتك. وقيل: معنى قوله: "الشرّ ليس إليك": الشرّ لا يُنسَب إليك، فلا يقال: خالق الشرّ -وإن كان خالقًا للخير والشرّ- رعايةً للأدب،[٦] [٨٣و] كما لا يقال: خالق[٧] القِردة[٨] والخنازير، / وإن كان خالقًا لجميع الأشياء؛ بل يقال: خالِق السماوات والأرضين،[٩] والجِنّ والإنس، والخيرات والمُبَرّات.

قوله: (بالضمّ والفتح) الضمّ مِن السبعة، والفتح مِن الشواذّ.[١٠]

قوله تعالى: ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ الصِّدق[١١] بمعنى: الصلاح والجَودة، ونقيضُه:[١٢] السُّوء، بمعنى الرَّداءة والفساد.

---

١ ر ن: ممثل.
٢ ر: لتمثيله.
٣ ن: ووحد.
٤ ن: بإيحادك.
٥ ر ن: بالقرار.
٦ ر ن: الأدب.
٧ ر ن - خالق.
٨ ن: القدرة.
٩ ر ن: والأرض.
١٠ "مَدْخَلَ" و"مَخْرَجَ" بالفتح قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن أبي عبلة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٨٣.
١١ ر ن: الصدر.
١٢ ر: ونفيضه.

وقيل: نزلت حين أُمِر بالهجرة، يريد: إدخالَ المدينة والإخراجَ من مكَّة.

وقيل: إدخالَه مكة ظاهرًا عليها بالفتح، وإخراجَه منها آمنًا من المشركين.

وقيل: إدخالَه الغارَ وإخراجَه منه سالمًا.

وقيل: إدخالَه فيما حُمِّله من عظيم الأمر وهو النبوَّةُ، وإخراجَه منه مؤدِّيًا لِمَا كُلِّفه من غير تفريطٍ.

وقيل: الطاعة.

وقيل: هو عامٌّ في كلِّ ما يدخلُ فيه ويُلابِسُه من أَمْرٍ ومكان.

﴿سُلْطَانًا﴾: حجةً تنصُرني على مَن خالفني، أو: مُلكًا وعزًّا قويًّا ناصرًا للإسلام على الكفر مُظهِرًا له عليه، فأُجيبت دعوتُه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة ٦٧/٥] ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة ٥٦/٥] ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة ٣٣/٩] ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور ٥٥/٢٤]، ووَعَده لَيَنزِعنَّ مُلكَ فارسَ والرُّوم فيجعلَه له.

وعنه صلى الله عليه وسلم: أنه استَعْملَ عَتَّابَ بن أَسِيدٍ على أهل مكَّة، وقال: «انطلِقْ فقد استعملتُك على أهل الله» فكان شديدًا على المُريب ليِّنًا على المؤمن،

قوله: (ظاهرًا) أي: غالبًا.

قوله: (بالفتح) أي: فتح مكَّة.

قوله: (على أهل الله) أي: أهل بيت الله.

قوله: (على المُرِيب)[1] أي: على الذين يَشكُّون في الدين.[2] مِن رابَه الدهر، وأرابَه، أي: أقلَقَه؛[3] لأنَّ الشاكَّ مضطرب، ولذلك قال في مقابلته: ليِّنًا على المؤمن، فهو مثل قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح ٢٩/٤٨].

---

[1] ر ن: المرتب.

[2] ن: الذين.

[3] ن: أفلقه.

وقال: لا واللهِ لا أعلمُ متخلِّفًا يتخلَّف عن الصلاة في جماعةٍ إلا ضربتُ عُنقَه، فإنه لا يتخلَّف عن الصلاة إلّا منافقٌ، فقال أهل مكّةَ: يا رسول الله، لقد استعملتَ على أهل الله عَتَّابَ بن أَسِيدٍ أعرابيًا جافيًا! فقال صلى الله عليه وسلم: «إني رأيتُ فيما يَرى النائمُ كأنَّ عتَّابَ بنَ أَسيدٍ أَتى بابَ الجنَّة فأخذ بحَلْقةِ الباب فقَلْقلها قِلقالًا شديدًا حتى فُتح له فدخلها، فأعزَّ اللهُ به الإسلام لنُصرته المسلمين على مَن يُريد ظلمَهم، فذلك السلطانُ النصير».

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

قوله: (وقال) أي: عَتّاب. وقوله: (لا والله) "لا" لنفي[1] ما دلّ عليه الحال عند تكلّمه بهذا الكلام، فكأنّه قال: لا أترك المتخلّفين[2] عن الصلاة، ثمّ قال: "لا والله"... إلخ تحقيقًا لذلك.

قوله: (على أهل الله) أي: جيران[3] بيته،[4] وهم قريش.

قوله: (جافيًا)[5] أي: غليظًا بعيدًا عن الرِّفق والمواساة، مِن جَفَا[6] جَنبُه[7] عن الفِراش، أي: نَبَا وارتفع. وجافى عضُدَيه عن جَنبَيه،[8] أي: باعدَهما[9] عن جَنبَيه.[10] والجَفاء غالب على أهل البدو،[11] وهو الغِلظة في العِشرة، والخُرْق[12] في المعاملة، وترك الرِّفْق.

قوله: («فدخلها»)[13] قوله صلّى الله عليه وسلّم:[14] "فدَخَلَها" آخرُ الرؤيا، وما بعده تأويل الرؤيا.

---

[1] ر: لاكتفى.
[2] ر: المحلفين.
[3] ر: حيران؛ ن: خيران.
[4] ر: بيبه.
[5] ر ن: حافيًا.
[6] ر: حبا؛ ن: جنا.
[7] ر ن: بيبه.
[8] ر ن – عن الفراش، أي: نَبَا وارتفع، وجافى عضُدَيه عن جَنبَيه.
[9] ر + أي: باعدهما.
[10] ر: جنبيه.
[11] ن: ن: البلد.
[12] ر ن: والحرق.
[13] انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٤٥٦/١٦ (الإسراء، ٨٠/١٧).
[14] د: عليه السلام.

كان حول البيتِ ثلاثُ مئةٍ وستُّون صنمًا، صَنَمُ كلِّ قومٍ بحِيالهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت لقبائلِ العرب يَحجُّون إليها ويَنحرون لها، فَشَكا البيتُ إلى الله فقال: أَيْ ربِّ، حتى متى تُعبَدُ هذه الأصنامُ حَوْلِي دونك؟ فأوحى الله إلى البيت: إنِّي سأُحدِثُ لك نوبةً جديدةً فأملؤك خدودًا سُجَّدًا يَدِفُّون إليك دَفِيفَ النُّسور، ويحنُّون إليك حنينَ الطير إلى بيضها، لهم عجيجٌ حولك بالتلبية.

ولما نزلت هذه الآيةُ يومَ الفتح قال جبريلُ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم: خُذ مِخْصَرَتكَ ....

قوله: (بحِيالهم)[١] قال في المُغرب: «حِياله، أي: قُبالَته. وأعطى كلَّ واحد[٢] على حِياله، أي: بانفراده».[٣]

قوله: (كانت) أي: الأصنام.

قوله: (يَدِفُّون إليك دَفيفَ النُّسور)[٤] الدَّفيف: الدَّبيب؛[٥] وهو السير[٦] اللّيِّن، ودَفيف الطائر: مَرُّهُ[٧] فوَيقَ[٨] الأرض. يقال: عُقاب دَفوف؛ للذي يدنو[٩] مِن الأرض في طيرانه.[١٠]

قوله: (عَجيج)[١١] أي: صِياحٌ، العَجُّ: رفع الصوت، وقد عَجَّ يَعُجُّ عَجيجًا.[١٢]

قوله: (يومَ الفتح) بدل مِن (لمّا نزلت).

قوله: (مِخصَرتك)[١٣] أي: عصاك، المِخصَرة[١٤] كالسَّوط، وكلُّ ما اختصر[١٥] الإنسان بيده فأمسكه مِن عصا[١٦] ونحوها.[١٧]

---

[١] ر ن: بخيالهم.
[٢] ر ن: واحدة.
[٣] المُغرب للمطرّزي، «حيل».
[٤] ر ن – النسور.
[٥] ر: الذبيب.
[٦] ر: الستر.
[٧] ر ن: مرّة.
[٨] ر: فويق.
[٩] ن: يدنوا.
[١٠] الصحاح للجوهري، «دفف».
[١١] ر: عجيح.
[١٢] ر: عجيحًا. | الصحاح للجوهري، «عجج».
[١٣] ر ن: محصرتك.
[١٤] ر: المخضرة؛ ن: المحصرة.
[١٥] ر ن: احتصر.
[١٦] ن: عصاء.
[١٧] الصحاح للجوهري، «خصر».

ثم أَلْقِها، فجعَل يأتي صنمًا صنمًا وهو يَنكتُ بالمِخْصَرة في عينه ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فينكبُّ الصَّنم لوجهه، حتى ألقَاها جميعًا وبقي صنمُ خُزاعةَ فوق الكعبة، وكان من قواريرَ صُفْرٍ فقال: «يا عليُّ، اِرْمِ به» فحملَه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِدَ فرمى به فكسَرَه، فجعل أهلُ مكَّة يتعجَّبون ويقولون: "ما رأينا رجلًا أسحَرَ من محمد"!

وشكايةُ البيت والوحي إليه: تمثيلٌ وتخييلٌ.

﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: ذَهَبَ وهلك، من قولهم: "زَهَقَتْ نَفْسُه": إذا خرجَت، و﴿ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام، و﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: الشرك.

﴿كَانَ زَهُوقًا﴾: كان مُضمحِلًّا غيرَ ثابتٍ في كلِّ وقتٍ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَنُنَزِّلُ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد.

﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتبيين كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج ٢٢/٣٠] أو للتبعيض؛

قوله: (ثمّ أَلْقِها) أي: الأصنام.

قوله: (صُفْر)[١] جمع: أصفر.

قوله: (مُضمحِلًّا) اضمَحَلّ[٢] الشيء وامضَحَلّ؛[٣] إذا ذهَبَ.[٤] وقوله: (غير ثابت في كلّ وقت)؛ لأنّ الحُجج[٥] دالّة[٦] على بطلانه دائمًا، والأدلّة قائمة بفساده أبدًا، وهو الزُّهوق والاضمِحلال[٧] الكلّي.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ "مِن"[٨] للتبيين) إلّا أنّ البيان قدّم على المُبَيَّن للأهميّة.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾) ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج ٢٢/٣٠].

---

[١] ر ن: صفرة.
[٢] ر: اصمحل.
[٣] ر: واصمحل؛ ن: واضمحل.
[٤] الصحاح للجوهري، «ضحل».
[٥] ر ن: الحج.
[٦] ن + دالّة.
[٧] ر: والاصمحلال.
[٨] ر ن: ومن.

أي: كلُّ شيءٍ نزل من القرآنِ فهو شفاءٌ للمؤمنين يزدادون به إيمانًا ويَستصلِحون به دِينَهم، فمَوْقِعُه منهم موقعُ الشفاء من المرضَى.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن لم يَسْتَشْفِ بالقرآن فلا شَفَاهُ الله».

قوله: (أي: كلّ شيء) يجوز أن يكون متعلّقًا بالوجهين، ويجوز أن يكون متعلّقًا بالوجه الثاني؛ لأنّ المعنى على الوجه الأوّل ظاهر، وهو أنّ المعنى: ونُنزِّل ما هو شفاء الذي هو القرآن، فأراد أن يُبيّن أنّ المعنى على الوجه الثاني أيضًا مثله، أي: نُنَزِّل ما هو شفاء كائنًا بعض القرآن. والتنزيل يكون متعلّقًا بالبعض الذي يُنزَّل كلَّ مرّة مِن[1] مرّات النزول، فيكون كلُّ ما يُنزَّل في كلّ مرّة مِن المرّات شفاء، فيكون المعنى: إنّ كلّ شيء نزل[2] مِن القرآن فهو شفاء،[3] كما هو المعنيّ في الوجه الأوّل.

[٨٣ظ] قوله: (يزدادون)... إلخ يجوز أن يكون[4] صفة كاشفة / لقوله: (شفاء)، ويجوز أن يكون جملة مبيِّنةً لقوله: (فهو شفاء)، ويؤيّده "فموقعه"... إلخ.

قوله: (فموقعه منهم) "مِن" في "منهم" للابتداء، وكذا في "مِن[5] المرضى"[6] وهو في محلّ الحال، أي: فموقع القرآن مبتدَئًا مِن المؤمنين مَوقع الشفاء[7] مبتدَئًا مِن المرضى. وينبغي أن يكون الموقع بمعنى المصدر، لا اسمِ المكان؛ لأنّه لا يعمل.

قوله: (وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[8] «مَن لم يَسْتَشْفِ»)[9] أي: مَن لم يطلب ازدياد الإيمان واستصلاح الدين بالقرآن وما يستند إليه -كالسنّة والإجماع- فأضلّه[10] الله، فهو كقوله عليه السلام في موضع آخر: «مَن يطلب الهُدى

---

١ ن – مرّة من.
٢ ر: ينزل؛ ن: ننزل.
٣ وفي هامش د: فيكون جميع القرآن شفاءً.
٤ ر: يلون.
٥ ر ن: فيمن.
٦ ر: المضي.
٧ ر: الشقاء.
٨ د: عليه السلام.
٩ ن + بالقرآن. | الكشف والبيان للثعلبي، ٤٦٠/١٦ (الإسراء، ٨٢/١٧).
١٠ ن: فأصله.

ولا يزدادُ به الكافرون ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي: نقصانًا؛ لتكذيبهم به وكفرهم؛ كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة ٩/١٢٥].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالصِّحة والسَّعةِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكرِ الله كأنه مستَغْنٍ عنه مُستبدٌّ بنفسه.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ تأكيدٌ للإعراض؛ لأن الإعراضَ عن الشيء أن يُوَلِّيَه عُرضَ وجهه، والنَّأيَ بالجانب: أن يَلويَ عنه عِطفَه ويُوَلِّيَه ظهرَه.

أو أرادَ الاستكبارَ؛ لأن ذلك من عادة المستكبرين.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ من فقرٍ أو مرضٍ أو نازلةٍ من النوازل ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: شديدَ اليأس من رَوح الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف ١٢/٨٧].

بغيره أضلَّه الله».[١] وأمّا الإتيان بـ"الفاء" ههنا وتركه في موضع آخر فلإرادة الدعاء،[٢] أو الإخبار.[٣]

قوله: (أي: نقصانًا) فسّر المصنّف "الخَسارة"[٤] بالنقصان؛ لأنّ الخُسران النقصانُ في رأس المال، كما أنّ الربح[٥] زيادةٌ في رأس المال.

قوله: (أن يُولِّيه[٦] عُرضَ) أي: يجعل إلى ما يلي صاحبه جانبَ وجهه. والعُرضُ: الجانب.

قوله: (أو أراد الاستكبار) عطفٌ على قوله: (أعرض عن ذكر الله)... إلخ، فالمراد بالوجه الأوّل: تركُ الطاعة. وبالوجه الثاني: الاستكبار.[٧]

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف ١٢/٨٧]) استشهد بهذه الآية

---

[١] سنن الترمذي، ٥/٢٢ (٢٩٠٦)، بلفظ: «ومَن ابتغى الهدى في غَيره أضلّه الله».

[٢] ن: الداء.

[٣] ر: والأخيار؛ ن: والإخبار.

[٤] ن: المسارة.

[٥] ر: الريح.

[٦] ر: تولية.

[٧] ن: الاستكثار.

وقرئ: ﴿وناءَ بجانِبِه﴾ بتقديم اللام على العين؛ كقولهم: "راءٍ" في "رأى". ويجوز أن يكون من "ناءَ" بمعنى: نَهَضَ.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿قُلْ﴾ كلُّ أحدٍ ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ أي: على مذهبه وطريقته التي تُشاكِلُ حالَه في الهُدى والضلالةِ، من قولهم: "طريقٌ ذو شواكلَ" وهي الطرقُ التي تتشعَّب منه، والدليلُ عليه قولُه: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾؛ أي: أسَدُّ مذهبًا وطريقةً.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

الأكثرُ على أنه الروحُ الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته فأَخبر أنه مِن أمر الله؛ أي: مما استَأْثَر بعلمه.

وعن ابن بُريدةَ: لقد مضَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم وما يَعلمُ الرُّوحَ.

وقيل: هو خَلْقٌ عظيمٌ روحانيٌّ أعظمُ من المَلَكِ.

وقيل: جبريل عليه السلام، وقيل: القرآن.

و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: من وَحْيِهِ وكلامه ليس من كلام البشر، ....

على أنَّ المراد باليأسِ اليأسُ مِن رَوح الله، وعلى أنَّ اليأس[١] أمر مذموم، فلذا ذمّه في هذه الآية بقوله: ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾.

قوله: (ممّا استأثر) استأثر[٢] بالشيء: استبدَّ به وتفرَّد.[٣]

قوله: (وعن ابن[٤] بُريدةَ) أي: الأسلمي مِن الأنصار.

قوله: (و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[٥] أي: مِن وَحيه) أي: على هذا الوجه.

---

١ ن: البأس.

٢ ر ن – استأثر.

٣ ن: ونفرد.

٤ ن: بن.

٥ ن: ربي.

بَعثت اليهودُ إلى قريشٍ: أن سَلُوه عن أصحابِ الكهف وعن ذي القَرنين وعن الرُّوح، فإن أجاب عنها أو سكتَ فليس بنبيّ، وإن أجاب عن بعضٍ وسكتَ عن بعضٍ فهو نبيٌّ، فبيَّن لهم القصَّتينِ وأَبهَمَ أمر الروح وهو مبهمٌ في التوراة، فندموا على سؤالهم.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ الخطابُ عامٌّ، وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قال لهم ذلك قالوا: أَنحن مُختصُّون بهذا الخطاب أم أنتَ مَعَنا فيه؟ فقال: «بل نحن وأنتم لم نؤتَ من العلم إلّا قليلًا»، فقالوا: ما أعجبَ شأنك، ساعةً تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة ٢/٢٦٩]، وساعةً تقول هذا! فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان ٣١/٢٧].

وليس ما قالوه بلازمٍ؛ لأن القلَّة والكثرةَ تدوران مع الإضافةِ، فيُوصَفُ الشيء بالقلَّة مضافًا إلى ما فوقَه وبالكثرةِ مضافًا إلى ما تحته، فالحكمةُ التي أوتِيَها العبدُ خيرٌ كثيرٌ في نفسها إلّا أنها إذا أُضيفت إلى علم الله فهي قليلة.

وقيل: هو خطابٌ لليهود خاصَّةً؛ لأنهم قالوا للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: قد أوتينا التوراة وفيها الحكمةُ، وقد تلَوْتَ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة ٢/٢٦٩] فقيل لهم: إن علم التوراة قليلٌ في جنب علم الله.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ مع نيابته عن جزاء الشرط، واللامُ الداخلةُ

قوله: (بَعَثتِ اليهود) إشارة إلى سبب النزول.

قوله: (فإن أجاب عنها) ممّا بَعثَت به اليهود، أي: قائلين: فإن أجاب.

قوله: (وليس ما قالوه)[1] ابتداء كلام مِن المصنّف لردّ قول اليهود، أي: لا يَرِد ما قالوه[2] اعتراضًا.

---

[1] ن: قالوا.

[2] ن: قالوا.

على "إنْ" موطِّئةٌ للقسَم، والمعنى: إن شئنا ذهَبْنا بالقرآن ومَحوناهُ عن الصدور والمصاحف فلمْ نترك له أثرًا وبقيتَ كما كُنتَ لا تدري ما الكتابُ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾ بعد الذهاب به مَن يتوكَّل علينا باسترداده وإعادتهِ محفوظًا مسطورًا ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: إلَّا أن يرحمك ربُّك فيردَّهُ عليك، كأنَّ رحمتَه تتوكَّل عليه بالرَّد، أو يكون على الاستثناء المنقطِع بمعنى: ولكنَّ رحمةً من ربِّك تركتْه غيرَ مذهوبٍ به، وهذا امتنانٌ من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظًا بعد المنَّة العظيمة في تنزيله وتحفيظه، فعلى كلِّ ذي علمٍ أن لا يَغفُلَ عن هاتين المنَّتين والقيامِ بشكرِهما وهما: منَّةُ الله عليه بحفظ العلم ورُسُوخه في صدره، ومنَّتُه عليه في بقاء المحفوظ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: إن أوَّلَ ما تَفقِدون من دينكم الأمانةُ، وآخِرَ ما تفقدون الصلاةُ، وليصلِّينَّ قومٌ ولا دينَ لهم، وإن هذا القرآن تُصبحون يومًا وما فيكم منه شيءٌ، فقال رجلٌ: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نُعلِّمه أبناءنا ويُعلِّمُه أبناؤُنا أبناءَهم؟! فقال: يُسْرَى عليه ليلًا فيُصبحُ الناسُ منه فقراءَ، ....

قوله: (كأنَّ رحمته تتوكَّل)[١] إشارة إلى أنَّ الاستثناء متَّصل، وإذا جُعل الاستثناء متَّصلًا كان ظاهر المعنى أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم[٢] يجد الرحمة حينئذٍ وكيلًا يتوكَّل عليه بردِّ ما ذهب به، لكنَّ المراد أنَّ الله تعالى يرحمه فيَرِد عليه، فلذلك قال: (إلَّا أن يرحمك)، ثمَّ قال: "كأنَّ[٣] رحمته تتوكَّل".[٤]

قوله: (أو يكون[٥] على الاستثناء) وعلى الأوَّل كان متَّصلًا مِن قوله: ﴿وَكِيلًا﴾، فقوله: "أو يكون"[٦] عطفٌ على قوله: "إلَّا أن يَرحمَك" مِن حيث المعنى، وإذا كان الاستثناء[٧] منقطعًا كان ﴿إِلَّا﴾ بمعنى "لكنَّ"، واسمه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، وخبره محذوف كما أشار إليه.

---

١ ر ن: يتوكّل.
٢ د: عليه السلام.
٣ ر ن - كأنّ.
٤ ر ن: يتوكّل.
٥ وفي هامش د: كلام.
٦ ر ن + كلام.
٧ ن: الأشياء.

تُرفَع المصاحفُ ويُنزَع ما في القلوب.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿لَا يَأْتُونَ﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، ولولا اللامُ الموطِّئةُ لجاز أن يكون جوابًا للشرط؛ كقوله:

يـقـولُ لا غـائـبٌ مـالـي ولا حَـــرِمُ

لأن الشرط وقع ماضيًا؛ أي: لو تظاهروا على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآن في بلاغته وحُسن نَظْمِه وتأليفِه وفيهم العربُ العارِبةُ أربابُ البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله.

قوله: (تُرْفَعُ المصاحِف) المراد بـ"رفع المصاحف" موت العلماء الذين يحفظونه، فإذا ماتوا ولم يتعلّم منهم أحد فقد رُفع القرآن وذهب عن الصدور، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله تعالى لا يَقبض العِلم انتزاعًا يَنْتَزِعه مِن الناس، ولكن يَقبِض العلم بقَبْضِ[١] العلماء».[٢]

قوله: (لجاز[٣] أن يكون جوابًا[٤] للشرط)[٥] يعني: وإن كان مرفوعًا جاز كونه جوابًا للشرط؛ لأنّ حرف الشرط لمّا لم يعمل[٦] في الأوّل جاز أن لا يعمل في الثاني.

قوله:

[٨٤و] (يقــول: لا غائــب مالِــي ولا / حَــرِمُ)

أوّله:

وإن أتـــاه خـلـيـلٌ[٧] يـــومَ مَـسـغـبـة[٨]

---

١ ن – العلم بقبض.
٢ صحيح البخاري، ٣١/١ (١٠٠)؛ صحيح مسلم، ٢٠٥٨/٤ (٢٦٧٣).
٣ ن: يجوز.
٤ ن: جواب.
٥ ر + لأنّ حرف الشرط.
٦ ر: يعلم.
٧ ن: حليل.
٨ انظر: شرح شعر زهير لثعلب، ص ١٢٠.

والعَجَبُ من النوابت ومن زُعمهم أن القرآن قديمٌ مع اعترافهم بأنه معجِزٌ، وإنما يكون العجزُ حيث تكون القدرةُ، فيقال: الله قادرٌ على خلقِ الأجسام والعبادُ عاجزون عنه، وأمَّا المُحالُ الذي لا مَجالَ فيه للقدرة ولا مدخلَ لها فيه كثاني القديم فلا يقالُ للفاعل: قد عَجَز عنه، ولا: هو مُعْجِزٌ، ولو قيلَ ذلك لجازَ وصفُ الله بالعَجْز؛ لأنه لا يُوصفُ بالقدرة على المُحال، إلَّا أن يكابروا فيقولوا: هو قادرٌ على المُحال، فإن رأسَ مالهم المكابرةُ وقلبُ الحقائق.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: ردَّدْنا وكرَّرنا ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: ....

قوله: (مِن النوابت)[1] أي: الأحداث.

قوله: (ومِن زعمهم أن القرآن قديم) يريد الاعتراض على أهل السنّة، وهذا غير وارد؛ لأنّ المراد بقولنا القرآن معجز أنّه[2] كلام الله تعالى، وأنّه لو كان كلام البشر لَقَدروا عليه، ولمّا لم يقدِروا دلّ على أنّه كلام الله تعالى، لكن طريقة المصنّف الاعتراض بالكلام الوَاهي، والإعراضُ[3] عن التأمّل، في موضع يريد ترويج[4] مذهبه الباطل، فكما يقال: الله تعالى ليس موصوفًا بالقُدرة على المُحال، يقال: نحن غير موصوفين بالقُدرة على الإتيان بمثل القرآن، وغير قادرين عليه، وعاجزون[5] عنه، ولا يلزم منه جواز إطلاق لفظ العجز عليه تعالى، كيف وأسماؤه توقيفيّة عزّ اسمُه؟

قوله: (كثاني[6] القديم) أي: كشريك[7] الباري عزّ[8] اسمُه.[9]

---

[1] ن: النوائب.

[2] ن: معجزاته.

[3] ر: والاعتراض.

[4] ن: ترحيح.

[5] ن: وعاجزوا.

[6] ر: لثاني؛ ن: لنابى.

[7] ر: كشربل.

[8] ر: عن.

[9] وفي هامش د: قوله: (ولو قيل ذلك لجاز) أي: لو قيل: إنّ المحال معجز، والشخص عاجز عنه، المراد اللفظ، وهو معجز.

من كلِّ معنًى هو كالمثَلِ في غرابته وحُسنه. والكُفُور: الجُحُود.

فإن قلتَ: كيف جاز ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ ولم يَجُزْ: ضربتُ إلّا زيدًا؟

قلتُ: لأنَّ "أبى" متأوَّل بالنفي؛ فكأنّه قيل: فلم يَرضَوْا إلا كُفورًا.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٣﴾

لمّا تَبيَّن إعجازُ القرآن وانضمَّتْ إليه المعجزاتُ الأُخَرُ والبيِّناتُ، ولَزِمَتْهم الحُجةُ وغُلِبوا، أخذوا يتعلّلون باقتراح الآيات فِعْلَ المَبْهوت المَحْجوج المتعثِّر في أذيالِ الحَيْرة، فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لك حتى تُفجِّرَ﴾: تُفتِّحَ، وقرئ: ﴿تَفۡجُرَ﴾ بالتخفيف.

﴿مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يَعْنُونَ: أرضَ مكة ﴿يَنۢبُوعًا﴾: عينًا غزيرةً من شأنها أن تَنْبَعَ بالماء لا تُقْطَعُ: يَفْعولٌ من نَبَع الماءُ؛ كيَعبُوبٍ من عَبَّ الماءُ.

﴿كَمَا زَعَمۡتَ﴾ يَعْنونَ قولَ الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ ٣٤/٩].

قوله: (مِن كلّ معنى هو كالمَثَل) فسّر قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ بقوله: "مِن كلّ معنى هو كالمَثَل"[١] إشارةً إلى أنّ المَثَل في الأصل وإن كان بمعنى الشَّبَه لكن هنا المراد الصفة العجيبة الشأن، فقوله: "هو كالمَثَل" صفة معنى.

قوله: (أخذوا)[٢] جواب "لمّا".

قوله: (مِن عَبَّ الماءُ؛ عبَّ الماءُ؛[٣] إذا زَخَر[٤] مِن العُباب، يقال: جَدْولٌ[٥] يَعبُوبٌ.[٦]

---

١ ر ن: كامل. | وفي هامش د: وقع "كامل" في النسخة.

٢ ن: أحدوا.

٣ ن – عبّ الماء.

٤ ن: رحر.

٥ ر: خذول.

٦ ر: يرعبون.

قرئ: ﴿كِسْفًا﴾ بسكون السين جمع كِسْفةٍ كسِدْرة وسِدَر، وبفتحه.

﴿قَبِيلًا﴾: كفيلًا بما تقول شاهدًا بصحته، والمعنى: أو تأتيَ بالله قبيلًا وبالملائكة قُبُلًا؛ كقوله:

.... كنتُ منه ووالدي بريئا ....

فإنّي وقيّارٌ بها لغريبُ

أو: مقابِلًا؛ كالعشير بمعنى المعاشِرِ، ونحوُه: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان ٢١/٢٥].

أو: جماعةً، حالٌ من الملائكة.

﴿مِن زُخْرُفٍ﴾: من ذهبٍ.

قوله: (كقوله:

كنت منه ووالدي[١] بريًّا)

أوّله:

رَماني بأمر كنتُ منه ووالدي بَريًّا ومِن أجل الطَّوِيِّ[٢] رَماني[٣]

قوله:

(وإنّي لَقيّار[٤] بها لَغريبُ)

أوّله:

فمَن يَكُ[٥] أمسى بالمدينة رَحْلُهُ[٦] فإنّي... البيت[٧]

يُروى برفع "قيّار" ونصبه؛ لأنك إذا عطفت على اسم "إنّ" جاز الرفع والنصب. و"قيّار" اسم غُلامه.[٨] وقيل: اسم جَمله.[٩]

---

١ ن: ووالذي.

٢ وفي هامش د: الطويّ: البئرُ المَطويّة.

٣ ن: زماني. | قال ابن برّي: البيت لابن أحمر، وقيل: هو للأزرق بن طرفة بن العَمَرّد الفَراصِي. لسان العرب لابن منظور، «جول».

٤ ر: لعيار.

٥ ر: بك.

٦ ر: رحلة.

٧ لضابئ بن الحارث البرجُمي في الصحاح للجوهري، «قير»؛ ولسان العرب لابن منظور، «قير».

٨ ر: هلامه؛ ن: صلامه.

٩ ر ن: حمله.

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: في معارج السماء، فحذف المضاف، يقال: رَقِيَ في السُّلَّم وفي الدَّرجة.

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: ولن نُؤمنَ لأَجْلِ رقيِّك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ من السماء فيه تصديقُك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال عبد الله بن أبي أميَّةَ: لن نُؤمنَ لك حتى تتَّخذ إلى السماء سُلَّمًا، ثم تَرَقَّى فيه وأنا أنظرُ حتى تأتيَها، ثم تأتيَ معك بصَكٍّ منشورٍ معه أربعةٌ من الملائكة يَشهدون لك أنك كما تقول.

وما كانوا يَقْصِدون بهذه الاقتراحاتِ إلّا العنادَ واللَّجَاجَ، ولو جاءتْهم كلُّ آيةٍ لقالوا: هذا سحرٌ؛ كما قال عزَّ وعلا: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام ٧/٦]، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر ١٤/١٥].

وحين أنكَروا الآيةَ الباقيةَ التي هي القرآنُ وسائرُ الآيات -وليسَتْ بدونِ ما اقترَحوه؛ بل هي أعظم- لم يكنْ إلى تَبْصِرتهم سبيلٌ.

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾ وقرئ: ﴿قال سبحان ربِّي﴾؛ أي: قال الرسول، و﴿سُبْحَانَ رَبِّى﴾ تعجُّبٌ من اقتراحاتهم عليه.

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا﴾ رسولًا كسائر الرسل ﴿بَشَرًا﴾ مِثلَهم، ....

قوله: (بصَكٍّ)[١] الصَّكّ: الكتاب، فارسي مُعرَّب، والجمع: أَصُكّ وصِكاك وصُكوك.[٢]

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام ٧/٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر ١٤/١٥-١٥].

قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾ هكذا في مصاحف أهل مكّة وأهل الشام.

---

١ ن: بصك.

٢ الصحاح للجوهري، «صكك».

وكان الرسلُ لا يأتون قومَهم إلَّا بما يُظهِرُه الله عليهم من الآيات، فليس أمرُ الآيات إليَّ إنما هو إلى الله، فما بالُكم تتخيَّرونها عليَّ؟!

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿أَن﴾ الأُولى نصبٌ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿مَنَعَ﴾، والثانيةُ رفعٌ فاعلٌ له، و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾: الوحي. أي: وما مَنَعَهم الإيمانَ بالقرآن وبنبوَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم إلَّا شُبهةٌ تلَجْلجتْ في صدورهم وهي إنكارُهم أن يرسلَ الله البشر.

والهمزةُ في ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾ للإنكار، وما أنكروه فخلافُه هو المنكَرُ عند الله؛ لأن قضيَّة حكمته أنْ لا يرسلَ مَلَك الوحي إلَّا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء. ثم قرَّر ذلك بأنَّه:

﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ على أقدامهم كما يمشي الإنسُ، ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيَسمعوا من أهلها ويَعلَموا ما يجبُ علمُه.

﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنينَ في الأرض قارِّين.

﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ يُعلِّمُهم الخيرَ ويَهْدِيهم المَراشدَ، فأمَّا الإنسُ فما هم بهذه المثابة، إنما يُرسَلُ الملكُ إلى مُختارٍ منهم للنبوَّة، فيقومُ ذلك المختارُ بدعوتهم وإرشادهم.

قوله: (تتَخيَّرونها)[١] أي: تتحمَّلون[٢] عليّ في طلبِ الأخيَر.

قوله: (والهمزة في ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾ للإنكار) فمعنى قوله: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا﴾ إنكارُ إرسال البشر.

قوله: ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾... إلخ فإنّه لو كان ملائكة غير ماشين ومطمئنّين -بل كانوا يَطِيرون ويسمعون مِن أهل السماء- لَما بَعثنا إليهم[٣] مَلَكًا؛ إذ لم يكونوا حينئذٍ محتاجين إلى ذلك.

---

١ ر: يتخيّرونها.
٢ ر: يتحمّلون.
٣ ن: عليهم.

فإن قلتَ: هل يجوزُ أن يكون ﴿بَشَرًا﴾ و﴿مَلَكًا﴾ منصوبَين على الحال من رسولًا؟

قلت: وجهٌ حسنٌ والمعنَى له أجوبُ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أنّي بلَّغتُ ما أُرسِلتُ به إليكم، وأنكم كذَّبتُم وعانَدْتُم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾ المنذِرين والمنذَرين ﴿خَبِيرًا﴾ عالمًا بأحوالهم فهو مُجازيهم، وهذه تَسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيدٌ للكَفَرة، و﴿شَهِيدًا﴾: تمييزٌ أو حالٌ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: ومَن يُوفِّقه ويَلطُف به ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾؛ لأنه لا يَلْطُف إلّا بمن عرَف أن اللُّطْف ينفعُ فيه.

قوله: (فإن قلتَ: هل يجوز أن يكون ﴿بَشَرًا﴾) في قوله تعالى: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾. وقوله: (و﴿مَلَكًا﴾) في قوله تعالى: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾.[١]

قوله: (والمعنى له أَجْوبُ)[٢] مِن أن يكون ﴿رَّسُولًا﴾ صفة في[٣] الموضعين؛[٤] لأنّ المعنى على أنّ الرسول حينئذٍ ينبغي أن يكون مَلَكًا، لا على أنّ المَلَك ينبغي أن يكون رسولًا، فتأمّل.

---

١ ن - وقوله: (و﴿مَلَكًا﴾) في قوله تعالى: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾.

٢ وفي هامش د: لأنّه ليس النزاع في وجود الرسول؛ بل بالنزاع في أنّ الرسول مَلك أو بَشر، فإنّهم ما يُنكرون الرسالةَ؛ بل يُنكِرون رسالةَ البشر.

٣ ن: من.

٤ ن: الموصوفين.

﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾: ومَن يخذُلْ ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: أنصارًا.

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ كقوله: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [القمر ٥٤/٤٨].

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمْشَاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمْشِيَهم على وجوهِهِم».

﴿عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ كما كانوا في الدنيا لا يستبصِرون ولا ينطِقون بالحق ويتصامُّون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك: لا يُبصرون ما يُقِرُّ أعينَهم، ولا يَسمعون ما يُلِذُّ مسامعَهم، ولا يَنطِقون بما يُقبَل منهم، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء ١٧/٧٢].

ويجوز أن يحشَرُوا مَؤُوفِي الحواسِّ من الموقف إلى النار بعد الحساب، فقد أُخبرَ عنهم في موضعٍ آخَرَ أنهم يقرؤون ويتكلَّمون.

قوله: (كما كانوا في الدنيا)... إلخ[١] أي: مِثل كونِهم[٢] عُمْيًا وبُكْمًا / وصمًّا في الدنيا. وهو في محلّ صفة المصدر، أي: عَمًا[٣] وصَمَمًا وبَكَمًا مثلَ كونهم[٤] عُمْيًا وصُمًّا وبُكْمًا. وقوله: (لا يستنصرون)...[٥] إلخ جملة مبيّنة لقوله: "كما كانوا في الدنيا". وقوله: (فهم) كالنتيجة لِما مَضَى، أي: فهم في الآخرة عُمْيٌ وبُكْمٌ وصُمٌّ. وقوله: (لا يُبصِرون) بيان له. [٨٤ظ]

قوله: (﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء ١٧/٧٢])[٦] استشهاد.

قوله: (مَئوفي[٧] الحواسّ)[٨] أيِفَ الرجل إذا أُصيبَ بالآفة، فهو مَئُوف.[٩]

قوله: (فقد أُخبر عنهم) إشارة إلى علّة التقييد بقوله: (مِن المَوقِف)[١٠] إلى (الحساب).

---

١ ر ن: إلى الآخرة.

٢ ر: قولهم.

٣ ر ن: عمًى. | وفي هامش د: عَمًى.

٤ ر: قولهم اللظم.

٥ في مطبوع الكشّاف: لا يستبصرون.

٦ ر ن – عُمْيٌ وبُكْمٌ وصُمٌّ. وقوله: (لا يُبصِرون) بيان له. قوله: (﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء ١٧/٧٢]).

٧ ر ن: مروفي.

٨ ر: الحولين؛ ن: الحواش.

٩ الصحاح للجوهري، «أوف».

١٠ ر ن: الوقوف.

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾: كلما أكلَتْ جلودَهم ولحومَهم وأفنَتْها فسَكن لهَبُها بُدِّلوا غيرها فرجعَتْ ملتهِبَةً مُستعِرَةً؛ كأنَّهم لمّا كذَّبوا بالإعادة بعد الإفناءِ جَعَل الله جزاءهم أن سلَّط النارَ على أجزائهم تأكلُها وتُفْنيها ثم يُعيدها، ولا يزالون على الإفناء والإعادة ليَزيدَ ذلك في تحسُّرهم على تكذيبهم البعثَ؛ ولأنه أدخلُ في الانتقام من الجاحدِ، وقد دلَّ على ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ إلى قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

فإن قلتَ: علامَ عُطف قوله: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾؟

قلتُ: على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾؛ لأن المعنى: قد عَلِموا بدليلِ العقل أن مَن قَدَر على خلقِ السماوات والأرض فهو قادرٌ على خَلْقِ أمثالهم من الإنس؛ لأنهم ليسوا بأشدَّ خلقًا منهنَّ؛ كما قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات ٧٩/٢٧].

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموتُ أو القيامة، فأبَوْا مع وضوحِ الدليل إلّا جحودًا.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

قوله: (كُلّما أكلت) إشارة إلى سبب خبوّ نار جهنّم، يعني: أنّ ذلك إنّما يكون إذا فَنِيَت أعضاء أهل النار، فإنّه إذا لم يبقَ للنار ما تأكله تفنى[١] قوّتُها ويسكن[٢] لَهَبُها،[٣] قال الشاعر:

فالنارُ تأكل نفسَها إن لم تَجِدْ ما تأكله[٤]

إلخ أي: على أنّ جزاءهم بذلك الطريق بسبب إنكارهم البعث، أي: جعل الله ذلك القول دليلًا على أنّ الجزاء الخاصّ يكون بسبب إنكارهم البعث ليكون جزاءهم مُشاكِلًا لذنبهم، ولهذا قال: "كأنّهم"... إلخ.

[١] ر: يعني؛ ن: بقي.
[٢] ن: وتسكن.
[٣] ر: ليها؛ ن: لها.
[٤] وفي هامش د: قوله: (وقد دلّ على ذلك بقوله)...

"لو" حقُّها أن تدخلَ على الأفعال دون الأسماء، فلا بدَّ من فعلٍ بعدها في ﴿لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ﴾ وتقديره: "لو تَمْلِكون تَمْلِكون"، فأُضمر "تَمْلِكُ" إضمارًا على شريطةِ التفسير، وأُبدلَ من الضميرِ المتَّصلِ الذي هو الواوُ ضميرٌ منفصلٌ وهو ﴿أَنتُمۡ﴾ لسقوطِ ما يتَّصل به من اللفظ، فـ﴿أَنتُمۡ﴾ فاعلُ الفعلِ المضمَر و﴿تَمۡلِكُونَ﴾ تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه عِلْم الإعراب.

فأمَّا ما يقتضيه علمُ البيان فهو: أنَّ ﴿أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ﴾ فيه دلالةٌ على الاختصاص، وأن الناس هم المختصُّون بالشحِّ المتبالِغِ، ونحوُه قولُ حاتم: "لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْني". وقولُ المتلمِّس:

ولــو غيــرُ أخوالــي أرادوا نَقيصَتــي جَعلــتُ لهــم فــوقَ العَرانِيــنِ مَيْسَــما

قوله: (وأنّ الناس هم المختصّون)... إلخ الكلام في فاعل البُخل وذَمِّه،[١] لا في البُخل، وكذلك الكلام في المثل في الذات، لا في اللَّطم،[٢] وكذلك في البيت الكلام في الذات والمُباشِر،[٣] لا في الفِعل.

قوله:

(ولـو غيرُ أخـوالِـي[٤] أرادوا نقيصتي)[٥]

تمامه:

جعلـتُ لـهـم فـوق الـعـرانـيـن مِيسَـمَا[٦]

وبعده:

وهــلْ كـنـتُ إلّا مِـثـلَ قـاطـع كـفِّـه بـكـفٍّ لـه أخـرى عـلـيـهـا تـقـدَّمـا[٧]

"العَرانين"[٨] جمع العِرنين، وعِرنين كلِّ شيء أوّله، وعِرْنينُ[٩] الأنْفِ: تحت مجتمع الحاجبَين وهو أوّل الأنْفِ حيث يكون فيه الشَّمَم.[١٠] والمِيسَم: العلامة،

---

١ ر ن: ودمه.
٢ ن: ن: اللظم.
٣ ن: والمباسر.
٤ ر ن: أحوالي.
٥ ر: بقبصتي؛ ن: يعتضي.
٦ ر: العرابين.
٧ للمتلمّس الضبعي في ديوانه، ص ٢٩.
٨ ر: العرابين.
٩ ر: وعربين.
١٠ ر ن: السمم. | الصحاح للجوهري، «عرن».

وذلك لأن الفعلَ الأولَ لمَّا سقط لأَجْلِ المفسِّر بَرَز الكلامُ في صورة المبتدأ والخبر.

و"رحمةُ الله": رزقهُ وسائرُ نِعَمِه على خَلْقِه، ولقد بلغَ هذا الوصفُ بالشُّحِّ الغايةَ التي لا يبلغُها الوهمُ.

وقيل: هو لأهلِ مكةَ الذين اقتَرَحوا ما اقتَرَحوا من اليَنْبوعِ والأَنهار وغيْرِها، وأنهم لو ملَكوا خزائنَ الأرزاق لبَخلوا بها.

﴿قَتُورًا﴾ ضيِّقًا بخيلًا.

فإن قلتَ: هل يقدَّر لـ"أمسَكْتُم" مفعولٌ؟

قلتُ: لا؛ لأن معناه: لبَخِلْتُم، من قولك للبخيل: مُمسِكٌ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي العصا واليدُ والجَرادُ والقُمَّلُ والضفادعُ والدمُ والحَجَر والبحر والطُّورُ الذي نَتَقَه الله على بني إسرائيل.

مِن الوَسْم؛ وهو التأثير في الشيء بالكَيّ. يقول: لو كان الظلم والنقيصة[١] جاءني مِن غير أخوالي[٢] لَوَسَمْتُهم بسِمة[٣] مِن الذُّلّ اشتهروا بها، ولم يُمكِنهم[٤] إخفاؤها، ولكن الجَفاء[٥] يأتي منهم، فلو أنِّي أُقابلهم بصنيعهم كنتُ كمَنْ قطع بِيَدٍ له يده الأخرى. ومثله ما أورده الحريري في المقامة:[٦] «كالباحث عن حَتْفه بِظِلْفه،[٧] والجادِعِ[٨] مَارِنَ أنفِه بكفِّه».[٩] وتقدير البيت: لو أراد غيرُ أخوالي نقيصتي،[١٠] فلمّا أسقطَ الفعل الأوّل لأجل المفسِّر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر.

قوله: (والبحر) أراد فلْقَ البحر.

---

١ ن: والقصة.
٢ ر ن: أحوالي.
٣ ر ن: يسمه.
٤ ن: يهكنهم.
٥ ر ن: الخفاء.
٦ ن: المقامات.
٧ ر ن: بطلفه.
٨ ر: والخادع.
٩ مقامات الحريري، ص ١٦.
١٠ ر: بقبصتي؛ ن: نعصي.

وعن الحسن: الطُّوفان والسِّنُونَ ونقصُ الثمرات، مكان الحجَر والبحر والطُّور.

وعن عمر بن عبد العزيز: أنه سألَ محمد بن كعب، فذكر اللِّسان والطمْسَ، فقال له عمرُ: كيف يكون الفقيهُ إلّا هكذا؟! أخرِجْ يا غلامُ ذلك الجِرَابَ، فأخرجَه فنَفضَه فإذا بيضٌ مكسورٌ بنصفَيْن وجوزٌ مكسورٌ وفومٌ وحمِّصٌ وعدسٌ، كلُّها حجارةٌ.

وعن صفوانَ بنِ عَسَّال: أن بعضَ اليهود سأل رسول الله عن ذلك، فقال: «أوحَى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أَنْ قلْ لبني إسرائيل: لا تُشركوا بالله شيئًا،

قوله: (وعن الحسن رحمه الله:[1] الطوفان) الطوفان لأهل المدينة، والسِّنونَ كان لأهل السواد. والذي رُوي عن الحسن أنسب؛ لأنّ الحجَر والبحر والطور لم يكن مِن المعجزات التي أظهرها موسى بين يدي فرعون.

قوله: (فذكر اللسان) انحلال العُقدة.

قوله: (والطَّمْسَ) على أموالهم.

قوله: (عمر) أي: عمر بن[2] عبد العزيز.

قوله: (كيف يكون الفقيه إلّا[3] هكذا) أي:[4] لا يكون الفقيه إلّا هكذا.[5]

قوله: (وحِمَّص)[6] الحِمَّصُ: حَبٌّ. قال ثعلب: «الاختيار فتح الميم». وقال المبرّد: «هو الحِمِّصُ بكسر الميم»، ولم يأتِ عليه مِن الأسماء إلّا جِلِّزٌ؛ وهو القصير، وجِلِّقٌ؛[7] موضع بناحية الشام،[8] وهو مُعرَّب؛ لأنّه لا[9] يجتمع الجيم والقاف في كلمة مِن كلام العرب إلّا أن يكون معرَّبًا أو اسمَ صوت.

قوله: (لا تُشرِكوا[10] بالله شيئًا)... إلخ وإنّما فسّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[11] تِسع آيات لهؤلاء اليهود / بقوله: "لا تُشْرِكوا"... إلخ؛ لأنّ الآيات التِّسعَ [٨٥و]

---

١ د – رحمه الله.
٢ ن: ابن.
٣ ن: الآية.
٤ ر – أي.
٥ ن – أي: لا يكون الفقيه إلّا هكذا.
٦ ن + حب.
٧ ر ن: وحلق.
٨ الصحاح للجوهري، «حمص».
٩ ن – لا.
١٠ ر: لا يشرلوا.
١١ د: عليه السلام.

ولا تَسرقوا، ولا تَزْنوا، ولا تقتُلوا النفسَ التي حرَّم الله إلَّا بالحق، ولا تَسْحَروا، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تمشوا ببريءٍ إلى ذي سلطانٍ ليقتلَه، ولا تَقْذِفوا محصَنةً، ولا تفرُّوا من الزَّحْفِ، وأنتم يا يهودُ خاصَّةً لا تَعْدوا في السبت».

﴿فسَلْ بني إسرائيلَ﴾ فقلنا له: سَلْ بني إسرائيل؛ أي: سَلْهم مِن فرعونَ وقُل له: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف ١٠٥/٧]، أو: سَلْهم عن إيمانهم وعن حالِ دينهم، أو: سَلْهم أن يُعاضِدوك وتكونَ قلوبُهم وأيدِيهم معك، وتَدلُّ عليه قراءةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: "فسالَ بني إسرائيل" على لفظ الماضي بغيرِ همزٍ، وهي لغةُ قريش.

وإن كانت مشهورة بالمعجزات التِسع، لكنّها[١] قد تُطلق ويُراد بها هذه الأحكام، فقال[٢] بعض اليهود لبعضٍ:[٣] نسألُه[٤] عن الآيات التِّسع، وهي مشهورة في تلك المعجزات، لكنّا نُضمِرُ[٥] الأحكام التسعةَ، ونُضمِرُ[٦] في السؤال شيئًا آخر، وهو حكم السبتِ،[٧] فإن عَلِمَ ذلك وأخبر[٨] على[٩] ما أضْمَرنا فهو نبيّ، فسألوه صلّى الله عليه وسلّم،[١٠] فأجاب على ما أضمروه، فعلموا أنّه نبيّ[١١] ثمّ ما آمنوا؛ لأنّ تركهم الإيمان لم يكن عن شكٍّ في نبوّته صلّى الله عليه وسلّم؛[١٢] ولكن كان عن عِناد.

قوله: (فقلنا له: سَلْ[١٣] بني إسرائيل) أي: سَلْهم.[١٤]

قوله: (أو سَلْهم عن إيمانهم).[١٥]

قوله: (أو سَلْهم[١٦] أن يُعاضِدوكَ).[١٧]

قوله: (ويدلّ عليه) أي: على أنّ الأمر مع موسى.

---

[١] ن: كلنها.
[٢] ر ن: قال.
[٣] ر ن: البعض.
[٤] ر: يسأله.
[٥] ر: نضمن.
[٦] ر: ونضمن.
[٧] ر ن: السبب.
[٨] ر: وأجبر.
[٩] ر ن – على.
[١٠] د ر: عليه السلام.
[١١] ن – فسألوه عليه السلام فأجاب على ما أضمروه فعلموا أنّه نبيّ.
[١٢] د: عليه السلام.
[١٣] وفي هامش د: يا موسى.
[١٤] وفي هامش د: يا موسى.
[١٥] وفي هامش د: يا موسى.
[١٦] وفي هامش د: يا موسى.
[١٧] وفي هامش د: موسى.

وقيل: فسَلْ يا رسولَ الله المؤمنين من بني إسرائيل -وهم عبدُ الله بن سلام وأصحابُه- عن الآيات لتزدادَ يقينًا وطمأنينةَ قلبٍ؛ لأن الأدلَّة إذا تظاهرتْ كان ذلك أقوى وأثبتَ؛ كقول إبراهيم: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة ٢/٢٦٠].

فإن قلتَ: بمَ تعلَّقَ ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾؟

قلتُ: أمَّا على الوجه الأول فبالقول المحذوف؛ أي: فقلنا له: "سَلْهُم" حين جاءهم، أو بـ"سال" في القراءة الثانية، وأما على الأخير فبـ﴿ءَاتَيْنَا﴾، أو بإضمار "اذكُرْ" أو "يُخبروك".

ومعنى ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾: إذ جاء آباءهم.

﴿مَسْحُورًا﴾: سُحِرتَ فخُولِطَ عقلُك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعونُ ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآياتِ إلَّا اللهُ عزَّ وجل ﴿بَصَآئِرَ﴾: بيِّناتٍ مكشوفاتٍ؛ ولكنَّك معاندٌ مكابرٌ، ونحوُه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل ٢٧/١٤].

وقرئ: ﴿عَلِمْتُ﴾ بالضم على معنى: إنِّي لستُ بمسحورٍ كما وصَفْتَني؛

قوله: (مِن بني إسرائيل، وهم عبد الله) "مِن" للتبعيض.

قوله: (وأمّا على الأخير) وهو قوله: (وقيل: فسَل)، وعلى هذا ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اعتراض.

قوله: (ومعنى ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾) أي: على هذا الوجه الأخير.

قوله: (وقُرئ: ﴿عَلِمْتُ﴾ بالضمّ)[1] حجّة مَن فتح ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ أنّ فرعون ومَن كان معه قد عَلِموا صحّةَ أمر موسى بدلالة قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف ٧/١٣٤]، وقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ [النمل ٢٧/١٤]. فإن قلتَ:

١ قرأ بها الكسائي. النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٩.

بل أنا عالمٌ بصحَّةِ الأمر، وأن هذه الآيات مُنزِلُها ربُّ السماوات والأرض، ثم قارَعَ ظنَّه بظنِّه؛ كأنَّه قال: إن ظنَنْتني مسحورًا فأنا أظنُّك ﴿مَثْبُورًا﴾: هالكًا، وظنِّي أصحُّ من ظنِّك؛ لأن له أمارةً ظاهرةً وهي إنكارُك ما عَرَفْتَ صحَّتَه، ومكابرتُك لآياتِ الله بعد وضوحها، وأمَّا ظنُّك فكذبٌ بَحْتٌ؛ لأن قولك مع علمك بصحَّة أمري: "إني لأظنُّك مسحورًا" قولُ كذَّابٍ.

وقال الفرَّاء: ﴿مَثْبُورًا﴾: مصروفًا عن الخير مطبوعًا على قلبك، من قولهم: ما ثَبرك عن هذا الأمر؟ أي: ما مَنَعكَ وصَرَفك؟

وقرأ أبيُّ بن كعب: "وإنْ إخالُك يا فرعونُ لمثبورًا" على "إنْ" المخفَّفة واللام الفارقة.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فَأَرَادَ﴾ فرعونُ أن يستخفَّ موسى وقومَه من أرض مصرَ ويُخرِجَهم منها

كيف يصحّ الاحتجاج عليه بعلمه، وعلمُه لا يكون حُجّة على فرعون، إنّما يكون ما عَلِمه مِن صحّة أمر موسى حجّة على فرعون؟ فالقول: إنّه لمّا قيل له: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٧] كان ذلك قَدْحًا[١] في عِلمه؛ ولأنّ المجنون لا يعلم، فكأنّه نفى ذلك فقال: لقد عَلِمْتُ صحّةَ[٢] ما أتيتُ به علمًا صحيحًا كعِلم العُقلاء، فصار[٣] الحُجّة عليه مِن هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿مَثْبُورًا﴾ يقال: ثَبَرَ الرجلُ، فهو مَثبور؛ إذا هلَكَ.

قوله: (بَحْتٌ)[٤] البَحت:[٥] الصِّرْف والمَحض.

قوله: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾ مقولٌ.

قولُه: (مطبوعًا) أي: بالكُفْر.

---

[١] ر ن: قد جاء.
[٢] ن: صحت.
[٣] ر: فضا؛ ن: فصا.
[٤] ن: تحث.
[٥] ن: البحث.

أو ينفِيَهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال، فحاقَ به مكرُه بأن استفزَّه الله بإغراقه مع قِبْطه.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ التي أرادَ فرعونُ أن يستفزَّكم منها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ يعني: قيامَ الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جمعًا مختلِطِين إيَّاكم وإياهم ثم يَحكُم بينكم ويُميِّزُ بين سعدائكم وأشقيائكم.

واللفيفُ: الجماعاتُ من قبائلَ شتَّى.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمةِ المقتضيةِ لإنزاله، وما نَزَل إلا مُلتبِسًا بالحقِّ والحكمة؛ لاشتماله على الهداية إلى كلِّ خير.

أو: ما أنزلناه من السماء إلَّا بالحق محفوظًا بالرَّصَد من الملائكة، وما نزل على الرسول إلَّا محفوظًا بهم من تخليط الشياطين.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ إلا لتُبشِّرهم بالجنَّة وتُنذرَهم من النار، ....

قوله: (مع قِبْطِه)[١] القِبْطُ: أهل مِصْرَ، وإنَّما أضافهم إليه؛ لأنَّهم كانوا في مَلَكتِه[٢] وأغرِقوا[٣] معه.

قوله: (وما أنزلنا القرآن إلَّا بالحكمة) هذا الحَصْرُ لزم مِن التقديم.

قوله: (بالرَّصَدِ) جمع رَاصِد، كالحَرَسِ جمع حارس. وقوله: (مِن الملائكة) بيان "الرَّصَد".[٤]

---

[١] ر ن: قطبه.

[٢] ر: ملكه.

[٣] ن: وأعرقوا.

[٤] وفي هامش د: قوله: (إلَّا مُلتبسًا بالحقّ)... إلخ على الوجهين الباء للملابَسة، لكن معنى "الحقّ" مختلف، على الأوّل بمعنى الحِكمة، وعلى الثاني بمعنى الثابت، مِن حقَّ بمعنى ثَبَتَ.

ليس إليك وراءَ ذلك شيءٌ من إكراهٍ على الدِّين أو نحو ذلك.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾

﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوبٌ بفعلٍ يفسِّره ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾.

وقرأ أبيٌّ: "فرَّقناه" بالتشديد؛ أي: جعَلْنا نزوله مُفرَّقًا منجَّمًا.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأه مشدَّدًا وقال: لم يُنزَلْ في يومين أو ثلاثةٍ؛ بل كان بين أوَّله وآخرِه عشرون سنةً. يعني: أن "فَرَق" بالتخفيف يدلُّ على فصلٍ متقارِبٍ.

﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ بالفتح والضمّ: على مَهَلٍ وتؤُدَةٍ وتثبُّتٍ.

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ على حَسَب الحوادث.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ ....

قوله: (وتُؤَدة)[١] مشى مَشْيًا وَئيدًا، أي: على تُؤَدةٍ،[٢] ومنه:

ما للجِمال مَشْيِها وئيدًا[٣]

بالكسر على البدل، قال القُتَبي: «يريد:[٤] ما لِمَشيها ثقيلًا».[٥] والوَأْدُ: الثِّقَل، يقال: وَأَدَه إذا أثقَلَه، ومنه "المَوْءُودة". واتّأد[٦] في مَشيه وتَوَأّد في مَشيه؛ افتَعَلَ وتفعَّلَ مِن التُّؤَدة، وأصل التاء فيه[٧] واوٌ.[٨]

---

١ ر: ويوده.

٢ ر: نوده.

٣ للزبّاء في لسان العرب لابن منظور، «وأد».

٤ ر ن: ىرىل.

٥ ر: ىعنلا. | انظر: المُغرب للمطرّزي، «وأد».

٦ ر ن: اتّأد.

٧ ر ن - فيه.

٨ انظر: الصحاح للجوهري، «وأد»؛ والمُغرب للمطرّزي، «وأد».

أمرٌ بالإعراض عنهم واحتقارِهم والازدراءِ بشأنهم، وأن لا يَكترِثَ بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه، وأنهم إن لم يَدْخلوا في الإيمان ولم يُصدِّقوا بالقرآن وهم أهل جاهليَّةٍ وشركٍ، فإنَّ خيرًا منهم وأفضلَ وهم العلماءُ الذين قرؤوا الكتبَ وعلِموا ما الوحيُ وما الشرائعُ قد آمنوا به وصدَّقوه وثبتَ عندهم أنه النبيُّ العربيُّ الموعودُ في كتبهم، فإذا تُلي عليهم خرُّوا سجَّدًا وسبَّحوا الله تعظيمًا لأمره ولإنجازه ما وعَدَ في الكتب المنزَلةِ وبشَّر به من بعثةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وإنزالِ الفرقانِ عليه، وهو المرادُ بالوعد في قوله: ﴿إن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾.

﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾؛ أي: يَزِيدُهم القرآنُ لِينَ قلبٍ ورطوبةَ عينٍ.

فإن قلتَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ تعليلٌ لماذا؟

قلتُ: يجوز أن يكون تعليلًا لقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ ....

قوله: (**أمرٌ**) في مقام خبر المبتدأ، وهو قوله: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ﴾، فكأنَّ المصنِّف قال: هذا الكلام أمرٌ. وقوله: "أمرٌ" أي[١] للنبيِّ عليه السلام.[٢]

قوله: (**وأن لا[٣] يَكترث**)[٤] أي: وبأَنْ[٥] لا.

قوله: (**وأنَّهم إنْ لم يدخلوا**) عطفٌ على قوله: "أمرٌ" مِن حيث المعنى، كأنَّه[٦] قال: أمرٌ بالإعراض وبيانُ / أنَّهم... [٨٥ظ]

قوله: (**مِن بِعثةِ**) بيان "ما وعد".

قوله: (**وهو المراد بالوعد**) أي: البعث والإنزال.

قوله: (**ورطوبةَ عين**) عبارة عن البكاء.

قوله: (**قلتُ: يجوز أن يكون تعليلًا لقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾**)... إلخ فيكون مِن جملة المَقول.

---

١ ر – أي؛ ن – (أمر) أي.
٢ ر – عليه السلام؛ ن: صلّى.
٣ ر – لا.
٤ ر: تكترت؛ ن: يكثرت.
٥ ر: وبا.
٦ ر: كأن.

وأن يكون تعليلًا لـ﴿قُلْ﴾ على سبيل التسليةِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييبِ نفسِه؛ كأنّه قيل: تَسَلَّ عن إيمانِ الجَهَلة بإيمانِ العلماء، وعلى الأول: إن لم تؤمنوا به لقد آمَن به مَن هو خيرٌ منكم.

فإن قلتَ: ما معنى الخُرورِ للأَذْقَنِ؟

قلتُ: السقوطُ على الوجه، وإنما ذُكر الذَّقَنُ وهو مجتمَعُ اللَّحْيَينِ؛ لأن الساجدَ أولُ ما يَلقَى به الأرضَ من وجهه الذَّقَنُ.

فإن قلتَ: حرفُ الاستعلاءِ ظاهرُ المعنى إذا قلتَ: "خرَّ على وجهه وعلى ذقنه"، فما مَعنى اللامِ في "خرَّ لذقنِه ولوجهه" قال:

فـخـرَّ صَـريـعًـا لِـلْـيَـديـنِ ولـلـفَـمِ

قلتُ: معناه: جَعل ذَقَنَه ووجهَه للخرور واختصَّه به؛ لأن اللامَ للاختصاص.

قوله: (وأن يكون تعليلًا لِـ﴿قُلْ﴾) فلا يكون مِن جملة المَقول.[١]

قوله: (كأنّه قيل) على الثاني.

قوله: (أوّل ما يَلقَى به الأرض) "ما" يجوز أن يكون نكرة[٢] موصوفة، "يَلقَى" صفته، أو موصولةً، "يَلقَى" صِلته، والأوّل أَولى.

قوله:

(فـخَـرَّ صـريـعًـا لـلـيـديـن ولـلـفـمِ)

قيل: أوّله:

أُمَـكِّـنـه بـالـرُّمـح حِـضْـنَـي[٣] قـمـيـصِـه[٤]

الحِضْن:[٥] ما دون الإبط إلى الكَشْح، وحِضنا[٦] الشيء: جانباه.

---

[١] ر - قوله: (وأن يكون تعليلًا لِـ﴿قُلْ﴾) فلا يكون مِن جملة المقول.

[٢] ر: يكره.

[٣] ر: حصني؛ ن: حصي.

[٤] لشريح بن أوفَى العبسي قاتلِ محمّد بن طلحة يومَ الجمل. انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٦٢.

[٥] ر: الحصن.

[٦] ر: وحصنا.

فإن قلتَ: لِمَ كرّر ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؟

قلتُ: لاختلاف الحالين، وهما: خُرورُهم في حالِ كونهم ساجدين، وخرورُهم في حالِ كونهم باكِينَ.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمِعه أبو جهل يقول: "يا اللهُ يا رحمن" فقال: إنه ينهانا أن نعبدَ إلٰهَيْن وهو يدعو إلٰهًا آخرَ.

وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إنك لتُقِلُّ ذكرَ الرحمن، وقد أكثرَ الله في التوراة هذا الاسمَ! فنزلت.

والدعاءُ بمعنى التَّسميةِ لا بمعنى النداء، وهو يتعدَّى إلى مفعولين؛ تقولُ: "دعوتُه زيدًا" ثم يترك أحدُهما استغناءً عنه فيقال: "دعَوت زيدًا"،

وقيل: أوّله:

تناولَه بالرُّمح ثمّ اتَّنَى[١] له

ومعنى "تناوَله[٢] بالرُّمْح": طَعَنه،[٣] وأصل "اتَّنَى":[٤] انثَنَى؛[٥] فأدغم النون في الثاء[٦] ثمّ أبدَلَها تاءً. ومعنى اللام[٧] في "لليدين"[٨] الاختصاص، أي: جعل يَدَيه وفَمَه للخُرور. والمعنى: طعَنَه بالرُّمح أوّلًا ثمّ انثنى[٩] له في الطَّعن،[١٠] فخَرَّ المَطْعون المثنَّى[١١] عليه الطعنُ لليدين وللفم.

قوله: (سمعه) أي: النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[١٢]

---

١ ن: اثنى.
٢ ر ن – ومعنى تناوله.
٣ ن: طعنة.
٤ ر: أنني؛ ن: أثنى.
٥ ر: آيتني.
٦ ر ن: التاء.
٧ ن: الكلام.
٨ ن: اليدين.
٩ ر: انني.
١٠ ر ن: بالطعن.
١١ ر: المثي.
١٢ د: عليه السلام.

و﴿ٱللَّهَ﴾ و﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ المراد بهما الاسمُ لا المسمَّى، و﴿أَوِ﴾ للتخيير، فمعنى ﴿ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾: سَمُّوا بهذا الاسم أو بهذا، واذكُروا إما هذا وإما هذا.

والتنوين في ﴿أَيًّا﴾ عوضٌ من المضافِ إليه، و﴿مَا﴾ صلةٌ للإبهام المؤكِّدِ لِمَا في "أيّ"؛ أي: أيَّ هذين الاسمين سمَّيتُم وذكَرتُم ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والضميرُ في ﴿فَلَهُ﴾ ليس براجعٍ إلى أحد الاسمين المذكورين؛ ولكن إلى مسمَّاهما وهو ذاتُه عزَّ وعلا؛ لأن التسمية للذَّات لا للاسم، والمعنى: أيًّا ما تدعو فهو حسنٌ، فوضع موضعَه قوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ لأنه إذا حَسُنت أسماؤه كلُّها حسُنَ هذان الاسمان؛ لأنهما منها، ومعنى كونها أحسنَ الأسماء: أنها مستقلَّةٌ بمعاني التحميدِ والتقديس والتعظيم.

﴿بِصَلَاتِكَ﴾: بقراءةِ صلاتك، على حذفِ المضاف؛ لأنه لا يُلْبِسُ من قِبَل أن الجهرَ والمخافَتةَ صفتان تَعْتَقِبان على الصوت لا غيرُ، والصلاةُ أفعالٌ وأذكار.

قوله: (و"ما" صلة) أي: زائدة للإبهام.[1] وقوله: (لِما في "أيّ") أي:[2] للذي.

قوله: (فوُضع مَوضعه) أي: فوضع السبب موضع المُسبَّب.

قوله: (بقراءة صلاتك)[3] أي: بقراءة القرآن في صلاتك، فهو مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾ [سبأ ٣٤/٣٣]، أي: مَكركم في الليل. وإنّما فسّره المصنّف بقوله: (على حذف المضاف) ولم يقل: "الصلاة" بمعنى القراءة؛ لئلّا يلزم منه المنع عن الجهر بالقراءة مطلقًا؛ إذ ليس المراد هنا ذلك؛ بل المراد النهي عنه في الصلاة.

قوله: (مِن قِبَلِ) تعليل لتفسيره ﴿بِصَلَاتِكَ﴾ بقوله: (بقِراءتك)، والأَولى أن نقول: هو متعلّق بقوله: (لا يُلبِس).

---

[1] ر: الإبهام.
[2] ن - أي.
[3] ر ن: أصلاتك.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعُ صوته بقراءته، فإذا سمعها المشركون لغَوْا وسَبُّوا، فأمِرَ بأن يخفِضَ من صوته، والمعنى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾ حتى تُسْمِعَ المشركين ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ حتى لا تُسمعَ مَن خلفك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ﴾ الجهر والمخافَتةِ ﴿سَبِيلًا﴾ وسطًا.

وروي: أن أبا بكر رضي الله عنه كان يُخفي صوتَه بالقراءة في صلاته ويقول: أناجي ربِّي وقد عَلِم حاجتي، وكان عمرُ رضي الله عنه يَرفع صوتَه ويقول: أَزجرُ الشيطان وأُوقظُ الوَسْنانَ، فأمَرَ أبا بكر أن يرفع قليلًا وعمرَ أن يخفض قليلًا.

وقيل: معناه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ كلِّها ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ كلِّها ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ بأنْ تجهَرَ بصلاةِ الليل وتخافتَ بصلاة النهار.

وقيل: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾: بدعائك.

وذهبَ قومٌ إلى أن الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف ٥٥/٧].

وابتغاءُ السبيل: مَثَلٌ لانتحاء الوجهِ الوسطِ في القراءة.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

قوله: (ورُوِي أنّ أبا بَكر رضي الله عنه)[1] عطفٌ على قوله: (وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)،[2] فهذا وَجهٌ آخر لسبب النزول.

قوله: (مثل[3] لانتحاء)[4] أي: لِقصد، والانتحاء:[5] المَيل.

---

[1] د – رضي الله عنه. | سنن أبي داود، ٤٩٢/٢ (١٣٢٩)؛ سنن الترمذي، ٥٦٩/١ (٤٤٧).

[2] د ر – صلّى الله عليه وسلّم.

[3] وفي هامش د: أي: استعارة تمثيليّة؛ شبّه حال الفاصلة بحال الطالب، والجامع كون كلّ منهما يتوجّهان إلى مرادهما.

[4] ر ن: الانتحاء.

[5] ر ن: الانتحاء.

﴿وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: ناصرٌ من الذُّلِّ ومانعٌ له منه لاعتزازه به.

أو: لم يُوال أحدًا من أجل مذلَّةٍ به ليدفعَها بموالاته.

فإن قلتَ: كيف لاقَ وصفُه بنفيِ الولدِ والشريكِ والذلِّ بكلمةِ التحميد؟

قلتُ: لأن مَن هذا وصفُه هو الذي يقدِرُ على إيلاء كلِّ نعمةٍ، فهو الذي يستحقُّ جنسَ الحمد.

وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم ....

قوله: (﴿وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ ناصرٌ مِن الذُّلّ) فيكون[١] "الوليّ"[٢] على الوجه الأوّل بمعنى الناصر، فكأنَّ الذُّلَّ شُبِّه بِعَدُوّ يَقصِد[٣] ويريد إصابة المكروه،[٤] ثمّ قيل: ليس له ناصر يمنع منه الذُّلَّ؛ لأنّه لا يَحُومُ الذلُّ حول فِنائه، جَلَّ جنابُه، فيكون "مِن" ههنا مثلها في قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنبياء ٢١/٧٧].

قوله: (له منه لاعتزازه[٥] به) الضمير في "له" عائد إلى الله تعالى، وضمير "منه" يعود إلى "الذلّ"، والضمير في "اعتزازه" يعود إلى الله تعالى،[٦] وفي "به" إلى الناصر والمانع، أي: لاعتزاز[٧] الله تعالى[٨] بذلك الناصر المانع.

قوله: (أو لم يُوَالِ أحدًا)... إلخ وعلى الوجه الثاني: يكون "الوليّ" مِن المُوالاة[٩] بمعنى العهد مع واحد أو قوم ليتقوَّى بهم، وهو عَظُمَ شأنه لا يحتاج إلى ذلك؛ لأنّه إنّما يحتاج إليه الذليل،[١٠] وهو القويّ العزيز.

---

١ ر: فيكو.

٢ وفي هامش د: والجامع كونُ كلّ منهما غير ملائم.

٣ ر: ويقصد.

٤ ر: المكره.

٥ ر: الاعترارة؛ ن: الاعتراره. | وفي هامش د: قوله: (لاعتزازه) متعلّق بالمثبت، لا بالمنفيّ، أي: الوليّ لأجل الاعتزاز منفيّ.

٦ ر ن – وضمير "منه" يعود إلى "الذلّ"، والضمير في "اعتزازه" يعود إلى الله تعالى؛ ر + والضمير.

٧ ر ن: الاعترار؛ ر ن + أنّ.

٨ ن – تعالى.

٩ ر: المبالاة.

١٠ ر: الدليل.

إذا أفصحَ الغلامُ من بني عبد المطلب علَّمه هذه الآيةَ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ بني إسرائيل فرقَّ قلبُه عند ذِكر الوالدين كان له قِنطارٌ في الجنة، والقِنطارُ ألف أُوقيَّة ومئتا أُوقيَّة».

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم.

قوله: (إذا أفصَحَ)[١] أفصَحَ الرجل: تكلّمَ[٢] / بالعربيّة،[٣] وفَصُح العجَميّ -بالضمّ-: جادت لُغتُه حتى لا يَلحَنُ.[٤] [٨٦و]

قوله:[٥] (فرَقَّ) الفاء في "فرَقَّ" للعطف على "قرَأَ".[٦]

قوله: (كان له قِنطار)[٧] استعارة عن الثواب[٨] الكثير.

تمّت السورة بحمد الله تعالى.[٩]

---

١ ن: أقصح.
٢ ر: تللم.
٣ ر: بالعبربية.
٤ ر: يلحق. | الصحاح للجوهري، «فصح».
٥ ر + قوله.
٦ ن: قراءة.
٧ الكشف والبيان للثعلبي، ١٧٤/١٦؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٩٣/٣. | وفي هامش د: استعير "القنطار" للثواب الكثير، والجامع الكثرة.
٨ ر - عن الثواب.
٩ د - تعالى؛ ن - السورة بحمد الله تعالى.

سورة الكهف

مكيّةٌ، وهي مئةٌ وإحدى عَشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

لَقَّنَ اللهُ عبادَه وفَقَّههم كيف يُثْنون عليه ويَحمَدونه على أجزلِ نَعْمائِه

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (لقَّنَ اللهُ عبادَه) يجوز أن يقال:[1] مفعول[2] "لقَّنَ"[3] مَحذوف لدلالة ما بعده عليه؛ وذلك لأنّ التلقين لا يمكن أن يتعلَّق بقوله: (كيف يُثنون)؛ لأنّه لا يجوز تعليق فعل التلقين؛ ولأنّه لا يكون مفهوم هذه الجملة مُلقَّنًا، وإذا كان مفعوله محذوفًا كان التقدير: لَقَّنَ الله عبادَه الثناءَ عليه والحمدَ له، وفقَّهَهم[4] كيف يُثنون عليه ويَحمدونه. ويجوز أن يقال: ضُمِّن التلقين معنى التعليم لتقارب مَعنيَيهما،[5] فكأنّه قيل: علَّم الله تعالى عباده كيف يُثنون مُلقِّنًا، فيتعلَّق به كما تعلّق به "فقَّهَهم".[6]

---

[1] ن: يكون.
[2] ر ن: مفعولا.
[3] ر: ليس.
[4] ر ن: وفقهم.
[5] ن: معنيهما.
[6] ر: فقهم.

عليهم، وهي نعمةُ الإسلام وما أَنزل على عبدِه محمدٍ صلى الله عليه وسلم من الكتابِ الذي هو سببُ نجاتهم وفوزِهم.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾: ولم يجعلْ له شيئًا من العِوَج قطُّ، والعِوَج في المعاني كالعَوَج في الأعيان، والمراد: نفيُ الاختلافِ والتناقضِ عن معانيه، وخروجِ شيءٍ منه من الحكمة والإصابة فيه.

قوله: (وهي نعمة الإسلام) أنَّثه إمّا باعتبار الخبر؛ أو لأنّ[١] أجزل النَّعماء يكون نعمة. و"نعمة الإسلام" مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ الذي يكون[٢] للبيان، فإنّ النعمة هي الإسلام، فلذلك يقول: (ما أنزلَ) عطف على "الإسلام" أو على "نعمة"، فكأنّه قال: هي نعمة الإسلام ونعمة ما أنزل، أي: نعمة الكتاب، أو هي نعمة الإسلام وهي[٣] ما أنزل، أي: الكتاب.

والصواب[٤] أن نقول: المراد بـ"النعمة" الكتابُ المنزَّل، وأضافه إلى الإسلام؛ إذ به يَتبيّن الإسلام، وعطفَ عليه بطريق البيان قولَه: "وما أنزلَ".

قوله:[٥] (ولم يَجعل له شيئًا) ولذا نُكِّر ﴿عِوَجَا﴾ في سياق النفي.

قوله: (والعِوَج[٦] في المعاني) بالكسر. قوله: (كالعَوَج) بالفتح.

قوله: (والمراد نفي الاختلاف) أي: المراد بنفي العِوج[٧] نفيُ الاختلاف، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢/٤].

قوله: (وخروج شيء منه) "مِن" متعلّق بمحذوف، أي: كائنٍ مِن القرآن، فالضمير المستتر يعود إلى "شيء"، والبارزُ[٨] المجرور إلى القرآن. و(مِن الحكمة) متعلِّق بالخروج. وقوله: (فيه) متعلِّق بمحذوف حال مِن "الحكمة[٩] والإصابة"،

---

١ ن + الله.
٢ ر: تكون.
٣ ر: وهو.
٤ ر + والصواب.
٥ ن – الإسلام، وعطفَ عليه بطريق البيان قولَه: "وما أنزلَ". قوله.
٦ ر: والمعوج.
٧ ر: الوج.
٨ ر ن: والنار.
٩ ر ن – متعلّق بالخروج. وقوله: (فيه) متعلّق بمحذوف حال مِن "الحكمة.

فإن قلتَ: بمَ انْتَصب ﴿قَيِّمًا﴾؟

قلتُ: الأحسنُ أن ينتصِبَ بمضمَرٍ ولا يُجعلَ حالًا من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل﴾ معطوفٌ على ﴿أَنزَلَ﴾ فهو داخلٌ في حيّز الصِّلة، فجاعلُه حالًا من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ فاصلٌ بين الحال وذي الحال ببعضِ الصلة -وهو قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾- وتقديره: "ولم يجعَلْ له عوجًا، جَعَله قيّمًا"؛ لأنه إذا نَفَى عنه العِوَجَ فقد أَثْبتَ له الاستقامةَ.

فإن قلتَ: ما فائدةُ الجمعِ بين نفي العِوَج وإثباتِ الاستقامة وفي أحدهما غنًى عن الآخر؟

قلتُ: فائدتُه: التأكيدُ، فرُبَّ مستقيمٍ مشهودٍ له بالاستقامة، ....

أي: كائنتَين أو حاصلتَين في الكتاب، أي: القرآن، فالضمير المستتر في "فيه"[1] عائد إلى "الحكمة والإصابة"، والبارزُ[2] إلى القرآن، أي: الكتاب، والمعنى: أنّ الكتاب كما اشتملَ على الحكمة والصوابِ، فكلُّ جزء مِن أجزائه كذلك، فليس في شيء منه عِوَج قطُّ. ومعنى نفي خروجه عن الحكمة نفيُ خُلوِّه عنها.

والأصوب أن نقول:[3] الضمير البارز مِن "فيه" يعود إلى "شيء" ليَئُول المعنى إلى أنّ في كلِّ شيء مِن القرآن حكمةً وصوابًا، فلا يخلو شيء مِن القرآن عن حكمة في ذلك الشيء.

قوله: (**ببعض الصِّلة**) فيلزم إيراد صِلةٍ قبلَ تمام صِلةٍ[4] قبله، فيكون كإيراد كلمةٍ قبل تمام كلمةٍ قبلَه.

قوله: (**لأنّه إذا نفى عنه العِوَج**) بيان جواز الحذف وحُسنه؛ لأنّ قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ يدلّ على جَعلِه قَيِّمًا، فحُذف / لدلالة هذا عليه. [٨٦ظ]

قوله: (**فرُبَّ[5] مستقيم**) بيان احتياج المقام إلى التأكيد، وبيان حُسن التأكيد.

---

١ ر ن – فيه.

٢ ر: والبارد.

٣ ر: يقول.

٤ ر ن – قبلَ تمام صِلةٍ.

٥ ن: قرب.

ولا يخلو من أَدْنى عِوجٍ عند السَّبْر والتصَفُّحِ.

وقيل: قيّمًا على سائر الكتبِ مصدِّقًا لها شاهدًا بصحتها.

وقيل: قيّمًا بمصالحِ العباد وما لا بدَّ لهم منه من الشرائع.

وقرئ: "قِيَمًا".

"أَنْذَرَ" متعدٍّ إلى مفعولين؛ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ ٤٠/٧٨] فاقتُصر على أحدهما، وأصله: ليُنذِرَ الذين كفروا ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾، والبأسُ من قوله: ﴿بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ﴾ [الأعراف ١٦٥/٧]، وقد بَؤُسَ العذابُ وبَؤُس الرجل بأسًا وبَآسةً.

﴿مِن لَّدُنْهُ﴾: صادرًا من عنده، وقرئ: ﴿من لَدْنِهِ﴾ بسكونِ الدال مع إشمامِ الضمة وكسرِ النون.

﴿ويُبشرَ﴾ بالتخفيف والتثقيل.

فإن قلتَ: لم اقتُصر على أحد مفعولي "أنذَرَ"؟

قوله: (السَّبْرِ)[1] أي: التجربة.

قوله: (وقيل: قَيِّمًا) عطفٌ على قوله: (فائدته التوكيد)، فأجاب أوّلًا بهذا، وثانيًا بأنّ معنيَيهما مختلفان،[2] وثالثًا[3] كذلك.[4]

قوله: (وقد بَؤسَ العذاب) أي: اشتدّ.

قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ معنى كونه مِن لَدُنه: أنّه لا يعلم كُنهَه إلّا الله، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾... الآيةَ [السجدة ١٧/٣٢]، فإنّه يصيبهم مِن حيث لا يعلمون، كقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر ٤٧/٣٩].

قوله: (مع إشمام الضمّة)[5] قال أبو شامة في شرح الشاطبي:

الإشمام في عُرف القرّاء يطلق باعتبارات أربعة:

---

[1] ر: السير.

[2] ر ن: مختلفا.

[3] ر ن: والتاكيد.

[4] ر ن – كذلك. | وفي هامش د: قوله: (وقيل: قَيِّمًا)... إلخ وعلى الوجهين الأخيرين حقيقة، لكن متعلّقهما مختلف.

[5] وفي هامش د: مطلب في الإشمام.

قلتُ: قد جُعل المنذَرُ به هو الغرضَ المسوقَ إليه فوجَبَ الاقتصار عليه، والدليلُ عليه تكريرُ الإنذار في قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ متعلِّقًا بالمنذَرين من غيرِ ذكر المنذَر به؛ كما ذكر المبشَّرَ به في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ استغناءً بتقدُّم ذكره، والأجر الحسَنُ: الجنَّة.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بالولدِ أو باتخاذه، يعني: أن قولهم هذا لم يَصْدُرْ عن علمٍ، ولكنْ عن جهلٍ مُفرِطٍ وتقليدٍ للآباء، وقد استملَتْه آباؤهم

أحدها: خلطُ حرفٍ بحرفٍ، كما في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾، و﴿مُصَيْطِرٍ﴾.[١]

والثاني: خلطُ حركةٍ بأخرى، كما في ﴿قِيلَ﴾ و﴿غِيضَ﴾ وأشباهِهما.[٢]

والثالث: إخفاء الحركة، فيكون بين الإسكان والتحريك، كما في ﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف ١١/١٢] على ظاهر عبارة صاحب التيسير.

والرابع: ضمّ الشفتين بعد سكون الحرف، وهو الذي يكون في باب الوقف.[٣]

قوله: (والدليل عليه تكريرُ الإنذار) وجهه أن نقول: لمّا كُرِّر الإنذار بعد ذلك، ولم يُذكر المنذَر به هنالك؛ بل اقتصر فيه هنالك على ذِكر المنذَرين، مع أنّه ذُكِر المبَشَّرون والمبشَّر به في ﴿يُبَشِّرَ﴾؛ عُلم أنّ المراد في الأوّل ذِكر[٤] المنذَر به، لا ذِكرُ المنذَرين، فإنّه لولا ذلك لذُكِر ثمّةَ المنذَر به والمنذَرون كلاهما، كما ذُكِر ثمّةَ المبشَّرون والمبشَّر به.

قوله: (بتقَدُّم[٥] ذِكره) أي: بتقَدُّم ذِكر المنذَر به، وهو البأس.

قوله: (وقد استَمْلَتْه آباؤُهم) يقال: استَمْلَيتُه الكتابَ، أي: سَألتُه أن[٦] يُمليَه[٧] عليَّ.[٨] وليس هنا استِملاء حقيقةً؛ بل شُبّه بالاستِمْلاء قَبولُهم ما أَلقَى الشيطان إليهم بالوسوسة والإغواء.

---

١ يريد إشمام الصاد زايًا فيهما في قراءة حمزة. انظر: النشر لابن الجزري، ١/٢٧٢؛ ٢/٣٧٢.

٢ يريد إشمام الكسرة ضمّةً فيهما وأشباههما. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٠٨.

٣ إبراز المعاني لأبي شامة، ص ٧٢.

٤ ر: ذكره.

٥ ر: يتقدم.

٦ ر ن: أي.

٧ ر: تمليه؛ ن: عليه.

٨ الصحاح للجوهري، «ملا».

من الشيطان وتسويله.

فإنْ قلتَ: اتِّخاذُ الله ولدًا في نفسه محالٌ، فكيف قيل: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؟

قلتُ: معناه: ما لهم به من علمٍ؛ لأنه ليس مما يُعلَم؛ لاستحالته وانتفاءِ العلم بالشيء: إمَّا للجهلِ بالطريق المُوصِلِ إليه، وإمَّا لأنه في نفسه محالٌ لا يستقيمُ تعَلُّقُ العلم به.

قرئ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ و: "كلمةٌ": بالنصب على التمييز والرفعِ على الفاعليَّة، والنصبُ أقوى وأبلغُ، وفيه معنى التعجُّبِ؛ كأنه قيل: ما أكبرَها كلمةً.

و﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفةٌ للكلمة تُفيدُ استعظامًا لاجترائهم على النُّطق بها وإخراجها من أفواههم، فإنَّ كثيرًا ممَّا يوسوسُه الشيطانُ في قلوبِ الناس ويحدِّثون به أنفسَهم من المنكَرات لا يتمالكون أن يتفوَّهوا به ويُطلِقوا به ألسنتَهم،

قوله: (وتَسويلِه) عطفٌ على قوله: (جَهلٍ)، أي: لكن عن جَهل وعن تقليدٍ وعن تَسويلِ الشيطان. يقال: سَوَّلَتْ له[١] نفسُه أمرًا، أي: زيَّنَتْه.[٢]

قوله: (لا يستقيم تعلُّقُ العلم به) أي: تعلُّقُ العلم به وجودًا.

قوله: (وفيه[٣] معنى التعجُّب) قال في الصحاح:

> طمِعَ فيه طَمَعًا، فهو طَمِعٌ، ويقال في التعجُّب: "طَمُعَ الرجلُ فلانٌ" بضمِّ الميم، أي: صار كثيرَ الطمَع.[٤] وخَرُجَت المرأةُ فلانةُ؛ إذا صارَت كثيرةَ الخروج. وقَضُوَ القاضي فلانٌ. وكذلك التعجُّب في كلِّ شيء، إلّا ما قالوا في "نِعْم وبِئْس" رواية[٥] تُروى عنهم غير لازمة لقياس التعجُّب؛ لأنّ صوَر التعجُّب ثلاث: ما أحسَنَ زيدًا، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ [مريم ٣٨/١٩]، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾، وقد شَذَّ عنها "نِعْم وبِئْس".[٦]

قوله: (لا يَتمالَكون) يقال: فلان ما تَمالَك أن قال ذلك وما تماسَك،[٧] أي:

---

١ ر – له.

٢ الصحاح للجوهري، «سول». | وفي هامش د: قوله: (قلت: معناه) أي: معنى ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ والمغايرة باعتبار التعليل.

٣ وفي هامش د: أي: في هذا الكلام.

٤ ن: الطعم.

٥ ن: رواة.

٦ الصحاح للجوهري، «طمع».

٧ ر: وبماشك؛ ن: وماشك.

بل يَكظِمون عليه تشوُّرًا من إظهاره، فكيف بمثلِ هذا المنكَر؟

وقرئ: "كَبْرَت" بسكون الباء مع إشمامِ الضمة.

فإن قلتَ: إلامَ يرجعُ الضميرُ في ﴿كَبُرَتْ﴾؟

قلتُ: إلى قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وسمِّيتْ ﴿كَلِمَةً﴾ كما يسمُّون القصيدةَ بها.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾

لم يستطع أن يحبس نفسه، ومنه: هذا[1] الحائط لا يتمالَك ولا يتماسَك. هكذا[2] في المُغرب،[3] وهو يدلّ على أنّ المعنى أنّ ذلك القول يسبِق منهم مِن غير اختيار وقُدرةٍ على الامتناع.

اعلم أنّ معنى قوله: "لا يتمالَكون أن يتفوَّهوا[4] به":[5] لا يَستطيعون / أن [٨٧و] يتكلّموا به، وهذا المعنى بخلاف ما ذُكر في المُغرب، وإن كان حاصله عدمَ الاختيار، فيكون تارةً في الترك، وتارةً في الفعل. يقال: فاهَ بالكلام، يَفُوهُ به؛ لفَظَ به. ويقال: ما فُهتُ بكلمة، وما تَفوَّهتُ بها، بمعنًى، أي: ما فتَحتُ فَمي[6] بها.

قوله: (بل يَكظِمون) كظَمَ غيظَه[7] كَظْمًا؛ اجترَعَه، فهو رجل كَظيمٌ،[8] والغيظُ مَكظوم،[9] والكُظُوم: السكوت، وكَظَمَ البعير يكظِم كُظومًا؛ إذا أمسَك في[10] الجِرّة، فهو كاظِم، وقومٌ كُظَّم، أي: ساكِتون.[11] وقوله: (تَشوُّرًا)[12] أي: خَجالة.[13]

قوله: (فكيف بِمِثل هذا المُنكَر؟) "بمِثل" متعلّق بمحذوف دلّ عليه قوله: "يَتفوَّهوا"[14] و"يُطلِقُوا"، أي: فكيف تَفوَّهوا بمِثل هذا المنكر؟ وكيف أطلَقوا به ألسنتهم؟

---

[1] د + هذا.
[2] ر ن: هذا.
[3] المُغرب للمطرّزي، «ملك».
[4] ر ن: يتفرّهو.
[5] ر ن: انه.
[6] ر: فهي.
[7] ر: غيضه؛ ن: عضيه.
[8] ر ن: كطمه.
[9] ر: ملظوم.
[10] في الصحاح: عن.
[11] الصحاح للجوهري، «كظم».
[12] ر: نشورا.
[13] الخَجالة: مِن أخطاء العامّة، والصواب: الخَجْلة والخَجَل. المُغرب للمطرّزي، «خجل».
[14] ر: ينفواهوا؛ ن: سصواهوا.

شبَّهه وإيَّاهم حين تولَّوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخَلَه من الوَجْدِ والأسفِ على تولِّيهم برجلٍ فارقَه أَحِبَّتُه وأَعِزَّتُه فهو يتساقَطُ حسراتٍ على آثارِهم، ويَبْخَعُ نفسَه وَجْدًا عليهم وتلهُّبًا على فراقهم.

وقرئ: ﴿بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾ على الأصل وعلى الإضافة؛ أي: قاتِلُها ومُهلِكُها، وهو للاستقبال فيمَن قرأ: ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ وللمضيِّ فيمَن قرأ: "أَنْ لم يؤمنوا" بمعنى: لأنْ لم يؤمنوا.

﴿بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾: بالقرآن ﴿أَسَفًا﴾ مفعولٌ له؛ أي: لفَرْطِ الحُزن، ويجوزُ أن يكونَ حالًا.

قوله: (شَبَّهه) أي: شَبَّه حالَه وحالَهم.[١]

قوله: (وما تَداخَلَه) عطفٌ على الضمير المنصوب في "شَبَّهه" بطريق البيان. فإنَّ المراد بـ"حاله" هو ما تَداخَلَه مِن الوَجْد، والمرادَ بـ"حالهم" هو تَوَلِّيهم. وقوله: (برَجُلٍ) أي: بحال رجُلٍ.

فإنْ قيل: المُشبَّه متعدِّد، وهو "حاله وحالهم"، والمُشبَّه به واحد، وهو "حال رجل"، فكيف استقامة هذا التشبيه؟ قلنا: ليس المراد هنا تَشبيه المفرد بالمفرد، وإنّما المراد تشبيه المركَّب بالمركَّب، مع أنّه أشار إلى المتعدِّد في المشبَّه به، وهو التساقُط والمفارَقة، إلى آخر ما ذكره، فتأمّل. هذا، مع أنّ السؤال ساقط مِن أصله؛ لأنّ قوله: "وما تَداخَلَه"[٢] عطفٌ[٣] على طريق البيان للمضاف المحذوف مِن قوله: "شَبَّهه"، وقولَه: (وإيّاهم) على الضمير المنصوب، فيئُول[٤] المعنى إلى قولك: شبَّه الحالَ بالحال.

قوله: (شَبَّهه) بيانه[٥] أنّه شبَّه حاله بحال الرجل، ثمّ ذَكر حالَ الرجل وأراد حاله، والقرينة الخطاب في ﴿لَعَلَّكَ﴾ و﴿نَفۡسَكَ﴾.

---

١ وفي هامش د: أي: شبّه حاله عليه السلام مع حالهم بحال رجل مع أحبّته وقتَ المفارقة، والجامع التأسُّف والتحسُّر.

٢ ر ن: يداخله.

٣ ر: عطفا.

٤ ر: قبول.

٥ ر: تانيه؛ ن: ثانية.

والأسفُ: المبالغةُ في الحُزن والغضب، يقال: رجلٌ أسِفٌ وأسِيفٌ.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ "لعلَّ" لتوَقُّع مَرجُوٍّ أو مَخُوفٍ، تقول: لعلَّ زيدًا يكرمني، أي: أرجو[١] إكرامَه، ولعلَّ زيدًا يُهينُني،[٢] أي: أخاف إهانته. وفي هذه الآية بالمعنى الثاني، وهو الإشفاق، أي:[٣] الخوف. والمعنى: أنّ الله تعالى يأمره أن يخاف على نفسه فلا يتحسَّر؛ لئَلّا تؤدِّيَه الحسرة إلى الهلاك، فكأنّه قال: أشفِق على نفسك أن تقتلَها[٤] حسرةً على ما فاتَك مِن إسلام[٥] قومك.

والبَخْع:[٦] أن يبلغ بالذبح البِخاع بالباء؛ وهو عِرقٌ مستَبْطِنُ القَفا، وذلك أقصى حدّ الذبح.[٧] قال في المغرب: «النُّخاع -يعني بالنون-: خيط أبيض في جَوف عظم الرقَبة، يمتدّ إلى الصُّلب، ومَن قال: هو عِرقٌ سَها،[٨] إنّما ذاك البِخاع[٩] -بالباء- يكون في القَفا، ومنه: بَخَعَ الشاةَ؛ إذا بلغ بالذبح ذلك الموضع، فالبَخْع[١٠] أبلغُ مِن النَّخْع».[١١]

قوله: (والأسَف: المبالغة في الحُزن)[١٢] قال رضي الله عنه:[١٣] "الأسَف" أصلُ معناه: الجُهْد[١٤] دون العَفو، ومنه الأسِيف؛ الأجير؛ لِجُهده في العمل، ألا[١٥] تراه سُمّي عَسِيفًا مِن العَسْف.[١٦]

---

١ ن: أرجوا.
٢ ر: يهنيني.
٣ ن: إلى.
٤ ر: يقتلها.
٥ ر ن - إسلام.
٦ ن: والنخع.
٧ ر ن: الذابح.
٨ ر ن: بينها.
٩ ن: النخاع.
١٠ ن: فالنخع.
١١ المُغرب للمطرّزي، «نخع».
١٢ ر: الحز.
١٣ د: رحمه الله.
١٤ ر ن: والجهد.
١٥ ن: لا.
١٦ كذا في فتوح الغيب للطيبي، ٤١١/٩.

﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ما يَصْلُحُ أن يكون زينةً لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يُستحسَنُ منها.

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحُسنُ العمل: الزُّهدُ فيها وتركُ الاغترار بها، ثم زَهَّد في الميل إليها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ يعني: مثلَ أرضٍ بيضاءَ لا نباتَ فيها بعد أن كانت ....

[٨٧ظ] قوله: (يعني: ما / يصلح) كأنّه جواب سؤال؛ وهو أن يقال: جميع ما على الأرض ليس زينةً، فكيف قيل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً﴾ بلفظ العموم؟ فأجاب بأنّ المراد البعضُ الذي هو زينة.

قوله: (مِن زخارف) الزُّخرف: الذهب، ثمّ شُبِّه[١] به كلُّ مُمَوَّه[٢] مُزَوَّر، والمُزخرَف: المُزيَّن.[٣]

قوله: (ثمّ زَهَّد في المَيل)[٤] عطفٌ على محذوف، أي: ذكَر أنّ ما على الأرض زينةً ثمّ زهَّدَ. والزُّهد: خِلاف الرغبة،[٥] تقول: زَهِدَ في الشيء، وعن الشيء، زُهدًا وزَهادةً؛ إذا رَغِبَ عنه ولم يُرِده، ومَن فرَّق بين "زَهِدَ فيه" و"زَهِدَ عنه" فقد أخطأ.[٦]

قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ قال في الوسيط: «الصعيد: المُستوِي مِن الأرض، والجُرُز: التي[٧] لا نباتَ فيها».[٨] وأقول: هذا هو الذي ذكره المصنّف، لكنّه قدّرَ المضاف، وهو قوله: (مِثل)، وإنّما قدَّر المضاف؛ لأنّ ما على الأرض مِن الزينة لا يكون صعيدًا؛ بل إنّما يكون مثلَ الصعيد الجرُز. وقوله: (بعد أن كانت) ظرف لقوله: (فيها)، أي: لا نباتَ حاصلة فيها بعدَ أن كانت خَضْراء بالنبات، كثيرةَ النبات. وما يوهم مِن أنّه ظرف لقوله تعالى: ﴿جَٰعِلُونَ﴾ سهو لا يساعد عليه المعنى ولا يستقيم؛ بل يفسد كما يظهر بالتأمّل.

---

١ ن: سنه.
٢ ن: مهوه.
٣ الصحاح للجوهري، «زخرف».
٤ ر ن: المثل.
٥ الصحاح للجوهري، «زهد».
٦ المُغرب للمطرّزي، «زهد».
٧ ر ن: الذي.
٨ التفسير الوسيط للواحدي، ١٣٧/٣ (الكهف، ٨/١٨).

خضراءَ مُعْشِبَة، في إزالةِ بهجته وإماطةِ حُسنِه وإبْطال ما به كان زينةً: من إماتةِ الحيوان، وتجفيفِ النبات والأشجار، ونحوِ ذلك.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾

ذَكر من الآيات الكليَّةِ تزيينَ الأرض بما خلَق فوقها من الأجناس التي لا حَصْرَ لها، وإزالةَ ذلك كلِّه كأنْ لم يكن، ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ ....

وقوله: (خضراء) في مقابلة قوله: (بيضاء). وقوله: (مُعشِبة)[1] في مقابلة (لا نباتَ[2] فيها). كما فسَّر "خضراء" بقوله: "مُعشِبة"،[3] فالصفة في الصورتين صِفةٌ كاشفة.[4] والعُشب: الكلأ الرَّطْب. لا يقال له: حشيش حتى يَهيج. تقول منه: بلد عاشِب.[5] ولا يقال في ماضيه إلّا: أعشَبَت[6] الأرض؛ إذا أنبتَت العشب، وأرض مُعشِبة وعَشِيبة، واعشَوشَبَت الأرض؛ كثُرَ عُشبها، وهي للمبالغة،[7] كقولهم: خَشُنَ[8] واخْشَوشَنَ.[9] وقوله: (في إزالة) وجهُ الشَّبَه بين ما على الأرض والصعيد. وقوله: (وإماطةِ) ماطَ، أي: بَعُدَ وذهبَ، وأماطه: أبعَدَه، ومنه إماطة الأذى.[10] وقوله: (مِن إماتة) بيان لقوله: (إزالة بَهجَته)... إلخ.

قوله: (ثمّ قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾) معناه: بل أَحَسبت؟ ومعنى "بل" الإضراب، ويجيء كثيرًا بمعنى تركِ الأوّل والأخذِ فيما هو أهمّ. فالله تعالى بعد ذكر الآية العظمى قال: انظروا وتعجَّبوا ممَّن يرى[11] تلك الآية العظيمة ثمّ يظنّ أنّ أمر أصحاب الكهف شيء عجيب بالنسبة إلى قدرتنا. يعني: ما هذا أمر عجيب بالنسبة إلى قدرتنا، ففي قدرتنا[12] ما هو أعجب منه بكثير، فلذا قال: ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾.

---

١ ر: معشية.
٢ ر ن: الاثبات.
٣ ر: معشية.
٤ ن: كاسفة.
٥ ر: عاشت.
٦ ن: عشبت.
٧ ن: المبالغة.
٨ ن: حسن.
٩ ن: واحسوسن.
١٠ الصحاح للجوهري، «ميط».
١١ ن: ترى.
١٢ ر ن – يعني: ما هذا أمر عجيب بالنسبة إلى قدرتنا، ففي قدرتنا.

يعني: أن ذلك أعظمُ من قصةِ أصحابِ الكهفِ وإبقاءِ حياتهم مدةً طويلةً.

و"الكهفُ": الغارُ الواسع في الجبل.

و"الرقيم": اسمُ كلبهم، قال أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْت:

وليس بها إلّا الرقيمُ مجاوِرًا وَصِيدَهم والقومُ في الكهف هُمَّدَا

وقيل: هو لوحٌ من رَصاصٍ رُقِمَتْ فيه أسْماؤهم جُعل على باب الكهف.

وقيل: إن الناسَ رَقَموا حديثَهم نَقْرًا في الجبل.

وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: الجبل، وقيل: قريتُهم.

وقيل: مكانهم بين غَضْبانَ وأيلةَ دون فِلِسْطين.

﴿كَانُوا﴾ آيةً ﴿عَجَبًا﴾ من آياتنا، وصفًا بالمصدر، أو على: ذاتِ عَجَبٍ.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

قوله: (يعني أنّ ذلك أعظم) أي: إنّ التزيين[١] والإزالة.

قوله:

(وليس بها)... البيت[٢]

"الوَصيد" الواو فيه أصليّة، وهو مفعول "مجاورًا"، و"هُمَّدُ"، أي: نائمة ساكنة، أو ميّتة. يقال: الريح هامِدة، أي: ساكِنة، استعارة مِن هُمود النار؛ وهو أن يَطفَأ جَمْرُها؛ لأنّ فيه سُكون حَرِّها.[٣]

قوله: (بينَ غَضبان) جبل. وقوله: (أيلة) الأيلة: قَرية على ساحل قُلْزُم.

[٨٨و] وقوله: (فِلسطين) / نهر بالأردُنّ.

---

١ ر: التزين.

٢ ديوان أميّة بن أبي الصَّلت، ص ٣٧٥.

٣ المُغرب للمطرّزي، «همد».

﴿مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾؛ أي: رحمةً من خزائنِ رحمتك، وهي المغفرةُ والرزقُ والأمنُ من الأعداء.

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نحن عليه من مفارقةِ الكفّار ﴿رَشَدًا﴾ حتى نكونَ بسببه راشدِينَ مهتدينَ، أو: اجعَلْ أمرَنا رشدًا كلَّه؛ كقولك: رأيتُ منك أسدًا.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾؛ أي: ضرَبْنا عليها حجابًا من أنْ تسمع، يعني: أَنَمْناهم إنامةً ثقيلةً ....

قوله: (﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي[1] نحن عليه)... إلخ "مِن" على الوجه الأوّل للابتداء، وعلى الوجه الثاني للبيان.[2] وأمّا "مِن" في قول المصنّف: (مِن مفارَقة) فلِبيان الأمر.

قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ قال مُحيي السنّة في شرح السنّة: «عن أبي قتادة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[3] كان في سفَر له، فمالَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4] ومِلْتُ معه، فقال: 'احفظوا علينا صلاتَنا' -يعني صلاةَ الفجر-، فضُرِب على آذانهم، فما أيقظَهم إلّا حَرّ[5] الشمس».[6] ثمّ قال محيي السنّة: «'فضُرِب على آذانهم' كلمة فصيحة مِن كلام العرب، معناه: أنّه حُجِب الصوت والحِسُّ أن يَدخُلا آذانَهم فينتبهوا».[7]

قوله: (أي: ضربنا عليها) أي: على آذانهم.

قوله:[8] (يعني: أنَمْناهم[9] إنامةً)[10] شُبّه الإنامة الثقيلة بضَرب[11] الحِجاب،[12] ثمّ ذُكر ضربُ الحِجاب وأريدَ الإنامة، ثمّ قيل: ﴿ضَرَبْنَا﴾ وأريدَ: أنَمْنا، فهو

---

[1] ر ن: للذي.

[2] وفي هامش د: "مِن" على الأوّل سببيّة، أي: هيّئ لنا بسبب المفارَقة التي نحن عليه مِن الكفار رَشَدًا، وعلى الثاني بيانيّة، وتسمّى في علم البيان: تجريديّة.

[3] د: عليه السلام.

[4] د: عليه السلام.

[5] ر: الاخر.

[6] شرح السنّة للبغوي، ٣٠٨/٢ (٤٣٩). وهو في سنن أبي داود، ٣٢٨/١ (٤٣٧).

[7] شرح السنّة للبغوي، ٣٠٩/٢.

[8] ن: فقوله.

[9] ر: أيمانهم.

[10] ر: أيامه.

[11] ر: يضرب.

[12] وفي هامش د: والجامع كون كلّ منهما مانعًا مِن نُفوذ الصوت.

لا تُنَبِّهُهم فيها الأصواتُ؛ كما ترى المستثقِلَ في نومه يُصاحُ به فلا يَسمعُ ولا يَستنبهُ، فحُذف المفعولُ الذي هو الحجاب؛ كما يقال: "بنَى على امرأته" يُريدون: بنَى عليها القُبَّةَ.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: ذواتِ عددٍ، فيَحتمِلُ أن يريدَ الكثرةَ وأن يريدَ القلَّة؛ لأن الكثير قليلٌ عنده؛ كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس ٤٥/١٠].

وقال الزجَّاج: إذا قلَّ فُهِمَ مِقدارُ عددِه فلمْ يَحتجْ إلى أن يُعدَّ، وإذا كثُرَ احتاج إلى أن يُعَدَّ.

"أيُّ" يتضمَّن معنى الاستفهام، فعُلِّق عنه ﴿لِنَعْلَمَ﴾ فلمْ يَعملْ فيه، وقرئ: "ليُعلم" وهو معلَّقٌ عنه أيضًا؛ لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسنادِ "يُعْلَمَ" إليه، وفاعلُ "يُعْلَمَ" مضمونُ الجملة كما أنه مفعولُ "نَعْلَمَ".

مِن الاستعارة التبعيّة. وقوله: (فيها الأصوات) "فيها" حال مِن "هم"، أي: لا تُنَبِّهُهم الأصوات حالَ كونهم في تلك الإنامة.

قوله: (كما ترى المُستثقِل) أي: مِثل عدم التنبُّه[1] وقتَ رُؤيتك المُستثقِلَ.

وقوله: (لا[2] يَستَنبِهُ) استَنْبَهَ بمعنى: تَنَبَّهَ.

قوله: (كما يقال: بَنَى) أي: حُذفا مثلَ حَذفهم المفعول وقتَ قولهم: بنَى على امرأته، وهذا مِثل[3] قوله تعالى: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الصف ١٤/٦١].

قوله: (وقال الزجّاج) وكأنّ الزجّاج اختار أنّ المراد به الكَثرة؛ لأنّه لمّا قال: ﴿عَدَدًا﴾ عُلِم أنّه يُحتاج في مقدار عدده إلى أن يُعدّ.[4] والظاهر أنّ الزجّاج اختار أنّ المراد القِلّة، أي: هي بحيث يُعلم عدده، فلا يُحتاج إلى أن يُعدَّ ليُعلَم عدده.[5]

قوله: (كما أنّه مفعول) أي: كما أنّ مضمون الجملة مفعول ﴿نَعْلَمَ﴾.

---

[1] ر ن: التنبيه.

[2] ر ن: ولا.

[3] ن + قوله: (كما يقال: بَنَى) أي: حُذفا مثلَ حذفهم المفعول وقتَ قولهم: بنَى على امرأته، وهذا مِثل.

[4] ر: بعد.

[5] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿سِنِينَ﴾ ظرف، ﴿عَدَدًا﴾ صفة ﴿سِنِينَ﴾.

﴿أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾ المختلِفين منهم في مدَّة لَبْثهم؛ لأنهم لمَّا انتبهوا اختلفوا في ذلك، وذلك قولُه: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ [الكهف ١٩/١٨] وكأنَّ الذين قالوا: ﴿رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ هم الذين علموا أن لَبْثَهم قد تطاوَلَ.

أو: أيُّ الحزبين المختلِفَينِ مِن غيرِهم.

قوله: (أيُّ الحزبَين المختلفَين منهم) قال المَرزوقي في شرح:

تعالَوا أُفاخِرْكم أأَعْيا[١] وفَقْعَسٌ[٢] إلى المجد أدنى أم عشيرةُ حاتم:

«والمعنى:[٣] أُنافِرْكم بالقَضيّة[٤] التي تكون نتيجةَ هذا الاستفهام».[٥]

وأنا كتبت في حاشيته: «إنّ معنى "نتيجةَ هذا الاستفهام": جوابَ هذا الاستفهام.[٦] وهو كما قال سيبويه: 'معنى علِمتُ أزيدٌ عندك أم عمرو: علِمتُ جوابَ الاستفهام'».[٧]

فأقول: معنى ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ﴾: لنعلمَ جوابَ مَن يقول: "أيُّ الحزبَين أحصَى؟".

قال في الوسيط: «﴿لِنَعۡلَمَ﴾ أي: لنرى». ثمّ قال:[٨] «ذكرنا وجه علم الله فيما يُستقبل».[٩] يريد: لنَعلَمَ كائنًا وواقعًا ما علمنا أنّه[١٠] سيكون. وأمّا ما ذكره المصنّف فهو معنًى آخر كما سيجيء آنِفًا، وهو أحسَن.

قوله: (لأنهم) بيان أنّ[١١] المعنى والمراد: أيُّ الحِزبَين المختلفَين منهم، فإنّهم اختلفوا في حال أنفسهم.

---

١ ن: اعيا. | وفي هامش د: قبيلة.

٢ وفي هامش د: قبيلة.

٣ ن: المعنى.

٤ ن: بالصيه.

٥ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٢٥٦/١. والبيت فيه لحُريث بن عَنّاب.

٦ ر ن – وأنا كتبت في حاشيته: إنّ معنى "نتيجةَ هذا الاستفهام": جوابَ هذا الاستفهام.

٧ انظر: الكتاب لسيبويه، ٢٣٦/١.

٨ ر ن – مَن يقول: "أيُّ الحزبَين أحصَى؟". قال في الوسيط: «﴿لِنَعۡلَمَ﴾ أي: لنرى». ثمّ قال.

٩ التفسير الوسيط للواحدي، ١٣٧/٣ (الكهف، ١٢/١٨).

١٠ ن: أية.

١١ ر ن – أنّ.

و﴿أَحۡصَىٰ﴾ فعلٌ ماضٍ؛ أي: أيُّهم ضبَطَ ﴿أَمَدًا﴾ لأوقاتِ لَبْثِهم.

فإن قلتَ: فما تقولُ فيمَن جعَله مِن أفعلِ التفضيل؟

قلتُ: ليس بالوجه السَّديد، وذلك أن بناءه من غيرِ الثلاثي المجرَّد ليس بقياسٍ، ونحو: "أَعْدى من الجَرَب" و: "أفلسُ من ابنِ المذَلَّق" شاذٌّ، والقياسُ على الشاذِّ في غيرِ القرآن ممتنعٌ، ....

قوله: (و﴿أَحۡصَىٰ﴾ فعل ماضٍ) قال في التفسير الوسيط: «﴿أَحۡصَىٰ﴾ عَدَّ أَمَدَ لَبْثِهم، وعَلِم ذلك».[1] قوله: "أَمَدَ لَبْثِهم" الأمَد:[2] الغاية.

قوله: (ونحو: أعْدَى) العَدْوى: ما يُعدِي مِن جَرَبٍ أو غيره؛ وهو مُجاوَزته مِن صاحبه إلى غيره. ويقال: أعْدَى فلانٌ[3] فلانًا / مِن خُلُقٍ[4] أو عِلّةٍ به.[5] [٨٨ظ]

قوله: (مِن ابن المُذَلَّق)[6] المُذَلَّق:[7] رجل مِن بني عبد شمس فقير، ما كان يحصل على بِيتٍ[8] ليلة، وآباؤه وأجدادُه كذلك. قال القائل:

فإنّك إذ ترجو تميمًا ونفعَها ... كراجي النَّدَى والعُرفِ عند المُذَلَّقِ[9]

وإنّما قال: "نحو" لِمَجيء "أعطاهم[10] للدينار[11] والدرهم"، و"أولاهم للمعروف"، و"أنتَ[12] أكرم لي مِن زيد"،[13] أي: أشدُّ إكرامًا، و"هذا المكان أقفَرُ مِن غيره"، أي: أشدُّ إقفارًا، و"هذا الكلام أخصَرُ".[14]

الذَّلاقة: حِدّة اللسان، وكلُّ مُحدَّد مُذَلَّق،[15] وقَرْنُ الثور مُذَلَّق.[16]

---

[1] ن: وذلك. | التفسير الوسيط للواحدي، ١٣٨/٣ (الكهف، ١٨/١٢).
[2] ن + لَبْثِهم الأمَد.
[3] ر ن – فلان.
[4] ر: خلفه؛ ن: حلقه.
[5] الصحاح للجوهري، «عدا».
[6] ر ن: المدلق. | يُروى بالدال والذال. انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٨٣/٢.
[7] ر ن: المدلق.
[8] وفي هامش د: "البِيت" -بالكسر-: القُوت، يقال: ما كان يقدِر على بِيتِ ليلةٍ، أي: قُوتِ ليلة. | انظر: لسان العرب لابن منظور، «بيت».
[9] ر ن: المداق. | بغير نسبة في جمهرة الأمثال للعسكري، ١٠٧/٢؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٨٣/٢؛ وتاج العروس للزبيدي، «ذلق».
[10] ر: وأعطاهم.
[11] ن: الدنيار.
[12] ر: وكنت.
[13] ر ن – لي مِن زيد.
[14] ر: أخضر. | انظر: المفصّل للزمخشري، ص ٢٩٧.
[15] ن: مدلق.
[16] ن: مدلق. | مجمل اللغة لابن فارس، «ذلق».

فكيف به؟ ولأن ﴿أَمَدًا﴾ لا يخلو: إما أن يُنصب بأفْعَلَ فأفعلُ لا يعملُ، وإما أن يُنصب بـ﴿لَبِثُواْ﴾ فلا يَسِدُّ عليه المعنى، فإن زعمتَ أني أنصبُه بإضمارِ فعلٍ يدلُّ عليه ﴿أَحْصَىٰ﴾ كما أُضمر في قوله:

وأضــــربَ منّـا بـالـسـيـوفِ الـقَـوانـسـا

وقولـه: (فكيف بـه؟) يجـوز أن يكـون "البـاء" بمعنـى "فـي"، فكأنّـه[1] قـال: فكيف يجوز في القرآن؟ أو "البـاء" زائـدة، ويكـون "بـه" مبتـدأ، و"كيـف" خبـره، أي: كيـف[2] هـو، أي: القرآن؟ فكأنّـه[3] قـال: إذا كان حـال غيـر القرآن هـذا، فكيـف يكـون حـال القرآن؟

قوله: (فـ"أَفْعَلُ" لا يعمل) فيه حذفٌ، والتقدير: لا يصحّ ذلك، فـ"أَفْعَلُ" لا يعمل، أي: لأنّ "أَفْعَلَ" لا يعمل. ولا يجوز أن يُقال: هو تمييز، أي: أَعْلَم وأَضْبَط لأَمَد لَبْثِهم؛ لأنّه لا يكون فاعلًا، ولا في معنى الفاعل، كما في ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾، فكيف يستقيم أن يكون تمييزًا؟

قوله: (فلا يَسَدُّ[4] عليه المعنى)؛ وذلك لأنّ المعنى على تعلّق العِلم والضبط بمدّة لَبْثِهم، لا بِلَبْثِهم في المدّة، ولا بلَبْثِهم المدّةَ.

قولـه: (فإن زعمتَ أنّي أنصبه) كان المناسب أن يقول: أنّك تَنصِبُه، لكنّه نظر إلى[5] المعنى، فكأنّه حكَى كلامَ الزاعِم المخاطَب، أو كأنّه قال: فإن زعمتَ أيُّها[6] المخاطَب في حَقّي أنّي أنصِبه. ولو رُوِي بضمّ التاء في "زَعمتُ" و"أبعدتُ" لكانَ وَجْهًا، فكأنّه قال: إن زعم ذلك.

قوله:

(وأضــرَبَ مِنّــا بالســيوف القوانِسَـــا)

---

[1] ر: مكانه.

[2] ر ن - خبره، أي: كيف.

[3] ر: فكان.

[4] قال الطِّيبي: «بفتح السين في النسخ. وقال الجوهري: "سَدَّ قولُه يَسِدُّ، بالكسر، أي: صار سَديدًا"». فتوح الغيب للطيبي، ٤٢٠/٩.

[5] ر - إلى.

[6] ر ن: أنها.

على: "نضربُ القوانسَ" فقد أبْعَدْتَ المتناولَ وهو قريبٌ، حيث أبيتَ أن يكون ﴿أَحْصَىٰ﴾ فعلًا ثم رجعتَ مضطرًا إلى تقديره وإضماره.

فإن قلتَ: كيف جعَل الله تعالى العلمَ بإحصائهم المدَّةَ غرضًا في الضرب على آذانهم؟

قلتُ: الله عزَّ وعلا لم يَزَلْ عالمًا بذلك، وإنما أراد ما تعلَّق به العلمُ من ظهورِ الأمر لهم ليزدادوا إيمانًا واعتبارًا، ويكونَ لطفًا لمؤمني زمانهم وآيةً بيّنة لكفّاره.

أوّله:

أَكَرُّ[١] وأَحمَى[٢] للحقيقة[٣] منهمُ[٤]

و"القَوانِس": جمع القَونَس، وهو أعلى البَيضة.[٥]

قوله: (وهو قريبٌ) حال.

قوله: (رجعتَ مُضطرًا) "مُضطرًا" حال. ويجوز أن يكون المعنى: صِرت مُضطرًا[٦] إلى تقديره.

قوله: (وإنّما أراد ما تعلَّق به العلم) يعني أنّ مُتعلَّق ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هو ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾. وحاصله: إحصاءَهم وضَبْطَهم[٧] مدّةَ لَبثِهم، فكأنّه قيل: ضَرَبنا على آذانِهم ليَضبطَ هؤلاء بعدَ تيقّظِهم وتَنبُّهِهم مِن النوم مدّةَ لَبثِهم، فيزدادوا[٨] إيمانًا. وهذا معنًى لطيف، وهو أَولى ممّا نقلنا مِن الوسيط في أوّل الصفحة، فتأمّل.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ربطتُ الشيءَ:[٩] شَدَدتُه، وفلانٌ رابط الجَأْش، ورَبِيطُ الجَأش، أي:[١٠] شديدُ القلب، كأنّه يربط نفسه عن الفِرار.[١١] يقال:

---

١ ر ن: الر.

٢ ن: واحى.

٣ ر ن: الحقيقة.

٤ للعبّاس بن مرداس في ديوانه، ص ٩٣.

٥ في الصحاح للجوهري، «برهن»: «أعلى البَيضة مِن الحديد».

٦ ر ن – (مُضطرًا) "مُضطرًا" حال. ويجوز أن يكون المعنى: صِرت مُضطرًا.

٧ ن: وطبضهم.

٨ ن: فيزدادو.

٩ ر – الشيء.

١٠ ر + أي.

١١ ر ن: القران. | الصحاح للجوهري، «ربط».

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤﴾

﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ بالتوفيق والتثبيت.

﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: وقوّيناها بالصبرِ على هَجْر الأوطان والنَّعيمِ، والفِرارِ بالدِّين إلى بعض الغِيرَان، وجَسَّرناهم على القيام بكلمة الحقِّ والتظاهُرِ بالإسلام.

﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ بين يديِ الجبّار وهو دِقْيَانُوسُ من غيرِ مبالاةٍ به حين عاتَبهم على تركِ عبادة الصنم ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

﴿شَطَطًا﴾: قولًا ذا شططٍ، وهو الإفراطُ في الظُّلم والإبعادُ فيه، مِن شَطَّ: إذا بَعُدَ، ومنه: أَشَطَّ في السَّوْم وفي غيره.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

ربَطَ الدابّةَ: شدَّها، والمَرْبِط: موضع الرَّبطِ، والرِّباط: ما يُربَط به مِن حَبْلٍ أو غيره، وقد يُسمَّى به الحِبالة، ومنه المَثَل:[١] «إن ذهبَ عَيرٌ[٢] فعَيرٌ[٣] في الرِّباط»، يُضرَب في الرِّضى[٤] بالحاضر[٥] وتركِ الغائب.[٦]

قوله: (والتظاهر بالإسلام) "التظاهر": التعاون، فكأنّه أعانَ بعضُهم بعضًا بإظهار الإسلام تعاوُنًا[٧] على الجبّار الكافر.

/ قوله: (دقيانوس) ملِك أُفْسُوسَ. وقيل: طَرْسُوسَ. [٨٩و]

قوله: (في السَّوم)[٨] أي: الرَّعي.

---

١ ر: الميل.

٢ ر ن: غير.

٣ ر ن: فغير.

٤ ر + في.

٥ ر ن: الحاض.

٦ المُغرب للمطرّزي، «ربط». والعَير: الحمار الوحشي، والأهلي أيضًا. الصحاح للجوهري، «عير».

٧ ر ن: وتعاونًا.

٨ وفي هامش د: الخسف.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأٌ، و﴿قَوۡمُنَا﴾ عطفُ بيانٍ، و﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ خبرٌ، وهو إخبارٌ في معنى إنكارٍ.

﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم﴾: هلّا يأتون على عبادتهم، فحُذِف المضافُ.

﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ وهو تبكيتٌ؛ لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محالٌ، وهو دليلٌ على فساد التقليد، وأنه لا بدَّ في الدِّين من الحجة حتى يصحَّ ويَثْبُتَ.

﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بنسبةِ الشريكِ إليه.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطابٌ من بعضهم لبعضٍ حين صمَّمَتْ عزيمتُهم على الفِرار بدينهم.

﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ نصبٌ عطفٌ على الضمير، يعني: وإذ اعتَزَلْتُمُوهم واعتَزَلْتُم مَعْبودِيهِم.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يجوز أن يكون استثناءً متصلًا على ما روي: أنهم كانوا يُقرُّون بالخالق ويُشركون معه كما أهلُ مكة، وأن يكون منقطِعًا.

وقيل: هو كلامٌ معترِضٌ إخبارٌ من الله تعالى عن الفِتْية أنهم لم يعبدوا غيرَ الله.

﴿مِّرۡفَقٗا﴾ قرئ بفتح الميم وكسرِها، وهو ما يُرتَفَقُ به؛ أي: يُنتفَعُ.

قوله: (﴿وَمَا[1] يَعۡبُدُونَ﴾). قوله: (﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يجوز) قال رضي الله عنه:[2] «لا بدّ مِن وُقَيفة، وهي مِن آداب القراءة لتعظيم المستثنى، فاعرفه».

قوله: (وقيل: هو كلام معترِض) فـ﴿مَا﴾ على هذا للنفي.

قوله: (قُرئ بفتح الميم وكسرها)[3] مَن فتحَ الميمَ كسرَ الفاء، وعلى العكس.[4]

---

[1] وفي هامش د: الذي.

[2] د: رحمه الله.

[3] قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ باقي العشرة بكسر الميم وفتح الفاء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١٠.

[4] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ "مِن" سببيّة.

إمَّا أن يقولوا ذلك ثقةً بفضل الله وقوَّةً في رجائهم؛ لتوكُّلهم عليه ونصُوعِ يَقينهم، وإمَّا أن يخبرَهم به نبيٌّ في عصرهم، وإمَّا أن يكون بعضهم نبيًّا.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

أصله: "تتزَاوَرُ" فخُفِّف بإدغام التاء في الزاي أو حذفِها، وقد قرئ بهما، وقرئ: ﴿تَزْوَرُّ﴾ و: "تَزْوَارُّ" بوزن تَحْمَرُّ وتَحْمارُّ، وكلُّها من الزَّوَر وهو المَيل، ومنه: زارَه، إذا مال إليه، والزُّورُ: الميلُ عن الصدق.

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: جهةَ اليمينِ، وحقيقتُها: الجهةُ المسمَّاةُ باليمين.

﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطَعُهم لا تقرَبُهم، من معنى القطيعة والصَّرْم، قال ذو الرُّمَّة:

قوله: (وحقيقتها الجهة المسمّاة باليمين) وإذا كانت الجهة[١] مسمّاة باليمين[٢] كان اليمين اسمًا للجهة. وإذا كان اسمًا لها كانت الجِهة[٣] صاحبةَ هذا الاسم، فيقال لتلك الجهة: صاحبةَ اليمين، أي: صاحبةَ هذا اللفظ. وبيانه أن نقول: "ذو" بمعنى الصاحب، تقول: ذو مال، وتقول للمؤنّث: ذات[٤] مال، وللثِّنتَين: ذَواتا مال، وللجماعة: ذوات مال، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: الأمور المستقِرّة في الصدور، سمّيَت ذواتِ الصدور -أي: صاحبةَ الصدور- لاستقرارها في الصدور،[٥] وفلان قليلُ ذات اليد،[٦] أي: الأملاك أو الأموال المصاحِبة لليد.[٧]

قوله: (القطيعة) "القطيعة": الهِجران.

قوله: (قال ذو الرُّمّة) يصف جِمالًا. وقوله:

---

١ ن: الهة.

٢ ر – وإذا كانت الجهة مسمّاة باليمين.

٣ ن – مسمّاة باليمين كان اليمين اسمًا للجهة، وإذا كان اسمًا لها كانت الجِهة.

٤ ر: ذوات.

٥ ر ن – في الصدور.

٦ ر ن: إليك.

٧ انظر: المُغرب للمطرّزي، «ذو».

إلى ظُعُنٍ يَقرِضنَ أقوازَ مُشرفٍ شمالًا وعن أيمانهنَّ الفوارِسُ

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ وهم في متَّسَعٍ من الكهف، والمعنى: أنهم في ظلِّ نهارَهم كلَّه لا تُصيبُهم الشمسُ في طلوعها ولا غروبها، مع أنهم في مكانٍ واسعٍ منفتحٍ مُعرَّضٍ لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبُها عنهم.

وقيل: في متفَسَّحٍ من غارهم ينالُهم فيه رَوْحُ الهواء وبَردُ النسيم ولا يُحِسُّون كربَ الغار.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما صنَعه الله بهم من ازْوِرَار الشمس وقَرْضِها طالعةً وغاربةً آيةٌ من آياتهِ، يعني: أن ما كان في ذلك السَّمْتِ تُصيبُه الشمس ولا تُصيبُهم اختصاصًا لهم بالكرامة.

(إلى ظُعُنٍ)... البيتَ[1]

"الظُّعُن": النساء في الهَوادج. و"الأقواز" جمع "قَوْز"؛ وهو الكَثِيب. و"مُشرِف" عَلَم رَمْل معروفة. و"الفوارس" عَلَم رِمال معروفة بالدَّهْناء.

الظعينة: المرأة الظاعِنة، ولا تُسمَّى ظَعينة حتى تكون في الهَودج، والجمع ظَعائِن وظُعُن.[2] و"الأقواز" جمع "القَوز"؛ وهي أصغر مِن الجبل، و"مُشرِف" أي: أقواز جبلٍ مشرِف. وعن أيمانهنّ الفوارس، يعني: الفُرسان، ويمكن أن يريد به مَوضعًا بعينه. تقول: نظرتُ أو تشوَّفت إلى ظُعُن يَقطعنَ الأرض في السير حيث كانت الأقواز عن شِمالهنّ، وعن أيمانِهنّ الفوارسُ لحِمايتهنّ.

قوله: (لولا أنّ الله تعالى يحجبُها) "لولا" متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله:[3] (معرَّض)، أو نقول: جوابه محذوف، أي: لَأصابَتهم الشمس.

قوله: (كَرْبَ الغارِ) الكَرْبُ -على وزن[4] الضَّرْب-: الغمّ[5] الذي يأخذ بالنفَس، وكذا الكُرْبة بالضمّ، تقول: كَرَبَهُ الغَمُّ؛ إذا اشتدَّ عليه.[6]

---

١ ديوان ذي الرمّة، ٢/١١٢٠.
٢ انظر: الصحاح للجوهري، «ظعن».
٣ ر + بقوله.
٤ ر ن: وجه.
٥ ن: القم.
٦ انظر: الصحاح للجوهري، «كرب».

وقيل: باب الكهف شماليٌّ مستقبِلٌ لبناتِ نَعْشٍ فهُم في مَقْنَأة أبدًا.

ومعنى ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أنَّ شأنهم وحديثَهم من آيات الله.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ ثناءٌ عليهم بأنهم جاهَدوا في الله وأسلَموا له وجوهَهم فلَطَف بهم وأعانَهم وأرشدَهم إلى نيلِ تلك الكرامة السنيَّة والاختصاصِ بالآية العظيمة وأن كلَّ مَن سلك طريقةَ المهتدين الراشدين فهو الذي أصابَ الفلاحَ واهتدَى إلى السعادة، ومَن تعرَّض إلى الخذلان فلن يجدَ مَن يَليهِ ويرشدُه بعد خذلان الله.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ بكسرِ السين وفتحِها: خطابٌ لكلِّ أحدٍ، والأيقاظُ: جمع يَقِظٍ كأنكادٍ في جمع نكِدٍ.

قيل: عيونُهم مفتَّحةٌ وهم نيامٌ، فيَحْسَبُهم الناظر لذلك أيقاظًا.

وقيل: لكثرة تقلُّبهم، وقيل: لهم تقلُّبتان في السنة، وقيل: تقلُّبةٌ واحدةٌ في يوم عاشوراء.

قوله:[١] (فهُم في مَقنَأة) "المَقْنَأة": المكان الذي لا يقع فيه الشمس.[٢]

قوله: (ومعنى ﴿ذَٰلِكَ﴾)... إلخ أي: على هذا الوجه.

قوله: (وأنَّ كلَّ مَن[٣] سلَكَ) أي: ثناء عليهم بأنَّهم... إلخ، وبيان أنَّ كلَّ... فهو عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (ثناء).

قوله: (جمع يَقِظ) رجل يَقِظٌ[٤] ويَقُظٌ،[٥] أي: مُتَيقِّظ.[٦]

قوله: (فيَحسبهم الناظر) يعني: ليس المراد بهذا الخطاب خِطابَ شخص بعينه؛

---

١ ن: وقوله.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «قنأ».

٣ ر - كلَّ مَن.

٤ ن: نقط.

٥ ن: ونقط.

٦ الصحاح للجوهري، «يقظ».

وقرئ: "ويُقلّبهم" بالياء والضميرُ لله عز وجل، وقرئ: "وتَقَلُّبَهم" على المصدر منصوبًا، وانتصابُه بفعلٍ مضمَرٍ يَدُلُّ عليه ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظًا﴾ كأنّه قيل: وتَرى وتُشاهِد تقلُّبَهم.

وقرأ جعفرٌ الصَّادق رضي الله عنه: "وكالِبُهم"؛ أي: وصاحبُ كَلْبهم.

﴿بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ؛ لأن اسمَ الفاعل لا يعملُ إذا كان في معنى المضيّ، وإضافتُه إذا أُضيفَ حقيقيَّةٌ مُعَرِّفةٌ؛ كـ: "غلامُ زيدٍ" إلا إذا نُويَتْ حكايةُ الحال الماضية.

والوصيدُ: الفِنَاءِ، وقيل: العَتَبَةُ، وقيل: البابُ، وأُنشد:

بأرضٍ فضاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عليَّ ومَعْروفي بها غيرُ منكرِ

وقرئ: ﴿ولمِلِّئت﴾ بتشديد اللام للمبالغة، وقرئ بتخفيف الهمزة وقَلْبِها ياءً.

و﴿رُعۡبٗا﴾ بالتخفيف والتثقيل، وهو الخوفُ الذي يَرْعَبُ الصدرَ؛ أي: يَملؤه، وذلك لِمَا ألبسَهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعِظَم أجرامهم، وقيل: لوحشةِ مكانهم.

وعن معاويةَ أنه غَزَا الرُّومَ فمرَّ بالكهف، فقال: لو كُشف لنا عن هؤلاء فنَظَرْنا إليهم، فقال له ابن عباس رضي الله عنه: ليس لك ذلك، قد منع الله تعالى منه مَن هو خيرٌ منك فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾

بل كلُّ مَن يصلُح أن يكون مخاطَبًا داخلٌ في هذا الخطاب، كقوله عليه السلام:[1] «بشِّر المَشّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التامّ يوم القيامة».[2]

قوله: (بأرض)... البيتَ،[3] يصِف حاله في البَدو، أي: ضِيافَتِي في البَدو مَشهورة.

قوله: (لو كُشف) جواب "لو"[4] محذوف،[5] أي: لَكان حسنًا.

---

١ ر ن: تعالى.

٢ سنن أبي داود، ٤٢١/١ (٥٦١)؛ سنن الترمذي، ٢٩٩/١ (٢٢٣).

٣ بغير نسبة في تاج العروس للزبيدي، «فضو».

٤ ر ن – لو.

٥ ر ن: لمحذوف.

فقال معاويةُ: لا أنتهي حتى أَعْلَمَ عِلْمَهم، فبعثَ ناسًا وقال لهم: اذهبوا فانظروا، ففعلوا، فلما دخلوا الكهفَ بعثَ الله تعالى عليهم ريحًا فأحرقَتْهم.

وقرئ: "لوُ اطلعت" بضم الواو.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامٗا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٖ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: وكما أنَمناهم تلك النَّومةَ كذلك بعثناهم، إذكارًا بقدرته على الإنامة والبعثِ جميعًا؛ ....

قوله: (فقال معاوية) فكأنّ معاوية ظنّ أنّ هذا المعنى المذكور -وهو امتناع / الاطّلاع عليهم- مختصٌّ[1] بذلك الزمان الذي قَبل بَعثِهم والإعثار [٨٩ظ]
عليهم وبناء المسجد فوقهم، وظَنّ أنّ بعد ذلك يجوز الاطّلاع عليهم، وإلّا لَما طلب الاطّلاع عليهم. وأمّا ابن عبّاس فقد عَلِم أنّ ذلك لا يمكن لأَحد إلى يوم القيامة.

قوله: (حتّى أعلمَ عِلمَهم) أصله: حتّى أعلمَهم عِلمًا يُميّز صِفاتهم، ويكشف عن حالهم، بحيث لا يبقى شُبهة في الأمور المتعلِّقة بهم، فأضاف العلم إليهم لإفادة هذا المعنى؛ إذِ المراد العِلم المختصّ بحالهم. وقوله: "عِلمَهم" أي: حقَّ عِلمِهم.

قوله: (وقُرئ: "لَوُ اطَّلَعْتَ")[2] كقوله تعالى: "لَوُ اسْتَطَعنا".[3]

قوله: (إذكارًا) مفعول له لِفعل محذوف، أي: قالَه أو فعَلَه إذكارًا، ويجوز أن يكون متعلِّقًا بقوله: ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾. وكأنّ أصل التركيب: بعثناهم إذكارًا بقُدرتنا،

---

١ ن: محيص.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى والأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٨٦.

٣ مِن قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة ٤٢/٩]. وضمّ الواو من "لو" فيها قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢١٤.

ليَسأل بعضُهم بعضًا ويتعرَّفوا حالَهم وما صنَع الله بهم، فيَعتبِروا ويستدلُّوا على عِظَم قدرةِ الله تعالى، ويزدادوا يقينًا ويَشكروا ما أُنعم به عليهم وكُرِّموا به.

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ جوابٌ مبنيٌّ على غالبِ الظنِّ، وفيه دليلٌ على جواز الاجتهادِ والقولِ بالظنِّ الغالبِ، وأنه لا يكون كذبًا وإنْ جاز أن يكون خطأً.

﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ إنكارٌ عليهم مِن بعضهم، وأنَّ الله أعلمُ بمدَّة لَبْثهم؛ كأنَّ هؤلاء قد عَلِموا بالأدلَّةِ أو بإلهامٍ من اللهِ أن المدَّة متطاوِلةٌ، وأنَّ مقدارها مُبْهَمٌ لا يعلمُه إلا الله.

وروي: أنهم دخلوا الكهف غُدْوةً وكان انتباهُهم بعد الزَّوال فظنُّوا أنهم في يومهم؛ فلمَّا نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك.

لكنّ المصنّف التفتَ. والصواب الأوّل؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾ هو المفعول له، وقد فسَّرَه بقوله: (ليسأل بعضهم بعضًا).

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ موقعه موقع الاستئناف، فإنّه لمّا قيل: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾ عُلِم أنّهم تَساءَلوا، فكأنّ قائلًا قال: كيف كان تساؤُلهم؟ فقيل في جوابه: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾، وكذا قالوا: ﴿لَبِثْنَا﴾، وقالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾.

قوله: (وأنّه لا يكون كذبًا) إن قلنا: مرجع الصدق والكذِب إلى مطابقة الواقع ولا مُطابقةَ،[١] فلا شكَّ أنّ ذلك لا يكون كذبًا. والصواب في "إنّه" كسر "إنّ" ليكون ابتداءَ كلام مِن المصنّف بأنّ القولَ بالظنِّ الغالب لا يكون كذبًا، ولا يصحّ فتح "إنّ" حتّى يكون المعنى فيه دليل على أنّ القول بالظنّ لا يكون كذبًا، فإنّه لا دلالةَ فيه عليه، فإنّهم غيرُ معصومين عن الكذب، خصوصًا إذا قالوه ظنًّا.

قوله: (فظنّوا أنّهم في يومهم) يُشير إلى أنّه يجوز أن يكون القَولان -أي: قولُهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وقولُهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾- قولَين صادرَين عن جميعهم،[٢] بأن قالوا أوّلًا القولَ الأوّل ثمّ عَدلوا عنه إلى الثاني.

---

١ د: مطابقته.

٢ ر: جمعهم.

فإنْ قلتَ: كيف وَصَلوا قولهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ﴾ بتذاكُرِ حديث المدَّة؟

قلتُ: كأنهم قالوا: ربُّكم أعلمُ بذلك لا طريقَ لكم إلى علمه، فخُذوا في شيءٍ آخرَ مما يُهِمُّكم.

و"الوَرِقُ": الفضَّةُ مضروبةً كانت أو غيرَ مضروبة، ومنه الحديثُ: أنَّ عَرفجة أُصيبَ أنفُه يومَ الكُلَاب فاتَّخذ أنفًا من وَرِقٍ، فأمَرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتَّخذ أنفًا من ذَهب.

وقرئ: "بورْقِكم" بسكون الراء والواوُ مفتوحةٌ أو مكسورة.

وقرأ ابن كثير: "بوَرِقْكم" بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف.

وعن ابن مُحيصن: أنه كَسَر الواوَ وأسكنَ الراءَ وأَدْغَم، وهذا غيرُ جائزٍ لالتقاءِ الساكنَين لا على حدِّه.

وقيل: المدينة طَرَسُوسُ، قالوا: وتَزَوُّدُهم ما كان معهم من الوَرِق عند فرارهم دليلٌ على أن حمل النفقة وما يُصلِحُ المسافرَ هو رأيُ المتوكِّلِين على الله، دون المتَّكلين على الاتِّفاقات، وعلى ما في أوعيةِ القوم من النَّفقات، ومنه قولُ عائشة رضي الله عنها لمَن سألها عن مُحرِمٍ يَشُدُّ عليه هِمْيانَه: أوثِقْ عليك نَفَقَتَك.

قوله: (والوَرِق: الفضّة، مضروبةً)[1] وأمّا المضروبة فتُسمّى دِرهمًا. قال في المُغرب: «الدرهم: اسم للمَضروب المدوَّر مِن الفضّة، كالدينار للذهب».[2]

قوله: (يومَ الكُلاب) "الكُلاب": موضع كانت فيه وَقعة في الجاهليّة.[3]

قوله: (طرسوس) قريب مِن بلاد الروم.

قوله: (وتَزَوُّدُهم) مبتدأ، وقوله: (دليل) خبره.

قوله: (عن مُحرِم) المِحرَم: ثوبُ الإحرام.

---

[1] وفي هامش د: غير مضروبة. نخ [نسخة].

[2] المُغرب للمطرّزي، «درهم».

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «كلب».

وما حُكي عن بعض صعاليك العلماء: أنه كان شديدَ الحنين إلى أن يُرزَق حجَّ بيتِ الله، وتُعُولِمَ منه ذلك فكانت مياسيرُ أهلِ بلده كلّما عَزَم منهم فوجٌ على حجٍّ أتَوْه فبَذلوا له أن يحجُّوا به وألحُّوا عليه، فيَعتذرُ إليهم ويحمَدُ إليهم بَذْلَهم، فإذا انفضُّوا عنه قال لمَن عنده: ما لهذا السفرِ إلا شَيئان: شدُّ الهِميان، والتوكُّلُ على الرحمن.

﴿أَيُّهَا﴾: أيُّ أهلِها، فحُذِف الأهلُ كما في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ١٢/٨٢].

﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أحلُّ وأطيبُ، أو: أكثرُ وأرخص.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: ولْيتكلَّفِ اللُّطفَ والنِّيقة فيما يباشرُه من أمر المبايَعة حتى لا يُغْبَنَ، أو: في أمر التخفِّي حتى لا يُعرَف.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ يعني: ولا يَفعلنَّ ما يؤدِّي من غيرِ قصدٍ منه إلى الشعور بنا، فسمَّى ذلك إشعارًا منه بهم؛ لأنه سببٌ فيه.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله: (صَعاليك) أي: فقراء. و"الصَّعلوك": الفقير.

قوله: (وتُعُولِمَ)[١] أي: اشتهر. يقال: تَعالَمَه[٢] الجميعُ، أي: عَلِموه.[٣] وقوله: "تُعُولِمَ"[٤] ماضٍ مبنيّ للمفعول، وذلك قائم مَقام فاعله إشارةً إلى كونه شديدَ الحَنين.[٥]

قوله: (فبَذَلوه[٦] له) أي: وعَدُوه البَذلَ.[٧]

قوله: (اللُّطفَ)[٨] اللُّطف في العمل: الرِّفق فيه.

قوله: (والنِّيقة)[٩] النِّيقة:[١٠] الحِذق.[١١]

---

١ ر ن: وتعوكم.
٢ ر: تعاملوه؛ ن: تعامله.
٣ الصحاح للجوهري، «علم».
٤ ر ن: تعوكم.
٥ ر: الجنين.
٦ ر: فبدلوه.
٧ ر ن: البدل.
٨ ن: اللفط.
٩ ر: والتيقه.
١٠ ر: التيقه.
١١ ر ن: الحدق.

الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ راجعٌ إلى الأهل المقدَّر في ﴿أَيُّهَا﴾.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم أخبثَ القِتْلَةِ، وهي الرَّجْمُ وكانت عادتَهم.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾: أو يُدْخِلوكم ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾ بالإكراه العنيف ويُصيِّروكم إليها، والعَودُ في معنى الصيرورةِ أكثرُ شيءٍ في كلامهم؛ يقولون: "ما عدتُ أفعلُ كذا" يريدون ابتداء الفعل.

﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ إن دخَلْتُم في دِينهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أَنَمْناهم وبَعَثْناهم -لِمَا في ذلك من الحكمة- أَطْلَعْنا عليهم؛ ليَعْلَمَ الذين أَطلَعْناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ وهو البعثُ؛ لأن حالَهم في نومتهم وانتباهِهم بعدها كحالِ مَن يموتُ ثم يُبعَث.

و﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ متعلِّق بـ﴿أَعْثَرْنَا﴾؛ أي: أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمرَ دينهم ويختلفون في حقيقةِ البعث، فكان بعضُهم يقول: تُبعثُ الأرواحُ دون الأجساد، وبعضهم: تُبعث الأجسادُ مع الأرواح، ....

قوله: (وكانت عادتَهم) جملة معترِضة يُبيِّن المصنِّف بها وجهَ / قولهم: "يَرجمكم"، أي: كانت عادَتهم تلك القِتْلة. [٩٠و]

قوله: (لِما في ذلك) أي: الإنامةِ والبعثِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ الضمير في ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ عائد إلى المفعول المحذوف لـ﴿أَعْثَرْنَا﴾، أي: أعثَرنا الناسَ عليهم ليعلَم الذين أُعثَرنا.

قوله: (يتنازعون بينَهم أمْرَ[١] دينهم) الضمائر الثلاثة في ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ يعود إلى ما يعود إليه ضمير ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾.

---

١ ن: أمرهم.

لِيَرتفعَ الخلافُ وليَتَبيَّن أن الأجسادَ تُبعثُ حيَّةً حسَّاسةً فيها أرواحُها كما كانت قبل الموت.

﴿فَقَالُواْ﴾ حين تَوَفَّى الله أصحابَ الكهف: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗا﴾؛ أي: على باب كَهْفِهم لئلا يتطرَّق إليهم الناسُ؛ ضِنًّا بتُرْبتِهم، ومحافظةً عليها كما حُفظتْ تربةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ من المسلمين ومَلِكِهم، وكانوا أَوْلى بهم وبالبناء عليهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ على باب الكهف ﴿مَّسۡجِدٗا﴾ يصلِّي فيه المسلمون ويتبرَّكون بمكانهم.

وقيل: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ﴾؛ أي: يتذاكَرُ الناسُ بينهم أمرَ أصحاب الكهف

قوله: (أي: على باب كهفهم) يريد أنّ البناء لم يكن عليهم؛ لأنّهم في داخل الكَهف، والبنيان على الكَهف.

قوله: (ضِنًّا) يقال: ضَنِنتُ بالشيء بالكسر، ويقال أيضًا بالفتح: ضَنَنتُ بالشيء، أي: بَخِلتُ به، وهذا عِلْقٌ[١] مَضِنّةٌ[٢] ومَضَنّة،[٣] بكسر الضاد[٤] وفتحها، أي: نَفيسٌ ممّا[٥] يُضَنّ به.[٦]

قوله: (بالحَظيرة) المراد بـ"الحَظيرة" هنا البِناء الذي بُنِيَ على رَوضة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[٧] مِن[٨] الحَظْر،[٩] وهو المنع والحَجْر، ومنه الحظيرة تُعمَل[١٠] للإبل مِن شَجَر لِتَقيَها الحَرَّ والبردَ والريحَ.

قوله: ﴿غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ أي: أمرِ الفتية.

قوله: (أي: يتذاكَر[١١] الناسُ بينهم أمرَ أصحاب الكهف) والضمير في ﴿أَمۡرِهِمۡ﴾ لأصحاب الكهف، بخلاف ضمير ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ و﴿بَيۡنَهُمۡ﴾، فإنّه على ما مرّ.

---

١ ر ن: علوا.
٢ ر ن: مصنه.
٣ ر ن: ومصنه.
٤ ر ن: الصاد.
٥ ن: وممّا.
٦ الصحاح للجوهري، «ضنن».
٧ د: عليه السلام.
٨ ر: ومن.
٩ ر: الحصره؛ ن: الحضرة.
١٠ ر: يعمل.
١١ ر: يتذكر.

ويتكلَّمون في قصَّتهم وما أظهَرَ الله من الآية فيهم، أو: يتنازعون بينهم تدبيرَ أمرِهم حين تُوُفُّوا كيف يُخْفُون مكانهم، وكيف يَسُدُّون الطريقَ إليهم، فقالوا: ﴿ٱبۡنُواْ﴾ على باب كهفهم ﴿بُنۡيَٰنٗا﴾.

رُوي: أن أهل الإنجيل عَظُمتْ فيهم الخطايا وطَغَتْ ملوكُهم حتى عَبَدوا الأصنامَ وأَكْرهوا على عبادتها، ومِمَّن شدَّد في ذلك دقيانُوسُ، فأراد فتيةً من أشراف قومه على الشِّرك وتوعَّدهم بالقتلِ، فأبَوْا إلّا الثباتَ على الإيمان والتصلُّبَ فيه، ثم هَرَبُوا إلى الكهف، ومَرُّوا بكلبٍ فتَبِعَهم فطرَدوه، فأنطقه الله تعالى فقال: ما تُريدون مني؟ أنا أُحِبُّ أحبّاءَ الله فناموا وأنا أَحرسُكم، وقيل: مَرُّوا براعٍ معه كلبٌ فتَبِعَهم على دينهم، ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون الله فيه، ثم ضرَب الله على آذانهم.

وقبل أن يبعثَهم اللهُ مَلَكَ مدينَتهم رجلٌ صالح مؤمنٌ، وقد اختَلف أهلُ مملكته في البعثِ معترِفين وجاحِدِين، فدخل الملكُ بيتَه وأغلقَ بابَه ولبسَ مِسحًا وجَلسَ على رمادٍ، وسأل ربَّه أن يبيِّن لهم الحقَّ، فألقى اللهُ في نفسِ رجلٍ من رُعيانهم فهَدَم ما سُدَّ به فمُ الكهف ليتَّخذه حظيرةً لغَنَمِهِ.

قوله: (أو يَتنازعون بينهم تدبيرَ أمرِهم) على هذين الوَجهين الأخِيرَين[١] يتعلَّق ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ﴾، وقوله: ﴿فَقَالُواْ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾.

قوله:[٢] (فأراد فتيةً مِن أشراف قَومه على الشرك) يقال: أراده على ذلك، أي: أكرَهَه عليه.

قوله: (فنامُوا) أمرٌ.

قوله: (فتَبِعَهم) أي: فتَبِعهم[٣] الراعي.

قوله: (رجلٌ صالحٌ) يسمّى عبد الرحمن، وكان على دين عيسى عليه السلام.

قوله: (مِن رُعيانهم) الرُّعيان: جمع الراعي. يريد راعي الغنم.

---

١ ن: الاخرين.
٢ ر – قوله.
٣ ر – أي: فتَبِعهم.

ولمّا دخل المدينة مَن بَعثوه لابتياعِ الطعامِ وأخرجَ الوَرِقَ -وكان مِن ضَرْبِ دقيانوس- اتَّهموه بأنه وَجَد كنزًا، فذهبوا به إلى الملك، فقصَّ عليه القصَّة، فانطلق الملِكُ وأهلُ المدينة معه وأَبصروهم، وحَمِدوا الله على الآية الدالَّةِ على البعث، ثم قالت الفتيةُ للمَلِك: نستودِعُكَ اللهَ ونُعيذُكَ به من شرِّ الجنِّ والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفَّى اللهُ أنفسَهم، فألقى الملك عليهم ثيابَه وأَمَرَ فجُعل لكلِّ واحدٍ تابوتٌ من ذهبٍ، فرآهم في المنام كارهِينَ للذهب، فجعلها من السَّاج وبنَى على بابِ الكهف مسجدًا.

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلامِ المتنازِعِينَ؛ كأنَّهم تَذاكَروا أمرَهم وتناقَلُوا الكلامَ في أنسابهم وأحوالهم ومدَّةِ لَبْثِهم، فلمَّا لم يهتدوا إلى حقيقةِ ذلك قالوا: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾.

أو هو من كلام اللهِ عزَّ وجلَّ رَدٌّ لقولِ الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعينَ.

أو من الذين تنازَعوا فيهم على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن أهل الكتاب.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضميرُ لمَن خاضَ في قصَّتِهم في زمنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين، سألوا رسولَ الله عنهم فأخَّر الجوابَ إلى أن يُوحَى إليه فيهم، فنزلتْ إخبارًا بما سيجري بينهم من اختلافِهم في عَددِهم، وأن المصيبَ منهم مَن يقولُ: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

قوله: (وأمَر[1] فجُعل لكلّ واحد) أي: أمَر الناسَ بأن يجعلوا.

وقوله: (مِن السَّاج) السَّاج:[2] شجَر يَعظُم جِدًّا، ولا يَنبت إلّا ببلاد الهند.[3]

---

[1] ر: فأمر.

[2] ر ن: السجاج. | وفي هامش د: آبنوس.

[3] المُغرب للمطرّزي، «سوج». | وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ مصدر، أي: يَرجُمون رَجمًا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من أولئك القليل.

وروي: أن السيِّدَ والعاقبَ وأصحابَهما من أهل نجرانَ كانوا عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم فجرى ذكرُ أصحابِ الكهف، فقال السيِّد وكان يعقوبيًا: كانوا ثلاثةً رابعُهم كلبُهم، وقال العاقب وكان نسطُوريًّا: كانوا خمسةً سادسُهم كلبُهم، وقال المسلمون: كانوا سبعةً وثامنُهم كلبُهم، فحقَّق اللهُ قولَ المسلمين، وإنما عرَفوا ذلك بإخبارِ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: هم سبعةُ نفرٍ أسماؤهم: يَمْلِيخا ومَكْشَلِينِيَا ومَشْلِينيا: هؤلاء أصحابُ يمين الملك، وكان عن يَساره: مَرْنُوشُ ودَبَرْنُوشُ وشَاذَنُوشُ، وكان يَسْتشِيرُ هؤلاء السِّتَّةَ في أمره، والسابعُ: الراعي الذي وافَقَهم حِينَ هربوا من ملكهم دقيانوس، واسمُ مدينتهم: أَفْسُوسُ، واسم كلبهم: قِطْمِيرُ.

فإن قلتَ: لمَ جاء بسينِ الاستقبال في الأوَّل دون الآخِرَيْن؟

قلتُ: فيه وجهان: أن تُدخِلَ الآخِرَيْن في حُكم السينِ؛ كما تقول: "قد أَكْرَمَ وأَنْعَمَ" تريد معنى التوقُّعِ في الفعلين جميعًا، وأن تريدَ بـ"يفعل" معنى الاستقبال الذي هو صالحٌ له.

﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾: رَمْيًا بالخبر الخَفيِّ وإتيانًا به؛ كقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ ٣٤/٥٣]؛ أي: يأتون به، أو وُضع الرجمُ موضعَ الظنِّ؛ فكأنه قيل: ظنًّا بالغيب؛

قوله: (أسماؤهم: تَمليخا)... إلخ ورُوي أنّ أسماءَهم: مَكسَلمينا،[1] وتَمليخا، ومَرطُونِس، وبَيْنيُونِس، وسارِينُونِس، وذُو نُوانِس، وكَفَيْسَيْطَطْيَنونِس. بخطِّ الهرَوي.[2]

---

[1] ر: مكسلميتا.

[2] انظر: المعجم الأوسط للطبراني، ١٧٥/٦ (٦١١٣). والتفسير الوسيط للواحدي، ١٤٢/٣ (الكهف، ٢٢/١٨)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٩٠/١٧ (الكهف، ٢٢/١٨). وقال الحافظ ابن حجر: «وفي النطق بها اختلاف كثير، ولا يقع الوثوق مِن ضَبطها بشيء». فتح الباري لابن حجر، ٥٠٥/٦.

لأنهم أكثروا أن يقولوا: "رَجَم بالظنّ" مكان قولهم: "ظنَّ" حتى لم يبقَ عندهم فرقٌ بين العبارتين، ألا ترى إلى قول زُهيرٍ:

وما هو عنها بالحديثِ المُرجَّم

أي: المظنونِ.

وقرئ: "ثلاثٌ رابعُهم" بإدغام الثاء في تاء التأنيث.

و﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هم ثلاثةٌ، وكذلك ﴿خَمۡسَةٌ﴾ و﴿سَبۡعَةٌ﴾.

و﴿رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ جملةٌ من مبتدأ وخبرٍ واقعةٌ صفةً لـ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ وكذلك ﴿سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾.

فإن قلتَ: فما هذه الواوُ الداخلةُ على الجملةِ الثالثةِ، ولِمَ دخلتْ عليها دون الأُولَيَين؟

قلتُ: هي الواوُ التي تدخلُ على الجملةِ الواقعةِ صفةً للنكرة كما تدخلُ

قوله:

(وما هو عنها بالحديث المرَجَّمِ)

أوّله:

وما[١] الحربُ إلّا ما علِمتم وذُقتم[٢]

أي: ما هذا الحديث عن الحرب بمَظنون. يقال: ذُقت الشيءَ ذَوقًا، ويقال: ما ذُقتُ ذَواقًا، أي: شيئًا، والذَّوق: التجربة والخُبْر،[٣] ذُقتُ ما عِنده، أي: خَبَرتُه،[٤] وذُقْتُ القَوسَ؛ إذا جَذَبتَ وَتَرَها لتَنظرَ ما شِدَّتها.[٥] و"المُرَجَّم": المَظنون الذي يُرجَّم فيه بالظُّنون، أي: يُحكَم فيه بصُنوفها.[٦] يقول: ليست الحَرب إلّا ما شَهِدتُموها وجَرَّبتُموها، وما هذا الذي أقول بحديثٍ محكوم عليه بالظنّ.[٧]

---

١ ر: وأما.

٢ ر: وقلتم. | انظر: شرح شعر زهير لثعلب، ص ٢٦.

٣ ن + به والخبر.

٤ ن: خيرته.

٥ الصحاح للجوهري، «ذوق».

٦ ر: بذوقها؛ ن: بصوفها.

٧ ر: الظن.

على الواقعةِ حالًا عن المعرفة في نحو قولك: "جاءني رجلٌ ومعه آخرُ"، و: "مررتُ بزيدٍ وفي يدِه سيفٌ"، ومنه قولُه عزَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الحجر ١٥/٤] وفائدتُها: تأكيدُ لُصوقِ الصفةِ بالموصوف، والدلالةُ على أن اتِّصافَه بها أمرٌ ثابتٌ مستقرٌّ، وهذه الواوُ هي التي آذنَتْ بأنَّ الذين قالوا: ﴿سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ قالوه عن ثباتِ علمٍ وطمأنينةِ نفسٍ، ولم يَرْجُمُوا بالظنِّ كما غيرُهم، والدليلُ عليه: أن الله سبحانه أَتبَعَ القولين الأوَّلَين قولَه: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ وأَتبعَ القولَ الثالثَ قولَه: ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: حين وقعتِ الواوُ انقطَعَتِ العدَّةُ؛ أي: لم يَبْقَ بعدَها عِدَّةُ عادٍّ يُلتفَتُ إليها، وثبتَ أنهم سبعةٌ وثامنُهم كلبهم على القطعِ والبَتَات.

وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلٞ﴾ من أهلِ الكتاب، والضمير في ﴿سَيَقُولُونَ﴾ على هذا لأهل الكتاب خاصةً؛ أي: سيقولُ أهلُ الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علمَ بذلك إلا في قليلٍ منهم، وأكثرُهم على ظنٍّ وتخمين.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾: فلا تجادِلْ أهلَ الكتاب في شأن أصحابِ الكهف ﴿إِلَّا﴾ جِدالًا ﴿ظَٰهِرٗا﴾ غيرَ مَتعمَّقٍ فيه، وهو أن تَقُصَّ عليهم ما أَوْحَى الله إليك فحسبُ، ولا تزيدَ، من غير تجهيلٍ لهم ولا تعنيفٍ بهم في الردِّ عليهم؛ كما قال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل ١٦/١٢٥].

قوله: (والدلالة على أنّ اتّصافه بها أمرٌ ثابت) وإذا كان اتّصافه بها ثابتًا مستقرًّا كان الموصوف ثابتًا لا محالةَ ومستقِرًّا، هذا إذا قلنا: الواو لتأكيد إلصاق الصفة بالموصوف، وأمّا مَن يقول: الواو للحال، فيئُول[1] المعنى إلى أنّهم يقولون ذلك في هذا الحال، فيكون هذا الحال -وهو أنّ ثامِنَهم كلبُهم- / واقعًا [٩٠ظ] لا محالةَ، ويلزم منه أن يكونوا سبعة.[2]

قوله: (ولا تَزيدَ)[3] أي: لا تَزيدَ شيئًا على حِكاية ما أُوحِي إليك.

---

[1] ن: فيقول.
[2] ر: سبة.
[3] ر: يزيد.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾: ولا تسألْ ﴿أَحَدًا﴾ منهم عن قصَّتهم سؤالَ متعنِّتٍ له حتى يقولَ شيئًا فتردَّه عليه وتزيِّفَ ما عنده؛ لأن ذلك خلافُ ما وُصِّيتَ به من المداراة والمجامَلة، ولا سؤالَ مسترشِدٍ؛ لأن الله قد أرشدكَ بأنْ أوحَى إليك قصَّتَهم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾: ولا تقولنَّ لأجْلِ شيءٍ تَعزمُ عليه: ﴿إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ الشيءَ ﴿غَدًا﴾؛ أي: فيما يُستقبَلُ من الزمان، ولم يُرِدِ الغدَ خاصَّةً ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ متعلِّقٌ بالنهي لا بقوله: ﴿إِنِّى فَاعِلٌ﴾؛ لأنه لو قال: "إني فاعلٌ كذا إلَّا أنْ يشاءَ الله" كان معناه: إلا أن تَعترِضَ مشيئةُ الله دون فعلِه، وذلك مما لا مدخلَ فيه للنَّهي، وتعلُّقُهُ بالنَّهي على وجهين:

أحدهما: ولا تقولنَّ ذلك القولَ إلا أن يشاءَ الله ....

قوله: (سُؤالَ مُتَعَنِّت) العَنَت: المشقّة والشدّة، وأعنتَه إعناتًا؛ أوقَعه في العَنَت وفيما[1] يَشُقّ تَحمُّله، ومنه تَعنَّته في السؤال؛ إذا سَأَله على جهة التلبيس عليه.

قوله تعالى: ﴿غَدًا﴾ وإنّما قيل: ﴿غَدًا﴾؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم حين سأله قريش قال: «غدًا أُجيبكم».[2]

قوله: (وذلك ممّا لا[3] مَدخلَ فيه) أي: ذلك[4] ليس ممّا يقع النهي عنه؛ لأنّه لا منعَ مِن أن يقول: أفعلُ كذا، إلّا أن يَعترِض مشيئةُ الله دونَه.[5]

قوله: (أحدهما: ولا تَقولنَّ ذلك القولَ إلّا أن يشاء الله) استثناء مِن أعمّ عامّ الوقت، أي: لا تقولنّ في جميع الأوقات، أي: في[6] وقتٍ مِن الأوقات إلّا في وقت المشيئة، فهو في محلّ الظرف. ثمّ بيّن المصنّف تحقُّق مشيئة الله تعالى

---

[1] ر: وفيهما.
[2] انظر: جامع البيان للطبري، ١٤٣/١٥ (الكهف، ١/١٨)؛ والدرّ المنثور للسيوطي، ٣٥٧/٥ (الكهف، ١/١٨).
[3] ر ن: إلى.
[4] ن + ممّا.
[5] وفي هامش د: بحث الاستثناء.
[6] ن – في.

أن تقولَه بأنْ يأذَنَ لك فيه.

والثاني: ولا تقولنَّه إلّا بأنْ يشاء اللهُ؛ أي: إلّا بمشيئته، وهو في موضع الحال، يعني: إلا مُلتبِسًا بمشيئةِ الله قائلًا: إنْ شاء اللهُ.

وفيه وجهٌ ثالث وهو: أن يكون ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في معنى كلمةِ تأبيدٍ؛ كأنّه قيل: ولا تقولنّه أبدًا، ونحوُه قولُه: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف ٨٩/٧]؛ لأنَّ عَوْدَهم في ملّتهم مما لن يشاءه الله.

بقوله: (بأن يأذن لك فيه) أي: فإذا أذِنَ في القول فقد تحقَّق المشيئة، فقُلْه حينئذ. وهذا بناءٌ على مَذهبه مِن أنّ الأمر هو الإرادة، أو دالّ على الإرادة. وأمّا عندنا فلا يَلزم مِن الإذن بالشيء والأمرِ به إرادةُ الشيء.

قوله: (قائلًا: إن شاء الله) بيانٌ لمعنى قوله: (مُلتبسًا بمشيئة الله)، وهذا التفسير هو تفسير أهل السنّة. قال في الوسيط: «يأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى، يقول:[١] إذا قلتَ لشيء: إنّي فاعله غدًا، فقُل: إن شاء الله تعالى».[٢]

قوله: (ولا تقولنّه أبدًا) أي: لا تَقولنَّ: "إنّي فاعل ذلك غدًا" أبدًا، فيكون هذا القول منهيًا عنه على[٣] الإطلاق، لا يجوز أن يقوله أصلًا أبدًا، لا مُقترِنًا بقوله: "إن شاء الله"، ولا بدُونه.

قوله: (﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ﴾ [الأعراف ٨٩/٧]) قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ۞ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن﴾ [الأعراف ٨٨/٧-٨٩].

قوله: (لأنّ عَودهم)[٤] متعلِّق بقوله: (نحوه)، يريد أنّ معنى ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ههنا: أبدًا؛ إذ لا يمكن تعليق العَود ههنا بالمشيئة؛ إذ يستحيل مشيئة الله تعالى

---

[١] ر: تقول.

[٢] التفسير الوسيط للواحدي، ١٤٣/٣ (الكهف، ٢٤/١٨).

[٣] ر: عن.

[٤] ر ن: دعواهم.

وهذا نهيُ تأديبٍ من الله لنبيّه حين قالت اليهود لقريشٍ: "سَلُوه عن الرُّوح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين"، فسألوه فقال: «ائْتُوني غدًا أُخبرْكم» ولم يَستثنِ، فأبطأ عليه الوحي حتى شقَّ عليه وكذَّبَتهُ قريش.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾؛ أي: مشيئةَ ربِك، وقل: "إنْ شاء الله" إذا فَرَطَ منك نسيانٌ لذلك. والمعنى: إذا نسيتَ كلمةَ الاستثناء ثم تَنَبَّهْتَ عليها فتدارَكْها بالذِّكر، وعن ابن عباس: ولو بعد سنةٍ ما لم تَحْنَثْ، وعن سعيد بن جبير: ولو بعدَ يومٍ أو أسبوعٍ

عودَ شعيب والمؤمنين معه في ملّة الكافرين؛ لأنّ عودهم قبيح، وهو تعالى لا يريد القُبح. وفيه أيضًا إشارة إلى ما هو مذهبه، فالتفسير هو الأوسط الخَيرُ[١] فاعلَمه.

قوله: (ولم يَستَثنِ) أي: لم يَقُل: إن شاء الله. والاستثناء مِن الثَّنْي، والثَّني: ضمّ واحد إلى واحد، وكذا التثنية، ويقال: ثنى العودَ؛ إذا حَناه وعَطَفَه؛ لأنّه ضمّ أحد طرفيه إلى الآخر، ثمّ قيل: ثَناهُ[٢] عن وَجهه؛ إذا[٣] كفَّه وصرَفه؛ لأنّه مسبَّب عنه، ومنه استثنيت الشيءَ، أي: زَويتُه لنفسي، والاسم الثُّنيا بوزن الدنيا، ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم:[٤] «مَن استثنى فلَه ثُنياه»،[٥] أي: ما استثناه. والاستثناء

[٩١و] في اصطلاح النحويّين: إخراج الشيء ممّا دَخل / فيه غيره؛ لأنّ فيه كفًّا وردًّا عن الدخول. والاستثناء في اليمين: أن يقول الحالف: إن شاء الله تعالى؛[٦] لأنّ فيه ردَّ ما قاله بمشيئة الله.[٧]

قوله: (وقل: إن شاء الله)[٨] عطفٌ على ﴿وَٱذْكُر﴾ بطريق البيان والتفسير.

قوله: (لذلك)[٩] أي: لذِكر[١٠] مشيئة ربِك.

---

[١] ن: الحبر.
[٢] ر ن: ثناوه.
[٣] ن: إذ.
[٤] د: عليه السلام.
[٥] في السنن الكبرى للنسائي، ٤/٤٥٧ (٤٧٥١)؛ وسنن ابن ماجه، ٣/٢٤٣ (٢١٠٥)، بلفظ: «مَن حلَفَ فقال: إن شاءَ الله، فله ثُنياه». وفي سنن الدارقطني، ٥/٦٤ (٣٩٨٦)، بلفظ: «فمَن طلّق واستثنى فله ثُنياه».
[٦] ر ن – تعالى.
[٧] المُغرب للمطرّزي، «ثني».
[٨] ر – الله.
[٩] ر: كذلك.
[١٠] ر ن: كذكر.

أو شهرٍ أو سنة، وعن طاوس: هو على ثُنياه ما دام في مجلسه، وعن الحسن نحوُه، وعن عطاءٍ: يَستثني على مقدارِ حَلَبِ ناقةٍ غزيرةٍ، وعند عامَّةِ الفقهاء: أنه لا أَثَر له في الأحكام ما لم يكن موصولًا.

ويحكَى: أنه بلغَ المنصورَ أن أبا حنيفةَ -رحمهُ اللهُ- خالفَ ابنَ عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصِل، فاستَحْضَره ليُنكِر عليه، فقال له أبو حنيفةَ رحمه الله: هذا يرجعُ عليك، إنك تأخذ البيعةَ بالأَيمان، أفترْضَى أن يَخرُجوا من عندك فيَستثنوا فيَخْرُجوا عليك؟! فاستَحْسَنَ كلامه ورضيَ عنه.

ويجوزُ أن يكون المعنى: واذكر ربَّك بالتسبيحِ والاستغفار إذا نسيتَ كلمةَ الاستثناء؛ تشديدًا في البعثِ على الاهتمام بها.

وقيل: واذكُرْ ربَّك إذا تركتَ بعضَ ما أَمَرَك به.

قوله: (على ثُنْياه)[1] الثُّنْيا:[2] اسم مِن الاستثناء.

قوله: (غَزيرةٍ)[3] الغَزارة:[4] الكَثرة، وغَزُرَت الناقة -كَثُرَت لبنُها-[5] غزارةً،[6] فهو غَزير.[7]

قوله: (المنصورَ) وهو أبو جعفر الدوانيقي، ثاني خلفاء بغداد.

قوله: (فيَخرُجوا عليك) هو مِن الخروج على الإمام.

قوله: (إذا تركتَ بعضَ ما أمرك به) فعلى هذا لا يكون المراد[8] بالنسيان ضِدّ الذِّكر؛ بل المراد به[9] الترك، فيكون مجازًا؛[10] لأنّ النسيان ملزومُ الترك، بخلاف باقي الوجوه.

---

[1] وفي هامش د: استثناه.
[2] ن: الثنياء.
[3] ر: عزيزة؛ ن: عريزه.
[4] ر: العزارة؛ ن: الغراره.
[5] وفي هامش د: كَثُر لبنُها. نخ [نسخة].
[6] ر ن: عزاره.
[7] الصحاح للجوهري، «غزر».
[8] ر ن - فهو غَزير. قوله: (المنصورَ) وهو أبو جعفر الدوانيقي، ثاني خلفاء بغداد. قوله: (فيَخرُجوا عليك) هو مِن الخروج على الإمام. قوله: (إذا تركتَ بعضَ ما أمرك به) فعلى هذا لا يكون المراد.
[9] ر ن - به.
[10] ر ن: مجاز.

وقيل: واذكُرْه إذا اعتراكَ النسيانُ ليُذكِّرَكَ المَنسيَّ.

وقد حُمل على أداءِ الصلاة المنسيَّة عند ذكرها.

و﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى نبأ أصحابِ الكهف ومعناه: لعل الله يُؤتيني من البيّنات والحُجَج على أنّني نبيٌّ صادقٌ ما هو أعظمُ في الدلالةِ وأقربُ رَشَدًا من نبأ أصحاب الكهف، وقد فَعَل ذلك حيث آتاه من قصصِ الأنبياء والإخبارِ بالغيوب ما هو أعظمُ من ذلك وأدلُّ.

والظاهرُ أن يكون المعنى: إذا نسيتَ شيئًا فاذكُرْ ربَّك، وذكرُ ربِّك عند نسيانه أن تقول: ﴿عَسَىٰٓ﴾ ربِّي ﴿أَن يَهْدِيَنِ﴾ لشيءٍ آخَرَ بَدَلَ هذا المَنسيِّ أقربَ منه ﴿رَشَدًا﴾: وأدنى خيرًا ومنفعةً، ولعلَّ النسيان كان خِيرَةً كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ [البقرة ٢/١٠٦].

قوله: (و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى "نبأ")[١] أي: لفظة ﴿هَٰذَا﴾ في قوله: ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى خبر أصحاب الكهف على جميع[٢] هذه الوجوه. وفيه تقرير المعنى المفهوم مِن قوله تعالى في أوّل هذا النبأ، وهو قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف ١٨/٩]، فإنّ اليهود لمّا افتخروا بمعرفتهم هذا النبأ،[٣] واستعظموه، وعدّوه[٤] مِن الآيات العجيبة، وعظَّموا غايةَ التعظيم حيث أمَروا قريشًا بسؤاله[٥] صلّى الله عليه وسلّم عنه؛ ذكَرَ تعالى أوّلًا أنّه ليس آيةً عجَبًا، ووَعدُه[٦] عليه السلام[٧] ما هو أعظم منه وأعجَب، والله أعلم.

قوله: (وذِكرُ ربّك عند نسيانه أن تقول) فيكون هذا العطف للبيان.

قوله: (خِيَرةً)[٨] أي: خيرًا.[٩]

---

١ وفي هامش د: أصحاب الكهف.
٢ ر – جميع.
٣ ن: البناء.
٤ ن – وعدّوه.
٥ ر: سيوله.
٦ ر ن: ووعد.
٧ ر ن – عليه السلام.
٨ ن: حبره.
٩ ن: حبرا.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ يريد: لَبِثُهُم فيه أحياءً مضروبًا على آذانهم هذه المدَّةَ، وهو بيانٌ لِمَا أُجْمِلَ في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾: أنه أعلمُ من الذين اختلفوا فيهم بمدَّةِ لبثهم، والحقُّ ما أَخْبرَك به.

وعن قتادة: أنه حكايةٌ لكلام أهل الكتاب، و﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ ردٌّ عليهم.

وقال: في حرف عبد الله: "وقالوا لبثوا".

و﴿سِنِينَ﴾: عطفُ بيانٍ لـ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، وقرئ: ﴿ثلاث مائةِ سنين﴾ بالإضافةِ على وضع الجمعِ موضعَ الواحدِ في التمييز؛ كقوله: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف ١٨/١٠٣] وفي قراءةِ أبيّ: "ثلاث مئةِ سنةٍ".

﴿تِسْعًا﴾: تسعَ سنين؛ لأن ما قبلَه يدلُّ عليه.

قوله: (هذه المدّةَ) ظرف.

قوله: (وهو بيان لِما أُجمِل) وإذا كان بيانًا لِما أُجمِل يئُول المعنى إلى أنّا أَنَمْناهم مدّةً، وناموا هذه[١] المدّةَ. ولم يذكر بالفاء مع أنّ نومهم مسبَّب عن إنامته تعالى إيّاهم تفويضًا للترتُّبِ إلى ذهن[٢] السامع، كقولهم: "قُمْ يَدعوك" بدلَ "قُمْ فإنّه يدعوك".

قوله: (وعن قتادة أنّه[٣] حكاية) فيكون مَقولًا لقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ عطفًا على قوله: ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾... إلخ. فقوله: (وعن قتادة) عطفٌ على قوله: "وهو بيان"، فعلى[٤] ما ذكَر قتادة حكى تعالى قولَ أهل الكتاب: ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾... إلخ وردَّه بقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾، ثمّ حكَى قولَهم: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ وردَّه بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾.

---

١ ر ن: مدة.

٢ ر: دهن.

٣ وفي هامش د: لبثوا.

٤ ر + فعلى.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

ثـم ذكَر اختصاصَـه بما غاب في السماوات والأرض وخَفِيَ فيها من أحوالِ أهلها ومن غيرها، وأنه هو وحده العالِمُ به، وجاء بما دلَّ على التعجُّب من إدراكه للمسموعات والمبصَرات للدلالة على أنَّ أمره في الإدراك خارجٌ عن حدِّ ما عليه إدراكُ السامعينَ والمبصِرين؛ لأنه يدرِكُ ألطفَ الأشياء وأصغرَها كما يُدرِكُ أكبرَها حجمًا وأكثفَها جِرْمًا، ويُدرِكُ البَوَاطِنَ كما يُدرِكُ الظَّوَاهِر.

قوله: (ثمّ ذكَر اختصاصَه بما غابَ) الاختصاص يُفهَم مِن تقديم الخبر. و"الغيب" بمعنى الغائب، وأضافه إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قوله: (وأنّه) عطفٌ على "اختصاصَه" بطريق التفسير، وأشار بذلك إلى أنّ المضاف محذوف، أي: له عِلم غَيب السماوات والأرض،[١] أي: عِلم ما غابَ فيهما عن[٢] العباد. وقوله: (للدلالة)[٣] متعلِّق بقوله: (جاء)، يعني: ليس المراد مِن الإتيان بصيغة التعجّب -وهو ﴿أَبْصِرْ﴾ و﴿أَسْمِعْ﴾- حقيقةَ[٤] التعجّب؛[٥] لاستحالته عليه تعالى،[٦] فإنّ التعجّب انفعال يعتري[٧] الشخصَ مِن مشاهدة ما خفي سببُه؛ بل المراد أنّ إدراكه خارجٌ عن حدِّ إدراكِ المدرِكين. ووجه الدلالة أنّ التعجّب:
[٩١ظ] / هو ما خرَج[٨] عن[٩] حدِّ القياس، ويتعاظَم قدرُه عند الناس. فإيراد صيغته يدلّ على ما ذكرنا.

قوله: (للمَسموعات والمُبصَرات) ذِكر الإبصار في القرآن مقدَّم على ذكر السَّمع هنا، قال تعالى:[١٠] ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾، والمصنِّف عكس في التفسير.

---

١ ن – قوله: (وأنّه) عطفٌ على "اختصاصَه" بطريق التفسير، وأشار بذلك إلى أنّ المضاف محذوف، أي: له عِلم غَيب السماوات والأرض.
٢ ر ن: من.
٣ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾.
٤ ر: وحقيقة.
٥ ر: التعجيب.
٦ ر ن: يقال.
٧ ر: تغير.
٨ ن: جرج.
٩ ن: من.
١٠ ر – تعالى.

﴿مَا لَهُم﴾ الضميرُ لأهل السماوات والأرض ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: من متولٍّ لأمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ﴾: في قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم.

وقرأ الحسن: ﴿ولا تُشْرِكْ﴾ بالتاء والجزم على النهي.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

كانوا يقولون له: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس ١٥/١٠] فقيل له: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ولا تسمَعْ لِمَا يَهْذُون به من طَلَبِ التبديلِ فـ﴿لَا مُبَدِّلَ﴾ لكلماتِ ربِّك؛ أي: لا يقدر أحدٌ على تبديلها وتغييرها، إنما يقدرُ على ذلك هو وحده: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل ١٠١/١٦].

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: مُلتجأً تَعْدِلُ إليه إن هَمَمْتَ بذلك.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

قال قومٌ من رؤساء الكَفَرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَحِّ هؤلاء المَوالي الذين كأنَّ ريحَهم ريحُ الضَّأن -وهم: صهيبٌ وعَمَّارٌ وخَبَّابٌ وغيرُهم من فقراء المسلمين- حتى نجالسَك» كما قال قومُ نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء ١١١/٢٦]، فنزلت: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: واحبِسْها معهم وثبِّتها، قال أبو ذؤيب:

قوله: (كانوا يقولون له) أي: للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم.[1]

قوله: (﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا﴾ [النحل ١٠١/١٦]) استشهاد.

قوله: (إن همَمْتَ بذلك) أي: بالتبديل.

قوله: (المَوالي) جمع المَولى،[2] وهو العَتيق، فإنَّ هؤلاء كانوا عَبيدًا، فأعتقَهم ساداتهم.

---

[1] د: عليه السلام.

[2] ن - جمع المَولى.

فـصَـبَـرْتُ عـارفـةً لـذلـك حُـرَّةً   ترسُــو إذا نفــسُ الجَبــان تَطَلَّــعُ

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: دائبِينَ على الدعاء في كلِّ وقت.

وقيل: المراد صلاةُ الفجر والعصر.

وقرئ: ﴿بالغُدْوةِ﴾، و﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ أجودُ؛ لأن "غُدْوةً" عَلَمٌ في أكثر الاستعمال، وإدخالُ اللام على تأويلِ التنكير كما قال:

والـــزيـــدُ زيـــدُ الـمـعـارك

ونحوِه قليلٌ في كلامهم.

يقال: "عَدَاه": إذا جاوَزَه، ....

قوله:

(فـصـبَـرتُ عـارفـةً لـذلـك حـرّةً   تَرسُـو إذا[1] نفـس الجبـان تَطلَّـعُ)[2]

أي: حبستُ نفسًا عارفةً بأحوال الحرب. و"ترسُو"، أي: تثبتُ. و"تَطلَّعُ"، أي: تتطلَّع، تنظرُ ساعةً، وتختفي[3] ساعةً، كما هو عادة الجبان. يصف صبرَه[4] وتَجلُّدَه[5] عند الشدائد، وأنّ نفسه ثابتة صابرة على المكارِه[6] في حالة تكون نفس الجَبان فيها مُضطربة طُلَعةً خُبَنةً.[7] "عارفةً"، أي: صابرةً؛ مِن العِرف بكسر العين؛ وهو الصبر، وعرَف فلان واعتَرَف كصَبَرَ واصطَبَرَ.[8]

قوله: (وإدخال اللام) على تأويل التنكير، أي: إدخال اللام في "غدوه".[9]

قوله:

(والــزَّيــد زَيــد الـمـعـارك)

---

[1] ن: اد.

[2] لعنترة في ديوانه، ص ٢٦٤.

[3] وتخفى.

[4] ر: صغيره.

[5] ر: وتخلده؛ ن: وتجلحه.

[6] ر ن: المكان.

[7] كذا في الأصول الخطّيّة، ولعلّ الصواب: خُبَأَة، أو خُبَعة. قالوا: جاريةٌ خُبَعة طُلَعة، أي: تَخْبأ نفسَها مرّةً وتُبديها مرّةً. وامرأةٌ خُبَعة خُبَأة بمعنًى واحد؛ وخُبَعة طُلَعة قُبَعة. لسان العرب لابن منظور، «خبع».

[8] انظر: لسان العرب لابن منظور، «عرف».

[9] ر ن: عدوه.

ومنه قولهم: "عَدَا طَوْرَه"، و: "جاءني القومُ عدا زيدًا"، وإنما عُدِّي بـ"عن" لتضمينِ "عدَا" معنى: "نَبَا وعَلَا" في قولك: "نبَتْ عنه عينُه" و: "علَتْ عنه عينُه": إذا اقتحمَتْه ولم تعلَقْ به.

أوّله -وهو لأخْطَل-:

وقد كان منهم حاجِبٌ وابنُ أمّه أبو جندل والزَّيدُ زيدُ المَعارِكِ[1]

أوردَ هذا البيت شاهدًا على صحّة الإضافة واللام، وإدخالِ اللام على تأويل التنكير، وهو قليل في كلامهم.

واعلم أنّ في إيراد بيتِ الأخطَل للاستشهاد[2] على إدخال اللام في العَلَم[3] على تأويل التنكير نظرًا؛[4] لأن إدخال اللام في[5] مثله جائز مِن غير تأويل التنكير، وهو كثير في كلامهم شائع؛ لأنّه في الأصل مصدر، وما كان صفة في الأصل أو مصدرًا يجوز إدخال اللام فيه وتركُه، نحو: العبّاس،[6] والمظفّر، والفَضل، والإياس، و"الزَّيد" مِن هذا القَبيل.

قال في **الصحاح**: «زاد الشيء يزيد زَيدًا وزيادةً، أي: ازداد».[7] وقال في **المُغرب**: «زاد الشيء يزيد زَيدًا».[8] وفي **مجمل اللغة**: «هو[9] زائد، وقوم زَيد».[10] فكلام هذه الأئمّة يدلّ على أنّه صفة في الأصل أو مصدَر، فدخول اللام شائع لذلك مِن غير تأويل التنكير.

قوله: (ومنه قولهم: عَدَا طَوْرَه) أي: جاوز حَدَّه، فهو متعدٍّ بنفسه، وتعديته بـ"عن" لِما ذُكر.

قوله: (اقتحَمَتْه) اقتحَمَتْه عيني: ازدَرَته.[11]

---

[1] ديوان الأخطل، ص ٣٣٩. بلفظ: "وابنُ عَمّه".

[2] ر ن: الاستشهاد.

[3] ر ن: المعلم.

[4] د ن: نظر.

[5] ر – العَلم على تأويل التنكير نظرًا؛ لأن إدخال اللام في.

[6] ر ن + صفة في الأصل.

[7] الصحاح للجوهري، «زيد».

[8] المُغرب للمطرّزي، «زيد».

[9] ر ن: وهو.

[10] مجمل اللغة لابن فارس، «زيد».

[11] الصحاح للجوهري، «قحم».

فإنْ قلتَ: أيُّ غرضٍ في هذا التضمين؟ وهلّا قيل: ولا تعدُهم عيناك، أو: ولا تَعْلُ عيناك عنهم.

قلتُ: الغرضُ فيه إعطاءُ مجموعِ معنيين، وذلك أقوى من إعطاءِ معنًى فذٍّ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: «ولا تَقتحِمْهم عيناك مجاوِزَتَينِ إلى غيرهم» ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء ٤/٢]؛ أي: ولا تَضمُّوها إليها آكلِينَ لها، وقرئ: "ولا تُعْدِ عَيْنَيْكَ"، "ولا تُعَدِّ عينيك"، من أَعْداه وعدَّاه نقلًا بالهمزة وتثقيل الحشو، ومنه قوله:

فعدِّ عمَّا تَرَى إذ لا ارْتِجاعَ له

لأن معناه: فعدِّ همَّك عما ترى.

نهى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَزْدَرِيَ بفقراء المؤمنين، ....

قوله: (قلتُ: الغرَض) حاصل الجواب: أنّه لو قال: لا تَعْدُهم؛[1] لم يُفهَم معنى الاقتحام، ولو قال: لا تَعلُ[2] لم يُفهَم معنى المجاوزة.

قوله: (نقلًا بالهمزة) مِن مفعول واحد إلى مفعولين.

قوله:

(فعَدِّ عمّا ترى إذ لا ارتِجاعَ له)

تمامه:

وانْمِ القُتُودَ على عَيرانةٍ أُجُدِ[3]

نَمَيتُ الشيءَ على الشيء؛ رفعتُه عليه. والقَتَد: خشب الرَّحْل،[4] وجمعه: أقتاد وقُتُود. والعَيرانة: ناقة تُشبَّه / بالعِير في سرعتها ونشاطها. وناقة أُجُد: قويّة [٩٢و] موثقة الخَلق. أي: اصرِف همَّك عمّا تَرى، فإنّه قد فاتَ عنك بحيث لا ارتجاعَ له، وتشاغَلْ بالرِّحلة.

---

١ ر ن: لاقعدهم.
٢ ر: فعل.
٣ للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ١٦.
٤ ر: الرجل.

وأن تنبوَ عَينُه عن رثاثةِ زِيِّهم طموحًا إلى زِيِّ الأغْنياء وحُسْنِ شارتهم.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في موضع الحال.

﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾: مَن جَعَلْنا قلبَه غافلًا عن الذكر بالخذلان، أو: وجدناه غافلًا عنه؛ كقولك: أَجْبَنْتُه وأفحَمْتُه وأبخلتُه: إذا وجدتَه كذلك، أو مِن أَغْفَلَ إبلَهُ إذا تركَها بغيرِ سِمةٍ؛ أي: لم نَسِمْهُ بالذِّكر، ولم نجعَلْهم من الذين كتَبْنا في قلوبهم الإيمانَ، وقد أَبطلَ اللهُ توَهُّم المُجْبِرة بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

وقرئ: "أغفَلَنا قلبُه" بإسنادِ الفعلِ إلى القلب، على معنى: حَسِبَنا قلبُه غافلينَ، من أغفَلْتُه: إذا وجَدْتَه غافلًا.

قوله: (عن رَثاثة زِيِّهم طُموحًا) الرَّثّ: الشيء البالي، والجمع: رِثاث، وقد رَثَّ يَرِثُّ[1] رَثاثة.[2] والزِّيّ: اللباس والهيئة، وأصله: زِوْيٌ، تقول منه: زَيَّيْتُه،[3] والقياس: زَوَّيْتُه.[4] وطَمَح بصرُه إلى الشيء: ارتفع.[5]

قوله: (وحُسنِ شارتهم) الشَّوار والشارة: اللباس والهيئة.[6]

قوله: (بالخِذلان) متعلِّق بـ(جَعلنا).

قوله: (وأفحَمْتُه)[7] فحَمَ[8] الصبيُّ -بالفتح- يَفحَمُ[9] فُحُومًا؛[10] إذا بَكى حتى ينقطع صوته، وكلَّمتُه حتى أفحَمْتُه؛[11] إذا[12] أسكتُّه في خصومة أو غيرها، وأفحَمْتُه:[13] وجدتُه مُفحَمًا[14] لا يقول الشِّعر، قال: هاجَيْناكم فما أفحَمْناكم.[15]

قوله: (بغير سِمة)[16] أي: بغير علامة.

---

[1] ر ن: يررث.
[2] الصحاح للجوهري، «رثث».
[3] ر: ربيته.
[4] الصحاح للجوهري، «زوا».
[5] الصحاح للجوهري، «طمح».
[6] الصحاح للجوهري، «شور».
[7] ن: وأقحمته.
[8] ن: قحم.
[9] ن: يقحم.
[10] ن: قحومًا.
[11] ن: أقحمته.
[12] ن: أي.
[13] ن: وأقحمته.
[14] ن: مقحمًا.
[15] الصحاح للجوهري، «فحم».
[16] ر: سمت.

﴿فُرُطًا﴾: متقدِّمًا للحقِّ والصواب، نابذًا له وراءَ ظهْره، من قولهم: «فرسٌ فُرُطٌ»: متقدِّم للخيل.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، والمعنى: جاء الحقُّ وزاحتِ العِلَلُ فلم يَبْقَ إلا اختيارُكم لأنفسِكم ما شئتُم من الأخذِ في طريقِ النجاة أو في طريقِ الهلاك، وجيءَ بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لمَّا مُكِّن من اختيارِ أيِّهما شاء فكأنَّه مخيَّرٌ مأمورٌ بأنْ يتخيَّر ما شاء من النَّجدين.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ شُبِّهَ ما يُحيطُ بهم من النار بالسُّرادِقِ، وهو الحُجرةُ التي تكون حولَ الفُسطاط، وبيتٌ مُسَرْدَقٌ: ذو سُرادقٍ.

وقيل: هو دخانٌ يحيط بالكفَّار قبل دخولهم النارَ.

وقيل: حَائطٌ من نارٍ يُطيفُ بهم.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كقوله:

فـــأُعْـــتِـــبــوا بــالــصَّــيْــلَــمِ

وفيه تهكُّمٌ.

قوله: (والمعنى: جاء الحقّ) ترك التقدير في قوله: ﴿قُلِ ٱلْحَقُّ﴾، وأخَذ في تفسير الآية.

قوله: (مِن النجدَين) أي: الطريقَين.[١]

قوله: (الفُسطاط) خيمة. قوله: (وهو الحُجْرة) كلُّ مكان مَحجور فهو حُجْرة.

قوله:

(فـــأُعـــتِـــبــوا بــالــصَّــيْــلَــمِ)

---

[١] ر: الطرفين.

والمُهلُ: ما أُذيبَ من جواهر الأرض، وقيل: دُرْدِيُّ الزَّيت.

﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ إذا قُدِّم ليُشربَ انشوَى الوجهُ من حرارته، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «هو كعَكَرِ الزيت فإذا قرِّب إليه سقطت فَروةُ وجهه».

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ ذلك ﴿وَسَآءَتْ﴾ النارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾: مُتَّكأً، من المِرْفَق، وهذا لمشاكلةِ قولِه: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلَّا فلا ارْتِفاقَ لأهلِ النارِ ولا اتِّكاء، إلا أن يكونَ من قوله:

إنـي أَرِقْـتُ فَبِـتُّ الليل مُرتفِقًا كـأن عَيْنيَ فيها الصَّابُ مذبوحُ

أوّله:

غَضِبَت تميمُ بأن يقتّلَ عامرٌ يومَ النِّسارِ[1] فأُعتِبوا[2] بالصَّيلَمِ[3]

"النِّسار"[4] بكسر النون: ماء لبني عامر. و"الصَّيلَم": الداهية والأمر العظيم. أي: جُعل الداهية لهم مكانَ العِتاب الذي يجري بين الأحبّة.

قوله: (و"المُهْل": ما أُذِيب) ويقال: هو النحاس المُذاب.

قوله:

(إنّـــي أرِقـــتُ)... البيتَ[5]

"أَرِقْتُ"، أي: سَهِرت. "مُرتفِقًا"، أي: مُتَّكِئًا على المِرْفق مِن الغَمّ، فإنّ المغموم يتّكئ على مِرفَقه. والصابُ:[6] شجر لها لبَن، إذا أصاب العينَ حلَبَها،[7] وهو عُصارة شجر مُرّ، وفيها طرَف مَذبوح.[8] ومَذبوح، أي: مَشقوق، يقال: ذبَح الفارةَ؛[9] شقَّها، وأصل الذبح: الشَّق.

---

[1] ن: النساء.

[2] ن: فاغتبوا.

[3] لبشر بن أبي خازم في ديوانه، ص ١٨٠.

[4] ن: النشار.

[5] لأبي ذُؤيب الهذلي في الصحاح للجوهري، «صوب»؛ ولسان العرب لابن منظور، «صوب».

[6] ن: والصواب.

[7] ر: حلها.

[8] انظر: لسان العرب لابن منظور، «صوب».

[9] يعني: فارة المِسك. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ذبح».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضٌ، ولك أن تجعلَ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبرَيْن معًا، أو تجعلَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كلامًا مستأنفًا بيانًا للأجر المُبهَم.

فإن قلتَ: إذا جعلتَ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ خبرًا فأين الضميرُ الراجع منه إلى المبتدأ؟

قلتُ: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ينتَظِمُهما معنًى واحدٌ، فقام: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مَقامَ الضمير، أو أردتَ: مَن أحسنَ عملًا منهم، فكان كقولك: السَّمْنُ مَنَوانِ بدرهم.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ ﴿مِن﴾ الأولى للابتداء، والثانيةُ للتبيين، وتنكيرُ ﴿أَسَاوِرَ﴾ لإبهام أمرها في الحُسن، وجُمع بين السُّندُس: وهو ما رقَّ من الديباج، وبين الإستبرقِ: وهو الغليظُ منه، جمعًا بين النوعين، وخُصَّ الاتِّكاءُ؛ لأنه هيئةُ المُنَعَّمِين والملوكِ على أَسِرَّتهم.

قوله: (ينتظمها معنًى[1] واحد)؛ لأنَّ هذا إجمال، وذاك بالنسبة إليه تفصيل، فأحاطَ هذا ذلك، ونحو ذلك لا يحتاج إلى الضمير.

قوله: (﴿مِنْ﴾ الأولى للابتداء) يريد بـ"﴿مِنْ﴾ الأولى" التي في ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾، وبـ"﴿مِنْ﴾ الثانية" التي في ﴿مِن ذَهَبٍ﴾.

قوله: (على أسِرَّتِهم) جمع سَرير، كأعِزّة جمع عَزيز.

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ المِثْل والمَثَل والمَثِيل كالشِّبْه والشَّبَه والشَّبِيه، فمعنى ﴿مَّثَلًا﴾: شَبَهًا، وانتصَبَ ﴿مَّثَلًا﴾ و﴿رَّجُلَيْنِ﴾ بأنهما مفعولَا ﴿ٱضْرِبْ﴾، أي: اجعَل شَبَهًا[2] لِحالِهم حالَ رجلين، يعني: شَبِّه حالَهم بحال رجلَين،

---

[1] ر + معنى.
[2] ر ن: سببها.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾؛ أي: ومَثِّلْ حالَ الكافرين والمؤمنين بحالِ رجلين، وكانا أخوين في بني إسرائيل: أحدُهما كافرٌ اسمهُ قُطْرُوسُ، والآخرُ مؤمنٌ اسمُه يهوذا.

وقيل: هما المذكوران في سورة "والصافات" في قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات ٥١/٣٧].

وَرِثا من أبيهما ثمانيةَ آلافِ دينارٍ فتشاطَرَاها، فاشترى الكافرُ أرضًا بألفٍ، فقال المؤمن: اللّٰهمَّ إن أخي اشترى أرضًا بألفِ دينارٍ وأنا أشتري منك أرضًا في الجنَّة بألفٍ، فتصدَّق به، ثم بنى أخوه دارًا بألفٍ، فقال: اللّٰهمَّ إنِّي أشتري منك دارًا في الجنَّة بألفٍ، فتصدَّقَ به، ثم تزوَّج أخوه امرأةً بألفِ دينارٍ، فقال: اللّٰهمَّ إني جعلتُ ألفًا صَداقًا للحُور، فتصدَّقَ به، ثم اشترى أخوه خدمًا ومتاعًا بألفٍ، فقال: اللّٰهمَّ إني اشتريتُ منك الولدانَ المخلَّدين بألفٍ، فتصدَّقَ به،

فالمضاف محذوف مِن الموضعَين، وهو معنى قوله: (أي: ومَثِّلْ)... إلخ، فـ﴿ٱضْرِبْ﴾ هنا[١] مِن ضَرَبَ بمعنى جَعَلَ.[٢]

قال المصنِّف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة ٢٦/٢]: «انتصب ﴿مَثَلًا﴾ و﴿بَعُوضَةً﴾[٣] على أنَّهما مفعولان لـ﴿يَضْرِبَ﴾، مُجرى "ضَرَب" مُجرى "جَعَل"».

قوله: (قُطروس) صحَّ بالقاف، وفي بعض النسخ: "فُطروس"[٤] بالفاء.

قوله: (فتَشاطراها) أي: جَعلاها شَطرين.

/ قوله: (صَداقًا للحور) "صِداقًا" صحَّ بكسر الصاد، وهي لغة بصريّة.[٥] [٩٢ظ]

---

١ ر + بمعنى.
٢ ر – بمعنى جعل.
٣ ر ن – انتصب ﴿مَثَلًا﴾ و﴿بَعُوضَةً﴾.
٤ ر: فرطروس.
٥ ر ن: بصرته.

ثم أصابَتْه حاجةٌ فجلس لأخيه على طريقه، فمرَّ به في حشَمه، فتعرَّض له، فطردَه ووبَّخه على التصدُّق بماله.

وقيل: هما مَثَلٌ لأخوين من بني مَخْزومٍ: مؤمنٍ وهو أبو سَلَمةَ عبدُ الله بنُ عبد الأَشَدِّ وكان زوجَ أمِّ سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكافرٍ وهو الأسودُ بنُ عبد الأشدِّ.

﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾: بُستانين من كُروم ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: وجعَلْنا النخلَ محيطًا بالجنَّتين، وهذا ممَّا يُؤْثِره الدَّهَاقِينُ في كرومهم: أن يجعلوها مُؤَزَّرةً بالأشجار المثمِرة.

يقال: "حَفُّوه": إذا أطافوا به، وحَفَفْتُه بهم؛ أي: جعلتُهم حافِّين حولَه، وهو متعدٍّ إلى مفعولٍ واحد فتَزِيدُه الباءُ مفعولًا ثانيًا؛ كقولك: "غَشِيَه" و: "غَشِيتُه به".

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: جعلَها أرضًا جامعةً للأقْوات والفواكه، ووَصَف العِمارةَ بأنها متواصلةٌ متشابكةٌ لم يتوسَّطْها ما يقطعُها ويَفصِلُ بينها، مع الشكلِ الحسنِ والترتيبِ الأنيق، ونَعَتهما بوفاء الثمار وتمامِ الأُكُل من غيرِ نقصٍ،

قال في الصحاح: «الصَّداق والصِّداق: مَهر المرأة، وكذا الصَّدُقة. قال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء ٤/٤].

قوله: (وهذا ممّا يُؤثِره) إشارة إلى مبهَم يفسّره قوله: (أن يَجعلوها)...[1] إلخ.

قوله: (مُؤزَّرةً) الإزار: معروف، يذكَّر[2] ويؤنَّث، والإِزارة مثله، كما يقال للوِساد: وِسادة. والمِئزَر: الإزار، كقولهم: مِلحَف ولِحاف، ويقال: أزَّرتُه تأزيرًا[3] فتَأَزَّرَ، وتَأَزَّر النبت؛ التَفَّ بعضُه واشتدّ، وتأزير الحائط: أن يُصلَح أسفله فيُجعلَ له كالإزار. ومنه قولهم: أَزِّر حِيطان الدار.[4]

قوله: (بوَفاء الثِّمار) يقال: وفَى الشيءُ، أي: تَمَّ[5] وكَثُر.

---

[1] ر: تجعلوها.

[2] ر: يكدر.

[3] ر: باربرا.

[4] انظر: المُغرب للمطرّزي، «أزر».

[5] ر: وتم؛ ن: ثم.

ثم بما هو أصلُ الخير ومادَّتُه من أمر الشرب فجَعَله أفضلَ ما يُسقَى به وهو السَّيْحُ بالنهر الجاري فيها.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾

و"الأُكْل": الثَّمر، وقرئ بضم الكاف.

﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: ولم تَنقُص، و﴿ءَاتَتْ﴾: حملٌ على اللفظ؛ لأن ﴿كِلْتَا﴾ لفظُه لفظٌ مفردٌ، ولو قيل: "آتتا" على المعنى لجاز.

وقرئ: "وفجَرْنا" على التخفيف.

وقرأ عبد الله: "كلُّ الجنَّتين آتى أُكُلَه" بردِّ الضمير على "كلّ".

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾؛ أي: أنواعٌ من المال، مِن ثمَّر مالَه: إذا كثَّره.

قوله: (وهو السَّيْحُ[1] بالنَّهر) "الباء" في "بالنهر" للتعدية، و"السَّيح" مصدر ساحَ الماء يَسِيح، أي: جرَى على وجه الأرض، والمعنى: هو إجراء[2] النهر الجاري فيها.

قوله: (أي: أنواع مِن المال) قال المصنِّف في تفسير ﴿ثُمُرٌ﴾: "أي: أنواع المال"، فيجوز أن يكون مُراده "الثُّمُر" بضمَّتين، وبضمَّة الثاء وسكون الميم، لا "الثَّمَر" بفتحتَين؛ لأنه هو الذي يُجتَنى مِن الشجرة المُثمِرة على الأشهَر في اللغة.

ويجوز أن يكون مراده تفسيرَ "الثمر" مطلقًا، أي: بضمَّتَين، وبضمَّة وسكون، وبفتحتَين. وبيان ذلك أن نقول:[3] قال أبو عليّ الفارسي رحمه الله لبيان القراءة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾:

---

[1] ر: الشيخ.

[2] ر: اجزا.

[3] ر: يقول.

وعن مجاهد: الذَّهب والفضَّة. أي: كانت له إلى الجنتين الموصوفتين

قرأ أبو عمرو: ﴿بِثُمْرِهِ﴾ و﴿ثُمْرٌ﴾ مضمومةَ الثاء مُسكّنة الميم. وقرأ ابن كثير ونافع وابن[١] عامر وحمزة والكسائي: ﴿بِثُمُرِهِ﴾ و﴿ثُمُرٌ﴾[٢] مضمومة الثاء والميم. وقرأ عاصم: ﴿ثَمَرٌ﴾ و﴿بِثَمَرِهِ﴾ بفتح الثاء والميم[٣] فيهما.[٤] والثَّمرة تُجمع على ثَمَر،[٥] كبَقرة وبَقر، وعلى ثِمار، كرَقَبة ورِقاب، ويجوز أن يكون ثِمار -الذي هو جمع ثَمَرة- يُجمع على ثُمُر، ككِتاب وكُتُب. وقراءة أبي عمرو يجوز أن تكون[٦] جمع ثِمار، أصله ثُمُر بضمّتين خُفِّفَ كما خُفِّف كُتُب. ويجوز أن يكون جمع ثَمَرة، كبَدَنة وبُدْن. ويجوز أن يكون واحدًا -كعُنُق[٧] وطُنُب- فخُفِّف. وقال بعض أهل اللغة: الثُّمُر -بضمّتين-: المال، والثَّمَر -بفتحتين-: المأكول. وجاء في التفسير قريب مِن هذا، قالوا: الثُّمُر: النخل والشجر، ولم يرد به الثَّمَرة. والثُّمُر هنا على ما رُوي عن عِدّة مِن السلَف: الأصولُ التي تحمل الثَّمَرة، لا نفسُ الثَّمَرة، بدلالة قوله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾، أي: في الجنّة، والنفقة إنّما تكون على ذوات[٨] الثَّمَرة في أغلب العُرْف، وكأنّ الآفة التي أُرسِلَت عليها اصطَلَمت[٩] الأصولَ واجتاحَتها كما جاء في صفة الجنّة الأخرى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم ٢٠/٦٨]، أي: كالليل في سَوادها لاحتراقها، أو كالنهار في بياضها وبُطلانِ خُضرتها بالآفة النازلة بها. وحُكي عن أبي عمرو: الثُّمُر والثَّمَر: أنواع المال، فإذا اصطَلَم الثَّمَر واجتيح / دخلت الثمرة فيه، ولا يكون أن يُصاب[١٠] الأصل [٩٣و]
ولا يُصاب[١١] الثمرة.[١٢] وإذا كان كذلك فمَن قرأ: ﴿بِثُمُرِهِ﴾ بضمّتين أو ضمّة وسكون كان قوله أبْينَ ممَّن قرأ بالفتح. وجاز القراءة بالفتح، كأنّه أخبَر عن بعض ما أُصيب، وأَمسَكَ عن بعض.[١٣]

---

١ ر: وين.
٢ ر ن - و﴿ثُمُرٌ﴾.
٣ ر - وقرأ عاصم: ﴿ثَمَرٌ﴾ و﴿بِثَمَرِهِ﴾ بفتح الثاء والميم.
٤ انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٠/٢.
٥ ر ن: ثمرة.
٦ ر ن: يكون.
٧ ر ن: العنق.
٨ ر ن: دواب.
٩ الاصطِلام: الاستئصال. واصطُلِم القوم: أُبِيدوا. لسان العرب لابن منظور، «صلم».
١٠ ن: بصاف.
١١ ن: بضاف.
١٢ ر ن: الثمر.
١٣ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ١٤٣/٥.

الأموالُ الدَّثْرة من الذهب والفضّة وغيرهما، فكان وافِرَ اليسار من كلِّ وجهٍ، متمكِّنًا من عِمارةِ الأرض كيف شاء.

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: أنصارًا وحَشَمًا.

وقيل: أولادًا ذكورًا؛ لأنهم يَنْفِرون معه دون الإناث.

﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾: يراجعُه الكلامَ، مِن حار يَحُور: إذا رجع، وسألتُه فما أحارَ كلمةً.

يعني: قطروسَ، أخذ بيد أخيه المسلم يطوفُ به في الجنتين ويُريهِ ما فيهما ويُعجِّبه منهما، ويفاخرُه بما مَلَكَ من المال دونه.

فإن قلتَ: لمَ أَفْرَد الجنَّةَ بعدَ التثنية؟

قلتُ: معناه: ودخل ما هو جنَّتُه ما له جنَّةٌ غيرُها، يعني: أنه لا نصيبَ له في الجنَّة التي وُعِد المؤمنون، فما مُلْكه في الدنيا هو جنَّتُه لا غيرُ، ولم يقصِدِ الجنتين ولا واحدةً منهما.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥﴾

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو مُعجَبٌ بما أُوتي مفتخِرٌ به كافرٌ لنعمة ربه، ....

هذا حاصل ما ذكره أبو عليّ رحمه الله[1] في الحجّة.

قوله: (الدَّثْرة)[2] الدَّثْر:[3] المال الكثير.[4]

قوله: (قلت: معناه: ودخلَ ما هو جَنّته)[5] أي: الذي هو جَنّته. و"ما" منصوب المحلّ بـ"دَخلَ". وقوله: (ما له جنّة) نفي. وهذه الجملة صِلة أخرى لِـ"ما"، أي: دخل البستان الذي ما له جنّة غيرها. أو هي[6] جملة معترضة، وهذا أحسن.

---

[1] د – رحمه الله.
[2] ر ن: والمدثرة.
[3] ر ن: المدثر.
[4] ن: الكبير.
[5] ر ن: حفته.
[6] ر ن – هي.

معرِّضٌ بذلك نفسَه لسَخَطِ الله وهو أفحشُ الظلم، إخبارُه عن نفسه بالشكِّ في بَيْدودةِ جنَّته: لطولِ أمله، واستيلاءِ الحرصِ عليه، وتمادي غفلتِه، واغترارِه بالمهلة، واطِّراحِهِ النظرَ في عواقب أمثاله، وترى أكثرَ الأغنياء من المسلمين وإن لم يُطلقوا بنحوِ هذا ألسنتَهم فإنَّ ألسنةَ أحوالهم ناطقةٌ به مُناديَةٌ عليه.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إقسامٌ منه على أنه إن رُدَّ إلى ربِّه -على سبيل الفَرْض والتقدير، وكما يَزعُمُ صاحبُه- ليجِدَنَّ في الآخرةِ خيرًا من جنَّته في الدنيا؛ تَطَمُّعًا وتمنِّيًا على الله وادِّعاءً لكرامته عليه ومكانتِه عنده، وأنه ما أوْلاه الجنتين إلَّا لاستحقاقه واستئهاله، وأنَّ معه هذا الاستحقاقَ أين توجَّه؛ كقوله: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت ٤١/٥٠]، ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم ١٩/٧٧].

وقرئ: ﴿خيرًا منهما﴾ ردًّا على الجنتين.

﴿مُنقَلَبًا﴾: مَرْجِعًا وعاقبةً، وانتصابُه على التمييز؛ أي: مُنقَلَبُ تلك خيرٌ من منقَلَبِ هذه؛ لأنها فانيةٌ وتلك باقيةٌ.

قوله: (مُعرِّض) التعريض للشيء: النصبُ له.

قوله: (إخباره) مبتدأ. وقوله: (لِطُول أَملِه) خبره.

قوله: (إقْسام منه)؛ لأنَّ "اللام" في ﴿وَلَئِن﴾ رُدِدت مُوطِّئة للقَسَم.

قوله: (لَيَجدَنَّ) أدخل اللام في قوله: "لَيَجدَنَّ"؛[1] لأنَّ قوله: "إقسام منه" على أنّه إن رُدَّ في معنى القَسَم.

قوله: (وانتصابه على التمييز) فهو تمييز مِن نسبة "خيرًا"[2] إلى الضمير المستتر فيه العائد إلى الموصوف المحذوف، أي: لَأَجِدَنَّ جَنّة خيرًا مِن هذه الجنّة التي لي في الدنيا مُنقَلَبًا.

قوله: (لأنّها فانية) أي: التي أَجِدُها.

---

١ ر: لتجدن.

٢ ر ن: خيرًا.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾

﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾؛ أي: خَلَقَ أصلَكَ من ترابٍ؛ لأن خَلْقَ أصله سببٌ في خَلْقه، فكان خَلْقُه خلقًا له.

﴿سَوَّىٰكَ﴾: عدَّلَكَ وكمَّلَكَ إنسانًا ذكَرًا بالغًا مَبلغَ الرجال، جعَلَه كافرًا بالله جاحدًا لأنعُمه لشكِّه في البعث؛ كما يكونُ المكذِّب بالرسول كافرًا.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝٣٨﴾

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ أصلُه: "لكنْ أنا" فحُذفت الهمزةُ وأُلْقِيتْ حركتُها على نونِ "لكنْ" فتلاقتِ النونانِ فكان الإدغامُ، ونحوُه قولُ القائل:

وتَرمِينَني بالطَّرْفِ أيْ أنتَ مُذنبٌ   وتقلينَني لكنَّ إيَّاكِ لا أَقْلِي

أي: لكنْ أنا لا أَقليكِ.

قوله: (لِشَكِّه في البعث) فإنّه كان شاكًّا في البعث، يدلّ عليه قوله:[١] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، ومع ذلك حلَفَ على أنّه لو فُرض البعث لَكان حاله في الآخرة خيرًا مِن الدنيا تكبّرًا وتعظّمًا وادّعاء أنّه أهلٌ[٢] لجميع أنواع التعظيم، أينما كان؟ وهذا يدلّ على غاية تجبُّره واعتزازِه[٣] بنفسه.

قوله: (فتلاقَت النُّونان) تلاقَت النُّونان ثمّ سُكِّنت النون الأولى وأُدغِمَت في الثانية، فصار "لكنّ"، ثمّ أُلحِق الألفُ إجراءً[٤] للوصل[٥] مُجرى الوقف؛ لأنّ الوقف على "أنا" بالألف؛ ولأنّ الألف تدلّ على أنّ الأصل "لكنْ أنا"، وبغير[٦] الألف يلزم الالتباس بينه وبين "لكنّ" المشدّدة.[٧] ولمّا كان الضمير في ﴿رَبِّى﴾ راجعًا على "أنا" الذي هو المبتدأ، جازَ هذا التقدير، نقول:[٨] أنا هو صاحبي،

---

١ ن – قوله.
٢ ر: أصل.
٣ ر ن: واغتراره.
٤ ر: إجزا.
٥ ر: لموصل.
٦ ن: بغير.
٧ ن: المبتده.
٨ ر: يقول.

و﴿هُوَ﴾ ضميرُ الشأن، والشأنُ اللهُ ربِّي، والجملة خبرُ "أنا"، والراجعُ منها إليه ياءُ الضمير.

وقراءةُ ابنِ عامر بإثبات ألفِ "أنا" في الوصلِ والوقفِ جميعًا، وحَسَّنَ ذلك وقوعُ الألفِ عوضًا من حذف الهمزة، وغيرُه لا يُثبتها إلّا في الوقف.

وعن أبي عمرٍو أنه وَقَف بالهاء: "لكنَّهْ".

وقرئ: "لكنْ هو اللهُ ربي" بسكونِ النون وطرحِ "أنا".

وقرأ أبيُّ بن كعبٍ: "لكنْ أنا" على الأصل.

وفي قراءةِ عبد الله: "لكنَّ أنا لا إلهَ إلّا هو ربِّي".

فإن قلتَ: هو استدراكٌ لماذا؟

قلتُ: لقوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾، قال لأخيه: أنت كافرٌ بالله لكنِّي مؤمنٌ موحِّدٌ؛ كما تقول: زيدٌ غائبٌ لكنَّ عَمْرًا حاضرٌ.

ولا نقول:[١] أنا هو الصاحب، والفرق بين الآية وبين البيت أنّه لم يُجرِ[٢] الوصل مُجرى الوقف في البيت فلم يُلحِق[٣] الألف، وتقدير البيت: لكن أنا إيّاكَ لا أقلي.

قال الشيخ في الكواشي: «ونحو هذا في العمل: إنّ قائم، وأصله: إن أنا قائم، ومعناه: ما أنا قائم. ومعنى الآية: لكنْ أنا لا أقول كما تقول؛ بل أقول: هو الله ربّي».[٤]

قوله: (وهو ضمير الشأن) أي: لفظة ﴿هُوَ﴾.

قوله: (وقف بالهاء: "لكنَّه")[٥] وجهه أنّه يوقف على "أنا" بالهاء.

قوله: (قلتُ: لقوله:[٦] ﴿أَكَفَرْتَ﴾ قال لأخيه)[٧] "قال لأخيه"...[٨] إلخ يشير بهذا إلى أنّ ﴿أَكَفَرْتَ﴾ وإن كان لفظه استفهامًا فمعناه[٩] الخبر.

---

[١] ر: يقال.

[٢] ر: يجز.

[٣] د ن: نلحق.

[٤] تفسير الكواشي، ٢٩٣ظ.

[٥] وفي البحر المحيط لأبي حيّان، ١٧٨/٧ (الكهف، ٣٨/١٨): «روى هارون عن أبي عمرو: 'لَكِنَّهُ هُو اللهُ رَبّي' بضميرٍ لَحِقَ 'لكنّ'». فهي بالهاء وصلًا ووقفًا، وهي رواية شاذّة عن أبي عمرو.

[٦] ن: كقوله.

[٧] ر ن: أخيه.

[٨] ر ن: أخيه.

[٩] ن: فمعناهاه.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يجوزُ أن تكونَ ﴿مَا﴾ موصولةً مرفوعةَ المحلِّ على أنها خبرُ مبتدأ محذوفٍ، تقديره: الأمرُ ما شاء الله، أو شرطيَّةً منصوبةَ الموضعِ والجزاءُ محذوفٌ بمعنى: أيَّ شيءٍ شاء اللهُ كان، ونظيرُها في حذف الجواب "لو" في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد ٣١/١٣].

والمعنى: هلَّا قلتَ عند دخولها والنظرِ إلى ما رَزَقَكَ الله منها: الأمرُ ما شاء الله، اعترافًا بأنها وكلَّ خيرٍ فيها إنما حَصَل بمشيئةِ الله وفضلِه، وأنَّ أمرَها بيده: إنْ شاء تَرَكها عامرةً، وإنْ شاء خرَّبها، وقلتَ: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ إقرارًا بأنَّ ما قَوِيتَ به على عِمَارتها وتدبيرِ أمرها هو بمعونتِه وتأييدِه، إذ لا يَقْوَى أحدٌ في بَدَنه ولا في مِلْكِ يدِه إلَّا بالله تعالى.

وعن عروةَ بن الزبير: أنه كان يَثْلِمُ حائطَه أيامَ الرُّطَبِ فيَدخُلُ مَن شاء، وكان إذا دخله ردَّد هذه الآيةَ حتى يَخرجَ.

مَن قرأ ﴿أَقَلَّ﴾ بالنصب فقد جعل ﴿أَنَا۠﴾ فصلًا، ومَن رَفَعَ جعَلَه مبتدأً و"أقلُّ" خبرَه والجملةَ مفعولًا ثانيًا لـ﴿تَرَنِ﴾.

وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ نُصرةٌ لِمَنْ فَسَّر "النَّفَر" بالأولاد في قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

قوله: (ونظيرها[1] في حذف الجواب "لو"). قوله: / (إذ لا يقوى أحد في بدنه) قال في الوسيط: «قال الزجّاج: 'لا يقوَى أحد على ما في يديه مِن مِلك ونعمة[2] إلّا بالله تعالى، ولا يكون له إلّا ما شاء الله'».[3] [٩٣ظ]

قوله: (يَثْلِمُ) الثُّلْمة: الخَلَل في الحائط، وقد ثَلَمْتُه أَثْلِمُه -بالكسر- ثَلْمًا.[4]

---

[1] وفي هامش د: ما.

[2] ن: ونعيه.

[3] التفسير الوسيط للواحدي، ١٤٩/٣. وانظر: معاني القرآن للزجّاج، ٢٨٨/٣.

[4] الصحاح للجوهري، «ثلم».

﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

والمعنى: إنْ تَرَني أفقرَ منك فأنا أتوقَّعُ مِن صُنعِ الله أنْ يَقْلِبَ ما بي وما بكَ من الفقرِ والغِنَى، فيَرزقَني لإيماني جنَّةً ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ ويَسلُبَك لكُفرك نعمتَه ويُخرِبَ بستانَك.

و"الحُسبان": مَصدرٌ -كالغُفْرانِ والبُطْلانِ- بمعنى: الحساب؛ أي: مقدارًا قدَّره اللهُ وحَسَبَه، وهو الحُكْمُ بتخريبها.

وقال الزجَّاج: عذابَ حُسبانٍ، وذلك الحُسبانُ حسابُ ما كسبَتْ يداك.

وقيل: ﴿حُسْبَانًا﴾: مَراميَ، الواحدةُ: حُسبانةٌ، وهي الصَّواعق.

﴿صَعِيدًا﴾: أرضًا بيضاءَ يُزلَقُ عليها لمَلاسَتِها ﴿زَلَقًا﴾ و﴿غَوْرًا﴾ كلاهما وصفٌ بالمصدر.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾

و"أُحيطَ به" عبارةٌ عن إهلاكه، وأصلُه مِن: أحاط به العدوُّ؛ لأنه إذا أحاط به فقد مَلَكه واستولَى عليه، ثم استُعمل في كلِّ إهلاك، ....

قوله: (والمعنى) إشارة إلى أنَّ ﴿تَرَنِ﴾ شرط، جزاؤه: ﴿فَعَسَىٰ﴾. قال في الوسيط: «ثمّ رجعَ إلى نفسه فقال:[1] ﴿إِن تَرَنِ﴾».[2]

قوله: (أي: مِقدارًا) فيكون الحُسبان[3] -وهو المصدر- بمعنى المَحسوب، أو يكون التقدير: ذا حُسبان.

قوله: (مَرامِيَ) المَرامي: جمع مَرماة؛ وهو السهم الذي يُرمَى.

قوله: (﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾) المضاف محذوف، أي: مثلَ صعيد.

---

[1] ر: قال.
[2] التفسير الوسيط للواحدي، ١٤٩/٣.
[3] ن: الحسباد.

ومنه قولُه تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف ١٢/٦٦]، ومثلُه قولُهم: «أَتى عليه»: إذا أهلَكَه، مِن أَتى عليهم العدوُّ: إذا جاءهم مستعليًا لهم.

و"تقليبُ الكفَّين": كنايةٌ عن النَّدم والتحسُّرِ؛ لأن النادم يقلِّب كفَّيه ظهرًا لبطنٍ كما كُني عن ذلك بـ"عَضِّ الكفِّ" و"السقوطِ في اليد"؛ ولأنه في معنى النَّدم عُدِّي تَعْديَتَه بـ"على"؛ كأنَّه قيل: فأصبحَ يَندم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾؛ أي: أَنْفَقَ في عِمارتها.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني: أن كُرومَها المُعرَّشَةَ سقطَتْ عروشُها على الأرض وسقطَتْ فوقَها الكرُومُ، قيل: أرسل الله عليها نارًا فأكلتْها.

﴿يَٰلَيۡتَنِي﴾ تذكَّرَ موعظةَ أخيه فعَلِم أنه أُتِيَ من جهةِ شِركه وطُغيانه، فتمنَّى لو لم يَكُنْ مشركًا ....

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف ١٢/٦٦]) قال تعالى في سورة يوسف حكاية عن يعقوبَ لبَنيه: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف ١٢/٦٦].

قوله: (لأنَّ النادِم يُقَلِّب) فتقليبُ[1] الكفِّ مِن لوازم النَّدَم.

قوله: (ظَهرًا) بدل مِن (كفَّيه)، أي: يُقَلِّبُ ظهرَ كفَّيه إلى جانب بطنه، وإنّما أتى بـ"اللام" ليفيد معنى الاختصاص، أي: تخصّص[2] ظهره بموضع بطنه.

وقوله: (كما كُنِيَ عن ذلك) أي: الندم.[3]

قوله: (وسقَطَتْ فوقَها الكرُوم) فالكُروم سقطت على العُروش.

قوله: (فتمنّى لو لم يكن مُشرِكًا) يحتمل أن يكون "لو" بمعنى "أن" المصدريّة، أي: تمنّى أن لم[4] يَكُن[5] مُشرِكًا، ويحتمل أن يكون "لو" بمعنى "ليت"[6] للتمَنّي، فحكى المصنّف تَمنّيَه مِن حيث المعنى، فكأنّه قال في تمنّيه: لو لم أُشرِك، ولكن لمّا كان غائبًا قال المصنّف كذلك، ومثله كثير.

---

[1] ن: فلسب.
[2] ر ن: تخصيص.
[3] وفي هامش د: قوله: (ولأنّه في معنى النّدَم) فعلى هذا لا يكون كناية؛ بل يكون مِن قَبيل التضمين.
[4] ر ن - لم.
[5] ر ن: يكون.
[6] ن: لبث.

حتى لا يُهلِكَ الله بُستانَه.

ويجوزُ أن يكون توبةً من الشِّرك وندَمًا على ما كان منه ودخولًا في الإيمان.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

قرئ ﴿وَلَمۡ تَكُن﴾ بالياء والتاء، وحُمل ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ على المعنى دون اللفظ؛ كقوله: ﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ﴾ [آل عمران ٣/١٣].

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: معناه: يَقْدرون على نُصْرته من دون الله؛ أي: هو وحدهُ القادرُ على نُصرته لا يَقدِرُ أحدٌ غيرُه أن ينصرَه، إلَّا أنه لم يَنصره لصارفٍ وهو استيجابُه أن يُخْذَل.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: وما كان ممتنِعًا بقوَّته عن انتقام الله.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾

﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ بالفتح: النُّصرةُ والتولِّي، وبالكسر: السلطانُ والمُلك، وقد قرئ بهما.

والمعنى: ﴿هُنَالِكَ﴾؛ أي: في ذلك المقامِ وتلك الحالِ النُّصرةُ للهِ وحده لا يملكُها غيرُه ولا يستطيعُها أحدٌ سواه؛ تقريرًا لقوله: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

أو: هنالك السلطانُ والملكُ لله لا يُغلَبُ ولا يُمتَنَعُ منه.

قوله: (ويجوز أن يكون توبةً) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (حتّى لا يُهلِك). فقال أوّلًا: "تمنّيه[1] لأجل بستانه"، فلا يكون هذا توبة مِن الشرك، ثمّ قال: "ويجوز"...

قوله: (عن انتقام الله) أراد بـ"انتقام الله تعالى" إحاطتَه بثمره جزاءً له على كفره.

قوله: (والمعنى هنالك) على تقدير الفتح.

قوله: (أو هنالك السلطان) على تقدير الكسر.

---

[1] ر ن + كان.

أو: في مثلِ تلك الحالِ الشَّديدةِ يَتولَّى الله ويؤمنُ به كلُّ مضطرٍّ، يعني: أن قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ كلمةٌ أُلجِئَ إليها فقالها جزعًا ممَّا دَهَاه من شؤمِ كفرِه، ولولا ذلك لم يَقُلْها.

ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الوَلايةُ لله ينصرُ فيها أولياءَه المؤمنين على الكفرة ويَنتقِمُ لهم ويَشْفِي صدورَهم من أعدائهم، يعني: أنه نَصَر فيما فَعَلَ بالكافر أخاه المؤمنَ وصدَّق به قولَه: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويعضدُه قولُه: ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾؛ أي: لأوليائه.

وقيل: ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى الآخرة؛ أي: في تلك الدار الوِلايةُ لله؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر ٤٠/١٦].

وقرئ ﴿الحقّ﴾ بالرفع والجرِّ صفةٌ لـ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ و﴿ٱللَّهِ﴾.

وقرأ عمرو بنُ عبيدٍ رضي الله عنه بالنصب على التأكيد؛ كقولك: "هذا عبدُ الله الحقَّ لا الباطلَ"، وهي قراءةٌ حسنةٌ فصيحةٌ، وكان عمرو بن عبيدٍ من أفصحِ الناس وأنصحِهم.

وقرئ ﴿عُقبًا﴾ بضم القاف وسكونها، و: "عُقْبَى" على فُعْلَى، وكلُّها بمعنَى العاقبة.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾: فالتفَّ بسببه وتكاثَفَ حتى خالَطَ بعضُه بعضًا.

قوله: (يعني أنّ قوله) هذا على التفسير الأخير.

قوله: (ولولا ذلك) أي: ما دهاه.[1]

قوله: (صفة لـ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ و"اللهِ") فيه لفّ ونشر.[2]

---

[1] ر ن: هداه.

[2] وفي هامش د: قوله: (بمعنى العاقبة) أي: عاقبة طاعته خيرٌ من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابةً، وعاقبةً طاعة.

وقيل: نَجَع في النبات الماءُ فاختلَط به حتى رَوِيَ ورَفَّ رَفِيفًا.

وكان حقُّ اللَّفظِ على هذا التفسيرِ: فاختَلَط بنباتِ الأرض، ووجهُ صحَّته: أن كلَّ مختَلِطَيْن موصوفٌ كلُّ واحدٍ منهما بصفةِ صاحبه.

و"الهشيم": ما تهشَّمَ وتحطَّمَ، الواحدةُ: هشيمةٌ.

وقرئ: ﴿تذرُوه الريحُ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "تُذرِيهِ الرِّياحُ" من أَذْرَى.

شَبَّه حالَ الدنيا في نَضْرتها وبهجتِها وما يتعقَّبُها من الهلاكِ والفناءِ بحالِ النبات، يكون أخضرَ وَارِفًا ثم يَهِيج فتُطيِّره الرِّياحُ كأنْ لم يكن.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الإنشاءِ والإفناءِ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أعمالُ الخير التي تبقَى ثمرتُها للإنسان، ويَفْنَى عنه

قوله: (وقيل: نجَعَ) نجعَ الطعام؛ إذا هَنَأَ.[1]

قوله: (ورَفَّ) أي: برَقَ.

قوله: (فاختلط[2] بنبات الأرض) أي: اختلط الماء.

قوله: (أخضَرَ وارِفًا) ورَفَ النَّبتُ، أي: اهتزَّ، فهو وارِف، أي: ناضِر رَفّاف، شَديدُ الخُضْرة.[3]

وقوله: (يهيج) هاجَ النبت هِياجًا؛ يَبِسَ.[4]

قوله: (ويَفنَى[5] عنه) حال. وفي كونه حالًا نظر؛ لأنّ المضارع المثبَتَ بالضمير وحده، إلّا أن يقال: التقدير: وهو يفنى[6] عنه.

---

[1] في الصحاح للجوهري، «نجع»: «أي: هَنَأَ آكِله».

[2] وفي هامش د: الماء.

[3] الصحاح للجوهري، «ورف».

[4] الصحاح للجوهري، «هيج».

[5] ن: ويعنى.

[6] ن: يعنى.

كلُّ ما تَطْمَحُ إليه نفسُه من حُظوظ الدنيا.

وقيل: هي الصلواتُ الخمس.

وقيل: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبر.

وعن قتادة: كلُّ ما أُريدَ به وجهُ الله.

﴿خَيْرٌ... ثَوَابًا﴾؛ أي: ما يتعلَّقُ بها من الثوابِ وما يتعلَّقُ بها من الأملِ؛ لأن صاحبَها يأمُلُ في الدنيا ثوابَ الله ويُصيبُه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾

قرئ: ﴿تُسَيَّرُ﴾ من سُيِّرَتْ و: ﴿نُسَيِّرُ﴾ من سَيَّرنا، و: "تَسِير" من سارت؛ أي: تُسيَّر في الجوِّ، أو يُذهَبُ بها بأنْ تُجعلَ هباءً منبثًّا.

وقرئ: "وتُرى الأرضُ" على البناء للمفعول.

﴿بَارِزَةً﴾: ليس عليها ما يَستُرُها مما كان عليها.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: وجمعناهم إلى الموقف.

وقرئ ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ بالنون والياء.

يقال: غادَره وأَغْدَره: إذا تَرَكه، ومنه "الغَدْر": تركُ الوفاء، و"الغديرُ": ما غادَره السَّيْلُ، وشُبِّهَتْ حالُهم بحالِ الجُند المعروضِينَ على السلطان.

قوله: (أي: ما يتعلّق بها) تفسير قوله: ﴿ثَوَابًا﴾.

وقوله: (وما يتعلّق بها مِن الأمَل) تفسير قوله: ﴿أَمَلًا﴾.

قوله: (أي: تُسَيَّر) هذا حاصل المعنى على جميع القراءات.

قوله: (شبِّهت حالهم)... إلخ استعارة تمثيليّة، والجامع كون كلٍّ منهما مستحضَرًا عند مَن يسلّط عليهم.[1]

---

[1] د ر – قوله: (شبهت حالهم)... إلخ استعارة تمثيليّة، والجامع كون كلٍّ منهما مستحضَرًا عند مَن يسلّط عليهم. | وقعت هذه الحاشية في هامش د.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿صَفًّا﴾: مصطفِّين ظاهرين تُرى جماعتُهم كما يُرى كلُّ واحدٍ لا يَحجُبُ أحدٌ أحدًا.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾؛ أي: قلنا لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، وهذا المضمَرُ هو عاملُ النصب في "يومَ نُسيِّر"، ويجوز أن يَنتصِبَ بإضمارِ "اذكر"، والمعنى: لقد بعثناكم كما أنشأناكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

وقيل: جئتُمونا عُراةً لا شيءَ معكم كما خلقناكم أوّلًا؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام ٩٤/٦].

فإن قلتَ: لمَ جيء بـ﴿حشرناهم﴾ ماضيًا بعد ﴿نُسَيِّرُ﴾ و﴿ترى﴾؟

قلتُ: للدلالة على أن حَشْرَهم قبلَ التسييرِ وقبلَ البُروزِ ليُعاينوا تلك الأهوالَ والعظائمَ؛ كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك.

﴿مَّوْعِدًا﴾: وقتًا لإنجازِ ما وُعِدْتُم على ألسنةِ الأنبياءِ من البعثِ والنُّشور.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

[٩٤و] قوله: (أي: قلنا لهم) / ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ مفعولٌ لـ"قلنا" المضمَر، ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ﴾ مفعول فيه لهذا الفعل المضمَر.

قوله: (والمعنى: لقد بَعثناكم) يعني: أنّ المراد بمَجيئهم[١] هو بعثُ الله تعالى إيّاهم، فهو كقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف ٢٩/٧].[٢]

---

١ ر ن: لمجيبهم؛ ن + فيكون مِن قَبيل ذِكر المسبَّب وإرادة السبب؛ لأنّ البعث سبب للمَجيء، ويحتمل أن يكون كنايةً؛ لأنّ المَجيء مِن توابع البعث. | وهذه العبارة في هامش د.

٢ وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ أي: لقد جِئتمونا وكنتم -حال- شاكّين؛ بل زعمتم.

﴿ٱلْكِتَـٰبُ﴾ للجنس، وهو صُحُفُ الأعمال.

﴿يَـٰوَيْلَتَنَا﴾ ينادُون هَلَكتَهم التي هَلَكوها خاصَّةً من بين الهَلَكات.

﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: هَنَةً صغيرةً ولا كبيرةً، وهي عبارةٌ عن الإحاطة، يعني: لا يَترك شيئًا من المعاصي إلَّا أحصاه؛ أي: أحصاها كلَّها، كما تقول: ما أعطاني قليلًا ولا كثيرًا؛ لأن الأشياء إمَّا صغارٌ وإمَّا كبارٌ، ويجوزُ أن يريدوا ما كان عندهم صغائرَ وكبائرَ.

وقيل: لم يَجتنِبوا الكبائرَ فكُتبت عليهم الصغائرُ وهي المناقشةُ.

قوله: (هَلَكوها) الضمير للمصدر، أي: هلكوا الهَلَكة. وقوله:[1] (خاصَّةً) حال مِن (هَلَكتَهم)، أو مِن الضمير المنصوب. وقوله: (مِن بين الهَلَكات) حال.

قوله: (هَنةً صغيرة) قال في المُغرب: «الهَنُ: كِناية عن كلِّ اسم جنس، وللمؤنَّث: هَنة، ولامُه ذات وجهين، فمَن قال: "واو" قال في الجمع: هَنَوات، وفي التصغير: هُنَيَّة،[2] ومَن قال: "هاء" قال: هُنَيْهَة،[3] ومنها قولهم: مَكَثَ هُنَيهَةً،[4] أي: ساعةً يسيرة».[5] وقال[6] في الصحاح: «هَن -مثال أَخ- كلمة كناية، ومعناه: شيء، وأصله: شيء،[7] تقول:[8] هذا هَنُكَ، أي: شيئكَ».[9]

وقوله: (لأنَّ الأشياء) أي: الأجسام.

قوله: (وهي المناقشة) أي: المناقشة[10] في الحساب، أي: الاستقصاء فيه،[11] جاء في الحديث: «مَن نُوقِشَ في[12] الحساب عُذِّب».[13]

---

١ ن: قوله.
٢ ن: هبية.
٣ ر: هنيهنة؛ ن: هنية.
٤ ر: هنيهنة؛ ن: هنية.
٥ المُغرب للمطرّزي، «هنو».
٦ ن: قال.
٧ في مطبوع الصحاح: وأصله: هنو.
٨ ر: يقول.
٩ الصحاح للجوهري، «هنو».
١٠ ر ن - أي: المناقشة.
١١ وفي هامش د: أي: كتابة الصغائر هي المناقشة في الحساب.
١٢ ن - في.
١٣ صحيح البخاري، ١١١/٨ (٦٥٣٦)؛ صحيح مسلم، ٢٢٠٤/٤ (٢٨٧٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصغيرةُ التبسُّم والكبيرةُ القهقهةُ.

وعن سعيد بن جبير: الصغيرةُ المَسِيسُ والكبيرةُ الزنا.

وعن الفُضيل: كان إذا قرأها قال: ضَجُّوا واللهِ من الصغائرِ قبلَ الكبائر.

﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾: إلا ضَبَطَها وحَصَرَها.

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗا﴾ في الصُحف عتيدًا، أو: جزاءَ ما عَمِلوا.

﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ فيكتُبَ عليه ما لم يَعْمل، أو يزيدَ في عقابه المستحَقِّ، أو يُعذِّبَه بغير جُرم كما يزعُم مَن ظَلَّمَ اللهَ في تعذيبِ أطفالِ المشركين بذنوب آبائهم.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ۝٥٠﴾

﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ جارٍ مجرى التعليلِ ....

قوله: (عَتِيدًا) الشيء العَتيد: الحاضر المهيَّأ.[1]

قوله: (مَن ظَلَّمَ اللهَ) يقال:[2] ظَلَّمَه، أي: نسبه إلى الظلم. يشير به إلى مسألة اختُلف فيها؛ وهي أنّ الكفّار كما يُعذَّبون فهل تُعذَّب أطفالهم؟ ومذهب أهل السنَّة أنّهم يعذَّبون؛ لقوله عليه السلام: «هم مِن آبائهم»، فقيل: «بغَير جُرْم»، فقال عليه السلام: «اللهُ أعلَمُ بما كانوا يعملون».[3] وأمّا عند المعتزلة فلا يجوز أن يُعذَّبوا؛ إذ لم يَصدُر عنهم ذَنْبٌ، لكن أجاب صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك حين قال: «اللهُ أعلَمُ[4] بما كانوا يعملون».

وأمّا قول المصنّف: "ظَلَّمَ اللهَ" -يريد أنّ مَن قال بذلك فقد نسَبَ الظلم إلى الله تعالى- فليس بشيء؛ لأنّه تعالى مالك المُلوك يتصرّف في مُلكه كيف يشاء، لا يكون ذلك ظُلمًا؛ بل كلّه حِكمة وصواب وإن خَفي وجه حِكمته على العباد.

---

[1] الصحاح للجوهري، «عتد».

[2] ر ن: تعالى.

[3] ن: عاملين. | بنحوه في صحيح البخاري، ١٠٠/٢ (١٣٨٣)؛ وصحيح مسلم، ٢٠٤٩/٤ (٢٦٥٩)؛ وسنن أبي داود، ٩٦/٧ (٤٧١٢).

[4] ر ن: يعلم. | وفي هامش د: يعلم. نخ [نسخة].

بعد استثناءِ إبليسَ من الساجدين؛ كأن قائلًا قال: ما له لم يَسجُدْ؟ فقيل: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ والفاءُ للتسبيب أيضًا: جُعل كونُه من الجنِّ سببًا في فِسْقِه، يعني: أنه لو كان مَلَكًا كسائرِ مَن سَجَد لآدم لم يفسُقْ عن أمر الله؛ لأن الملائكة معصومون البتَّةَ لا يجوزُ عليهم ما يجوزُ على الجنِّ والإنس؛ كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء ٢٧/٢١] وهذا الكلامُ المعترِضُ تعمُّدٌ من الله عزَّ وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهةٍ في عصمتهم، فما أبْعدَ البَوْن بين ما تعمَّده الله وبين قولِ مَن ضادَّه فزعم أنه كان ملَكًا ورئيسًا على الملائكة فعَصَى فلُعن ومُسخ شيطانًا ثم ورَّكه على ابن عباس رضي الله عنهما!

ومعنى "فسق عن أمر ربه": خرج عمَّا أَمَره به رَبُّه من السجود، قال:

فَـوَاسِـقًـا عـن قَـصْـدِهـا جَـوَائـرا

أو: صار فاسقًا كافرًا بسببِ أمرِ ربِّه الذي هو قولُه: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾.

قوله: (وَرَّكَهُ)[١] يقال: وَرَّكَ فلان ذَنْبه على غيره، أي: قرَفَه[٢] به، وإنّه لَمُوَرَّكٌ في هذا الأمر، أي: ليس له[٣] فيه ذَنْب.[٤]

قوله: (بسبب أمر ربّه)؛ لأنّه تعالى لَمّا أمرَه وترك اللعينُ ما أُمِر به صار فاسقًا، فصار الأمر سببًا لِفسقه. وبيان ذلك كما ذكره المصنِّف في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة ٣٦/٢]، فإنّه قال هناك: «الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ للشجرة، أي: فحَمَلهما الشيطان على الزَّلّة بسببها. وتحقيقه: فأصدر الشيطانُ زَلَّتهما عنها.[٥] و'عن' هذه مثلها في قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف ٨٢/١٨]، وقول[٦] الشاعر:

يَـنـهَـون عـن أكـلٍ وعـن[٧] شـربِ»[٨]

---

١ ر – قوله: (وَرَّكَهُ)؛ ن: دركر.

٢ ر ن: قرنه.

٣ ن – له.

٤ الصحاح للجوهري، «ورك».

٥ ر: عنهما.

٦ ر: وقال.

٧ ن – عن.

٨ صدر البيت:

يَـمـشـون دُسْـمًـا حـولَ قُـبَّـتِـهِ

وهو بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «نهي». وفيه: «نَهِي الرجلُ مِن اللحم وأنْهَى؛ إذا اكتفَى منه وشَبِع؛ فمعنى 'يَنْهَون': يشبَعون ويكتفون».

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الهمزةُ للإنكارِ والتَّعْجيب؛ كأنه قيل: أَعَقِيبَ ما وُجِدَ منه تتَّخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ وتستَبْدِلونهم بي ﴿بِئۡسَ﴾ البدلُ من اللهِ إبليسُ لِمَن استَبْدَله فأطاعَه بدَلَ طاعته.

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ وقرئ: ﴿ماأشهدناهم﴾، يعني: أنكم اتَّخَذْتُموهم شُركاءَ لي في العبادة، وإنما كانوا يكونون شركاءَ فيها لو كانوا شركاءَ في الإلهيَّة، فنَفَى مشاركتَهم في الإلهيَّة بقوله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لأَعْتَضِدَ بهم في خَلْقِها ﴿وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ أي: ولا أَشهَدْتُ بعضَهم خَلْقَ بعضٍ، كقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء ٢٩/٤].

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ﴾ بمعنى: وما كنتُ متَّخِذَهم ﴿عَضُدٗا﴾ لي؛ أي: أَعوانًا، فوَضَع ﴿ٱلۡمُضِلِّينَ﴾ موضعَ الضميرِ ذمًّا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضدًا لي في الخَلْق فما لكم تتَّخذونَهم شركاءَ لي في العبادة؟

وقرئ: ﴿وما كنتَ﴾ بالفتح: الخطابُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى: وما صحَّ لك الاعتضادُ بهم، وما ينبغي لك أن تعتزَّ بهم.

قوله: (بئسَ[١] البدلُ) يعني: أنّ فاعل ﴿بِئۡسَ﴾ ضمير مستتر فيه، وذاك الضمير مُبهَم، و﴿بَدَلٗا﴾ تمييز، ولذلك[٢] قال: بئس البدلُ، لا[٣] أنّ ضميره يعود إلى شيء معيّن. والمخصوص بالذمّ محذوف، وهو إبليس.

قوله: (ولا أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعض) إنّما قدَّر كذلك؛ لأنّه لا يمكن إشهادهم خلقَ أنفسهم، بقي أن يكون إشهادَ بعضهم خلقَ بعض، ثمّ / شبّهه [٩٤ظ] بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ﴾ [النساء ٢٩/٤] في أنّ المراد بالنهي عن قتل أنفسهم هو النهي عن قتل بعضهم بعضًا.

---

١ ن + عن.
٢ ن: وكذلك.
٣ ر ن: الا.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "مُتَّخِذًا المضلِّين" بالتنوين على الأصل.

وقرأ الحسن: "عُضْدًا" بسكون الضاد ونَقْلِ ضمَّتِها إلى العين.

وقرئ: "عَضْدًا" بالفتح وسكون الضاد، و: "عُضُدًا" بضمَّتين، و: "عَضَدًا" بفتحتين: جمع عاضد؛ كخادمٍ وخَدَمٍ، وراصدٍ ورَصَدٍ، مِن عَضَده: إذا قوَّاه وأعانه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾

قرئ ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون، وإضافةُ الشركاء إليه على زعمهم: توبيخًا لهم، وأراد الجنَّ.

و"المَوْبِقُ": المَهْلِك، من وَبَقَ يَبِق وُبُوقًا، ووَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقًا: إذا هَلَك، وأوبقَه غيرُه، ويجوز أن يكون مصدرًا كالمَورِد والمَوعِد، يعني: وجعَلْنا بينهم واديًا من أوديةِ جهنَّمَ هو مكانُ الهلاك والعذاب الشديد مُشترَكًا يَهْلِكون فيه جميعًا.

وعن الحسن: ﴿مَّوْبِقًا﴾: عداوةً، والمعنى: عداوةً هي في شدَّتها هلاكٌ؛

قوله: (﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون) كلاهما مِن السبعة.[1]

قوله: (يعني: وجعلنا بينهم) هذا على تقدير أن يكون المَوبِق المَهلِك.

قوله: (مشترَكًا) أصله: مشترَك فيه، فحُذف "فيه". والتحقيق فيه أنَّه حُذف حرف[2] الجرّ، فصار الضمير المجرور مرفوعًا قائمًا مَقام الفاعل فاستتَرَ. ولا يجوز أن يُروى "مشترِكًا" بكسر الراء؛ لأنَّ المشترِك هو الذي يَشترك مع غيره في شيء.

قوله: (وعَن الحسَن رحمه الله)...[3] إلخ وهذا على تقدير أن يكون "المَوبِق" مصدرًا.

---

[1] قرأ حمزة الزيّات بالنون، وقرأ باقي العشرة بالياء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١١.

[2] د – حرف.

[3] د – رحمه الله.

كقوله: لا يكُنْ حُبُّك كَلَفًا ولا بُغضُك تَلَفًا.

وقال الفرّاء: "البَيْنُ: الوصلُ"؛ أي: وجعَلْنا تواصُلَهم في الدنيا هلاكًا يومَ القيامة.

ويجوزُ أن يريد الملائكةَ وعزيرًا وعيسى ومريمَ، وبالموبِقِ: البَرزَخَ البعيدَ؛ أي: وجعَلْنا بينهم أمدًا بعيدًا تَهْلِكُ فيه الأشواطُ لفَرْطِ بُعده؛ لأنهم في قَعْر جهنم وهم في أعلى الجنان.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَظَنُّوٓاْ﴾: فأيقَنوا.

﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾: مخالِطُوها واقعون فيها.

﴿مَصْرِفًا﴾: مَعْدِلًا، قال:

أَزُهَيْرُ هل عن شَيْبَةٍ من مَصْرِفِ

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾: أكثرَ الأشياء التي يتأتّى منها الجدَلُ إن فصَّلتَها واحدًا بعد واحدٍ خصومةً ومماراةً بالباطل، وانتصابُ ﴿جَدَلًا﴾ على التمييز، يعني: أن جدَلَ الإنسان أكثرُ من جدل كلِّ شيء، ونحوُه: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل ١٦/٤].

قوله: (كَلَفًا) يقال: كَلِفتُ بهذا الأمر، أي: أُولِعتُ به.[١]

قوله: (البَرزخ) أي: الحاجِز بين الشيئَين.[٢]

قوله: (تَهلِكُ فيه الأشواط) أي: يَهلِك فيه السيرُ، ويُقال: بلد تَهلِك فيه أشواط الرياح؛ إذا كانت بعيدة بحيث لا تَبلُغ[٣] غايتَه.

قوله: (أَزُهيرُ)... البيتَ،[٤] "زُهَير" ترخيم "زُهَيرة"، وهي اسم امرأة.

---

١ الصحاح للجوهري، «كلف».
٢ ر ن: السببين.
٣ ن: يبلغ.
٤ لأبي كبير الهُذلي في الصحاح للجوهري، «حرف»؛ ولسان العرب لابن منظور، «حرف».

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ٥٥﴾

﴿أَن﴾ الأولى نصبٌ، والثانيةُ رفعٌ، وقبلَها مضافٌ محذوفٌ تقديرُه: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ الإيمانَ والاستغفارَ ﴿إِلَّآ﴾ انتظارُ ﴿أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وهي الإهلاك ﴿أَوۡ﴾ انتظارُ أن ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ يعني: عذابَ الآخرة ﴿قِبَلٗا﴾: عِيانًا.

وقرئ: ﴿قُبُلٗا﴾: أنواعًا، جمع قَبِيلٍ، و: "قَبَلًا" بفتحتين: مستَقْبِلًا.

﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦﴾

﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾: ليُزيلوا ويُبطلوا، من إدحاضِ القدم وهو إزلاقُها وإزالتُها عن موطئها.

﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ يجوزُ أن تكونَ "ما" موصولةً ويكونَ الراجعُ من الصِّلة محذوفًا؛ أي: وما أُنذروه من العذاب، أو مصدريةً بمعنى: وإنذارَهم.

وقرئ: ﴿هُزۡءًا﴾ بالسكون؛ أي: اتَّخذوها موضعَ استهزاء.

وجدالُهم: قولهُم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [يس ٣٦/١٥]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المؤمنون ٢٣/٢٤] وما أشبهَ ذلك.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: بالقرآنِ، ولذلك رجعَ إليها الضميرُ مُذكَّرًا في قوله: ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾.

﴿فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾: فلم يتذكَّرْ حين ذُكِّر ولم يتدبَّرْ ﴿وَنَسِيَ﴾ عاقبةَ ما ﴿قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ من الكفرِ والمعاصي غيرَ مُفكِّرٍ فيها ولا ناظرٍ في أن المُسيءَ والمُحسِنَ لا بدَّ لهما من جزاء.

قوله: (بمعنى: وإنذارَهم) مصدر مضاف إلى المفعول.[1]

---

[1] ن: مفعول.

ثم عَلَّلَ إعراضَهم ونسيانَهم بأنهم مطبوعٌ على قلوبهم، وجمعَ بَعْدَ الإفرادِ حملًا على لفظِ "مَن" ومعناه ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾: فلا يكونُ منهم اهتداءٌ البتَّةَ كأنه محالٌ منهم لشدَّة تصميمهم.

﴿أَبَدًا﴾: مدَّةَ التكليفِ كلَّها.

و﴿إِذًا﴾ جزاءٌ وجوابٌ، فدلَّ على انتفاءِ اهتدائهم لدعوةِ الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجبُ أن يكونَ سببَ وجود الاهتداء سببًا في انتفائه، وعلى أنه جوابٌ للرسول على تقديرِ قوله: ما لِيَ لا أدعوهم حرصًا على إسلامهم؟

قوله: (فدَلّ) أي: فدَلّ هذا اللفظ -وهو ﴿إِذًا﴾- على انتفاء اهتدائهم، كأنّه قيل: جَعلوا سببَ انتفاء اهتدائهم دعوتُك إيّاهم إلى الهُدى،[1] يعني: هذا مِن جملة تعكيسهم في الأمور، حيث جعلوا ما هو سبب الاهتداء[2] سببًا لانتفاء الاهتداء لغاية لَجاجِهم وتَناهيهم في عِنادهم. فـ"اللام" في قوله: (لدعوة) متعلّق بقوله: (انتفاء) فإنّ انتفاء اهتدائهم مسبَّب عن الدعوة كما ذكرنا، وبهذا البيان يتحقّق معنى الجزاء، فتأمّل، فدَلّ على انتفاء هذا تقديرُ[3] كونه جزاء.

قوله: (وعلى أنّه جواب) وبيانه أن نقول:[4] كان قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ -والله أعلم- في معنى: لا تَدعُهم، ثمّ نُزّل حِرصه عليه السلام منزلةَ قوله: ما لي لا أَدعوهم، فأجيب بقوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾. "وعلى أنّه جواب"، وهو تقدير كونه جوابًا.

قوله: (عن تقدير قوله صلّى الله عليه وسلّم)[5] في بعض النسخ: "عن تقدير"، فالتقدير بمعنى المقدَّر، أي: عن مقدَّر قوله صلّى الله عليه وسلّم،[6] بمعنى: قوله المقدَّر. وفي بعض النسخ: "على تقدير"، أي: جواب مَبنيّ على تقدير قوله صلّى الله عليه وسلّم.[7]

---

[1] ر: هدى.
[2] ر: للاهتداء.
[3] ن: تقرير.
[4] ر: يقول.
[5] د: عليه السلام.
[6] د: عليه السلام.
[7] د: عليه السلام.

فقيل: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨﴾

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: البليغُ المغفرةِ ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: الموصوفُ بالرحمة، ثم استَشْهَدَ على ذلك بتركِ مؤاخَذةِ أهلِ مكةَ عاجلًا من غيرِ إمهالٍ مع إفراطهم في عداوةِ رسول الله.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يومُ بدر ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ مَنْجًى ولا ملجأً، يقال: "وأل" إذا نجا و: "وَأَل إليه": إذا لَجَأ إليه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يُريد: قرى الأوَّلين من ثمودَ وقومِ لوطٍ وغيرِهم، أشارَ لهم إليها ليَعتَبِروا.

﴿تلك﴾ مبتدأٌ و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صفةٌ؛ لأن أسماء الإشارة تُوصف بأسماء الأجناس، و﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ خبرٌ، ويجوز أن يكون ﴿تلك القرى﴾ نصبًا بإضمارِ "أهلكنا" على شريطةِ التفسير.

والمعنى: وتلك أصحابُ القرى أهلكناهم ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ مثلَ ظُلْمِ أهلِ مكة ﴿وجَعَلْنا لمُهْلَكِهم موعدًا﴾: وضرَبْنا لإهلاكهم وقتًا معلومًا لا يتأخَّرون عنه كما ضرَبْنا لأهل مكةَ يومَ بدرٍ.

قوله: (إذا لَجَأ إليه) لَجَأَ إليه[1] لَجَأً بالتحريك ومَلْجأً والتِجاءً إليه بمعنًى، والموضع[2] أيضًا لَجَأً ومَلْجَأ، وألْجَأته إلى الشيء: اضطررتُه[3] إليه، وألْجَأْت أمري إلى الله، أي: أسندتُ.[4]

---

١ ن + لَجَأ إليه.
٢ ن: الموضع.
٣ ر ن: اضطرربه.
٤ الصحاح للجوهري، «لجأ».

والمُهْلَك: الإهلاكُ ووَقتُه، وقرئ: ﴿لِـمَهْلَـكِهِم﴾ بفتح الميم واللامُ مفتوحةٌ أو مكسورةٌ؛ أي: لهلاكهم، أو وقتِ هلاكهم، والموعدُ: وقتٌ أو مصدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿لِفَتَىٰهُ﴾: لعَبْده، وفي الحديث: «ليَقُلْ أحدُكم فتايَ وفتاتي، ولا يَقُلْ: عَبْدي وأَمَتِي».

وقيل: هو يوشعُ بن نُونٍ، وإنما قيل: "فتاه"؛ لأنه كان يخدمُه ويتّبعُه.

قوله: (أي: لِهَلاكهم)... إلخ يعني: يكون "المَهلَك" مصدرًا، وهذا على تقدير فتح اللام. وقوله: (وقت هَلاكهم) فيكون اسمَ زمان، وهذا على تقدير كَسرِها.

واعلم أنّ الذي ذكره المصنّف احتمال لفظيّ، وأمّا المعنى فإنّما يستقيم إذا قلنا: المراد بـ"المهلك" المصدر على جميع القراءات، وبـ"المَوعد" الوقتُ،[1] كما أشار إليه الشيخ في الكواشي، حيث قال: «القراءة بفتح الميم واللام مصدر هَلَكَ، وبفتح الميم وكسر اللام مصدر هَلَكَ أيضًا،[2] ومَفعِل -بالكسر- مِن فَعَلَ -بالفتح- نادرٌ،[3] كالمَرجِع، وبضمّ الميم وفتح اللام مصدر أهلَكَ يُهلِكُ، أي:
[٩٥و] / جَعلنا لإهلاكهم موعدًا وقتًا محدودًا».[4]

وإنّما قلتُ: الصواب ما أشار إليه الشيخ في الكواشي؛ لأنّ الوقت المحدود للهلاك أو للإهلاك، لا لوقتهما، فتأمّل.

قوله: (وإنّما قيل: ﴿فَتَىٰهُ﴾) يعني هذا اللفظ. وإنّما يقال للعبد المَملوك غالبًا، فأشار إلى أنّه قيل له: ﴿فَتَىٰهُ﴾ لِما ذكر في الكتاب مِن الأمرين.

---

[1] وفي هامش د: فيه نظر؛ لأنّه يجوز العكس، يكون "المَهلك" بمعنى اسم الزمان، و"المَوعد" بمعنى المصدر، ويصحّ المعنى. نعم لا يجوز أن يكونا مصدرَين، وأن يكونا اسما زَمانين؛ بل يتعيّن أن يكون أحدهما بمعنى المصدر، والآخر بمعنى اسم الزمان، إن كان الأوّل بمعنى المصدر يكون الثاني بمعنى الزمان، وإن كان الأوّل بمعنى الزمان يكون الثاني بمعنى المصدر.

[2] روى شعبة عن عاصم: ﴿لِمَهْلَكِهِم﴾ بفتح الميم واللام التي بعد الهاء، وروى حفص عنه: ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ باقي العشرة: ﴿لِمُهْلَكِهِم﴾ بضمّ الميم وفتح اللام. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١١/٢.

[3] ر ن: بادر.

[4] تفسير الكواشي، ٢٩٦و.

وقيل: كان يأخذُ منه العلمَ.

فإن قلتَ: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ إن كان بمعنى: "لا أَزُولُ" من بَرِحَ المكانَ، فقد دلَّ على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى: "لا أَزالُ" فلا بدَّ من الخبر؟

قلتُ: هو بمعنى: "لا أزالُ" وقد حُذف الخبرُ؛ لأن الحال والكلامَ معًا يدلّان عليه: أما الحالُ؛ فلأنها كانت حالَ سفرٍ، وأمَّا الكلامُ فلأنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ غايةٌ مضروبةٌ تَستدعي ما هي غايةٌ له، فلا بدَّ أن يكون المعنى: لا أبرحُ أسيرُ حتى أبلغَ مجمَع البحرين.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن يكون المعنى: لا يَبرحُ مَسِيري حتى أَبلُغَ، على أنَّ ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾ هو الخبرُ، فلمَّا حُذف المضافُ أقيمَ المضافُ إليه مُقامَه وهو ضمير المتكلِّم، فانْقَلَب الفعلُ عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلِّم. وهو وجهٌ لطيفٌ.

ويجوز أن يكون المعنى: لا أَبرحُ ما أنا عليه، بمعنى: أَلْزَمُ المسيرَ والطلبَ ولا أَتركُه ولا أُفارِقُه حتى أَبلُغَ، كما تقول: لا أَبرحُ المكانَ.

و"مَجمعُ البحرين": المكانُ الذي وُعد فيه موسى لقاءَ الخَضِر عليهما السلام، وهو مُلتَقى بَحْرَيْ فارِسَ والرُّوم مما يلي المشرقَ، وقيل: طَنْجَةُ، وقيل: أفريقيَّةُ.

قوله: (لا يَبرح مَسيري) وعلى هذا يكون ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ بمعنى: لا أزال، وإذا كان كذلك فلا يصحّ جعل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾ غاية إلّا[1] بحذف المضاف كما ذكر، ويكون ﴿حَتَّىٰٓ﴾ متعلّقًا بمحذوف، أي: حاصلًا.

قوله: (ويجوز أن يكون المعنى) أي: هو بمعنى: لا أَزُول. قال المرزوقي في شرح الحماسة:

> "ما بَرِحَ" و"ما زالَ" بمعنًى، وليس هذا مِن البَراح مِن المكان، ألا تَرى أنّ الله تعالى قال: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾، ومُحال أن يَبلغ هذا الموضعَ

---

[1] ر ن: لا.

ومن بِدَع التفاسير: أن ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ موسى والخضرُ؛ لأنهما كانا بحرين في العلم.

وقرئ: "مَجْمِعَ" بكسر الميم، وهو في الشذوذ مِن "يفعَل" كالمشرِق والمطلِع من "يفعُل".

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا﴾: أو أسيرَ زمانًا طويلًا، والحُقُبُ: ثمانون سنةً.

روي: أنه لمَّا ظهر موسى على مصرَ مع بني إسرائيل واستقرُّوا بها بعد هلاك القِبْط أمَرَه الله أن يُذكِّر قومَه النعمةَ، فقام فيهم خطيبًا فذكَر نعمة الله وقال: إنه اصطَفَى نبيَّكم وكلَّمه، فقالوا له: قد علِمْنا هذا فأيُّ الناس أعلَمُ؟ قال: أنا، فعَتَبَ الله عليه ....

وهو لم يبرَح مِن مكانه، وكأنّ الكلمة في اللغة تدلّ على معنى المجاوَزة، ولذلك قيل:

أبـــرَحـــتَ ربًّـــا وأبـــرَحـــتَ جـــارًا[1]

أي: جاوزتَ ما يكون عليه أمثالك في الخِلال المرضيّة.[2]

قوله: (ومِن بِدَع التفاسير أنّ ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ موسى والخَضِر) فعلى هذا يكون المراد بـ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ الموضعَ الذي يلتقي فيه موسى وخضر عليهما السلام، فكأنّه قال: لا أبرَحُ حتّى أبلغَ الموضعَ الذي نجتمع[3] فيه ونلتقي[4] فيه، أي: لا أبرَحُ حتّى نلتقي،[5] فلا يكون المراد بـ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ موضعًا معيّنًا؛ بل المراد أيُّ موضع يتّفق التِقاؤهما فيه.

قوله: (ظهر موسى) أي: غلبَ.

قوله: (فعَتَب اللهُ) أي: غضب.

---

[1] تمامه:
تقول ابنتي حين جَدُّ الرحيـ
ـلُ أبرحتَ ربًّا وأبرحتَ جارا
وهو للأعشى في ديوانه، ص ٤٩.

[2] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١/٣٣٤.

[3] ر: يجتمع.

[4] ر: ويلتقي.

[5] ر: يلتقي.

حين لم يَرُدَّ العلم إلى الله، فأوحى إليه: بل أعْلمُ منك عبدٌ لي عند مجمَعِ البحرين وهو الخَضِر.

وكان الخضرُ في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام، وكان على مقدِّمةِ ذي القرنين الأكبرِ وبقي إلى أيَّام موسى.

وقيل: إن موسى عليه السلام سأل ربَّه: أيُّ عبادك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يذكُرني ولا ينساني، قال: فأيُّ عبادك أقْضَى؟ قال: الذي يقضِي بالحق ولا يتَّبعُ الهوى، قال: فأيُّ عبادك أعلمُ؟ قال: الذي يبْتغي علمَ الناس إلى عِلْمه عسى أن يُصيبَ كلمةً تدلُّه على هدًى أو تَرُدُّه عن رَدًى، فقال: إنْ كان في عبادك مَن هو أعلم منِّي فَاذْلُلني عليه، قال: أعلمُ منك الخضرُ، قال: أين أَطْلبُه؟ قال: على السَّاحل عند الصخرة.

قال: يا ربِّ، كيف لي به؟ ....

قوله: (لم يَرُدَّ العلم إلى الله تعالى)[1] المراد بردِّ العلم إلى الله أن يقول: الله[2] أعلَم مَن أعلَم.

قوله: (أَفرِيدون) مِن ملوك فارس، وكان كافرًا.

قوله: (وكان على مقدّمة) أي: كان خَضِر عليه السلام.[3]

قوله: (عند الصخرة) هي[4] الصخرة التي عندها ماء الحياة عند الساحل.

قوله: (في مِكتَل) المِكتَل: شِبه الزَّنبيل يَسعُ خمسةَ عشرَ صاعًا.[5]

قوله: (كيف لي به؟) أي: كيف الظفَر لي به؟ أو كيف طريق الوصول لي به؟ وأمثالهما.[6]

---

[1] ر ن – تعالى.

[2] ن – الله.

[3] ن + قوله: (وكان على مقدّمة) أي: كان خَضِر عليه السلام.

[4] ن: هي.

[5] الصحاح للجوهري، «كتل».

[6] د ر – قوله: (كيف لي به؟) أي: كيف الظفَر لي به؟ أو كيف طريق الوصول لي به؟ وأمثالهما. | وقعت هذه الحاشية في هامش د.

قال: تأخذُ حُوتًا في مِكْتَلٍ فحيثُ فقَدْتَه فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقَدْتَ الحوتَ فأَخْبِرْني، فذهبا يمشيان فرَقَدَ موسى فاضطربَ الحوتُ ووقع في البحر، فلمَّا جاء وقتُ الغداء طلبَ موسى الحوتَ فأخبره فتاهُ بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرةَ فإذا رجلٌ مُسَجًّى بثوبه، فسَلَّم عليه موسى فقال: وأَنَّى بأرضنا السلام؟ فعَرَّفه نفسَه، فقال: يا موسى أنا على علمٍ علَّمنيهِ اللهُ لا تَعلمُه أنتَ، وأنتَ على علمٍ علَّمكه اللهُ لا أَعْلمُه أنا، فلمَّا ركبَا السفينةَ جاءَ عُصفورٌ فوقع على حرفها فنقرَ في الماء، فقال الخَضِر: ما ينقصُ علمِي وعلمُك من علمِ اللهِ مقدارَ ما أَخَذ هذا العصفورُ من البحر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾؛ أي: نَسِيَا تَفَقُّدَ أمرِه وما يكونُ منه مما جُعل أَمارةً على الظَّفَر بالطِّلبة.

وقيل: نسي يُوشَعُ أن يقدِّمه ونَسِيَ موسى أن يأمرَهُ فيه بشيء.

وقيل: كان الحوتُ سمكةً مملوحةً.

وقيل: إن يوشعَ حمَل الحوتَ والخبزَ في المكتل، فنزلَا ليلةً على شاطئ عينٍ

قوله: (مُسجًّى) التَّسجية: "كسى رادِرجامه پيچيدين".[1]

قوله: (وأنّى[2] بأرضنا السلام) كان مِن أرض الجِنّ. وقوله: (فعرَّفه) أي: موسى.

قوله: (ما[3] ينقص) أي: ما يأخذ.

قوله: (في المِكتَل) المِكتَل: شِبه الزِّنبيل يَسعُ خمسةَ عشرَ صاعًا.[4]

قوله تعالى: ﴿سَرَبًا﴾ السَّرَب إذا لم يكن فيه مَنفذ،[5] وإلّا فهو نفَق.[6]

---

١ سجَّيتُ الميّت تَسجيةً، إذا مددتَ عليه ثوبًا. الصحاح للجوهري، «سجا».

٢ ن: وأنا.

٣ وفي هامش د: نفي.

٤ الصحاح للجوهري، «كتل».

٥ ر: منقذ.

٦ انظر: المُغرب للمطرّزي، «سرب».

تُسمَّى عينَ الحياةِ، ونام موسى فلمَا أصاب السمكةَ رَوحُ الماء وبَرْدُه عاشَتْ، ورُوي أنهما أَكَلَا منها.

وقيل: توضَّأَ يوشعُ من تلك العين فانْتَضَح الماءُ على الحوت فعاش ووقع في الماء.

﴿سَرَبًا﴾ أمسكَ الله جِرْيَةَ الماء على الحوتِ فصار عليه مِثْلَ الطَّاق، وحَصَل منه في مِثْل السَّرَب معجزةً لموسى أو للخضر عليهما السلام.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ الموعدَ وهو الصخرةُ؛ لنسيانِ موسى تفقُّدَ أمرِ الحوت وما كان منه، ونسيانِ يوشعَ أن يذكُر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر.

وقيل: سارا بعد مجاوزةِ الصخرةِ الليلةَ والغَدَ إلى الظُّهر، وأُلْقيَ على موسى النصَبُ والجوعُ حين جاوز الموعِدَ ولم ينصَبْ ولا جَاعَ قبل ذلك، فتذكَّرَ الحوتَ وطلبَه.

وقوله: ﴿مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى مسيرهما وراء الصخرة.

فإن قلتَ: كيف نَسِيَ يُوشعُ ذلك ومثلُه لا يُنسَى لكونه أَمارةً لهما على الطِّلِبة التي تناهَضَا من أَجْلها، ولكونه معجزتين ثِنْتَينِ: وهما حياةُ السمكةِ المملوحة المأكولِ منها -وقيل: ما كانت إلَّا شِقَّ سمكة-، وقيامُ الماء وانتصابُه مثلَ الطَّاق ونفوذُها في مثلِ السَّرَب منه؟ ثم كيف استمرَّ به النسيانُ حتى خلَّفا الموعدَ وسارا مسيرةَ ليلةٍ إلى ظُهرِ الغد وحتى طلبَ موسى عليه السلام الحوتَ؟

قلتُ: قد شَغَلَه الشيطان بوساوسه فَذَهبَ بفِكْرِه كلَّ مذهب حتى اعتراه النسيانُ، وانضمَّ إلى ذلك أنه ضَرِيَ بمشاهدةِ أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائبِ، واستَأْنَس بأخواتِه فأعانَ الإلفُ على قلَّةِ الاهتمام.

قوله: (إلّا شِقَّ سَمكة) أي: بعضَ السمكة الواحدة، كالنصف أو الثلث مَثلًا.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ﴾ بمعنى: أَخْبِرْني.

فإن قلتَ: ما وجهُ الْتِئامِ هذا الكلامِ، فإنَّ كلَّ واحدٍ من ﴿أَرَءَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾ و﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ لا متعلَّقَ له؟

قلتُ: لمّا طَلَب موسى الحوتَ ذكَر يوشعُ ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدُهش فَطفِقَ يسألُ موسى عليه السلام عن سببِ ذلك؛ كأنه قال: أرأيتَ ما دَهَاني إذْ أَوَيْنا إلى الصخرة فإني نَسيتُ الحوت، فحذفَ ذلك.

وقيل: هي الصخرةُ التي دون نَهْرِ الزيت.

و﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بَدَلٌ من الهاء في ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ أي: وما أنساني ذِكرَه إلّا الشيطانُ، وفي قراءة عبد الله: "أَنْ أُذكِّرَكه".

و﴿عَجَبًا﴾ ثاني مفعولي "اتَّخَذَ" مثلَ ﴿سَرَبًا﴾ يعني: واتَّخَذ سبيله سبيلًا عجبًا،

قوله: (قلتُ: لمّا طلبَ موسى)[١] وهو قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾، أي: ما يؤكَل بالغَداة. وقوله:[٢] (ذَكَرَ) ضدّ نسيَ. وقوله: (فَطَفِقَ) أي: يوشَع. وقوله: (يسأل) أي: يوشع. وقوله: (يسأل[٣] موسى) أي: عن موسى. وقوله: (ما دهاني؟) "ما" استفهاميّة، أي: أيُّ شيء دهاني؟ أي: أصابني؟ يقال: ما دَهاك؟ وما داهاك؟ أي: ما أصابك؟ وقوله: (إذ أوَينا) أي: نزلنا عند الصخرة.

قوله: (نهر الزَّيت)[٤] عَلَمٌ لِنهر هناك، سمّي بنهر الزَّيت لكثرة أشجار الزَّيت على شاطئه.

---

[١] وفي هامش د: قوله: (قلتُ: لمّا طلبَ موسى عليه السلام)... إلخ حاصل الجواب: أنّه هنا شيء مقدّر به تَلتئِم الجُمل، فإنّ ذلك المقدّر -وهو "ما دهاني؟"- صار مفعولًا لـ﴿أَرَءَيْتَ﴾، وعاملًا لـ﴿إِذْ﴾، ومعلولًا لقوله: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾، فحصَل لكلٍّ مِن الجُمل متعلَّق. وقوله: (بين المعطوف) وهو ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾، (والمعطوف عليه) وهو ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾.

[٢] ن + (قلتُ: لمّا طلبَ موسى) وهو قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾، أي: ما يؤكَل بالغَداة. وقوله.

[٣] ر ن: سال.

[٤] ن: الرتب.

وهو كونُه شبيهَ السَّرَب، أو قال: ﴿عَجَبًا﴾ في آخر كلامه تعجُّبًا من حاله في رؤيةِ تلك العجيبةِ ونسيانه لها، أو مما رأى من المعجزتين.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقيل: إن ﴿عَجَبًا﴾ حكايةٌ لتعجُّب موسى عليه السلام، وليس بذاك.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى اتخاذه سبيلًا أي: ذلك الذي كنا؛ نطلب لأنه أمارةُ الظَّفَر بالطَّلِبة من لقاء الخضر عليه السلام.

قرئ: ﴿نَبْغِ﴾ بغيرِ ياءٍ في الوصل، وإثباتُها أحسنُ، وهي قراءةُ أبي عمرو، وأمَّا الوقفُ فالأكثرُ فيه طرحُ الياء اتِّباعًا لخطِّ المصحف.

﴿فَٱرْتَدَّا﴾: فرَجَعا في أَدْراجهما.

قوله: (أو قال: "عَجَبًا"[1] في آخر كلامه) فيكون مصدرًا لفعل محذوف.

/ قوله: (وليس بذاك) مِن كلام المصنِّف ردًّا[2] لهذا الوجه. ووجه ردّه أنّه لو كان مِن كلام موسى لَكان متأخرًا عن قوله: ﴿قَالَ﴾، فتأمّل. [٩٥ظ]

قوله: (أي: ذلك الذي كُنّا) "ذلك" مبتدأ، و"الذي" خبره. وقوله: (مِن لِقاء الخَضِر) بيان "الطَّلِبة".

قوله: (في أدراجهما) رجعَ في أدراجه؛ إذا رجع في الطريق الذي جاء منه، والدرَج: الطريق، والجمع: الأدراج.[3]

---

[1] ر ن: اعجبا.

[2] ن: دا.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «درج»؛ ومجمل اللغة لابن فارس، «درج».

﴿قَصَصًا﴾: يقصّان قَصَصًا؛ أي: يتّبعان آثارهما اتّباعًا، أو: فارتدًا مُقتصَّيْنِ.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: هي الوحيُ والنبوّة.

﴿مِن لَّدُنَّا﴾: مما يُختَصُّ بنا من العلم، وهو الإخبارُ عن الغيوب.

﴿رشدًا﴾ قرئ: بفتحتين، وبضمةٍ وسكون؛ أي: علمًا ذا رشدٍ أَرْشُدُ به في دِيني.

فإن قلتَ: أمَا دلَّت حاجتُه إلى التعلُّم من آخَرَ في عهدِه أنه كما قيل: موسى بن ميشا، لا موسى بن عمرانَ؛ لأن النبيَّ يجب أن يكون أعلمَ أهلِ زمانه، وإمامَهم المرجوعَ إليه في أبواب الدين؟

قلت: لا غضاضةَ بالنَّبيِّ في أخذِ العلم من نبيٍّ مثله، ....

قوله: (يَقُصّان قَصَصًا) فيكون مفعولًا مطلَقًا.

قوله: (آثارَهما) الأثَر: الخَطوة،[1] والآثار: الخُطَى، أي: رَجَعا[2] في الطريق الذي جاءا[3] منه.[4]

قوله: (مُقتَصَّين) فيكون ﴿قَصَصًا﴾ حالًا.

قوله: (﴿رُشْدًا﴾) الرُّشْد والرَّشَد:[5] إصابة الخير.[6]

قوله: (في عَهده) أي: في عَهد نُبوَّته، وإنّما قيّد بذلك؛ لأنّه لا بُعدَ في تَعلُّمه مِن غيره قبل زمان نُبوَّته. وقوله: (أنّه كما قيل) أي: على أنّه. وقوله: (لأنّ النبيَّ عليه السلام)[7] متعلّق بقوله: (أما دَلَّت)، فكأنّه قال: قد دَلَّت لأنّ... وذلك لأنّ[8] الاستفهام إنكاري تَولَّد منه التقرير.

قوله: (لا غَضاضةَ) أي: لا نقصانَ. غَضَّ منه يَغُضُّ بالضمّ؛ وَضَعَ ونَقَصَ مِن قدره، يقال: ليس عليك في هذا غَضاضة، أي: ذِلّة ومَنقَصة.[9] وفي هذا الكلام حذف،

---

[1] ن: الخطو.

[2] ن: رجع.

[3] ن: جاء.

[4] ر – والدرَج: الطريق، والجمع: الأدراج. قوله: (يَقُصّان قَصَصًا) فيكون مفعولًا مطلَقًا. قوله: (آثارَهما) الأثَر: الخَطوة، والآثار: الخُطى، أي: رَجَعا في الطريق الذي جاءا منه.

[5] ر – والرشد.

[6] انظر: تحرير ألفاظ التنبيه للنووي، ص ١٩٩.

[7] ر ن – عليه السلام.

[8] ر – وذلك لأنّ.

[9] الصحاح للجوهري، «غضض».

وإنما يَغُضُّ منه أن يأخُذَ ممن دونه.

وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس: إن نَوْفًا ابنَ امرأة كعب يزعُم أن الخَضِر ليس بصاحبِ موسى، وأن موسى هو موسى بن ميشا؟ فقال: كَذبَ عدوّ الله.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾

نَفَى استطاعةَ الصبرِ معه على وجهِ التأكيدِ كأنهما مما لا يصحُّ ولا يستقيم، وعلَّل ذلك بأنه يتولَّى أمورًا هي في ظاهرها مناكيرُ، والرجلُ الصالحُ -فكيف إذا كان نبيًّا؟- لا يتمالكُ أن يَشْمئزَّ ويَمتعِضَ ويَجزَعَ إذا رأى ذلك، ويأخذَ في الإنكار.

و﴿خُبْرًا﴾ تمييزٌ؛ أي: لم يُحِطْ به خُبرُك؛ أو لأنَّ "لم تُحِطْ به" بمعنى: لم تَخْبَرْه، فنصَبَه نَصْبَ المصدر.

﴿وَلَآ أَعْصِي﴾ في محلِّ النصبِ عطفٌ على ﴿صَابِرًا﴾؛ أي: ستجدُني صابرًا وغيرَ عاصٍ، أو لا في محلٍّ عطفًا على ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾.

فكأنّه قال: لم تَدُلّ[1] حاجتُه على ما ذكرت؛ لأنّه لا غضاضةَ. فقوله: "لا غَضاضةَ" علّة لذلك المحذوف بطريق الاستئناف.

قوله: (إنّ نَوفًا[2] ابنَ)[3] مِن أهل الكتاب.

قوله: (ويَمتعِض) مَعِضتُ مِن ذلك الأمر أَمْعَض مَعْضًا ومَعَضًا، وامتعَضتُ منه؛ إذا غَضِبتَ وشَقَّ عليك.[4]

قوله: (أو في لا مَحلّ)... إلخ على الوجه الأوّل يكون الاستثناء -وهو التقييد بمشيئة الله تعالى- مأخوذًا في الأمرَين، أي: الصبرِ وعدمِ العصيان، لا على الوجه الثاني، إلّا أن يقدَّر فيه.

---

١ ر: تذل.

٢ ر: نوف؛ ن + تغضب.

٣ وفي هامش ر: البكالي.

٤ الصحاح للجوهري، «معض».

رجا موسى عليه السلام -لِحِرْصِهِ على العلم وازديادِه- أن يستطيع معه صبرًا بعدَ إفصاحِ الخضر عليه السلامُ عن حقيقةِ الأمر، فوَعَده الصبرَ معلَّقًا بمشيئةِ الله تعالى؛ علمًا منه بشدَّة الأمر وصعوبتِه، وأن الحميَّة التي تأخُذُ المُصْلِحَ عند مشاهدةِ الفسادِ شيءٌ لا يُطاقُ، هذا مع عِلْمِه أن النبيَّ المعصومَ الذي أَمَره الله تعالى بالمسافَرةِ إليه واتِّباعه واقتباسِ العلم منه بريءٌ من أن يباشِرَ ما فيه غَمِيزَةٌ في الدِّين، وأنَّه لا بدَّ لِمَا يُستَسمَجُ ظاهرُه من باطنٍ حسنٍ جميلٍ، فكيف إذا لـم يَعْلَـمْ؟

قرئ: ﴿فلا تسألنّي﴾ بالنون الثقيلة.

يعني: فمِن شَرْطِ اتِّباعِكَ لي أنكَ إذا رأيتَ منِّي شيئًا وقد عَلِمْتَ أنه صحيحٌ إلَّا أنه خَفِيَ عليك وجهُ صحَّتِه فحَمِيتَ وأنكَرْتَ في نفسِكَ أنْ لا تُفاتحَني بالسؤالِ ولا تُراجِعَني فيه حتى أكونَ أنا الفاتحَ عليك، وهذا من أدبِ المتعلِّم مع العالِمِ والمتبوعِ مع التَّابع.

قوله: (عن حقيقة الأمر) وهي عدم استطاعته الصبر، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾... إلخ.

قوله: (مُعلَّقًا بمشيئة الله)[١] حال مِن فاعل "وَعَدَ"، و"عِلمًا" مفعول له لقوله: "مُعلَّقًا"، أي: علّق المشيئة لِعِلمه بالصعوبة. وأقول: يحتمل[٢] أنّه قيّد بالمشيئة لكونه مأمورًا بذلك كالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٣]

قوله (هذا مع علمه) أي: عِلمِ موسى عليه السلام.

قوله: (فكيف إذا لم يَعلَم؟) أي: فكيف ظنّك[٤] بالإنكار إذا لم يعلم؟

قوله: (أنّك إذا رأيت) أي: أنّ طريقتَك وأمرَك وعادتَك. وإنّما يجب تقدير مثل ذلك ليَصلُحَ قوله: (أن لا تُفاتِحني) خبرًا له. و"إذا" ظرف للمضاف المحذوف،

---

[١] ر - تعالى مأخوذًا في الأمرَين، أي: الصبرِ وعدمِ العصيان، لا على الوجه الثاني، إلّا أن يقدَّر فيه. قوله: (عن حقيقة الأمر) وهي عدم استطاعته الصبر، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾... إلخ. قوله: (مُعلَّقًا بمشيئة الله).

[٢] ر + يحتمل.

[٣] د: عليه السلام.

[٤] ن + وأمرك.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣﴾

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ على ساحلِ البحر يَطلُبانِ السفينةَ، فلمَّا رَكِبا قال أهلُها: هما من اللُّصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحبُ السفينة: أرى وجوهَ الأنبياء، وقيل: عرَفوا الخضِرَ فحَمَلوهما بغيرِ نَوْلٍ، فلمَّا لَجَّجُوا أخَذ الخضرُ الفأسَ فخرَق السفينةَ بأنْ قَلعَ لوحَيْن من ألواحها ممَّا يلي الماءَ، فجَعل موسى يَسُدُّ الخرقَ بثيابه ويقول: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾.

وقرئ: "لتغرِّق" بالتشديد، و: ﴿لِيَغۡرَقَ أهلُها﴾ من غَرِقَ و﴿أهلُها﴾ مرفوعٌ.

﴿جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ أتيتَ شيئًا عظيمًا، من أَمِرَ الأمرُ: إذا عَظُم؛ قال:

داهيـــــةً دَهْيَـــــاءَ إدًّا إمْـــــرًا

أي: مِن شرط اتِّباعك أن تكون[1] طريقتك وعادتك في وقت الرؤية عدم الفاتحة، فالمضاف محذوف على ما كتبنا مِن الجانب الآخر، والمعنى يعود إلى هذا.[2]

قوله: (يَطلبان السفينة) إنّما قدّر ذلك لأنّ قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ دلّ عليه واقتضاه.

قوله: (بغير نَولٍ) أي: عطاءٍ.

قوله: (فلمّا لجّجُوا) أي:[3] خاضوا اللُّجّة. وهذا الإسناد مجاز؛ لأنّه بالحقيقة للسفينة. قال في الصحاح: «لُجّة الماء -بالضمّ-: مُعظَمه. ولَجَّجتِ السفينةُ: خاضَت اللُّجّةَ».[4]

قوله:

(داهيـــــةً دَهيـــــاءَ إدًّا إمْـــــرًا)

معالم التنزيل للبغوي، ١٨٩/٥ (الكهف، ٧٠/١٨).

[1] ر ن: يكون.

[2] وفي هامش د: قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ أي: حتّى أبتدئ بذكره فأبيّن لك شأنه. معالم. | [3] ن - أي.

[4] الصحاح للجوهري، «لجج».

﴿بِمَا نَسِيتُ﴾: بالذي نسيتُه، أو بشيءٍ نسيتُه، أو بنسياني، أراد أنه نَسِيَ وصيَّته ولا مؤاخذةَ على الناسي، أو أخرج الكلامَ في مَعْرِض النهي عن المؤاخَذة بالنسيان يُوهِمُه أنه قد نَسِيَ ليَبسُط عُذرَه في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يُتَّقى بها الكذبُ مع التوصُّل إلى الغرض؛ كقول إبراهيم عليه السلام: «هذه أُختي» و: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات ٣٧/٨٩].

أو أراد بالنسيان: التركَ؛ أي: لا تؤاخِذْني بما تركتُ من وصيَّتك أوَّلَ مرَّةٍ.

يقال: "رَهِقَهُ"، إذا غشِيَه، وأَرهَقَه إيَّاه؛ أي: ولا تُغْشِني ﴿عُسْرًا﴾ من أَمْرِي، وهوَ اتِّباعُه إيَّاه، يعني: ولا تُعَسِّرْ عليَّ متابعتَك، ويسِّرْها عليَّ بالإغضاء وتركِ المناقَشة.

أوّله:

قـد لَـقِـي الأعـداءُ شـيـئًـا نُـكْـرًا[١]

[٩٦و] الداهية: الأمر العظيم، ودواهي / الدهر: ما يُصيب الناسَ مِن عظيم نُوَبِه. و"داهية دَهياء" -ودَهْواء أيضًا- توكيد لها.[٢]

قوله: (بالذي نسيته[٣] أو بشيء نسيته،[٤] أو بنسياني).[٥]

قوله: (وهو مِن مَعاريض الكلام) مِن التعريض، وهو ضدّ التصريح، والفرق بينه وبين الكناية أنّ التعريض: تضمين[٦] الكلام دلالةً ليس لها فيه ذِكر، كقولك: ما أقبحَ البُخل! تُعرِّض بأنّه بخيل. والكناية: ذِكر الرديف وإرادة المردوف، كقولك: فلان طويل النِّجاد، يعني: طويل القامة.[٧]

---

١ بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «أمر»؛ ولسان العرب لابن منظور، «أمر»، بلفظ:
قد لَقِيَ الأقرانُ منّي نُكرا... البيتَ

٢ الصحاح للجوهري، «دهى».

٣ ر: تسببه. | وفي هامش د: موصول.

٤ وفي هامش د: موصوفة.

٥ وفي هامش د: مصدريّة. | وفي هامش د: الباء على الوجوه الثلاثة صلة ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي﴾، والفرق بينها: أنّ النسيان على الوجه الأوّل واقعٌ في الواقع، وعلى الثاني غير واقعٍ في الواقع، لكن يوهم أنّه واقع في الواقع ليَبسُط عُذره، وعلى الوجه الثالث المراد مِن النسيان الترك، فيكون مِن قَبيل ذِكر المَلزوم وإرادة اللازم، فإنّ النسيان مستلزِم للترك.

٦ ر: تضمن.

٧ وفي هامش د: قوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ﴿مِنْ﴾ للسببيّة، أي: ولا تُعسِر عليَّ بسبب أمري، وهو اتّباعي إيّاك.

وقرئ: ﴿عُسُرًا﴾ بضمَّتين.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل: كان قَتْلُهُ فَتْلَ عُنقه، وقيل: ضَرَبَ برأسه الحائطَ.

وعن سعيد بن جبيرٍ: أَضجَعه ثم ذَبحَه بالسكين.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ بغير فاءٍ، و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ بالفاء؟

قلتُ: جُعِل خرقُها جزاءً للشرط، وجُعِل قتلُه من جملةِ الشرط معطوفًا عليه، والجزاء: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾.

فإنْ قلتَ: فلِمَ خُولِفَ بينهما؟

قلتُ: لأن خرقَ السفينة لم يتعقَّب الرّكوبَ، وقد تَعَقَّبَ القتلُ لقاءَ الغلام.

وقرئ: ﴿زاكيةً﴾ و﴿زَكِيَّةً﴾.

وهي الطاهرةُ من الذنوب: إمَّا لأنها طاهرةٌ عنده؛ لأنه لم يَرها قد أذنبَتْ؛ وإمَّا لأنها صغيرةٌ لم تبلُغِ الحِنْثَ.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يعني: لم تقتُلْ نفسًا فيُقْتَصَّ منها، وعن ابن عباس: أَنَّ نجْدَةَ الحَرُوريَّ كتَبَ إليه: كيف جاز قتلُه وقد نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

قوله: (قلتُ: جُعل ﴿خَرَقَهَا﴾) الأصحّ بلفظ فعل الماضي، وفي بعض النسخ: "خَرقُها" بلفظ المصدر، وكذا "قَتَلَه" في (وجُعل "قَتلَه").

قوله: (لم تبلغ الحِنْث) أي: التكليف.

قوله: (أنّ نَجْدَةَ الحَرُورِي) أي: نَجدةَ الخارجي؛ وهو رجل، و"الحَروري"[١]

---

[١] ن: والحوري.

عن قتلِ الولدان؟ فكتَبَ إليه: إنْ علمتَ من حالِ الولدان ما علِمَه عالِمُ موسى عليه السلام فلك أن تَقتُلَ.

﴿نُكْرًا﴾ وقرئ بضمَّتين.

وهو المنكَرُ، وقيل: النُّكرُ أقلُّ من الإمْرِ؛ لأنَّ قتلَ نَفْسٍ واحدةٍ أَهْونُ من إغراقِ أهلِ السفينة.

وقيل: معناه: جئتَ شيئًا أنكرَ من الأول؛ لأنَّ ذاك كان خَرْقًا يمكنُ تَدارُكُه بالسدِّ، وهذا لا سبيلَ إلى تَدارُكه.

فإن قلتَ: ما معنى زيادةِ ﴿لَكَ﴾؟

قلتُ: زيادةُ المكافَحةِ بالعِتَاب على رفضِ الوصيَّة، والوسمُ بقلَّةِ الصبر عند الكَرَّة الثانية.

﴿بَعْدَهَا﴾: بعد هذه الكَرَّة أو المسألةِ ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: فلا تُقارِنِّي، وإن طلَبْتُ صُحبتَك فلا تُتابِعْني على ذلك.

وقرئ: "فلا تَصْحَبْني"؛ أي: فلا تكُنْ صاحبي.

وقرئ: "فلا تُصْحِبْني"؛ أي: فلا تُصْحِبْني إيَّاك، ولا تجعَلْني صاحبَك.

منسوب إلى حَرُوراء، هو[1] موضع.

قوله: (قلتُ: زيادة المكافَحة) المكافَحة: المكالمة شفاهًا.[2]

قوله: (ولا تجعلني[3] صاحبَك) بيان لِما قبله.

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: بلغتَ عُذري، وعلمتَ أني مَعذور، فلذلك ذكرتَ عُذري وقلتَ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، وإذا علمتَ أنِّي معذور فلا[4] تُفارقني بسبب ما نَدَر[5] في الكَرَّتَين[6] منِّي. وأمّا قول المصنِّف:

---

[1] ن: وهو.
[2] ر: شفادا. | المكافَحة: مُصادفة الوجه بالوجه مفاجأةً. كفَحَه كَفْحًا وكافَحَه مُكافحةً وكِفاحًا: لقيَه مُواجهة. لسان العرب لابن منظور، «كفح».
[3] ر: تحملني.
[4] ر: ولا.
[5] ر ن: نذر.
[6] ر: الكونين.

﴿مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ قد أَعْذَرْتَ، وقرئ: ﴿لَدُنِي﴾ بتخفيف النون ....

(قد أعذَرتَ) فمعناه: أقمتَ عُذري. يقال: عَذَرَ وأَعْذَرَ، أي: أقام عُذرَه، ويجوز أن يكون مِن أعذَرَ بمعنى: بالغَ في العُذر، أي:[١] قد بالغتَ في ذِكر عُذري، وفي إقامة عُذري، حيث قلت: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، وفيه مبالَغات كثيرة؛ لأنّ الجملة الاسميّة مؤكَّدة بـ"إنّ" داخلةً في الفعل المضارع الذي هو خبر "إنّ"، "لن"[٢] دون "لا"، وحيث عَلَّلتَ ذلك بقولك: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾.

قال المطرّزي في المُغرب: «أعذَرَ، أي: بالَغَ في العُذر، ومنه: 'أعذَرَ مَن أنذَر'».[٣]

وقال الواحدي في الوسيط: «قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٤] 'يريد: إنّك قد أعذرتَ فيما بيني وبينَك، وقد أخبرتني أنّي[٥] لا أستطيع معك صبرًا'. وهذا إقرارٌ مِن موسى عليه السلام بأنّ الخَضِر عليه السلام قد قدّم ما يوجب العُذر عنده، فلا يلزمه ما أنكَره».[٦]

وقال في الكواشي: «قد اتّضَحَ عُذرك عندي في مُفارقتي؛ لأنّي لم أحفَظ وصيّتَك».[٧]

واعلم أنّ معنى ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ هو المذكور في الوسيط والكواشي، كما نقلنا ذلك في الحاشية، فكأنّ موسى عليه السلام قال: إن سألتكَ بعدها وفارقتَني فالحقُّ بيَدك في تلك المفارقة، ولا اعتراضَ عليك فيها، فإنّك ذكرتَ عُذرك أوّلًا، وظهَرَ أنّك معذور، وسببُ المفارقة منّي، لا منك. وأمّا ما كتَبنا في الحاشية قبلَ ما نقلنا مِن الوسيط فليس المعنى عليه.

---

١ ر ن: يعني.
٢ ر: كن.
٣ المُغرب للمطرّزي، «عذر».
٤ د - رضي الله عنه.
٥ ر ن: أن.
٦ التفسير الوسيط للواحدي، ٣/١٥٩ (الكهف، ١٨/٧٦).
٧ تفسير الكواشي، ١٩٨و.

و: ﴿لَدْنِي﴾ بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عَضُدٍ: عَضْدٌ.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللهُ أخي موسى استَحْيَا فقال ذلك».

وقال صلى الله عليه وسلم: «رحمةُ اللهِ علينا وعلى أخي موسى لو لَبِثَ مع صاحبه لأَبْصَرَ أَعْجَبَ الأعاجيبِ».

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ هي أنطاكيَةُ، وقيل: الأُبُلَّةُ، وهي أبعدُ أرضِ الله من السَّماء.

﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وقرئ: "يُضِيفوهما"، يقال: "ضافَهُ" إذا كان له ضيْفًا، وحقيقتُه: مال إليه، من ضَافَ السَّهْمُ عن الغرض، ونظيره: زاره من الازْوِرارِ، وأضافه وضيَّفه: أنزلَه وجَعَله ضَيفَه وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «كانوا أهلَ قرية لِئَامًا».

وقيل: شرُّ القُرى التي لا يُضاف الضَّيفُ فيها، ولا يُعرف لابن السبيل حقُّه.

﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ استُعيرَتِ الإرادةُ للمُداناةِ والمشارَفَة كما استُعير الهمُّ والعَزْمُ لذلك، قال الرَّاعي:

فـي مَـهْـمَـهٍ قَـلِـقَـتْ بـه هَـامَـاتُـهـا   قَلَـقَ الفُـؤوسِ إذا أرَدْنَ نُصـولًا

قوله: (و﴿لَدْنِي﴾ بسكون الدال)...[1] إلخ ويجوز أن يكون أُلحِقَ نون الوقاية بـ"لَدْ".

قوله: (وهي أبعدُ أرض الله) أي: أعمَق.[2]

قوله:

(فـي مَـهْـمَـهٍ)... البـيـتَ[3]

---

[1] قرأ شعبة بوجهين: الأوّل: إسكان الدال مع الإيماء بالشفتين بالضمّة. والثاني: اختلاس ضمّة الدال. وكِلا الوجهين مع تخفيف النون. وقرأ نافع وأبو جعفر بضمّ الدال وتخفيف النون. وقرأ باقي العشرة بضمّ الدال وتشديد النون. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٣/٢.

[2] وفي هامش د: قوله: (استعيرت الإرادة للمداناة) بجامع ترتّب الفعل على كلّ منهما.

[3] ديوان الراعي النميري، ص ٢٠٢.

وقال:

يُـريـد الـرُّمـحُ صَـدْرَ أبـي بَـرَاءٍ ويَـعْـدِلُ عـن دمـاءِ بنـي عقيـلِ

وقال حسَّانٌ:

إنَّ دَهْـرًا يَـلُـفُّ شَـمْـلـي بجُمْلٍ لَـزَمـانٌ يَـهُـمُّ بـالإحـسـان

وسمعتُ مَن يقول: عَزَم السِّراجُ أَنْ يَطفأ وطلبَ أن يَطْفأ.

وإذا كان القولُ والنطقُ والشكايةُ والصِّدقُ والكَذِبُ والسُّكوتُ والتَّمرُّدُ والإباء والعزَّة والطواعيَةُ وغيرُ ذلك مستعارةً للجَمَاد ولِمَا لا يَعْقِلُ فما بالُ الإرادة؟ قال:

إذ قـالـتِ الأنـسـاعُ لـلـبَطْـن الْـحَـقِ

"الفُئُوس": جمع الفَأْس، وهو الحديد الذي يُكسر به[1] الحطَب. والنُّصول: الخروج.[2] يصف شدّة المَفاوِز[3] وأنّ هامات النُّوق / بها قَلِقة قَلَقَ الفئُوس [٩٦ظ] إذا شارفْنَ الخروجَ مِن مواضعها المثبتة فيها، وإذا أردنَ نُصولًا، أي: شارفنَ الخروجَ مِن الخشب. نَصَلَ السهم؛ إذا خرَج منه النَّصْل.[4] وهاماتها، أي: هامات الإبل، والهامة: وسَطُ الرأس.[5]

قوله: (وقال حسّان:

إنّ دَهـرًا يَلُـفُّ)... البيتَ[6]

"يَلُفّ": يَجمَعُ. و"جُمِلَ" اسم امرأة.

قوله:

(إذا قـالـت الأنـسـاعُ للبَطن الْـحَـقِ)[7]

---

١ ن + معاره.

٢ ر: الجروح.

٣ ن: المقاود.

٤ الصحاح للجوهري، «نصل».

٥ انظر: لسان العرب لابن منظور، «هيم».

٦ ديوان حسّان بن ثابت، ٥١٧/١.

٧ تمامه:

قُـدومًـا فـآضَـت كالفَنيقِ المُحنَقِ

وهو لأبي النجم العجلي في أساس البلاغة للزمخشري، «حنق».

تـقـول سِـنِّـي لـلـنـواة طِـنِّـي
لا يـنطقُ الـلَّـهْوُ حتى ينطقَ الـعـودُ
وشـكـا إلـيَّ بـعَـبْـرةٍ وتـحَـمْـحُـمِ
إنْ يـكُ ظـنّي صـادقًـا وهـو صـادِقِـي

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ [الأعراف ١٥٤/٧]، ....

"الأنساع":[١] جمع نِسع،[٢] وهو الحِزام.[٣]

قوله:

(تـقـول سِـنِّـي لـلـنَّـواة: طِـنّـي)

أوّله:

وَيـلٌ لـبَـزنـيِّ[٤] الـجَـريـنِ[٥] منّي إذا التَقَـت نَواتـه وسِـنّي[٦]

"سِنّي" فاعل "تقول". وأطننتُ الطَّستَ فطَنَّت.

قوله: (لا يَنطقُ اللّهوُ حتّى يَنطقَ العُودُ) العُود: البَربَط.[٧]

قوله:

(وشَـكـا إلـيّ بِـعَـبـرةٍ[٨] وتَـحَـمْـحُـمِ)

أوّله:

فـازْوَرَّ مِـن وَقْـعِ الـقَـنا بِـلَـبانِـه[٩]

قوله:

(فـإن يَـكُ ظَنّـي صادِقًـا وهـو[١٠] صادِقـي)

---

١ ر: الأتساع.
٢ ر: تسع.
٣ ن: الجزام.
٤ ر: للبرني.
٥ ر: الجزين.
٦ بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «طنن»، بلفظ:
ويلٌ لبَرْنيّ الجِرابِ مِنّي... البيت
٧ البَربَط: العود، أعجمي ليس مِن ملاهي العرب فأعربته حين سمعت به. وفي التهذيب: «البَربَط: مِن ملاهي العجَم، شبّه بصدر البطّ، والصدر بالفارسيّة: بر، فقيل: بربط. لسان العرب لابن منظور، «بربط».
٨ ر: يغبرة.
٩ لعنترة في ديوانه، ص ٢١٧.
١٠ ر: فهو.

«تَمرَّدَ ماردٌ وعزَّ الأبلَقُ»، ولبعضهم:

يـأبَـى عـلـى أجـفـانـه إغْـفـاءةً هَـمٌّ إذا انـقـادَ الـهـمُـومُ تـمـرَّدا

بيت الحماسة:

أَبـتِ الـرَّوادفُ والـثُّـدِيُّ لقُمصِها مـسَّ البطـون وأنْ تمـسَّ ظُهـورا

﴿قَالَتَآأَتَيۡنَاطَآئِعِينَ﴾ [فصلت ١١/٤١].

ولقد بلغني أن بعضَ المحرِّفين لكلام الله تعالى ممَّن لا يَعْلمُ كان يَجعلُ الضمير للخَضِر؛ لأنَّ ما كان فيه من آفَةِ الجهل وسَقَمِ الفهم أَراهُ أعلى الكلامِ

تمامه:

بشَـمْـلـةَ يَحبِسهم بها مَحبِسًا وَعْـرَا[١]

قوله:

(تَمَـرَّدَ مـارِدٌ[٢] وعَـزَّ الأبلَـقُ)...[٣] البيـتَ[٤]

للزَّبّاء.[٥] "مارد": اسم جبل. و"الأبلَق": اسم جبل.

قوله: (ولبعضهم: يأبَى)...[٦] البيتَ.[٧]

الإغفاءة: النوم القليل.

قوله: (كان يجعل الضمير) أي: يريد الخَضِر أن ينقضَّ الجدار، وكأنّه قال ذلك لِما سَيجيء أنّ بعضهم قال: نقضَه وأقامه.

قوله: (مِن آفة الجهل) بيان "ما".

---

١ قائله كَنزة أمّ شَمْلة بن بُرْدٍ المِنقري. انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٧٠٢/٢.

٢ وفي هامش د: قلعة.

٣ وفي هامش د: قلعة.

٤ صدره:

قـد قـالـت الـزَّبّـا لحصن سمَـوأل

قيل: "ماردٌ" و"الأبلَقُ" حِصنان قصدتهما الزَّبّاء ملكة الجزيرة فلم تقدر عليهما واستصعبا عليها، فقالت ذلك. انظر: شرح أبيات الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٠٢.

٥ ن: للرباء.

٦ ر: يأتي.

٧ البيت للزمخشري. انظر: شرح أبيات الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٨٨.

طبقةً أدناهُ منزلةً، فتمَحَّلَ ليَردَّه إلى ما هو عنده أصحُّ وأفصحُ، وعنده أن ما كان أَبعَدَ من المجاز كان أَدخَلَ في الإعجاز.

و"انقضَّ": إذا أسرع سقوطُه، من انقضاض الطائر، وهو انْفَعَل مطاوعُ قَضَضْتُه.

وقيل: "افعلَّ" من النَّقض؛ كاحْمرَّ من الحُمرة.

وقرئ: "أن يُنقَضَ" من النَّقض، و: "أن ينقاصَ" من "انقاصَتِ السِّنُّ": إذا انشقَّتْ طُولًا، قال ذو الرُّمَّة:

مُـــنـــقـــاصٌ ومُـــنـــكـــثِـــبُ

بالصاد غير المعجمة.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ قيل: أقامهُ بيده، وقيل: مَسَحه بيده فقام واستوى، وقيل: أقامه بعمودٍ عَمَده به، وقيل: نقَضه وبناه.

قوله: (قال ذو الرمّة:

مُـــنْـــقـــاصٌ ومُـــنـــكَـــثِـــبُ)[١]

يصف رَملة. "مُنقاص" خبر مبتدأ محذوف، أي: هو مُنقاص.[٢] وهو يعود إلى "الكِناس".

يغشَى الكِناس بـرَوقَيـه ويـهـدِمه   فـــي هـــائـــلٍ الـــرمـــل...[٣]

"الكِناس": مَولِج الوحش مِن البقر والظباء يَستظِلّ فيه، وهو مشتقّ مِن الكَنس؛ لأنّها تكنُس الرَّمل حتّى تصير إلى بَرد الثرَى. يقال: كَنست الظباءُ، وتكَنَّسَت، أي: استترَت. و"الرَّوق": القَرْن. و"مُنقاص"، أي: مُنهدِم. و"مُنكثِب"، أي: سائل. يقال: هِلتُ الدَّقيق في الجِراب؛ صَبَبته مِن غير كَيل، وكلُّ شيء أرسلتَه إرسالًا مِن رملٍ أو ترابٍ أو طعامٍ أو نحوه قلتَ: هِلتُه أَهيلُه هَيلًا فانهالَ، أي: جرى.[٤] يقول:[٥] الثور يغشَى الكِناس بقَرنيه، ويهدِم الكِناس ممّا انهال مِن الرَّمل، وتناثَر قطعة قطعة.

---

١ ر: ومتكثب.

٢ ر: منقاض.

٣ ديوان ذي الرمّة، ١/٨٨، بلفظ: "منقاضٌ" بالضاد المعجمة.

٤ الصحاح للجوهري، «هيل».

٥ ن: يقال.

وقيل: كان طولُ الجدار في السماء مئةَ ذراعٍ.

كانت الحالُ حالَ اضطرارٍ وافتقارٍ إلى المَطْعَم، ولقد لَزَّتْهما الحاجةُ إلى آخِرِ كَسْبِ المَرْء وهو المسألةُ، فلم يَجدَا مُواسِيًا، فلمَّا أقامَ الجدار لم يتمالَكْ موسى لِمَا رأى مِن الحِرمان ومَسَاسِ الحاجةِ أنْ قال: لو اتَّخذتَ عليه أجرًا وطلبتَ على عملك جُعلًا حتى نَنْتعِشَ به ونستَدْفِعَ به الضرورةَ.

وقرئ: ﴿لتَخِذْتَ﴾ والتاءُ في "تَخِذَ" أصلٌ كما في "تَبِعَ"، و"اتَّخذ": افْتَعَلَ منه؛ كاتَّبع مِن تَبِعَ، وليس من الأخذِ في شيءٍ.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾

فإن قلتَ: ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى ماذا؟

قلتُ: قد تصوَّر فراقَ بينهما عند حلولِ مِيعاده على ما قال موسى عليه السلام: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فأشار إليه وجَعَله مبتدأً وأخبر عنه؛ كما تقول: "هذا أخوك" فلا يكونُ "هذا" إشارةً إلى غيرِ الأخ.

قوله: (في السماء) أي: عُلوُّه.

قوله: (وقد لَزَّتهما) لَزَّهُ يَلُزُّهُ لَزًّا، أي: شدَّه وألصَقه.[1]

قوله: (مُواسيًا) أي: مُحسِنًا يُحسِن إليهما، ويَبذُل لهما شيئًا مِن ماله. يقال: آسَيتُه[2] بمالي مواساةً، أي: جَعلتُه إسوتي فيه.

قوله: (ونَستدفع[3] به الضرورةَ) ومِن تتمّة المعنى أن يقال: ولا نحتاج[4] إلى السُّؤال. فهذا المعنى كأنّه حَمَله على الاعتراض.

قوله: (وليس مِن الأخذ في شيء) الواو والياء إنّما تُقلبان في "افتعل" تاءً إذا كانَتا[5] أصليّتَين، كما في اتَّعَدَ واتَّسَرَ مِن الوَعد واليُسر، وأمّا في قولك: ائتَزَرَ[6] واؤتُزِرَ به فلا.

---

[1] الصحاح للجوهري، «لزز».
[2] ر: آشيته.
[3] ر: ويستدفع.
[4] ن: يحتاج.
[5] ر: كانت.
[6] ر: ايتذر.

ويجوز أن يكون إشارةً إلى السؤال الثالث؛ أي: هذا الاعتراضُ سببُ الفراقِ. والأصلُ: "هذا فراقٌ بيني وبينَك"، وقد قرأ به ابنُ أبي عبلة، فأضيفَ المصدرُ إلى الظَّرْفِ كما يُضاف إلى المفعول به.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾

﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: كانت لعشرةِ إخوةٍ: خمسةٌ منهم زَمْنَى، وخمسةٌ يعملون في البحر.

قوله: (﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: كانت لِعَشرة إخوة) قال محيي السنّة رحمة الله عليه[1] في شرح السنّة:

أثبتَ الله تعالى[2] لكلِّ واحد مِن الفقير والمسكين سهمًا في الصدقات، / واختلف الناس فيهما، فقال ابن[3] عبّاس رضي الله عنهما:[4] «المسكين: الطوّاف». وقال مجاهد وعكرمة والزهري: «المسكين: الذي يسأل، والفقير: الذي لا يسأل». وقال قتادة: «الفقير: الذي به زَمانة، والمسكين: الصحيح المحتاج». وقال الشافعي رضي الله عنه:[5] «الفقير مَن لا مالَ له ولا حِرفةَ تقع[6] منه مَوقعًا، زَمِنًا كان أو غيرَ زَمِن، والمسكين: مَن له مال أو حِرفة ولا تُغنيه، سائلًا كان أو غيرَ سائل». فالمسكين عنده أحسن حالًا مِن الفقير؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾، أثبت لهم المِلك مع اسم المَسكنة. وذهَب أصحاب الرأي إلى أنّ الفقير أحسن حالًا مِن المسكين، والفقير الذي يجِد القُوت، والمسكين الذي لا شيء له. وقيل: الفقير المحتاج. قال تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ -تعالى- [فاطر ٣٥/١٥]، أي:[7] المحتاجون إليه، والمسكين الذي أذلّه الفقر وأسكنَه، أي: قلّلَ حركته، مِفعِيلٌ مِن السكون. وقيل في قوله تعالى: [٩٧و]

---

[1] د – رحمة الله عليه؛ ن: رحمه الله.
[2] د – تعالى.
[3] ر: بن.
[4] د – رضي الله عنهما.
[5] د – رضي الله عنه.
[6] ر: يقع.
[7] ر: أو.

﴿وَرَآءَهُم﴾: أَمَامَهم؛ كقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون ٢٣/١٠٠].

وقيل: خَلْفَهم، وكان طريقُهم في رجوعهم عليه، وما كان عندَهم خبرُه، فأَعْلَمَ اللهُ به الخضرَ، وهو جُلَنْدَى.

فإنْ قلتَ: قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مسبَّبٌ عن خوفِ الغضبِ عليها، فكان حقُّه أنْ يتأخَّر عن السبب، فلمَ قُدِّم عليه؟

قلتُ: النيَّةُ به التأخيرُ وإنما قُدِّم للعناية؛ ولأن خوفَ الغَضْب ليس هو السببَ وحدَه؛ ولكنْ مع كونها للمساكين، فكان بمنزلةِ قولك: "زيدٌ ظنِّي مقيمٌ".

وقيل: في قراءةِ أبيٍّ وعبد الله: "كلَّ سفينةٍ صالحة".

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾

قرأ الجَحْدَرِيُّ: "فكان أبواه مؤمنان" على أن "كان" فيه ضميرُ الشأن.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾: سُمّوا مساكين لِذُلّهم، وقُدرةِ المَلِك عليهم، وضَعفِهم عن الانتصار. ويقع اسم المسكين على كلّ[1] مَن أذلّه شيء، غيرَ أنّ الصدقة لا تحِلّ لِمَن لم يكن مسكنَته مِن جهة الفقر.[2]

قوله: (في رجوعهم عليه) أي: على المَلِك.

قوله: (وهو جُلَنْدَى) أي: المَلِك.

قوله: (فكان بمنزلة قولك: زيدٌ ظنّي مُقيم) قال رضي الله عنه:[3] «يعني: أنّ[4] الظنّ يتعلّق بالطَّرفَين؛ بالمبتدأ والخبر جميعًا، كما أنّ التعليل[5] في ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ يتعلّق بالمسكنة والغصب، فتوسّط بينهما[6] كتوسّط الظنّ بين المبتدأ والخبر».[7]

---

١ ن – كلّ.

٢ شرح السنّة للبغوي، ٦/٨٨.

٣ د: رحمه الله.

٤ ن – أنّ.

٥ ر – يتعلّق بالطَّرفَين بالمبتدأ والخبر جميعًا، كما أنّ التعليل؛ ن: التعليق.

٦ وفي هامش د: أي: كان مسبَّبًا عنهما ممّا يكون متأخّرا عنهما بالكليّة ممّا يكون المسبَّب متقدِّمًا على السبب بالكليّة، تأمّل.

٧ كذا في فتوح الغيب للطيبي، ٩/٥٣٤، عن المصنّف.

﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾: فخِفْنا أن يُغْشيَ الوالدَيْن المؤمنين طغيانًا عليهما وكفرًا لنعمتهما بعقُوقه وسوءِ صنيعه، ويُلحِقَ بهما شرًّا وبلاءً، أو يَقْرِنَ بإيمانهما طُغيانَه وكُفرَه فيجتمعَ في بيتٍ واحدٍ مؤمنان وطاغٍ كافرٌ، أو يُعْدِيَهما بدائهِ ويُضلَّهما بضلاله فيَرتدَّا بسببه ويَطْغيَا ويَكْفُرَا بعد الإيمان، وإنما خَشِيَ الخضرُ منه؛ ذلك لأنَّ الله عزَّ وعلا أَعْلمَه بحاله وأَطْلَعه على سِرِّ أمرِهِ، وأَمْرُهُ إيّاه بقتله كاخترامِه لمفسَدةٍ عَرفها في حياته.

وفي قراءة أبيّ: "فخاف ربُّك"، والمعنى: فكَرِهَ ربُّك كراهةَ مَن خافَ سُوءَ عاقبةِ الأمرِ فغيَّره.

ويجوزُ أن يكونَ قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكايةً لقولِ الله عزَّ وجلَّ بمعنى: فكَرِهْنا؛ كقوله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم ١٩/١٩].

وقرئ: ﴿يُبدِّلَهما﴾ بالتشديد.

قوله: (وأَمْره إيّاه بقتله) أي: أَمْرُ الله تعالى الخَضِر بقَتل الغلام مثلُ قتلِ اللهِ الغلامَ. فقوله: (اخترامه) مضاف إلى المفعول، والفاعلُ غير مذكور، وهو الله تعالى. ويجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل، والمفعولُ محذوف. يقال: اختَرَمَهم وتخرَّمَهم، أي: اقتَطَعَهم[1] واستأصَلَهم.

قوله: (ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾) ليكون موافقًا في المعنى لقراءة أبيّ رضي الله عنه.[2]

قوله تعالى: (﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم ١٩/١٩]) قال تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم ١٩/١٨-١٩]، أي: قالت مريم لجبرئيل عليه السلام لمّا تمثّل جبرئيل لها: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾، فقال جبرئيل لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾.[3]

---

[1] ن – اقتطعهم.

[2] د – رضي الله عنه. | يعني القراءة المرويّة عن أبيّ رضي الله عنه: "فَخَافَ رَبُّكَ أن يُرْهِقَهُمَا"، وهي قراءة شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٩٤.

[3] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ﴾ أي: يُعطيَهما ربُّهما ببَدَل ذلك الوَلدِ ولدًا خيرًا منه.

و"الزكاة": الطهارةُ والنقاءُ من الذنوب.

و"الرُّحْمُ": الرَّحمةُ والعطف.

فروي أنه وُلدَت لهما جاريةٌ تزوَّجها نبيٌّ فولدَت نبيًّا هدَى الله على يديه أمَّةً من الأمم.

وقيل: وَلَدتْ سبعين نبيًّا.

وقيل: أبدلهما ابنًا مؤمنًا مثلَهما.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

قيل: اسما الغلامين: أَصْرَمُ وصُرَيْمٌ، والغلامُ المقتول اسمُه: "الحُسين".

واختُلف في الكَنز:

فقيل: مالٌ مدفون من ذهبٍ وفضَّة.

وقيل: لوحٌ من ذهبٍ مكتوبٌ فيه: عجبتُ لمن يؤمِنُ بالقَدَرِ كيف يَحزنُ، وعجِبتُ لمن يؤمِنُ بالرزق كيف يتْعَبُ، وعجِبْتُ لمَن يؤمِنُ بالموتِ كيف يَفرَحُ، وعجبتُ لمَن يؤمِنُ بالحساب كيف يَغْفُلُ، وعجبتُ لمن يَعرفُ الدنيا وتقلُّبَها بأهلِها كيف يطمئنُّ إليها، لا إلهَ إلّا الله محمدٌ رسول الله.

وقيل: صحفٌ فيها علمٌ.

والظاهرُ لإطلاقه: أنه مال.

وعن قتادةَ: أُحِلَّ الكنزُ لمن قبلَنا وحُرِّمَ علينا، وحُرِّمت الغنيمةُ عليهم وأُحلَّتْ لنا.

أرادَ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ الآية [التوبة ٩/٣٤].

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ اعتدادٌ بصلاحِ أبيهما وحِفْظٌ لحقِّه فيهما.

وعن جعفر بن محمد: كان بين الغلامينِ وبينَ الأب الذي حُفظا فيه سبعةُ آباءٍ.

وعن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلامٍ جرَى بينهما: بِمَ حَفِظَ الله الغلامين؟ قال: بصلاحِ أبيهما، قال: فأبي وجدِّي خيرٌ منه، فقال: قد أنبأنا اللهُ أنكم قومٌ خَصِمون.

﴿رَحۡمَةٗ﴾ مفعولٌ له، أو مصدرٌ منصوبٌ بـ"أراد ربُّك"؛ لأنه في معنى: رَحِمَهما.

قوله: (حُفِظا فيه) أي: لأجله.

قوله: (قد أنبأ الله تعالى:[1] أنكم قوم خَصِمون) لمّا احتجّ الحسين رضي الله عنه على ذلك الخارجي بأنّه يجب عليه رعاية جانبه وحفظُه وتركُ الطعن فيه نظرًا إلى أبيه أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، وجدِّه نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وما قدَر ذلك الخارجي على الجواب بوجه يستقيم؛ لأنّ هذا الاحتِجاج احتِجاج ببرهان[2] قاطع، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ / أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى ٤٢/٢٣]؛ عدَلَ الخارجي إلى كلام لا تعلُّقَ له بهذا الموضع، وقال: أخبرَ الله تعالى أنكم قوم خَصِمون، يريد به قوله تعالى في حقّ قريش: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف ٤٣/٥٨]، وأراد الخارجي بهذا الكلام أنّ الله تعالى قد أخبرَ أنّ قريشًا قوم خَصِمون، أي: يجادلون بالباطل وأنت مِن قريش، فهذا الذي ذكرتَ مِن جُملة جِدالك بالباطل.[3] وهذا الذي ذكره الخارجي كلام مَن ليس له دين ولا إنصافٌ؛ بل هو ذو جَور واعتساف، وكلامه يدلّ على أنّه لم يكن مِن الإيمان في شيء. انظر إلى جُرأته وحِرصه على الطعن في أهل البيت، حتى حمل كلام الله تعالى على نقيض معناه، وأبعده عن غَرَضه ومَغزاه،[4] لعنَه الله تعالى وأخزاه. قوله: "إنكم قوم خَصِمون" أي: إنّ قريشًا.[5] [٩٧ظ]

---

[1] ر ن – تعالى.

[2] ر: برهان.

[3] ر – وأنت مِن قريش، فهذا الذي ذكرتَ مِن جُملة جِدالك بالباطل.

[4] ر – ومَغزاه.

[5] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ ﴿عَنۡ﴾ للسببيّة، كقوله:

يَنهَـونَ عَـن أكلٍ وعَـن شُـربٍ

وقوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ ﴿مِن﴾ سببيّة، أي: بسبب أمرِنا مَن آمنَ وعمل صالحًا سنقول له قولًا مَيسورًا، أي: نأمرهم بالأشياء السهلة، لا الصعبة.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾: وما فعلتُ ما رأيتَ ﴿عَنْ أَمْرِى﴾: عن اجتهادي ورأيي، وإنما فعلتُه بأمر الله سبحانه وتعالى.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

"ذو القرنين": هو الإسكندرُ الذي مَلَكَ الدنيا، قيل: مَلَكها مؤمنان: ذُو القرنين وسليمانُ، وكافران: نمروذُ وبُختَ نَصَّرُ.

وكان بعد نمروذَ، واختُلف فيه:

فقيل: كان عبدًا صالحًا ملَّكه الله الأرضَ، وأعطاه العلمَ والحكمةَ، وألبَسَهُ الهَيبةَ، وسخَّر له النورَ والظلمةَ، فإذا سَرَى يَهديه النورُ من أمَامِه وتحوطُه الظلمةُ من ورائه.

وقيل: نبيًّا، وقيل: مَلَكًا من الملائكة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلًا يقول: يا ذا القرنين! فقال: اللّٰهمَّ غَفْرًا! أمَا رضيتُم أن تتسمَّوْا بأسماء الأنبياء حتى تسمَّيتُم بأسماء الملائكة.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: سُخِّر له السحابُ، ومُدَّتْ له الأسبابُ، وبُسط له النورُ.

وسُئل عنه فقال: أَحبَّ اللهَ فأحبَّه.

قوله: (فإذا سَرى يهديه) بيان[1] تسخير النور والظلمة.

قوله: (ومُدَّت له الأسباب) أي: مكّنه الله مِن كلّ شيء وأقدَرَه.[2]

قوله: (وسُئل عنه) أي: سئل عليّ[3] عن ذي القرنين.

---

[1] ر ن - بيان.
[2] ر: وأقدَرَ.
[3] ر - عليّ.

وسأله ابن الكَوَّاءِ: ما ذو القرنين أَمَلَكٌ أم نبيٌّ؟ فقال: ليس بملَكٍ ولا نبيّ، ولكن كان عبدًا صالحًا ضُرِبَ على قَرْنهِ الأيمنِ في طاعة الله فماتَ، ثم بعثَه الله فضُرب على قَرْنِه الأيسرِ فماتَ، فبعثه الله فَسُمِّي ذا القرنين، وفيكم مثلُه.

قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيُحييه اللهُ.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «سُمِّي ذا القرنين؛ لأنه طافَ قَرْني الدنيا»، يعني: جانبَيْها شرقَها وغربَها.

وقيل: كان له قرنان؛ أي: ضَفِيرتان.

وقيل: انقرض في وقته قرنانِ من الناس.

قوله: (ضُرِب على قَرنه الأيمنِ) القَرْن: جانبُ الرأس.[١]

قوله: (وفيكم مِثله) يعني نفسَه.

قوله: (ضَفيرتان)[٢] الضَّفْر: نَسجُ الشعر وغيره عَريضًا، والتضفير[٣] مثله، والضفيرة:[٤] العَقِيصة، يقال: ضَفَرَت[٥] المرأةُ شَعرَها، ولها ضَفيرتان وضَفْرتان أيضًا، أي: عَقيصَتان.[٦] وأقول: يؤيّد هذا الوجه قول الجوهري في **الصحاح**:

> القَرْن: الخُصلة مِن الشعر، ومنه قول أبي سفيان في الروم: «ذات القُرون». قال الأصمعي: «أراد[٧] قُرون شُعورهم، وكانوا يُطوّلون ذلك يُعرَفون به». ويقال للرجل: له قَرنان، أي: ضفيرتان. قال الأسدي:
>
> كذَبتم وبيتِ الله لا تَنكِحونَها ... بني شابَ قَرناها تَصُرُّ وتَحلُبُ
>
> أراد: يا بَنِي التي شابَ قَرناها، فأضمرَه. وذو القَرنين لقَب إسكندَر الرومي. ويقال[٨] لمنذر بن ماء السماء: ذو القَرنين؛ لضَفِيرتين[٩] كان يَضفرُهما في قَرن الرأس فيُرسِلهما.[١٠]

---

١ الصحاح للجوهري، «قرن».
٢ ر ن: صغيرتان.
٣ ر ن: والتصفير.
٤ ر ن: والصغيرة.
٥ ن: صغرت.
٦ الصحاح للجوهري، «ضفر».
٧ ر ن: وأراد.
٨ ر + ويقال.
٩ ن: لصفرتين.
١٠ الصحاح للجوهري، «قرن».

وعن وَهْبِ بن منبِّه: لأنه مَلَكَ الرُّومَ وفارِسَ. ورويَ: الرومَ والترك.

وعنه: كانتا صفحتا رأسِه من نحاسٍ.

وقيل: كان لتاجه قَرْنان.

وقيل: كان على رأسه ما يُشبه القرنين.

ويجوز أن يلقَّب بذلك لشجاعته؛ كما يسمَّى الشُّجاع كبشًا كأنه يَنْطَحُ أقرانَه.

وكان من الرُّوم ولَدَ عجوزٍ ليس لها ولدٌ غيرُه.

والسائلون هم اليهود، سألوه على جهة الامتحان، وقيل: سأله أبو جهلٍ وأشياعُه، والخطابُ في ﴿عَلَيْكُم﴾ لأحد الفريقين.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: من أسبابِ كلِّ شيءٍ أَرادَهُ من أَغْراضه ومقاصده في مُلكه.

﴿سَبَبًا﴾: طريقًا مُوصِلًا إليه.

والسبب: ما يُتوصَّلُ به إلى المقصود من عِلمٍ أو قدرةٍ أو آلةٍ.

فأراد بلوغ المغرب ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يُوصِلُه إليه حتى بلغَ، وكذلك أراد المشرقَ فأتْبَعَ سببًا، وأراد بلوغ السدَّين فأتْبَعَ سببًا.

ثمّ اعلم أن الجوهري حَمَل قوله: "بَني شابَ قَرناها" على حذف الموصول وإقامة الصلة مُقامها كما ذكرنا، وهذا بخلاف ما ذكره المصنّف في المفصّل.[1]

قوله: (كما يُسمّى الشُّجاع: كَبشًا) قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه:[2]

اللَّيلُ داجٍ والكِباشُ تَنتطِحْ فمَن نجا برأسه فقد رَبِحْ[3]

قوله: (لأحد الفريقين) أي: لليهود، أو لأبي[4] جهل[5] وأشياعه.

قوله: (أرادَه) صفة "شيء".

---

[1] حيث جعل "شابَ قَرناها" اسمَ علم مركَّب، نحو: "تأبّطَ شرًا". انظر: المفصّل للزمخشري، ص ٢٤.

[2] د – وكرّم الله وجهه؛ ن – عنه وكرّم الله وجهه.

[3] قَالَ أبو عُبيد: «هذا الشعر أُراه قِيل في ليالي صِفِّين». مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٩٩.

[4] ر ن: لا.

[5] ر ن: بجهل.

وقرئ: ﴿فَأَتْبَعَ﴾.

قرئ: ﴿حَمِئَةٍ﴾ من حَمِئتِ البئرُ: إذا صارت فيها الحَمْأةُ، و: ﴿حاميةٍ﴾ بمعنى: حارَّة.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: كنتُ رديفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على جَملٍ، فرأى الشمسَ حين غابَتْ، فقال صلى الله عليه وسلم: «أتَدْري يا أبا ذرٍّ أين تَغرُبُ هذه؟» فقلتُ: الله ورسولُه أعلمُ، قال: «فإنها تَغربُ في عينٍ حامِيَةٍ»، وهي قراءةُ ابنِ مسعود وطلحةَ وابنِ عمر رضي الله عنهما وابنِ عمرٍو والحسن.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: ﴿حَمِئَةٍ﴾.

وكان ابن عباسٍ عند معاويةَ، فقرأ معاويةُ: ﴿حامِيَةٍ﴾ فقال ابنُ عباس: ﴿حَمِئَةٍ﴾، فقال معاويةُ لعبد الله بن عمرو: كيف تقرأ؟ قال: كما يقرأ أميرُ المؤمنين، ثم وجَّه إلى كعب الأحبار: كيف تجدُ الشمسَ تَغرُبُ؟ قال: في ماءٍ وطين، كذلك نجدُه في التوراة -ورُوي: في ثَأْطٍ- فوافَقَ قولَ ابن عباس، وكان ثَمَّ رجلٌ فأنشد قولَ تُبَّعٍ:

قوله: (في ماء وطين) قال الشاعر:

عاذِلَتي لا تُفَنِّديني ... أَن صِرتُ[1] في مَنزلٍ هَجِينِ
الشمسُ عُلْويّةٌ ولكن ... تَغرُبُ في حَمْأةٍ وطينِ[2]

قوله: (ورُوِيَ: في ثَأْطٍ)[3] أي: حَمْأة، يقال: «ثَأْطَةٌ مُدَّت بماء»، وهذا مَثَل يُستعمل في الفساد على الفساد.[4]

---

[1] ر: ضرت.

[2] قائله عبد العزيز بن الحسن بن أبي البسّام الحسيني. قال: «نزلتُ بفندق بمدينة دانية ليلًا، فرأتني امرأة كانت تعرفني في أيّام السلطان أبي الطاهر تميم، وهي الحرّة الفاضلة مريم بنت إبراهيم؛ والدنيا قد سحبت على مَن جاهها ووزارتها ذيلًا، فقلتُ مرتجلًا»، فذكره. المُطرب لابن دِحية الكلبي، ص ٢٠١.

[3] ن: باط.

[4] في الصحاح للجوهري، «ثأط»: «يضربُ للرجل يشتدّ مُوقُهُ وحمقُه؛ لأنّ الثَأْطَةَ إذا أصابها الماءُ ازدادت فسادًا ورطوبة».

فـرَأى مَغِـيبَ الشمسِ عنـدَ مآبِها في عينِ ذِي خُـلُـبٍ وثَـأْطٍ حَرْمَـدِ

أي: في عينِ ماءٍ ذي طينٍ وحَمَإٍ أسودَ.

ولا تنافيَ بين الحَمِئةِ والحامية، فجائزٌ أن تكون العينُ جامعةً للوصفين جميعًا.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝٨٨﴾

كانوا كَفَرةً، فخيَّره الله بين أن يعذِّبَهم بالقتل وأنْ يدعُوَهم إلى الإسلام، فاختار الدعوةَ والاجتهادَ في استمالَتِهم، فقال: أمَّا مَن دعوتُه فأبَى إلَّا البقاءَ على الظُّلم العظيم الذي هو الشركُ فذاك هو المعذَّبُ في الدارين ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ﴾ ما يقتضيهِ الإيمان ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقيل: خيَّره بين القتلِ والأسرِ، وسمَّاه إحسانًا في مقابلةِ القتلِ.

﴿فله جزاءُ الحُسْنَىٰ﴾: فله أن يُجازَى المثوبةَ الحسنى، أو: فله جزاءُ الفَعلةِ الحُسنى التي هي كلمةُ الشهادة.

وقرئ: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: فله الفَعلةُ الحُسنى جزاءً.

وعن قتادةَ: كان يَطْبُخُ مَن كَفَر في القدُور، وهو العذابُ النُّكر، ومَن آمَنَ أعطاه وكساه.

قوله:

(فَـرَأى[1] مَغيـبَ الشـمس عنـد مآبِهـا في[2] عينِ ذي خُلُبٍ[3] وثَأْطٍ[4] حَرْمَد)[5]

---

[1] وفي هامش د: أي: ذو القرنين.

[2] وفي هامش د: مغيبها.

[3] وفي هامش د: حَمَأة.

[4] وفي هامش د: طين.

[5] ر: حرمة؛ ر + ذوا القرنين. معيبها، الحماة، طين، أسود؛ ن + معيها، الحماة، طين، أسود. | وفي هامش د: أسود. | نسبه لأميّة في لسان العرب لابن منظور، «ثأط»، ثمّ قال: «وأورَد الأزهري هذا البيت مستشهِدًا به على الثأطة الحمَأة، فقال: 'وأنشد شِمْرٌ لتُبّع'. وكذلك أورده ابن برّي وقال: 'إنّه لتُبّع يصف ذا القرنين'، قال: 'والخُلُب: الطِّين بكلامهم'. قال الأزهري: 'وهذا في شِعر تُبّع المَروي عن ابن عبّاس'».

﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾؛ أي: لا نأمرُه بالصَّعب الشَّاقِّ ولكنْ بالسهل المتيسِّر من الزكاة والخَراج وغير ذلك، وتقديره: ذا يُسْرٍ؛ كقوله: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء ٢٨/١٧]. وقرئ: ﴿يُسُرًا﴾ بضمتين.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

وقرئ: "مَطْلَع" بفتح اللام، وهو مصدر، والمعنى: بَلَغ مكانَ مَطْلَعِ الشمس؛ كقوله:

كأنَّ مجَرَّ الرَّامِسات ذُيُولَها

يريد: كأنَّ آثارَ مَجرِّ الرامِسات.

قوله: (والمعنى: بلغَ مكانَ مطلع)[1] أي: على حذف المضاف.

قوله:

(كأنَّ مَجَرَّ الرامِسات ذُيولَها)

قال رضي الله عنه: تمامه:

عليه قَضِيمٌ نَمَّقَتْه[2] الصَّوانعُ[3]

[٩٨و] والذي أحوجَ إلى تقدير / مضاف محذوف أنّه لا بدّ مِن مُشبَّه بالقَضيم، وهو جلود كانوا يكتبون فيها، ولا بدَّ مِن عامل في "الذيول"، واسم المكان لا يعمل، فلذلك قُدِّر حتّى صحّت الجَنْبَتان. والأولى أن نقول: التقدير: كأنّ موضع مجَرِّ الرامِساتِ؛ لأنّ[4] الآثار لا يصحّ تَشبيهها بالرَّقّ، والأثر يُشبَّه بالكتابة، لا بالرَّقّ. وغرَض الشاعر المشبَّه بالرَّقّ؛ لأنّ الرَّقّ هو الذي وقع خبرًا لـ"كأنّ"، فوجبَ أن يكون اسمُها هو المُشبَّه.

و"الرامِسات": الريح التي تهيج[5] الرَّمْس.

---

[1] ن: مطع.
[2] ر ن: بمقته.
[3] للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ٣١، بلفظ: "عليه خصير نمّقته"...
[4] ن: لكن.
[5] ن: برسح.

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ قيل: هم الزِّنْجُ، والسِّتْرُ: الأبنيةُ.

وعن كعبٍ: أرضُهم لا تُمسِكُ الأبنيةَ وبها أسرَابٌ، فإذا طلعتِ الشمسُ دخلوها، فإذا ارتفع النَّهارُ خرجوا إلى معايشهم.

وعن بعضهم: خرجتُ حتى جاوزتُ الصين، فسألتُ عن هؤلاء فقيل: بينك وبينهم مسيرةُ يومٍ وليلةٍ، فبَلَغْتُهم فإذا أحدُهم يَفرشُ أُذُنَه ويَلْبَسُ الأُخرى، ومعي صاحبٌ يعرف لسانَهم فقالوا له: جئتَنا تنظرُ كيف تطلُعُ الشمس؟ قال: فبينا نحن كذلك إذ سمِعْنا كهيئةِ الصَّلصَلة، فغُشِيَ عليَّ ثم أفَقْتُ وهم يمسحونني بالدُّهن، فلمَّا طلَعَتِ الشمسُ على الماء إذا هي فوقَ الماء كهيئةِ الزَّيت، فأدخلونا سَرَبًا لهم، فلمَّا ارتفع النهارُ خرجوا إلى البحرِ فجعلوا يصطادونَ السمك ويطرحونَه في الشمس فيَنضَجُ لهم.

وقيل: السِّتْر اللباس، وعن مجاهد: مَن لا يَلبَسُ الثيابَ من السُّودان عند مطلعِ الشمس أكثرُ من جميع أهل الأرض.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: أَمْرُ ذي القرنين كذلك؛ أي: كما وصفناه؛ تعظيمًا لأمرِهِ ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنودِ والآلاتِ وأسبابِ الملك ....

قوله: (في مَعايشهم) المَعايش: جمع مَعيشة، والمَعيشة:[١] ما يُعاش به. فالمعنى: إلى طَلَب مَعايشهم، وذلك بصيد السمك أو بغيره.

قوله:[٢] (نحن كذلك) أي: في أثناء الكلام.

قوله: (الصَّلْصَلة) صَلْصَلة اللِّجام: صوته إذا ضُوعِف.[٣]

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمرُ[٤] ذي القرنَين) تفسير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هو[٥] على هذا الوجه[٦] خبر مبتدأ محذوف، وعلى البواقي سيُكتب.

---

[١] ن – والمعيشة.
[٢] ن: قو.
[٣] الصحاح للجوهري، «صلل».
[٤] ن: احو.
[٥] ن: وهو.
[٦] ن – الوجه.

﴿خُبۡرٗا﴾ تكثيرًا لذلك.

وقيل: لم نَجْعل لهم من دونها سِتْرًا مثلَ ذلك السِّتر الذي جعَلْنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأَكْنان من كلِّ جنسٍ، والثيابِ من كلِّ صنفٍ.

وقيل: بلَغَ مَطْلِعَ الشمس مثلَ ذلك؛ أي: كما بلَغَ مَغْرِبها.

وقيل: تَطْلُعُ على قومٍ مِثْلِ ذلك القَبيل الذي تَغْرُبُ عليهم، يعني: أنهم كَفَرةٌ مثلُهم وحكمُهم مثلُ حُكْمهم في تعذيبه لمَن بقي منهم على الكفر وإحسانِه إلى مَن آمَنَ منهم.

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝٩٣﴾

﴿بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾: بين الجبلينِ، وهما جبلانِ سدَّ ذُو القرنين ما بينهما.

قرئ بالضمِّ والفتح، وقيل: ما كان مِن خَلْقِ الله تعالى فهو مضمومٌ، وما كان مِن عَمَل العباد فهو مفتوحٌ؛ لأن السُّدَّ بالضم فُعْلٌ بمعنى مفعولٍ؛ أي: هو ممَّا فعَلَه الله تعالى وخَلقَه، والسَّدُّ بالفتح مصدرٌ حَدَثٌ يُحدِثه الناسُ.

وانتصَبَ ﴿بَيۡنَ﴾ على أنه مفعولٌ به مبلوغٌ؛ كما انجرَّ على الإضافة في قوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾ وكما ارتَفَعَ في قوله: ﴿لقد تقَطَّعَ بينُكم﴾ [الأنعام ٦/٩٤]؛ لأنه من الظروف التي تُستعمل أسماءً وظروفًا.

قوله: (تكثيرًا لذلك)[1] أي: ذكره تكثيرًا، فيكون "تكثيرًا" مفعول له، وكذلك "تعظيمًا".

قوله: (وقيل: ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ مِثلَ)... إلخ على الوجه الثاني يكون قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفة ﴿سِتۡرٗا﴾، وعلى الثالث صفة مصدر محذوف، وعلى الرابع صفة ﴿قَوۡمٖ﴾.

قوله: (مصدر حَدَثٍ) أي: مصدر لمعنى[2] الحَدَث.

---

[1] ن: كذلك.

[2] ن: بمعنى.

وهذا المكانُ في مُنقطَعِ أرضِ التُّرك ممَّا يلي المشرقَ.

﴿مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾: هم التُّرك ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لا يكادون يَفْهَمونه إلا بجُهدٍ ومشقَّةٍ من إشارةٍ ونحوِها كما يُفهَم البُكْمُ.

وقرئ: ﴿يُفْقِهون﴾؛ أي: لا يُفهِمُون السامعَ كلامَهم ولا يبيّنونه؛ لأن لغتَهم غريبةٌ مجهولةٌ.

﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

﴿ياجُوج وماجُوج﴾: اسمان أعجميَّان بدليلِ منعِ الصَّرف، وقُرئا مهموزين.

وقرأ رُؤبةُ: "آجوج وماجوج".

وهما من ولد يافثٍ، وقيل: يأجوجُ من التُّرك، ومأجوج من الجِيلِ والدَّيلم.

﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناسَ.

وقيل: كانوا يخرجون أيامَ الربيع فلا يَتركون شيئًا أخضَرَ إلَّا أكلوه، ولا يابسًا إلا احتَمَلوه، وكانوا يلقَوْن منهم قتلًا وأذًى شديدًا.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صِفَتِهم: «لا يموتُ أحدٌ منهم حتى ينظُرَ إلى ألفِ ذَكَرٍ من صُلْبِهِ كلُّهم قد حَمَل السلاحَ».

وقيل: هم على صِنفين: طِوَالٌ مُفرِطو الطولِ، وقصارٌ مُفرِطو القصَر.

قرئ: ﴿خَرْجًا﴾ و: ﴿خَرَاجًا﴾؛ أي: جُعْلًا نُخرِجُه من أموالنا، ونَظيرهما: النَّوْل والنَّوَال.

وقرئ: ﴿سَدًّا﴾ و: ﴿سُدًّا﴾ بالفتح والضمّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾: ما جَعَلني فيه مَكينًا من كثرةِ المال واليَسار خيرٌ مما تبذلون لي من الخَراج، فلا حاجة بي إليه؛ كما قال سليمان صلوات الله عليه: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل ٢٧/٣٦].

قرئ بالإدغام وبفكّه.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بفَعَلَةٍ وصُنَّاع يُحسِنونَ البناءَ والعملَ وبالآلات.

﴿رَدْمًا﴾: حاجزًا حصينًا موَثَّقًا، والرَّدْم أكبرُ من السدِّ، من قولهم: "ثوبٌ مردَّم رقاعٌ فوقَ رقاعٍ".

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾

قيل: حَفَر للأساس حتى بلغ الماء، وجَعل الأساسَ من الصخر والنُّحاس المُذاب والبنيانَ من زُبَر الحديد، بينهما الحطبُ والفحْمُ، حتى سدَّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضَعَ المنافيخَ حتى إذا صارت كالنار صبَّ النُّحاسَ المذابَ على الحديد المُحمى، فاختَلَط والْتَصَق بعضُه ببعضٍ وصار جَبلًا صَلدًا.

قوله: (بالادّغام، وبفكّه) كلاهما مِن[1] السبعة.[2]

قوله تعالى: ﴿خُبْرًا﴾ أي: علمًا. يقال: مِن أينَ خَبِرتَ هذا الأمر؟[3] أي: مِن أين علِمتَ؟ والاسم: الخُبْر بالضمّ،[4] وهو العلم بالشيء، والخبير: العالِم.[5]

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ﴿خُبْرًا﴾ تمييز مِن النسبة، أي: أحاطَ عِلمُنا.[6]

قوله: (بفَعَلة)[7] أراد البنّائين.

قوله: (مِن زُبَر الحديد) الزُّبْرة: القطعة مِن الحديد، والجمع: زُبَر، قال الله تعالى: ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾.

---

١ ن: في.

٢ قرأ ابن كثير ﴿مَكَّنَنِي﴾ بفكّ الإدغام، أي: بنونين خَفيفتين، وهو كذا في مصاحف أهل مكّة، وقرأ باقي العشرة ﴿مَكَّنِّي﴾ بالإدغام، وهي في مصاحفهم بنون واحدة. النشر لابن الجزري، ٣٠٣/١.

٣ ن – الأمر.

٤ ن: بالفم.

٥ ن: القايم. | وقعت هذه الحاشية في هامش د.

٦ ر – في "الذيول"، واسم المكان لا يعمل، فلذلك قُدِّر حتّى صحّت الجَنْبتان... قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ﴿خُبْرًا﴾ تمييز مِن النسبة، أي: أحاطَ علمُنا. | وقعت هذه الحاشية في هامش د.

٧ ر ن: بفعله.

وقيل: بُعدُ ما بين السدَّين مئةُ فرسخٍ.

وقرئ: "سوَّى" و: "سُووِيَ".

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنَّ رجلًا أخبره به، فقال: «كيف رأيتَه؟» قال: كالبُرد المُحَبَّرِ طريقةٌ سوداءُ وطريقةٌ حمراءُ، قال: «قد رأيتَه».

و"الصدَّفَان" بفتحتين: جانبا الجبلين؛ لأنهما يتصادفان؛ أي: يتقابلان، وقرئ: ﴿الصُّدُفين﴾ بضمتين، و﴿الصَّدْفين﴾ بضمَّةٍ وسكون، و"الصَّدُفَين" بفتحةٍ وضمَّةٍ.

والقِطرُ: النُّحاسُ المذابُ؛ لأنه يَقْطُرُ.

و﴿قِطْرًا﴾ منصوبٌ بـ﴿أُفْرِغْ﴾ وتقديره: آتوني قِطرًا أُفْرِغْ عليه قِطْرًا، فحُذِف الأولُ لدِلالة الثاني عليه، وقرئ: ﴿قَالَ ائْتُونِي﴾؛ أي: جيئوني.

قوله: (وقُرئ: "سَوَّى" و"سُووِيَ")[1] هما مِن الشواذِّ.

قوله: (كالبُرد المُحبَّر) أي: المُنَقَّش، والتَّحبير: التَّزيِين. قال في المُغرب: «الحِبَرة -على مِثال العِنَبة-: بُرْدٌ يَمانٍ، والجمع: حِبَر وحِبَرات، وعن اللَّيث: بُرْدُ حِبَرةٍ، وبُرُودُ حِبَرةٍ، على الإضافة لِضَرْب مِن البُرود اليَمانية، وليس 'حِبَرة' موضعًا أو شيئًا معلومًا، إنَّما[2] هو وَشْيٌ مَأخوذ مِن التَّحبير؛ التَّزيِين».[3]

قوله: (وقُرئ: ﴿ٱلصُّدُفَيْنِ﴾)... إلخ[4] "الصَّدْفَينِ" بفتح الصاد وسكون الدال،[5] والباقي مِن السبعة.[6]

---

[1] قراءة "سَوَّى" بالتشديد شاذَّة، مرويّة عن قتادة. وكذا "سُووِيَ" مبنيًا للمفعول قراءة شاذَّة، مرويّة عن ابن أبي أميّة عن أبي بكر عن عاصم. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٩٤؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٢٢٧/٧ (الكهف، ٩٦/١٨).

[2] ر: لهما.

[3] المُغرب للمطرّزي، «حبر».

[4] ن - ﴿ٱلصُّدُفَيْنِ﴾)... إلخ.

[5] قراءة شاذّة، مرويّة عن جُندب. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ٢٩٤.

[6] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر: ﴿ٱلصُّدُفَيْنِ﴾ بضمّ الصاد والدال، وروى شعبة عن عاصم: ﴿ٱلصُّدْفَيْنِ﴾ بضمّ الصاد وإسكان الدال، وقرأ باقي العشرة: ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بفتحهما. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٦/٢. | وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بمعنى سوّى، أي: سوّى ذو القرنين بين الجبلين. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٢٠٥/٥ (الكهف، ٩٦/١٨).

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ بحذفِ التاء للخفَّة؛ لأن التاء قريبةُ المخرج من الطاء.

وقرئ: "فما اصْطَاعوا" بقلب السين صادًا.

وأمَّا مَن قرأ بإدغامِ التاء في الطاء فمُلاقٍ بين ساكنَين على غيرِ الحدِّ.

﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: أن يَعْلُوه؛ أي: لا حيلةَ لهم فيه من صعودٍ لارتفاعه وانْمِلاسهِ، ولا نَقْبٍ لصَلَابتِه وثَخَانتِه.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى السدِّ؛ أي: هذا السدُّ نعمةٌ من الله و﴿رَحْمَةٌ﴾ على عباده، أو: هذا الإقدارُ والتمكينُ من تسويتِهِ.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ يعني: فإذا دنا مجيءُ يومِ القيامة وشارَفَ أن يأتيَ جَعَل السدَّ ﴿دكًّا﴾؛ أي: مدكوكًا مبسوطًا مُسوًّى بالأرض، وكلُّ ما انْبَسَط بعد الارتفاعِ فقد اندكَّ، ومنه "الجَملُ الأدَكُّ": المُنبَسِطُ السنام، ....

قوله: (﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ بحذف التاء) سبعة.[1]

قوله: (وقُرِئَ: "فَمَا اصْطَاعُوا")[2] شاذّ.[3]

قوله: (بإدّغام التاء) سبعة.[4]

قوله: (فإذا دَنا مَجيء يوم القيامة) فسّر قوله تعالى: ﴿جَآءَ﴾ بقوله: "دَنا"؛[5] لأنّ جَعْلَه دَكًّا يكون قبل مَجيء يوم القيامة، لا يومَ القيامة.

[1] بها قرأ جمهور العشرة غير حمزة الزيّات. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٦/٢.

[2] ر: استطاعوا.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٩٥؛

[4] أي: ﴿فَمَا ٱسْطَّٰعُوٓاْ﴾. قرأ بها حمزة الزيّات. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٦/٢.

[5] وفي هامش د: استُعير الحاصل -وهو ﴿جَآءَ﴾- لِما هو الداني -أي: دنوّ المجيء- بجامع حصول الأسباب.

وقرئ: ﴿دَكَّآءَ﴾ بالمدِّ؛ أي: أرضًا مستويةً.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ آخرُ حكايةِ قولِ ذي القرنين.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا﴾: وجَعَلْنا ﴿بَعْضَهُمْ﴾: بعضَ الخلقِ ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾؛ أي: يَضْطَرِبون ويختلِطون إِنسُهم وجِنُّهم حَيَارَى، ويجوزُ أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجُون مما وراء السدِّ مُزْدَحِمينَ في البلاد.

وروي: يأتون البحر فيَشرَبون ماءه ويأكلون دوابَّهُ، ثم يأكلون الشجر ومَن ظَفِرُوا به مِمَّن لم يتحصَّنْ منهم من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكةَ والمدينةَ وبيتَ المقدس، ثم يَبعثُ الله نَغَفًا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾: وبَرَّزناها لهم فرأَوْها وشاهَدوها.

﴿عَن ذِكْرِي﴾: عن آياتي التي يُنظَرُ إليها فأُذكَرُ بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمُّلِ معانيه وتبصُّرِها ونحوُه: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة ١٨/٢].

قوله: (وقُرئ: ﴿دَكَّآءَ﴾)[١] قال رضي الله عنه:[٢] «قرأ إمامُ المَقام بمكّة: ﴿دَكَّآءَ﴾ ونَوَّنها، فقلتُ: قرأتَ[٣] ﴿دَكَّآءَ﴾ فنَوَّنتَها، ما بالُ فَعْلائِكم تَنصرِف؟ فَعلاؤُنا لم تَنصرِف مرّةً، ما للفَعالِي طَفِقَت تختلف؟».[٤]

قوله: (يَبعثُ الله نَغَفًا) النَّغَف: دُودة تكون في أُنُوف الغَنَم.[٥]

---

١ قرأ: ﴿دَكًّا﴾ بالتنوين نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر، وقرأ باقي العشرة: ﴿دَكَّآءَ﴾ بالمدّ والهمز مفتوحًا مِن غير تنوين. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٧١/٢.

٢ د: رحمه الله.

٣ ر ن – قرأت.

٤ ر: يختلف.

٥ انظر: لسان العرب لابن منظور، «نغف».

﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ يعني: وكانوا صمًّا عنه إلّا أنه أبلغ؛ لأن الأصمَّ قد يستطيعُ السمعَ إذا صِيح به وهؤلاء كأنهم أُصمِيتْ أسماعُهم فلا استطاعةَ بهم للسَّمْع.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هم الملائكة، يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء؛ كما حَكَى عنهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ ٣٤/٤١].

وقرأ ابن مسعود: "أفَظَنَّ الذين كفروا".

وقراءة عليّ رضي الله عنه: "أفحسْبُ الذين كفروا"؛ أي: أفكافِيهم ومُحسِبُهم أن يتّخذوهم أولياء، على الابتداء والخبر، أو على الفعل والفاعل؛ لأن اسمَ الفاعل إذا اعتمَد على الهمزة ساوى الفعلَ في العمل؛ ....

قوله: (أُصْمِتَت)[1] أُحكِمَت.[2]

قوله: (على الابتداء والخبر)... إلخ يريد أنّه يجوز أن يكون "أَفَحَسْبُ"[3] مبتدأ مضافًا إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، و﴿أَن يَتَّخِذُوا۟﴾ فاعلًا استغنى / عن الخبر، [٩٨ظ]
وهذا هو المراد بقوله: (على الفعل)، فإنّ الصفة إذا وقعت بعد حرف النفي والاستفهام تكون بمعنى الفِعل، فلهذا أطلق عليه "الفعل[4] والفاعل"، يدلّ عليه قوله: (لأنّ)... إلخ. ويجوز أن يكون ﴿أَن[5] يَتَّخِذُوا۟﴾ مبتدأ، و"أَفَحَسْبُ" خبرَه مقدّمًا، فهذا التركيب مثل قولك: أقائِمٌ زيد.

---

[1] في مطبوع الكشّاف: أصميت.

[2] وفي هامش د: قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ الفاء عطفٌ على مقدّر، أي: أكانوا صمًّا فحسبوا، فعلى هذا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير.

[3] يعني على القراءة المرويّة عن عليّ رضي الله عنه، وتُروى كذلك عن الحسن ومجاهد وعاصم ويعقوب، وهي قراءة شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٩٥.

[4] د ر – فإنّ الصفة إذا وقعت بعد حرف النفي والاستفهام تكون بمعنى الفِعل، فلهذا أطلق عليه الفعل. | ووقعت هذه الجملة في هامش د.

[5] ر – والفاعل"، يدلّ عليه قوله: (لأنّ)... إلخ. ويجوز أن يكون ﴿أَن﴾.

كقولك: أقائمٌ الزيدان، والمعنى: أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعُهم عند الله كما حَسِبوا، وهي قراءةٌ محكَمةٌ جيِّدةٌ.

"النُّزُلُ": ما يقام للنَّزيل وهو الضيف، ونحوُه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٣/٢١].

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾: ضاعَ وبَطَل وهم الرُّهبانُ، عن عليٍّ رضي الله عنه؛ كقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية ٨٨/٣].

وعن مجاهد: أهل الكتاب.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أن ابن الكوَّاء سأله عنهم فقال: منهم أهلُ حَرُوراء.

وعن أبي سعيد الخدريِّ: يأتي ناسٌ بأعمالٍ يوم القيامة هي عندهم في العِظَم كجبالِ تِهامَةَ، فإذا وزَنُوها لـم تَزِنْ شيئًا.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: فنَزْدَرِي بهم ولا يكونُ لهم عندنا وزنٌ ومقدارٌ.

قوله: (كقولك: أقائمٌ الزيدان) وإنّما مثَّلَ به دون قولك: أقائمٌ زيدٌ؛ لأنّه أرادَ أن يُمثِّل بما يتعيَّن فيه عمل اسم الفاعل في الظاهر بعده.

قوله: (تِهامة) التَّهَم: شدّة الحرّ وسكون الريح، وبذلك سمّيت تِهامة.[١]

---

[١] ن – التَّهَم: شدّة الحرّ وسكون الريح، وبذلك سمّيت تِهامة. | مجمل اللغة لابن فارس، «تهم». | وفي هامش د: قوله: (لم تَزِن شيئًا) وَزَنتُ الشيءَ وَزْنًا وزِنةً. وهذا يَزِن درهمًا. ودرهمٌ وازِنٌ، أي: تامّ. وقال:

مثلُ العصافير أحلامًا ومَقدرةً
لـو يوزَنـونَ بزِفِّ الريشِ ما وَزَنوا

والزِّفّ -بالكسر-: صِغار الريش. صحاح. | الصحاح للجوهري، «وزن».

والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة: أن لا يُرائيَ بعَمَلِهِ، وأنْ لا يبتغيَ به إلا وجهَ ربّه خالصًا لا يَخلطُ به غيره.

وقيل: نزلت في جُندُب بن زُهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنِي أَعْمَل العمل لله فإذا اطُّلِعَ عليه سَرَّني؟ فقال: «إنَّ الله لا يَقبلُ ما شُورِكَ فيه».

وروي أنه قال: «لك أجران: أجرُ السِّر وأجرُ العلانيَة» وذلك إذا قصَد أن يُقْتدَى به.

وعنه صلى الله عليه وسلم: «اتَّقوا الشِّرْكَ الأصغرَ» قالوا: وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «الرياء».

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ الكهفِ من آخِرِها كانت له نورًا مِن قَرْنه إلى قَدَمِه، ومَن قرأها كلَّها كانت له نورًا من الأرضِ إلى السماء».

وعنه صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ عند مَضْجعه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ كان له في مضجعه نورًا يتلألأ إلى مكة حشوُ ذلك النور ملائكةٌ يُصلُّون عليه

قوله: («لا يقبلُ ما شُورِكَ فيه»)[1] يعني: أنّك لو كنت فعلتَ ذلك ليَطَّلع الناس عليه ويَحمَدونك ويَخدُمونك ويُحبُّونك ويطيعون أمرَك يكون ذلك شِركًا غيرَ مقبول، وأمّا إن كنت فعلته خالصًا لله تعالى فلا يكون مِن الشِّرك؛ بل لك ثواب الدارين كما دلّ عليه الرواية الأخرى.[2]

قوله: («مَن قرأ سورة الكهف مِن آخرها»)[3] هو مِن قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا﴾.

---

١ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٠٦/١٧ (الكهف، ١١٠/١٨)؛ أسباب النزول للواحدي، ص ٣٠٧. وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٣١٣/٢.

٢ يعني: قوله عليه الصلاة والسلام: «لك أجران: أجر السرّ، وأجر العلانية». وهو في سنن الترمذي، ١٧٢/٤ (٢٣٨٤)؛ وسنن ابن ماجه، ٣٠٥/٥ (٤٢٢٦).

٣ في مسند أحمد، ٣٩٠/٢٤ (١٥٦٢٦)؛ وعمل اليوم والليلة لابن السنّي، ص ٦٢٨، بلفظ: «مَن قرأ أوّل سورة الكهف وآخرها كانت له نورًا»... الحديث.

حتى يقوم، وإن كان مضجعُه بمكة كان له نورًا يتلألأ من مضجعه إلى البيتِ المعمور حشوُ ذلك النور ملائكةٌ يصلُّون عليه حتى يستيقظ».

قوله: («حشو ذلك النُّور»)[1] أي: بينَه وفي وسَطه.

تمّت سورة الكهف بحمد الله تعالى ومنّه وكرَمه.[2]

---

[1] نحوه في مسند البزّار، ٤٢١/١ (٢٩٧).

[2] ر - بحمد الله تعالى ومنّه وكرَمه؛ ن - وكرمه.

سورة مريم

مكيةٌ، وهي تسعون وثماني أو تسعُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾

بفتح الهاءِ وكسر اليّاء حمزةُ، وبكسرهما عاصمٌ، وبضمِّهما الحسنُ.

وقرأ الحسنُ: "ذَكَّرَ رحمةَ ربِّك"؛ أي: هذا المتلوُّ من القرآن ذكَّر رَحمَةَ رَبِّك.

وقُرِئَ: "ذكِّرْ" على الأمرِ.

سورة[1] مريم

بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ تمِّم بالخير[2]

قوله: (وكسرِ الياء) يريد بـ"الكسر": الإمالة، مِن: كَسَرتِ العُقابُ إذا أمالت جناحَها للانقضاض.

قوله: (وبضمِّهما)[3] أي: بجعلهما بينَ بينَ.[4]

قوله: (مِن القرآن) بيان ما.[5]

---

[1] ن: سر سورة.

[2] ف: ربِّ يسِّر؛ ن - ربِّ تمِّم بالخير.

[3] ن: وبضمّها.

[4] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: قرأ أبو عمرو البصري بإمالة الهاء وحدها، وقرأ ابن عامر الشامي وخلف وحمزة بإمالة الياء وحدها، وأمال شعبة والكسائي الهاء والياء معًا، وقلّلهما معًا نافع في أحد الوجهين، وفتحهما باقي القرّاء العشر. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٧١؛ والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي، ١/١٩٨.

[5] كذا في الأصول الخطّيّة، ولعلّ أصل العبارة: "بيان ما تقدّم"، يرجّحه قول ابن جنّي عقِب ذكره قراءة الحسَن: «فاعل "ذَكَّرَ" ضمير ما تقدم، أي: هذا المتلوُّ مِن القرآن الذي هذه الحروف أوّلُه وفاتحته يُذَكِّرُ رحمةَ ربّكَ». المحتسب لابن جنّي، ٩/٥٦١.

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾

راعَى سنَّةَ الله في إخفاءِ دعوته؛ لأنَّ الجهر والإخفاء عند الله سِيَّانِ، فكان الإخفاء أَوْلَى؛ لأنه أبعدُ من الرياء وأدخلُ في الإخلاص.

وعن الحسن: نِداءً لا رِيَاءَ فيه.

أو أخفَاه لئلَّا يُلامَ على طلَب الولد في إبَّان الكَبرةِ والشَّيخوخَةِ.

أو أَسرَّهُ مِن مَواليهِ الذين خافَهم، أو خَفَتَ صَوتُه لضعْفِه وهَرَمِهِ كما جاء في صِفةِ الشيخ: صوتُه خُفاتٌ وسَمْعُه تاراتٌ.

واختُلِفَ في سنِّ زكريا عليه السلام فقيل: ستُّون، وخمسٌ وستُّون، وسبعون، وخمسٌ وسبعون، وخمسٌ وثمانون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾

قرئ ﴿وَهَنَ﴾ بالحَركات الثَّلاث، وإنما ذَكَر العَظْمَ؛ لأنه عَمُودُ البدن وبه قِوامُه وهو أصل بنائه، ....

قوله: (لأنَّ الجَهر والإخفاء) بيان أنَّه سنَّة. وقوله: (عند الله) أي: في علمِه؛ لأنَّه يسمع كلَيهما ويعلمُهما، وإذا كانا[1] في علمه سِيّان كان الإخفاء...[2]

قوله: (في إبّان الكَبْرة) أي: وقت الكَبْرة، و"الكَبْرة" على وزن العَثْرة.[3]

قوله: (مِن مواليه) والموالي: بنو العمّ.

قوله: (أو خفَت صَوتُه) خفَت الصوت خُفوتًا: سكَن. وقوله: (صَوتُه خُفاتٌ) أي: ضعيف الاستماع. وقوله:[4] (وسمعُه تاراتٌ) أي: مَسموعه يحتاج إلى التكرير.

قوله: (واختلف في سِنّ زكريّا)... إلخ، وقال في سورة آل عمران: "إنّه كانت له تِسع وتسعون سنةً".[5]

---

[1] ن: كان.

[2] وفي هامش د: أولى. | هذا بيان ما حذَفه الجاربردي.

[3] ن: العشرة.

[4] ن: قوله.

[5] انظر قول الزمخشري في سورة آل عمران، ٣٩/٣.

فإذا وَهَن تَداعى وتسَاقَطتْ قُوَّتُه؛ ولأنه أشدُّ ما فيه وأصلبُه، فإذا وَهَن كان ما وراءه أَوْهَنَ.

ووَحَّدَه؛ لأن الواحِد هو الدالُّ على معنى الجنسية، وقَصْدُهُ إلى أنَّ هذا الجنسَ الذي هو العمودُ والقِوام وأَشَدُّ ما تركَّبَ منه الجسَدُ قَدْ أصَابه الوَهْنُ، ولو جَمَع لكان قصدًا إلى مَعْنًى آخر، وهو أنه لم يَهِنْ منه بعضُ عظامِه ولكِنْ كلُّها.

إدغام السين في الشينِ عن أبي عمرو.

شبَّه الشَّيْبَ بشُواظِ النار في بَياضِهِ وإنارَتِه، وانتشارَه في الشَّعْر وفشوَّه فيه وأخذَه منه كلَّ مأخذٍ باشتعالِ النَّار، ثم أَخْرَجَه مُخْرَجَ الاستعارة، ثم أَسْندَ الاشتعالَ إلى مكانِ الشَّعر ومَنبِتِه وهو الرأسُ.

وأَخرج الشَّيْب مُميِّزًا ولم يُضِفِ الرأسَ اكتفاءً بعِلْم المخاطَبِ أنه رأسُ زكريا، فمِن ثَمَّ فَصُحَتْ هذه الجملةُ وشُهِد لها بالبلاغة.

قوله: (تداعَى) أي: تمايل. تداعَت الحيطان إذا تهامَتْ.[١]

قوله: (بشُواظ النار) الشُّواظ: اللَّهب.

قوله: (شبَّه الشيب)... إلخ، يريد أنّه تُركت الحقيقة في "شاب رأسي" إلى أبلغ، وهو الاستعارة، فالاستعارة أبلغ مِن الحقيقة، فحصل: "اشتعل شيب رأسي"، ثمّ تُركت[٢] إلى أبلغ، وهي:[٣] "اشتعل رأسي شيبًا"، وكونُها أبلغ مِن جِهات: إحداها: / إسناد الاشتعال إلى الرأس؛ لإفادة شمول الاشتعال الرأس، إذ [٩٩و]
وِزان: "اشتعل شيبُ رأسي" و"اشتعل رأسي[٤] شيبًا" وِزان: اشتعل النار في بيتي، واشتعل بيتي نارًا، والفَرْق نيِّرٌ. وثانيتها:[٥] الإجمال والتفصيل في طريق التمييز. وثالثتها:[٦] تنكير ﴿شَيْبًا﴾ لإفادة المبالغة. ثم تُرِك: "اشتعل رأسي شيبًا" لتوَخّي مزيد التقرير[٧] بسلوك طريق الإجمال والتفصيل إلى "اشتعل الرأس منّي شيبًا"،

---

[١] ف: تهادمت.
[٢] ن: تركب.
[٣] ف + إلى.
[٤] ن - واشتعل رأسي.
[٥] ن: وثانيها.
[٦] ن: وثالثها.
[٧] ن: التقدير.

﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ توسَّل إلى الله بما سَلَف له معه من الاستِجَابةِ، وعن بَعضِهِم: أنَّ مُحتاجًا سَألهُ وقال: أنَا الذي أحسَنْتَ إليَّ وقتَ كذا، فقال: مَرْحبًا بمن توسَّل بنا إلينا، وقَضَى حَاجَتَهُ.

﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾

كان مواليهِ -وهُم عَصَبَتُه: إخوتُه وبنو عمِّه- شِرَارَ بني إسرائيل، فخافَهم على الدِّين أن يُغيِّروه ويُبَدِّلُوه، وأن لا يُحْسِنوا الخِلافة على أُمَّته، فطَلب عَقِبًا مِن صُلْبه صالحًا يَقتَدِي به في إحياءِ الدِّين ويَرتسِمُ مَراسِمَه فيه.

على نحو: ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾، ثمّ تُرِك لفظ "منّي" لقرينةِ عَطف ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ﴾ على ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾[١] لمزيد التقرير، وهي إيهام حَوالة تأدية مفهومه[٢] على العقل دون اللفظ.[٣]

قوله: (توسَّل إلى الله تعالى) يريد قوله: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾، أي: توسَّل زكريّا إلى الله تعالى بما مضى لله تعالى مع زكريّا، وهو أنّه استجاب دعاءه[٤] فيما مضى، فكأنّه[٥] قال: قد أجبتَ دعائي فيما مضى، فأجب هذا الدعاء أيضًا.

قوله: (وعن بعضهم) هو ابن[٦] مَعنِ بن زائدة أحدِ أجواد العرب.[٧]

قوله: (شِرارَ بني إسرائيل) خبر "كان".

قوله: (أن يغيّروه) بدل مِن "الدِّين" بدل اشتمال. وقوله: (وأن لا يُحسِنوا) عطف على "الدِّين".

قوله: (يَقتدي به) أي: بزكريّا. وقوله: (ويرتَسِم) رسمْتُه فارتَسَم، أي: امتثَل.

---

١ ف + ثم تُرِك لفظ "منّي" لقرينةِ عَطف ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ﴾ على ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾؛ ن - ثم تُرِك لفظ "منّي" لقرينةِ عَطف ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ﴾ على ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾.

٢ ن: مفهومة.

٣ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ٢٨٦/١.

٤ ن: دعاؤه.

٥ ف: وكأنّه.

٦ كذا في الأصول الخطّيّة بزيادة "ابن"، والصواب إسقاطها. أو هي مُحرّفة عن "عن". انظر: تفسير الرازي، ٥٠٩/٢١ (مريم، ٤/١٩).

٧ عزا أبو حيّان القصّة إلى حاتم الطائي. انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٢٤٠/٧ (مريم، ٤/١٩).

﴿مِن وَرَآءِى﴾: بعدَ مَوتي. وقرأ ابن كثير: "مِن ورايَ" بالقَصْر.

وهذا الظرفُ لا يتعلَّقُ بـ﴿خِفْتُ﴾ لفسادِ المعنى، ولكنْ بمَحْذوفٍ، أو بمعنى الولاية في ﴿ٱلْمَوَٰلِىَ﴾؛ أي: خِفْتُ فِعْلَ المَوالي -وهو تبديلُهم وسوءُ خلافتِهم- من ورائي، أو: خفتُ الذين يَلُونَ الأمْرَ مِن ورائي.

وقرأ عثمان ومحمَّدُ بن عليٍّ وعليُّ بن الحسين رضي الله عنهم: "خَفَّتِ الموالي من ورائي"، وهذا على معنيين:

أحدهما: أن يكون ﴿وَرَآءِى﴾ بمعنى: خَلفِي وبعدي، فيتَعلَّقُ الظرفُ بـ﴿ٱلْمَوَٰلِىَ﴾؛ أي: قَلُّوا وعَجَزُوا عن إقامةِ أمرِ الدِّين، فسأل ربَّه تَقْوِيتَهم ومُظاهرتَهم بوَليٍّ يُرزَقُه.

والثاني: أن يكونَ بمعنى: قُدَّامي، فيتَعلَّقُ بـ"خَفَّت" ويُريدُ أنَّهم خَفُّوا قدَّامَه ودَرَجُوا ولم يَبْقَ منهم مَن به تَقَوٍّ واعتِضَادٌ.

﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تأكيدٌ لكونه وليًّا مرضيًّا بكونه مضافًا إلى الله تعالى وصَادرًا من عنده، وإلَّا "فهبْ لي وليًّا يَرِثُني" كافٍ، أو أراد: اختراعًا منك بلا سبَبٍ؛ لأنِّي وامْرَأتي لا نَصْلُحُ للولادة.

قوله: (أي: خِفْت فِعل الموالي)... إلخ، فيه لفٌّ ونَشر.

قوله: (وقرأ عثمان ومحمد بن عليٍّ وعليّ بن الحسين رضي الله عنهم أجمَعين)،[1] "خَفَّت": مِن الخِفَّة، أو مِن الخُفوف؛ وهو السَّير.

قوله: (ويريد: أنّهم خَفّوا قُدّامه) مِن الخُفوف، أي: السَّير.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قال بعضهم: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: راضيًا بقضائك، غير متسخّط[2] لأحكامك التي تمرّ على الإنسان مِن حيث الطَّبع.

---

[1] د ف – أجمعين. | وهي قراءة شاذّة، قال ابن جنّي في بيان معناها: «أي: قَلَّ بنو عمّي وأهلي». انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٣٧.

[2] ن: مستخط.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ الجزمُ جَوابُ الدعاء، والرفعُ صفةٌ، ونحوُه: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص ٣٤/٢٨]، وعن ابن عبّاس والجَحْدَريّ: "يَرِثُني وارِثَ آلِ يعقوبَ".

وعن الجَحدَري: "أُوَيْرِثَ" على تصغير وارثٍ، وقال: غُلَيِّمٌ صَغِيرٌ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه وجماعةٍ: "وارثٌ من آلِ يعقوبَ"؛ ....

قوله: (والرفع صِفة) وأمّا قراءة الرفع[1] فالأَولَى حَملها[2] على الاستئناف دون الوَصف؛ لئلا يلزم منه أنّه لم[3] يوهَب مَن وصف لِهلاك يحيَى قبل زكريّا.

قوله: (ونحوه: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾) ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص ٣٤/٢٨]، والرِدْءُ: العون.

قوله: (وعن ابن عبّاس والجَحْدَرِي: "يرِثُني وارِثَ")[4] أي: يرثُ عِلمي ويرثُ علمَ آل يعقوب أيضًا، وقوله: (وارثَ) حال، أي: يرثُني وهو وارثُ آل يعقوب، فإن قيل: كيف يُورَث العِلم والعَمل والنبوّة وهي أعراضٌ غير قابلة للانتقال؟ قلنا: يورَث مجازًا؛ لأنّ بعض الأحكام له حكم الجواهر، كالمنافع في باب الإجارة وغيرها.

قوله: (وقال: غُلَيِّم) أي: قال الجَحْدري.

قوله: (وعن عليّ رضي الله عنه)... إلخ، وعلى قراءة عليّ رضي الله عنه[5] يكون "يرِثُني وارِثٌ مِن آلِ يَعقوب" إمّا صفة "وليًا"، وإمّا جملة مستأنَفة، فكأنّه قيل: لِمَ تطلب وليًا؟ فقال: يرثني وارث مِن آل...، وفي هذا الكلام على كِلا الوجهين تعظيمٌ للوليّ، فكأنّك إذا جرّدت الوليَّ عن صفته المذكورِ بها حصل لك وارث مِن آل يعقوب، كما إذا أردت تعظيم زيد قلت: رأيت مِن / زيد أسدًا، [٩٩ظ]
فكأنّك إذا جرّدتَ زيدًا عن مشخّصاته ومعيّناته حصل لك مِنه حقيقة الأسد،

---

[1] قراءة الرفع قراءة الجمهور، وقرأ أبو عَمرو البصري والكسائي بجزم الفعلين: ﴿يَرِثْنِي وَيَرِثْ﴾. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٧/٢.

[2] ن - حملها.

[3] ن - لم.

[4] ذكر ابن جنّي لابن عبّاس والجَحدري وعليّ وغيرهم رضي الله عنهم قراءة واحدة، وهي: "يرِثُني وارثٌ مِن آل يَعقوب". انظر المحتسب لابن جنّي، ٣٧/٢.

[5] د - رضي الله عنه.

أي: يرثُنِي به وارثٌ، ويسمَّى: التجريدَ، في علم البيان.

والمرادُ بالإرث: إرثُ الشرع والعلم؛ لأن الأنبياءَ لا تُورِثُ المالَ.

وقيل: ﴿يَرِثُنِى﴾ الحُبُورَةَ، وكان حَبْرًا ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ المُلك، يقال: ورثُه وورِثتُ مِنه لغتَان.

وقيل: ﴿مِنْ﴾ للتبعيض لا للتعديةِ؛ ....

ولا بدّ في هذه القراءة مِن تقدير الضمير كما قدّر ليحصل الرَّبط، وليتحقق التعظيم بجعل الوليّ وارثًا مِن آل يعقوب.

قوله: (ويسمَّى: التجريد) "التَّجريد" عندهم: أن تُجرِّد الكلام عن ذكر اسم شيء ثانيًا ذكرته أوّلًا، كما تقول: جاءني فلان، وجاءني رجل كريم، ولا تريد به إلّا الأوّل، ولا تذكر اسمَه في الجملة الثانية، كما جُرِّد به ههنا عن ذكر الوليّ.

قوله: (لأنّ الأنبياء لا تُورِث) هو مِن "وَرِث"، يقال: وَرِث زيد أباه مالًا، يرث وِراثة، فزيد وارِث، والأب والمال كلاهما مَوروث، ومنه: «نحن معاشر الأنبياءِ لا نُورَث ما تركناه صَدقةٌ»،[١] فكأنّ المصنّف قال: لا تورَث منهم المال، وإنّما ذكَرتُ "منهم" مع أنّ "وَرِث" متعدٍّ بنفسه لزيادة بيان المعنى وتوضِيحه.

قوله: (وقيل: يَرثُني الحُبُورة)[٢] كأنّ "الحُبُورة" مصدر "حَبُر الرجل"، كقَضُوَ إذا تُعُجِّب مِن قَضائه.

قوله: (وقيل: ﴿مِنْ﴾ للتبعيض) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (يقال: وَرِثُه)... إلخ، فكأنّه قال: عدّاه بنفسه في ﴿يَرِثُنِى﴾ وبـ"مِن" في ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ﴾، ثمّ ذكَر وجهًا آخر؛ وهو أنّه ليس "مِن" للتّعدية[٣] كما في قولك: يرث مِن زيد؛ بل هو للتبعيض، فكأنّه قال: "يرثني ويرث بعضَ آل يعقوب"، وقوله:[٤] (وقيل: ﴿مِنْ﴾ للتبعيض) عطف على قوله: (يقال: وَرِثُه وورِثتُ منه، لغتان)؛[٥] لأنّه كان إشارة إلى أنّ "مِن" في ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ للتعدية.

---

[١] صحيح البخاري، ٧٩/٤ (٣٠٩٣)؛ صحيح مسلم، ١٣٧٩/٣ (١٧٥٨).

[٢] ن + الحبورة.

[٣] ن: التعدية.

[٤] ف ن: قوله.

[٥] ف: لعباره.

لأن آلَ يعقوب لم يكونوا كلُّهم أنبياءَ ولا عُلماءَ، وكان زكريا عليه السلام من نسْلِ يعقوبَ بن إسحاق.

وقيل: هو يعقوبُ بنُ ماثان أخو زكريا.

وقيل: يعقوبُ هذا وعِمرانُ أبو مريم أَخَوان من نسل سُليمان بن داوُد عليهم السلام.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾

قوله: (وقيل: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريّا) مخالف لِما ذكره في سورة آل عمران حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران ٣/٣٣]: «زكريّا ابن آذن[١] وعِمران بن ماثان كانا في عصر واحد، وقد تزوّج زكريّا بنتَه إيشاع أختَ مريم»، وأمّا قوله: (يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان) فأقرب إلى الصواب؛ لأنّ يعقوب هذا ابن ماثان كما أنّ عمران ابن ماثان، ويمكن أن يُقال على الوجه الأوّل: يعقوب بن ماثان أخو زكريّا مِن الأمّ لا مِن الأب؛ لكن يُشكل بقوله هناك:[٢] "تزوّج زكريّا بنتَ عِمران"، ويندفع الإشكال بأنّ يعقوب أخو عمران مِن الأب، وأخو زكريّا مِن الأمّ، وليس بين زكريّا وعِمران قرابة مانعة مِن المصاهرة بينهما. وقوله: (يعقوب هذا) "هذا"[٣] صفة "يعقوب".

قوله: (مِن نَسل سليمان بن داود) اعلم أنّ عمران بن ماثان هو أبو مَريم، وينتهي نسبه إلى يعقوب ابن إسحاق لما مرّ في آل عمران أنّ "عيسى بن مريم بنت عمران بن[٤] ماثان، ثم يرتفع نسبُ ماثان إلى سليمان بن داود بن إيشى،[٥] ويرتفع نسب إيشى[٦] إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق".[٧]

---

١ ن: ماذن.
٢ ن: هنالك.
٣ ن – هذا.
٤ ف – بن.
٥ ن: يشي.
٦ ف – ويرتفع نسب إيشي.
٧ انظر قول الزمخشري في سورة آل عمران، ٣/٣٤.

﴿سَمِيًّا﴾ لم يُسَمَّ أحَدٌ بيحيى قبلهُ، وهذا شاهِدٌ على أن الأسامِيَ الشُّنُعَ جديرةٌ بالأَثَرة، وإيَّاها كانَت العربُ تَنْتَحي في التَّسمية لكونها أَنْبهَ وأَنْوَهَ وأَنْزَهَ عَن النَّبَز، حتى قال القائل في مدحِ قومٍ:

شُنُعِ الأَسَامي مُسْبلِي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأرضَ بالهُدُبِ

وقال رُؤبة للنَّسَّابة البَكْرِي وقد سأله عن نسَبه: أنا ابن العَجَّاج، فقال: قَصَّرتَ وعَرَّفتَ.

وقيل: مِثْلًا وشبيهًا؛ عن مجاهدٍ؛ كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم ٦٥/١٩]، وإنما قيل للمِثْل: "سميٌّ" لأن كلَّ مُتَشاكِلَين يُسمَّى كلُّ واحدٍ منهما

قوله: (لم يُسمَّ أحد بـ"يَحيى") وقيل: سُمّي "يحيَى"؛ لأنّه حييَ به عُقْرُ أمّه؛ لأنّها كانت عقيمًا، وقيل: حَييَ بالطاعة فلم يعصِ الله قط، قال عليه الصلاة والسلام: «ما مِن نبيّ إلّا وقد همَّ أو ألَمَّ ليس يحيى بن زكريّا»،[1] و"ليس" بمعنى "إلّا"، ونظير "يحيَى" في العربيّة "يَعلى بن مُنبّه".[2]

قوله: (وهذا شاهد)؛ لأنّه لو لم يكن في الأسماء الشُنُعِ زيادة شرف وفضيلة لم يَقُل / في مَعرِض المَدح والتعظيم: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾. [١٠٠و]
وقوله: (الشُّنُع) أي: الغريبة. وقوله:[3] (بالأَثَرة) أي: الاختيار. وقوله: (تنتحي) أي: تقصد. وقوله: (أنْبَهَ) مِن النَّباهة؛ وهي الشُّهرة.[4] وقوله: (أَنْوَهَ) مِن قولهم: نوَّهَ باسمه إذا رفَع قدرَه. وقوله: (حتى قال القائل) وهو أبو نُواسٍ، وقوله:

(شُنُعُ الأسامي مُسْبِلِي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأرضَ بالهُدُبِ)[5]

"هُدُب الثّوب": طُرّتُه، وهو ما على أطرافه.

وقوله: (أنا ابن العجّاج) مقول، وقوله: (فقال) أي: النسّابة.

---

١ مسند الإمام أحمد، ١٤٥/٤ (٢٢٩٤)، بلفظ: «ما مِن أحدٍ مِن ولد آدم إلّا قد أخطأ أو همّ بخطيئة، ليس يحيى بن زكريّا».

٢ كذا في الأصول الخطّيّة: "يعلى بن مُنبّه" بالباءِ المشدّدة. ولعلّ الصواب: "يعلى بن مُنْيَة" -بالياء مخففًا- الصحابيّ. ومُنْية أمّه، ويقال: جدّته. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، ٣٩٩/١١.

٣ ن: قوله.

٤ ف: السهرة.

٥ ديوان أبي نواس، ٩٠/٥.

باسم المِثْلِ والشَّبيهِ والشِّكْلِ والنَّظير، فكلُّ واحدٍ منهما سَميٌّ لِصاحبه، ونحوُ "يحيَى" في أسمائهم: يَعْمُرُ ويَعيشُ، إن كانت التَّسميةُ عربيَّةً، وقد سَمَّوا بـ"يَمُوت" أيضًا، وهو يمُوتُ بن المُزرِّعِ.

قالوا: لم يكن له مِثلٌ في أنه لم يَعْصِ ولم يَهُمَّ بمَعْصِيَةٍ قَطُّ، وأنه وُلِدَ بين شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقرٍ، وأنَّه كانَ حَصُورًا.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾

أي: كانت على صفةِ العُقْر حِين أنَا شابٌّ وكهلٌ فما رُزِقتُ الولدَ لاختلالِ أحد السبَبين، أفحِين اختَلَّ السببان جَميعًا أُرْزَقُه؟!

فإن قلتَ: لِمَ طَلَب أوَّلًا وهو وامرأتُه على صِفةِ العُتِيِّ والعُقْرِ، فَلمَّا أُسْعِفَ بطَلِبَتِه استَبْعَدَ واستَعجَبَ؟

قلتُ: لِيُجابَ بما أُجيبَ به فيزدادَ المؤمنون إيقانًا ويرتَدِعَ المُبْطِلُون، ......

قوله: (إن كانت التسمية) أي: التسمية بـ"يحيَى".

قوله: (أي: كانت)... إلخ، هذا تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾. وتقديره على ما ذكره أن نقول: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ﴾ متعلِّق بـ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾، تقديره: أنّى يكون لي غلامٌ حين بلوغي عِتيًا مع أنّي لم يولَد غلامٌ حالَ شبابي وحالَ كُهولتي لكون امرأتي عاقرًا؟ وإذا لم يولد لي ولدٌ حال شبابي لعُقْر امرأتي فكيف يتولّد حال شيخوختي مع قِدَم عُقْرها وتمكُّن هذه الصفة منها ورسوخها وضَعف بدَني وسقوط قوَّتي؟ تأمّل ما فتحنا مُبهمَه تنَلْ كلَّ فائدة وتظفَر بكلِّ ذخيرة.

قوله: (وهو وامرأته) حال.

قوله: (فلمّا أُسعِف) أسعَفْتُ الرجل بحاجته إذا قضيتَها، والإسعاف: المُواتاة.[1]

قوله: (قلت: لِيُجاب بما أُجِيب) أي: إنّما كان طلب زكريّا لِيُجاب بقوله تعالى:

---

[1] المُواتاةُ: حُسْنُ المُطاوعةِ والمُوافقةِ. لسان العرب لابن منظور، «أتى».

وإلا فمُعْتقَدُ زكريا أوَّلًا وآخِرًا كان على مِنهاجٍ واحدٍ: في أن الله تعالى غَنيٌّ عن الأسبابِ.

أي: بلَغْتُ عُتيًا، وهو اليُبْسُ والجَساوة في المفاصل والعِظام كالعُود القَاحِل، يقال: عَتَا العُودُ وعَسَا، من أجلِ الكِبَر والطَّعنِ في السِّن العالية.

أو: بلَغْتُ من مدارجِ الكِبَر ومَراتِبه ما يُسمَّى عُتيًا.

وقرأ ابنُ وَثَّابٍ وحمزةُ والكسائيُّ بكسر العين، ....

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾... إلخ، فيحصل[1] الفائدة مِن ازدياد الإيقان والارتِداع، ولم يكن سؤاله للاستبعاد والاستعجاب.

قوله: (وإلّا فمعتَقَد زكريّا) أي:[2] وإن لم يُحمَل سؤاله على طلب الإجابة المذكورة وحُمِل على الاستبعاد والاستعجاب لا يستقيم؛ لأنّ معتَقَد[3] زكريّا كان على ما ذكَر. وقوله: "فمعتَقَد" يجوز أن يكون "مُعتَقَد" مصدرًا أو اسم مفعول. وقوله: (في أنّ الله غنيّ) إمّا حال مِن الضمير في قوله: (على مِنهاج) أو خبر ثانٍ لـ"كان"، أي: كان اعتقاده ثابتًا على مِنهاج واحدٍ، مستقِرًّا متمكّنًا في أنّ الله تعالى غنيّ عن الأسباب.

قوله: (أي: بلغت عُتيًا) أي: سِنًّا عالية.

قوله: (مِن أجل الكِبَر) يشير به إلى أنّ ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾ مثلُها في قولك: جئتك مِن أجل إكرامِك، أي: لأجل إكرامك، وتحقيقه: أنّ ﴿مِن﴾ ابتدائية، و﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾ مفعول له، ثمّ أشار بقوله: (أو بلغتُ مِن مدارج الكِبَر) إلى أنّ ﴿مِن﴾ يجوز أن يكون للتبعيض، ويكون قوله: ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾ حالًا مِن ﴿عِتِيًّا﴾، قُدّم على ذي الحال؛ لأنّ ذي الحال نكِرة. وقوله: (القاحِل) أي: اليابس.

---

[1] ف: فتحصل.

[2] ن – أي.

[3] ف – معتقد.

وكذلك ﴿صِلِيًّا﴾ [مريم ١٩/٧٠]، وابنُ مَسْعود بفتحِهما فيهما.

وقرأ أُبيٌّ ومُجَاهِدٌ: "عُسِيًّا".

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكافُ رَفعٌ؛ أي: الأمرُ كذلك، تصديقٌ له في كِبَرِه وكونِ امرأته عاقرًا، ثم ابتدأ فقال: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾.

أو نصبٌ بـ﴿قَالَ﴾، و"ذلك" إشارةٌ إلى مُبهَمٍ يُفسِّره: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، ونحوُه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٦].

قوله: (وكذلك[١] ﴿صِلِيًّا﴾) أي: كذلك قرأ[٢] هؤلاء ﴿صِلِيًّا﴾ بكسر الصاد في قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم ١٩/٧٠].[٣]

قوله: (وابن مسعود) أي: قرأ ابن مسعود بفتح العين والصاد في ﴿عِتِيًّا﴾ و﴿صِلِيًّا﴾،[٤] قال صاحب الكواشي: «قُرِئَ: "عَتِيًّا"»[٥] كرَغيف.

[١٠٠ظ] قوله: (وقرأ أُبيّ ومُجاهد: "عُسِيًّا")[٦] "عُسِيًّا"[٧] بمعنى / ﴿عِتِيًّا﴾، يقال للرجل ذا كِبَر وانتهَى سِنُّه: عاتٍ وعاسٍ.

قوله: (أي: الأمر كذلك) وعلى هذا يكون ذلك إشارة إلى قول[٨] زكريّاء.

وقوله: (تصديق) خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا تصديق له.

قوله: (أو نصبٌ بـ﴿قَالَ﴾) أي: بـ﴿قَالَ﴾ الثانية.

قوله: (وذلك) إشارة إلى مبهَم، واعلم أنّ مقول القول لا بدّ أن يكون جملةً، ولمّا كان "ذلك" إشارة إلى مبهَم هو جملة صحّ أن يقع مقولًا للقول،

---

١ ف: لذلك.

٢ ن: قراءة.

٣ اختلف القرّاء في أربع كلمات: ﴿عِتِيًّا﴾، و﴿جِثِيًّا﴾، و﴿صِلِيًّا﴾، و﴿وَبُكِيًّا﴾، فقرأ حمزة والكسائي بكسر أوائل الأربعة، وافقهما حفص إلّا في ﴿وَبُكِيًّا﴾، وقرأ باقي القرّاء العشر بضمّ أوائلهنّ. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١٧.

٤ وهي قراءة شاذّة. انظر المحتسب لابن جنّي، ٢/٣٩.

٥ تفسير الكواشي، ٣١٣ظ.

٦ قراءة شاذّة وتُنسب أيضًا إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما. انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٢/١٦٢.

٧ ن: عسيا.

٨ ن: قوله.

وقرأ الحسن: "وهو عليَّ هيّنٌ"، ولا يخرَّجُ هذا إلّا عَلى الوَجْهِ الأول؛ أي: الأمرُ كما قلتَ وهو على ذلك يَهُونُ عَليَّ.

وَوجهٌ آخر: وهو أن يُشَارَ بـ"ذلك" إلى ما تقدَّم من وعد الله لا إلى قول زكريا،

ويتبيّن لك ممّا ذكرنا أنّ "الكاف" الذي بمعنى "مِثل" في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ زيادة، كما يزاد المِثل في قولهم: "مِثلك لا يبخَل"، بمعنى: أنت لا تبخَل، إذ المعنى في الآية أنّه تعالى قال ذلك الكلام: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، فيكون[1] "الكاف" الذي هو بمعنى "مِثل" زائدًا،[2] ويجوز أن يقال: ليس زائدًا؛ ولكن أتى به لزيادة الإبهام، فقيل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ليكون المعنى: قال ربّك قولًا يماثل ذلك القول، فأفاد الإتيانُ بالكاف زيادةَ الإبهام، فحصل زيادة التفخيم.

قوله: (وقرأ الحسَن: "وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ") أي: بالواو، وقوله: (ولا يخرج هذا إلّا على الوجه الأوّل) ولا يخرج على الوجه الثاني؛ لأنّه لو كان تفسيرًا[3] لم يتخلّل الواو.

قوله: (ووجه آخر) أي: وهنا وجه آخر،[4] يعني على تقدير أن يكون الكاف نصبًا بـ﴿قَالَ﴾،[5] وذلك الوجه هو أن لا يكون "ذلك" إشارة إلى مبهَم؛ بل إشارة إلى أمر تقدّم ذِكره؛ وهو وعد الله بالولَد، وعلى هذا لا بدّ مِن تقدير قولٍ آخر يكون ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ مقولَهُ؛ لأنّ ﴿قَالَ﴾ الثانية قد أخذ مفعوله، وهذا ليس تفسيرًا ولا بيانًا لذلك المَقول ليستغنى عن تقدير قول آخَر، فلا بدّ مِن تقديره. ثمّ أشار إلى أنّه يجوز أن لا يقدَّر "قال"؛ لأنّ قائل هذا الكلام -وهو قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾- هو الله تعالى، فإذا قاله فكأنّه[6] قال: "قال الله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾"، وإنّما أتى بـ﴿قَالَ﴾ في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ بطريق الالتفات، وإلّا فالمعنى: "كذلك[7] قلتُ وهو عليَّ هيّنٌ".

---

[1] ن: فتكون.
[2] ن: زائدة.
[3] ن: كثيرًا.
[4] ن – أي: وهنا وجه آخر.
[5] ن: يقال.
[6] ف: وكأنّه.
[7] ن: لذلك.

و"قال" مَحْذوفٌ في كلتا القراءتين؛ أي: "قال: هو عليَّ هيِّنٌ" "قال: وهو عليَّ هيِّنٌ"، وإن شئتَ لم تَنْوِه؛ لأن الله هو المخاطِبُ، والمعنى: أنه قال ذلك ووَعَده وقولُه الحقُّ.

﴿شَيْـًٔا﴾؛ لأن المعدوم ليس بشيء، أو: شيئًا يُعتدُّ به؛ كقولهم: "عجبتُ من لا شيءٍ"، وقولِهِ:

قوله: (و"قال" محذوف في كِلتا القراءتين)[1] يريد: أنّ "قال" محذوف على الوجه الأخير في كِلتا القراءتَين، أي: القراءة بإثبات الواو وحذفها، وليس "قال" محذوفًا على الوجهين الأوّلين؛ لأنّ الكلام منتظِم بلا تقدير "قال".

قوله: (والمعنى: أنّه قال ذلك) أشار المصنّف هنا بقوله: "ذلك" دون الكاف إلى أنّ الكاف زائد كما ذكرنا، ثمّ أشار المصنّف بقوله: (وقوله الحقّ) إلى أنّ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ إشارة لزكريّاء مِن الله تعالى إلى أنّه تعالى لمّا قال ذلك ووعد فلا بدّ أن يقعَ؛ لأنّ وعده الحق، فإنّ زكريّاء كان عالِمًا بأنّ الله تعالى وعدَه بذلك، فيكون فائدة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ لزيادة التنبيه على أنّه لمّا وعده بذلك وقع لا محالة. والصواب أنّ قول المصنّف: (وقوله الحقّ) تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، فكأنّه[2] قيل: قال الله تعالى ذلك ووعدَ ذلك، وقوله ووَعْدُه الحقّ، فإنّ معنى ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أنّه لا يَصرف عنه صارف مِن الحكمة وغيرها، فهو تعالى يفعله لا محالةَ كمَن يفعل / شيئًا يَهون عليه. [١٠١و]

قوله: (لأنّ المَعدوم ليس بشيء) المَعدوم ليس بشيء عند أهل السُّنة وبعض المعتزلة خلافًا لبعضهم.

قوله: (كقولهم: عَجِبتُ مِن لا شيءَ) يجوز فيه فتح الهمزة، وهو ظاهر، وجرّها بأن تكون "لا" زائدة لفظًا لا معنًى؛ وذلك لأنّ "لا" تقع في كلام العرب على أربعة أوجه:

---

[1] ف + قوله.

[2] ف: وكأنّه.

....

الأوّل: أن يكون[1] زائدًا لفظًا ومعنًى، كقول جَرير:

وقـد عَــلاكَ مَشيبٌ حِيـنَ لا حِيـنِ[2]

والتقدير: حِينَ حِينِ، وإنّما كانت زائدة؛ لأنّك إذا قلت: "علاك مَشيبٌ حينًا" فقد أثبتَّ حِينًا علاه فيه الشَّيب، فلو جعلت "لا" غير زائدة لزم أن تكون نفيتَ ما أثبتَّ[3] حيث كان النفي بـ"لا" عامًّا، فلمّا لم يمكن[4] حمله على النفي حكمتُ بزيادتها فصار التقدير: حينَ حينٍ، وهذه الإضافة مِن باب "حلْقة فضّة وخاتَم حديد"؛ لأنّ "حين" يقع على الزمان القليل وعلى الزمان الكثير، أمّا الزمان القليل فكما في قول النابغة:

فبِتُّ كأنّي ساوَرَتْني ضَئيلَةٌ   مِن الرُّقْشِ في أنيابِها السُّمُّ ناقِعُ
تَناذَرَها[5] الراقونَ مِن سُوء سَمِّها   تُطلِّقُه حِينًا[6] وحِينًا تُراجِعُ[7]

يقال: ساوَره،[8] أي: واثَبه. و"الضئيلة": الحيّة الضعيفة. و"الرُقْش": جمع رَقْشاء، وهي حيّة فيها سواد وبياض. وقوله: "تناذَر"، أي: أنذر بعضهم بعضًا أن لا يقربوا هذه الحيّة؛ لأنّها لا تجيب الرُّقَى. وقوله: "تطلِّقه" يعني: أنّ السَّمّ يَخِفُّ ألمُه وقتًا ويعود وقتًا. وأراد بالحين: القدر الذي يكون بين تحرّك الوجع وسكونه، وهو قليل.

وأمّا الزمان الكثير فكقوله[9] تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم ١٤/٢٥]، أراد ستة أشهر، ويكون حينَ حينٍ، كقول الآخر:

ولــولا يــومُ يــومٍ مــا أردنــا   جَــزاءَك والـقُـروضُ لها جَـزاءُ[10]

---

[1] ن + لا.

[2] صدره:

ما بالُ جهلِكَ بعدَ الحِلْمِ والدِّينِ

ديوان جرير، ٢/٥٥٧.

[3] ن + من.

[4] ف ن: يكن.

[5] ن: تباذرها.

[6] ن: حين.

[7] ديوان النابغة الذبياني، ص ٣٣، بلفظ:

تُطلِّقُه طَورًا وطَورًا تُراجِعُ

[8] ن: ساورة.

[9] ن: فقوله.

[10] أساس البلاغة للزمخشري، ٢/٣٩٢، بغير نسبة، ونسبه البغدادي للفرزدق. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ٤/٤٦.

....

وليس مِن هذا القَبيل قوله:

حنَّتْ قَلوصي حِينَ لا حِينَ مَحَنّ[١]

لأنّه في قوله: "لا حينَ مَحَنّ" نافٍ حِينًا مخصوصًا، لا ينتفي بنفيه جميع الأحيان.

الوجه الثاني: أن تكون غيرَ زائدة، لا لفظًا ولا معنًى، كقولهم:[٢] غضِبَ[٣] مِن لا شيء، وجئت بلا مال، قال أبو عليّ الفارسي رحمه الله:[٤] «فـ'لا' مع الاسم المَنكور في موضع جرّ بمنزلة 'خمسةَ عشرَ'، وقد بني الاسم بـ'لا'، وكقوله:

حنَّتْ قَلوصي حِينَ لا حِينَ مَحَنّ

فـ'حين' منصوب بـ'لا' والخبر محذوف، وخبر 'لا' يُحذف كثيرًا، كما يحذف الخبر مِن الجملة المضاف إليها ظرفُ الزمان، نحو: كان هذا إذ ذاك».[٥]

والوجه الثالث: أن يكون زائدًا لفظًا لا معنًى، بأن لا يعمل "لا" في اللفظ ويراد بها معنى النفي، فيكون صورتها صورة الزيادة، ومعنى النفي فيه مع هذا صحيح، كقول[٦] النابغة:

أمسى بِبَلدةِ لا عمٍّ ولا خالِ[٧]

وكقول الشمّاخ:

إذا ما أدْلَجَتْ وَصَفَتْ يَداها لها إدْلاجَ[٨] ليلةَ لا هُجُوعِ[٩]

و"الإدلاج": السَّير بالليل. و"الهُجوع": النوم. يعني: إذا سارت هذه الناقة في الليل تُسرع، فكأنّ / يديها تبيّن وتصِفُ أنّه كيف يكون السَّير بالليل الذي لا يكون فيه نوم؟ [١٠١ظ]

---

١ هذا البيت مِن أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها ولا تتمّة لها. خزانة الأدب للبغدادي، ٤/٤٧.

٢ ف: لقولهم.

٣ ف: غضبتَ.

٤ د – رحمه الله.

٥ انظر: الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ١/١٦٧.

٦ ف: لقول.

٧ ديوان النابغة، ص ١٨٨.

٨ ن: إدلاج.

٩ ديوان الشمّاخ، ص ٢٢٦.

إذا رأى غيــرَ شـــيءٍ ظنَّـــه رَجُـــلًا

وقرأ الأعمشُ والكسائيُّ وابن وثَّابٍ: ﴿خلقناك﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠﴾

أي: اجعَلْ لي عَلامةً أعْلمُ بها وقوعَ ما بُشِّرتُ به، قال: عَلامتُك أنْ تُمنَعَ الكلامَ فلا تُطيقَه وأنتَ سَليمُ الجَوارح سَوِيُّ الخَلْق ما بك خَرَسٌ ولا بَكَمٌ.

دلَّ ذكرُ الليالي هُنا والأيامِ في آل عمران على أن المنعَ من الكلام استمرَّ به ثلاثةَ أيَّام ولَيَالِيهِنَّ.

والوجه الرابع: أن يكون زائدًا[1] معنًى لا لفظًا، كقول الشاعر:

لـو لَـمْ تكُنْ غَـطَفَانُ لا ذُنُـوبَ لها إلـيّ لامَـتْ ذَوُو أحْسابِها عُـمَـرَا[2]

و"غَطفان": اسم قبيلة، وكأنّه أتَى منهم جرائم وذُنوب عاقبهم وجازاهم عُمر على ذلك، فيقول: لولا أنّ لهم ذُنوبًا لَلاموا عُمرَ على ما فعَل فيهم.

قوله:

(إذا رأى غيــرَ شـــيءٍ ظَنّـــه رجُـــلًا)

أوّله:

وضاقـــتِ الأرض حتّـــى كان هاربهـــم[3]

يعني: ضاقَت الأرض على الهاربين لشِدّة ما لحِقَهم وخوفِهم مِن طالبيهم كقوله تعالى: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة ٩/١١٨]، والهارب إذا رأى غيرَ شيء ظنَّه إنسانًا يطلبُه، كأنّه أخذه مِن قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون ٦٣/٤]. وقوله: "رأى غيرَ شيء" أي: رأى غيرَ شيء يعتَدُّ به، وقيل: "رأى" هنا مِن رؤية القلب لا مِن رؤية العين، يريد به التوهُّم، وغيرُ الشيء يجوز أن يُتوهَّم ولا يجوز أن يُرى.

---

[1] د: زائدة.

[2] البيت للفرزدق في ديوانه بشرح الحاوي، ١/٣٨٥.

[3] البيت للمتنبي في ديوانه، ص ٣١١.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾

"أوحى": أشار؛ عن مُجاهِد، وَيشهَدُ له: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران ٣/٤١].

وعن ابن عباسٍ: كتَبَ لهُم عَلى الأرض.

﴿سَبِّحُوا۟﴾: صَلُّوا، أو على الظاهر، و﴿أَن﴾ هي المفسِّرةُ.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾

أي: خُذِ التَّوراة بجدٍّ واستِظْهارٍ بالتوفيق والتأييد.

﴿ٱلْحُكْمَ﴾: الحِكمة، ومنه:

واحــكُــمْ كــحُــكِــمِ فَــتــاة الــحــيّ

قوله: ("أوحَى": أشارَ) جعل الرمز مِن جِنس الكلام؛ لأنّه يؤدِّي مؤدّاه، أي: معناه.

قوله: (أو على الظاهر) عطفٌ على قوله: (صلُّوا)، يعني: المراد بالتسبيح المأمور به في قوله: ﴿سَبِّحُوا۟﴾: إمّا الصلاة وإمّا أن يكون المراد به ظاهر معنى التسبيح، وهو أن يقولوا: "سبحان الله" لا الصلاة.

قوله:

(واحــكُــم كــحُــكــمِ فــتــاةِ الــحــيّ)

قال النابغة:

واحكُم كحُكمِ فتاةِ الحيِّ إذ نظرتْ إلـى حَـمـامٍ شِـــراعٍ وارِدِ الـثَّـمَـدِ
قـالـت: ألا لَـيـتَـمـا هـذا الـحَـمـامُ لنا إلـى حَـمـامـتـنـا ونـصـفُـه فَـقَـدِي[1]

"احكُم"، أي: اعلم،[2] أي: كُن حَكيمًا كحِكمة فتاةِ الحيّ. قيل: كانت تُبصِر إلى مَسيرة ثلاثة أيّام. الضمير في "قالت" لفتاة الحيّ، والمراد بها "الزرقاء"،

---

[1] ديوان النابغة، ص ٢٤، بلفظ: "احكُم كحُكْم"... بغير واو، وقوله: "فقدي" كذا في الأصول الخطّيّة بإثبات الياء في الخطّ، ولم يثبتها في الديوان، وهي ثابتة لفظًا للإشباع.

[2] ن + أي: اعلم.

يُقال: "حَكُمَ حُكمًا" كحَلُم.

وهو الفَهمُ للتَّوراة والفقهُ في الدِّين؛ عن ابن عباس.

وقيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبيٌّ فقال: ما لِلَّعِب خُلِقنا؛ عن الضَّحاك.

وعن مَعمَرٍ: العقلُ.

وقيل: النبوَّة؛ لأنَّ الله أحكَمَ عَقْله في صِباه وأَوْحَى إليه.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾

"حنانًا": رَحْمةً لأَبويْه وغيْرِهما وتَعطُّفًا وشفقةً، أنشد سيبويه:

وهي امرأةٌ يُضرَب بها[1] المَثَل في حِدّة النظر.[2] و"إلى حَمامتِنا"، أي: مع حَمامتِنا. و"قد" بمعنى: حَسْب.[3] قيل: إنّ الزَرقاء نظرتْ إلى حَماماتٍ تطير مِن بعيد بين جَبلين، فقالت:

ليتَ الحَمامَ لِيَهْ إلى حَمامَتِيَهْ
ونِصفَهُ قَدِيَهْ تَمَّ[4] الحَمامُ مِايَهْ[5]

فلمّا ورَد الماءَ عُدَّ فإذا هو سِتّةٌ وستّون.

قال في الصحاح: «الحُكْمُ: مصدر قولِك: حكَمْت بينهم بحُكم، أي: قضَيتُ، وحَكَم له وحَكَم عليه، والحُكْم أيضًا: الحِكمة مِن العِلم، والحَكيم: العالِم، وصاحب الحِكمة، والحَكيم: المُتقِن بالأمور، وقد حَكُمَ إذا صار حَكيمًا، قال النمرُ بن تَولَب:[6]

وأبغِضْ بَغيضَكَ بُغضًا روَيدًا إذا أنتَ حاولتَ أن تَحكُما

قال الأصمعي: أي: إذا حاولتَ أن تكون حكيمًا».[7]

---

١ ن – بها.
٢ ن: البصر.
٣ ن: جسب.
٤ ن: ثمّ.
٥ انظر: الصحاح للجوهري، «حمم».
٦ ن: تواب.
٧ الصحاح للجوهري، «حكم».

وقــال حَـنـانٌ مـا أتـى بـكَ هَـاهُـنـا أذُو نسبٍ أَمْ أَنـتَ بـالحيِّ عـارِفُ

وقيل: حنانًا من الله عليه.

و"حَنَّ" في مَعْنى: ارتاحَ واشتاق، ثم استُعمِلَ في العطف والرَّأفة، وقيل لله: "حنانٌ" كما قيل: "رحيمٌ" على سبيل الاستعارة.

و"الزكاة": الطهارةُ، وقيل: الصَّدَقة، أي: يتَعَطَّفُ عَلَى النَّاسِ ويتصدَّق عليهم.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝١٥﴾

سَلَّم الله عليه في هذه الأحوال، قال ابن عُيَيْنَة: إنَّهَا أوحشُ المواطن.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦﴾

﴿إِذِ﴾ بدلٌ من ﴿مَرۡيَمَ﴾ بدَلَ الاشتِمال؛ لأنَّ الأحيَانَ مشتملةٌ على ما فيها،

قوله: (وقال حَنانٌ)... البيتَ،[١] أي: رأى رجلًا غَريبًا فقال له.

قال رحمَه الله:[٢] «'ما' هذه إبهاميّة،[٣] كما تقول: أمرٌ ما جاء بك ههنا، وقيل: زائدة»، هكذا في بعض الحواشي، وقال مَن شَرَح الأبيات: كأنّه أنكَر مَجيئه إلى الحيّ، فقال له: قل لي رحمة منك: ما أتى بك ههنا؟ أقريب ذو نسب أتى بك أم أنت عارف بالحيّ وجئتَ لمعرفتك بهم؟[٤] فقوله: "وقال"[٥] أوّلُ البيت، وهو مِن بحر الطويل؛ "وقال" فعولُ، "حَنانٌ مَا" مَفاعيلن.

[١٠٢و] قوله: (أي: يتعطّف) تفسير / ﴿حَنَانٗا﴾، وقوله: (ويتصدّق) تفسير ﴿زَكَوٰةٗ﴾.

---

١ الكتاب لسيبويه، ٣٢٠/١، دون نسبة، وفيه: "فقالَت حنانٌ"... وهو منسوب لمنذر بن درهم الكلبي. انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٩٢.

٢ ف ن: رضي الله عنه. | ويعني به الزمخشري رحمه الله، وعبارة الطِيبي: «رُوي عن المصنِّف أنه قال»... وذكره بلفظه. انظر: حاشية الطِّيبي على الكشّاف، ٥٨٥/٩. ولم أقع على قول الزمخشري هذا في ما اطّلعت عليه مِن كتُبه، وظاهر عبارة الحاشيتين أنّهما لم ينقلاه مِن كتاب.

٣ ن: إبهامنه.

٤ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٩٢.

٥ ف: وقالت. | وفي الكتاب لسيبويه: "فقالت".

وفيه أنَّ المقْصُود بذكر مَريمَ ذكرُ وقتها هذا لوقوعِ هذهِ القصَّة العَجيبَة فيه.

و"الانْتِبَاذُ": الاعتزالُ والانفرادُ، تخلَّت للعبادة في مكانٍ ممَّا يَلي شرقيَّ بيتِ المقدس أو من دارها معتزلةً عن النَّاسِ.

وقيل: قعدت في مَشرُقةٍ للاغتسال من الحيض محتجِبةً بحائطٍ أو بشيءٍ يَستُرها، وكان موضعُها المسجدَ فإذا حاضَت تحوَّلت إلى بيت خالتِهَا، فإذا طَهُرَت عَادت إلى المسجد.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾

فبَيْنا هي في مغتسَلِها أتاها المَلَكُ في صُورة آدميٍّ شابٍّ أَمْردَ وضيءِ الوَجْهِ جَعْدِ الشَّعر.

﴿سَوِيّٗا﴾: سَوِيَّ الخَلْق لم يَنتقِصْ مِن صُورة الآدميَّة شيئًا.

أو: حَسَنَ الصُّورة مُستوِيَ الخَلْق.

وإنما مُثِّلَ لها في صُورَة الإنسَان لتَستَأنِسَ بكلامِه ولا تَنْفِرَ عَنْه، ولو بَدا لها في الصُّورة المَلَكِيَّة لنَفَرتْ ولـم تَقدر على استماعِ كلامه.

قوله: (وفيه أنَّ المقصود) أي: في هذا الإبدال. وهذا معنًى لطيف يُحتاج إليه في تحقيق ما ذكره في كثير مِن المواضع، مثل: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة ٣٠/٢]، ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة ١١٦/٥]، فإنَّ المصنّف جعل ذلك مفعولًا به لا ظرفًا؛ لِما ذكَره ههنا. وقوله: (هذا) صفة (وقتها).

قوله: (معتزِلةً) حال مِن الضمير في (تخلَّتْ).

قوله: (في مَشرَقةٍ) المَشرَقة:[1] موضع القعود للشمس في الشتاء.

قوله: (أتاها المَلَك) هو جبرائيل عليه السلام.

---

[1] فيه أربع لغات: مَشرُقة ومَشرَقة بضم الراء وفتحها، وشَرْقة بفتح الشين وتسكين الراء، ومِشْراقٌ. الصحاح للجوهري، «شرق».

وَدَلَّ على عَفَافِها ووَرَعها أَنَّها تعَوَّذَتْ بالله مِن تلك الصورةِ الجميلةِ الفائقةِ الحُسنِ، وكان تمثيلهُ على تِلك الصِّفَة ابتلاءً لَها وسَبْرًا لعِفَّتها.

وقيل: كانت في منزلِ زَوْجِ أُخْتِها زكرياءَ ولها مِحْرابٌ على حِدَةٍ تسْكنُه، وكان زكريا إذا خرَج أغلق عليها، فتَمنَّتْ أن تجدَ خَلوةً في الجَبَل لِتَفْليَ رأسَها، فَانفَرَج السقْفُ لها فخرجَتْ وجَلَسَتْ في المشرُقة وراء الجبَلِ فَأَتاها المَلَكُ.

وقيل: قام بين يديها في صُورة تِرْبٍ لَها اسْمُه يوسُفُ من خَدَم بَيْتِ المقدس.

وقيل: إنَّ النصارى اتَّخذَت المشرِقَ قِبْلةً لانتباذِ مريمَ مكانًا شرقيًّا.

"الرُّوحُ": جبْريل؛ لأن الدِّين يَحيَى به وبِوَحْيِه، أَو سمَّاه الله تعالى رُوحَه عَلَى المجَاز مَحبَّةً له وتقريبًا؛ كما تَقولُ لحَبِيبك: أنت رُوحي.

وقرأ أبو حيوة: "رَوْحنا" بالفتح؛ لأنه سَبَبٌ لِمَا فيه رَوْحُ العِبادِ وإِصَابةُ الرَّوْح عندَ الله الذي هو عِدَةُ المقرَّبين في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة ٥٦/٨٨-٨٩]؛ أو لأنه من المقرَّبين وهُم المَوعُودون بالرَّوح؛ أي: مُقرَّبَنا وذا رَوْحِنا.

قوله: (لأنّ الدِّين يَحيَى به)... إلخ، ذكر أربعة أوجه، على الوجهين الأوّلين: استعارةٌ، الوجه في[1] الأوّل: كون كلٍّ منهما سببًا للحياة، وفي الثاني: كون كلٍّ منهما محبوبًا، وعلى الثالث: مِن قَبيل إطلاق اسم المسبَّب على السبَب، وعلى الرابع: بحذف المضاف، وعلى هذا الوجه يكون كناية؛ لأنّ كونه "ذا رُوح" مِن لوازم وتوابع كونه "مقرّبًا".

قوله:[2] (لأنّه سبب لِما فيه رَوح العباد) يعني: القرآن، (ولِما فيه إصابة الرَّوح عند الله) يعني: الطاعة، فجبرائيل سبب القرآن الذي فيه راحة العباد، وفيه إصابة الراحة عند الله. والرَّوح والراحة مِن الاستراحة، والرَّوح: نسيم الريح، ويقال أيضًا: يومٌ رَوحٌ، أي: طيِّب، و"رَوح وريحان": رحمة ورزق.

---

[1] ن – في.

[2] ف – وعلى هذا الوجه يكون كناية؛ لأنّ كونه ذا روح مِن لوازم وتوابع كونه مقرّبًا. قوله.

أرادَتْ: إن كان يُرجَى مِنكَ أن تتَّقيَ اللهَ وتَخشاهُ وتَحفِلَ بالاستعاذةِ به فإنِّي عائذةٌ به مِنك؛ كقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود ٨٦/١١].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾

أي: إنما أنا رسُولُ مَن استعَذتِ به ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾: لأكُونَ سبَبًا في هِبَة الغلام بالنَّفخ في الدِّرْع، وفي بَعض المصاحِف: "إنما أنا رسُول ربِّك أمرَني أنْ أهَبَ لك".

أو هي حكايةٌ لقولِ اللهِ عزَّ وجل.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠﴾

جَعَل المسَّ عبارةً عن النكاح الحلالِ؛ لأنه كنايةٌ عنه؛ كقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة ٢٣٧/٢] ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء ٤٣/٤] والزنا ليس كذلك، إنما يقال فيه: "فَجَر بهَا"، و: "خَبُثَ بها"، وما أشبَه ذلك، ....

قوله: (لأكونَ[1] سببًا)... إلخ، على الوجه الأوّل: مِن قَبيل الإسناد المجازي،[2] مِن قَبيل الإسناد إلى السبب؛ لأنّ الواهب هو الله تعالى بسبب نفخ جبرائيل عليه السلام، وعلى الثاني: حقيقة.

قوله: (وتَحفلُ) بالرفع عطفٌ على "يُرجَى"، وبالنصب على "تتَّقِي".

قوله: (وفي بعض المصاحف)[3] تقرير أنّ المراد بقوله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾: لأكون سببًا.

قوله: (جعَل المسَّ عبارةً عن النكاح الحلال) أي: الوطء الحلال، وقوله: (لأنّه كناية عنه) أي: أطلق المسّ على الوطء الحلال، ثمّ أشار إلى وجه هذا الإطلاق بأنّه كناية عنه.

قوله: (فجَرَ بها)[4] مِن الفجور.

---

١ ن: ولأكون.

٢ ن + وعلى الثاني.

٣ لعلّه يعني: في بعض مصاحف السلَف، وهو محمول على التفسير، أمّا في المصاحف العثمانيّة فلا يصحّ ذلك.

٤ ن: فجرَبها.

وليسَ بقَمِنٍ أَن تُراعَى فيه الكِناياتُ والآدابُ.

و"البغيُّ": الفاجِرَةُ التي تَبْغي الرجالَ، وهي فَعُولٌ عِند المبَرِّد: "بَغُويٌ" فأُدغمت الواو في الياءِ.

وقال ابن جني في كتاب التَّمام: هي فَعيلٌ، ولو كانت فعُولًا لقيل: "بَغُوٌّ"؛ كما قيل: "فلانٌ نَهُوٌّ عن المنكر".

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥ﴾ تعليلٌ مُعَلَّله مَحذُوفٌ؛ أي: ولنجعَلَه آيةً للناس فعَلْنا ذلك، أو هو مَعطُوفٌ على تعْليلٍ مضمَرٍ؛ أي: لنُبيِّنَ به قُدرَتَنا وَلنجعَلَه آيةً، ونحوُه: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية ٢٢/٤٥] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ [يوسف ٢١/١٢].

قوله: (بقَمَنٍ) يقال: أنت قَمَنٌ أن تفعل كذا،[١] بالتحريك، أي: خَليق جَدير، لا يُثنّى ولا يُجمَع ولا يؤنَّث، فإن كسَرتَ الميم أو قلتَ: "قمِين" ثنَّيتَ وجمَعتَ.

قوله: (فأُدغِمت الواو في الياء) ثمّ قُلبت ضمّة الغين كسرةً.

قوله: (لَقِيل:[٢] بَغُوٌّ) في كلام ابن جِنّي نظر؛[٣] لأنّه لو كان "فعولًا" لكان قياسه أيضًا "بَغيّ"؛ لأنّ الاسم إذا وقعت آخره ياءٌ قبلها واو قبلها ضمّة وجَب جعلها ياء مشدّدًا مكسورًا ما قبلها، نحو: مَرمِيّ ومبنِيّ، وأمّا "نَهُوٌّ"[٤] و"مَمْضُوٌّ" فهما[٥] شاذّان، فثبت أنّ في استدلالِه نظرًا،[٦] ولو استدل ابن جنّي على أنّه "فعيل" بأنّه لو كان "فعولًا" لزِم كثرة التغيير -وهو قلب الواو ياءً والضمّة كسرة- لَكان حسَنًا،

---

١ ف: كذى.
٢ ن - لقيل.
٣ لم أجد كلام ابن جنّي في المطبوع مِن كتاب التمام في تفسير أشعار هُذيل.
٤ ن: فهو.
٥ ن: فهماه.
٦ ف ن: نظر.

﴿مَقْضِيًّا﴾: مُقدَّرًا مَسطُورًا في اللوح لا بُدَّ لكِ مِن جَرْيِهِ عليكِ، أو: كان أمرًا حقيقًا بأن يُكوَّنَ ويُقضَى لكونه آيةً ورَحمةً.

والمرادُ بالآية: العِبْرةُ والبُرهانُ على قدرة الله تعالى.

وبالرحمة: الشرائعُ والألْطافُ، وما كان سببًا في قوة الاعتقاد والتوصُّلِ إلى الطاعة والعَملِ الصَّالح فهو جَديرٌ بالتكوين.

عن ابن عباس رضي الله عنه: فَاطمأَنَّتْ إلى قوله فَدَنا مِنها فنفخ في جَيْب دِرْعها، فوصَلتِ النفخة إلى بَطنها فحملت.

وقيل: كانت مدَّةُ الحمل ستَّةَ أشهُرٍ.

وعن عَطاء وأَبي العاليةِ والضحاك: سَبْعةَ أشهر.

وقيل: ثمانيةً، ولم يَعِشْ مَولُودٌ وُضِع لثمانيةٍ إلَّا عيسَى.

وقيل: ثلاثَ ساعاتٍ.

وقيل: حَملَته في سَاعةٍ، وصُوِّر في ساعة، ووضعَتْه في سَاعةٍ حين زالت الشمسُ من يَوْمها.

وعن ابن عبَّاس: كانت مدةُ الحَمل ساعةً واحدةً كما حَملَتْه نبَذْته.

وبانَ ظاهره أنّه "فعيل"، فالحكم عليه بأنّ أصله "فعول" غُيِّر إلى "فعيل" دعوى مِن غير دليل، فلا حاجة إلى العدول إليه.

قوله: (وما كان سببًا في قوّة الاعتقاد) "ما" موصولة أو شرطيّة، وخبره أو جزاؤه: (فهو جَدير). وقوله: (في قوّة الاعتقاد) إشارة إلى قوله: ﴿ءَايَةً﴾. وقوله: (والتوصّل إلى الطاعة) إشارة إلى ﴿وَرَحْمَةً﴾، فتأمّل.

قوله: (فاطمأنّت) إشارة إلى أنّ في الكلام حذفًا، وذلك المحذوف: "فاطمأنّت"[١] إلى قوله: "بطنِها".

قوله: (كما حمَلتْهُ نبذَتْهُ) هذا بيان الجملة المتقدّمة.

---

١ ن: فاطمنت.

وقيل: حملته وهي بنتُ ثلاثَ عشرةَ سَنة.

وقيل: بنتُ عَشْرٍ، وقد كانت حَاضت حيضَتين قَبْلَ أن تحمِل.

وقالوا: ما من مَولُودٍ إلَّا يَستهلُّ غيرَهُ.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: اعتزلتْ وهو في بطنها، كقوله:

تَـــدُوسُ بـنـا الـجَـمـاجِـمَ والـتَّـرِيـبـا

قوله: (إلّا يَسْتَهِلُّ غيرَه) الاستِهلال: رفع الصوت، وقوله: (غيرَه)[1] استثناء مِن قوله: (مَولود) أي: ما مولودٌ غير عيسى إلّا يرفع صوته عند الولادة.

[١٠٢ظ] قوله: ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ "به" حال، وليست الباء للتعدِية، أي: انتبذت / مُستصحبةً وحاملًا إيّاه.

قوله: (كقوله) أي: قولِ المتنبي، وقوله:

(تَـــدوسُ بنـــا الجَماجِـــمَ والتَّريبـــا)

أوّله:

كـــأنّ خُـيـولـنـا كـانـت قـديـمًـا ... تُـسَـقّـى فـي قُـحـوفِـهـمُ الـحليبا

فـمـرَّتْ غـيـرَ نـافـرةٍ عليهم ... تَـــــــدوسُ...[2]

"القُحوف": جمع القِحْف، وهو العَظْم فوق الرأس، و"الحليب": اللَّبَن، والضمير مِن "قُحوفِهم" يعود إلى "الأعادي" المذكورة في الأبيات المتقدِّمة،[3] والعرب تَسقي اللبَن كِرام خيولهم، يقول: خيلنا كأنّها تُسقَى اللبَن المَحلوب في أقحاف رءوس أعدائنا؛ لإلفِها[4] بها، فكانت خيولنا تمرُّ عليهم وتدوس -أي: تَطَأ-

---

[1] ف: غره.

[2] ديوان المتنبّي، ص ١٧٩.

[3] وهو قوله:

وما سَكّني سوى قتلِ الأعادي ... فهل مِن زَورةٍ تَشفي القُلوبا

ديوان المتنبي، ص ١٧٩.

[4] ن: لألفها.

أي: تدوسُ الجماجمَ ونحن على ظهورها، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون ٢٠/٢٣]؛ أي: تَنبتُ ودهنُها فيها.

والجارُّ والمجرورُ في موضع الحال.

﴿قَصِيًّا﴾: بعيدًا مِن أهلها وراء الجبَل، وقيل: أقصى الدار.

وقيل: كانت سُمَيتُ لِابنِ عمٍّ لها اسْمُهُ يوسُفُ، فلما قيل: حملتْ من الزِّنى، خاف عليها قَتْلَ المَلِكِ فهَربَ بها، فلمَّا كان ببعضِ الطريق حَدَّثَته نَفسُه بأن يقتُلَها، فأتاه جبريلُ فقال: إنَّه من رُوحِ القُدُس فلا تَقتُلها، فتَركها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾﴾

"أجَاءَ": مَنقولٌ من "جاء" إلَّا أن استعمالَه قد تَغيَّر بعدَ النَّقلِ إلى مَعْنى الإلجاء، ألَا تَراكَ لا تقول: "جِئتُ المكانَ" و"أَجَاءَنِيهِ زيد" كما تقول: "بَلَغْتُه وأَبلغَنِيهِ".

بأرجلها جَماجمَهم وترائبَهم،[١] و"الجماجم": جمع الجُمجُمة، وهي عَظم الرأس المشتمل على الدماغ، و"الترائب": عِظام الصَّدر.

قوله: (**الجارُّ والمجرور**) أي: ﴿بِهِۦ﴾.

قوله: (**وقيل: كانت سُمَيتُ**) أي: كانت مَريم.

قوله: (**إلّا أنّ استعماله قد تغيَّر بعد النقل إلى معنى الإلجاء**) واعلم أنّ فيما ذكره المصنِّف بحثًا لما نقَل الجوهري في الصحاح: «أجَأته، أي: جئت به»، ثمّ قال: «أجَأته إلى كذا بمعنى: ألجَأته واضطررته[٢] إليه، قال الفرّاء: أصله مِن جئت، وقد جعلَتْه العرب بمعنى ألجَأ».[٣] فقول صاحب الصحاح يدلّ على أنّ "أجاءَ" يستعمل بمعنى تعدية معنى "جاء"، ويستعمل بمعنى "ألجَأ"، ونقْلُه عن الفرّاء ما نقَل إشارة إلى أنّ معنى كلام الفرّاء أنّ العرب قد جعلته في بعض المواضع

---

١ د: وترابيهم.

٢ ن: اضطرته.

٣ الصحاح للجوهري، «جيأ».

ونظيرُه "آتى" حَيْثُ لم يُستعمَلْ إلا في الإعطاء، ولم يُقَلْ: آتيْتُ المكان وآتانِيهِ فلانٌ.

قرأ ابن كثير في روايةٍ: "المِخاض" بالكسر، يقال: مَخِضَتِ الحامل مَخاضًا ومِخاضًا، وهو تمَخُّضُ الولدِ في بَطْنها.

طَلَبت الجِذعَ لِتَستَتِرَ به وتَعتمِدَ عليه عند الولادةِ، وكان جذعَ نخلةٍ يابسةٍ في الصحراء ليس لها رأسٌ ولا ثمرةٌ ولا خُضْرةٌ، وكان الوقتُ شتاءً، والتعريفُ لا يَخلو: إمَّا أن يكونَ من تعريفِ الأسماءِ الغالبة كتعريفِ النَّجْم والصَّعِق كأن تلك الصحراء كانَ فيها جِذعُ نخلةٍ مُتَعَالَمٌ عِندَ الناس، فإذا قيل: "جذعُ النخلة" فُهِم منه ذلك دونَ غيره من جذوع النخل.

وإمَّا أن يكون تعريفَ الجنس؛ أي: جذع هذه الشجرة خاصةً؛ كأن الله تعالى إنما أَرْشدَها إلى النخلة ليُطعِمَها مِنها الرُّطَب الذي هو خُرسَةُ النُّفَساءِ المُوافِقةُ لهَا.

بمعنى الإلجاء، ونقل أيضًا أنّه «يقال: آتاه، أي: أعطاه، وآتاه أيضًا: أتى به، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف ٦٢/١٨]، أي: ائتنا به».[١] وأنا أقول: ظاهر معنى[٢] قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف ٦٢/١٨]: ائتنا به، وليس المعنى: أعطنا الغداء؛ لأنّ موسى عليه السلام يطلب مِن يوشع أن يُحضِرَ عندهما الطعام الذي لهما، ولا يطلب منه أن يعطيهما الطعام، فتأمّل.

قوله: (وهو تَمخُّض الولد) تَمخُّضَ اللبَن وامتَخَض، أي: تحرَّك في المِمْخَضة، وكذلك إذا تحرَّك الولد في بطن الحامل.

قوله: (مُتعالَمٌ عند النّاس) أي: عَلِمَه جميع النّاس، يقال: تَعالَمه الجميع، أي: علِموه.

قوله: (خُرسة النُّفَساء) "الخُرْس" بالضمّ: طعام الولادة، قال:

كـلُّ طـعـام تـشـتـهـي رَبـيـعَـه[٣] الـخُـرْسَ والإعـذارَ والنَّـقـيـعَـه[٤]

---

[١] الصحاح للجوهري، «أتا».

[٢] ف: معنا.

[٣] ن: ربيعة.

[٤] الصحاح للجوهري، «خرس»، بغير نسبة.

ولأن النخلةَ أقلُّ شيءٍ صَبْرًا على البرْد، وثمارُها إنما هو من جُمَّارها، فلِمُوافَقَتها لها مع جمعِ الآيات فيها اختارها لها وألْجأَها إليهَا.

وأمّا طعام النُّفساء نفسها فهي "الخُرْسة"، يقال: خَرَّستُ على المرأة تخريسًا إذا أَطعَمتَ في ولادتها، وقد خُرِّست هي، أي: جُعل لها الخُرْس. و"الإعذار": طعام الخِتان، وهو في الأصل مصدر. و"النَّقيعة": طعام القادم مِن السفر.

قوله: (مِن جُمّارها) هو شَحم النخل، وهو للنخل ولغيره يقال: الطَّلْع. تَجمَّر القومُ إذا تجمَّعوا، وجمَّر شعرَه؛ جمَعَه على قَفاه، ومنه الجُمّار[١] لرأس النخلة،[٢] وهو شيء أبيضُ لَيِّن، ألا تراهم يُسمُّونه كَثَرًا لذلك؟ مِن المُغرب.[٣]

قوله: (فلمُوافَقتها)[٤] هذا مسبَّب لقوله: (ليُطعِمها)... إلخ، ولقوله: (لأنّ النخلة)... إلخ، فقوله: "موافقتِها"[٥] إشارة إلى ما ذكر / مِن أنّ "الرُّطَب خُرْسة النفساء". وقوله: (جميع الآيات) إشارة إلى أنّها لم تكن لتلك النخلة رأس، وهي إذا قطع رأسها يبست، وإلى أنّها لم تكن[٦] لها خُضرة، وهي يكون ثمرُها مِن جُمّارها، وإذ لا خُضرة فلا جُمّار، وإلى أنّ الزمان كان زمان البَرْد، وهي أقلُّ شيء صبرًا على البَرْد، يعني: لمّا كانت النخلة موافقة لها مع أنّ الآيات المذكورة كانت في تلك النخلة اختار الله تعالى تلك النخلة لها، وألجأ الله تعالى مريم إلى تلك النخلة، ويظهر لك مِن هذا التقرير أنّ إسناد الإجاءة إلى المَخاض في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾ إسنادٌ مجازيّ، أي: أجاءَها الله تعالى[٧] إلى جِذْع النخلة وقتَ مَخاضها، كما في قولهم: أنبتَ الربيعُ البَقل، أي: أنبتَ الله البَقلَ وقتَ الربيع، واللام[٨] في قوله: "لِمُوافقتها"[٩] يتعلَّق بقوله: (اختارها)، وقوله: (فيها) أي: في النخلة. [١٠٣و]

---

١ ن: الجُمارة.
٢ ن: النخل.
٣ المُغرب للمطرّزي، «جمر».
٤ ن: فلموافقها.
٥ ن: موافقها.
٦ ف: يكن.
٧ ف ن – تعالى.
٨ ن: واللازم.
٩ ن: "لموافقها".

قرئ ﴿مِتُّ﴾ بالضم والكسر، يقال: مات يمُوت، ومات يَماتُ.

النِّسيُ: ما مِن حقِّهِ أن يُطرَح ويُنسَى كخِرقةِ الطَّامِث ونحوِهَا؛ كالذِّبح: اسمُ ما مِن شأنه أن يُذبح في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات ١٠٧/٣٧]، وعن يونس: العربُ إذا ارْتَحَلوا عن الدَّار قالوا: "انْظُروا أَنْساءكُم"؛ أي: الشيءَ اليَسيرَ نحوَ العَصا والقَدَحِ والشِّظاظ.

تمنَّتْ لو كانت شيئًا تافهًا لا يُؤبَهُ له مِن شأنه وحَقِّهِ أن يُنسَى في العادة وقد نُسيَ واطُّرِحَ فَوُجدَ فيه النسيانُ الذي هو حَقُّهُ، وذلك لِمَا لحِقَها من فَرْط الحياء والتَّشوُّرِ مِن الناسِ على حُكم العادة البشرية لا كراهةً لحُكم الله، أو لشِدَّة التكليف عليها إذا بَهَتُوها وهي عارفةٌ ببَراءةِ السَّاحة وبضدِّ ما قُرِفَتْ به

قوله: (وعن يونُس) هو يونُس بن حبيبٍ النحوي البصري أستاذ خليل بن أحمد.

قوله: (والشِّظاظ) الشِّظاظ: عُود يُجعل في عُروة الجُوالِق،[1] وهو مفرد، قال الراجز:

أيـن الـشِّـظـاظـانِ وأيـن الـمِـرْبـعَـهْ وأيـن وَسْـقُ الـنـاقـةِ الـجَـلَـنْـفَـعَـهْ[2]

و"الجَلَنْفَعة": الناقة الجسيمة الواسعة الجَوف، و"المِربَعة": عَصًا يأخذ الرَّجلان بطرفَيها لِيحملا الحِمل ويضعاه على ظَهر البعير، و"الوَسْق": حِمْل البعير.

قوله: (تافِهًا) التافِه: الحقير اليسير.

قوله: (لا كراهةً لحكم الله) عطف على قوله: (لِما لَحِقها)، وإنّما حذف اللام مِن "كراهةً"؛ لأنّه فعلٌ لفاعل الفعل المعلَّل، ولم يحذف مِن "لِما لَحِقها"؛ لأنّ "ما لَحِقها" -وإن كان عبارة عن الحياء- فهو أيضًا فعله؛ لكن لمّا أسند اللحوق إلى "ما" فكأنّه ليس فِعله، فأتى باللام. أو نقول: لمّا كان الحذف جائزًا عند وجود شرائط الحذف لا واجبًا حذف[3] تارة ولم يحذف أخرى. وقوله: (أو لشدّة) عطف أيضًا على "لِما"، أي: لأنّه عَظُم التكليف، ثمّ بيَّن الشدّة بقوله:

[1] الجوالق: وعاء. الصحاح للجوهري، «جلق».
[2] الصحاح للجوهري، «شوظ»، بغير نسبة.
[3] ن: حذفه.

مِن اختِصاصِ اللهِ إيَّاها بغايةِ الإجْلال والإكرام؛ لأنه مقامٌ دَحْضٌ قلَّما تثبُتُ عليه الأقدامُ: أَن تَعرف اغتباطَكَ بأمرٍ عظيمٍ وفَضلٍ باهرٍ تَستحِقُّ به المَدحَ وتستَوجبُ التَّعظيمَ، ثم تَراه عِند الناس لجهلهم به عيبًا تُعَابُ به وتُعنَّفُ بسبَبِهِ، أو لخَوفها على الناس أَن يَعْصُوا اللهَ بسبَبِها.

وقرأ ابن وثاب والأعمشُ وحمزةُ: ﴿نَسْيًا﴾ بالفتح، قال الفرَّاء: هما لغتان كالوِتْر والوَتْر والجِسْر والجَسْر، ويجوز أن يكون مُسمًّى بالمصدر، كالحَمْلِ.

وقرأ محمد بن كعبٍ القُرَظي: "نَسْئًا" بالهمز، وهو الحَلِيبُ المخلوط بالماء ينسَؤه أهلُه لقلَّته ونَزارَتِه.

وقرأ الأعمش: "مِنْسِيًّا" بالكسر على الإتْباع؛ كالمِغِيرة والمِنْخِر.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

﴿مَن تَحْتَها﴾ هو جبريل عليه السلام، قيل: كان يَقْبَلُ الولَدَ كالقابلةِ، وقيل: هو عيسى عليه السلام. وهي قراءةُ عاصمٍ وأبي عمرو.

وقيل: ﴿تحتَها﴾: أسفلَ مِن مكانها؛ كقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة ٢/٢٥].

وقيل: كان أسفلَ منها تحت الأكَمَةِ فصاح بها: "لا تحزني".

(لأنّه). ثمّ إنّ قوله: (لخوفها) يجوز أن يكون عطفًا على "لأنّه" فيكون قد بيَّن الشدّة بأحد الأمرين، ويجوز أن يكون عطفًا أيضًا على "لِما"، وإنّما لم يحذف اللام مع أنّه فعلٌ لفاعل الفعل المعلَّل لأنّ حذف اللام جائز لا لازم.

واعلم أنّ في أكثر مباحث هذه الحاشية نظرًا؛[1] لأنّ قوله: "لِما لحِقها" خبر المبتدأ، وما بعدها عطف عليه، وليس مِن المفعول له في شيء، وأمّا قوله: "كراهةً" فعطف على "ما لحِقها"؛ لكن نصب بنَزْعِ الخافض.

قوله:[2] (أن تعرف) بدل مِن اسم "أنّ"، والوجه أنّ الضمير مبهَم يفسِّره[3] "أن تعرف"، كما مرَّ عن قريب في اسم الإشارة.

---

١ ف ن: نظر.
٢ ن: وقوله.
٣ ف ن: تفسيره.

وقرأ نافعٌ وحَمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾، وفي "نادَاها" ضميرُ المَلَك أو عيسى عليه السلام.

وعن قتادة: الضميرُ في ﴿تَحْتِهَا﴾ للنَّخلة.

وقرأ زرٌّ وعَلقمَة: "فخَاطَبَهَا مَن تَحتَها".

سُئل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن السَّريِّ فقال: «هو الجَدْوَلُ».

قال لَبِيدٌ:

فَتَوسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا   مَسْجُورَةً متجاوِرًا قُلَّامُهَا

قوله: (وفي "ناداها"[١] ضمير المَلَك) أي: على هذه القراءة.[٢]

قوله: (وقرأ زِرٌّ) هو ابن حُبَيْش.

قوله: (وعلقمة) راوية ابن مسعود.[٣]

[١٠٣ظ] قوله: (هو الجَدْول) الجَدْول: / النهر الصغير.

قوله: (قال لَبيد:

فتَوسَّطا[٤] عُرضَ السَّريِّ فَصَدَّعا   مَسجورةً متجاوِرًا قُلّامُها)[٥]

أي: نباتها، أي: التفَّ نبتها. الضمير في "توسَّطا" للفَحل والأتان. و"العُرض": الجانب. و"الصَّدْع": الشَّقُّ. و"السَّجْر": المَلْء، و"مسجورةً" أي: عينًا مسجورةً، فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه. و"القُلّام": ضربٌ مِن النبت. يقول: توسّط العير والأتان جانب النهر الصغير، وشَقَّا عينًا مملوّةً تَجاوَر قُلّامها، أي: قد كثُر هذا الضَّرب مِن النبت عليها. وخلاصة المعنى: أنّهما[٦]

---

١ ن: نادها.

٢ أي: قراءة ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ بكسر الميم وخفض التاء، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر وحفص. وقرأ باقي القرّاء العشر بفتح الميم ونصب التاء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١٨.

٣ وهي قراءة شاذّة رواها بسنده عن علقمة القاسمُ بن سلام في فضائل القرآن، ص ٣٠٤.

٤ ن: فتوسّط.

٥ ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٣٠٧، وفيه: "متجاوزًا" بالزاي.

٦ ف: أنها.

وقيل: هو من السَّروِ، والمراد: عيسى، وعن الحسن: كان واللهِ عَبْدًا سَرِيًّا.

فإن قلتَ: ما كان حُزْنُها لِفَقْدِ الطَّعام والشَّراب حتى تُسَلَّى بالسَّرِيِّ والرُّطَبِ!

قلتُ: لم تَقَع التَّسْلية بهما مِن حيث إنهما طعامٌ وشرابٌ؛ ولكنْ من حيث إنهما مُعجزَتانِ تُرِيَانِ النَّاسَ أنَّها من أهْلِ العصْمة والبُعْدِ مِن الرِّيبةِ، ....

قد وردا عينًا ممتلئة ماء فدخلا فيها مِن عُرض نهرها[١] وقد تَجاوَر[٢] نبتها.[٣]

قوله: (وقيل: هو من السَّرْو) "السَّرْو": سخاء في مُروّة، يقال: سَرَى يسرو، وسَرِي بالكسر يَسْرَى،[٤] سَرْوًا فيهما، وسَرُوَ يَسرو سَراوة، أي: صار سَرِيًّا، قال الشاعر:

إنّ السَّريّ إذا سَرَى فبنفسِه وابن السَّريّ إذا سَرَى أسراهما[٥]

قوله: (فإن قلتَ: ما كان حزنها) "ما" نافية.

قوله: (معجزتان) هذا إذا قلنا: إنّه أُعطي النبوّة في طفولته كما سيجيء،[٦] وإن لم نقل بذلك فالوجه أن يكون ذلك إرهاصًا لنبوّة عيسى وكرامةً لأمّه،[٧] والإرهاص:[٨] ما يظهر على الأنبياء قبل نبوّتهم، كإظلال الغَمام لنبيّنا صلّى الله عليه وسلم في طريق الشام،[٩] وارتجاس إيوان كِسرى ليلة وُلد.[١٠] ورجَست السماء ترجُس إذا رعَدت وتمخّضتْ، وارتجَست مثله. والإوان والإيوان: الصُّفّة[١١] العظيمة، وجمع الإوان: أُوُنٌ، مثل: خِوان وخُوُن، وجمع الإيوان: أواوين،[١٢] مثل: ديوان ودَواوين؛ لأنّ أصله إوّان، فأبدِل مِن إحدى الواوين ياءً.

---

١ ن: فهوها.

٢ ن: تجاوز.

٣ ف: نبثها.

٤ ن: يسرا.

٥ هو بغير نسبة في: المُغرب للمطرّزي، «ثلث»، بلفظ:
إنّ السّريّ هو السّريُّ بنفسِه
الصحاح للجوهري، «شوظ»، بلفظ:
وتَرى السَّرِيَّ من الرجال بنَفْسه

٦ ف: ستجيء.

٧ ن: لأمة.

٨ ن: الإرهاض.

٩ انظر: سنن الترمذي، ٢٠/٦ (٣٦٢٠).

١٠ انظر: دلائل النبوّة للبيهقي، ١٢٦/١.

١١ الصُّفّة مِن البنيانِ: شِبه البَهْو الواسع الطويل. انظر: لسان العرب لابن منظور، «صفف»

١٢ ن: أووين.

وأَنَّ مِثْلَها مما قَرَفُوهَا به بمَعزِل، وأَنَّ لها أمُورًا إلهِيَّةً خارجةً عن العادات خارِقةً لِمَا أَلِفُوا واعتادُوا، حتى يتبيَّنَ لهم أن وِلادَها من غير فَحْلٍ ليس ببِدْعٍ من شأنها.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

﴿تساقط﴾ فيه تسعُ قراءاتٍ: ﴿تَسَّاقَطْ﴾ بإدغام التاء، و: "تَتَساقَطْ" بإظهارِ التَّاءَين، و: ﴿تَسَاقَطْ﴾ بطرحِ التاءِ الثانية، و: ﴿يَسَّاقَطْ﴾ بالياءِ وإدغامِ التاء، و: ﴿تُسَاقِطْ﴾، و: "تُسْقِطْ" و: "يُسْقِطْ"، و: "تَسْقُطْ" و: "يَسْقُطْ"؛ التاءُ للنَّخلة والياءُ للجِذْع.

و﴿رُطَبًا﴾ تمييزٌ أو مَفعُولٌ على حَسَبِ القراءاتِ، وعن المبرِّد: جوازُ انتصابِه بـ﴿هُزِّى﴾ وليس بذاك.

قوله: (وأنَّ مِثلها) أي: وأنّها، و"المِثل" مُقحَم، كقوله:[1]

مِثلـــيَ لا يقبـــلُ مِـــن مثلِـــكا[2]

أي: أنا لا أقبل منك.

قوله: (على حسب القراءات) إذ بعض تلك الأفعال متعدّ، وبعضها لازم.[3]

قوله: (وعن المُبرّد: جواز انتصابه بـ﴿هُزِّى﴾) وأظنّ أنّ وجه قول المُبرّد أن تكون[4] الباء في ﴿بِجِذْعِ﴾ مثلها في قولك: ضَربتُ بالسَّوط، وهو مفعول بواسطة، ويكون ﴿رُطَبًا﴾ مفعولًا بغير واسطة، فكأنّه[5] قيل -والله أعلم-: هزِّي رُطَبًا جنيًّا بأخذ جذع النخلة وتحريكها، وهو معنًى دقيق لطيف وإن لم يرتَضِه المصنِّف. وقوله: (وليس بذاك) للفَصل بين الأمر ومفعوله بجواب الأمر مع طول الفَصل.

---

[1] ف: لقوله.

[2] صدره:

يـا عـاذِلـي دعـنـي مِـن عَـذلِـكـا

الإنصاف للأنباري، ١/٢٥٤، بغير نسبة.

[3] يعني: القراءات في ﴿تُسَٰقِطْ﴾، والصحيح منها أربعة: الأولى: ﴿تُسَٰقِطْ﴾ بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين، وهي رواية حفص عن عاصم. والثانية: ﴿تَسَٰقَطْ﴾ بفتح التاء والقاف وتخفيف السين، وقرأ به حمزة. والثالثة: ﴿يَسَّٰقَطْ﴾ بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، وقرأ به يعقوب وأحد وجهين مِن رواية شعبة. والرابعة: ﴿تَسَّٰقَطْ﴾ كذلك، إلّا أنّه بالتأنيث، وبذلك قرأ باقي القرّاء العشر. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١٨.

[4] ن: يكون.

[5] ف: وكأنّه.

والباء في ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ صلةٌ للتَّأكيد؛ كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة ١٩٥/٢]، أو على معنى: افعلي الهَزَّ به، كقوله:

يَــجْــرَحْ فــي عَــرَاقِــيــبِــهـا نَــصْــلِـي

قالوا: التَّمرُ للنُّفَساء عادةٌ من ذلكَ الوقتِ، وكذلك التَّحنيكُ، وقالوا: كان من العجوة.

قوله: (صلة للتأكيد) قيل: الصحيح أنّ هذه الباء لصلة المعنى، كقوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال ٥٧/٨]، وقيل: الباء ليست بزائدة، فمعنى ﴿هُزِّى﴾: انفضي الثمرة إليك بالجذع، ومنه يتبيّن وجه قول المُبرّد.

قوله: (أو على معنى) يعني: يكون المفعول به محذوفًا، ويكون بعد الحذف نِسيًا منسيًا، كأنّ[1] فعله مِن جنس الأفعال غير المتعدّية، كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل للمفعول، واستشهَد بالبيت، وأوّله:

وإن تعتذِر بالمَحْلِ مِن ذي ضُروعِها إلى الضيف...[2]

و"المَحْل": الجَدْب،[3] وهو انقطاع / المطر ويُبس الأرض، والباء للسببيّة لا [١٠٤و]
للظرفيّة، هكذا ذكره بعضهم، وأظنّ أنّ الأولى أن يقال: هي مثل الباء في قولك: ضَربتُ بالسَّوط، وقوله: "مِن ذي ضُروعِها" يريد به: اللبَن الذي يكون في الضَّرع، و"يَجرح" جواب الشرط، و"نَصْلي" فاعله، والمراد بـ"النَّصل": السيف. و"العراقيب": جمع عرقوب، وهو العصَب[4] الغليظ الموَتَّر[5] فوق عَقِب الإنسان. ومعنى البيت: إذا اعتذرت الناقة إلى الضيف مِن قِلّة اللّبَن بالمَحْل أذبَحُها للضِّيفان، يريد: إذا لم يكن لها لبَن بسبب المَحْل والجَدْب أذبَحُها للضِّيفان.

قوله: (التَّحنيك)[6] أي: إلصاق التمر بحنَك[7] الصبيّ.

قوله: (مِن العجوة) هي أجود أنواع[8] التمر.

---

١ ف: كأنّه.
٢ ديوان ذي الرمّة، ١٣٧/١.
٣ ن: الجذب.
٤ ن: الصعب.
٥ أي: مثل وَتَر القَوس.
٦ ن: التحنيل.
٧ ن: بحفك.
٨ ف – أنواع.

وقيل: ما لِلنُّفساء خيرٌ من الرُّطَب ولا للمريض خيرٌ من العَسَل.

وقيل: إذا عَسُرَ وِلادُها لم يكن لها خيرٌ من الرُّطَبِ.

عن طلحة بن سليمان: "جِثِيًّا" بكسر الجيم للإتباعِ.

أي: جَمَعنا لكِ في السَّريّ والرُّطَبِ فائدَتين؛ إحداهما: الأكلُ والشربُ، والثانيةُ: سَلْوةُ الصَّدْر؛ لِكونهما مُعْجزتين.

وهو معنى قوله: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾؛ أي: وطِيبي نفسًا ولا تَغْتَمِّي، وارْفضِي عَنكِ ما أَحْزنَكِ وأَهَمَّكِ.

وقرئ: "وقِرِّي" بالكسر لغَةُ نجدٍ.

"ترئن" بالهمز: ابن الرُّومي عن أبي عَمرو، وهذا من لغةِ من يَقولُ: "لَبَّأتُ بالحج"

قوله: (وقيل: ما للنفساء) "ما" نافية.

قوله: (وقُرئ: ﴿وَقِرِّي﴾ بالكسر)[١] يقال: قَرَرْتُ به عينًا، وقرِرْتُ به عينًا، قُرَةً وقرورًا فيهما، تَقِرُّ[٢] وتَقَرُّ؛ نقيض: سَخُنَت، وأقرَّ الله عينَه، أي: أعطاه حتى تقرَّ، أقرَّ الله عينَه، أي: جعلها ذات قِرَة، فلا تطمح إلى مَن هو[٣] فوقه، ويقال: حتّى تَبرُد ولا تسخُن، فللسرور دمعة باردة، وللحزن دمعة حارّة.

قوله: (لَبَّأتُ بالحجّ) يقال: لبّيتُ الرجلَ، إذا قلتَ له: لبَّيك، ولبَّيتُ بالحج تلبيةً، وربّما قالوا: لبّأتُ بالهمز، وأصله غير الهمز، قال يونس بن حبيب النحوي: "لبّيك" ليس بمُثنًّى،[٤] إنّما هو مثل: عليك وإليك، وحكى أبو عُبيد عن الخليل: أنّ أصل التلبية: الإقامة بالمكان، ويقال:[٥] أَلْبَبْتُ بالمكان ولَبَّبْتُ -لغتان- إذا أقمتُ به، قال: ثمّ قلبوا الباء الثانية إلى الياء استثقالًا، كما قالوا: تظنَّيتُ، وإنّما أصله تظنَّنت، وقولهم:[٦] "لبَّيك" مثنًّى،[٧] وأنشد:

---

[١] الكسر قراءة شاذّة، وهي لغة شاذة. التبيان للعكبري، ٢/٨٧٢.

[٢] ن – تَقِرّ.

[٣] ن – هو.

[٤] د ن: بمبني.

[٥] ن: يقال.

[٦] ن: وقوله.

[٧] د ن: مبني.

و"حَلَّأْتُ السَّويقَ" وذلك لتآخٍ بين الهمزة وحُرُوفِ اللِّين في الإبدال.

﴿صَوْمًا﴾: صَمْتًا، وفي مصحف عبد الله: "صَمْتًا"، وعن أنس بن مالك مِثلُهُ.

وقيل: صيَامًا، إلَّا أنَّهم كانوا لا يتكلَّمون في صِيامِهِم، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصَّمْتِ؛ لأنَّه نُسِخ في أمته.

أمَرَها اللهُ بأنْ تَنذُرَ الصَّومَ لئلا تَشرَع مع البشر المتَّهِمينَ لها في كلامٍ لِمَعنَيين:

أحدهما: أنَّ عيسى صلواتُ الله عليه يَكفيهَا الكلامَ بما يُبَرِّئ به سَاحَتَها.

والثاني: كراهةُ مجادَلةِ السُّفهاء ومُناقَلتِهم، وفيه: أن السُّكوتَ عن السَّفيه واجبٌ، ومِن أذَلِّ النَّاسِ سَفيهٌ لم يجد مُسافِهًا.

قيل: أخْبرَتهم بأنها نَذرَتِ الصَّومَ بالإشارة. وقيل: سُوِّغَ لها ذلك بالنُّطق.

﴿إنسِيًّا﴾؛ أي: أكلِّمُ الملائكةَ دون الإنسِ.

دعــوتُ لِمـا نـابَـنـي مِـسْــوَرًا فـلبَّـى فـلبَّـي يــدَي مِـسْــوَرِ[1]

قال: ولو كان بمنزلة "على" لَقال: فلبَّى يدَي مِسوَرٍ؛ لأنَّك تقول: على زيد، إذا أظهرتَ الاسم، وإذا لم تُظهر قلتَ: عليه، كما قال:

دَعــوتُ فتًى أجـابَ فتًى دَعـاه بِـلـبَّـيْـهِ أشَــمَّ شَــمَـرْدَلِـيّ[2]

قوله: "أشَمَّ" مجرور بدل مِن الضمير في "لبَّيه"، وكذا شَمَرْدليّ. قوله: "فلبَّي يدَي مِسْوَرِ" أي: لبَّاني يَدا مِسْوَرٍ لَبًّا لَبًّا، يعني: لبَّاني مِسْورٌ، فأقحَم اليد، وإضافة "لبَّى" إلى الفاعل كما في البيت: "بلبَّيه".

وقوله: (وحَلَّأْتُ السَّويق) أي: خلطتُه بالشيء الحلو.

قوله: (لأنَّه نُسخ في أمَّته) أي: بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء ١٧/٥٣].

---

[1] كذا في الصحاح للجوهري، «لبى»، بغير نسبة.

[2] الصحاح للجوهري، «لبى». والبيت للأسدي كما في لسان العرب لابن منظور، «لبى».

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ٢٧ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ٢٨﴾

"الفَرِيُّ": البَديعُ، وهُو مِن فَرْيِ الجِلْدِ.

﴿هَٰرُونَ﴾ كان أَخاها مِن أبيها مِن أَمْثَلِ بني إسرائيل.

وقيل: هو أخو موسى صلوات الله عليهما.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إنما عَنَوْا هارون النبيَّ»، وكانت من أعقَابه في طبقَة الأُخوَّة، وبَينها وبينه أَلْفُ سنةٍ وأكثرُ.

قوله: (البديع) فإنّ الشيء البديع مقطوع عن نظائره، إذ ليس له نظائر، وقوله: (مِن فَرْي الجِلد) أفريت الأديم: قطعته على جهة الإفساد، وفرَيته: قطعته على جهة الإصلاح.

قوله: (مِن أبيها) متعلّق بقوله: (أخاها) مِن حيث المعنى، كأنّه قيل: متولِّدًا مِن أبيها، فهو في محلِّ الحال مِن الهاء، أو نقول: هو بدَل مِن "أخاها"، وقوله: (مِن أمثَل) خبر بعد خبر، والأمثَل: / الأفضل. [١٠٤ظ]

قوله: (وعن النبيّ عليه الصلاة والسلام)[١] مقرّر للوجه الثاني، وهو أنّ هارون هذا هو أخو موسى عليهما السلام، وليس أخا مريم.

قوله: (وكانت مِن أعقابه) أي: مِن أخلافه في التنسُّك والعبادة، وقوله: (في طبقة الأخوة)[٢] أي: كانت في طبقة الأخوّة مع أعقابه، فقوله: "في طبقة" خبر كان، أي: كانت في مرتبة الأخوّة مبتدئًا أمرها مِن أعقابه.

---

[١] قال الزيلعي: «قلت: غريب، وذكره الثعلبي هكذا مِن غير سنَد؛ بل ورد خِلافه، فروى مسلم... عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى نجران، فقالوا لي: أرأيتم شيئًا تقرءونه: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وبين موسى وعيسى ما شاء الله مِن السنين؟ فلم أدرِ ما أجيبهم حتّى أخبرت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال "فهلّا أخبرتهم أنّهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم"». صحيح مسلم، ١٦٨٥/٣ (٢١٣٥)؛ تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٣٢٣/٢.

[٢] ف + مع أعقابه.

وعن السُّدِّي: كانت من أولاده، وإنما قيل: ﴿يَـٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ كما يقال: يا أخَا هَمْدان؛ أي: يا واحِدًا منهم.

وقيل: رجلٌ صالحٌ أو طالحٌ في زمانها شبَّهوها به؛ أي: كُنتِ عندنا مثلَه في الصَّلاح، أو شَتَمُوهَا به، ولم تُرَدْ أُخوَّةُ النَّسبِ.

ذُكِرَ أنَّ هارونَ الصَّالحَ تَبِعَ جَنازته أربعون ألفًا كلُّهم يسمَّى هارونَ تبرُّكًا به وباسمه، فقالوا: كُنَّا نشَبِّهُكِ بهارون هذا.

وقرأ عُمَر بن لَجَأٍ التَّيْميُّ: "ما كان أباك امرُؤُ سَوء".

وقيل: احْتَملَ يوسُفُ النجَّارُ مَرْيمَ وابْنَها إلى غارٍ فَلبثوا فيه أربعين يَوْمًا حَتى تَعلَّتْ من نفاسِها، ثم جَاءت تَحمِلُه، فكَلَّمها عيسى في الطريق فقال: يا أمَّاه، أَبْشِري فإني عبدُ الله ومَسِيحُه، ....

قوله: (وعن السُّدِّي)[١] مبيّن لمعنى الحديث. وقوله: (وإنّما قيل: أختَ) أي: على قول السُّدّي.

قوله: (يا أخا هَمْدان) هَمْدان اسم قبيلة.

قوله: (وقيل: رجل صالح) إشارة إلى الوجه الثالث، وهو عطف على قوله: (وقيل)، ثمّ ذكر أنّه لم تُرَد أخوّة النسب في هذا الوجه الأخير بخلاف الوجهين الأوّلَين.

قوله: (وقرأ عمر بن لَجأ)... إلخ،[٢] هذه القراءة مشكِلة؛ لأنّ الاسم فيه نكرة والخبر معرفة، فوجهه أن يُحمل على القلب.

قوله: (حتّى تعلّت) تَعلّت المرأة مِن نِفاسها، أي: سَلِمتْ، وتعلّى الرجل مِن عِلّته، وهو مِن تفعّل الذي يكون للتجنّب، نحو: تأثّم، أي: جانَبَ الإثم.

قوله: (ومَسيحُه) معناه: الطيّب والمبارك. و"مسيح" لقب، و"عيسى" كنية.

---

[١] جامع البيان للطبري، ١٥/٥٢٥ (مريم، ١٩/٢٨). [٢] هي قراءة شاذّة.

فلمَّا دخلَتْ به عَلى قومها وهم أَهْلُ بيتٍ صَالِحونَ تَباكَوْا وقَالُوا ذلك.

وقيل: همُّوا برَجْمِهَا حتى تكلَّمَ عيسى فترَكُوهَا.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: هو الذي يُجِيبُكم إذا ناطَقْتمُوه، وقيل: كان المُستنطِقُ لعيسَى زكرياءُ عليهما السلام.

وعن السُّدِّي: لمَّا أشارت إليه غَضِبُوا وقالوا: لَسُخرِيَتُها بنا أَشَدُّ علينا من زِناها.

وروي: أنه كان يَرضَعُ، فلمَّا سمِع ذلكَ تركَ الرَّضاعَ وأَقْبلَ عليهم بوجههِ واتَّكأَ على يَساره وأَشار بسبَّابتِه.

وقيل: كلَّمهُم بذلك ثم لم يَتكلَّم حتى بلَغَ مَبْلَغًا يتكلَّم فيه الصبيان.

﴿كَانَ﴾ لإيقاعِ مَضْمُونِ الجملة في زمانٍ ماضٍ مُبْهَمٍ يَصْلُحُ لِقَريبه وبعيده، وهو هاهنا لقريبهِ خاصةً، والدالُّ عليه مَعْنى الكلام وأنه مَسُوقٌ للتعجُّب.

ووجهٌ آخر: وهو أن يكون ﴿نُكَلِّمُ﴾ حكايةَ حالٍ ماضيةٍ؛ أي: كيف عُهِدَ قبلَ عيسَى أن يُكلِّم الناسُ صبيًّا في المهْد فيما سَلَف من الزمان حتى نُكلِّمَ هذا؟!

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾

قوله: (فلمّا دخلت به) الباء في "به" للمُصاحَبة[1] أو للتعدية.

قوله: (﴿كَانَ﴾ لإيقاع[2] مضمون الجملة) وقيل: ﴿كَانَ﴾ بمعنى صار، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود ١١/٤٣]، وقيل: ﴿كَانَ﴾ مقحَمة.

قوله: (فيما سلَف) بدل مِن قوله: (قبل[3] عيسى).

---

١ ن + أي: في من كان في المهد صبيًّا.
٢ ف: الإيقاع.
٣ ن: قيل.

أنطقَه اللهُ أوَّلًا بأنَّه عَبْدُ الله رَدًّا لِقَول النَّصارى، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو الإنجيل.

واختلفوا في نُبُوَّته:

فقيل: أُعطيَها في طفولته: أكمَلَ اللهُ عقلَه واستَنْبأهُ طفلًا. نظرًا في ظاهِرِ الآية.

وقيل: معناه: أن ذلك سَبَق في قضائه، أو جَعَل الآتيَ لا محالةَ كأنهُ قد وُجِد.

﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «نَفَّاعًا حيث كنتُ».

وقيل: مُعَلِّمًا للخير.

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾

قوله: (ردًّا لقول النصارى) ووصفه بـ"إيتاء الكتاب" ثانيًا ردًّا[1] لقول اليهود، والأوّل أهمّ؛ فلذا قُدّم.

قوله: (وقيل: معناه: إنّ ذلك سبق)... إلخ، فيكون مِن قَبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب، فإنّ التقدير: سبب لإيتاء[2] الكتاب، ويحتمل أن يكون كناية، فإنّ "إيتاء الكتاب" مِن توابع التقدير.[3]

قوله: (لا محالة) مِن قولهم: حالَ إلى مكان آخر إذا تحوّل، فهو بمعنى قولهم: لا بدّ، فمعنى[4] "لا محالة": لا تَحوُّل عنه، ومعنى "لا بدّ": لا فِراق، والتبديدُ:[5] التفريق، والبديد: المفازة الواسعة، والاسم في البابين مبنيّ، والخبر محذوف، وهذه الجملة -أعني: "لا محالة"- مع خبره المحذوف صفةُ مصدر محذوف، أي: الآتي إتيانًا لا تحوُّل عنه، أو حال مِن الضمير في "الآتي"، فيكون حالًا مقدّرة، والأَولَى أن يقال: هو حال محقَّقة لا مقدّرة.

---

١ ن – ردًّا.

٢ ن: لإيثاء.

٣ وقعت هذه الحاشية في هامش د ف، ووقعت في ن قبل سابقتيها، ورأيت وضعها هنا على ترتيب ورودها في الكشّاف.

٤ ن + لا بد.

٥ في الأصول المخطوطة: "التبديل"، والصواب ما أثبتّه، وانظر: الصحاح للجوهري، «بدد».

قرئ: "وبِرًّا" عن أبي نَهِيكٍ، جَعل ذاتَه بِرًّا لِفَرْطِ بِرِّه، أو نصَبَه بفعلٍ في مَعنى ﴿أَوْصَانِى﴾ وهو: "كلَّفني"؛ لأن ﴿أَوْصَانِى بالصلاة﴾ و"كلَّفنيها" واحدٌ.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ قيل: أَدْخَل لامَ التعريف لتَعرُّفِهِ بالذِّكر قبلَه؛ كقولكَ: "جاءَنا رَجُل وكان مِنْ فعل الرَّجُلِ كذا". والمعنى: وذلك السلامُ المُوَجَّهُ إلى يحيَى في المواطِنِ الثلاثة مُوَجَّهٌ إليَّ.

والصحيح أن يكون هذا التعريفُ تعريضًا باللَّعْنَة على مُتَّهِمي مريمَ عليها السلام وأَعدائها مِن اليَهُود، وتحقيقُهُ: أن اللام لِلجنس، فإذا قال:

قوله: (قرئ "وَبِرًّا" عن أبي نَهيك) أي: هذه القراءة مرويّة عن أبي نَهيك، وهي شاذّة.[١] ثمّ قال المصنِّف: "أي: جعل أبو نَهيك"، يعني: لمّا قرأ كذلك فإمّا أن يكون قد جعله منصوبًا بـ"جعل"، فكأنْ قد حكَم عليه بأنّه بِرٌّ لفَرط بِرِّه، أو جَعلَه منصوبًا بما دلّ عليه ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾، فقوله: (أو نصبَه) عطف على "جعله"، والضمير مِن "نصبه" يعود إلى "بِرًّا"، وحاصل المعنى: جعل أبو نَهيك في هذه القراءة عيسى بِرًّا، أو نصب "بِرًّا" بفعل.

قوله: (لتعرُّفه بالذِّكر) إشارة إلى أنّ التعريف بالحقيقة إنّما حصل بالعهد السابق، ولام التعريف إشارة إلى ذلك العهد، وكذلك حكم التعريف بالإضافة والعلميّة، وإشارة إلى أنّ[٢] شرط التعريف بلام العهد الخارجيّ أن يكون الاسم معهودًا / بذكره [١٠٥و]
قبل ذلك كما في الإضافة، قال ابن الحاجِب في شرح المفصّل: «الأسماء المضافة إلى المعارف مشروط في استعمالها أن تكون لمعهود بين المتكلِّم والمخاطَب باعتبار تلك النسبة، كما يشترط في المعرَّف باللام أن يكون كذلك».[٣]

قوله: (والصحيح)... إلخ، تعريض[٤] مِن المصنّف بأنّ القول الأوّل -وهو أن يكون للعهد[٥] الخارجي- غير صحيح؛ وذلك لأنّه إذا كان للعهد الخارجي

---

[١] انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٤٢.
[٢] د - أن.
[٣] الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ١/٦٦.
[٤] ن: تعرتض.
[٥] ف: العهد.

"وجنسُ السلامِ عَلَيَّ خاصَّةً" فقَد عَرَّضَ بأَنَّ ضِدَّهُ عليكم، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه ٤٧/٢٠] يعني: أنَّ العذابَ على مَن كذَّبَ وتولَّى، وكان المقامُ مقامَ مناكَرةٍ وعِنادٍ، فهو مَئِنَّةٌ لنحوِ هذا من التعريض.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾

قرأ عاصمٌ وابنُ عامِر: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بالنصب.

وعن ابن مسعود: "قالُ الحقِّ وقالُ اللهِ".

وعن الحسن: "قُولُ الحقِّ" بضمِّ القاف، وكذلك في الأنعام: "قُولُه الحقُّ".

والقَولُ والقَالُ والقُولُ في مَعْنًى واحدٍ؛ كالرُّهْب والرَّهْب والرَّهَبِ.

وارتفاعُه على أنه خبرٌ بعد خبرٍ، أو بدلٌ، أو خبرُ مُبتدأ مَحْذوفٍ.

وأمَّا انتصابُه فعَلى المدح إن فُسِّر بكلمةِ اللهِ، وعلى أنه مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة إن أريدَ: قَولَ الثَّباتِ والصِّدقِ؛ كقولك: "هو عبدُ اللهِ الحقَّ لا الباطلَ".

يكون إشارة إلى ذلك المعيّن المشخَّص، وذلك السلام المعيّن المتشخّص المتوجّه إلى يحيَى يستحيل أن يتوجّه إلى شخص آخر، وأيضًا لم يجْرِ[١] ذكر السلام في كلام عيسى متقدّمًا حتى يكون هذا مِن عيسى إشارة إلى ذلك السلام المعهود بينَه وبين قومه.

قوله: (فهو مَئِنّة) أي: مَخلَقة ومَظِنّة، مَفعِلة مِن "إنّ" التأكيديّة غير مشتقّة[٢] منها؛ لأنّ الحروف لا يشتقّ منها، وإنّما ضُمّنت معاني ما يلاقيها معنى، وقوله: (مِن التعريض) بيان "هذا".

قوله: (وارتفاعه على أنّه خبر بعد خبر)... إلخ،[٣] إذ يقال له: قولُ الحقّ، كما يقال له: كلمةُ الله، فيكون ﴿ٱلْحَقِّ﴾ على هذا مِن أسماء الله تعالى.

---

١ ف: يجز.

٢ ن – مشتقّة.

٣ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب اللام في ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، وقرأ باقي القرّاء العشر برفعها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٨/٢.

وإنما قِيل لعيسَى: "كلمة الله" و﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾؛ لأنه لـم يولَدْ إلا بكلمةِ الله وحدها، وهي قولُه: ﴿كُن﴾ من غيرِ واسطةِ أبٍ تَسميةً للمُسبَّبِ باسم السَّبَبِ؛ كما سمِّي العُشْبُ بالسماءِ والشحمُ بالنَّدى.

ويحتمِل إذا أريدَ بـ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ عيسى أن يكون ﴿ٱلْحَقِّ﴾ اسمَ اللهِ عزَّ وجل، وأن يكون بمعنى الثباتِ والصِّدق، ويَعْضُده قوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾؛ أي: أمرُه حقٌّ يقينٌ وهُم فيه شاكُّون.

﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشُكُّونَ، والمِريةُ: الشَّكُّ، أو: يتمارَوْنَ: يَتَلاحَوْنَ؛ قالت اليهود: سَاحِرٌ كذابٌ، وقالت النصارى: ابنُ اللهِ، وثالثُ ثلاثة.

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: "تمترون" على الخطاب.

وعن أبيِّ بن كعبٍ: "قولَ الحقِّ الذي كان الناسُ فيه يَمْتَرُون".

قوله: (كما سُمّي العشب بالسماء) يعني: المطر، قال:

إذا نـــزل الســـماءُ بـــأرض قـــومٍ   رَعينـــاهُ وإن كانـــوا غِضابَـــا[1]

قوله: (والشَّحْم بالندَى) الندَى:[2] المطر، والندَى: الشَّحْم، قال ابن أحمر:

كثَورِ العَـدابِ[3] الفَـرد يَضرِبُـه النـدَى   تَعلَّـى النـدَى فـي مَتنِـه وتَحـدَّرَا[4]

فـ"الندَى" الأوّل: المطر، والثاني: الشَّحم. و"العَدَاب"[5] بفتح العين والدال غير المعجمتين: ما استدَقَّ مِن الرمل.

قوله: (ويحتمل)؛ وذلك لأنّه إذا أُريد بالقول عيسى -للسببيّة المذكورة- فيجوز أن يضاف القول إلى الله تعالى، وهو ظاهر، ويجوز أن يضاف إلى الثبات والصدق؛ لأنّه[6] قول مختصٌّ بالثبات والصدق بعيد عن الاضطراب والرِّيبة، "فالصدق طمأنينة، والكذب رِيبة".[7]

---

[1] البيت لمعاوية بن مالك. انظر: لسان العرب لابن منظور، «سما».
[2] ن: الندي.
[3] ن: العذاب.
[4] الصحاح للجوهري، «عدب».
[5] ن: والعذاب.
[6] ف: لا.
[7] قطعة مِن حديث في سنن الترمذي، ٢٤٩/٤ (٢٥١٨)، بلفظ: «فإنّ الصدق طمأنينة، وإنّ الكذب ريبة».

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾

كَذَّبَ النَّصارَى وبَكَّتَهُم بالدِّلالة على انتفاءِ الولدِ عنه، وأنه ممَّا لا يتأتَّى ولا يتصوَّرُ في العُقول، وليس بمقدورٍ عليه؛ إذ مِن المُحال غيرِ المستقيمِ أن تكون ذاتُه كذاتِ مَن ينشأُ منهُ الولدُ، ثم بيَّن إحالةَ ذلك بأنَّ مَن إذا أراد شيئًا من الأجناسِ كلِّها أوجدَه بـ﴿كُن﴾ كان منزَّهًا مِن شَبَه الحيوان الوالد.

والقولُ هاهنا مَجازٌ، ومعناه: أنَّ إرادته للشيء يتبعُها كونُه لا محَالةَ من غيرِ توقُّفٍ، فشُبِّه ذلك بأمرِ الآمرِ المُطاعِ إذا وَرَد على المأمور الممتَثِل.

قوله تعالى:[١] ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون مرفوعًا ومنصوبًا على الوجوه المذكورة في ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾.

قوله: (يتلاجُّون)[٢] أي: يتنازعون.

قوله: (في المعقول)[٣] "المعقول" بمعنى العقل.

قوله: (بأنَّ مَن إذا[٤] أراد شيئًا) "مَن" موصول، صِلته "إذا أراد"... إلخ، وقوله: "إذا أراد شيئًا" تفسير لقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾، فـ﴿قَضَىٰ﴾ بمعنى: خلَق، كقوله[٥] تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت ٤١/١٢]، فمعنى ﴿قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد قضاء أمر، أي: خَلْقَه وإيجادَه، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل ١٦/٩٨]، أي: إذا أردتَ قراءته، والمعنى: إذا أراد إيجاد شيء فكما أراده يكون، لا يتوقف وجوده على أسباب وأدوات، ولا على وسائل وآلات. وقوله: (أوجده) جواب "إذا". وقوله: (كان) خبر "أنَّ".

قوله: (فشُبِّه ذلك) أي: شُبِّه الإرادة بالأمر، فوقع الاستعارة في المصدر، ثمّ في الفعل بالتبعيّة.

---

[١] ن - تعالى.

[٢] في مطبوع الكشّاف: "يتلاحَون"، وهو بمعناه.

[٣] في مطبوع الكشّاف: "العقول".

[٤] سقطت (إذا) مِن الأصول المخطوطة، وأثبتُّها مِن الكشّاف، وهي موجودة في عبارة الحاشية فيما يأتي.

[٥] ف: لقوله.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾

قرأ المَدَنيُّونَ وأبو عمرو بفتح ﴿أَنَّ﴾ ومعناه: ولأنه ربِّي وربُّكم فاعبدوه؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن ١٨/٧٢]، والإِستارُ وأبو عبيد بالكسر على الابتداء.

وفي حرف أُبيّ: "إن الله" بالكسر بغيْرِ واوٍ، و: "بأنَّ الله"؛ أي: بسببِ ذلك فاعبدوهُ.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧﴾

﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾: اليهودُ والنصارى، عن الكلبي.

وقيل: النصارى؛ لتَحزُّبِهم ثلاثَ فرقٍ: نَسْطُوريَّةً ويَعْقوبيَّةً ومَلْكَائيَّةً.

وعن الحسن: الذين تَحزَّبوا عَلى الأنبياء.

[١٠٥ظ] قوله: (والإستار) الإستار[١] / في كلام العرب: عبارة عن كلّ أربعة أعداد مِن جِنس واحد، والمراد هنا بهم: عاصم والأعمش والكسائي وحمزة،[٢] قال:

قُـرِنَ الـفَـرزدَقُ والبَعِيثُ وأُمُّـه   وأبـو[٣] الـفَـرزدَقِ شرُّ ما إسْتـارِ[٤]

"الإستار" بكسر الهمزة في العدد أربعة، قال الكُمَيت:

أبلِغ يـزيـدَ وإسماعيلَ مَـأْلُـكَـةً[٥]   ومـنـذِرًا[٦] وأبـاه[٧] شـرَّ ما إسْتـارِ[٨]

وقال الأخطل:

لَـعَـمـرُكَ إنّـني وابـنَـي جُـعَـيلٍ   وأمَّـهُـمـا لإسْـتـارٌ لَـئـيـمُ[٩]

---

[١] ن – الإستار.

[٢] قرأ الكوفيّون -وهم عاصم وحمزة والكسائي وخلف- وابن عامر ورَوح بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. النشر لابن الجزري، ٣١٨/٢.

[٣] ن: وأبوا.

[٤] البيت لجرير في ديوانه، ٨٩٦/٢، بلفظ:

إنّ الـفـرزدق والـبَعيـثَ وأُمّـه   وأبـا الـبَعـيـثِ لَـشَرُّ ما إسْـتـارِ

[٥] مَألُكة: رسالة. انظر: الصحاح للجوهري، «ألك».

[٦] ن: ومنذر.

[٧] ن: أو أباه.

[٨] الصحاح للجوهري، «ستر».

[٩] ديوان الأخطل، ص ٣٧٣؛ وانظر: الصحاح للجوهري، «ستر».

لمَّا قُصَّ عليهم قصَّةُ عيسى اختلفوا فيه من بين الناسِ.

﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: من شُهودِهم هَوْلَ الحِسابِ والجزاءِ في يوم القيامة.

أو: مِن مكان الشُّهُود فيه وهو الموقِفُ.

أو: مِن وَقتِ الشُّهود.

قوله: (لمّا قُصّ عليهم) هذا ابتداء كلام مبنيّ على التفسير الأوّل للأحزاب، وأشار المصنِّف بلفظ[١] "لمّا" إلى معنى الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾، وذلك المعنى هو أنّهم لمّا سمعوا قصّة عيسى عليه السلام على ما هو الحقّ -وهو المذكور في القرآن ههنا- اختلفوا مِن غير توقّفٍ وتأمّل، فإنّ معنى الفاء هو التعقيب مِن غير تراخ، وهو معنى كلام المصنّف: "لمّا قُصّ عليهم اختلفوا"، وفيه إشارة إلى غاية عنادهم وجهلهم وضلالهم، إذ مِن حقّ مَن سمع شيئًا مِن هذا النوع أن يتأمّل فيه؛ أهو حقّ أم لا؟ ثمّ إمّا أن يقبل ويصدّق[٢] أو يمنع ويكذّب، وأمّا مَن منع عند أوّل السماع مِن غير تأمُّل فهو المعاند المكابر حقًّا.

قوله: (أي: مِن شهودهم هَول)... إلخ، أي: مِن حضورهم، الحاصل: أنّ قوله: ﴿مَشۡهَدِ﴾ إمّا أن يكون مِن الشهود بمعنى الحضور، وإمّا أن يكون مِن الشهادة، وعلى التقديرين فإمّا أن يكون مصدرًا أو اسمَ مكان أو زمان، وإذا كان مِن الشهادة فإمّا أن يكون المراد الشهادة عليهم أو شهادتهم في حقِّ عيسى، فقوله: (قيل: هو) أي: المراد بالشهادة، وهو[٣] "ما قالوه"، فالمعنى: ويلٌ مِن عقوبتها في ذلك اليوم. ثمّ إنّ قوله: (مِن شهودهم) على أن يكون ﴿مَشۡهَدِ﴾ مِن الشهود، وبمعنى المصدر، فالإضافة فيه كما في قوله تعالى: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ ٣٣/٣٤]، أي: مِن إضافة المصدر إلى ظرف الزمان، وقوله: (أو مكان الشهود) يعني أنّ ﴿مَشۡهَدِ﴾ بمعنى اسم المكان مِن الشهود أيضًا،

---

١ ف: بلفظه.

٢ ن: يصد.

٣ ف: هو.

أو: مِن شهادة ذلك اليومِ العظيم عليهم، وأَنْ تَشهَد عَليهم الملائكةُ والأنبياءُ وأَلْسنتُهم وأيديهم وأرجُلُهم بالكفر وسُوءِ الأَعمال.

أو: مِن مكانِ الشهادةِ أو وقتِها.

وقيل: هو ما قالوه وشهِدوا به في عيسى وأمِّه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾

لا يوصف الله تعالى بالتعجُّب، وإنما المرادُ أَنَّ اسْتِماعَهم وإبْصارَهم يومئذ جديرٌ بأن يُتَعَجَّبَ منهما بعدما كانوا صُمًّا عُميًا في الدنيا.

وقيل: معناه: التهدُّدُ بما سَيَسْمعُون وسَيُبْصِرُون مما يَسوءهم ويَصْدَعُ قُلوبَهُم.

واللام في قوله: "الشهود" لام العهد، وهو إشارة إلى شهودهم، فالمعنى: مِن مكان شهودهم هولَ[١] الحساب في ذلك اليوم، فإضافة ﴿مَشْهَدِ﴾ إلى ﴿يَوْمٍ﴾ على هذا للملابسة بين مكان الحساب وزمانِه، وكذا اللام في "وقت الشهود" للعهد، فالمعنى: مِن زمان شهودهم هولَ الحساب في يوم القيامة، فالمراد بـ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم القيامة، والمراد بزمان الشهود هو الجزء مِن يوم القيامة، أي: الجزء الذي يشهدون فيه، فهو مِن إضافة البعض إلى الكلّ. وقوله: **(وأن تشهد عليهم الملائكة)** أي: وهو أن تشهد...، يعني:[٢] أنّ المراد بشهادة ذلك اليوم شهادة هؤلاء في ذلك اليوم، أو مِن العطف الذي يكون للبيان، والإضافة على هذا مِن إضافة المصدر إلى الظرف كما مرّ، واللام في "الشهادة" للعهد، والضمير مِن "وقتها" للشهادة المعهودة، فتأمّل واستخرجه، فبما[٣] مرّ يتبيّن لك بتوفيق الله تعالى.

قوله: **(لا يوصف الله تعالى بالتعجُّب)** يعني: لا يجوز أن يكون المراد مِن هذه الآية حقيقة التعجُّب؛ بل المراد أحد المعنيين.

---

[١] ن: هو.
[٢] ن: بمعنى.
[٣] ن: فيما.

أَوقَعَ الظاهِرَ أَعْني "الظالمين" مَوقعَ الضمير إشعارًا بأنْ لا ظلمَ أَشَدُّ من ظُلمهم حيثُ أَغْفَلوا الاستماعَ والنظرَ حِين يُجْدِي عليهم ويُسْعِدُهم.

والمراد بـ"الضلال المبين": إغفالُ النظر والاستماع.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: فُرِغَ مِن الحسَاب، وتَصادَرَ الفريقانِ إلى الجنة والنار.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه فقال: «حين يُذْبَح الكبشُ والفريقان ينظران».

و﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِن ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، أو منصوبٌ بـ﴿ٱلْحَسْرَةِ﴾.

قوله: (حين / يُجدي) أي: في الدنيا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾. [١٠٦و]

قوله: (وعن النبيِّ عليه الصلاة والسلام أنّه سُئل عنه) أي: عن قضاء الأمر،[1] أي: عن قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، ولا يحسُن أن يكون المعنى عن قضاء الأمر، وإلّا لم يصحَّ تفسيره بقوله: («حين يُذبح الكَبْش»)[2] والكَبْش: صورة الموت، وفي الحديث: «يؤتَى بالموت يوم القيامة على هيئة كَبْشٍ أملَحَ فيُذبح على متنِ الصراط، فيقال: يا أهل الجنّة ويا أهل النار هل تعرفونه؟ فيتطالُّ الفريقان،[3] فيقولان: نعم»... الحديث،[4] يقال: تطالَّ إذا مدَّ عُنقَه ينظر إلى شيء يبعُد عنه، قال:

كفَى حَزَنًا أنّي تَطالَلْتُ كي أرَى ذُرَى قُلَّتَي دَمْخٍ فما تُرَيانِي[5]

"دمْخ": اسم جبل بعينه، والياء في "تُرَياني" حرف الإطلاق.

---

[1] ف – أي: عن قضاء الأمر.

[2] أخرج الطبري عن ابن جريج قال: بلغني في قوله: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام ٦/٥٨]، قال: ذبح الموت. جامع البيان للطبري، ٢٨١/٩ (الأنعام، ٥٨/٦). وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٣٢٥/٢. وانظر الحديث الذي أورده المصنِّف بعده.

[3] ن: الفريقين.

[4] صحيح البخاري، ٩٣/٦ (٤٧٣٠)؛ صحيح مسلم، ١٨٨/١ (٢٨٤٩).

[5] البيت لطُهمان بن عَمرو الكلابي. انظر: لسان العرب لابن منظور، «دمخ».

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عن الحسن، ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ اعتراض. أو هو متعلِّق بـ"أنذِرْهم"؛ أي: وأنذرهم على هذه الحال غافلِين غيرَ مؤمنين.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾

يَحتمِلُ أنه يُميتُهم ويُخرِّبُ ديارهم، وأنه يُفنِي أجسَادَهم ويُفني الأرضَ ويَذهَبُ بها.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝٤٢ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝٤٢ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝٤٥﴾

"الصِّدِّيق" من أَبْنية المبالغة، ونظيرُه: الضِّحِّيكُ والنِّطِّيقُ.

قوله: (﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ﴾)، يعني: هو عطف عليه، فيكون خبرًا بعد خبر؛ لقوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾، كأنّه قيل: لكن الظالمون هم في غَفلة، فيكون ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وإذا كان ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ متعلِّقًا بـ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ كان قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ إلى ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] جملةً معترضة مؤكِّدة لظلمهم وضلالهم، فإنّه لمّا حكَم بظلمهم وضلالهم أمرَ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم بإنذارهم، فإنّ الظالم الضالّ حقيق بأن يُنذَر.

قوله: (يحتمل) إلى قوله: (الأرض) هذا الذي ذكره هو معنى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾، ولم يذكر معنى قوله: ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾، ومعناه: إنّا لا نكتفي بإهلاكهم وتخريب ديارهم؛ بل لا بدّ مِن الرجوع إلينا والحساب والجزاء، يعني: يجوز أن يكون معنى الآية: إماتتهم وتخريب ديارهم[2] كما يكون في الدنيا،

---

[1] في الأصول المخطوطة: "إلى غافلون"، ولا يوجد في الآيات "غافلون".

[2] ن: ذيارهم.

والمراد: فَرْطُ صِدْقه، وكثرةُ ما صَدَّق به من غيُوب الله وآياته وكُتبهِ ورسُله، وكأنَّ الرُّجْحانُ والغلبَة في هذا التصديقِ للكتب والرسل؛ أي: كان مصدِّقًا بجميعِ الأنبياء وكتبِهم، وكان نبيًّا في نفسه؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات ٣٧/٣٧]، أو: كان بليغًا في الصِّدق؛ لأنَّ مِلاكَ أمر النبوةِ الصِّدقُ، ومُصَدِّقُ الله بآياتِه ومعجزاته حَرِيٌّ أن يكُونَ كذلكَ.

وهَذِه الجملةُ وقعتِ اعتراضًا بين المبدَلِ منه وبَدَلِه، أعْني: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ و﴿إِذْ قَالَ﴾، نحوَ قولِك: "رَأيتُ زيدًا -ونِعْمَ الرجلُ- أخاك".

ويجوز أن يتعلَّق ﴿إِذْ﴾ بـ﴿كَانَ﴾ أو بـ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾؛ أي: كان جامعًا لخصَائصِ الصِّدِّيقين والأنبياءِ حين خاطب أَباه تلك المخاطَبات.

والمُرَادُ بذِكر الرَّسول إيَّاه وَقصَّته في الكتاب: أَن يَتْلُوَ ذلك على الناس ويُبَلِّغَه إيَّاهم؛ كقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء ٦٩/٢٦]، وإلَّا فالله عزَّ وجلَّ هو ذاكِرُه ومُورِدُه في تنزيله.

التاء في ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ عِوَضٌ من ياءِ الإضافة، ولا يقال: "يا أبتي" لئلَّا يُجمَع بين العِوَض والمعوَّضِ منه، ....

ويجوز أن يكون المعنى: إعدامهم بالكلّيّة وإعدام الأرض كما يكون يوم القيامة؛ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن ٢٦/٥٥]؛ لكن قدَّم ذكر خراب ديارهم على ذكرهم، كأنّه قيل: ما تظنّونه مِلكَكم فلا يبقى في أيديكم؛ بل يعود إلينا بالهلاك والفناء، وأنتم أيضًا لا تبقون، فلذا قدّم فناء ديارهم.

قوله: (أي: كان مُصدِّقًا) هذا على تقدير أن يكون المراد بـ"الصِّدِّيق": كثرةَ ما صَدَّق به.

قوله: (أو كان بليغًا في الصِّدق) هذا على تقدير أن يكون المراد بـ"الصِّدِّيق": فرْطَ صِدْقه.

قوله: (ونِعْمَ الرجل) اعتراض.[1] وقوله: (أخاك) بدل مِن "زيدًا".[2]

---

[1] ف ن: إعراض.

[2] ف: رندًا.

وقيل: "يا أَبتا" لكون الألف بدلًا من الياءِ، وشَبَّه ذلك سيبويه بـ"أَيْنُقٍ" وتَعويضِ الياءِ فيه عن الواوِ الساقطة.

انظُر حين أراد أن ينصَحَ أَباه ويَعِظَه ....

قوله: (لكون الألف بدلًا مِن الياء) يعني: إنّما قلَّ ذلك؛ لأنّ الألف يكون بدلًا مِن الياء، فلمّا أبدل الياء تاء لم يبق الياء حتى أبدل منه الألف، وذلك كما في "أينُق" جمع ناقة،[1] وأصله: أنْوُق، حذف الواو، وبعد ما حذف ولم يبق الواو[2] أبدل منه الياء قبل النون، وهذا على أحد القولين؛ لأنّ مذهب بعضهم أنّ الواو قدّم فصار "أوْنُقًا"، ثمّ قلب ياء فصار "أينُقًا".

قوله: (انظر حين أراد) اعلم أنّ قوله: "حين" لا يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: "انظر"، إذ ليس مراد المصنّف الأمر بأن ينظر الناظر في ذلك الزمان بأن يكون الزمان ظرف النظر، وهو ظاهر، ولا يجوز أيضًا أن يكون ظرفًا / لقوله: "رَتَّب"، [١٠٦ظ] إذ لا يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله؛ بل الوجه أن نقول: "حين" مفعول به لقوله: "انظر"، كأنّه قال: انظر إلى زمان إرادته نصيحة أبيه، والمراد مِن النظر في ذلك الزمان هو النظر إلى ما هو فيه؛ لكن ذكر الزمان؛ لأنّ ذلك الزمان -لغَرابة ما وقع فيه[3]- جدير بأن ينظر فيه، وهو مثل ما ذكر المصنّف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة ٣٤/٢]، ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾[4] [البقرة ٣٥/٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ [البقرة ١٢٦/٢]... إلى غير ذلك.

ثمّ اعلم أنّ هنا حذفًا لا بدّ مِن تقديره، وهو فعل العِلم المعلّق عن العمل في قوله: (كيف رتّب)، أي: انظر لِتعلم كيف رتّب الكلام، أو المعنى: انظر تعلَمْ كيف رتّب؛ ليكون المحذوف علّة الأمر أو جوابه، وقد حُذف لدلالة سياق الكلام عليه، ويجوز أن لا يكون في الكلام حذف؛ وذلك لأنّه لمّا أمره بالنظر

---

[1] ن - جمع ناقة.
[2] ف ن - الواو.
[3] ن: عليه.
[4] في الأصول المخطوطة: "وإذ قلنا يا آدم"، ولم يَرد في القرآن كذلك.

فيما كان متورِّطًا فيه من الخطأ العظيم والارتكابِ الشَّنيع الذي عَصَى فيه آمرَ العقل وانْسَلَخ عن قَضية التمييز، ومِن الغباوة التي ليس بعدها، كيف رتَّبَ الكلام مَعَه في أحسن اتِّساقٍ، وساقَه أَرْشَقَ مَساقٍ، مع استعمال المجامَلة واللُّطف والرِّفق واللِّين والأدَب الجَميلِ والخُلْقِ الحسن، مُنتصِحًا في ذلك بنصيحةِ ربِّه جَل وعَلا، حَدَّثَ أبو هريرةَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَوْحَى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام: إنكَ خَليلي، ....

قدّره كأنّه نظر فعلم حُسنَ الكلام، فاستفهمه بقوله: "كيف رتّب" استفهامَ تقرير لحُسنه ورَشاقة مَساقه. و"المتورّط": الداخل في الورطة.

قوله: (فيما كان متورِّطًا) تنازَع[١] فيه "ينصح" و"يَعِظ"، أي: أراد أن ينصحه ويعظه في أمر ما كان وفي شأن ما كان أبوه متورِّطًا فيه، ثمّ بيّنه المصنّف بقوله: (مِن الخطأ... والارتكاب)، أي: أراد أن ينصحه في شأن الخطأ الذي كان متورِّطًا فيه، وكأنّ المصنّف اقتبس هذا التركيب مِن قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء ٤/٦٣]، أي: قل لهم في حقِّ أنفسهم قولًا بليغًا، ويجوز أن يكون قوله: "فيما كان متورِّطًا" حالًا مِن الضمير المفعول، أي: ينصحه ويعِظه حال كونه واقعًا فيما كان واقعًا فيه.

قوله: (مِن الخطأ) بيان "ما".

قوله: (آمِرَ العقل) أي: العقل الآمر.

قوله: (ليس بعدها) أي: ليس بعدها غباوة، ففي "ليس" ضمير يعود إلى "الغباوة"؛ لكن ذكّره باعتبار أنّه بمعنى الجهل؛ أو لأنّ المصدر يجوز تذكيره وتأنيثه.

قوله: (منتصِحًا)[٢] حال مِن الضمير في "رتّب". انتصَح فلان،[٣] أي: قَبِل النصيحة.

قوله: (حدَّث)[٤] فيه بيان نصيحة الربِّ جلَّ ذِكره.

---

١ ف ن: ينازع.
٢ ن: منتحًا.
٣ ف: فلا.

٤ الحديث في المعجم الأوسط للطبراني، ٣١٥/٦ (٦٥٠٦).

حَسّنْ خُلقَكَ ولَوْ مَعَ الكُفَّار تَدْخُلْ مَداخلَ الأبرارِ، فإنَّ كلمتي سَبَقَتْ لمن حَسَّن خُلقَهُ: أُظِلُّهُ تَحتَ عَرْشي، وأُسْكِنُهُ حظيرةَ القُدْسِ، وأُدْنِيه مِن جِواري».

وذلك أنه طَلَب منه أوَّلًا العِلَّةَ في خَطَائِه طلَبَ مُنَبِّهٍ على تَماديه مُوقِظٍ لإفراطِه وتَناهِيهِ؛ لأن المعْبُودَ لو كان حيًّا مُميِّزًا سميعًا بصيرًا مُقتَدِرًا على الثواب والعقَابِ نافِعًا ضارًّا إلَّا أَنه بعضُ الخَلْقِ لاستُخِفَّ عَقْلُ مَن أَهَّلهُ للعِبادَةِ وَوَصَفه بالربوبية، ولَسُجِّل عليه بالغَيِّ المُبينِ والظُّلم العظيم وإن كان أَشْرَفَ الخلقِ وأَعْلاهُم مَنْزلةً كالملائكة والنبيِّين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٣/٨٠]، وذلك أن العبادَةَ هي غايةُ التعظيمِ فلا تَحِقُّ إلَّا لمَن له غايةُ الإنعام: وهو الخالقُ الرازقُ المُحيي المُميتُ المُثيبُ المُعاقِبُ الذي منه أصُولُ النِّعم وفُروعُها، فإذا وُجِّهَتْ إلى غيره -وتعالى عُلوًّا كبيرًا أن تكُون هذه الصِّفةُ لغَيره- لم يكن إلَّا ظُلْمًا وعُتُوًّا وغَيًّا وكُفرًا وجُحُودًا وخرُوجًا عن الصحيح النيِّر إلى الفاسِدِ المظلِم، فما ظنُّك بمَن وَجَّه عبَادتَه إلى جَمادٍ ليس به حسٌّ وشعُورٌ، فلا يَسمَعُ يا عَابِدَهُ ذكرَكَ له

قوله: (أُظِلُّه) بيان "كلِمتي"،[١] أي: أن أظِلَّه.

قوله: (حظيرة القدس) الحظيرة في الأصل: ما يُعمل للإبل مِن أغصان الشجر ليَقيها البرد والريح، ثمّ يستعمل في مكان يكون الساكن فيه سالِمًا عن الآفات، و"القُدْس": الطهارة، و"حظيرة القُدْس": الجنّة.

قوله: (وذلك أنّه طلب) إشارة إلى بيان حسن ترتيب كلامه.

قوله: (العِلَّة في خطئه)؛ وذلك لأنّ قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ﴾ في معنى: لِمَ وقعتَ في هذا الخطأ، وما علّة وقوعك فيه؟ وقوله: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾... إلخ بيان أنّ عبادته خطأ.

قوله: (لَسُجِّل) يقال: سجّل عليه بكذا؛ شهَره به ووسَمه، كأنّما كتب عليه سِجِلًّا، ويقال: جلس القاضي للإسجال بين الخصوم، أي: للحكم والقضاء.

قوله: (يا عابِدَهُ) اعتراض.

---

[١] ن: طمتي.

وثَناءَكَ عليه، ولا يَرى هَيْئاتِ خُضوعِك وخُشوعِك له، فَضْلًا أن يُغْنيَ عَنك بأَنْ تَستدفِعَه بَلاءً فيَدفَعَه، أو تَسْنَحَ لك حَاجةٌ فيَكفيَها.

ثُم ثَنَّى بدعوته إلى الحقِّ مُتَرَفِّقًا به مُتلطِّفًا فلَمْ يَسِمْ أَبَاهُ بالجَهْل المفْرِط، ولا نفسَه بالعلم الفائِق؛ ولكنه قال: إن مَعي طائفَةً من العلم وشيئًا مِنه ليس مَعَك، وذلك عِلْمُ الدَّلالة على الطريق السويِّ فلا تَستَنكِفْ، وهَبْ أَنِّي وإياك في مَسِيرٍ وعِندِي مَعْرفةٌ بالهداية دُونك فاتَّبِعْني أُنَجِّكَ من أن تَضِلَّ وتتِيهَ.

ثم ثلَّثَ بِتَثبيطهِ ونَهْيِهِ عما كان عَليه: ....

قوله: (أو تَسنَح) أي: تظهر.

قوله: (وإيّاك في مسير) وفي بعض النسخ: "في مشترك"،[1] أي: في طريق مشترك،[2] وقريب مِن هذا المعنى قوله:

وكنّا وليلَى في صَعودٍ مِن الهوَى فلمّا تَراقَينا ثَبَتُّ / وزَلَّتِ [١٠٧و]
وكنّا شَدَدنا عِصْمةَ الوَصل بيننا فلمّا تواثَقنا[3] عَقَدتُ وحَلَّتِ[4]

قوله: (أُنَجِّك) أنجَيتُ غيري ونجَّيتُه بمعنًى.

قوله: (ثمّ ثَلَّث بتَثبيطه) إلى قوله: (إلّا أنّ إبراهيم)... إلخ، حاصل هذا الكلام: أنّ إبراهيم عليه السلام أراد أن يَنهى أباه عن عبادة الشيطان بذكر أمرين: الأوّل: أنّه عاصٍ على ربّه، والثاني: أنّه عدوّك؛ لكنّه لمّا شرَع في ذكر عصيانه على ربّه أعرض عن ذكر الأمر الثاني فلم يتعرَّض له؛ لأنّ ذلك غمَر فِكرَه فلم يبقَ له مجال الاشتغال بذِكر غيره؛ أو لأنّه عدَّ ذلك كافيًا في الردْع فلم يبقَ مع ذكره احتياج إلى ذكر غيره. وقد يَشرَع المتكلِّم في ذكر أشياء فيَعرِض له

---

[1] ن: مشيرك.

[2] ن: مسيرك.

[3] ن: توثقنا.

[4] ذكرهما كذلك في الأربعين الطائيّة لأبي الفتوح الطائي، ٢٢٦/١، وذكر أنّ أبا الفتح علي بن محمد البستي أنشده لمجنون بني عامر، وهما في ديوان كُثيِّر عزّة، ص ١٠٠، بلفظ:

وكنّا سلَكنا في صَعودٍ مِن الهوَى فلمّا تَوافَينا ثَبَتُّ وزَلَّتِ
وكنّا عقَدنا عُقدةَ الوَصل بيننا فلمّا تواثَقنا شَدَدتُ وحَلَّتِ

بأنَّ الشيطان الذي استعْصَى على ربّك الرحمنِ الذي جميعُ ما عِندك من النِّعم مِن عنده، وهو عَدُوُّكَ الذي لا يُرِيدُ بك إلَّا كُلَّ هَلاكٍ وخِزْيٍ ونكالٍ، وعَدُوُّ أَبيك آدمَ وأَبناءِ جِنسِك كلِّهم= هُو الذي وَرَّطَكَ في هذه الضَّلالةِ وأَمَرَكَ بها وزَيَّنها لك، فأنتَ إنْ حقَّقْتَ النظر عابِدُ الشَّيطانِ.

ما يمنع عن ذِكر بعضِه، مثل قولِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام: «حُبِّب إليَّ مِن دنياكم ثلاث: الطِيبُ، والنساءُ، وقُرَّةُ عيني في الصلاة»،[١] فإنّه صلّى الله عليه وسلّم بعد ما ذكر الطِّيب والنساء[٢] مِن الأشياء المُحبَّبة إليه أعرض عن ذِكر الثالث، فكأنّه قال بعد ذكرهما: مالي وللدنيا؟ فإنّما نظري مقصورٌ[٣] على الأمور الأُخرَويّة، وإنّما تَقَرّ عيني بأن أكون في الصلاة، فذكر أوّلًا أنّ المُحَبَّب ثلاث، ثمّ ترك الثالث لِما ذكرنا، وكذا إبراهيم عليه السلام أراد أن يَذكُرَ الشيئين؛ لكن ترك الأمرَ الثاني؛ لأنّ الأوّل غَمَرَ فِكرَه وشُغل به عن غيره. وثبَّطه عن الأمر، أي: أقعده.

قوله: (استعصى) بالغَ مِن "عصى"؛ لأنّ معناه بالغ في العِصيان، فكأنّه طلب ذلك مِن نفسه وكلَّفها إيّاه، كما تقول: مرّ مستعجلًا، أي: مرّ طالبًا ذلك مِن نفسه.

قوله: (وهو عدوّك)[٤] حال مِن الضمير في "استعصى"، أو عطف على تلك الجملة.

قوله: (هو الذي ورَّطك) خبر "أنّ".

---

[١] سنن النسائي، ٦١/٧ (٣٩٣٩)، وليس فيه لفظ: "ثلاث"، وقد بنى صاحب الحاشية هنا تمثيله على ذكر لفظة "ثلاث" في الحديث، مع أنّها لم تصحّ في أيٍّ مِن طرق الحديث المسنَدة، قال الحافظ ابن حجر: «وقد اشتهر على الألسُن بزيادة: "ثلاث"، وشرحه الإمام أبو بكر بن فورك في جزء مفرد على ذلك، وكذلك ذكره الغزالي في الإحياء، ولم نجد لفظ "ثلاث" في شيء مِن طُرقه المسنَدة». التلخيص الحبير لابن حجر، ٢٥٠/٣.

[٢] ن – «وقُرّةُ عيني في الصلاة»، فإنّه صلّى الله عليه وسلّم بعد ما ذكر الطِّيب والنساء.

[٣] ن: مقصود.

[٤] ن: عدول.

إلّا أنَّ إبراهيم عليه السلام لإمعَانه في الإخلاص ولِارتقاءِ همَّته في الرَّبَّانيَّة لم يَذكُرْ من جنايَتَي الشيطان إلا التي تختصُّ منهما بربِّ العِزَّة من عِصيانِه واستكبارِه، ولم يَلتفِتْ إلى ذِكر مُعَاداتِهِ لآدمَ وذُرِّيته؛ كَأَنَّ النظر في عِظَم ما ارتكبَ من ذلك غمَرَ فِكرَهُ وأطبَقَ على ذهْنِه.

ثم ربَّعَ بتَخويفِه سُوءَ العَاقبة وما يَجرُّهُ ما هُو فيه من التَّبِعة والوَبال، ولم يُخِلَّ ذلك من حُسْن الأدبِ حيث لم يُصرِّحْ بأن العقابَ لاحِقٌ له وأن العذاب لاصقٌ به؛ ولكنه قال: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ فَذكَر الخَوفَ والمسَّ وَنكَّر العذابَ وجَعَل وَلاية الشيطان ودخولَهُ في جُملة أشياعِه وأوليائه أكبرَ من العذاب،

قوله: (مِن جِنايتَي الشيطان) أي: الاستعصاء على الرَّبِّ، وعداوة آدم[١] وبنيه.

قوله: (لإمعانه) يقال: أمعَن الفرس، أي: تباعد في سيره.[٢]

قوله: (مِن عصيانه) بيان "التي".

قوله: (مِن ذلك) أي: العصيان والاستكبار. وقوله: (فكَرِه) أي: إبراهيم عليه السلام.

قوله: (وما يَجُرُّه ما هو فيه) "ما يَجرُّه": "ما" منصوبة المحلّ بالعطف على "سوء العاقبة"، و"ما" في "ما هو" فاعل "يجُرُّ"،[٣] و(مِن التبِعة والوبال) بيان "ما يَجرُّه"، والتَّبِعة والتباعة: حقّ يجب للظالم قِبَل المظلوم.[٤]

قوله تعالى: ﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ وإنّما أسند "العذاب" إلى "الرحمن"؛ لأنّ العذاب[٥] مِن الموصوف بالرحمة أشدُّ على النفس، ويدلُّ عليه قول المتنبّي:

فما يُوجِع الحِرمانُ مِن كفِّ حارمٍ كما يُوجِع الحِرمانُ مِن كفِّ رازقٍ[٦]

قوله: (أكبر مِن العذاب) وعُلم جعله ولايةَ الشيطان أكبرَ مِن العذاب مِن ترتيبه عليه بالفاء السببيّة، فقد جعل ذلك أعظم محذورًا حيث جعله نتيجة.

---

١ ن: الدم.

٢ وقعت هذه الحاشية في ن قبل سابقتها.

٣ ف: بجرّ.

٤ هامش د ف: يجب للمَظلوم قِبَل الظالم.

٥ ن - إلى الرحمن لأنّ العذاب.

٦ ديوان المتنبّي، ص ٣٨٧.

وذلك أَنَّ رضوان الله أكبرُ من الثواب نفسِه، وسمَّاه اللهُ المشهودَ لهُ بالفوز العَظيم حيث قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة ٧٢/٩] فكذلك وَلايةُ الشيطان التي هي معارضةُ رضوانِ الله أكبرُ من العذابِ نفسِه وأعظمُ.

وصَدَّرَ كلَّ نصيحةٍ من النصائح الأربع بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ توسُّلًا إلَيْه واستعطَافًا.

﴿مَا﴾ في ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾ و﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ يجوزُ أَنْ تكون موصُولةً وموصوفةً، والمفعول في ﴿لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ مَنسيٌّ غَيرُ منويٍّ؛ كقولك: ليس به استماعٌ ولا إبصَارٌ.

و﴿شَيْـًٔا﴾ يَحتمِلُ وجهين:

أَحدُهما: أن يكون في موضع المصْدر؛ أي: شَيئًا من الغَناء، ويجوز أن يقدَّر نحوُه مع الفعلين السابقين.

والثاني: أن يكون مفعُولًا به، من قولهم: "أَغْنِ عَنِّي وَجْهَك".

﴿قَدْ جَآءَنِي﴾ فيه تجدُّدُ العِلم عِنده.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

لمَّا أَطْلعَهُ على سَماجَةِ صورةِ أمرِه، وهَدَم مذهَبه بالحُجَج القاطعة،

قوله: (وسمّاه الله) أي: سمّى الله الرضوان.

قوله: (مِن الغَناء) يقال:[١] ما يغني عنك[٢] هذا، أي: ما يُجدي عنك وما ينفعك، والغَناء -بالفتح والمدّ-: النفع.

قوله: (مِن قولهم: أَغْنِ عنّي وجهَك) أي: اجعل وجهَك مستغنيًا عنّي؛ لأنّ الشيء إذا استُغني عنه فقد / تُرك، وأغنى عنه الشيءَ إذا بَعّدَه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [إبراهيم ٢١/١٤]، يقال: أَغْنِ عنّي كذا، أي: نَحِّه[٣] عنّي وبَعِّدْه، قال: [١٠٧ظ]

---

١ ف + الرضوان.

٢ ن + الرضوان.

٣ ف ن: نجه.

وناصَحَهُ المناصَحةَ العجيبة مع تلك الملاطفات، أقبَل عليه الشيخُ بفظاظةِ الكُفر وغِلظَة العِناد، فنادَاه باسمه ولم يُقابِلْ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بـ"يا بني"، وقدَّم الخبرَ على المُبتدأ في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾؛ لأنه كان أَهَمَّ عنده وهو عنده أَعْنَى،

لِـتُـغـنـيَ عـنّـي ذا إنـائِـك[1] أجـمـعَـا[2]

وعليه حديث عثمانَ رضي الله عنه في صحيفة الصَّدَقة التي بعثها عليّ رضي الله عنه[3] على يد محمّد بن الحنفيّة: «أغْنِها عنّا»،[4] وهو في الحقيقة مِن باب القَلْب، كقولهم: عرضت الدابّة على الماء.

قوله: (لأنّه كان أهمَّ) أي: لأنّ الخبر. وقوله: (وهو عنده) أي: المبتدأ. وقوله: (أعنَى)[5] مِن قولهم: عنَى[6] يعنو، أي: خضع وذلّ. فيه نظر؛ بل هو غير صحيح، والصواب أن يقال: "هو" عائد إلى الخبر، و"أعنَى" مِن قولِهم: عُنيتُ بحاجتك أُعْنى بها عناية، وأنا بها مَعنيّ؛ على مفعول، وذكَر المصنّف في المفصّل في الأمثلة التي جاءت مِن اسم التفضيل للمفعول أنّه «قال سيبويه: وهُم ببيانِه أعنَى»،[7] وشَرحُوه بأنّه قال سيبويه عند ذِكر الفاعل والمفعول: «إنّهم يُقدِّمون الذي شأنه أهمُّ، وهُم ببيانه أعنَى»،[8] فـ"أعنَى" مِن: عُنِيَ بكذا؛ صُرِفتْ عنايته إليه، وهو مفضَّل على المفعول، وكأنّ المصنّف اقتبس هذا التركيب مِن هذا الكلام الذي لسيبويه؛[9] لكن كلام سيبويه[10] مِن "عُنِيَ"، وكلام المصنّف مِن "عُنِيَ به"، إذ معنى كلام سيبويه: أنّهم أشدّ مَعنِيًّا، ومعنى كلام المصنّف: أنّ الخبر أشدّ مَعنِيًّا به، فتأمّل.

---

١ ن: إنابك.

٢ صدره:

إذا قـال قَطْني قلت آلَيت حَلْفةً

والبيت مِن قصيدة لحُريث بن عناب الطّائي أوردها ثَعلَب فِي أماليه. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ١١/٤٤٢.

٣ ف: كرّم الله وجهه.

٤ صحيح البخاري، ٤/٨٣ (٣١١١).

٥ ن: أغنى.

٦ كذا ورد في الأصول الخطّيّة بالألف المقصورة، والقياس بالألف الممدودة: "عنا يعنو".

٧ المفصّل للزمخشري، ص ٢٩٨.

٨ الكتاب لسيبويه، ١/٣٤.

٩ ف: لسيَبويه.

١٠ ف: سيَبويه.

وفيه ضَرْبٌ من التَّعجُّب والإنكار لرَغْبته عن آلهته، وأَنَّ آلهتَهُ ما ينبَغي أَن يَرغَبَ عنها أَحَدٌ.

وفي هذا سُلوانٌ وثَلَجٌ لصَدر رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عمّا كان يَلقَى مِن مِثلِ ذلكَ من كُفَّار قومهِ.

قوله: (وأنّ آلهته)[1] عطف على قوله: (ضَرْبٌ)، وفي[2] الكلام حذف، أي: وفيه بيان "أنّ آلهته".

قوله: (سُلوان) المراد بالسُّلوان: ما يحصل به السُّلوُّ، يقال: سَلَوتُ عنه سُلُوًّا، وسَلِيتُ عنه بالكسر[3] سُلِيًّا، والسُّلْوانَةُ بالضمّ: خرَزَةٌ كانوا يقولون: إذا صُبَّ عليها ماء المطر فشربه العاشق سَلَّاه، قال -شعر-:

شربتُ على سُلوانةٍ ماءَ مُزْنةٍ فلا وجديدِ العيش يا مَيُّ ما أسلو[4]

واسم ذلك الماء السُّلوان، قال -شعر-:

لو أشْرَبُ السُّلوانَ ما سَلِيتُ[5]

فقوله: "سُلوان" استعارة محسوس لمعقول؛ لأنّه شبّه فيه ما يُتلى على النبيّ عليه الصلاة والسلام -فيحصل السُّلوّ له عليه الصلاة والسلام- بالسُّلوان، ثمّ ذكر السُّلوان، وأراد ذلك المتلوّ وقرينتَه.

قوله: (في هذا) واعلم أنّ في كونه[6] استعارة محسوس لمعقول بحثًا؛ لأنّه شبّه ما يُتلى بالسلوان، ولم يشبِّه السُّلوَّ به؛ لأنّ ما يُتلى يحصل به السُّلوّ.

قوله: (وثَلَجٌ) الثَلَجُ: بَرْدُ الصدر، قال الشاعر:

ثَلْجٌ تَراكَمَ فانسدَّتْ[7] مَسالكُنا فعاقَني الثَّلْجُ عن لُقياكَ لا الثَّلَجُ[8]

---

[1] ف: الهية.

[2] ن + هذا.

[3] ف - بالكسر.

[4] الصحاح للجوهري، «سلا»، بغير نسبة.

[5] صدره:

عَهدَكَ والعهدَ الذي رضِيتُ

والبيت لرؤبة بن العجّاج في ديوانه، ص ٢٥.

[6] ف: لونه.

[7] ن: فاستدّت.

[8] لم أجده في مصدر آخر.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: لأرمينَّكَ بلساني، يُريد الشَّتم والذمَّ، ومنه "الرجيم": المَرميُّ باللعن. أو: لأَقْتُلنَّك، من رَجْمِ الزاني، أو: لَأَطْرُدنَّك رَمْيًا بالحجَارة.

وأصل الرَّجم: الرميُ بالرِّجَام.

﴿مَلِيًّا﴾: زمانًا طوِيلًا، مِن المَلاوَة، أو مَليًا بالذَّهاب عَنِّي والهجرانِ قبلَ أَنْ أُثْخِنَكَ بالضَّرب حتى لا تقدرَ أن تبرَحَ، فلان مَليٌّ بكذا: إذا كان مُطيقًا لهُ مُضْطَلِعًا به.

فإن قلتَ: عَلامَ عُطِف ﴿وَٱهْجُرْنِي﴾؟

قلتُ: على معطوفٍ عليه محذوفٍ يدلُّ عليه ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾؛ ....

قوله: (بالرِّجام) جمع رُجْمة؛ وهي الحَجَر.

قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾، أي: زمانًا طويلًا، قال في الصِّحاح: «مضى مَليٌّ مِن النهار، أي: ساعةٌ طويلةٌ، يقال: مَلّاك الله حبيبَك، أي: متَّعك به، وأعاشك معه طويلًا، يقال لمَن لبس الجديد: أبليتَ جديدًا، وتملَّيتَ حبيبًا، أي: عشت معه مُلاوة مِن دهرك، وتمتَّعتَ به، أي: حِينًا وبرهةً».[1]

قوله: (مِن المُلاوة) المُلاوة بالحركات:[2] الدهر.

قوله: (أو مليًا بالذهاب) أي: مقتدرًا مطيقًا للذهاب، يهدِّده بأنَّه يوجعه بحيث لا يقدر على الذهاب، وهو على هذا[3] أصله الهمز، قال في المُغرب: «المَليء: الغنيّ / المقتدِر، وقد مَلُؤَ مَلاءة، وهو أَمْلأ منه، ومنه:[4] "اختر أمْلأهم"، أي: أقدرَهم»،[5] و﴿مَلِيًّا﴾ على الوجه الأوّل: ظرف، وعلى الوجه الثاني: حال. [١٠٨و]

قوله: (مُضطلِعًا) مِن الضِلَع.[6]

قوله: (قلت: على معطوف عليه محذوف) ويجوز أن يقال: هو عطف

---

١ الصحاح للجوهري، «ملي».

٢ أي: يجوز في الميم الحركات الثلاث.

٣ ف: هنا.

٤ في المُغرب: "ومنه قولُ شُرَيح"...

٥ المُغرب للمطرّزي، «ملأ».

٦ وفي هامش د ف: الضِلَع بكسر الضاد وفتح اللام: واحدة الضلوع والأضلاع، وتسكين اللام جائز، صِحاح.

أي: فاحْذَرْني واهجُرني؛ لأنَّ ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ تهديدٌ وتقريعٌ.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ سَلامُ توديعٍ ومُتارَكةٍ؛ كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص ٢٨/٥٥] وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٣] وهذا دليلٌ على جواز مُتارَكةِ المنصُوحِ والحالُ هذه.

ويجوز أن يكونَ قَدْ دَعا لهُ بالسَّلامَةِ استمالةً له، ألَا ترى أنه وَعَدهُ الاستغفارَ؟

فإن قلتَ: كيف جاز له أن يستغفرَ للكافر وأن يَعِدَهُ ذلك؟

قلتُ: قالوا: أراد اشتِراطَ التوبة عن الكفر كما تَرِدُ الأَوامِرُ والنواهي الشرعيَّةُ على الكفَّارِ والمرادُ اشتِراطُ الإيمانِ، وكما يُؤمَرُ المُحدِثُ والفقيرُ بالصَّلاة والزكاة ويرادُ اشتراطُ الوضوء والنصابِ.

وقالوا: إنما استَغْفَر له بقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء ٢٦/٨٦]؛ لأنه وعَده أن يؤمن. واستشهَدُوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة ٩/١١٤].

على قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ مِن حيث المعنى؛ لأنَّه في معنى: انتَهِ، كأنَّه قيل: انتَهِ عما تقول واهجرني.

قوله: (الأوامر والنواهي) النواهي مجمَع عليها في كونهم مخاطبين بها،[١] وأمّا الأوامر فعند الشافعيّ رضي الله عنه[٢] مخاطبون بشرط الإيمان، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه[٣] غير مخاطبين بها.[٤] وقوله: (والمراد اشتراط الإيمان) قيل: فيه نظر؛ لأنّ التوحيد أصل، فلا يجوز أن ينقلب شرطًا؛ لأنّ الشرط تبع للمشروط.

قوله: (﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة ٩/١١٤]) بمعنى: أنّ الواعد آزَر لا إبراهيم.

---

[١] ف: لها.

[٢] د – رضي الله عنه.

[٣] د – رضي الله عنه؛ ف: رحمه الله.

[٤] انظر: المحصول للرازي، ٢/٢٣٧؛ والأشباه والنظائر للسيوطي، ص ٢٥٣.

ولقائلٍ أن يقول: الذي مَنَع من الاستغفار للكافر إنَّما هو السَّمعُ، فأَما القَضيَّةُ العقلية فلا تَأباه، فيجُوزُ أن يكون الوعدُ بالاستغفار والوفاءُ به قبل ورودِ السمع بناءً على قضية العقل، والذي يدلُّ على صحَّته قولُه تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠]، فلو كان شارِطًا للإيمان لم يكن مُستَنكَرًا ومستثنًى عمَّا وجَبَتْ فيه الإسوَةُ.

وأَمَّا ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ فالواعدُ هو إبراهيمُ لا آزرُ؛ أي: ما قال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِي﴾ إلا عن قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، وتشهد له قراءةُ حَمَّادٍ الراوِيةِ: "وَعَدَها أَباهُ"، والله أعلم.

"الحَفيُّ": البَليغ في البِرِّ والأَلطاف، حَفَى به وتَحَفَّى به.

قوله: (﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾) ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَاهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠].

قوله: (إلّا عن قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ﴾ [الممتحنة ٤/٦٠]) "عن" هذه بمعنى "بعد"، كقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف ٨٢/١٨].

قوله: (قراءة حمّادٍ الراوية) حَمّادان: أحدهما: الراوِية الكوفي، والثاني: الراوِية البصري، وهو المراد ههنا، وتصحيفات الحمّادي[١] مشهورة،[٢] كقوله تعالى: "مَن أساء" مكان قوله: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ [الأعراف ١٥٦/٧]، ونظيره قراءة عبد الله الراوية: "ما أنتم عليه بفائِتِين" مكان قوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات ١٦٢/٣٧]، وقوله: "له أَصْحابٌ يدعونه إلى الهدى أنبياء" مكان قوله: ﴿أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ [الأنعام ٧١/٦].

قوله: (الحَفيّ: البليغ) كـ"المَليك"[٣] في وصف الله تعالى.

---

[١] هامش د ف: الحمّادين.

[٢] انظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ١٥٤/١٥.

[٣] ن: المليك.

﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨﴾

أراد بالاعتزال: المهاجرةَ إلى الشام.

المـرادُ بالدعـاءِ: العبـادةُ؛ لأنـه منهـا ومِـن وَسـائطِها، ومنـه قولُـه عليـه السـلام: «الدُّعـاءُ هـو العبـادةُ»، ويـدلُّ عليـه قولُـه: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ [مريم ١٩/٤٩].

ويجوز أن يرادَ الدعاءُ الذي حكاه الله في سورةِ الشعراء.

عَرَّضَ بشقاوتهم بدعاء آلِهَتِهم في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ مع التواضُعِ للهِ في كلمة ﴿عَسَىٰٓ﴾ وما فيه من هَضْم النفس.

﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩﴾

ما خَسِرَ على اللهِ أحَدٌ ترَكَ الكفار الفَسَقةَ لوَجْهه فعَوَّضَه أوْلادًا مُؤمنين أنبيَاء.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾

﴿مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ هي النبوَّة، عن الحسن، وعن الكَلبيِّ: المالُ والوَلدُ، وتكونُ عامَّةً في كلِّ خَيْر دينيٍّ ودُنْيَويٍّ أُوتُوه.

"لسانُ الصدق": الثناءُ الحسنُ.

قوله: (المراد بالدعاء: العبادة) وقيل: أي:[١] يُيَسِّر الله العبادة بالدعاء لمَن يدعوه بالتوفيق لها.

قوله: (ويجوز أن يُراد الدعاء) ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/٨٣-٨٤].

قوله: (ترَك الكفّار) استئناف لبيان "ما خسر"، أي: ترك إبراهيم.

---

١ ن: أن.

وعُبِّرَ باللسان عمَّا يُوجَدُ باللسان؛ كما عُبِّر باليدِ عما يُطْلَقُ باليد وهي العَطِيَّةُ؛ قال:

إنـــي أَتَـتْـنـي لـسَــانٌ لَا أُسَـــرُّ بـهَـا

يريد: الرِّسَالةَ.

ولِسانُ العَرب: لُغتهُم وكلامُهم.

استجابَ الله دعوته: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء ٨٤/٢٦] فصيَّره قِدْوةً حَتى ادَّعاهُ أَهْلُ الأَدْيان كُلُّهم.

قوله: (وعُبِّر باللسان)... إلخ، اللسان في اللغة: عبارة عن هذا اللحم الذي تعلَّق النطق الخارجي به، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا﴾ [البلد ٨/٩٠-٩]، ثمّ يُعبَّر بها عن اللغة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم ٤/١٤]، أي: بِلُغتهم، ثمّ يعبَّر بها عن الرسالة، وهذا مِن باب مستعار المجاز عند علماء البيان.

قوله:

(إنّـــي أَتَـتْـنـي لِـســانٌ[١] لا أُسَــرُّ بها)

تمامُه:

مِـن عَـلْـوَ لا كَــذِبٌ مِـنها[٢] ولا سَـخَرُ[٣]

قيل: "عَلْوَ" اسم امرأة، وأصله: عَلْوة، يقال: سَخِرتُ منه أسْخَر سَخَرًا -بالتحريك- ومَسْخَرًا وسُخْرًا. الشعر لأعشى[٤] باهلةَ وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر، قال في الصِّحاح: «التأنيث للكلمة».[٥]

قوله: (﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء ٨٤/٢٦]) دعْوَته هذا.

قوله: (حتّى ادّعاه) أي: إبراهيم.

---

١ ن + إلّا.

٢ ن: فيها.

٣ الصحاح للجوهري، «سخر»، بلفظ: "لا عجب"، بدل: "لا كذب"، وسيأتي أنّه مِن شعر أعشى باهلة.

٤ ن: لأعشا.

٥ الصحاح للجوهري، «سخر».

وقال عز وجل: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج ٧٨/٢٢] و: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة ١٣٥/٢] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل ١٢٣/١٦]، وأَعطَى ذلك ذُرِيَّتَه فأَعْلَى ذكرَهم وأثنَى عليهم كما أَعْلى ذكرَهُ وأثنى عليه.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾﴾

"المخلِص" بالكسر: الذي أَخلَصَ العبادةَ عن الشرك والرياء، أو أَخلَص نفسَهُ وأسلَمَ وجهه لله، وبالفتح: الذي أخلصَهُ اللهُ.

"الرسولُ": الذي معه كتابٌ من الأنبياء، والنَّبيُّ: الذي يُنْبِئُ عن الله عز وجَلَّ وإن لم يكن مَعَه كتابٌ كَيُوشَع.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾

﴿الْأَيْمَنِ﴾ من اليَمِين؛ أي: من ناحيَتِه اليُمْنَى، أو مِن اليُمْن صفةً لِلطُّور أو للجانب، شَبَّهه بمَن قَرَّبَهُ بعضُ العظماء لِلمناجاةِ حيث كلَّمه بغيرِ واسطةِ مَلكٍ.

وعن أبي العالية: قَرَّبه حَتَّى سمع صَرِيفَ القلم الذي كُتِبَتْ بهِ التوراةُ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾: من أَجْلِ رحمتنا له وتَرَؤُّفِنا عليه وهَبنا له هارُون.

أو: بعضَ رحمتِنا؛ ....

قوله: (كما أعلى ذِكره) أي: شرَفه، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف ٤٤/٤٣]، أي: شرفٌ، ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص ١/٣٨]، أي: الشرَف.

[١٠٨ظ] قوله: (صريفَ / القلم) صوتَه، كما جاء الصرير بمعنى صوت الباب في قول الشاعر:

ووجدتُ بابًا بالصَّريرِ مُناديًا   أهلًا إذا اعتَرتِ الضُّيوفُ ومَرحَبَهْ[١]

---

١ لم أعثر عليه في مصدر آخر.

كما في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم ٥٠/١٩]، و﴿أَخَاهُ﴾ على هذا الوجه بدلٌ، و﴿هَٰرُونَ﴾ عَطفُ بيانٍ؛ كقولك: رأيتُ رَجُلًا أخاك زيدًا.

وكان هارونُ أكبرَ من موسى، فوقعت الهِبَةُ على مُعَاضَدتهِ ومُؤازَرَتهِ، كذا عن ابن عبَّاس رضي الله عنه.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾

ذَكَرَ إسمَاعيلَ عليه السلامُ بصِدقِ الوَعْدِ -وإن كان مَوْجُودًا في غيره من الأنبياء- تشريفًا له وإكرامًا؛ كالتَّلْقيب نحوَ: الحليم والأوَّاه والصِّدِّيق؛ ولأنه المشهورُ المُتَواصَفُ من خصاله.

عن ابن عباس: أنه وَعَد صاحِبًا له أن ينتظرَه في مكانٍ، فانتظره سَنَةً.

وناهِيك أنه وَعَدَ من نَفسهِ الصَّبْرَ على الذبح فوفَّى حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات ١٠٢/٣٧].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

كان يَبدأُ بأَهْلِهِ في الأمر بالصَّلاح والعبادةِ ليَجعلَهم قِدْوةً لمن وَراءَهُم،

قوله: (كما في[١] قوله) "ما" كافَّة.

قوله: (على هذا الوجه)[٢] وعلى الوجه الأوّل كان مفعول ﴿وَهَبْنَا﴾.

قوله: (فوقعَتْ) يعني: لمّا كان هارون أكبر[٣] لا يمكن أن يكون المراد بالهبة مثل ما يقال: وهبَت له ولدًا، أي: رُزِق ولدًا؛ بل المراد بالهبة: المُعاضَدة.

قوله: (كالتلقيب) الفرق بين اللَّقَب والعَلَم: أنَّ اللقب مِن معنًى في الغالب، كقُفَّة وبطّة، سمّي بهما لِقِصَرِه تشبيهًا. والصواب أن نقول: اللقب قسم مِن أقسام العَلَم، وهو القسم الذي يدلّ على مَدح أو ذمّ.

---

[١] سقطت "في" من النسخ المخطوطة، وأثبتُّها مِن الكشّاف.

[٢] ف - قوله: (على هذا الوجه).

[٣] ف: الأكبر.

ولِأنّهم أَوْلَى مِن سائر الناسِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء ٢١٤/٢٦] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه ١٣٢/٢٠] ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم ٦/٦٦]، ألا تَرَى أنهم أحقُّ بالتَّصدُّق عليهم، فالإحسانُ الدِّينيُّ أَوْلى.

وقيل: "أهله": أُمَّتُهُ كُلُّهم من القَرابةِ وغيرهم؛ لأنَّ أُمَم النبيِّين في عِدادِ أهاليهم.

وفيه أنَّ مِن حقِّ الصَّالح أن لا يألُوَ نُصْحًا لِلأجانبِ فضلًا عن الأقارب والمتَّصلينَ به، وأن يُحْظِيَهُم بالفوائد الدِّينية ولا يُفرِّطَ في ذلك.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾

قيل: سُمِّي إِدْرِيسًا لكثرة دِراستِه كتابَ اللهِ، وكان اسمُه: أخنُوخَ.

قوله: (وقيل: ﴿أَهْلَهُۥ﴾ أمّته) الأمّة أمّتان: أمّة دعوة، وأمّة متابعة؛ فأمّة المتابعة مِن الأهالي؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود ٤٦/١١]، وسُئل النبي عليه الصلاة والسلام: مَن آلُكَ يا رسول الله؟ فقال: «آلي كلُّ مؤمن تقيّ».[١]

قوله: (وأن يُحظيَهُم) يقال: حظِيَ عند الأمير واحتظى به بمعنًى، ورجل حَظِيّ إذا كان ذا حُظوةٍ ومنزلةٍ، وأحظَيْتُه على فلان إذا فضّلته عليه، وحظيت المرأة عند زوجها حِظْوة وحُظوة بالكسر والضمّ، وحِظة أيضًا، وفي المَثَل: "إلّا حَظِيّة فلا أَلِيّة"،[٢] يقول: إن أخطأتك الحُظوة فيما تطلب فلا تَألُ أن تتودّد إلى الناس لعلّك تُدرك بعض ما تريد، وأصله في المرأة تَصْلَف عند زوجها، أي: إذا لم تَحْظَ، يقال: صَلِفَتِ المرأة تَصلَفُ[٣] صَلَفًا إذا لم تَحْظَ عند زوجها وأبغَضها، يقال: امرأة صَلِفة مِن نسوة صَلائِف.

قوله: (قيل: سُمّي إدريسًا) إنّما نوّنه لأنّه لو كان مشتقًّا مِن الدراسة لم يكن فيه

---

١ المعجم الأوسط للطبراني، ٣٣٨/٣ (٣٣٣٢)، بلفظ: سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: مَن آل محمّد؟ فقال: «كلُّ تقيّ» وتلا رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال ٣٤/٨].

٢ قال الميداني: «يضرب في الأمر بمُداراة الناس ليدرك بعض ما يحتاج إليه منهم». مجمع الأمثال للميداني، ٢٠/١.

٣ ف – تَتلَفُ.

وهو غيرُ صحيحٍ؛ لأنه لو كان إفعيلًا مِن الدَّرْس لم يكنْ فيه إلا سببٌ واحِدٌ وهو العَلَمية وكان مُنْصَرِفًا، فامتناعُه مِن الصَّرْفِ دليلُ العجمة، وكذلك "إبليسُ" أعجميٌّ، وليس من الإبلاس كما يزعمون، ولا يَعقوبُ مِن العَقِبِ، ولا إسرائيلُ بإِسْر إلِ كما زعَم ابنُ السِّكِّيت، ومَن لم يُحقِّقْ ولم يتَدَرَّبْ بالصِّناعَة كثُرت منه أمثالُ هذهِ الهَناتِ.

ويجوز أن يكون معنى ﴿إِدْرِيسَ﴾ في تلك اللغة قَريبًا من ذلك، فحسِبَهُ الراوي مُشتقًّا مِن الدَّرْسِ.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾

"المكانُ العَلي": شرفُ النُّبوَّة والزُّلْفَى عِندَ اللهِ، وقد أنزل اللهُ تعالى عليه ثلاثينَ صَحِيفةً، وهو أولُ مَن خطَّ بالقَلَمِ وَنَظر في عِلم النُّجوم والحِسَابِ، وَأَوَّلُ مَن خاطَ الثيابَ ولَبِسَها، وكانوا يَلبَسُون الجُلُود.

وعن أنس بن مالك يَرفعُهُ: أَنَّهُ رُفِعَ إلى السَّماءِ الرَّابعَةِ.

إلّا سبب واحد،[1] وهو غير مانع، والأولى أن نقول: نوّنه لأنّه ليس المراد هنا العَلَم؛ بل المراد اللفظ، فكأنّه قيل: سمّي بهذا اللفظ.

قوله: (وليس مِن الإبلاس)؛ لأنّ إبليس لو كان مِن الإبلاس لم يكن فيه إلّا سبب واحد، وهو العلَميّة. والإبلاس: اليأس.

قوله: (بإِسْرِ إلّ) الإسرُ: العبد، وقيل: القوّة. والإلُّ: الله. قالوا: صارعه الملَك فصرعه يعقوب، فقال الملَك: إسْر إلّ.

قوله: (الهَنات) أي: الزلّات.

قوله: (وعن أنس بن مالك رضيَ الله عنه[2] يرفعه) أي: يرفع الحديثَ إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام.[3]

---

[1] وهو العلَميّة.
[2] د – رضي الله عنه.

[3] سنن الترمذي، ١٦٧/٥ (٣١٥٧).

وعن ابن عبَّاس: إلى السماءِ السَّادسة.

وعن الحسن: إلى الجنة لا شيءَ أَعْلى مِن الجنَّةِ.

وعن النابغَة الجَعْدِيّ: أنه لمَّا أنشدَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم الشِّعْرَ الذي آخرُه:

بَلَغْنَا السَّماءَ مَجْدُنا وَسَناؤنَا وإنَّا لنَرجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرا

قال له رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «إلى أَيْنَ يَا أَبا لَيْلَى» قال: إلى الجنَّةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ٥٨﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكورين في السورة مِن لَدُنْ زكريا إلى إدْرِيسَ.

و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ للبيان، مِثلُها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح ٢٩/٤٨]؛ لأن جميع الأنبياء منعَمٌ عليهم.

قوله:

(بَلَغْنا السماءَ مَجدَنا)... البيتَ[١]

"مَجدَنا" مفعول له، و"مَظهرًا"، أي: مصعدًا.

قوله: (قال: "إلى الجنّة") قال: "إلى الجنّة بكَ يا رسول الله"، فقال له عليه الصلاة والسلام: «لا يَفْضُضِ الله فاكَ»، فعاش مئة سنة وكأنّ أسنانه البَرَد،[٢] وقوله عليه الصلاة والسلام: «فاك» أي: أسنان فيك.

قوله: (لأنّ جميع الأنبياء منعَم عليه) يوهم أنّه لو كان ﴿مِن﴾ للتبعيض لزِم أن يكون بعض الأنبياء منعَمًا عليهم لا كلُّهم، وهذا غير لازم؛ لأنّه لو كان ﴿مِن﴾ للتبعيض لكان المعنى: إنّ أولئك هم المنعَم عليهم، وهم بعض الأنبياء،

[١] ديوان النابغة الجعدي، ص ٧١.

[٢] دلائل النبوّة للبيهقي، ٦/٢٣٢.

و﴿مِن﴾ الثانيةُ للتبعيض، وكانَ إدريسُ من ذرِّيَّة آدَمَ لقُربه مِنه؛ لأنه جَدُّ أبي نوح، وإبراهيمُ مِن ذرِّية مَن حُمل مع نوحٍ؛ لأنه مِن وَلد سام بنِ نوحٍ، وإسماعيلُ من ذرِّية إبراهيم، وموسى وهارونُ وزكريا ويحيى من ذرِّية إسرائيل، وكذلك عيسى؛ لأن مريم من ذريَّته.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمِلُ العطفَ على ﴿مِن﴾ الأُولى والثانية.

إنْ جعلتَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبرًا لـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كان ﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ كلامًا مستأنفًا، وإنْ جعَلْتَه صِفةً له كان خبَرًا.

قرأ شِبْلُ بن عَبَّادٍ المكيُّ: "يتلى" بالتذكير؛ لأن التَّأنيثَ غيرُ حقيقيٍّ معَ وجُود الفاصِل.

ولا خفاء في استقامة هذا المعنى، أو يكون المعنى: أولئك المنعَم عليهم بعض الأنبياء، وهذا المعنى أيضًا ظاهر الاستقامة؛ لِما ذكر أنّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ / إشارة [١٠٩و]
إلى المذكورين مِن زكريّا إلى إدريس عليهم السلام، فكأنّه قيل: زكريّا إلى إدريس بعض الأنبياء، ولو كان ﴿مِن﴾ للبيان لزِم[١] أن يكون هؤلاء المذكورون المنعَم عليهم هم جميع[٢] الأنبياء؛ بل هم بعضهم،[٣] وهذا بخلاف ما في سورة الفتح؛ لأنّه لو جعل هناك ﴿مِن﴾ للتبعيض لزِم أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الفتح ٢٩/٤٨] بعض المعنيّين بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾... إلخ [الفتح ٢٩/٤٨]، وهذا غير مستقيم؛ لأنّ كلّهم كذلك.

قوله: (لِقُربه منه) اللام متعلّق بمحذوف، أي: إنّما جعل إدريس مِن ذرّيّة آدم -مع أنّ جميع المذكورين مِن ذرّيّة آدم- لقُرب إدريس مِن آدم عليهما السلام.[٤]

قوله: (على ﴿مِنَ﴾ الأولى) أي: في ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وقوله: (والثانية) أي: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ﴾.

---

١ ن: لم.
٢ ن - جميع.
٣ ف ن: بعض الأنبياء.
٤ ف - مع أنّ جميع المذكورين مِن ذرّيّة آدم لقرب إدريس مِن آدم عليهما السلام.

"البُكيُّ": جمْعُ باكٍ؛ كالسُّجود والقعود في جمعِ ساجدٍ وقاعِدٍ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتلُوا القرآنَ وابكُوا فإنْ لم تَبْكُوا فتبَاكَوا».

وعن صالحٍ المُرّيِّ: قَرأتُ القرآنَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: «يا صالحُ، هذه القراءةُ فأَيْن البُكاءُ؟».

وعن ابن عباس: إذا قرأتُم سَجْدةَ سُبْحان فَلا تَعْجَلُوا بالسُّجود حَتى تبكُوا، فإن لم تَبْكِ عينُ أَحَدِكم فَلْيَبْكِ قلبُه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن القرآن نزل بحُزْن فإذا قرأتمُوه فتحَازَنُوا».

وقالوا: يدعُو في سَجْدةِ التلاوة بما يَليقُ بآيَتِها:

فإنْ قرأ آيةَ "تَنزيل السجدة" قال: اللّهمَّ اجعَلني مِن الساجدين لوجهك المسبِّحينَ بحمدِكَ، وأعوذُ بك أَنْ أكونَ من المستكبِرين عن أَمْرِك.

وإن قرأ سجدة "سبحان" قال: اللّهمَّ اجعَلْني مِن الباكِين إليك الخاشِعين لك.

قوله: (البُكيُّ جمع باكٍ) أصله: بُكويٌ، قلبت الواو ياء وأدغم.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنه:[١] «إذا قرأتم سجدةَ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ [الإسراء]»)[٢] وإنّما خصّ ابن عبّاس رضي الله عنه[٣] سجدةَ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ [الإسراء] بما ذكَر لما فيه مِن ذِكر البكاء والخشوع، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء ١٧/١٠٧-١٠٩].[٤]

قوله: (وقالوا: يدعو) أي: يدعو[٥] القارئ.

قوله: (فإن قرأ آية ﴿تَنزِيلُ﴾ السجدة) وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة ٣٢/١٥].

---

[١] د – رضي الله عنه.
[٢] لم أجده مسندًا، وذكره أبو طالب المكّي في قوت القلوب، ١/٨٧.
[٣] د – رضي الله عنه.
[٤] ن: خشاعًا.
[٥] ن: يدعوا.

وإن قرأ هذه قال: اللَّهمَّ اجعَلْني من عبادك المنعَمِ عَليهم المَهْديِّين، الساجدين لك، الباكِينَ عند تلاوة آياتك.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾

"خَلَفَه": إذا عَقَبَهُ، ثم قيل في عَقِبِ الخَيْرِ: "خَلَفٌ" بالفتح، وفي عَقِبِ السوء: "خَلْفٌ" بالسُّكونِ، كما قالوا: "وَعْدٌ" في ضَمان الخَيْر و"وعيد" في ضمانِ الشَّرِّ.

عن ابن عباس: هم اليهودُ، تركوا الصلاة المفروضةَ وشربوا الخمرَ واسْتَحلُّوا نكاحَ الأختِ من الأب.

قوله: (إذا عَقِبه) أي: أتى في عَقِبه.

قوله: (ثمّ قيل في عَقِب الخير: خَلَفٌ) يريد: أنّ الأصل أن لا[1] يُفرَق بينهما؛ لكنّ الاستعمال بخلاف ذلك، قال في الصحاح: «الخَلْف والخَلَف: ما جاء مِن بعد، يقال: هو خَلْف سوء مِن أبيه، وخَلَف صِدق مِن أبيه -بالتحريك- إذا قام مقامه، قال الأخفش: هما سواء، منهم مَن يُحرّك، ومنهم مَن يُسَكّن فيهما[2] جميعًا إذا أضاف، ومنهم مَن يقول: خلَف صدق بالتحريك، وخلْف سوء بالتسكين، يريد بذلك[3] الفرق بينهما».[4] ثمّ هنا[5] فائدة نريد أن نذكرها، وهو أنّ "الخَلْف" بفتح الخاء وسكون اللام: الرديّ مِن القول، يقال: "سكَت ألْفًا ونطَق خَلْفًا"،[6] أي: سكت عن ألف كلمة ثمّ تكلّم بخطأ،[7] ومنه قول العلماء في الاستدلالات عند لزوم المُحال: "هذا خَلْف"، و"الخُلْف" بضمّ الخاء وسكون اللام: الاسم مِن الإخلاف، وهو في المستقبل كالكذب في الماضي، و"الخِلْف" بكسر الخاء وسكون اللام: حَلَمة ضَرعِ الناقة.[8]

---

[1] ن – لا.

[2] ن – قال الأخفش: هما سواء منهم مَن يحرّك ومنهم مَن يسكّن فيهما.

[3] ن: ذلك.

[4] الصحاح للجوهري، «خلف».

[5] ن: ههنا.

[6] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١/٣٣٠.

[7] ن + ومنه قوله.

[8] انظر: الصحاح للجوهري، «خلف».

وعن إبراهيم ومجاهد: أَضاعُوها بالتأخير.

ويَنصرُ الأوَّلَ قولُه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم ١٩/٦٠] يعني: الكفّارَ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ مَن بَنى الشديدَ، ورَكِبَ المنظُور، ولَبِسَ المشهُور.

وعن قتادة: هو في هذه الأمة.

وقرأ ابن مسعود والحسَنُ والضَّحاك: "الصلوات" بالجَمْع.

كلُّ شرٍّ عند العَرَب: "غَيٌّ" وكُلُّ خيرٍ: "رَشادٌ"؛ قال:

فمَن يَلْقَ خيْرًا يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَهُ   ومَن يَغْوِ لَا يَعْدَمْ عَلى الغَيِّ لائِمًا

وعن الزجَّاج: جَزَاءَ غَيٍّ؛ كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٨]؛ أي: مُجازاةَ أثامٍ.

قوله: (وينصرُ الأوّل قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾)؛ لأنّ مَن أخَّرها مِن غير تَرْك لا يحتاج إلى التوبة، والأَولى أن نقول: لمّا قال: ﴿وَءَامَنَ﴾ عُلم أنّ المراد الكفار، وهذا هو الوجه.

قوله: (ورَكِبَ المَنطور) قيل: "المَنطور": الفرَس. واعلم أنَّا لم نرَ في شيء مِن كتب اللغة "المَنطور" بالطاء المهملة، لا بمعنى الفرَس / ولا بمعنًى آخر. [١٠٩ظ] وفي بعض النسخ: "المنظور" بالظاء المعجمة، وكأنّه الصواب، وكأنّه سمَّى الفرَس بذلك؛ لأنّ الناظرين ينظرون إليه لحُسنه، قال في الصِّحاح: «يقال: فلان نَظيرة[١] قومه، ونظورة قومه، للذي يُنظر إليه منهم، ومَنظور بن سيّار: رجل».[٢]

قوله:

(فـمَـن يَـلْـقَ خَـيـرًا)... البيتَ

قبله:

أَمِـن حُلـمٍ أصبَحتَ تَنكُتُ واجِمًا   وقد تَعتَري الأحلامُ مَن كان نائمًا[٣]

---

[١] د: نطيرة.

[٢] الصحاح للجوهري، «نظر».

[٣] المفضّليات للمفضّل الضبّي، ص ٢٤٧، وفيه جاء هذا البيت بعده وليس قبله.

أو: غَيًّا عن طريقِ الجنَّةِ.

وقيل: "غيٌّ" وادٍ في جَهنم تستعيذُ مِنه أَوديَتُها.

ورَوى الأخفش: "يُلَقَّوْن".

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾

قرئ: ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ و: ﴿يُدْخَلون﴾.

أي: لا يُنقَصُون شيئًا مِن جزاءِ أعمالهم ولا يُمنَعُونهُ؛ بل يُضاعَفُ لهم؛

نكَتَ في الأرض إذا جعَل يَخُطُّ ويَنقُر بإصبعه، وكذلك يفعل المُهتَمّ والواجم الحزين. يقول: مِن أجل أضغاث أحلامٍ تصبح حزينًا تنكُت في الأرض، ومَن يكون نائمًا يَعتريه الأحلام،[١] ثمّ قال: مَن يفعلْ خيرًا يَحمد الناس أمرَه، ومَن يَغْوِ ويفعل الشرَّ لا يعدِم اللوائم على فعله.

قوله: (أو غَيًّا عن طريق الجنّة) الغيّ: الضلال، فالمعنى: ضلالًا عن طريق الجنّة.

قوله: (تستعيذ منه أودِيتُها) أي: يَستعيذ[٢] مِن ذلك الوادي سائر أودية جهنّم.

قوله: (ولا يمنعونه) بيان لقوله: "لا يُنقَصون شيئًا"، وبه يتحقّق تعدّيه إلى مفعولين، فكأنّ الظلم والنقص ضُمِّن معنى المَنع، فتعدّى إلى مفعولين، وفي قوله تعالى: ﴿شَيۡـٔٗا﴾ إشارة إلى أنّ أعمالهم الخير التي فعلوها في حال الكفر يُثِيبُهم الله تعالى[٣] على ذلك أيضًا، مثل: الصدقة وصلة الرحم، قال محيي السُّنّة رحمه الله[٤] في شرح[٥] السُّنّة: «إذا أسلم الكافر يُثِيبُه الله تعالى على أعمال الخير التي عَملها في حال الكفر، كما يتجاوز عنه ويعفو[٦] عمّا فعل في حال الكفر مِن السيئات».[٧]

---

١ ن: الاحتلام.

٢ ن: تستعيذ.

٣ ن – تعالى.

٤ د – رحمه الله.

٥ ن – في شرح.

٦ ن: ويعفوا.

٧ لم أجد هذه العبارة في شرح السنة؛ لكن فيه ما يفيده. انظر: شرح السُّنة للبغوي ٥٦/١، باب مَن أسلم على ما سلَف له مِن الخير.

بيانًا لأنَّ تَقدُّمَ الكفر لا يَضرُّهم إذا تابُوا، مِن قولك: "ما ظَلَمَك أَنْ تَفعلَ كذا؟" بمعنى: ما مَنَعَك؟

أو: لا يُظلَمُون البتَّةَ؛ أي: شيئًا من الظلم.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

لمَّا كانت الجنةُ مشتمِلةً على جَناتِ عَدْنٍ أُبدلت منها؛ كقولك: "أَبْصَرْتُ دارَكَ القَاعَة والعَلَالِيَ".

و﴿عَدْنٍ﴾ مَعْرِفَةٌ عَلَمٌ لمَعنَى العَدْنِ وهو الإقامةُ؛ كما جَعَلوا فَينةَ وسحَرَ وَأَمْسَ -فيمَن لا يصرفه- أعْلامًا لمعاني: الفَيْنة والسَّحَر والأَمس، ....

قوله: (بيانًا) مفعول له لفعل محذوف، أي: قال: لا يُظلمون؛ لبيان أنّ تقدُّم الكفر...

قوله: (أي: شيئًا مِن الظلم) فقوله: ﴿شَيْـًٔا﴾ على الأوّل: مفعول به، وعلى الثاني: مفعول مطلق.

قوله: (القاعة) هي ساحة الدار، وقوله: (والعلاليَّ) بيوتٌ فوقانيّة.

قوله: (عَلَم لمعنَى "العَدْن") اللام في "العَدْن" هنا لام الجِنس، فإنّ "عَدْنًا" علَم لذلك الجِنس، وأمّا قوله: (فجرَى مجرَى العَدْن) فاللام فيه للعَهد؛ لأنّ المراد به فرد معيّن مِن أفراد تلك الحقيقة، فإنّ "عَدْنًا" العَلَم مثل "العَدْن" المعيّن المعهود في التعريف، وإن كان مدلولًا هما مختلفان مِن حيث إنّ مدلول "عَدْن" العلَم هو تلك الحقيقة، ومدلول "العَدْن" المعرّفة[1] بلام العهد فرد معيّن مِن أفراد تلك الحقيقة. وقوله: (لذلك) أي: لكونه علَمًا لمعنى "العَدْن"، وقولنا[2] ههنا: "لمعنى العَدْن" يريد به "العَدْن" المعرَّف بلام الجنس، وهو إشارة إلى تلك الحقيقة كما ذكرنا في قوله: "لمعنى العَدْن".

قوله: (لم يصرِفه)؛ لأنّه جعله معدولًا عن لام التعريف، أي: الأمس.

---

[1] ن: المغرفة.

[2] ن: وقوله.

فجَرى مَجرَى العَدْن لذلك.

أو هو عَلَمٌ لأَرضِ الجنة لكونها مكانَ إقامةٍ، ولولا ذلك لَمَا ساغَ الإبدالُ؛ لأن النكرة لا تُبدَل من المعرفة إلا مَوصُوفةً، ولَمَا سَاغ وصْفُها بـ﴿ٱلَّتِي﴾.

وقرئ: "جناتُ عَدْنٍ" و: "جنةُ عَدْنٍ" بالرفع على الابتداء.

أي: وَعَدها وهي غائبةٌ عنهم غيرُ حاضرة، أو: هم غَائبُون عنها لا يشاهدُونَها، أو: بتَصديق الغَيْب والإيمان به.

قيل في ﴿مَأْتِيًّا﴾: مفعُولٌ بمَعْنى فاعِلٍ، والوجْهُ: أنَّ الوعدَ هو الجنةُ وهم يأتونها، أو هو من قولك: "أتى إليه إحسانًا"؛ أي: كان وَعدُهُ مَفعُولًا مُنْجَزًا.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢﴾

"اللغوُ": فُضُول الكلام وما لا طائل تحتَهُ، وفيه تنبيهٌ ظاهِرٌ على وُجوبِ تجنُّب اللغو واتِّقائهِ حَيثُ نَزَّه اللهُ عنه الدَّار التي لا تكليفَ فيها، ....

قوله: (فجرى مجرى "العَدْن" لذلك) أي: فجرى ﴿عَدْنٍ﴾ مجرى "العَدْن" -أي: في التعريف- لذلك، أي: لكونه عَلَمًا لمعنى "العَدْن".

قوله: (أو هو عَلم) عطف على قوله: "لمعنى: العَدْن"، فعلى الأوّل كان علَم الجنس؛ لكن للمعنى لا للعين، وعلى هذا علَم للشخص، وهو "أرض الجنّة". وقوله: (لكونها) إشارة إلى المناسبة المَرعيّة في هذا الموضع.

قوله: (ولولا ذلك لما ساغ) أي: لا يُستحسَن إبدالها مِن المعرفة، وإلّا فالجواز غير ممتنع بالاتفاق.

قوله: (وهي غائبة عنهم) حال، والباء للمُلابَسة في[١] ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾.

قوله: (أو هم غائبون) فيكون حالًا مِن ﴿عِبَادَهُۥ﴾، والباء أيضًا للمُلابسة.

قوله: (أو بتصديق / الغَيب) فالباء للسببيّة، والمضاف محذوف. [١١٠و]

---

[١] ن - في.

وما أَحْسَنَ قولَه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان ٧٢/٢٥]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص ٥٥/٢٨]! نعوذُ بالله من اللَّغو والجهل والخوضِ فيما لا يَعنينَا.

أي: إن كان تَسليمُ بعضِهم على بعضٍ أو تسليمُ الملائكة عليهم لغوًا فلا يسمَعُون لغوًا إلَّا ذلكَ، فهو من وادي قولِهِ:

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم ... بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

أو: لا يسمعون فيها إلا قولًا يَسْلَمون فيه من العَيب والنقيصَة، على الاستثناء المنقطِع؛ أو لأن معنى السلامِ هو الدُّعاءُ بالسلامة، ودارُ السلام هي دارُ السلامة، وأَهْلُها عن الدعاء بالسَّلامة أَغْنِياءُ، فكان ظاهِرُه من باب اللَّغو وفضولِ الحديث لولا ما فيه من فائدةِ الإكرام.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ من الناس مَن يَأكلُ الوَجْبةَ، ....

قوله: (أو لا يسمعون فيها إلّا قولًا يَسلَمون فيه) أي: لا يسمعون فيها لغوًا إلّا قولًا يَسلَمون فيه، وإنّما حذف المصنّف "لغوًا" مِن تفسيره ههنا؛ لظهور أنّ المعنَى على ذلك.

قوله: (على الاستثناء المنقطع) وعلى الوجه الأوّل يكون الاستثناء متّصلًا؛ لأنّه فُرِض أنّ السلام[١] مِن جنس اللغو، ثمّ استثنى منه.

قوله: (أو لأنّ معنى السلام) عطف مِن حيث المعنى على قوله: "على الاستثناء المنقطع"، فالاستثناء على هذا الوجه أيضًا متّصل؛ بل الصواب أنّه عطف على قوله: "إلّا[٢] قولًا يَسلَمون" والاستثناء متّصل، والسلام: السلامة عن الآفات، أو ذات التحيّة، أو السلام: مِن أسماء الله تعالى.

قوله: (مَن يأكل الوجبة) الوجبة: المرّة الواحدة، وهي في الأصل: الوَقعة والسقطة، ومنه الواجب؛ لأنّه الساقط عليك.

---

١ ن: السلم.

٢ ن: لا.

ومنهم مَن يأكل مَتَى وَجَدَ، وهي عادةُ المنهومِين، ومنهم مَن يَتَغدَّى ويتَعشَّى وهي العَادةُ الوُسطَى المحمُودةُ، ولا يكونُ ثَمَّ لَيلٌ ولا نهارٌ؛ ولكِن على التقديرِ؛ ولأن المتنعِّم عند العَربِ مَن وَجَدَ غَداءً وعَشاءً.

وقيل: أراد دوَامَ الرزق ودُرُورَه؛ كما تقول: "أَنا عند فُلانٍ صَباحًا ومسَاءً" و"بُكرة وعشيًا" تريد الدَّيمُومَةَ ولا تَقْصِدُ الوقتين المعلومين.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾

﴿نُورِثُ﴾ -وقُرئ: ﴿نُوَرِّثُ﴾- استِعارةٌ؛ أي: نُبْقي عَليهِ الجنةَ كما نُبقي على الوارثِ مالَ المَورُوث؛ ولأن الأتقياء يَلقَون ربَّهم يومَ القيامَة قد انقضَتْ أعمالُهم وثمرتُها باقيةٌ وهي الجنةُ، فإذا أَدْخَلَهم الجنةَ فقد أَوْرَثَهم مِن تقوَاهُم كما يُورَثُ الوارثُ المالَ مِن المتَوفَّى.

وقيل: أُورثوا من الجنَّةِ المسَاكنَ التي كانت لأهْل النَّارِ لو أَطاعُوا.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ حِكايةُ قولِ جبريلَ صلواتُ الله عليه حين استَبطأهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

رُوي: أنه ....

قوله: (عادة المَنهومين) النَّهْمَة: بلوغ الهمّة في الشيء، وقد نُهِم بكذا فهو مَنهوم، أي: مُولَعٌ به.

قوله: (ولأنَّ المُتنَعِّم) عطف على قوله: (ولكن على التقدير) مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: إنّما قال: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؛ لأنّه بنى الكلام على التقدير؛ ولأنّ المتنعِّم...، وقوله: (وقيل) عطف على جملة قوله: (ولا يكون)... إلخ.

احتبسَ أربعين يومًا، وقيل: خمسةَ عشر، وذلك حين سُئل عن قصَّة أصحاب الكهف وذي القرنين والرُّوحِ فلم يَدْرِ كيف يُجيبُ، ورَجَا أن يُوحَى إليه فيه، فَشَقَّ ذلك عَليه مَشقَّةً شديدةً، وقال المشركون: وَدَّعه رَبُّه وقَلَاه، فلمَّا نَزل جبريلُ قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَبْطَأْتَ حَتَّى ساء ظَنِّي واشتَقْتُ إليْكَ» قال: إني كنتُ أَشْوَقَ ولكنِّي عَبْدٌ مأمُورٌ إذا بُعِثْتُ نزَلتُ، وإذا حُبِسْتُ احتبَسْتُ، وأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ وسورةَ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

والتنـزُّلُ على مَعنيين: مَعْنَى النُّزولِ على مَهَلٍ، ومَعنَى النُّزولِ عَلى الإطلاقِ؛ كقوله:

فَلَسْتَ لإِنسيٍّ ولكِنْ لمَلأَكٍ تَنزَّلَ من جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ

لأنه مُطَاوِعُ "نَزَّل"، و"نَزَّلَ" يكون بمَعْنى "أَنزل" وبمَعْنى التَّدريج، واللائقُ بهذا المَوضع هو النزولُ على مَهَلٍ، والمرادُ: أن نُزُولَنا في الأَحايِينِ وَقتًا غِبَّ وَقْتٍ ليس إلا بأمر الله وعلى ما يَرَاهُ صَوابًا وحِكمةً، وله ما قُدَّامَنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾

قوله: (احتبس) أي: جبرئيل عليه السلام، ترك النبيُّ عليه الصلاة والسلام الاستثناءَ، قال: ذلك سبب الاحتباس.[١]

قوله: (ورجا أن يُوحى[٢] إليه فيه) أي: في شأن هذا السؤال، أي: في شأن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح.

قوله:

(فلستَ لإنسيٍّ)... البيتَ[٣]

أي: لستَ ابنًا لإنسيٍّ، و"يَصوب" أي: يميل إلى الجانب الأسفل.

قوله: (وقتًا) بدل مِن قوله: (في الأحايين).[٤]

---

[١] انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١٧/٤١٦ (مريم، ١٩/٦٤)؛ أسباب النزول للواحدي، ص ٣٠٩؛ تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٢/٣٣٠.

[٢] ن: يوحا.

[٣] لسان العرب لابن منظور، «صوب»، وفيه: «قال ابن برّي: البيت لرجل مِن عبد القيس يمدح النعمان؛ وقيل: هو لأبي وجزة يمدح عبد الله ابن الزبير؛ وقيل: هو لعلقمة بن عبدة».

[٤] ن: الأحانين.

من الجهاتِ والأماكن، وما نحن فيها، فلا نَتمالَكُ أن نَنتقِلَ من جهةٍ إلى جهةٍ ومكانٍ إلى مكانٍ إلا بأمْر المَليك ومَشيئتِه، وهو الحافِظُ العالِمُ بكلِّ حَرَكةٍ وسُكونٍ وما يحدُثُ ويتجدَّد من الأحوال، لا يجوز عليه الغفلةُ والنِّسْيانُ، فَأَنَّى لنا أَن نَتقَلَّبَ في ملَكوتهِ إلَّا إذا رَأى ذلك مَصْلحَةً وحِكمةً وأَطْلَق لنا الإذنَ فيه.

وقيل: ما سَلفَ من أمر الدُّنيا، وما يُستَقبلُ مِن أمر الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: وما بين النَّفخَتَينِ وهو أَرْبَعون سنةً.

وقيلَ: ما مَضى مِن أعمارنا، وما غَبَر منها، والحالُ التي نحن فيها.

وقيل: ما قَبل وُجودنا وما بَعْدَ فَنائنا.

وقيلَ: الأرضُ التي بينَ أيْدينا إذا نَزلنا، والسماءُ التي مِن ورائنا، وما بين السَّماءِ والأرضِ.

والمعنى: أنه المُحيطُ بكلِّ شيءٍ لا تَخْفَى عَليه خافيةٌ ولا يَعزُبُ عنه مثقالُ ذرة، فكيف نُقدِمُ على فِعلٍ نُحْدِثُه إلَّا صَادرًا عمَّا تُوجِبُه حكمتُه ويَأمُرُنا به ويأذَنُ لنا فيه؟

وقيل: معنى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: وما كان تاركًا لك؛ كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى ٩٣/٣]؛ أي: ما كان امتناعُ النزول إلَّا لامتناعِ الأمرِ بهِ، وأما احتباسُ الوحي فلم يكن عَن ترك الله لك وتوديعِهِ إياك؛ ولكنْ لتَوَقُّفِه على المصلحة.

وقيل: هي حكايةُ قولِ المتَّقينَ حين يَدخلون الجنة؛ أي: وما نَنزِلُ الجنةَ إلا بأَنْ مَنَّ الله عَلينا بثوابِ أعمالنا وأَمَرَنا بدخُولها، وهو المالكُ لرقابِ الأمُور كلِّها

قوله: (وهو الحافظ العالِم)... إلخ، هو[1] معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

قوله: (فأنَّى[2] لنا) أي: مِن أين لنا؟

قوله: (إذا رأى ذلك) أي: التقلّب.

قوله: (وما نَنْزِلُ الجنّة) إشارة إلى أنّ المعنى على هذا النزول على[3] الإطلاق.

---

[1] ف: وهو.
[2] ن: فأنا.
[3] ف - على.

السالِفةِ والمترقَّبةِ والحاضِرة، اللَّاطِفُ في أَعْمالِ الخَيْر والمُوفِّقُ لها والمُجازي عليها، ثـم قـال الله تعالى تقريرًا لقولهـم: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ أي: ناسيًا لأعمال العاملين غَافِلًا عما يجبُ أن يُثابُوا به، وكيف يجوزُ النِّسيانُ والغَفْلَةُ عَلى ذي ملكوتِ السماءِ والأرض وما بينهما، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فحينَ عَرَفْتَهُ على هذه الصِّفة فَأَقْبِلْ عَلى العَمل واعْبُدْه يُثِبْكَ كما أَثابَ غَيْرَكَ من المُتَّقينَ.

وقرأ الأعرَجُ: "وما يَتَنزَّلُ" بالياء عَلى الحِكاية عن جبريل والضميرُ للوَحْيِ، وعن ابن مسعود: "إلا بقولِ ربِّك".

يجبُ أن يكونَ الخلافُ في النَّسيِّ مثلَهُ في البَغيِّ.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بدلٌ من ﴿رَبُّكَ﴾، ويجوزُ أن يكون خبرَ مُبتدأ مَحْذوفٍ؛ أي: هو ربُّ السماوات والأرض ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾؛ كقوله:

وقَـائِـلَـةٍ خَـــوْلانُ فـانـكِـحْ فَـتـاتَـهُـمُ

قوله: (ثمّ قال الله تعالى تقريرًا لقولهم) أي: لا يكون قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مِن حكاية كلام المتّقين.

قوله: (وكيف يجوز النسيان) على أن يكون ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بدلًا مِن ﴿رَبُّكَ﴾.

قوله: (والضمير للوحي) أي: الضمير في "يتنزّل"، فكأنّ جبرئيل يقول: وما يتنزّل الوحي إلّا بإذن ربك، وقوله: (عن جبرئيل) أي: الحكاية الصادرة عن جبرئيل.

قوله: (بدل مِن ﴿رَبُّكَ﴾) وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ ابتداء كلام مِن الله تعالى لا مِن كلام المتّقين.

قوله:

(وقائلـــةٍ خَــولانُ فانكِـــحْ فتاتَهـــم)

وعلى هذا الوجهِ يجوز أن يكون ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ من كلام المتَّقين، وما بَعْده من كلام ربِّ العزَّة.

فإن قلتَ: هَلَّا عُدِّيَ ﴿اصْطَبِرْ﴾ بـ"علَى" التي هي صِلَتُه؛ كقَوله: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه ٢٠/١٣٢].

قلتُ: لأنَّ العبادة جُعلت بمنزلةِ القِرنِ في قولك للمُحارِب: "اصْطَبِرْ لقِرنِكَ"؛ أي: اثبُتْ لهُ فيما يُورِدُ عَلَيْك مِن شَدَّاته، أريدَ أنَّ العبادة تُورِدُ عليك شدائدَ ومَشَاقَّ فاثبُتْ لها ولا تَهِنْ، ولا يَضِقْ صَدرُكَ عَن إلقاء عُدَاتِكَ ....

تمامه:

وأُكْــرومــة الـحَـيَّـيـن خِـلْـوٌ كـمـا هِـيـا[1]

وكأنّه أجابها بباقي البيت، وقال: كيف أنكح فتاتهم والحال أن أُكرومة الحيَّين خِلْوٌ[2] لا زوج لها، وهي أولى بأن أتزوّجها؟[3] والمراد بـ"الحيَّين": حيّ أبيها وحيّ أمّها، أي: رُبَّ قائلة: هؤلاء خَولان؛ لأنّ الجُمَل تُحكَى بعد القول. "الأُكرومة" مِن الكرَم كالأعجوبة مِن العجَب. و"الخِلو":[4] الخالي، ويراد به: التي لا تكون ذات زوج؛ ولذلك كانت "الخليّة" كناية عن الطلاق.

قوله: (وعلى هذا الوجه يجوز)... إلخ، ولا يجوز ذلك على الوجه الأوّل، وهو أن يكون بدلًا؛ بل إمّا أن يكونا كلاهما مِن كلام الله تعالى، أو مِن كلام المتّقين.

قوله: (قلت: لأنّ العبادة جُعلت) يعني: شُبّهت العبادة بالقِرن، ثمّ ذكِّرت / العبادة وأريد القِرن، فيكون استعارة بالكناية، وقرينتها اللام التي تكون في مثل: اثْبُتْ لِقِرنك، والقِرن بالكسر: كفؤك في الشجاعة. [١١٠ظ]

قوله: (عُداتك) العُداة: جمع عادٍ، وهو الظالم، كالقضاة جمع قاضٍ،

---

[1] أنشده سيبوَيه في الكتاب، ١/١٣٩.
[2] ن: خو.
[3] ن: يتزوجها.
[4] ن: والخو.

من أَهلِ الكتاب إليك الأَغاليطَ وعن احتباسِ الوحي عليك مُدَّةً وشماتةِ المشركين بك.

﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾؛ أي: لم يُسَمَّ شيءٌ باللهِ قطُّ، وكانوا يقولون لأصنامهم: آلهةٌ، ولِلعُزَّى: إلهٌ، وأمَّا الذي عُوِّضَ فيه الألفُ واللام من الهمزةِ فمخصوصٌ به المعبودُ الحقُّ غيرَ مشارَكٍ فيه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يُسمَّى أَحَدٌ الرحمنَ غيرَهُ.

ووجهٌ آخرُ: هل تعلمُ مَن سُمِّي باسمه عَلى الحقِّ دون الباطِل؛ لأن التسميةَ على الباطل في كونها غيرَ مُعْتَدٍّ بها كَلَا تسمِيةٍ.

وقيل: مِثْلًا وشبيهًا؛ أي: إذا صَحَّ أَنْ لا معبودَ يُوجَّهُ إليه العبَادُ العبادةَ إلَّا هو وحدَه لم يكُن بدٌّ من عبادتهِ والاصْطبارِ على مَشاقِّها وتكاليفها.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾

يحتمِلُ أن يراد بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: الجنسُ بأسره، وأَن يُراد بعضُ الجنسِ وهم الكفرة.

فإن قلتَ: لمَ جازت إرادةُ الأناسيِّ كُلِّهم، وكُلُّهم غيرُ قائلينَ ذلك؟

وقوله: (مِن أهل الكتاب) بيان أو للتبعيض، وقوله: (الأغاليط)[1] فإنّهم سألوه عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، وهي جمع أُغلوطة وغُلوطة، وفي الحديث: «نهَى عن الغُلوطات»[2] و«الأُغلوطات»،[3] وهي المهيّمة[4] مِن المسائل.

قوله: (أي: إذا صحّ[5] أن لا معبود) هذا تفسير الآية على جميع الوجوه.

قوله: (على مشاقِّها) أي: مشاقِّ العبادة.

---

[1] ف: الأغاليظ.

[2] سنن أبي داود، ٤٩٨/٥ (٣٦٥٦).

[3] رواية أخرى. المعجم الكبير للطبراني، ٣٨٩/١٩ (٩١٣).

[4] ن: المهمّة. | الهائِمُ: المتحيِّرُ. وفي حديث عكرمة: "كان عليٌّ أعلم بالمُهَيِّماتِ"؛ يقال: هام فِي الأمر يَهِيمُ إذا تَحَيَّرَ فيه. لسان العرب لابن منظور، «هيم».

[5] ف: ضح.

قلتُ: لمَّا كانت هذه المقالةُ موجودةً فيمَن هو مِن جنسهم صحَّ إسنادُه إلى جميعهم؛ كما يقولون: "بنو فلان قَتَلُوا فُلانًا" وإنما القاتلُ رجلٌ منهم، وقال الفرزدق:

فَسَيفُ بَني عَبْسٍ وقَد ضَربُوا بِهِ   نَبَا بِيَدَي وَرْقَاءَ عن رأسِ خالدِ

فقد أسنَد الضَّربَ إلى بَني عَبْسٍ مع قوله: "نبا بِيَدَي وَرْقاء" وهو وَرْقاءُ بنُ زُهَير بن جُذَيْمةَ العَبسيُّ.

فإن قلتَ: بِمَ انْتَصَبَ "إذا" وانتصابُه بـ﴿أُخْرَجُ﴾ ممتنِعٌ لأجل اللام، لا تَقولُ: اليوْمَ لَزيدٌ قائم؟

قلتُ: بفعلٍ مضمَرٍ يدلُّ عليه المذكور.

فإنْ قلتَ: لامُ الابتداء الدَّاخلةُ على المضارع تعْطِي معنى الحالِ، فكيف جامَعت حَرفَ الاستقبال؟

قلتُ: لم تُجامِعْها إلَّا مُخْلَصةً للتوكيد؛ ....

قوله:

(فسَيفُ بني عَبسٍ وقد ضَربوا به   نَبا بيدَي ورقاءَ عن رأسِ خالدِ)[1]

"فسيف" مبتدأ، وقوله: "نبا" خبره، "وقد ضربوا" حال، "نبا السيف" إذا لم يعمل في الضربة.[2]

قوله: (وَرقاء)؛ لأنّ وَرقاء كان مِن بني عبس.

قوله: (لا تقول: اليومَ لَزيدٌ قائم)؛ لأنّ لام الابتداء تمنع ما بعدها عن العمل فيما قبلها.

قوله: (قلت: بفعل مُضمَر يدلُّ عليه المذكور) أي: ﴿أُخْرَجُ﴾.

قوله: (تعطي معنى الحال) كقولك: إنّ زيدًا لَيقوم.

---

١ ديوان الفرزدق بشرح الحاوي، ١/٢٦٧.

٢ ن: الضربة.

كما أُخلِصَت الهمزةُ في "يا الله" للتعويض، واضمحَلَّ عَنْها معنى التعريف.

و﴿مَا﴾ في ﴿إذاما﴾ للتوكيد أيضًا، فكأنهم قالوا: "أَحَقًّا أَنَّا سَنُخرَجُ أَحْيَاءً حين يتمكّنُ فينا الموتُ والهَلاكُ" على وَجْه الاستنكار والاستِبْعادِ، والمراد: الخُروجُ من الأرض، أو من حالِ الفَناء.

أو هو مِن قولهم: "خَرَجَ فُلانٌ عالمًا" و"خرَجَ شُجاعًا": إذا كان نادرًا في ذلك.

يُريدُ: "سَأُخْرَجُ حَيًّا نادِرًا" على سبيل الهُزء.

وقرأ الحسَن وأبو حَيوَةَ: "لسوفَ أخرج".

وعن طلحةَ بنِ مُصرِّف: "لَسَأُخْرَجُ" كقراءةِ ابنِ مسعُود رضي الله عنه: "ولَسَيُعطيك".

قوله: (كما أُخلِصت الهمزة) يعني: إنّما جاز إثبات الهمزة في "يا الله" حال النداء -حيث قالوا: "يا الله" بقطع الهمزة-[1] لأنّ الهمزة فيه ههنا للتعويض، يعني أنّ الألف واللام يكون للتعريف، وإنّما جاز إثبات الهمزة التي تكون مع اللام[2] للتعريف؛[3] لأنّ الهمزة مع اللام ههنا خلصت لمعنى التعويض عن الهمزة التي في الإله، واضمحلّ عن هذه الهمزة واللام معنى التعريف، وإنّما ذكر الهمزة دون اللام؛ لأنّ بقاء الهمزة حال النداء مِن خواصّ هذا الاسم، كما أنّ اجتماع حرف النداء مع الألف واللام مِن خواصّه.[4]

قوله: (فكأنّهم قالوا: أحقًّا)[5] فسّر التأكيد في اللام بقوله: "أحقًّا"، والتأكيد في "ما" بقوله: (حين يتمكّن).

قوله: (إذا كان نادرًا في ذلك) أي: في العلم والشجاعة، أي: هو نادر فيها بحيث خرَج عن نظائره وأقرانه، والمعنى في الآية: سأُحيَى حياة بليغة بحيث يكون خارجًا عن نظائرها، أعني: الحياة الدنيا، أي: حياة أبلغ مِن هذه الحياة التي نحن الآن عليه.

---

١ ف: بقصد التعويض.

٢ ن: مع الألف واللام.

٣ ن - للتعريف.

٤ ن: خواصيّة.

٥ ن: حقًّا.

وتقديمُ الظرف وإيلاؤهُ حَرْفَ الإنكار مِن قِبَلِ أن ما بعدَ الموتِ هو وقتُ كونِ الحياة مُنْكَرَةً ومنه جاء إنكارهُم، فهو كقولك للمُسيء إلى المُحسِن: "أَحينَ تَمَّتْ عَليك نعمةُ فلانٍ أَسَأتَ إليهِ؟!".

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾

الواوُ عَطَفَتْ ﴿لا يَذْكُرُ﴾ على ﴿يقولُ﴾ وَوُسِّطَتْ همزةُ الإنكارِ بينَ المعطوف عليه وحرفِ العطف، يَعْني: أَيَقُولُ ذاك وَلا يَتذكَّرُ حَالَ النشأةِ الأُولى

قوله: (مِن قِبَل) أي: مِن جهة.

قوله: (الواو عطَفت)... إلخ بظاهره يدلُّ على أنَّ ﴿أَوَلَا يَذَّكَّرُ﴾...[١] إلخ جملة معطوفة على ما قبلها، والهمزة تخلّلت بينهما، فتدلُّ[٢] الهمزة على إنكار عدم التذكُّر، وقوله: (يعني)... إلخ يدلُّ على أنّ قوله: ﴿أَوَلَا يَذَّكَّرُ﴾... إلخ جملة مستأنَفة بعد الجملة الأولى مِن غير تخلّل عاطف بينهما، والواو لعطف ﴿يَذَّكَّرُ﴾ على محذوف، وهو "يقول"، فيكون الكلام[٣] لإنكارِ القول وعدمِ التذكُّر على هذا التقرير، وعلى ما ذكرنا أوّلًا يكون هذا الكلام لإنكار التذكُّر فقط دون القول، فهما مِن حيث الظاهر متنافيان. وجوابه: أنّ أصل الكلام: أيقول ولا يذَّكَّر؛ ليكون الإنكار متوجّهًا إلى القول وعدم التذكُّر هكذا: أيقول[٤] ولا يَذَّكَّر؛ لكن عدل إلى "يقول ولا يذَّكَّر"؛ لأنّ الاعتناء بإنكار عدم التذكُّر أشدّ مِن الاعتناء بشأن القول؛ لأنّ القول إنّما نشأ مِن عدم التذكُّر، فحكى القول ثمّ ذكر عدم التذكُّر الذي هو سببه مع حرف الإنكار تحريضًا على التذكُّر، فإنّه إذا حصل التذكُّر اضمحلّ هذا القول، ولا يقوله المنكر للبعث للصارِف القويّ، وهذا هو التحقيق في هذا الموضع، وهو مراد المصنّف مِن الكلامَين، فافهم.

---

١ كذا ضُبط في الأصول الخطّيّة على قراءة التشديد، وسيأتي بيانها.
٢ ن: فيدل.
٣ ن: فتكون اللام.
٤ ن: يقول.

حَتَّى لا ينكِرَ الأُخرَى، فإن تلك أَغربُ وأَعْجَبُ وأَدلُّ على قُدرة الخالق حَيْثُ أَخرجَ الجواهِرَ والأعراضَ من العَدم إلى الوجود، ثـم أَوقع التأليف مَشْحونًا بِضُروب الحِكَم التي تَحَار الفِطَنُ فيها، مِن غير حَذوٍ على مثالٍ واقتداءٍ بمُؤلِّفٍ؛ ولكن اختِراعًا وإبداعًا من عند قادرٍ جَلَّتْ قدرتُه ودقَّت حكمتهُ، وأما الثانيةُ فقد تَقدَّمَتْ نظيرَتُها وعادَت لها كالمِثال المُحتذَى عليه، وليس فيها إلا تأليفُ الأجزاء الموجُودةِ الباقيةِ، وتركيبُها ورَدُّها إلى ما كانَتْ عليه مجموعةً بعْدَ التَّفكِيك والتفريق.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ دَليلٌ على هذا المعنى، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم ٢٧/٣٠] على أن ربَّ العِزَّة سواءٌ عليه النَّشأتانِ لا يتفاوتُ في قدرته الصعبُ والسهلُ، ولا يَحتاجُ إلى احتذَاءٍ على مِثالٍ ولا استعانةٍ بحكيمٍ ولا نظَرٍ في مِقياسٍ؛ ولكن يُواجَهُ جاحدُ البَعْثِ بذلك دَفْعًا في بَحْر مُعَانَدتهِ وكشفًا عن صَفْحةِ جَهْله.

القرَّاء كُلُّهم على ﴿لَا يَذَّكَّرُ﴾ بالتشديد ....

[١١١و] / قوله: (وكذلك) أي: كما أنّ قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ دليل على هذا المعنى فكذلك[١] ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ﴾[٢] دليل على هذا المعنى، وقوله تعالى:[٣] ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم ٢٧/٣٠] أي: عندكم كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات ١٤٧/٣٧].

قوله: (على أنّ ربّ العزّة) يجوز أن يكون متعلِّقًا بقوله: "وكذلك قوله"، ويجوز أن يتعلَّق بقوله: (أعجَب وأغرَب)، أي: تلك أعجَب وأغرَب[٤] بالنسبة إلى فهمنا وقدرتنا، وأمّا بالنسبة إلى قدرته تعالى فهما سِيّان.

قوله: (في نَحْر)[٥] أي: صدر.

---

١ ف: فلذلك.

٢ ن + أي كما أنّ قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ دليل على هذا المعنى، فكذلك ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ﴾.

٣ ف – تعالى.

٤ ن: وأرغب.

٥ في مطبوع الكشّاف: "في بحر".

إلَّا نافعًا وابنَ عامرٍ وعاصمًا فقَد خَفَّفُوا، وفي حرف أُبيّ: "يَتَذَكَّرُ".

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ الحالةِ التي هو فيها، وهي حَالةُ بقَائه.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾

في إقسامِ الله تعالى باسمه -تقدَّستْ أسْماؤه- مضافًا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تَفخيمٌ لشأن رسول الله ورفعٌ مِنه؛ كما رَفَع من شأن السماء والأرض في قوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات ٥١/٢٣].

والواوُ في ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ يجوز أن تكون للعطفِ وبمعنى "مع"، وهي بمعنى "مع" أوقعُ، والمعنى: أنَّهم يُحشرُون مَع قُرنائِهم من الشياطين الذين أغوَوْهُم يُقرَنُ كُلُّ كافرٍ مَع شيطانٍ في سِلسلةٍ.

فإن قلتَ: هذا إذا أُريدَ بالإنسان الكفرةُ خاصَّةً، فإن أُريدَ الأناسيُّ على العموم فكيف يستقيمُ حَشْرُهم مَع الشياطين؟

قوله: (إلَّا نافعًا)[1] يجوز أن يقال: قوله: "إلَّا نافعًا" استثناء متَّصل كما هو ظاهره، ثمّ بعد الاستثناء قال: (فقد خفَّفوا)، فيكون هذا جملة مبيّنة للجملة المتقدّمة مسبَّبة عنها، ويجوز أن يقال: "إلّا نافعًا"... إلخ استثناء منقطع، و"إلّا" بمعنى "لكنّ"، فكأنّه قال: لكنّ هؤلاء خفَّفوا،[2] فأدخل اللام في خبر "لكنّ" وهو جائز، ومثله قوله تعالى في سورة براءة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة ٩/٣-٤]، فقوله: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟﴾ هو خبر ﴿إِلَّا﴾؛ لأنّه بمعنى "لكنّ".

قوله: (أوقع) وإنّما كان أوقع لدلالته على أنّهم يُحشرون مقرونين مع الشياطين.

قوله: (مع قرنائهم) أي: مقرونين.

---

[1] انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١٨.

[2] ف: لكنّ نافعًا فقد خفّف.

قلتُ: إذا حُشِرَ جميعُ الناس حشرًا واحدًا وفيهم الكفرةُ مَقرونينَ بالشياطين، فقَد حُشِروا مع الشياطينِ كما حُشِروا مع الكفرة.

فإن قلتَ: هَلَّا عُزِل السُّعداءُ عن الأشقياء في الحشر كما عَزلُوا عنهم في الجزاء؟

قلتُ: لم يُفرَّقْ بينهم وبينهم في المَحشر، وأُحْضِرُوا حَيْث تَجاثَوا حَوْلَ جَهَنَّم وأُورِدُوا مَعَهم النارَ؛ ليشاهِدَ السُّعداءُ الأحوالَ التي نجَّاهُم اللهُ منها وخَلَّصَهُم فيَزْدادوا بذلك غِبْطَةً إلى غِبْطَةٍ وسُرورًا إلى سُرورٍ، ويَشْمَتُوا بأعداء اللهِ وأَعْدائهم فتَزْدادَ مَساءَتُهُم وحَسْرتُهُم وما يَغيظُهم من سَعادة أولياء اللهِ وشماتَتِهِمْ بهم.

فإن قلتَ: ما مَعنى إحْضارِهم جُثِيًّا؟

قلتُ: أَمَّا إذا فُسِّر الإنسانُ بالخصوص فالمعنى: أنهم يُعتَلُونَ من المَحشر إلى شاطئ جَهنَّم عَتْلًا على حالِهم التي كانوا عليها في الموقف جُثاةً على رُكَبِهم غَيْرَ مُشَاةٍ عَلى أَقْدامِهم، ....

قوله: (قلت: إذا حُشِر)... إلخ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح ١٦/٧١]، وإن كان القمر في فلَك واحدة.

قوله: (في المحشِر) بكسر الشين.

قوله: (يُعتَلون) العَتْل: السَّوق بعُنفٍ.

قوله: (إلى شاطئ جهنّم) أي: شطّه وجانبه، وهو تفسير ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾، قال المفسّرون: يجوز أن يكون ذلك خارج جهنّم قبل دُخولها، ويجوز أن يكون داخل جهنّم بعد دخول جهنّم،[١] يقال: جلس القوم حول البيت، أي: أطافوا به مِن داخله، ولفظ المصنّف بالمعنى الأوّل أظهر دلالة على المعنَى الأوّل.

قوله: (جُثاةً على رُكَبِهم)... إلخ بيان قوله: (على حالهم التي)، فقوله: "جُثاةً" بدل مِن قوله: "على حالهم".

---

١ ن: دخولهم.

وذلك أن أهل المَوقِفِ وُصِفُوا بالجُثوّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية ٢٨/٤٥] على العادةِ المعهودةِ في مَواقفِ المُقاوَلاتِ والمناقَلاتِ مِن تَجاثِي أَهْلِها عَلى الرُّكَبِ؛ لِمَا في ذلك من الاستيفاز والقَلَق وإطلاقِ الحُبَى وخِلافِ الطُّمَأنينة، أو لِمَا يَدْهَمُهُم مِن شدَّة الأمر التي لا يُطِيقون معها القيامَ على أرجلهم فيَحْبُونَ على رُكَبِهم حَبْوًا.

وإنْ فُسِّر بالعُموم فالمعنى: أنهم يَتجاثَونَ عند مُوافاةِ شاطئ جَهنَّم على أن ﴿جُثِيًّا﴾ حالٌ مقدَّرةٌ كما كانوا في الموقف مُتجَاثِينَ؛ لأنه من توابع التَّواقُفِ للحِسَاب قبل التوصُّل إلى الثَّوابِ والعِقَابِ.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ٧٠﴾

قوله: (وذلك أنّ أهل الموقف) هذا إشارة إلى أنّهم كانوا جُثاةً.

قوله: (مِن الاستيفاز) استوفَز في قَعْدته إذا قعد قُعودًا منتصبًا غير مطمئنّ.

قوله: (فيَحْبون) حَبا الصبيُّ يَحْبو[1] فهو حابٍ إذا مشى على اسْتِهِ.

قوله: (عند موافاة) وافَيت فلانًا، أي: أتيتُه وغَشيتُه.

قوله: (حال مقدَّرة)؛[2] وذلك لأنّ غير الكفّار لا يُعتَلون جُثاةً؛ بل هم يمشون بأرجلهم، فلا يكونون حالَ إحضارهم جِثيًا؛ بل إنّما يتجاثون عند الوصول إلى شاطئ جهنم، فيكون ﴿جِثِيًّا﴾ حالًا[3] مقدّرة، أي: لَنُحضرنّهم مقدّرين الجُثوّ.

قوله: (لأنّه مِن توابع) أي: لأنّ التجاثي.

قوله: (وفئةٍ) الفئة: أصلها فيئة، والهاء عوض مِن الياء، والجمع: فِئون، قال الكُميت:

---

١ ن: يحبوا.

٢ وفي هامش د ف: والتقدير لا ينافي أن يكون موجودًا بالفعل، فيشمل قولنا: "مقدّرين الجُثوّ" المؤمنين والكفار.

٣ ن: حال.

المرادُ بالشِّيعةِ -وهي "فِعْلةٌ" كفِرقةٍ وفئةٍ-: الطائفةُ التي شاعَتْ؛ أي: تَبِعَتْ غاوِيًا مِن الغُواة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ فارَقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام ٦/١٥٩].

يُريدُ: يَمْتَازُ مِن كلِّ طائفةٍ من طوائف الغيِّ والفسَادِ أَعْصَاهُم فَأَعْصَاهُم وأَعْتاهُم فَأَعْتاهُمْ، فإذا اجْتَمعوا طرَحْناهم في النار عَلى الترتيبِ، نُقَدِّمُ أَوْلَاهُم بالعذاب فأَوْلاهُم.

أو أرادَ ﴿بالذين هُم أَوْلَى بها صُلِيًّا﴾: المنتزِعِينَ كمَا هُم؛ كأنه قال: ثم لَنَحن أَعْلَمُ بتَصْليةِ هؤلاء وهم أولى بالصُّليِّ مِن بين سائر الصَّالِينَ، ودَرَكاتُهم أَسْفَلُ وعَذابُهم أشدُّ.

ويجوز أن يريد بأشدِّهم عُتيًا: رُؤسَاءَ الشِّيَع وأَئمَّتَهم؛ لِتَضاعُفِ جُرْمهم بكونهم ضُلَّالًا ومُضِلِّينَ؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل ١٦/٨٨] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت ٢٩/١٣].

تَــرَى مِـنـه جَـمـاجِـمَـهـم[1] فِـئِـيـنَـا[2]

أي: فِلَقًا متفرِّقةً، وهو مِن الفَيء.

قوله: (شاعت) شاعه[3] شياعًا: تَبِعه، وإنّما قال: (المراد بـ"الشيعة": الطائفة)... إلخ، يعني المراد في هذه الآية هي الطائفة المذكورة، لا أنّها[4] معناها لغة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات ٣٧/٨٣].

قوله: (كما هم) أي: مشابهين للحال التي هم عليه، أي: المُنتزَعين بعَينهم.

[١١١ظ] قوله تعالى: (﴿وَصَدُّواْ﴾) فعلى هذا هو / مِن الصَّدّ لا مِن الصُّدود، أي: صَدُّوا غيرَهم.

---

[1] في الأصول الخطّيّة: "جماعتهم". ولم أجده كذلك فيما وقفت عليه من المصادر.

[2] ن: فيئنا. | وصدره:

فجَعْجَعْنا بهنّ وكان ضَـرْبٌ

تاج العروس للزبيدي، «فأي».

[3] ن - شاعه.

[4] ن: لأنّها.

واختُلفَ في إعْراب ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾: فعن الخليل أنه مُرتفِعٌ على الحكاية، تقديره: لننْزِعنَّ الذين يُقَالُ فيهم: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، وسيبويه على أنه مبنيٌّ على الضَّم لسقوط صدرِ الجملة التي هي صلتُه، حتى لو جيءَ به لَأُعرِبَ وقيل: أيّهُم هو أشَدُّ.

ويجوز أن يكون النَّزْعُ واقعًا عَلى ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ كقوله: ....

قوله: (فعن الخَليل) فقوله: ﴿أَيُّهُمْ﴾ على مذهب الخَليل استفهاميّة، وعلى مذهب سيبوَيه موصولة.[1]

قوله: (يقال فيهم)؛ وذلك لأنّهم إذا كانوا مبالِغين في العُتوّ يقول القائل: أيّهم أشدّ عُتوًّا؟ بطريق الاستفهام، كالمتعجّب مِن حالهم ومِن عُتوّهم. أو المعنى: يقال فيهم مقتضى "أيّهم أشدّ"، وجواب ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ كما قال سيبوَيه في "علمتُ أزيد عندك أم عمرو": علمت[2] جواب ذلك،[3] وحَمْل كلام الخَليل على هذا المعنى أَولى؛ بل مُتعيّن.

قوله: (على أنّه مبنيّ) إنّما بُني عند سقوط صدر الصلة؛ لأنّ صدرها "هو"، وكلمة "هو" مَبنيّة، والمتضمّن للمبنيّ مبنيّ.[4] والأظهر أن يقال: بُني لاحتياجه إلى ذلك الصدر المحذوف، فيُشبه الحرف في الاحتياج إلى الغير.

قوله: (وقيل: أيّهم هو) هذه داخلة في جواب (لو)، معطوفة على (لأُعْرِبَ).

قوله: (ويجوز أن يكون النزع) هذا قول يونس، وعلى هذا الوجه الثالث يكون "أيّ" خبر مبتدأ محذوف، أي: هم أيّهم أشدّ، فـ"هم" مبتدأ، و"أيّهم" مرفوع؛ لأنّه خبر، وعلى قراءة طلحة هو منصوب؛[5] لأنّه مفعول "نَنْزِعَنَّ"، وحذفُ صدر الصلة لا يقتضي البناء عنده، فإنّ ذلك مذهب سيبوَيه.

---

[1] انظر: الكتاب لسيبويه، ٢/٣٩٨.

[2] ن: وعلمت.

[3] انظر: الكتاب لسيبويه، ١/٢٣٦.

[4] ن – مبنيّ.

[5] القراءة بالنصب في ﴿أَيُّهُمْ﴾ شاذّة، وقد نسبها سيبويه إلى هارون الأعور القارئ. انظر: معاني القرآن للزجّاج، ٣/٣٣٩؛ وتفسير القرطبي، ١١/٣٣ (مريم، ١٩/٦٩).

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم ١٩/٥٠]؛ أي: لننزعَنَّ بَعْضَ كُلِّ شِيعةٍ؛ فكأنَّ قائلًا قال: مَن هُم؟ فقيل: "أَيُّهم أَشدُّ عُتيًّا".

و"أَيَّهُم أَشَدُّ" بالنَّصب عن طلحةَ بن مُصَرِّفٍ وعن مُعاذِ بن مُسلم الهَرَّاء أستاذِ الفرَّاء.

فإن قلتَ: بمَ تتعلَّق ﴿عَلَى﴾ والباءُ؛ فإنَّ تعلُّقَهما بالمصدرين لا سبيل إليه؟

قلتُ: هما للبيان لا للصِّلة، أو يتعلَّقان بـ"أَفعَل"؛ أي: عتوُّهم أشَدُّ على الرحمن وصليُّهم أولى بالنَّار؛ كقولك: هو أشدُّ على خصمه، وهو أَوْلى بكذا.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ التفاتٌ إلى الإنسان يَعضُده قراءةُ ابن عباسٍ وعكرمَةَ: "وإنْ منهم"، أو خطابٌ للناس من غيْرِ التفاتٍ إلى المَذكور، فإنْ أُريدَ الجنسُ كلُّه

قوله: (الهَرَّاء) سمِّي الهَرَّاء؛ لأنّه كان يبيع الثياب الهَرَوِيّة.

قوله: (فإن قلتَ: بم يتعلَّق "على" والباء) أي: ﴿عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ و﴿بِهَا﴾.

قوله: (بالمصدَرين) وهما ﴿عِتِيًّا﴾ و﴿جِثِيًّا﴾.

قوله: (قلت: هما للبيان) فكأنّه قيل: على مَن عَتَوْا؟ فقيل: عَتَوْا على الرحمن، فيتعلّقان بمحذوف.

قوله: (أو يتعلّقان[١] بأفعل) أي: ﴿أَشَدُّ﴾ و﴿أَوْلَىٰ﴾.

قوله: (﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ التِفات إلى "الإنسان") بعد ما ذكَره بطريق الغَيبة في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.[٢]

قوله: (مِن غير التفات إلى المذكور) أي: إلى قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾، فلا يكون التِفاتًا؛ لأنّه إذا لم يلتفت إلى أنّه مذكور فكأنّه لم يُذكَر، فيكون ذلك ابتداء ذكر بطريق الخطاب، فلا يكون التِفاتًا.

---

[١] ن: يتعلق.

[٢] ن – الإنسان.

فمَعنى الوُرودِ: دخولهُم فيها وهي جَامدة فيَعْبُرهَا المؤمنُون وتَنْهَارُ بغَيرهم.

عن ابن عباس: يَرِدُونَها كأنّها إهَالَةٌ. ورُوي: دُوايَةٌ.

وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: «إذا دَخَل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ قال بعضُهم لبعضٍ: ألَيْسَ وعَدَنا ربُّنا أن نَرِدَ النارَ؟ فيُقالُ لهم: قد وَرَدْتُموهَا وهي جامدة».

وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوُرُودُ: الدخول، لا يَبْقى بَرٌّ ولا فاجرٌ إلّا دَخَلَها،

قوله: (وهي جامدة) أي: باردة، مِن الجَمَد لا مِن الجمود، وِفاق قوله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء ٦٩/٢١]، ولقوله عليه الصلاة والسلام في هذه الآية: «نصيب أمّتي مِن النار كنصيب إبراهيم مِن نار نُمرود[١] بن كنعان»،[٢] هكذا في بعض الحَواشي، وأقول: لا يبعد أن يكون مِن الجُمود، يؤيّده قوله: (يَعبُرها المؤمنون وتنهار بغيرهم)،[٣] والحديث المرويّ عن ابن عبّاس رضي الله عنه،[٤] وقوله: "تنهار" أي: تنهدم، وقوله: (كأنّها إهالة) في الحديث: «توضع النار على مَتن جهنّم كأنّها إهالة»،[٥] وهي الدَّسَم المُذاب.

قوله: (وروي: "دُوايةٌ")[٦] الدُّواية[٧] والدِّواية: الجُليدة التي تَعلو اللَّبَن والمَرَق، وقد دوَّى اللَّبَن تَدويةً إذا ركِبَتْه الدُّواية، وقد ادَّويتُ إذا أكلت الدُّوايةَ، وهو افتعلت.

قوله: (أليس قد وعدنا) أي: أليس الشأن؟

---

١ د: نمورد؛ ف: نمروذ.

٢ لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج الثعلبي بإسناده عن جابر رضي الله عنه يرفعه: «الورود: الدخول، لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم». الكشف والبيان للثعلبي، ٤٢٩/١٧ (مريم، ٧١/١٩).

٣ ن: بغيهم.

٤ د – رضي الله عنه. | ولم أجده مسندًا، وأخرج الطبري بإسناده عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: يدخلها. جامع البيان للطبري، ٥٩٤/١٥ (مريم، ٧١/١٩).

٥ لم أجده بهذا اللفظ، وفي شعب الإيمان للبيهقي، ٥٧٥/١ (٣٦٧)، عن كعب قال: «يجاء بجهنّم يوم القيامة كأنّها متن إهالة».

٦ لم أجد هذه الرواية.

٧ ف: والدُّواية.

فتكونُ على المؤمنين بَرْدًا وسَلامًا كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنَّار ضجيجًا مِن بَرْدِها».

وأمَّا قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء ١٠١/٢١] فالمراد: عن عذابها.

وعن ابن مسْعُود والحسن وقتادةَ: هو الجَوازُ عَلى الصِّراطِ؛ لأن الصِّراط مَمدود عليها.

وعن ابن عباس: قد يَرِدُ الشَّيءُ الشيءَ ولم يدخله؛ كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص ٢٣/٢٨]، ووَرَدَتِ القافلةُ البلدَ وإن لم تدخلهُ؛ ولكنْ قرُبت منه.

وعن مجاهد رحمه الله: ورُودُ المؤمن النارَ هُو مَسُّ الحُمَّى جَسَدَهُ في الدُّنيا؛ لقوله عليه السلام: «الحمَّى مِن فَيْح جهنَّمَ»، وفي الحديث: «الحمَّى حَظُّ كلِّ مؤمنٍ مِن النار».

ويجوز أن يراد بالورُود: جُثُوُّهُم حَولها.

وإن أريدَ الكفَّارُ خاصةً فالمعنى بيِّنٌ.

"الحَتمُ": مَصْدرُ "حَتَم الأمرَ": إذا أَوْجَبَه، فسُمِّي به الموجَبُ؛ كقولهم: "خَلقُ الله" و"ضَرْبُ الأمير".

أي: كان وُرُودهم واجبًا على الله، أَوْجَبَه على نفسِه وقضَى به وعَزم على أنْ لا يكون غيْرُهُ.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾

قوله: (وقضى به) أي: حكم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء ٢٣/١٧].

قوله: (وعزم أن لا يكون غيره) عزَمتُ على كذا إذا أردتُ فعله وقطعت عليه، ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه:[١] «إنّ الله تعالى[٢] يحبُّ أن يُؤتَى برُخَصه

---

[١] د - رضي الله عنه.

[٢] ف ن - تعالى.

قرئ: ﴿نُنَجِّي﴾ و﴿نُنْجِي﴾، و"يُنَجَّى" و"يُنْجَى" على ما لم يسمَّ فاعلُه.

إن أُريدَ الجنسُ بأَسْره فهو ظاهِرٌ، وإن أُريد الكَفَرةُ وحدهم فمعنى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾: أنَّ المُتَّقين يُساقُونَ إلى الجنَّة عَقِيبَ وُرُود الكفار لا أنهم يُوارِدونهم ثم يتخَلَّصُونَ.

وفي قراءةِ ابن مَسْعُود وابن عباس والجَحْدَرِيِّ وابنِ أبي ليلى: "ثَمَّ نُنَجِّي" بفتح الثاءِ؛ أي: هُناك.

وقوله: ﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ دليلٌ على أن المراد بالورود الجثُوُّ حواليها،

كما يحبُّ أن يُؤتَى بعَزائمه»،[١] أي: بفرائضه التي عزم سبحانه وتعالى على / العباد وجوبها. [١١٢و]

قوله: (ثمّ يتخلَّصون) بل الكفّار يَرِدُون مِن شاطِئ جهنّم، والمؤمنون يُساقون مِن شاطئ جهنّم إلى الجنّة بعد ورود الكفّار جهنّم، فسُمّي هذا السّوق تنجية،[٢] وعلى هذا التنجيةُ ابتداء، و"ثمّ" لتراخي المرتبة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد ١٧/٩٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه ٨٢/٢٠]، واعلم أنّ المعنى: أنّ الكافرين يَرِدُونها مِن شاطِئ جهنّم، وبعد ما يَرِد الكفّار[٣] النّار مِن شاطِئ جهنّم يُساق المؤمنون إلى الجنّة مِن شاطِئ جهنّم، و"ثُمّ" لتراخي الزمان على ما هو معناه.

قوله: (دليل على أنّ المراد) أقول:[٤] وفيه دليل أيضًا على أنّ المراد بإحضارهم حول جهنّم: إحضارهم داخل جهنّم، كما يقال: جلس القوم حول البيت إذا أطافوا به مِن داخله. وقوله: (حواليها)[٥] يقال: عدا حَولَه وحَوالَه وحَوالَيه بفتح اللام، ولا تقل:[٦] حوالِيه بكسر اللام.

---

١ المصنَّف لابن أبي شيبة، ٣١٧/٥ (٢٦٤٧٢)، وأخرجه ابن حبّان عن ابن عبّاس وعن ابن عمر مرفوعًا. انظر: صحيح ابن حبّان، ٦٩/٢ (٣٥٤)؛ ٣٣٣/٨ (٣٥٦٨).

٢ ن – وفي هامش د ف: والوجه كون كلٍّ من التنجية والسّوق إلى الجنّة سببًا للسرور والفرح.

٣ ن: الكافر.

٤ ن: قول.

٥ ن: حوالها.

٦ ن: يقل.

وأن المؤمنين يُفارقُون الكفرة إلى الجنَّة بَعْد تجَاثيهِم وتَبقى الكفرةُ في مكانِهم جاثِينَ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: مُرَتَّلاتِ الألفاظِ، مُلخَّصَاتِ المعاني، مُبَيَّناتِ المَقاصد: إمَّا مُحْكَماتٍ، أو مُتشابِهاتٍ قد تَبعَها البيانُ بالمُحكَماتِ أو بتَبْيين الرَّسُولِ قَوْلًا أو فِعْلًا.

أو: ظاهراتِ الإعجَازِ، تُحَدِّيَ بها فَلَمْ يُقْدَرْ على مُعارَضتِها.

قوله: (بعد تجاثيهم) أي: بعد تجاثي المؤمنين والكافرين حَول جهنّم.

قوله: (وتبقى الكفرة) يدلُّ على أنّ المراد بـ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ بعد دخولهم.

قوله: (﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: مرتّلاتٍ)... إلخ، فقوله: (مُرتّلات) متعلِّق بتلاوة النبيّ عليه الصلاة والسلام، وهو أن لا يَعجَل[1] في إرسال الحروف؛ بل يتثبَّت فيها ويبيّنُها تبيينًا ويوفّيها حقَّها مِن الإشباع مِن غير إسراع، ومنه: ثَغْرٌ مُرتَّلٌ ورَتِلٌ، أي: مُفَلَّج، مستوي النِّبْتة، حسَنُ التنضيد، وقوله: (ملخَّصات) إشارة إلى أن ليس في تركيبه تعقيد بالتقديم والتأخير أو[2] الحذف والإيجاز المُخلّ بفَهم المعنى، وقوله: (مبيَّناتٍ) إشارة إلى أن ليس فيه إجمال مِن غير بيان؛ بل كلّه واضح المعنى إمّا بوروده مبيَّنًا ابتداء، وهو المراد بالمُحكَمات، أو وروده مشتَبِهًا؛ لكن بُيّن بعد ذلك إمّا بآية أخرى مُحكَمة، أو بقول النبيّ، أو بفعله عليه الصلاة والسلام.

ثمّ عطف على قوله: (مُبيَّناتِ) قوله: (ظاهراتٍ... حُجَجًا)، وتقريره: أنّه إن[3] كان المراد مِنه بيان الأحكام والعِبَر والمواعظ فهو مبيَّنات المقاصد، وإن كان المراد الأصول كالإلهيّات والنبوّات فهو البرهان القاطع، وتأليفه ونظمه مُعجِز، وكأنّ قوله: (أو ظاهراتِ الإعجاز) بلفظ "أو" دون الواو إشارة إلى أنّ كلّ واحدٍ

---

[1] ن: يجعل.

[2] ن: أي.

[3] ن: إذا.

أو: حُجَجًا وبَراهينَ.

والوجه أن تكون حالًا مؤكِّدةً كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة ٩١/٢]؛ لأن آياتِ الله لا تكونُ إلا واضحةً وحُجَجًا.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يحتمِلُ أنَّهُم يُناطِقُون المؤمنين بذلك ويواجِهونهم به، وأنَّهم يَفُوهونَ به لأَجْلهم وفي معناهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف ١١/٤٦].

قرأ ابن كَثير ﴿مُقامًا﴾ بالضَّمِّ، وهو موضعُ الإقامةِ والمنزل، والباقونَ بالفتح وهو موضعُ القِيامِ، والمرادُ: المكانُ والموضع.

و"النديُّ": المَجلسُ ومُجتمَعُ القوم وحيثُ يَنْتَدُون.

واحدٍ مِن[1] التراكيب لا يلزم أن يكون مُعجِزًا؛ إذ التحدّي بالسورة. ثمّ أشار بقوله: (والوجه) إلى أنّه لا بدّ أن يكون قوله: ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ حالًا مؤكِّدة، ثمّ علَّل كونها مؤكِّدة بكونها "واضحة وحُججًا"، فقوله: (واضحة) إشارة إلى (مبيِّنات المقاصد ظاهراتِ الإعجاز)، وقوله: (حُجَجًا)... إلى قوله: (حُجَجًا وبراهين)، فالواو في قوله: "وحُججًا" بمعنى "أو"، والعطف في[2] "وبراهين" للبيان؛ لأنّ جميع[3] حُجج القرآن براهين. ويمكن أن يقال: إنّ العطف فيه ليس للبيان، إذ لا يلزم أن يكون جميع الحجج براهين؛ بل البعض برهان قاطع، والبعض خطاب ساطع، والبعض جدال بالحقّ، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥/١٦]، والفائدة في ذلك أن يكون الكلام مع كلّ أحدٍ[4] بما يليق به ويفهمه.

قوله: (لأجلهم) لا أنّهم / يُناطقونهم. [١١٢ظ]

قوله: (يَنتدون) يقال: انتدى، أي: جلس في النادي.

---

[1] ن – (ظاهراتِ الإعجاز) بلفظ "أو" دون الواو إشارة إلى أنّ كلّ واحدٍ واحدٍ مِن.

[2] ن – في.

[3] ف: جمع.

[4] ن: واحد.

والمعنى: أنّهم إذا سَمِعُوا الآيات وهُم جَهْلَةٌ لا يَعْلَمونَ إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا -وذلك مَبْلغُهم من العلم- قالوا: أَيُّ الفريقين مِن المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفَرُ حَظًّا من الدنيا؟ حتى يُجْعَل ذلك عِيَارًا على الفضْل والنقْصِ والرِّفعة والضَّعَة.

ويُروى: أنهم كانوا يُرَجِّلُونَ شُعُورَهم ويَدَّهِنُون ويَتَطَيَّبُون ويتَزيَّنُون بالزِّيَن الفاخِرة، ثم يدَّعُون مُفتخِرين على فُقراء المسلمين أَنهم أكرمُ على الله منهم.

قوله: (وهم جَهَلَة)... إلخ، اقتبسه مِن قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم ٣٠/٦-٧].

قوله: (حتّى يُجعل ذلك عيارًا) العِيار: المعيار الذي يقاس به غيره، ويقال: عايَرت المكاييل والموازين، وقوله:[١] "ذلك" إشارة إلى وفور الحظّ، أي:[٢] حتّى يُجعَل[٣] وُفور الحظّ شيئًا يُستَدل به على الفضل والنقص. واعلم أنّ الأصل في معنى عيار الدراهم والدنانير هو ما جُعل فيها مِن الفضّة الخالصة والذهب الخالص، ثمّ يكون العيار بمعنى المِعيار كما أورد المصنِّف هنا. وقوله: "حتّى[٤] يُجعل" متعلِّق بقوله: (قالوا)، أي: قالوا هذا الكلام ليُجعل، أو هو متعلِّق بقوله: (أيُّ الفريقين) مِن حيث المعنى، كأنّه قيل: اعلموا ذلك أو بيّنوه حتّى يُجعل.

قوله: (والضَّعة) أي: الدناءة، والوَضيع: الدّنيء مِن النّاس، يقال: في حسَبه ضَعة وضِعة، والهاء عِوض مِن الواو.

قوله: (كانوا يُرَجِّلون) يقال: رَجَّل شعره، أي: أرسله بالمِرجَل، وهو المُشط، وترجّل: فعل ذلك بشَعر نفسه، ومِنه: "كان عليه الصلاة والسلام يحبُّ التيمُّن حتّى في تنعُّله وترجُّله"،[٥] و"نهَى عن الترجُّلِ إلّا غِبًّا".[٦]

---

١ ن + وقوله.

٢ ف – أي.

٣ ن: حين يُعجَل.

٤ ن – ثمّ يكون العيار بمعنى المِعيار كما أورد المصنّف هنا. وقوله: "حتّى".

٥ صحيح البخاري، ١/٤٥ (١٦٨)؛ صحيح مسلم، ١/١٢٦ (٢٦٨).

٦ سنن أبي داود، ٦/٢٣٧ (٤١٥٩)؛ سنن الترمذي، ٣/٢٨٦ (١٧٥٦).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ۝٧٤﴾

﴿وَكَمْ﴾ مَفْعُولُ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و﴿مِن﴾ تبيينٌ لإبهامِها؛ أي: كثيرًا من القرون أهلَكْنا، وكُلُّ أهْلِ عَصْرٍ قَرنٌ لمن بَعْدَهُم لِأَنَّهُم يتقدَّمونهُم.

و﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ في مَحَلِّ النصبِ صفةً لـ﴿كم﴾، ألَا ترى أنك لو تركتَ ﴿هُمْ﴾ لم يكُنْ لك بُدٌّ من نصبِ ﴿أَحْسَنُ﴾ على الوصفية.

"الأثاثُ": مَتاعُ البيت، وقيل: هو ما جَدَّ مِنَ الفُرُشِ، والخُرْثيُّ: ما لُبِسَ منها.

وَأنشد الحسنُ بن عليٍّ الطُّوسيُّ:

تَـقَـادَمَ الـعَـهـدُ مـنْ أُمِّ الـوَلـيـد بنا   دَهْـرًا وصـارَ أثـاثُ البَيْتِ خُرْثِيًّا

قُرِئَ على خمسةِ أوجهٍ:

﴿رِئْيًا﴾ وهو المَنظَرُ والهَيئَةُ، "فِعْلٌ" بمعنى "مَفعُولٍ" من "رَأَيتُ".

و: "رِيئًا" على القلب كقولهم: "رَاءَ" في "رَأَى".

و: ﴿رِيًّا﴾ على قلبِ الهمزة ياءً والإدغامِ، أو مِن الرِّيِّ الذي هُو النَّعْمةُ والتُّرْفَةُ، من قولهم: رَيَّانٌ من النَّعيم.

و: "رِيًا" على حَذفِ الهمزة رَأسًا، ووجهُه: أن يخفَّف المقلوبُ وهو "رِيئًا" بحَذفِ همزتهِ وإلقاءِ حركتها على الياء الساكنةِ قبلَها.

و: "زِيًّا" واشتقَاقُه مِن الزَّيِّ وهو الجمعُ؛ لِأنَّ الزِّيَّ محاسنُ مَجمُوعَةٌ.

قوله: (وكلُّ أهل عصر قَرْنٌ) قرنُ الشمس: أعلاها، وأوّل ما يبدو[1] مِنها.

قوله: (ما جَدَّ) أي: ما كان جديدًا.

قوله: (والهيئة، فِعْل) كالطِّحْنِ بمعنى المَطحون، قال في الصِّحاح: «الطَّحن مصدر، والطِّحن بالكَسر: الدقيق».[2]

قوله: (أو مِن الرِّيِّ) رَويتُ بالكسر أروَى رِيًّا ورَيًّا ورِوًى.

---

[1] ف ن: يبدوا.

[2] الصحاح للجوهري، «طحن».

والمعنى: أحسنُ من هؤلاء.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾

أي: مَدَّ لَهُ الرَّحمنُ، يعني: أمْهَلهُ وأَمْلَى لهُ في العُمر، فَأُخرِجَ على لفظِ الأمر إيذانًا بوجُوب ذلك، وأنه مفعُولٌ لا محالةَ كالمأمور به الممتَثِلِ؛ لتُقْطَع مَعَاذيرُ الضَّالِّ، ويُقالَ له يومَ القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر ٣٧/٣٥] أو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران ١٧٨/٣].

أو: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ فمَدَّ له الرحمن، في معنَى الدعاء بأنْ يُمْهِلهُ اللهُ ويُنَفِّسَ في مدةِ حيَاته.

في هذه الآية وجْهَان:

أحدهما: أن تكُون متَّصِلةً بالآية التي هيَ رابعتُها والآيتَانِ اعتراضٌ بينهما؛

قوله: (والمعنى أحسن) أي: ومعنى قوله تعالى: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ أي: مِن هؤلاء أثاثًا ورِءيًا،[١] فحذف "مِن" كما في "الله أكبر".

قوله: (أو ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾)... إلخ، عطف على قوله: (أي: مَدّ[٢] له الرحمن) وحاصل المعنى: أنّه فسّر ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ أوّلًا بمعنى الفعل الماضي، ثمّ بيّن وجه وروده بلفظ الأمر، ثمّ فسّره ثانيًا بأنّه بمعنى الدعاء، ووجه وروده بلفظ الأمر هنا[٣] ظاهر؛ لأنّ الأصل في الدعاء أن يكون بلفظ الأمر، وقوله: (أو ﴿مَن كَانَ﴾) إلى (﴿مَدًّا﴾) حكاية لفظ القرآن، وهو في محلِّ المبتدأ، خبره: "في معنى الدعاء".

قوله: (في هذه الآية وجهان) أراد بـ"هذه الآية" قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾، وبـ(التي هي رابعتها) قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾، وبـ(الآيتين): ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ و﴿قُلْ مَن كَانَ﴾.

---

١ د: ورئًا.

٢ ن: من.

٣ ن: هنا بلفظ الأمر.

أي: قالوا: أَيُّ الفريقين خيرٌ مقامًا وأحسن نديًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾؛ أي: لا يَبرحُون يقولون هذا القولَ ويتولَّعُونَ به لا يَتكافُون عنه إلى أَنْ يُشاهِدُوا الموعُود رَأْيَ عَيْنٍ: ﴿إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ في الدُّنيا وهو غَلَبةُ المُسلِمين عَليهم وتعذيبُهم إيَّاهم قَتلًا وأَسْرًا، وإظهارُ الله دِينَه على الدِّين كلِّه على أيديهم، وإمَّا يومَ القيامة وما ينَالُهم مِن الخِزْي والنَّكال، فحينئذ يعلمُون عِندَ المعاينة أن الأمر على عكس ما قَدَّرُوه، وأنهُم ﴿شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ لا خيْرٌ مقامًا وأحسنُ نَدِيًّا، وأَنَّ المؤمنينَ على خِلَاف صِفَتهم.

والثَّاني: أَنْ تتصِل بمَا يَليها، والمعنى: أَنَّ الذينَ في الضلالةِ مَمْدُودٌ لهم في ضَلالَتِهم والخِذْلانُ لاصِقٌ بهم؛ لعِلْم الله بهِمْ وبأَنَّ الألطافَ لا تنفعُ فيهم وليسُوا مِن أهلها.

والمرادُ بالضلالة: ما دعاهم من جَهْلِهم وغُلوِّهم في كفرهم ....

قوله: (ويتولَّعون) وَلِع بالشيء، أي: غَرِيَ به.[1]

قوله: (وتعذيبُهم) أي: المسلمين، وقوله: (على أيديهم) أي: أيدي المسلمين.

قوله: (ممدودٌ لهم في ضلالتهم) يشير به إلى أنّ المراد بـ"المدّ"[2] على هذا الوجه: المدَدُ في الضلالة وازديادها، وأمّا على الوجه الأوّل فكان بمعنى المدّ في[3] العمر والإمهال والإملاء، فتأمّل فإنّه دقيق. وفيه بحثٌ يتبيّن بالمراجعة إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ [البقرة ١٥/٢]، وسيجيء أيضًا عن قريب هذا البحث في قوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾ [مريم ٧٩/١٩] إن شاء الله تعالى. و"ممدود" خبر "أنّ"، وعدّاه باللام؛ لقولهم: / مدَّ له، أي: [١١٣و]
أمهله، وقوله: "في ضلالتهم" حال مِن "هم" في "لهم". وقوله: (وبأنّ الألطاف) الألطاف عند المتكلِّمين مِنهم: هي المصالح التي عندها يطيع[4] المكلّف أو يكون أقرب إلى الطاعة، ولولاها لم يُطِع. وقوله: (مِن جَهلهم) بيان "ما".

---

[1] ن – به.
[2] ف: في المدّ.
[3] ف: فن.
[4] ن: تطيع.

إلى القَولِ الذي قالوه، لا ينفكُّون عن ضلالتهم إلى أَنْ يُعايِنُوا نُصرَةَ اللهِ المؤمنين، أو يُشاهِدُوا الساعةَ ومُقَدِّماتِها.

فإن قلتَ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه ما هي؟

قلتُ: هي التي تُحكَى بَعْدَها الجملُ، ألَا ترى الجملةَ الشرطيّةَ واقعةً بعدَها وهي قولُه: ﴿إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابَلةِ: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؛ لأن مقامَهم هو مَكانُهم ومَسْكنُهم، والنديُّ: المَجْلسُ الجامِعُ لوجُوه قومهم وأعوانهم وأنصارهِمْ، والجُنْدُ: هم الأنصارُ والأعوان.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَيَزِيدُ﴾ مَعْطوفٌ على موضع ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ....

وقوله: (إلى القول الذي قالوه) المراد بـ"القول الذي قالوه": ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾.

وقوله: (لا ينفكُّون) متعلِّق بقوله: "ممدود لهم" أعني: هو خبر بعد خبر ثان.

قوله: (﴿وَيَزِيدُ﴾ معطوف على موضع ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾) فيه بحث؛ لأنّ المعطوف على جزاء الشرط ينبغي أن[1] يصلح جزاء له، ولو قلت: "مَن كان في الضلالة يزيد الله الذين اهتدوا هدًى" لا يستقيم، وجوابه أن نقول: الجملة الشرطيّة جملة خبريّة مقيّدة بقيد، كما ذكر صاحب المفتاح، وهو قوله:

> وأمّا[2] الحالة المقتضية لتقييده -أي: تقييد المسنَد- فهي إذا كان المراد تربيةَ الفائدة، كما إذا قيّدته بشيء ممّا يتّصل به مِن نحو المصدر، نحو: ضربًا شديدًا، أو ظرف الزمان، نحو: ضربتُ يومَ الجمعة، أو ظرف المكان، نحو: ضربتُ أمامَك، أو السبب الحامل، نحو: ضربتُ تأديبًا، أو المفعول به بدون حرف، نحو: ضربت زيدًا، أو بحرف، نحو: ضربت بالسَّوط، أو ما ضربتُ إلا زيدًا، أو الشرط، نحو: يُضرب زيد إن ضُرب عمرو،

---

[1] ن: إذ.

[2] ن: وهو.

لأنه واقعٌ موقعَ الخبر، تقديره: مَن كان في الضلالة مَدَّ -أو: يَمُدُّ- له الرَّحمنُ ويزيدُ؛ أي: يزيدُ في ضَلَال الضُّلَّال بخِذْلانه، ويَزيدُ المُهتدينَ هِدايةً بتوفيقه.

﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أَعمالُ الآخرة كلُّها، وقيل: الصلواتُ.

وقيل: "سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ"؛ أي: هي خيرٌ ثوابًا من مُفَاخَرَاتِ الكُفَّار.

﴿وَخَيۡرٌ مَّرَدًّا﴾؛ أي: مَرْجِعًا وعَاقبةً، أو: منفعةً؛ من قولهم: ليس لهذا الأمر مَرَدٌّ:

وهل يَرُدُّ بُكائِيَ زندًا

أو إن ضُرب زيد يُضرب عمرو، أخّرت أو قدّمت، فهذه كلّها تقييدات للمسنَد وتفاصيل يزداد الحكم بها بُعدًا... وقد ظهر لك مِن هذا أنّ الجملة الشرطيّة جملة خبريّة مقيّدة بقيد مخصوص، محتملة في نفسها للصدق والكذب.[1]

وإذا تقرّر ما ذُكر فنقول: الجملة هي قوله: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾، أو هو في معنى: يَمُدُّ أو مدَّ له، والشرط كالقيد، والعطف لا يقتضي الاشتراك في[2] جميع القيود، فكأنّه قال: مَدّ الرحمن مَدًّا لمَن كان في الضلالة ويزيد الله الذين اهتدوا هدًى، أو نقول: إنّما صحّ العطف؛ لأنّ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ في معنى أعدائهم، أي: أعداء مَن كان في الضلالة، فكأنّه قال: مَن كان في الضلالة فيزيد الله ضلالته، ويزيد هداية أعدائهم مِن المؤمنين، فوضع الظاهر موضع المُضمر، وقوله: (لأنّه واقع موقع الخبر) أي: لأنّه وإن كان إنشاء فهو في معنى الإخبار كما تقدّم، فيجوز أن يعطف الخبر عليه.

قوله:

(وهل يَرُدُّ بكايَ[3] زَنْدَا)

---

[1] مفتاح العلوم للسكّاكي، ١/٢٠٩.

[2] ن – في.

[3] ف: بكايى.

فإن قلتَ: كيف قيل: "خيرٌ ثوابًا" كأنَّ لمُفَاخَراتهم ثوابًا حَتَّى يُجْعَل ثوابُ الصَّالحَات خيْرًا منه؟

قلتُ: كأنه قيل: "ثوابهم النارُ" على طريقةِ قوله:

فــأُغْــتِــبــوا بــالــصَّــيْــلَــم

أوّله:

مــا إنْ جَزِعْــتُ ولا هَلِعْـــتُ ولا يَــرُدُّ بــكايَ زَنْــدَا[1]

"الهَلَع": أفحش الجزَع؛ لأنّه جزَعٌ مع قِلّة صبر، كأنّه قال: ما حزِنت عليه[2] حزنًا هيّنًا ولا شديدًا، وهذا نفي للحزن رأسًا، كقولك: ما رأيت صغيرهم ولا كبيرهم. قوله: "زَندًا" قيل: أي: لا يَرُدُّ شَرَرَه، فذكَر "الزند" وأراد ما يخرج مِنه عند القدْح، والأصوب أنّه ذكَر "الزَّند" تقليلًا[3] لعائدة[4] الحُزن[5] لو تكلّفه عندما دَهِمَه مِن الفجيعة، وهم يستعملون الزَّنْد في هذا المعنى، كما يستعملون النَّقير والقِطمير، يقولون إذا قَلّلوا[6] مالَ الرجل: "زَندانِ في مُرقَّعة"،[7] وفي بعض النسخ:

"ولا يَــرُدُّ بــكاي ردًّا"

[١١٣ظ] والمعنى: / مردودًا، أي: لا يغني بكاي شيئًا، ويقال: هذا أرَدّ عليك، أي: أنفَع وأجدَى، وإنّما عقَّب نفي الجزَع بهذا الكلام تنبيهًا على أنّ صبره عن تبصُّر ومعرِفةٍ بالعواقب، وحسن تأمّل وتأدّب.

قوله: (فأُعتِبوا بالصَّيلَم) قال بِشر بن أبي[8] خازم:

غَضِبَتْ تَميمُ بأن يُقتَّل[9] عامِرٌ يومَ النِّسار فأُعتِبوا بالصَّيلَمِ[10]

---

[1] البيت لعَمرو بن مَعد يكرب في ديوانه، ص ٨٢.

[2] ن – عليه.

[3] ف: تعليلًا.

[4] ف: لفائدة.

[5] ن: الجزن.

[6] ن: قللوه.

[7] قال الميداني: «قال أبو عبيد: "نُرَى المرقَّعة كنانةً أو خَريطة قد رقعت". يضرَب للرجل المحتقَر لا يغني شيئًا». مجمع الأمثال للميداني، ١/٣٢٠.

[8] ن – أبي.

[9] ن: يقبل. | وفي مطبوع ديوان بشر: "أن تُقَتَّلَ".

[10] ن: بالصليم. | ديوان بشر بن أبي خازم، ص ١٨٠.

وقوله:

شَجْعَاءَ جِرَّتُها الذَّميلُ تَلُوكُه أُصُلًا إذا راحَ المَطيُّ غِرَاثَا

وقوله:

تَحِيَّةُ بَينَهِم ضَربٌ وَجيعٌ

ثم بَنَى عليه: "خيرٌ ثوابًا"، وفيه ضَربٌ من التهكُّم الذي هو أغيَظُ للمتهدَّدِ من أنْ يقال لهُ: عِقابُكَ النارُ.

"يومَ النِّسار" بكسر النون: ماء لبني عامر. "فأُعتِبوا" أي: أُزيل عتبهم. و"الصَّيلَم": الداهية، ويسمَّى السيف "صَيلَمًا"،[1] وهو المراد في هذا البيت.

قوله:

(شَجْعاءَ جِرَّتُها الذَّميلُ تَلوكُه أُصُلًا إذا راحَ المَطِيُّ غِراثا)[2]

يصف ناقة بسير دائم،[3] يعني: تسير إذا كان سائر المطايا لا تسير، فسيرها لها بمثابة الاجترار[4] لغيرها. و"الجِرَّة": ما تَجترّه الإبل مِن أجوافها مِن العَلَف. و"الذميل": السير. و"اللَّوك": مَضغ[5] الشيء وإدارته في الفم. قوله: "إذا راحَ"، أي: دخل في الرَّواح، و"الرَّواح": مِن لدُن زوال الشمس إلى الليل. و"غِراثًا": جمع غَرثان،[6] وهو الجائع.

قوله:

(تَحيَّةُ بينِهم[7] ضَربٌ وَجيعُ)

أوّله:

وخَيلٍ قد دَلَفتُ لها بخَيلٍ تَحيَّةُ بينِهم...[8]

قوله: (وفيه ضَربٌ مِن التهكُّم) أي: في قول القائل: "ثوابهم النّار".

---

[1] ن: صيلمًا.

[2] البيت لأبي تمّام في ديوانه، ١/٣١٥.

[3] ن: دائمًا.

[4] ن: الاجتدار؛ ف: الاحتراز.

[5] ن: موضع.

[6] ن: غراث.

[7] ن: نبيهم.

[8] البيت لعَمرو بن مَعديكرب في ديوانه، ص ١٤٩.

فإن قلتَ: فما وجهُ التفضيلِ في الخير كأنَّ لمفَاخِرِهم شِرْكًا فيه؟

قلتُ: هذا مِن وَجيز كلامهم؛ يقولون: "الصَّيْفُ أَحَرُّ مِن الشتاء"؛ أي: أبلغُ في حَرِّه من الشِّتاءِ في بردِه.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾

لَمَّا كانَتْ مشاهَدةُ الأشياء ورُؤيَتُها طَرِيقًا إلى الإحاطةِ بها عِلمًا وصِحَّةِ الخبَرِ عنها استَعملوا "أرأيتَ" في معنى: أَخْبِرْ، ....

قوله: (فإن قلتَ: فما وجه التفضيل) يشير به إلى أنّ "خيرًا" هنا اسم التفضيل. ثمّ اعلم أنّه يقال: خِرتَ يا رجل، أي: صرت حسنًا جيدًا، تَخَيَّر خيرًا فأنت خاير، وتقول:[١] رجلٌ خيْرٌ، وخيِّرٌ، مخفّفًا ومشدّدًا، وكذلك: امرأةٌ خَيِّرة، وخَيْرةٌ، قال الأخفش: «لمّا وُصف به –وقيل: فلانٌ خَيْرٌ–[٢] أشبَه الصفات، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنّث، ولم يريدوا به "أفعل"، وإن أردتَ معنى التفضيل قلت: فلان خَيْر النّاس، وفلانة خَيْر النّاس، لا يؤنّث ولا يثنّى ولا يُجمَع؛ لأنّه في معنى "أفعل"، وأمّا قول الشاعر:[٣]

أَلَا بَكَّر الناعِي بخَيرَي بَني أسَدْ بعَمرو بن مَسعود وبالسيِّد الصمَدْ

فإنّما ثنّاه[٤] لأنّه أراد "خَيِّرَي" فخفّف، مثل: مَيّت ومَيْت، وهَيْن وهَيِّن».[٥]

قوله: (شِرْكًا فيه) الشِّرْك: بمعنى الشِّرْكة.

قوله: (وصحّة الخبر) أي: وإلى صحّة الخَبر،[٦] يعني: إذا علم الأشياء يصحّ مِنه الإخبار عمّا شهدها.[٧] وقوله:[٨] (استعمَلوا "أرأيتَ" في معنى "أَخْبِر") رؤية الشيء سبب العلم وصحّة الخبر، فيكون "رأيتَ" في معنى "أَخبرتَ"،

---

١ ف: ويقول.
٢ ن: أخير.
٣ سمّاه في الصحاح سبرة بن عمرو الأسدي، يرثى عمرو بن مسعود، وخالد بن نضلة. انظر: الصحاح للجوهري، «خير».
٤ ن: سماه.
٥ الصحاح للجوهري، «خير».
٦ د ف – الخبر.
٧ ف ن: سدها.
٨ ن: قوله.

والفاء جاءت لإفادةِ معناها الذي هو التعقيبُ؛ كأنه قال: أَخبِرْ أيضًا بقصةِ هذا الكافر واذكُرْ حديثَه عَقيبَ حديثِ أولئك.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ من قولهم: اطَّلَعَ الجَبَلَ: إذا ارْتَقَى إلى أَعْلاهُ، وطلعَ الثَّنِيَّةَ؛ قال جرير:

لاقَـيْـتُ مُـطَّـلَـعَ الـجـبـالِ وُعُـورا

وَيقولون: "مَرَّ مُطَّلِعا لذلك الأَمْرِ"؛ أي: عاليًا لَهُ مالِكًا لهُ.

فإذا دخل عليه الهمزة يصير[1] في معنى "أَأَخْبَرتَ"، فيتولَّد مِن هذا الاستفهام معنى الطلب، أي: "أَخْبِر".

قوله: ("أَخْبِرْ" أيضًا) استُفيد مِن الفاء التي للتعقيب، فإنَّه إذا قيل: أَخْبِرْ بعد ذلك، فكأنَّه قيل: أخبِرْ أيضًا بعد ذلك[2] الإخبار.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

"أرأيت" في معنى "أخبِرْ"، ومفعوله الأوّل محذوف، أي: أخبِرني، والثاني: ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، والثالث: ﴿أَطَّلَعَ﴾... إلخ.[3]

قوله:

(لاقَـيْـتُ مُـطَّـلَـعَ الـجِـبـال وُعـورا)

أوّله:

إنِّـــي إذا مُضَـــرٌ علـــيَّ تحدَّثَـــتْ[4]

---

[1] ف: يصر.

[2] ف - فكأنّه قيل: أخبِر أيضًا بعد ذلك.

[3] ن - قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ "أرأيت" في معنى "أخبِرْ"، ومفعوله الأوّل محذوف، أي: أخبِرني، والثاني: ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، والثالث: ﴿أَطَّلَعَ﴾... إلخ.

[4] ديوان جرير، ٢٢٩/١. بلفظ: "تحدّبَت" بدل "تحدثَت".

ولِاختيار هَذه الكلمة شَأنٌ؛ يَقُول: أَوَ قد بلغَ من عَظمة شأنهِ أنِ ارْتَقى إلى عِلْم الغيب الذي تَوحَّدَ به الواحِدُ القَهَّارُ.

والمعنى: أن ما ادَّعى أن يُؤتَاهُ وتَأَلَّى عليه لا يُتَوصَّلُ إليه إلَّا بأحد هذين الطريقين: إمَّا عِلمُ الغَيْبِ، وإمَّا عَهْدٌ من عالِمِ الغَيْب، فَبِأَيِّهما تَوصَّلَ إلى ذلك؟

قرأ حَمزةُ والكسائي: ﴿ووُلْدًا﴾ وهو جمعُ وَلَدٍ كَأُسْدٍ في أسَدٍ، أو بمعنى الوَلَدِ كالعُرْبِ في العَرَبِ.

وعن يحيى بن يَعْمَرَ: "ووِلدًا" بالكسر.

وقيل في العَهْدِ: كلمةُ الشهادة.

وعن قتادة: هل له عَملٌ صالح قدَّمَهُ فهو يَرجو بذلك ما يقُول.

وعن الكلبي: هل عَهِدَ اللهُ إليه أنه يُؤتِيه ذلك.

عن الحسن رحمه الله: نزلت في الوليدِ بنِ المُغيرةِ.

والمشهورُ أَنَّها في العاصِ بن وائل؛ قال خَبَّاب بنُ الأرَتِّ: كان لي عليه دَينٌ، فاقتضَيتُه فقال: لا والله حتى تكْفُرَ بمحمد، ....

"مُطَّلَعُ الجبل": مصعَده ومرتقاه. و"الوَعر": المكان الصُلب، والجمع: الوُعور، يقول: إذا مُضرُ تحدّثتْ على سبيل الغَضب عليَّ لاقيتُ رءوس الجبال التي هي بمثابة الحصون فألتجئ بها.

قوله: (تألَّى عليه) أي: حلَف؛ وذلك لأنَّ ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ جواب قَسَم محذوف.

[١١٤و] قوله: (وعن يحيَى بن يَعمَر) قال في الصِّحاح: «يحيَى بن / يَعمَر العَدواني، لا ينصرف "يَعمَر"؛ لأنّه مثالُ "يذهَب"».[1]

قوله: (فاقتضيتُه) أي: طلبتُ قضاءه، وقوله: (لا والله حتّى تكفُر) أي: لا أقضي دَينك، والله لا أقضيه حتّى...، و"حتّى" متعلِّق بالمحذوف غاية له،

---

[1] الصحاح للجوهري، «عمر». وقراءة يحيى بن يعمر هذه شاذّة. وانظر مذاهب القرّاء في "ولدًا" في جميع سورة مريم في النشر لابنِ الجزري، ٣١٩/٢.

قلتُ: لا والله لا أكفرُ بمحمدٍ حَيًّا ولا ميّتًا ولا حِين تُبعَثُ، قال: فإنِّي إذا مُتُّ بُعِثْتُ؟! قُلتُ: نَعَمْ، قال: إذا بُعثتُ جئتَنِي وسيَكون لي ثَمَّ مالٌ ووَلدٌ فأُعْطِيك.

وقِيل: صاغ له خَبَّابٌ حُلِيًّا فاقتَضاهُ الأَجْرَ، فقال: إنكم تَزعُمونَ أنكُم تُبعَثُونَ وأنَّ في الجَنَّة ذَهبًا وفِضَّة وحَرِيرًا، فأنا أَقضِيكَ ثَمَّ فَإِنِّي أُوتَى مالًا وَوَلدًا حينئذٍ.

﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدعٌ وتَنبيهٌ على الخطأ؛ أي: هو مخطئٌ فيما يُصوِّرُه لنفسِه ويتمنَّاه، فلْيَرتَدِعْ عنه.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿سَنَكۡتُبُ﴾ بسينِ التَّسويف، وهو كمَا قالهُ كُتِبَ مِن غير تأخيرٍ؛ قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق ١٨/٥٠]؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحَدُهما: سَنُظهِرُ له ونُعْلِمُه أنَّا كتبنَا قولَه، على طريقَةِ قوله:

إذا ما انتَسَبْنا لم تَلِدْني لَئِيمةٌ

أي: تبيَّنَ وعُلِم بالانتساب أنِّي لستُ بابنِ لئيمةٍ.

وقوله: (قلتُ: لا) أي: لا أكفُر، وإنّما صلح هذا جوابًا للكلام المتقدِّم؛ لأنّه في معنى قولك:[١] أُكفُرُ حتّى أقضيَ دينَك.

قوله: (ولا حينَ تُبعثُ)[٢] أي: أنت يا كافر.

قوله: (كما قاله كُتِب) "كما" للمفاجأة.

قوله:

(إذا ما انتَسَبْنا لم تلِدْني لَئيمةٌ)

---

١ ف – قولك.

٢ انظر: صحيح البخاري، ٦٠/٣ (٢٠٩١)؛ وصحيح مسلم، ٢١٥٣/٤ (٢٧٩٥).

والثاني: أَنَّ المتوعِّدَ يقول للجاني: "سوف أَنتقِمُ منك"، يعني: أنه لا يُخِلُّ بالانتِصَار وإِن تطَاوَل به الزَّمانُ واستأخَر، فجُرِّد هاهنا لمَعنَى الوَعيد.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: نُطوِّلُ له من العذاب ما يَسْتأهلُهُ، ونُعَذِّبه بالنوع الذي يُعَذَّبُ به الكفارُ المُستَهزِئون، ....

تمامه:

ولـم تَـجِـدِي مِـن أن تُـقِـرِّي بـها بُـدًّا[1]

قوله: (والثاني: أنّ المتوعِّد) حاصل[2] المعنى الثاني: أنّ هذا اللفظ موضوع لمعنى الوعيد، فإنّه لا يُخِلُّ به وإن طال الزمان، ثمّ استُعمل لمجرّد الوعيد، كما يقال: إن الهمزة و"أم" موضوعان للاستفهام مع التسوية، ثمّ يستعمل لمجرّد التسوية.

قوله: (أي: نُطوّل له مِن العذاب) أي: يكون المراد طول المدّة والخلود، ومِنه: المدُّ في العمر، أي: تطويله، فيكون مِن المدِّ لا مِن المَدد، والمعنى الثاني: مِن المدد، ومِنه: مدَّ الجيشَ وأمدَّه، فسّر قوله: ﴿نَمُدُّ﴾ بقوله: "نُطوّل"، ثمّ أشار بقوله: (ما يستأهله)[3] أنّ قوله:[4] ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ صفة موصوف محذوف، أي: نطوّل له شيئًا مِن العذاب، أو نوعًا مِن العذاب، وذلك النوع هو ما يستحقّه هذا الكافر القائل: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾. ثمّ بيّن المصنّف بقوله: (ونعذِّبه)... إلخ أنّ المراد بما يستأهله هو الذي يُعذَّب به الكفّار المستهزئون، قال[5] في سورة البقرة:

> ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة ٢/١٥] مِن: مدّ الجيشَ وأمدَّه إذا زاده، وأُلحِق به ما يُقوّيه ويُكثّره، وكذلك مدَّ الدواة وأمدَّها زادَها ما يُصلحها...، فإن قلتَ: لمَ زَعمتَ أنّه مِن المَدد دون المَدِّ في العمر والإملاء والإمهال؟ قلتُ: كفاكَ دليلًا على أنّه مِن المدَد دون المدّ قراءةُ ابن كثير وابن مُحَيْصن:

---

[1] مغني اللبيب لابن هشام، ص ٤٠، بغير نسبة، وهو لزائد بن صعصعة الفقعسي في شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٩٠.

[2] ن: حامل.

[3] ن: ما سناهله.

[4] ن: أهله.

[5] أي: الزمخشري رحمه الله.

أو: نَزِيدُه من العذاب ونُضَاعِفُ له من المدَد.

يقال: مَدَّهُ وأمَدَّه بمَعنًى، وتدُلُّ عليه قراءةُ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "ونُمِدُّ له" بالضم، وأُكِّدَ ذلك بالمَصْدر، وذلك من فَرْطِ غضَبِ الله، نعُوذُ به من التعرُّض لِمَا نستَوجِبُ به غضبَه.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: نَزْوِي عنه ما زَعم أنه يَنالهُ في الآخرة ونُعطيهِ مَن يَسْتحقُّه، والمعنى: ....

﴿وَيُمِدُّهُمْ﴾ [البقرة ١٥/٢][1] -يعني بضمّ الياء مِن الإمداد- على أنّ الذي بمعنى "أمهلَه" إنّما هو "مدَّ له" مع اللام، كـ"أملَى له".

قوله: (أو نزيده مِن العذاب) يكون بمعنى: نُضاعف العذاب، كما قال تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل ٨٨/١٦].[2]

قوله: (يقال: مدّه وأمدّه) أي: زاده، وأُلحِق به ما يُقوّيه.

قوله: (قلت: فيه وجهان)... إلخ، على الوجه الأوّل: يحتمل أن يكون مِن قَبيل ذكر المَلزوم وإرادة اللازم، فإنّ الكتابة[3] مستلزمة للإظهار. وعلى الثاني: مِن قبيل إطلاق اسم الكلّ على الجزء.

قوله: (أي:[4] نَزوي عنه) أي: نقبِض،[5] زويت الشيء: جمعتُه وقبَضته.

قوله: (مَن يستحقُّه) وهم المؤمنون، فقوله: (ونعطيه)[6] عطف على "نَزْوي"، ومِن تتِمّة هذا الوجه.

---

[1] وهي قراءة شاذّة. انظر: الكامل للهذلي، ص ٤٨١.

[2] ن - يكون بمعنى: نُضاعف العذاب، كما قال تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل ٨٨/١٦].

[3] د ن: الكناية.

[4] ن: أو.

[5] ف ن + قوله.

[6] ف: نعطيه.

مُسَمَّى ما يقول، ومعنًى ما يقول، وهو المالُ والولدُ، يقول الرجُلُ: أَنا أَمْلِكُ كذا، فتَقُولُ لهُ: ولي فوقَ ما تَقُولُ.

ويَحتمِل أنه قد تمنَّى وطمِع أن يُؤتِيَهُ الله في الدُّنيا مالًا وَولدًا، وبَلغَتْ به أَشْعَبِيَّتُهُ أَنْ تَأَلَّى على ذلك في قوله: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾؛ لأنَّه جوابُ قَسَمٍ مُضمَرٍ، ومَن يَتَألَّ على اللهِ يُكَذِّبه، فيقولُ الله عزَّ وعلا: هَبْ أنَّا أَعطيناه ما اشتَهاه، أَمَا نرِثُه منه في العاقبةِ ويأتينا فردًا غَدًا بلا مالٍ ولا وَلَدٍ؛ كقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ الآية [الأنعام ٦/٩٤] فما يُجْدِي عَليه تَمنِّيهِ وتَأَلِّيهِ.

ويَحتمِلُ: أَنَّ هذا القولَ إنَّما يقُوله ما دام حيًّا فإذا قبَضْناه حُلْنَا بينَه وبين أن يقولَهُ، ويَأتينا رافِضًا له مُنْفرِدًا عنه غيرَ قائلٍ له.

قوله: (مسمَّى ما يقول) هو مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ [المجادلة ٥٨/٣].

قوله: (أشعَبيَّتُه) طمعه، "أشعَب" اسم رجلٍ كان طَمَّاعًا، وفي المَثل: "أطمَعُ مِن أشعَب".[١]

قوله: (ومَن يتألَّ على الله يكذِّبه) هو مِن كلام ابن مَسعودٍ لأبي جهل حين قال له:[٢] لأقتلنَّك، ثمّ قال ابن مسعود: «ولقد رأيت في المنام أنّي أخذتُ حَدَجة حنظلٍ فوضعتُها بين كتفيك، ولئن صَدَقتِ الرؤيا لأطأنَّ على رقبَتك، ولأذبحنّك ذبحَ الشاة»،[٣] وكان كما قال يوم بدرٍ، والحَدَج: الحنظل إذا اشتدّ وصَلُبَ، الواحدة:[٤] حَدَجة، وأكذَبْتُه إذا أخبرتُ أنّه جاء بالكذب ورَواه، وكذّبْتُه إذا أخبرتُ أنّه كاذب، وقد يكون أكذَبَه بمعنى: بيَّنَ كَذِبَه، / وقد يكون بمعنى: حمَلَه على الكذب، وبمعنى: وَجَدَه كاذبًا. [١١٤ظ]

قوله: (ويحتمل أنّ هذا القول إنّما يَقوله)... إلخ، على هذا الوجه لا يكون ﴿مَا يَقُولُ﴾ بمعنى: مسمَّى ما يقول، ومعنى ما يقول، وكذا على الوجه الآتي.

---

١ هو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير. انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١/٤٣٩.

٢ في الأصول الخطّيّة: "قاله"، وصحّحتُه من المصدر.

٣ غريب الحديث لابن قتيبة، ٢/٢٣٧.

٤ ن: والواحدة.

أو: لا نَنْسَى قولَه هذا ولا نُلغِيهِ؛ بل نُثبِتُهُ في صَحيفتِه لنَضربَ به وَجْهَه في المَوقِف ونُعَيِّرَه به.

﴿وَيَأْتِينَا﴾ على فَقرِه ومَسكنتِه ﴿فَرْدًا﴾ من المَالِ والوَلد، لَم نوَلِّه سُؤلَه ولم نُؤتهِ مُتمنَّاه، فيَجتمِعُ عَليه الخَطْبانِ: تَبِعَةُ قَوله ووَبَالُه، وفَقْدُ المطْمُوعِ فيه.

﴿فَرْدًا﴾ على الوجه الأول حالٌ مقَدَّرَةٌ نحوَ: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩]؛ لأنه وغَيْرَه سَواءٌ في إتيانِه فردًا حِين يأتي ثم يتفاوَتونَ بعد ذلك.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ۝٨١﴾

أي: لِيَتعَزَّزوا بآلِهَتِهم حيث يكونون لهم عِند الله شفعاءَ وأَنصارًا يُنقِذُونَهُم مِن العذاب.

قوله: (﴿فَرْدًا﴾ على الوجه الأوّل حال مقدَّرة) يريد أنّ قوله: ﴿فَرْدًا﴾ على الوجه الأوّل -وهو أن يكون المراد بالآية: أنّ الكافر تَصوَّر لنفسه، ويتمنّى أن يكون له في الآخرة مال وولد- حالٌ مقدَّرة، فمعناه: يأتينا يوم القيامة أو عند الموت مقدِّرًا الانفرادَ عما يتمنّى أن يكون له مِن المال والولد، ولا يصحُّ أن يكون على هذا الوجه حالًا محقَّقةً؛ لأنّ وقت إتيانه ليس وقتَ حصول المال والولد له ولا لغيره حتّى يصحّ أن يقال: انفرد الكافر عنه دون غيره، فإنّ ذلك الانفراد إنّما يتحقَّق بعد دخول الكافر النّار والمؤمن الجنّة، وأمّا[1] على الوجهين الذَين أشار إليهما بقوله: (ويحتمل) "ويحتمل"[2] فهو حال محقَّقة، وكذا على الوجه الذي أشار إليه بقوله: (أو لا ننسَى).

قوله: (ثمّ يتفاوتون بعد ذلك) فالكافر يأتي مقدِّر الانفراد عن تلك الأشياء التي تَصوَّر حصولها له في الآخرة، وأمّا المؤمن فإتيانه لا يكون حال تقدير الانفراد؛ بل يقدِّر حصولها؛ لأنّها تحصل له لا للكافر.

قوله تعالى: ﴿لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا﴾ أي: سبب عِزّ بحذف المضاف.

---

[1] ف: أمّا.

[2] ن - ويحتمل.

﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لهم وَإِنْكارٌ لتَعزُّزِهم بالآلهة.

وقرأ أبو نَهِيكٍ: "كُلًّا" ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾؛ أي: سيجحدُونَ كُلًّا سَيَكفرون بِعبادَتِهم؛ كقَولك: "زيدًا مَرَرتُ بغُلامه"، وفي مُحْتَسَب ابن جِنّي: "كَلًّا" بفتح الكافِ والتنوين، وَزعَم أنَّ مَعناه: كَلَّ هذا الرأيُ والاعتِقادُ كَلًّا.

ولِقائلٍ أن يَقُولَ: إن صَحَّتْ هذه الروايةُ فهي "كَلًّا" التي هيَ لِلرَّدْعِ، قَلَبَ الواقِفُ عَليها أَلِفَها نُونًا كمَا في: ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ [الإنسان ١٥/٧٦].

والضمير في ﴿سَيَكۡفُرُونَ﴾ للآلهة؛ أي: سيجحَدون عبَادتهم وينكرونها، ويقولون: واللهِ ما عَبَدْتمُونا، وأَنْتُم كاذبُونَ؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [النحل ٨٦/١٦].

أوْ لِلمشركين:؛ أي: يُنكرون لِسُوء العَاقبةِ أَنْ يَكُونوا قد عَبَدُوها؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام ٢٣/٦].

﴿عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ في مقابَلةِ: ﴿لَهُمۡ عِزّٗا﴾ والمرادُ: ضِدُّ العِزِّ وهو الذُّلُّ والهوانُ؛ أي: يكونون عليهم ضِدًّا لِمَا قَصَدوه وأرادوه؛ كأنه قيل: ويكونون عليهم ذُلًّا لا لَهُم عِزًّا.

أو يكونون عليهم عَونًا، والضِّدُّ: العَونُ؛ يُقالُ: "مَن أَضْدَادُكُم"؛ أي: أَعوانُكم، وكأنَّ العَوْنَ سُمِّي ضِدًّا؛ لأنه يُضَادُّ عَدوَّكَ ويُنافيه بإعانتِهِ لك عليه.

قوله: (أَلفَها نونًا) ويسمَّى هذا التنوين: النائب مناب حرف الإطلاق.

قوله تعالى: (﴿فِتۡنَتُهُمۡ﴾ [الأنعام ٢٣/٦]) أي: شِركُهم، أي: كان عاقبة شِركِهم أن أنكروا ذلك في الآخرة، وحلفوا أنّهم لم يكونوا مشركين.

قوله: (ويكونون لهم[1] ذُلًّا) فإنّ الذلَّ ضدّ العِزّ.

[1] في مطبوع الكشّاف: "عليهم".

فإن قلتَ: لمَ وُحِّدَ؟

قلتُ: وُحِّد توحيدَ قوله عليه السلام: «وهم يَدٌ على مَن سِواهُم»؛ لاتِّفاقِ كلمتهم، وأَنهم كشيءٍ واحدٍ لفَرْط تضامِّهم وتَوافُقِهم.

ومَعنى كونِ الآلهةِ عَوْنًا عليهم: أَنَّهُمْ وَقُودُ النَّار وحَصَبُ جَهنَّم؛ ولأَنَّهم عُذِّبوا بسَببِ عبَادتها.

وإنْ رَجَعتِ الواوُ في ﴿سَيَكۡفُرُونَ... وَيَكُونُونَ﴾ إلى المشركين فإنَّ المعنى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: أَعْداءَهُم ﴿ضِدًّا﴾؛ أي: كفرةً بهم بَعد أن كانوا يعبُدونها.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣﴾

"الأزُّ" والهَزُّ والاستِفزازُ أخواتٌ، ومعناها: التهييجُ وشِدَّةُ الإزعاج؛ أي: تُغرِيهم على المعاصي وتُهَيِّجُهم لها بالوساوس والتَّسويلات.

قوله: («وهم يدٌ على مَن سِواهم») أوّل الحديث: «المؤمنون تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يدٌ واحدة على مَن سِواهم».[1]

قوله: (ولأنّهم) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (ومعنى كون)... إلخ، فكأنّه قال: سُمُّوا عَونًا لأنّهم وَقود؛ ولأنّهم...

قوله: (فإنّ المعنى)[2] أي: فإنّ معنى ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾.

وقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ تقول العرب: النّاس عليكم، أي: أعداء لكم، ومِنه الدعاء: "اللّٰهم كن لنا، ولا تكن علينا"، و﴿ضِدًّا﴾ خبر بعد خبر.

قوله: (والتسويلات) التسويل: التزيين، وسوَّلتْ له نفسه أمرًا، أي: زيَّنته.

قوله: (فإن قلتَ: لم وُحِّدَ؟) هذا السؤال على تقدير أن يكون "الضِدّ" بمعنى: الأعوان، فإنّه حينئذٍ يكون اسمًا لا مصدرًا، ولا يحذف المضاف، فحقّه أن يجمع.

---

[1] سنن أبي داود، ٣٧٩/٤ (٢٧٥١)، وليس فيه لفظة: "واحدة".

[2] ن – فكأنه قال سُمُّوا عَونًا لأنّهم وَقود ولأنّهم. قوله: (فإن المعنى).

والمعنى: خَلَّينا بَينهم وبينَهم ولم نَمنَعْهم، ولو شاء لمنَعَهُم قَسْرًا، والمرادُ: تعْجيبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَ الآيات التي ذَكَر فيها العُتاةَ المَرَدَةَ مِن الكفار وأقاويلَهُم ومُلاجَّتَهُم ومُعانَدَتهم للرسُل واستهزاءَهُم بالدِّين: مِن تَمادِيهِم في الغَيِّ، وإفراطهم في العِناد، وتصميمهم على الكفر، واجتماعِهِم على دَفع الحق بعد وُضوحِه وانتفاءِ الشكِّ عنه، وانهِماكِهم لذلك في اتِّباع الشياطين وما تُسوِّلُ لهم.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

عَجِلتُ عليه بكذا: إذا استَعجَلْتَهُ مِنه؛ أي: لا تَعْجَلْ عَليهم بأَنْ يَهْلِكُوا ويَبِيدُوا حتى تَستَريحَ أنْتَ والمسلمون مِن شُرورهم وتُطَهِّرَ الأرضَ بِقَطع دابرهم، فليس بَينك وبين ما تطلُبُ من هلاكهم إلا أيَّامٌ محصُورةٌ وأَنْفاسٌ مَعدودةٌ، كأنها في سُرعَةِ تَقَضِّيها السَّاعةُ التي تُعَدُّ فيها لو عُدَّتْ.

ونحوُه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف ٣٥/٤٦].

فأجاب: بأنّ الكلّ بمنزلة شخصٍ واحدٍ؛ لاتفاق كلمتهم، فجعلهم بمنزلة شخص واحد، فيكون حكمهم حكم الواحد؛ فلهذا وُجِد.[١]

قوله: (وانهماكهم)[٢] الانهماك: الجِدُّ واللَّجاج، يقال: انهمَك الرجل في الأمر إذا جدَّ ولَجَّ. وقوله: (لذلك) أي: لدفع الحقّ.

قوله: (إذا استعجلتَه) تفسير لقوله: (عجِلتُ عليه). واعلم أنّه قد يُفسَّر الكلام بـ"إذا"، تقول: عسعَس الليل إذا أظلم، فتجعل "أظلم" تفسيرًا لـ"عسعس"؛ لكنّك إذا فسّرت جملة فعليّة أُسنِد فيها الفعل إلى ضمير المتكلّم بـ"أي"[٣] ضَمَمْتَ تاء الضمير، فتقول: استكْتمتُه[٤] سِرّي، أي: سألتُه كِتمانَه، تضمّ تاءَ "سألتُه"؛ لأنّك تحكي كلام المعبّر عن نفسه، وإن فسّرتها بـ"إذا" فتحتَ، فقلت:

---

١ ف: وُجّد.
٢ ن + بمنزلة.
٣ ن: باي.
٤ ن: استكتمه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان إذا قرأها بَكَى وقال: آخِرُ العَدَد خُروجُ نَفْسِك، آخرُ العَدَدِ فراقُ أهلكَ، آخِرُ العَدَد دُخُولُ قَبرك.

وعن ابن السَّمَّاك: أنه كان عند المَأمونِ فقرأها، فقال: إذا كانَتِ الأنفاسُ بالعَدَد، ولم يكن لها مَدَد، فمَا أَسْرَعَ ما تنفَد.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

نُصِبَ ﴿يَوْمَ﴾ بمُضْمَرٍ؛ أي: يومَ ﴿نَحْشُرُ﴾ ﴿وَنَسُوقُ﴾ نَفْعَلُ بالفريقَيْن ما لا يُحِيطُ به الوصْفُ، أو: اُذكُر يَومَ نحشُرُ، ويجوزُ أن ينتَصِبَ بـ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾.

ذُكِر المتَّقُونَ بلَفظ التبجيل، وهو أنهم يُجمَعُون إلى رَبِّهم الذي غَمَرهُم برَحمتِه وخَصَّهم برضوانِه وكرامَتِه ....

إذا سألتَه كِتمانَه، بفتح تاء "سألتَه"؛ لأنَك تخاطبه، أي: إنَك تقول ذلك إذا فعلتَ ذلك الفعل؛ ولهذا قال بعض النحويّين:

إذا أتيتَ بـ"أي" فِعلًا تفسِّرُهُ ... فضُمّ تاءَك فيه ضَمَّ معتَرِفِ

وإن تكن بـ"إذا" يومًا / تفسِّرُهُ ... ففَتحةُ التاءِ أمرٌ غيرُ مُختلِفِ[1] [١١٥و]

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ﴾ استقصار لمُدَدهم، شُبِّه بمجرّد وقت العدِّ.

العيشُ نومٌ والمنيّةُ يَقْظَة ... والمرءُ بينَهما خَيالٌ سارِ[2]

قوله: (وعن ابن عبّاس)... إلخ،[3] استقصر المدّة لِهَول ما قَدِموا عليه.

قوله: (وعن ابن السمّاك)[4] واعظ الكوفة.

قوله: (ما تَنْفَد) "ما" مصدريّة.

قوله: (ويجوز أن ينتصب بـ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾) حذفُ جواب ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾ أفصح وأوفق[5] لفصاحة القرآن.

---

١ خزانة الأدب للبغدادي، ٢٢٧/١١، بغير نسبة.

٢ للتِّهامي في تاج العروس للزبيدي، «يقظ».

٣ لم أجده مسندًا عن ابن عبّاس، وهو في شعب الإيمان للبيهقي، ٢٥٥/١٣ (١٠٣٠٠)، بإسناده مِن قول الحسن البصري.

٤ ن: سماك. | القصّة في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٥٦/١٧ (مريم، ٨٤/١٩)، بغير إسناد.

٥ ف: ووافق.

كما يَفِدُ الوُفَّادُ على المُلوك مُنتظِرين للكرامةِ عِنْدهم، وعن عَليّ رضي الله عنه: ما يُحشَرونَ والله على أَرْجُلِهم؛ ولكنَّهم عَلى نُوقٍ رِحَالُها ذَهَبٌ، وعلى نجَائبَ سُروجُهَا ياقوتٌ.

وذُكِرَ الكافرونَ بأنَّهم يُسَاقون إلى النَّار بإهانَةٍ واستخْفافٍ كأنَّهم نَعَمٌ عِطَاشٌ تُسَاقُ إلى الماءِ.

والوِرْدُ: العِطاشُ؛ لأنَّ مَن يَرِدُ الماءَ لا يَرِدُه إلَّا لِعطَشٍ، وحَقِيقة الوِرْدِ: المَسِيرُ إلى الماء؛ قال:

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَها بَرْدُ الما

فسُمِّيَ به الواردُونَ، وقرأ الحسن: "يُحشَرُ المتَّقون" و: "يُساقُ المجرمون".

﴿لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

الواو في ﴿يَمْلِكُونَ﴾ إن جُعل ضميرًا فهو للعباد ودلَّ عليه ذكر المتقينَ والمُجرمين؛ لأنهم ....

قوله: (يَفِدُ الوُفّاد) وفَدَ فلان على الأمير، أي: ورد رسولًا، فهو وافِد، والجمع: وَفْد.

قوله: (رِحالها) الرحْل: رَحْلُ البعير، وهو أصغَر مِن القَتَب،[1] والجمع: رِحال. وقوله: (وعلى نجائب)[2] رجل نجيب، أي: كريم بيّن النجابة، والنجيب مِن الإبل، والجمع: النُجُب والنجائب.

قوله: (رِدِي رِدِي)... البيتَ.[3] يخاطب الناقة صَمّاء، أي: لا[4] تسمع صوت القانِص فتَفِرّ. و"الكُدْرِيّة": منسوبة إلى الكُدْرة، وهي الغُبْرة.

قوله: (فسُمّي به) أي: بالوِرْد.

---

١ ن: العتب.

٢ انظر: المستدرك للحاكم، ٤٠٩/٢ (٣٤٢٥)، المصنَّف لابن أبي شيبة، ٣٧/٧ (٣٤٠١٤).

٣ الوساطة للجرجاني، ص/٤٠٢؛ أساس البلاغة للزمخشري، ٣٢٧/٢، كذلك بغير نسبة.

٤ ن – لا.

على هذه القِسْمة، ويجوز أن تكون علامَةً للجمع كالَّتي في "أكلُوني البَراغيثُ" والفاعل: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾؛ لأنه في معنى الجمع.

ومَحلُّ ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ رفعٌ على البدل أو على الفاعلية، ويجوز أن ينتصِبَ على تقدير حذف المضاف؛ أي: إلَّا شَفاعةَ مَن اتَّخذ.

والمرادُ: لا يَملكون أنْ يُشْفَع لهم، واتخاذُ العهد: الاستظهارُ بالإيمان والعمل.

وعن ابن مسعود أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم: «أيَعْجَزُ أَحَدُكم أن يتَّخذ كلَّ صَباحٍ ومَسَاءٍ عند الله عَهْدًا» قالوا: وكيفَ ذلك؟ قال: «يقولُ كُلَّ صَباحٍ ومَساءٍ: اللَّهمَّ فاطرَ السماوات والأرض عالِمَ الغيب والشهادة إني أعْهَدُ إليك بأَني أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا أنت وحدَكَ لا شريكَ لك،

قوله: (على هذه القِسمة) أي: هم ينقسمون إلى المتقين والمجرمين.

قوله: (ويجوز أن تكون علامة للجمع) وعَلّل ذلك بقوله: (لأنّه)، إذ لا يكون الواو علامة الجمع إلّا إذا كان بعده جمع أو ما في معناه، وتأنيث "تكون" لتأنيث الخبر.

قوله: (رفع على البدل) أي: إذا كان الواو ضميرًا كما في قولك: ما جاءني القوم إلّا زيد.

قوله: (على الفاعليّة)[1] نحو: ما جاءني إلّا زيد، وهذا إذا كان الواو علامة...[2]

قوله: (ويجوز أن ينتصب) هذا الوجه إنّما يستقيم إذا جعل الواو في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ ضميرًا، ويكون محلّ ﴿مَنِ﴾ نصبًا مستثنى مِن ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، أو بدلًا مِن ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾.

قوله: («إنّي أعهد إليك») أي: أُظهر هذا لك وأضعه عندك. وقوله:[3] (بأنّي أشهد) يجوز فيه الكسر أيضًا. أي: أعهد إليك بذِكر هذه الكلمات واعتقادها، فإنّ ذِكرها واعتقادها هو العَهد.

---

[1] ف: الفاعلة.

[2] أي: علامة للجمع.

[3] ن: قوله.

وأَن مُحمَّدًا عَبدُك ورسولُك، وأنَّك إنْ تكِلْني إلى نَفسي تُقرِّبْني من الشرِّ وتُباعِدْني من الخير، وأنِّي لا أثِقُ إلا برَحمتك، فاجعَلْ ليَ عَهدًا تُوفِّينيهِ يَومَ القيامة إنك لا تُخلِفُ الميعَاد، فإذا قال ذلك طُبِعَ عَليه بطابَعٍ ووُضِع تَحتَ العرش، فإذا كان يومُ القيامة نادَى مُنادٍ: أينَ الذين لَهُم عِند الرحمن عَهْد؟ فيدخلون الجَنَّةَ».

وقيل: كلمةُ الشَّهادة.

أو يكونُ مِن: "عَهِدَ الأميرُ إلى فلانٍ بكذا": إذا أمَرَه به؛ أي: لا يَشفعُ إلَّا المأمُورُ بالشفاعة المأذُون له فيها، ويعضُده مَواضعُ في التنزيل: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم ٢٦/٥٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ ٢٣/٣٤] ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه ١٠٩/٢٠].

قوله: («بطابَعٍ»)[١] الطَّبع: الخَتم، وهو التأثير في الطين ونحوه، يقال: طُبِع الكتاب وعلى الكتاب إذا ختَمه،[٢] والطابَع: الخاتَم، وهو بالفتح، والكسرُ لغة فيه.

قوله: (أو يكون مِن: عهد الأمير) عطف مِن حيثُ المعنى على قوله: (والمراد: لا يملكون أن يُشفَع لهم)، هذا وجه آخر، وبنى عليه قوله: (أي: لا يشفع)،[٣] والحاصل: أنه على الوجهين الأوّلين -وهما: أن يكون المراد بالعهد: الاستظهار بالإيمان، أو كلمة الشهادة- يكون معنى ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ﴾: لا يملِكُون[٤] أن يُشفَع لهم، وعلى هذا الوجه الثالث يكون المعنى: لا يَشفع إلا المأمور بالشفاعة.

---

١ الحديث في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٦٢/١٧ (مريم، ٨٧/١٩)، بلفظه مرفوعًا بغير إسناد، وهو بنحوه موقوفًا على ابن مسعود في المستدرك للحاكم، ٤٠٩/٢ (٣٤٢٦)؛ المعجم الكبير للطبراني، ١٨٦/٩ (٨٩١٨).

٢ ن: طبعه.

٣ ف: لا تشفع.

٤ ن – لا يملكون.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾

قُرِئ ﴿إِدًّا﴾ بالكسر والفَتْح، قال ابن خالَوَيْه: الإِدُّ والأَدُّ: العَجَبُ، وقيل: العَظيمُ المنكَر، والإِدَّةُ: الشِّدة، وأَدَّنِي الأمْرُ وآدَنِي: أثقَلَني وعَظُمَ عَليَّ إدًّا.

﴿تَكَادُ﴾ قراءَةُ الكسائيِّ ونافعٍ بالياء.

وقرئ: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾، الانفطارُ من "فَطَرَهُ": إذا شقَّهُ، والتَّفطُّر: مِن "فَطَّره": إذا شَقَّقَهُ وكرَّر الفِعلَ فيه.

وقرأ ابن مسْعُود: "يَنْصَدِعْنَ".

﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾؛ أي: تُهَدُّ هَدًّا، أو: مَهْدودةً، أو مفعولٌ له؛ أي: لِأَنَّها تُهَدُّ.

قوله: (خالَوَيه) مثل: "سِيبوَيه" في أنّه اسم مركّب مبنيّ على الكسر في ظاهر المذهب.

قوله: (الانفطار مِن فَطَره) إذِ "انفعَل" مطاوع "فعَل".

قوله: (والتفطُّر مِن فَطَّره) "تفعَّل" مطاوع "فعَّل".

قوله: (وكرَّر الفعل)؛ لأنَّ "فعَّل" للتكثير، نحو: غَلَّقتُ وقَطَّعتُ.

قوله: (أي:[1] تُهَدُّ هَدًّا) فمفعول مطلق. وقوله:[2] (أو مهدودةً)[3] فحالٌ، هدَّ البناء إذا كسره وضعضعه -أي: هدَمه- نحو الأرض. وقوله: (أو مفعول له) وهو مما يكون المفعول له فيه علة للفعل لا بالعكس، نحو: قعَدت عن الحرب جُبنًا.

قوله تعالى: (﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [فاطر ٣٥/٤١]) "إن" هذه نافية، كقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم ٥٣/٢٣]، / أي: ما قدَر على إمساكِها أحدٌ.[4] [١١٥ظ]

---

[1] ن: أو.

[2] ن: قوله.

[3] في الأصول الخطِّيَّة: "أو ممدودة"، وأثبتُّ الصحيح مِن مخطوط الكشّاف ومطبوعه.

[4] ن – أحد.

فإن قلتَ: ما معنى انفطارِ السماواتِ وانشقاقِ الأرض وخُرُورِ الجبَالِ، ومِن أَيْنَ تُؤَثِّرُ هذه الكلمةُ في الجَماداتِ؟

قلت: فيه وجهانِ:

أحدهما: أن الله سبحانه يقول: كِدْتُ أَفْعَلُ هذا بالسماوات والأرض والجبالِ عند وُجود هذه الكلمة غَضَبًا مِنِّي علَى مَن تَفوَّهَ بها لولا حِلْمي ووَقاري وأنِّي لا أَعْجَلُ بالعُقُوبة؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر ٣٥/٤١].

والثاني: أن يكون استعظامًا لِلكلمة وتَهْويلًا من فظَاعَتِها، وتصويرًا لأَثَرِهَا

قوله: **(فإن قلتَ: ما معنَى انفطار السموات)... إلخ**، حاصل السؤال: أنّ ظاهر الآية يدلُّ على أنَّ هذه الكلمة -وهي قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾- مؤثِّرة؛ لأنّه جعل مبتدأ الانفطار والانشقاق والخرور هذه الكلمة بقوله: ﴿مِنْهُ﴾، أي: بسبب هذا القول، وهذه الكلمة لا تصلح أن تكون مؤثّرة[١] في شيء. وأجاب بجَوابين: **الأوّل:** أنّ الله تعالى مؤثِّر عند هذه الكلمة وبسببها، فلا تكون الكلمة مؤثِّرة؛ بل هي سبب التأثير. وعلى **الثاني:** استعارة تمثيليّة؛ شبّه تأثير هذه الكلمة في الدِّين بتأثيرها في الدنيا، والجامع كون كلٍّ مِن التأثيرين سببًا لبطلان أمرٍ عظيم وفساده. فعلى **الأوّل:** يكون حقيقة الانفطار والانشقاق والخرور مرادًا، وعلى **الثاني:** لا؛ بل المراد تصوير استعظام هذه الكلمة وتأثيرها في الدِّين وهدمها لأركانه.[٢]

قوله: **(والثاني: أن يكون)** وتحقيق هذا الوجه الثاني أن نقول: الدنيا قائمة بالدِّين، فإذا لم يبقَ الدِّين لم تبقَ الدنيا، فلمّا كان هذا القول مؤثِّرًا في الدِّين التأثيرَ المذكور كان مؤثِّرًا في الدنيا، ويصير[٣] سببًا لخراب السماوات والأرض،

---

١ ف: مقررّة.

٢ هذه الحاشية وقعت في هامش د، وكتِب في هامش ف: "قوله: (فإن قلت: ما معنى انفطار) إلى قوله: "وهدمها لأركانه" حاشية "قوله: (والثاني أن يكون) وتحقيق"... أي: هي حاشية على الحاشية التالية.

٣ ف: ويصر.

في الدِّين وهَدْمِها لِأَرْكانِه وقَواعِدِه، وأنَّ مثالَ ذلك الأَثَرِ في المحسُوسَاتِ: أَن يُصِيبَ هذه الأَجْرامَ العظيمةَ التي هي قِوامُ العَالَم ما تَنفطِرُ منه وتنشقُّ وتخِرُّ.

وفي قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ وما فيه من المخاطَبة بعد الغَيبة -وهو الذي يُسمَّى: "الالتِفاتَ" في عِلم البلاغة- زيَادةُ تَسْجِيلٍ عليهم بالجُرأَة على الله والتعرُّضِ لِسَخَطِه، وتنبيهٌ على عِظَم ما قَالُوا.

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١﴾

في ﴿أَن دَعَوْا﴾ ثلاثةُ أوجُهٍ:

أن يكون مجرورًا بَدلًا من الهَاءِ في ﴿مِنْهُ﴾؛ كقوله:

وإنّما كادت السماوات يَنفطِرْنَ -أي: قَرُبن مِن الانفطار ولم ينْفَطِرن- لأنّه لم يقُل به إلّا الفوج القليل، والنفَر الذليل، والرَهط الضئيل، وأمّا المسلمون الموحِّدون الدافعون لقولهم بالبرهان المنير،[1] فهم الجَمُّ الغَفير والقوم الكثير، فلا يبقى لقول الجاهلين اعتبار بقدر نَقير ولا قِطْمير، فلم يتولّد مِن قولهم المغلوب أثَر، ولا ثار مِن اعتقادهم المقلوب عِثْير.[2] وقوله: (لأركانه) أي: أركان الدين. وقوله: (وأنّ مثال ذلك) أي: وبيانًا لأنّ. وقوله: (ما تنفطِر) فاعل "يصيبَ".

قوله: (وما فيه) عطف على (قولِه)، والضمير المستكِنّ في الظرف يعود إلى "ما"، والبارِز المجرور إلى "قوله"، و(مِن) بيان "ما"، و(هو) عائد إلى "ما"، أو إلى "المخاطبة"، والتذكير باعتبار الخبَر.

قوله: (الالتفات) اعلم أنّ المصنِّف رحمه الله[3] ذكر الالتفات الأوّل في قوله: ﴿جِئْتُمْ﴾، ولم يذكر الالتفات الثاني في قوله: ﴿أَن دَعَوْا﴾ إحالةً إلى ذهن السامع لتقريره الأوّل.

---

[1] ن: المبين.

[2] العِثْيرُ، بتسكين الثاء: الغبار. الصحاح للجوهري، «عثر».

[3] د - رحمه الله.

على حالةٍ لو أنَّ في القوم حاتمًا   على جُودِه لضَنَّ بالماءِ حاتمِ

ومَنْصُوبًا بتقدير سقُوط اللام وإِفْضاءِ الفعل؛ أي: هدًّا لِأَن دَعَوا، عُلِّلَ الخُرورُ بالهَدِّ، والهَدُّ بدُعاءِ الولدِ للرَّحمنِ.

ومرفوعًا بأنه فاعِلُ ﴿هَدًّا﴾؛ أي: هَدَّها دُعاءُ الوَلدِ للرَّحمنِ.

وفي اختصاصِ "الرحمن" وتكريرِهِ مرَّاتٍ من الفائدة: أنه هو الرحمنُ وحده لا يستحِقُّ هذا الاسمَ غيْرُه، من قِبَلِ أَن أصُول النِّعَم وفروعَها منه: خَلَقَ

قوله:

(علــى حالــةٍ لــو أنّ)... البيــتَ[١]

يصِف قلّة الماء، و"حاتمِ" بدل مِن الهاء في "جودِه".

قوله: (ومنصوبًا بتقدير) وعلى هذا الوجه يكون حذف اللام بناء على أنّ حذف الجارِّ مع "أنْ" و"أنّ" قياس مستمرّ، وليس الحذف لكونه مفعولًا له؛ لأنّ ﴿أَن دَعَوۡا﴾ ليس فِعلًا لفاعل الفعل المعلَّل.

قوله: (أي: هَدَّها دعاء الولد للرحمن) كما تقول: شاهدت ضربًا زيدًا،[٢] أي: شاهدت أن ضرب زيدًا.[٣]

قوله: (مِن قِبَل أنّ أصول النِعَم) علَّل[٤] استحقاقه اسم "الرحمن" بقوله: (مِن قِبَل) إلى قوله: (مِنه)، وبيّن ذلك بقوله: (خَلَق)، ثمّ رتّب على ذلك قوله: (فمَن أضاف)، يعني: إذا كان كما ذكرنا فمَن أضاف إليه الولد فقد أخرجه مِن استحقاق هذا الاسم.

قوله: (أنّه هو الرحمن) في محل المبتدأ، وقوله: (في اختصاص) خبره. وقوله: (مِن الفائدة) حال مِن الضمير المستتر في الخبر العائد إلى المبتدأ. أو نقول: قوله: (مِن الفائدة) صفة[٥] موصوف محذوف مبتدأ، والتقدير: شيءٌ مِن الفائدة، وقوله: (في اختصاص) خبره، وقوله: (أنّه) بدل مِن المبتدأ.

---

١ هو في ديوان الفرزدق، ٨٤٢/٢، بلفظ:
على ساعةٍ لو كان في القَوم حاتمٌ   على جُودِه ضَنَّت به نفسُ حاتمِ

٢ ف: زيد.

٣ ف ن: زيد.

٤ ن: علق.

٥ ن: صيغة.

العالَمِين وخَلَق لهم جميعَ ما مَعَهم؛ كما قال بعضُهم: فلينكشِفْ عن بَصَرِكَ غِطَاؤُه، فأنْتَ وجميعُ ما عِندك عَطاؤه.

فمَن أَضاف إليه ولدًا فقد جعَله كبعض خَلْقِه، وأخرجه بذلك عن استحقاقِ اسم الرحمن.

﴿أَن دَعَوْا﴾ هُوَ مِن "دَعَا" بمَعنى "سَمَّى" المتعدِّي إلى مفعولين، فاقتُصِرَ على أحدهما الذي هو الثاني طلبًا لِلعُموم والإحاطةِ بكُلِّ ما دُعِيَ لَهُ وَلَدًا.

أو مِن "دَعَا" بمعنى "نَسَبَ" الذي مُطَاوِعُهُ ما في قوله عليه السلام: «مَن ادَّعى إلى غَير مَواليه» وقولِ الشاعر:

إِنَّــا بنــي نَهْشَــلٍ لا نَدَّعــي لِأَبٍ

قوله: (كبعض خلقه) أي: كالأجسام؛ لأنّ التوليد مِن خصائص الأجسام، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

قوله: (هو مِن: "دعا" بمعنى "سَمّى")... إلخ؛ لأنّ "دعا" بمعنى "هتَف" يتعدّى[1] إلى مفعول واحد، كقولهم: دعوتُ زيدًا، أي: ناديته، ودعوته زيدًا، أي: سمّيته.

قوله: (فاختُصر)...[2] إلخ، أي: ما قال: دعَوا عيسى ولدًا، ولا عُزَيرًا،[3] ولا الملائكة ولدًا؛ طلبًا للعموم؛ ليكون الإظهار للغضب واستعظام هذا الأمر بأي شيء جُعل ولدًا.

قوله: / (ما في قوله عليه الصلاة والسلام: «مَن ادَّعى إلى غير مَواليه»)[4] أي: انتسب. [١١٦و]

قوله:

(إنّــا بنــي نَهْشَــلٍ لا ندّعــي لأبٍ)

---

١ ن: يتعدّي.

٢ وفي بعض النسخ المخطوطة والمطبوعة مِن الكشّاف: "فاقتصر".

٣ ن: عزيزًا.

٤ صحيح مسلم، ١١٤٧/٢، (١٣٧٠)، بلفظ: «مَن ادّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا».

أي: لا ننتَسِبُ إليه.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾

"انْبَغَى": مُطَاوِعُ "بغى": إذا طَلَبَ؛ أي: ما يَتَأَتَّى له اتِّخَاذُ الولدِ، وما يَنْطَلِبُ لو طُلِبَ مَثَلًا؛ لأنَّه مُحالٌ غَيْرُ داخلٍ تحتَ الصِّحَّةِ.

أَمَّا الوِلادةُ المَعْروفة فلا مَقالَ في استحالَتِها.

وأمَّا التَّبَنِّي فلا يكونُ إلَّا فيما هو مِن جنسِ المُتبنَّى، وليس للقديمِ سبحانه جنسٌ، تعالى عمَّا يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾

﴿مَن﴾ مَوصُوفةٌ؛ لأنَّها وَقعَت بَعْد كُلُّ نكرةً وقُوعَها بَعْدَ "رُبَّ" في قوله:

تمامه:

عنه ولا هو بالأبناء يَشرينا[1]

قوله: ("انبغى" مطاوع "بغى" إذا طلب) بغى بُغاء: طلب، شُبِّه شَغْل قلب طالب الشيء بالأدواء، فأُخرج على زِنَة "فُعال"، كالعُطاس والزُّكام. وقوله: (أي: ما يتأتّى) أي: لا يصحّ ولا يستقيم. وقوله: (وما ينطلب) أي: ما يحصل، طَلَبْتُه فانطَلَب.

قوله: (وقعت بعد "كلُّ" نكرةً) مشكِل، فإنّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ في سورة ق [٥٠/٢١]: «محلّ ﴿مَعَهَا سَآئِقٌ﴾ النصب على الحال؛ لتعرّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة»، وكتب بعضهم في حاشيته: «وذلك لأنّها بإضافة ﴿كُلُّ﴾ إليها صارت شاملة لجميع النفوس، فتعيّن مدلولها فصارت معرفة».[2] وذكر في الصِّحاح: «"كلّ" و"بعض" مَعرفتان،

---

[1] لبَشامة بن حزنٍ النَّهشَلي كما في عيون الأخبار لابن قتيبة، ١/٢٨٧.

[2] انظر: حاشية الطيبي على الكشّاف، ١٤/٥٤٢.

رُبَّ مَـنْ أَنْـضَـجْـتُ غَـيْـظًـا صَـدرَه

وقرأ ابن مسعُودٍ وأبو حَيْوةَ: "آتِ الرحمنَ" على أصْلِهِ قبلَ الإضَافة.

﴿لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾

"الإحصاءُ": الحَصْرُ والضَّبْط، يَعني: حَصَرَهم بعِلمه وأحاط بهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾

لم يجئ عن العرب بالألف واللام، وهو جائز؛ لأنّ فيه معنى الإضافة، أضيفَت أو لم تُضَفْ».[1]

قوله:

(رُبَّ مَـن أنضجـتُ غيظًـا صـدرَه)

تمامه:

فـتـمـنّـى لـيَ مـوتًـا لـم يُـطَـعْ

ويـرانـي كـالـشَّـجَـى فـي حَـلْـقِـهِ[2] عـسِـرًا مُـخـرَجُـه مـا يُـنـتَـزَعْ
لـم يَـضِـرْنـي غـيـر أن يَـحسُـدَنـي فهو يَزقو[3] مثل ما يَزقو[4] الضُّوَعْ
ويُحيِّيـنـي إذا لاقَيتُـه وإذا يخلـو لـه لحمـي رَتَـعْ[5]

يقال:[6] نَضِجَ الثمر واللحم نُضْجًا، ونَضْجًا، أي: أدرك، فهو نَضيجٌ وناضِجٌ، وأنضجتُه أنا. و"الشَّجَى" مقصورًا: ما نَشِبَ في الحلق مِن غُصّة هَمّ أو غيره. و"يَزْقو"،[7] أي: يصيح. و"الضُّوَع": طائر مِن طير الليل مِن جنس الهام، وقيل: ذكَر البُوم، والجمع: ضِيعان وأضواع. وقوله: "إذا يخلو"، أي: إذا خَلَى يغتابني.

---

١ الصحاح للجوهري، «كلل».
٢ ف: حَلْقِه.
٣ ن: يزقوا.
٤ ن: يزقوا.
٥ لسُويد بن أبي كاهل اليَشكري. انظر: المفضّليّات للمفضّل الضبّي، ١/١٩٨؛ خزانة الأدب للبغدادي، ٦/١٢٥.
٦ ن – يقال.
٧ ن: يزقوا.

الذين اعتَقدوا في الملائكة وعيسى وعُزَير أنهم أولادُ الله كانوا بين كُفرَيْن:

أحدهما: القولُ بأن الرحمنَ يصحُّ أن يكون والِدًا.

والثاني: إشراكُ الذين زَعَمُوهُم للهِ أَولادًا في عِبَادته كما يَخدمُ الناسُ أَبْناءَ المُلوكِ خِدْمَتَهُم لآبائهم.

فهَدَم الله الكُفرَ الأوَّلَ فيما تقَدَّم مِن الآياتِ، ثم عَقَّبَهُ بهَدْم الكفر الآخِر.

والمعنى: ما مِن معبُودٍ لهم في السماوات والأرض من الملائكة ومن الناسِ إلا وهو يَأتي الرحمنَ؛ أي: يأوي إليه ويَلتجئُ إلى رُبُوبيته عَبْدًا مُنقَادًا مُطيعًا خاشِعًا خاشِيًا راجيًا كما يَفعَلُ العَبيدُ وكمَا يجبُ عَليهم، لا يدَّعي لنَفسه ما يدَّعيه له هؤلاء الضُّلَّالُ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء ٥٧/١٧] وكُلُّهُمْ مُنقلِبُون في مَلكوته مَقهورُون بقَهْره، وهُو مُهَيمِنٌ عليهم مُحيطٌ بهم وبجُمَلِ أمُورهِمْ وتفَاصيلها وكيفيَّتهم وكمِّيَّتِهم لا يفوتُه شيءٌ من أَحوالهم، وكلُّ واحدٍ منهم يأتيه يومَ القيامة منفردًا ليس مَعَه مِن هؤلاء المشركينَ أحدٌ وهُم بُرآءُ مِنْهُم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾

قرأ جَناحُ بن حُبَيْش: "وِدًّا" بالكسر.

والمعنى: سَيُحدِثُ لهم في القُلوبِ مَوَدَّةً ويَزرَعُها لهم فيها من غيْرِ تَودُّدٍ منهم ولا تعرُّضٍ لِلأسباب التي يَكتَسِبُ بها الناسُ مَودَّاتِ القُلوبِ مِن قرابةٍ أو صَداقةٍ أو اصْطِناعٍ بمبَرَّةٍ أو غيْرِ ذلك، ....

قوله: (في عبادته) أي: في عبادة الله.

قوله: (يأتيه يوم القيامة فردًا) ولمّا أظهر أنّ ما اعتقدوا فيهم أنّهم أولاده كلُّهم عبيدُه منقادون مقهورون متقلّبون في نعمته بيّن أنّهم يرجعون إليه تعالى في الآخرة فردًا وحيدًا يُجازيهم بأعمالهم.

وإنما هو اختِراعٌ منه ابتداءً اختصاصًا منه لأوليائه بكرامةٍ خاصّةٍ؛ كما قَذَفَ في قلوبِ أعدائهم الرُّعبَ والهَيبة إعظامًا لهُم وإجْلالًا لمكانهم.

والسينُ؛ إمَّا لأنَّ السُّورَة مكيةٌ وكان المؤمنون حينئذٍ مَمقُوتِين بين الكَفرة، فوعَدَهم الله تعالى ذلك إذا دَجَا الإسلامُ.

وإما أن يكون ذلك يومَ القيامة يُحَبِّبُهُم إلى خَلْقِه بما يُعْرَضُ مِن حَسناتهم ويُنشَر مِن دِيوان أعمالهم.

ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ رضي الله عنه: «يا عليُّ، قُل: اللّٰهم اجعَل لي عِندك عَهْدًا وَاجْعَل لي في صُدُور المؤمنين مَوَدَّة» فأنزَلَ الله هذه الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يعني يُحِبُّهُم اللهُ ويُحَبِّبُهم إلى خَلقه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: يا جبريلُ، قد أَحْبَبتُ فلانًا فأَحِبَّه، فيُحبُّه جبريلُ، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أَحَبَّ فلانًا فأَحِبُّوه، فيُحبُّه أَهْل السماء، ثم يَضَعُ له المحبَّة في الأرضِ».

وعن قتادةَ: ما أقبلَ العَبدُ إلى الله إلَّا أَقبل اللهُ بقُلوب العبَادِ إليه.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝﴾

هذه خاتمة السُّورة ومَقْطَعُها؛ فكأنَّه قال: بَلِّغ هذا المُنْزَلَ أَو بشِّرْ به وأَنذِرْ فإنما أَنزلْناه بلسانك؛ أي: بلُغتك، وهو اللسان العربي المبين، وسَهَّلناه وفصَّلناه ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾ وتُنذِرَ.

قوله: (اختراع مِنه) أي: مِن الله تعالى. وقوله: (اختصاصًا) مفعول له.

قوله: (إذا دجا[١] الإسلام) "دجا"، أي: تمَّ ووفَرَ وكثُر.

قوله: (فكأنَّه قال) إشارة إلى أنَّ الفاء في ﴿فَإِنَّمَا﴾ للسببيّة، فكأنَّه قيل: إذا أنزلناه إليك ويسّرناه عليك لكونه بلسانك فبلّغه عبادي بالتبشير والإنذار،

---

[١] ن: دجاء.

و"اللُّدُّ": الشِّدَادُ الخُصومَة بالباطِلِ، الآخذونَ في كلِّ لَديدٍ؛ أي: في كلِّ شِقٍّ من المِراءِ والجِدال لِفَرْط لجَاجِهم، يُريد أَهْلَ مكةَ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

وقولهُ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ تخويفٌ لهم وإنذارٌ.

وقرئ: "تَحُسُّ" مِن حَسَّه: إذا شَعَر به، ومنه: الحَوَاسُّ والمحسوسات.

وقرأ حَنظلةُ: "تُسْمَعُ" مُضارِعُ أُسمِعْتُ.

و"الرِّكزُ": الصَّوتُ الخفيُّ، ومنه: رَكَز الرُّمْحَ: إذا غَيَّب طرَفَه في الأرض، والرِّكازُ: المالُ المدفونُ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورةَ مريمَ أُعْطيَ عَشْرَ حَسَناتٍ بعَددِ مَن كَذَّب زكريًا وصَدَّقَ به، ويَحيَى ومَريمَ وعيسى وإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ وموسى وهارونَ وإسماعيلَ وإدريسَ، وعَشْرَ حَسَناتٍ بعَدَدِ مَن دَعا اللهَ في الدنيا وبعَدَدِ مَن لم يَدْعُ اللهَ».

فإنّما أنزلناه ويسَّرناه لذلك، فعليك بالتبليغ، فمَن لم يقبَله ولم يتّعظ به فسنُهلكه كما أهلكنا مَن قبلهم مِن القرون، وهذه الفاء فاء الفَذْلكة[١] فيه نظر.

قوله: (واللُّدُّ)[٢] جمع "ألَدّ"، قال الأصمعيّ: «اللَّديدان جانبا الوادي»، قال: «ومِنه أُخِذ اللَّدود،[٣] وهو ما يُصَبُّ مِن الأدوية في أحد شِقَّي الفم».[٤]

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه[٥]

---

١ ف: الفذلكن. | قال أبو البقاء: «أُطلق لفظ الفَذلكة لكلّ ما هو نتيجة متفرّعة على ما سبق حسابًا كان أو غيره». الكلّيّات لأبي البقاء، ص ٦٩٧. وسبق في هذه الحاشية في سورة البقرة، ١٩٦/٢ مِن قول الجاربردي: «الفذلكة: مأخوذ مِن قول الحُسّاب بعد التفصيل: فذلك كذا».

٢ ن: واللذ.

٣ ف: اللَدُوَدُ.

٤ الصحاح للجوهري، «لدد».

٥ ف ن – تمت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.